سادة القافلة
4

القدم التي بقيت هناك

مذكّرات يوميّة للأسير السيّد ناصر حسيني پور في سجون العراق السريّة

مركز نون للتأليف والترجمة

شبكة المعارف الإسلامية
www.almaaref.org

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الـــكـــتـــاب: القدم التي بقيت هناك

الـــكـــاتـــب: السيد ناصر حسيني پور

ترجمة وإعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

نـــشـــــر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الــطــبــعــة: الأولى، كانون الأول 2013م - 1435هـ

سادة القافلة (4)

القدم التي بقيت هنـــــاك

مركز نون للتأليف والترجمة

تقديم

الحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد.

كتاب «**القدم التي بقيت هناك**» للسيد ناصر حسيني بور رواية صادقة لما عاناه زمن الأسر في السجون السريّة في العراق.

التحق السيد ناصر بجبهات القتال مذ كان في الرابعة عشرة من عمره، فجُرح وأُسر في السادسة عشرةٍ، وبقي في الأسر مدة ثلاث سنوات. هناك خلّف السيد ناصر قدمه التي أصيبت على جبهات القتال، وبترت لاحقاً في أحد مستشفيات بغداد، ليعود بدلاً عنها بثلاث وعشرين صفحة، هي خلاصة ذكرياته زمن الأسر، ولتسعفه الذاكرة فيما بعد وتتحوّل الصفحات الثلاث والعشرون بعد عشر سنوات إلى سبعمائة صفحة. وكان بعض رفاق السيد ناصر قد سأله يوماً عن سرّ عدم استشهاده فقال: «**السبب يعود إلى أمرين، الأوّل أنّ قلبي تعلّق بمنظار الرصد، والأمر الآخر تعلّقي بكتاباتي اليومية**».

وإنّ ما خطّه الإمام الخامنئيدام ظله عن الكتاب بقوله: «**..إنها رواية استثنائية لحوادث مؤلمة تُظهر للقارئ في كل جزء من أجزائها وفي كل كلمة من كلماتها مدى صبر وصمود وشهامة شبابنا المجاهد من جهة، ومن جهة أخرى مدى حقارة وخبث وقسوة جنود صدام وأزلامه**»، يعبّر عن القيمة المعنوية العالية لهذا الكتاب ومؤلّفه وجهاده وصبره.

لهذا نجد بأنّ القائد قد شبّه جهود السيّد ناصر بأساس البنيان الذي يبقى صامداً دون أن يُرى، عندما قال: «**الأعمال النابعة من إيمان عميق كاللبنة الأولى في أساس البناء، تبقيه صامداً متماسكاً. يمكن لتلك اللبنات المغروسة في الأرض أن لا تُرى أبداً، لكنّ أثرها سيبقى ملموساً. وكذا جهودكم ومقاومتكم في تلك اللحظات العصيبة، تبقى كقطرات الدم الجارية في عروق الجمهورية الإسلامية تهبها الحياة وتحافظ على بقائها واستمرارها، ولا يهمّ إن رأى الآخرون ذلك أم لم يروه، علموا به أم جهلوه**».

والتزاماً بتوجيهات الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله حيث أكد على ضرورة ترجمة هذا الكتاب بلغة سلسة إلى اللغة العربية والإنكليزية، حيث قال: «**يجب ترجمة الكتاب بلغة سلسة إلى العربية والإنكليزية، كي يتمكّن العرب وغير العرب من قراءته**»[1]. فقد تصدّى مركز نون للتأليف والترجمة لتعريب هذا الكتاب، وتصحيح نصوصه بالعربية، وشرح ما يجب شرحه من مصطلحات وموارد جديدة للقارئ العربي، حتى أخرجنا الكتاب بهذه الحلة العربية الجديدة.

ولا يسعنا إلا أن نشكر الأخوة والأخوات الذين عملوا على تعريب هذا الكتاب ومراقبة نصوصه وتحريرها، ونخصّ بالذكر: الأخت إيمان صالح، الأخت فاطمة شوربا، د. محمد علّيق، د. أميمة علّيق، الأخت حنان الساحلي.

مركز نون للتأليف والترجمة

(1) بتاريخ 2012/9/5 خلال تكريم السيد ناصر وعائلته في طهران.

إهداء

إلى ... رئيس حرّاس المعتقل رقم (16) في «**تكريت**».

لا أدري، ربّما قُتل في «**حرب الخليج**» الأولى بقيادة «**بوش**» الأب.

وربّما قُتل في «**حرب الخليج**» الثانية بواسطة «**بوش**» الابن.

وربّما أيضاً، ما زال حيًّا.

الرجل الّذي أدّت أعمال حُكّامه إلى حلول اللعنة على بلاده.

الرجل الّذي عذّبني لسنواتٍ في جوار حَرَم جدّي.

الرجل الّذي كان كلّما عذّبني، جعل «**علي جارالله**»، الحارس العراقيّ الشّيعيّ، يقبع في زاويةٍ، ينظر إليَّ ويبكي.

وربّما ما زال يشعر بالخجل إلى الآن.

أهديه هذا الكتاب مع كلّ الحبّ.

لأجل كلّ هذا الجميل الذي صنعه بي.

فكلّ ما مرّ بي،لم يكن إلّا جميلاَ.

«**وما رأيت إلّا جميلاً**».

ناصر حسيني پور

مقدّمة المؤلِّف

طالـت الحـرب، وطالت حتّى كبـرتُ! كنت ابـن أربعة عشـر عامًا حيـن ذهبت إلـى الجبهة. أعجبـت هناك بوحـدة التّخريـب[1] ولهذا صـرت «**مخرِّبًا**» فيها، ولكن فيما بعد، انتسبـت إلى وحدة الاستطلاع والعمليّات.

فـي الأيام الأخيرة للحرب، وقعت أسيراً في يد الجيش العراقيّ في «**جزيـرة مجنـون**»؛ كنت حينها في السادسـة عشرة من العمر، وأعمل دليلاً في كتيبة الشهداء الخاصّة في هجوم مضادٍّ.

أثنـاء وقوعي فـي الأسـر، شاهدت أحداثًـا مفجعـةً وموجعةً. قبل الأسر كنت راصدًا، فـي وحدة الاستطلاع،وعملي رصد خطوط العدو، والتدوين الدقيق لتحرّكاته، وأفعاله، وردّات فعله، عبور، ومرور آلياته، باليوم والساعة والدقيقة.

منـذ الأيـام الأولـى لوقوعي فـي الأسر، حاولـت أن أكـون راصدًا لـكلّ الأحـداث، والوقائع الخالدة، والمعبِّرة لتجربـة الاعتقال. لم تعد هنـاك حاجـة إلى منظـارٍ، وبـرج مراقبة مرتفـعٍ! كنت سابقـاً أعتلي

(1) وحدة تعنى بزرع الألغام والعبوات الناسفة.

البـرج واستعمل المنظـار في مراقبـة العراقيّين (الجيشـ العراقي) مـن بعيد، وكانـت معرفتي بالعدوّ محدودةً بمقدار مـا كنت قد سمعته فقط. شاهدت في الأسر كلّ تصرّفاتهم، الحسن منها والقبيح. لطالما رغبت في أن أكتب تقريري للرصد والاستطلاع حول سجون العدوّ حين أتحرّر. حتى أضحى هذا التّقرير المفصّل مذكّراتي اليوميّة.

كان قـد مضـى شهران علـى أسري، عندمـا أخبرونـا أنّ الأسرى الجرحى، والمعوقيـن سيتمّ إطلاق سراحهم. قرّرت في ذلك اليوم أن أكتب كلّ ما حصل معي في هذين الشهرين؛ من خلال استخدام رموزٍ وكلمـاتٍ وعبارات قصيـرةٍ، وكتابة النقاط التي مـن الممكن أن تشكّل خطـراً عليَّ بالرموز وإخفائها داخل ماسـورة عكّازي المعدنيّة. ظننت أنّـي سأتحرّر سريعـاً، وسأخرج كـي أبيّض هذه المسـوّدة القصيرة، كذكريات شهرين من الأسر، لكن .. مضت الأيام والأسابيع.. ولا أخبار عن إطلاق سراح الجرحى.

بعـد شهريـن ونصـف من ذلـك التاريـخ، عـادوا ليقولوا لنـا: إنّ العراقيّيـن قـرّروا، بعـد مباحثات جرت بيـن وزيري خارجيّـة العراق وإيـران في جنيف، أنّ صفقـة مبادلة الأسرى الجرحـى ستنجز فورًا! كنـت أدوّن كل المواقـف الملفتـة والمهمّة، أُسجّل التّواريـخ، والرّموز، ومفاتيـح ذكرياتـي، على أوراق علـب السّجائـر، وأكياسـ الإسمنت، وأطـراف الجرائد العراقيّة، ثمّ ألفّهـا وأصغّرها لإدخالها في ماسورة العكّاز.

وفـي أواخـر العـام 1367هـ.ش (بدايـة العـام1989م) كنت أبحث عـن فرصة مناسبـة كي يتسنّى لي، بعيـدًا عن أعين العـدوّ، أن أُخرج

كلّ كتاباتـي من العـكّاز؛ لأبيّضها على الدفتر الصغيـر، الذي صنعته مـن الأوراق البيضاء من هوامش وأطراف الكتـب، التي كانت منظّمة مجاهدي خلق (المنافقون) ترسلها لنا، حاولت وحاولت دون جدوى!

فـي أواخر أيّـام اعتقالي، في شهـر آب من العـام (1990م)، وفي مستشفـى 17 تموز فـي الحبّانيّة، سنحت لي تلـك الفرصة المنشودة. أخرجتُ يومها كلّ القصاصات الصغيرة، والكلمات المشفّرة المبعثرة، وأعـدْتُ ترتيبهـا على دفتري الصغيـر، الذي أخفيتـه داخل ضمّادات قدمـي المجروحـة وهرّبتـه إلـى إيـران. دفترٌ مـن عشريـن صفحة، ضـمّ ذكرياتـي، وكلّ أخباري، وأخبار رفاقي، دفتـرٌ صغير اتّسع لعالم مـن الأحداث والمواقف. بعد تحـرّري من الأسر، بـدأت بإعادة كتابة مذكّـرات 187 يوماً من أيّام أسري الـ«808»، معتمدًا على دفتري بِجُمَلِه القصيـرة، وتواريخه، ورموزه، وكذلك علـى ذاكرتي التي كانت ترصد وتسجّل أدقّ التفاصيل كعادتها الاستطلاعيّة.

كلّ هـذه الكتابـات خرجت إليكم بشـكل كتاب، «**القدم التي بقيت هنـاك**»[1]، وقد استمـرّت إعادة كتابة هـذه الذّكريات، بنحـوٍ متقطّعٍ، حوالـي عشر سنوات. بحثتُ عن الكثيـر من رفاق الأسر، وقد وجدتهم بصعوبـة، استفسرتُ منهم عن مسائل كانـت مبهمة، أو غامضة وغير مكتملة لديّ، قدَّموا لي العون لإكمال بعض الأسماء، وتفاصيل الأحداث. فـكان هذا الكتاب تجسيـدًا لأيّام الصبر، والاستقامـة، والألم، لتبقى تلـك الأيام خالـدةً للأجيال القادمة. كما أنّي أهديـتُ الكتاب للعريف العراقيّ وليد فرحان، لعلّي أراه يومًا ما، في مكان لا أعرف أين يكون!

---

(1) العنوان الحرفي للكتاب بالفارسية «**القدم التي بقيت**».

تعود هوايتي في تسجيل المذكّرات اليوميّةإلى شهر كانون الأول من العــام (1986م). حين كنا ذاهبيــن يومها إلى «**دزفـول**»[1]، وكان معنا «**حميـد جبـل عاملـي**» من شبــاب «**أصفهـان**»[2] في ثكنة لــواء (الفتح 48)[3]. فــي طريق العودة، كنّا في باص مدينــة «**شوشتر**»، وكان حميد يجلــس إلــى جانبي، أثناء المسير كتب حميد علــى صفحة «**يوم 8 ك1**» من مفكّرته مايلي:

ذهبنا اليوم مع السيد ناصر حسيني إلى «**دزفول**»، كان يومًا جيّدًا. اشتــرى السيــد كاميــرا فوتوغرافية، من نــوع «**كــوداك 110**»، أمريكية الصنع، اشتريت أنا بذْلة مرقّطة، ذهبنا إلى حمّام البخار العموميّ.

تناولــت غــداء الهمبرغــر، أمّــا السيــد فقــد طلــب «**المرتديلا**». تكلمّــت هاتفيًّا مع شبابنا فــي أصفهان، ورجعنا عند العصر إلى وحدة «**التّخريب**».

أعجبنــي هــذا الأسلــوب، وقــد زاد إعجابــي وتعلّقــي بــه أكثر بعد شهادة«**حميــد**». ومنــذ ذلــك اليوم بــدأت هوايتي بتسجيــل مذكّراتي اليوميّة. بعض المذكّرات أيّام الجبهة لا تحوي شيئًا مهماً، ولكنّي تعلّمت من حميد أن أكتب مذكّرات كلّ يوم، حتى وإن كانت عاديّة جدّاً. ظهرت أهمّيّة هذا العمل في المعتقل، مع أنّ الظروف صعبة، والإمكانات شبه معدُومــة، لكن حياة عالــم الأسر، وأيام الاعتقــال بَمشَاقّها وعذاباتها

(1) مدينة إيرانيّة تقع في محافظة خوزستان المحاذية للعراق.

(2) مدينة إيرانيّة، مركز محافظة أصفهان على بعد 340كلم جنوب طهران.

(3) وضعــت الثورة الإسلامية والنظــام الإسلامي مبدأ تسميــة كل الأماكن العامة والشــوارع و... وكذلك الألويــة والكتائب وحتى أسماء المعارك بأسماء لها صبغتها الإسلامية والجهادية، فكانت تسميات من قبيل: لواء «**فتح 48**» وترمز إلى سورة الفتح، وترتيبها في القرآن الكريم رقم 48، لواء محمد رسول الله ، فيلق الإمام الحسن ... إلخ. (مركز نون).

تحمل الكثير من الرسائل للإنسان؛ كي يكون إنساناً جيّدًا، وأن يبقى ويستمر كذلك. أرجو أن أكون قد أدّيت دَيْني إلى الأسرى «**المفقودي الأثر**»، الذين أمضوا سنواتٍ طوالاً في معسكرات تكريت الوحشيّة المرعبة في أصعب الظروف.

من الضّروري في النهاية، أن أشكر من صميم قلبي، كلّ الذين ساعدوني على إنجاز هذا العمل، السيد «**رضا بارسيان نجاد**»، ابن الشهيد «**خدامراد بارسيان نجاد**»، رئيس «**حوزه هنري**» [الدائرة الفنية]، في محافظة «**كهكيلويه وبوير أحمد**»[1]، الأستاذ الجامعي «**السيد يوسف مرادي المحترم**»، وابن الشهيد الجليل «**السيد عنايت الله مرادي**» لآرائه القيّمة، وكذلك الشكر للعاملين في الدّائرة الفنّيّة، «**السيد مصطفى فرخياني**»، الأختان «**شهربانو باكنجاد**» و«**شهناز درفشيان**» على المساعدة في تنظيم وصف وإخراج هذا الكتاب.

الشكر والتقدير الخاصّ إلى زوجتي الصابرة والمضحِّية «**زينب جوانمردي**» التي شجّعتني طوال هذه السنوات على إتمام هذا العمل.

السيد ناصر حسيني پور

خريف 1389هـ.ش (2010م)

(1) إحدى المحافظات الإيرانيّة الإحدى والثّلاثين سكّانها خليط من الأكراد والفرس عاصمتها «**ياسوج**».

الفصل الأول:

جزيرة «مجنون»[1] - جادة الخندق

الجمعة 24 حزيران 1988م- جزيرة مجنون- جادة الخندق

كان الوقت فترة بعد الظهر، ورطوبة الهواء تثقل الصدور كالرّصاص. انتهت مناوبتي وجاء البديل. نزلت من غرفة الرّصد الصّغيرة فوق البرج ليحلّ «**ولي ياري**» مكاني.

من أعلى البرج[2] كنت قد سجّلت تحرّكات العدوّ حتّى عمق تموضعه على الخط الأول، والثاني، في الاستمارات الخاصّة بالاستطلاع. كانت تحرّكات العدو، وعبور آلياته نحو «**الكسارة**»، و«**البيضة**»، و«**الصخرة**»، و«**الهدامة**»، و«**الكرام**»، والمرور المتواصل على طريق العمارة- البصرة، وخلف قناة «**صويب**» المستحدثة، والطرق التّرابيّة المؤدّية إلى جزر مجنون، تنبئ عن هجومٍ واسعٍ سيحدث عمّا قريب...

(1) جزر مجنون: تتشكّل من قسمين، شمالي وجنوبي، مساحتهما معًا حوالي 200كلم2،وتبعدان عن بلدة القرنة العراقية 15 كلم. تقع مدينة الحويزة في الجهة الشمالية الشرقية من جزيرة مجنون. حدود إيران تعبر من مياه «**الهور**» فيكون نهر دجلة إلى غربها وبلدتا «**القرنة**» و«**العزير**» إلى جنوبها وشمالها على التّوالي. يوجد 50 قرية في المنطقة، سكانها مسالمون، وغير عسكريين؛ يتراوح عمق مياه «**الهور**» المغطّاة بالأعشاب المائيّة والقصب بين 70سم و3 أمتار، غير أنّه تمّ تثبيت ارتفاع الماء على 70سم في أغلب الممرات المائية المتصلة بالجزر كي لا تتمكن الزوارق، والقوات العسكرية من العبور من الجهة الغربية. كانت الجرّافات تحفر التراب وراء السواتر الأولى مقابل الجزيرة الجنوبية.

(2) كانت تُنصب في مناطق الجبهات أبراجٌ حديدية عاليةً مخصصة للرّصد، خاصة في المناطق التي تقل فيها الهضاب والتلال؛ كمناطق الجنوب، وسواحل المستنقعات الجنوبية. (مركز نون)

كنّا نرسل تقارير الرّصد يوميًّا إلى مسؤول استطلاع المقرّ السادس للحرس. أشيع منذ عدة أيّـامٍ بأنّ العدوّ ينوي القيام بهجوم مضادٍّ في جزيرة «**مجنون**».

بعـد عمليـات خيبر وبـدر[1]، أجـرى العراقيّـون مجموعـة تدابيرٍ احترازيـةٍ لمنـع تقدم القـوّات الإيرانيـة، ضخّوا الماءَ مـن نهر دجلة إلـى منطقة «**هـور العظيم**»، ووضعـوا أسلاكًا شائكـةً أمام خطوطهم المتقدّمة، أسلاكاً حلقيةً ونفقيّة وعنكبوتيّة[2]، وأضافوا موانعَ وأفخاخًا انفجاريّةً وألغامًا مضادةً للأفراد.

أثنـاء عودتي من الرّصد، التقيت بـ«**علي يوسفي سوره**»، من شباب كتيبة قائم شهـر، تعطّل قاربه في الطريق المائيّ قبل وصوله إلى مقر الكتيبـة، كنت فـي السابق قـد تعرّفت عليه حيـن خضعنا معًـا لدورةٍ تخصّصيّـةٍ في المتفجّرات في ثكنة القدس في همدان، لم يكن يخطر ببالـي أن أرى عليًّـا في جرز مجنون. قـال لي «**عبد العلي حق كو**»[3]، قبل أيام، إنّ أحد شباب كتيبة قائم شهر يسأل عنك، ويحاول الوصول إليـك، كان «**علي يوسفي**» متخصّصًـا ماهرًا في التّخريب، وكان يقلّد «**كويتـي بـور**»، و«**حسين فخري**» فـي اللطم والأناشيـد بشكل مذهل، حين رآني، بدأ بالإنشاد فورًا: (ترجمة الشعر)

(1) أسماء أطلقت على عمليات عسكرية جرت أثناء الحرب المفروضة، بين عامي 1362و1363هـ.ش(1983–1984م). (مركز نون)

(2) أنـواع مختلفة مـن الأسلاك الشائكة المعقـدة التشبيك التي يصعب فكها أو قطعهـا أو النفوذ من خلالها.

(3) كان الشهيـد عبـد العلي حق كو طالبًا جامعيًّا في السنة الثالثة «**تخصُّص جغرافي**». عُثر على جثمانه بعد سنة، ودُفن في قريته «**ديل**».

يا محمّد لم تكن حاضرًا بيننا
كي ترى المدينة وقد تحرّرت
دماء أحبابك أينعت وأثمرت[1]

أوصلت «**علي يوسفي**» إلى مركز كتيبته، وذهبت إلى خندق الاستطلاع، كان بيته قد دمّر في خرّمشهر وكان والداه يعيشان في مجمع متضرّري الحرب «**أميديّه**». قال لي: عندما تحرَّرت «**خرّمشهر**» ذهبت إلى المنزل قبل الذّهاب إلى المسجد الجامع، وجدت أنَّ المحتلّين قد دفنوا في حديقة منزلنا اثنين من أبناء المدينة! كان علي ينصحني ويكرِّر: «**سيد! كما أنّنا نَتَحسَّر، ونقول: ياليتنا كنا مع الإمام الحسين عليه السلام لنقاتل معه، ونكون من أصحابه، سيقول الناس بعدنا: يا ليتنا كنّا نعيش في عصر الخمينيّ، ويا ليتنا قاتلنا معه، ونصرناه، علينا أن نقدّر هذه النّعمة، فهي ليست بالأمر العادي**». ثمّ قال لي: «**لا تندمج كثيرًا مع الرّفاق هنا، الصّداقة هنا مختلفة عن الصّداقة في المدينة، لأنَّ عمرها قصير، حين يستشهد رفاقك فإنّك ستتألّم وتحزن، بقاؤنا معًا قصيرٌ ليس في اختيارنا، بل بيد رصاص الأعداء وشظاياهم**». كان«**عليّ**» رقيقاً حسّاسًا، وكانت أمنيته بأن تخترق رصاصات العدوّ أضلاعه، وأن لا يضمّه قبر وحبُّه هذا يوصله بسيدة الأئمة عليهم السلام! كل كلماته كانت دروسًا: «**إن كان لا بدَّ لي من قبرٍ، فاكتبوا على شاهده، (لا نعرف من يرقد هنا! ضائع في بقيع إيران)**»، متحسّراً على زيارة البقيع، على والدة السادات الزهراء عليها السلام.

---

(1) لطمية مشهورة في إيران، وفيها يخاطب المنشِد الشهيد «**محمد جهان آرا**» قائد المجاهدين الذين حُوصِرُوا في «**خرّمشهر**»، ويزفّ إليه خبر تحريرها من المحتلّين.

كانت قصّة «**عهد الأخوة**» بين شباب المسجد الخمسة، في مسجد الجزائري في الأهواز، قد تركت أثرًا بليغًا في نفس علي. كنا في ثكنة القدس في همدان حين سمعنا بهم، كانوا خمسة شباب قد تآخوا فيما بينهم في المسجد، تقاسموا فيما بينهم كلّ واحد أقسم للآخرين بأن يبقوا معاً في كل الظروف، وأن يشفعوا لبعضهم يوم القيامة.

رسموا لمجموعتهم شعارًا، عبارة عن وردةٍ ذات خمس وريقات. استشهد أربعة منهم، آخر شهيد منهم كان اسمه «**بهمن درولي**»، كان قد أوصى بأن يكتب على شاهد قبره جملة واحدة:

(قشَّة حقيرة إلى الحضرة الإلهيّة المقدّسة)[1]

تركت «**عليّاً**» هناك، وتابعت المسير، ركنتُ الزّورق قرب خندق الاستطلاع، وقد التأم جمع شباب الاستطلاع. كنت جائعًا، واليوم دور «**بيران مستوفي زاده**»، هو «**رئيس البلدية**» [خدمة الطعام]، طعامي المفضّل هو الـ«**إستامبولي**»[2]، ورئيس بلديّتنا أعدّ السّمك والأرزّ. قبل الغداء أعطاني رسالة من والدي، كانت قد وصلت منذ ساعة. كان جوعي لرسالة والدي أكثر من جوعي للـ«**إستامبولي**»، تأثّرت بها كثيرًا، وانهمرت دموعي. كان أبي قد رأى مصائب كثيرة في حياته، وهو الآن قلقٌ عليّ.

كعادته، كان يخاطبني في الرّسالة بـ«**نور عيني**»، ويناديني باسمي الآخر، كتب لي: «**ولدي الحبيب أمير! بعد شهادة فلذة كبدي «السيد هداية الله»، لا يمكنني تحمّل مصيبةٍ أخرى. لي الفخر بأنّ أبنائي**

(1) يقصد اللاشيء والفناء أمام حضرة الجلال سبحانه وتعالى..

(2) طعام إيراني تقليدي مكوّن من الأرز واللحم النّاعم والتّوابل.

الخمسة من مجاهدي جبهة الدّفاع المقدّس، لكن بعد تلك الحادثة انكسر ظهري!

ولدي، نور عيني! قاتِل العدوّ البعثيّ بأفضل ما يكون القتال، ولكن انتبه لنفسك.. إن استطعت أن ترجع إلينا في آخر شهر مرداد (تموز)، فتعال كي نذهب معًا إلى القرية من أجل قطاف الرّمان».

مضت ستة أشهر على شهادة أخي، ووالدي قلقٌ على أولاده المقاتلين.. مهما كان، فله الحق بأن يقلق. ذهبت أنا و«**بيران**» إلى مثلّث المحور، كي أسلّم تقرير الرّصد إلى عزت الله ولي بور. الليلة الماضية، كتب «**بيران**» كما قال لي.. وصيته الثالثة: بعض الدُّيون لعمّه (650 تومانــاً) ، ووصيّته لزوجته بأن ترسل ولدهما الوحيد «**ياسر**» إلى الحوزة العلميّة، وطلب منها أن لا تأخذ أيَّ شيءٍ من مؤسسة الشهيد، بل أن تجري هذه المعاملة مع الله! كان إنسانًا صافيًا، ذا قلبٍ طاهرٍ وعينين صغيرتين، ولحية كثّة، وجسمٍ قويّ.

كتب لزوجته: اِهتمّي بـ «**رقية**» و«**سكينة**» كاهتمامك بـ«**ياسر**» و«**أعظم**» و«**خديجة**»، وعاملي «**رقية وسكينة**»[1] باحترامٍ أكبر ومودّةٍ أكثر من أولادنا.

حين كنت أقرأ رسالة أبي، لاحظ «**بيران**» دموعي. لم يكن يعلم ماذا في الرسالة ولكنه قال لي: إنَّه والد، وقلقٌ على ولده.

ثم تابع: ما لم تصبح أباً فلن تعرف قدر أبيك! ثمّ حاول أن يغيّر الجوّ فقال: «**سيّد! أحضر كاميرتك كي نلتقط بعض الصّور، أريد أن**

(1) رقيّة وسكينة ابنتا شقيق الشهيد الذي استشهد في «**شلمجة**» في العام 1986م.

أرسلها لزوجتي وأولادي!»

كنــت قد اشتريــت تلك الكاميــرا، «**كــودك 110**»، بعــد شهرين من التحاقــي بالجبهــة. أنــا و«**إسماعيــل برهــون**» كنــا نمتلــك كاميــرات فوتوغرافيــة، دون بقيّة شباب التّخريــب. كنّا نوصي الشباب الذّاهبين إلــى المدينــة أن يشتروا لنــا أفلامــاً ذات 24 صورة، وقــد بقيت معي حتــى أواخر أيّــام الحرب. أعطيته فيلمين مــن أصل ثلاثة كانت معي. وتجمّعنــا أنا وشباب الاستطلاع الطيبون كي ننهي بقيَّة صور الكاميرا. كلّ الشّبــاب كانــوا هناك، ما عدا «**ولــي ياري**». الــذي كان يرصد من فــوق البرج، «**حسن وكيلــي**»، «**ولي زرجام**»، «**علــي برزدرست**»، «**بيران مستوفــى زاده**»، «**عبــد العلي حقّ كــو**»، «**الله خواست بركاني**»[1]، وكان مقــرّرًا أن أذهب بعد أيّامٍ إلى «**الأهــواز**»[2]، أو إلى الحويزة[3]. وأظهّر الصّور هناك.

كان «**بهرام درود**»[4] يلتقط لنا الصور، فمازحني قائلاً:

- الكثير ممن تصوّروا معي قد استشهدوا!

كان يلمّــح إلــى أخي الشهيــد السيد «**هدايــت الله**». وَعَــدْتُ بهراماً بــأن أعطيــه نسخة مــن الصورة التــي التقطها مع أخي فــي مرتفعات

(1) تلفظ: الله خاست

(2) الأهــواز هــي عاصمة ومركــز محافظة خوزستان، تقع فــي جنوبي غربي إيران. ويختــرق المدينة نهر كارون، وهي ترتفع عن سطح البحر عشرين متراً. (مركز نون).

(3) مدينــة الحويزة تقع في محافظة خوزستــان، هي تصغير الحوزة، وأصلها من يحوز حاز حوزاً، يحدُّها مــن الشّمــال ناحية قبائل بني طــرف، وجنوباً الصّحــراء المنتهية بحدود البصــرة وخرّمشهر، ومن الغرب هور العظيم، وشرقاً حوض نهر كارون. (مركز نون).

(4) بهــرام درود من قرية «**رودبال**» وتربطنا به قرابة عائلية، استشهد في موقع«**بيت اللهي**». وجد جثمانه الطاهر بعد 12 سنة من شهادته ودفن في مسقط رأسه قرب مقام السّيّد جمال الدين.

كردستان. بعد هذا، سبحنا في مياه الجزيرة، ثمّ جلسنا على الجسر، وبلغ مزاح «**بهرام**» ذروته حين قال:

- أصبح هجوم العراقيين حتميًّا، ألا تريدون أن تعرفوا مصير كلّ واحدٍ منكم؟ أخذ بهرام ورقة، ثم قسّمها إلى أربعة أجزاء، وكتب كلمة على كلّ منها، وطلب أن يأخذ كل واحد منّا ورقته، كانت الاحتمالات: شهيد - أسير - جريح - باقٍ.

أخذ كلٌّ واحدٍ منّا ورقته، فكان «**مستوفي**» شهيدًا، و«**الله خواست**» باقيًا، و«**عبد العلي حقّ كو**» أسيرًا، وأنا جريحًا.

صحّت اثنتان من توقّعات أوراق «**بهرام**» الفلكيّة! بعد يومين من تلك اللعبة، كان اثنان من الشباب يلقيان ما سحبا من أوراق.

كان التحاقي بجمع شباب الاستطلاع نوعاً خاصاً من اللطف. فقد كانوا رفاق أخي الشهيد؛ فبعد شهادته تآخيت مع «**عزت الله ولي بور**»، قائد وحدة الاستطلاع في مقرّ «**كردوي كردستان**»، وأصرّ على انتقالي إلى وحدته، رغم معارضة جماعة «**التخريب**» في البداية، ولكنّه لم يتراجع عن طلبه حتى تحقّق.

كان غروب هذا اليوم حزيناً، تماماً مثل غروب أيام الجمعة!

قبل نصف ساعة من الغروب، بدأت قوات المدفعيّة الثّقيلة بصبّ حِمم نيرانها على مواقع العدوّ، للمرة الثانية بعد قصف يوم الأمس بعد الظهر.

إنّها الساعة التاسعة ليلاً، الجزيرة هادئة يلفّها السكون. جلسنا نتسامر أنا و«**ولي زرجام**»، و«**حسن وكيلي**»، و«**أصغر دلروز**»[1]، خارج

(1) استشهد في اليوم التالي لسهرتنا هذه!

الخنـدق فوق الجسر العائـم. كالعادة انتهى بنا المطـاف بالمزاح. لا أعلـم كيف انتقل بنا الحديث إلى الشباب الأيتام في الجبهة من الذين فقـدوا أمهاتهم! من بيـن الأربعة كنا أنا و«**أصغر**» و«**ولـي**» بلا أمّهات. توفيت والدتي وأنا في سن التّاسعة. قال «**ولي**»:

- سيّد! هل تعـرف بأنّ مصيبتنا،- أنا وأنـت وأصغر-، أسهل بكثير، وبدون «**وجع رأس**»؟!
- كيف تكون بلا «**وجع رأس**»؟!
- ليس معروفاً ما سيحصل لنا في الحـرب، عدم وجود الأمّ في هذه الحـالات نعمـة! إذا استشهدنا يكـون بالنا مرتاحًـا، ولا نقلق على حـزن الأمّ، وحرقتهـا. ليـت كلّ الشهداء بلا أمّهـات، فلا شيء في الدنيا أصعب من مصيبة الأمّ بولدها!

تذكّـرت عندهـا كلام الشهيد«**باقـر جاكيـان**»، والـذي كان طالبًا للعلوم الدّينيّة، حين قال: لديّ صديقٌ فقد أمَّه وأباه في سنوات طفولته الأولـى، وكان يقول لي: ليس لي أمٌّ تبكي عليَّ عند شهادتي.. لم أعرف حنـان الأمّ، ولكنّـي أرغب أن تبكي عليّ حيـن أستشهد! إذا استشهدتُ خذوا نصـفَ قالبِ ثلجٍ وضعوه على قبري، حيـن يذوب سأشعر بدموع أبـي وأمي، ما أريده ليس طلبًا صعبًـا[1]. كنا نتابع الحديث حين نادانا «**عبد العلي حق كو**» قائلاً:

تجمّعوا! «**ولي بور**» يطلبكم إلى موقع (دشمة) القيادة!

كان «**عـزت الله ولـي بـور**» قـد عاد من اجتمـاع المسؤوليـن في مقرّ

(1) اسمـه «**عبـد الله آسمـار**». استشهد في عمليّات «**والفجر 8**» في الفـاو. يقول الشهيد باقر جاكيان: بعد شهادته وقبل أن يوضع شاهد القبر، أخذت نصف قالب ثلج ووضعته فوق قبره.

«**خاتم3**». تحدّث عن وضع العدوّ، والحشود، الجديدة في المنطقة، وقال: وفق المعلومات الواردة إلينا، فإنَّ العدوّ يستعدّ لشنّ هجومٍ على الجزيرة.

نقل لنا بعض المعلومات عن لسان العقيد العراقي «**محمد الفاتح**»، قائد لواء المشاة 429 الذي أُسِر قبل أيام في «**شلمجة**». فهمنا من كلامه، أنّ يومَ الغد سيشهد معركة غير متكافئة بيننا وبين العدوّ.

أعلمنا «**ولي بور**» عن القوات العراقيّة التي نقلت إلى خطّ التّماس منذ أيام: «**اللواء 601 مشاة**» من الفيلق الثالث، «**الفرقة 25**» من الفيلق الثالث، كتيبتان من «**الفرقة 16**»، قوات لواء كوماندوس القادسية، وكتيبتان من القوّات الخاصّة في الحرس الجمهوريّ.. وكلّهم جاؤوا إلى جزيرة «**مجنون**».

قال «**ولي بور**»: في هذه اللحظات، وأنا أتكلّم معكم، تقوم هذه الوحدات بتفريغ حمولتها، والتّموضع في مواقع «**البيضة**»، و«**الصخرة**»، و«**الهدامة**»، والطرق المؤدّيّة إلى الجزر، و«**قناة صويب**».

اليوم، شاهدتُ بنفسي، ومن فوق برج المراقبة، تحرّكات العدوّ، وعبور قواته. كان الخطّ مزدحمًا جدًّا؛ فالتقرير الذي رفعته، وما قد أخبرنا عنه، كان يشير إلى احتمال هجوم كبير.

بعد فتح «**الفاو**» و«**شلمجة**»، قال «**محسن رضائي**»[1] لـ«**حيدر بور**» قائد لوائنا: الخطوة التّالية للعراقيّين ستكون نحو الجزيرة، انتبهوا جيّداً، هنا آخر الخطّ! سمعت كلام السّيّد محسن من «**ولي بور**». كانت دراسة المعطيات العسكريّة توصلنا إلى استنتاج أنه: بما أنَّ درجة الحرارة فوق الـ 50 فإنّ العدو لن يقوم بأيّ هجوم، لأنّ الحرارة

(1) قائد الحرس الثوري خلال الحرب المفروضة.

المرتفعة تؤثّر على تجهيزاتـه، المدافع البعيدة المدى لا تتحمّل هكذا حرارة، فالقصف المدفعيّ الزائد يؤدّي إلى إعطاب «**سبطاناته**»[1].

كان طقس اليـوم بعـد الظهر أفضـلَ، مقارنـةً بالأيّـام الماضية، انخفضـت الحرارة بضعَ درجات. لـم تكن عند العدو مشكلة في العمل مـن الغـروب إلى مطلـع الفجر، كانـت مشكلته فـي النّهـار والحرارة المرتفعـة. كان العدوّ قد نظّم أهدافـه، وثبّت مواقع رماياته من خلال إطـلاق القذائـف الفوسفوريّـة، والدّخانية، على طرقـات «**الخندق**»، وخطـوط الدّعم والإسناد الخلفيّة، كطرقات «**سيّد الشهداء**»، و«**بدر**»، و«**قمـر بني هاشـم**»، و«**صاحب الزمـان**»، و«**الشهيد همّـت**»، والطريق المفتوحة حديثًا المعروفة باسم «**شفيع زاده**»..

وفق معلومات شبـاب الاستطلاع، فإنَّ الجيش العراقي قد جهّز في الخط الثاني، مقابل جزيرة مجنون فقط، 130 راجمة كاتيوشا!

بعـد التوجيه والاستشـارة ومناقشة الوضع، عيّن «**ولـي بور**» شباب الاستطلاع كأدلّاء للكتائب.

«**ولـي زرجـام**»، و«**نعمت الله بايـدار**»[2]، و«**ولي ياري خـواه**»، و«**الله خواسـت بركاني**»، و«**علي برز درسـت**»، و«**آيت الله بـرور**»[3]، و«**ترابعلي توكل بور**» لكتائب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام علي عليه السلام.

وعيّن «**بيران**» لقوات القاسم بن الحسن عليهما السلام.

«**حسن وكيلي**» رابط الاستطلاع، وعامل الإشارة، بالمحور. بقي «**عبد**

(1) اسطوانات المدافع.

(2) بايدار: تلفظ: Paidar.

(3) برور: تلفظ: Parvar. ياري خواه، تُلفظ: ياري خاه.

العلي حق كو» فقط من شباب الاستطلاع كمنسّق الأعمال في الخندق.

هــذه الليلة طلــب شباب الاستطلاع المسامحة مــن بعضهم بعضًا، وتفرّقوا كلٌّ إلى القوّة التي ينبغي عليه العمل معها كدليل. أردف «**حسن وكيلي**» «**بيران**» خلفه على الدراجة النّاريّة إلى موقع «**الخندق**»[1]. كان بيــران يردّد دائمًــا: «**حسن**» رجلُ جميــع المهمــات الصّعبة في وحدة الاستطلاع.

أعطاني «**بيران**»، قبل أن يرحل، كلّ وثائقه وكتاباته كي أحفظها له.

كانت ليلــة قاسيةً ومرّةً. حيــن ودّعني، عانقني بشــدّة، وقال:حين أعــود هذه المرّة سنذهب معًا إلى «**تنك سبو**»، وعدني السّيّد «**هدايت**» بزيارتنا، ولكنّه لم يفعل!

التحق كلٌّ منّا بكتيبته. و.... تفرّق جمع شباب الاستطلاع إلى الأبد!

صَدَقَ «**علي يوسف بور**» حين قال: إنّ عمرَ صداقات الجبهة قصيرٌ.

كنــت أحسب أنّني سأبقى لسنواتٍ طوالٍ بالقرب من شباب الاستطلاع فــي هذا الخندق. تعــوّدت على: حنان «**بيــران مستوفــي زاده**»، وخجل «**الله خواست بركاني**»، وقلّة كلام «**عبد العلي حقّ كو**»[2]، وكثرة حركة «**حســن وكيلي**»، ومزاح «**ولي زرجــام**»، وجدّية «**علي برزدرست**»، وحلم «**آيت الله برور**»، والبسمة الدّائمة على محيّا «**عزت الله ولي بور**».

تحــوّل مسير المعركة ومصيرها في هذا الشهر بشكل مُذهل. حين

(1) تتوزع على أطراف الطريق المستحدثة، المسماة «**جادة الخندق**»، مجموعة مواقع وتحصينات ضخمة يتّسع كل منها لعشــرات العناصر،ولكميات من العتاد، والأسلحة المتوسطــة، والثقيلة، والذخائر، سيرد الحديث عنهــا خلال الفصول اللاحقة. يراجــع أيضًا خريطة «**جــادة الخندق**» في ملحق الوثائــق والصور..(مركز نون) .

(2) حق كو: تلفظ: Haq Ghoo.

ذهب الشباب، انقبض قلبـي، وشعرتُ بأنّي لن أرى أغلبهم بعد اليوم. طلب منّي «**اللّه خواست**» أن أسامحه على ما فعله أمس الأول؛ حين كنا نسبّح معًا، أمسك برأسي ممازحًا، ودفع به تحت الماء حتى كدت أختنق. قال لي: إنّ عنصر الاستطلاع ينبغي أن يتمكّن من البقاء تحت الماء لمدة دقيقة وثلاثين ثانية، وقد أخفقت أنا في الثواني الأخيرة! في ذلك اليوم، انزعجت منه قليلاً، ولكنّ محبّتي له لم تنقص أبدًا. حين ذهب الشباب، لم يبق إلّا أنا، و«**عبد العلي حقّ كو**».

كان «**ولي بور**» مطّلعًا على هوايتي، وتعلّقي بالرّصد، والمنظار، والبرج. كنت «**عاشقًا**» للبرج والرصد ومنظار الـ«120×20».

كنت أمازح «**ولي بور**» قائلاً: إن «**طبخوني**»[1] على البرج، فإني لن أشبع منه!

تشعرُ فوق البرج بأنّك أطول من الجميع، وأكثر ارتفاعًا وعلوًّا، وبخاصّة لدينا نحن ذوي الطموحات الكبرى، كنّا نحلّق بعيدًا، وكنا نحاول دومًا أن نثبت أنفسنا في الحرب.

كنتُ منجذبًا إلى التحليق عالياً، فوق البرج تَرى ولا تُرى، تُعطي «**الإحداثيات**» للإسناد الناري؛ كي يصحّحوا إحداثيات الرّمي على مواقع الدبابات، ومنصّات المدافع التي تقصفنا. العدو يحاول التركيز عليك، ورميك بقذائفه، منظر الخنادق والطّرقات والسّيّارات و...

إنّها الساعة العاشرة والنصف مساءً.

امتثالاً لأمر «**ولي بور**» يجب أن اذهب إلى برج المراقبة. أوصلني «**اللّه خواست**» إلى البرج على الدّرّاجة النّاريّة. منذ عدّة أيام كنّا

---

(1) يقصد: إن اشتعل البرج وصهروني فوقه.

قدذهبنـا معًا لرصد نقاط استقـرار الدبابات، خلف قناة «**الصويب**»، مقابل جزر مجنون الشمالية،وإعداد تقرير عنها.

«**اللّه خواست**» كتلةٌ من النّشاط والمثابرة.

كان يقـول لـي، ونحن فـوق البـرج: سيّـد نحن لسنـا هنـا لرَصَد واستطلاع الجزيرة، أو لقسـم من خوزستان فقط، نحن نرصد دفاعاً عـن 35 مليون إيراني. عندما كان يرى خطوط العدو عبر المنظار قال لـي: «**هل أمعنت النّظر، حتى الآن، فـي شكل نهرَي دجلة والفرات؟!**» ويتابع: «**هناك يتقاطع دجلة مع الفرات ليشكلا مجرى (اروند)، ثمّ يصّبـان في الخليج الفارسيّ، إنّ هذا الفرات هو دموع تلتقي بدجلة! إنّهـا دمـوع الخجل والحياء مـن الإمام الحسيـن عليه السلام، دمع الفرات يتضاعف في دجلة أضعافًا!**»

كان إنسانًامن ذوي القلوب الصّافية.

ودعت «**اللّه خواست**» قرب البرج، وحين افترقنا مازحته قائلاً:

«**اللّه خواست**»! لن أنسى بأنّنا استطلاع لـ 35 مليون إيراني.

كان علـيّ أن أدوّن مشاهداتـي عبر المنظار الليلي فـي تقارير إلى «**ولـي بـور**». المسافة بين البرج وخطّ التماس مع العدو 4كلم، وتشاهد من البرج مناطق «**البيضة والصخرة والحالة وهمايون والكرام**».

كنـت أصعـد السلّم المعدنـيّ للبرج، حيـن هتف «**خسـرو مرتب**»، مسـؤول مدفعية اللواء من فـوق البرج؛ بقيتّ بضـعُ درجات لأصل إلى غرفة الرّصد الصغيرة، أطلّ برأسه وقال:

- من أنت؟
- أنا «**حسيني بور**»، أرسلني «**ولي بور**» إلى هنا!

كنت أعرفه، فلطالما رأيته في «**كردستان**».. هو من «**بهبهان**»، من القادة الشجعان في الحرب. لم يكن يعرفني. كان صديقاً لأخي الشهيد. بعد نصف ساعة من لقائنا كان جليد الغربة قد ذاب بيننا.

كان إنسانًا بسيطًا بلا تكلّف. تناولنا العشاء معًا، خبز، وجبنٌ وبندورة. الليل هادئ وساكن، لا يقطع صمته سوى أصواتِ الضّفادع والزيزان، بين حقول قصب الجزيرة. كانت عيوني مركّزة على المنظار ترصد أوضاع خط التماس، حين سألته عن الهجوم العراقي المرتقب، قال: «**بعد ساعات ينكسر هذا السّكون**».

كان لديه معلومات لا أعرفها، مع علمي بأنّ العدوّ يستعدّ للهجوم إلا أنّ كلمته، و«**الآه الباردة**» التي أطلقها من صميم قلبه، أفهمتاني أشياء وأشياء.

صلّينا في غرفة الرصد فوق البرج. تمنيت في قلبي لو يطول البرج ويرتفع أضعافًا؛ كي أرى بشكل دقيق ما يجري بعيدًا على الجادة الاستراتيجيَّة «**للعمارة - البصرة**» و«**هور الشيطان**».

أُعطيَ الأمر بالتأهّب لجميع الوحدات، والكتائب، المستقرّة (المتموضعة) في جادة الخندق[1]. حقول القصب التي كانت تتماوج تحت ضوء القمر. كانت الشاهدة على أصوات مناجاة وأدعية لشبابٍ سيلتحقون بعد ساعات قليلة بالفيض الإلهي. كل ما كنت أراقبه في المنظار، من آليات، ومدرّعات، وحاملات دبابات، وزوارق، وتجهيزات ثقيلة في المنطقة الممتدّة من «**الهدامة**» إلى موقع «**الروطة**» و«**الحالة**» -، كان يدلّ على اقتراب معركة طاحنة وغير متكافئة.

(1) طريق مستحدثة بعرض 8 أمتار وارتفاع مترين وطولها 13 كلم تحيط بها مستنقعات المياه يقع عند نهايتها موقع الخندق وتقع فيها مجموعة مواقع ومقرات عسكرية (تراجع الخريطة في ملاحق الكتاب).

السبت 25 حزيران 1988م - جزيرة «مجنون» - جادة «الخندق»

مضى أكثر من نصف الليل، كنتُ منهكًا أكثر من العادة، وقد هدّني السّهر، وأحنّ إلى نومةٍ طويلة مريحة. خلف المنظار، كنت أجاهد جفوني ورموشي. كنت أرسل تفاصيل الوضع لحظةً بلحظة عبر جهاز اللاسلكي. فجأة، وفي الساعة الثالثة والربع فجراً، أضاءت نارٌ وانفجارات سماء الجزيرة، وغدا الليل نهارًا، بدأ الهجوم المدفعيّ، أنواع المدافع، وراجمات الكاتيوشا، والـ 107، والمدفعيّة البعيدة المدى كانت تسقط كالمطر الرّبيعيّ على الجزيرتين الشمالية والجنوبية وعلى مواقع «**الخندق**».

كان «**خسرو**» يعطي، وبشكل متواصل، إحداثيّات العدوّ لشبابه في المدفعيّة، فيرمون مصادر النيران، يصحّح لهم إحداثيات الأهداف، فيعيدون الرّمي بدقّة أكبر. توزّع الرَّدّ المدفعيّ على الخطّ الأول والثاني للعدو، وكان دقيقًا حيث عطل لساعات حركة العدوّ، وأصاب حاملات قوارب، وكذلك خزّانات محروقات في «**الصخرة**»، و«**سيل بند**»، وعلى الرغم من قلة عدد الصواريخ وقذائف المدفعية،- حيث كان لها نظام توزيع يومي محدود-، فإنّ شباب المدفعية قاموا بعملٍ مهمّ وكبير.

لم يكن هناك مجالاً للمقارنة بين إمكاناتنا وإمكانات العدو من حيث السلاح والذخيرة والتجهيزات، فنحن معرّضون للعقوبات والحصار، وأظنّ أنّ العدوّ كان يرمي في الدقيقة الواحدة حوالى1000 قذيفة فوق رؤوس شبابنا في نقاط الجزر المختلفة.

عند الساعة الرابعة والنصف فجراً، تقدّمت القوارب العراقيّة نحو جادة «**الخندق**». كانت أعنف حملات القصف تصّب حممها على

موقع «**الخندق**» وحصنه؛ أي: مكان وجود سريَّة «**القاسم بن الحسن**»، وهي إحدى سرايا كتيبة الرسول ﷺ الثلاث. أكثر عناصرها كانوا من متفرّغي الحرس الثّوري.

حوالي الساعة الخامسة، كان علينا مغادرة البرج والتوجّه نحو مثلث المحور، حاول العراقيّون رمي برج المراقبة.

كان حجم النيران والقصف الذي تعرّض له البرج كبيرًا جدًّا، لدرجة أن الأسلاك التي كانت تُثبّت البرج قد انقطعت بسبب الانفجارات المتتالية، كما تهاوت إحدى دعائمه، فبقي مرتكزًا على ثلاث دعائم فحسب.

في الدقائق التي خمدت فيها النيران، استطعنا النزول أسفل البرج، وكنت ما أزال أفكر بالمنظار العسكري (20×120)، فإذا تهاوى البرج فسوف يسقط في المياه، وكنت على استعداد لأن أسقط أنا من أعلى البرج إلى مياه الجزيرة، ولا يصيب المنظار أيّ مكروه. ما إن وصلتُ أسفل السُّلّم الحديديّ حتى قلتُ: «**ماذا عن المنظار يا سيد مرتب**»!؟ «**إذا سقط هنا فسوف يقع بأيدي العراقيين!**»

- سنرسل اثنين أو ثلاثة من الأخوة لإنزالها.
- ماذا لو لم يأت الأخوة؟
- لا حاجة للتفكير في ذلك وسط هذه المعمعة، لدينا أعمال أهم بكثير من التفكير به. هيا اذهب إلى «**ولي بور**» فلربما احتاجك في أمر، فقد انتهت مهمتك معي.

أصبحت سيَّارة «**خسرو مرتب**» الـ«**تويوتا لاند كروز**»، كالمصفاة بسبب الانفجارات المتتالية، ولم يبق منها أيّ جزءٍ سالم، فقد تحطّم

زجاجها، وثُقب إطارها. قمنا بتبديل الإطار وسرنا، وفي الطريق حملنا معنا عدداً آخر من الإخوة.

شاهدنا شهداء وجرحى على جانب الطريق، قال«**خسرو**»: الآن لا شأن لكم بالشهداء، أحضروا الجرحى بسرعة.

كانت الدماء تسيل غزيرة على أرضية السيارة، والقذائف تنهمر كالمطر، لم أشهد قصفاً عنيفاً كهذا طول المدة التي خدمتها في الجبهة، لمحت «**نعمت الله بايدار**» في الطريق ينقل عددًا من الشهداء والجرحى إلى الخلف.

إنها السادسة صباحًا، بدأ العدو هجومه من عدّة محاور، من الشمال والوسط والجنوب، ركز العدوّ قصفه على تحصينات «**موقع الخندق**»[1].

تحرّكت قوات الحرس الجمهوري العراقي من المحور الجنوبي نحو «**نشوه**» وقناة «**صويب**» لقطع جادة «**سيّد الشهداء**»، والقوات الأخرى في الشمال لاحتلال جادة «**حنظلة**» ومستديرة «**الإمام الرضا** عليه السلام»، ليصلوا إلى منطقة عمليات «**ترابه**» و«**أبو ذكر**» و«**أبو ليله**» في مكان تموضع لواء «**الحجّة 51**».

كذلك فإنّ «**الفيلق 25**» العراقي حاول التقدّم من جهة «**شط عليّ**»، والفيلق السادس للمدرّعات، والخامس للهندسة، ولواء الحرس الجمهوري نحو «**الطلائية**» و«**ثكنة زيد**».

فارقتُ «**خسرو مرتب**» هنا. كان مثلث المحور مزدحماً.

---

(1) للاطلاع على المواقع المذكورة، تراجع الخريطة في ملحق الكتاب.

كان «**جـواد عظيمـي فـر**»[1] و«**عوض شهابـي فر**» يقومـان بتوجيه وتنظيـم القـادة والقـوات. كان عمـل «**عظيمي فـر**» أصعـب من باقي القـادة، كان قائدًا فعّـالاً وذكيًّا. فقد القدرة على الـكلام في عمليات بيـت المقدس، فكان يتابـع قيادته عبر القلم والورقـة! يكتب ما يريد، وينقـل عامل الإشارة أوامره لقادة الكتائب والوحدات. سلاحه الأصلي القلم والورقة، وكان بحوزته دائماً عددٌ وافرٌ منها.

كان «**عـزت اللّه ولـي بور**» في مثلث المحور، ولـم يكن معه أحدٌ من شباب الاستطلاع.

كانـت إحدى فصائل كتيبة الشهداء (الخاصة) تتجهّز للدخول إلى مواقـع «**الخنـدق**»، وكان «**ولي بـور**» متردّدًا فـي إرسالي معهم كدليل، كنت أعرف سبب تردّده، فأخي قد استشهد قبل ثمانية أشهر، ويخاف عليّ بأن استشهد الآن.

كنـت أقرأ ملامح وجهـه، حيث راح يفتّش عـن شخص آخر غيري يمكنه إرساله.

سعـى «**اللّه خواسـت بـركاني**»، الـذي كانت تجمعـه صداقة حميمة بأخـي، إلى إقناع «**ولي بور**» بعدم إرسالي إلى هكذا مهمة. كنت أرغب بالتقدّم مع الشباب إلى خطّ النار. كيف يمكن أن أبقى هنا في ظل هذه الأوضـاع الصعبة؟ انتظـرت أن يطلب «**ولي بور**» منـي الالتحاق بتلك الكتيبة، ولمّا رأيت أنّه لم يكلّفني بشيء نفدَ صبري، فقلت له:

---

(1) كان «**جـواد عظيمـي فـر**»، في وقت سابق قائد كتيبـة المدرعات في عمليات بيـت المقدس، على برج الدبابة حين أصيبت بصاروخ ضد الدروع «**ماليوتكا**»، فأصيب بحالة صدمة عصبية، فَقَدَ معها القدرة علـى الـكلام. في العام 1994، تشـرّفَ بحجّ بيت اللّه الحرام حيث عادت له القـدرة على الكلام بشكل طبيعي بعد 12 عامًا من الإصابة. حاليًّا هو من قادة قوات المشاة في الحرس الثوري.

- حاج! أرسلني معهم إلى الأمام؟
- أنت، لا!
- لِمَ لا؟ أنا أعلم لماذا لا تريد إرسالي!
- ابقَ هنا، لديّ عمل آخر لك.
- أنت قائدي، كلّ ما تقوله سمعاً وطاعةً، ولكن الآن ليس الوقت المناسب؛ كي لا تستفيد من طاقتي بسبب شهادة أخي «**هدايت**»، فهو لا يرضى بعملك هذا!

استطعتُ بإصراري الشّديد إقناعه بأن يرسلني كـ«**دليل**» لشباب «**الكتيبة الخاصّة**». قبل أيام، حين كنّا معًا في برج المراقبة، قال لي «**ولي بور**»: لقد استشهد «**سيد هدايت الله**» في هذه الوحدة، إذا استشهدت أنت أيضًا بعد عدّة شهور، ألن يقول والدك: ما هذا القائد «**ولي بور**»؛ لقد أرسل اثنين من أولادي في غرفة الاستطلاع إلى الموت خلال بضعة أشهر؟! يا له من عديم الإحساس؟!

قبل أن تشرق الشمس، أدّى الشّباب صلاتهم في مثلث المحور، كانت الصلاة الأخيرة للكثير منهم.

بعد الساعة السادسة، سِرتُ مع شباب كتيبة الشهداء الخاصّة نحو مستديرة «**تشراغتشي**»[1]. من بين شباب الكتيبة كنت أعرف: «**علي محمد كردلو**»، و«**أصغر علي كردلو**»، و«**محمد حسين حق جو**»، و«**سالار شفيعي نجاد**»، و«**السيد غلام زاده**»، و«**السيد محمد علي**

(1) مستديرة في وسط جادة الخندق، فيها ساتر ترابي من جهة منطقة «**شط علي**» المائية. استشهد هناك السيد «**رضا تشراغتشي**»معاون قائد فيلق21 الإمام الرضا عليه السلام ولهذا أطلق شباب خرسان على هذه المستديرة اسم الشهيد تشراغتشي.

غلامي»، و«**السيد رحمت الله اشكوه**»، و«**عبد الرضا دير باز**».

دفعتنا غزارة النيران إلى أن نتقوقع على بعضنا، ونضع أيدينا خلف رؤوسنا، وننحني للأسفل؛ كي لا نعرف ما يحدث حولنا بخاصّةٍ إذا ما سقطت قذيفة وسط الشاحنة التي كانت تقلّنا!

ترجّلنا عند مستديرة «**تشراغتشي**»، إذ لم يعد بالإمكان عبور الآليّات بعد تلك النقطة، علقنا وسط نيران العدوّ، فلكي نصل إلى موقع «**الخندق**»؛ ينبغي العبور من موقع «**تشراغتشي**»، ثم موقع «**أردني**»، فموقع «**سيد الشهداء**»، وأخيراً موقع «**بيت اللهي**»، وكان «**ولي بور**» قد قال لنا ما ينبغي أن نفعل.

يجب إرسال عددٍ من الشّباب إلى موقع«**الخندق**»، لدعم وإسناد شباب سريَّة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وكذلك علينا أن ننشر مجموعات على طول الجادّة لتغطيتها.

كان شبابُ موقع الخندق محاصرين من قبل العدو، ووضعهم صعب جدّاً. توزّع الشباب إلى مجموعات صغيرة تبعد الواحدة عن الأخرى حوالي300 إلى 400 م كي يتمكّنوا من تغطية الجادة بأكملها.

استقرّ (تموضعَ) شباب سريَّة الإمام السجاد عليه السلام، من كتيبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، في مستديرة «**تشراغتشي**»، وكان علينا نحن التقدّم للأمام. خلال هذه الدقائق المعدودة التي كان يجري فيها توجيه العناصر، قام عدد من الشباب بتمزيق الصّناديق الكرتونيّة لعلب التّمر القديمة، وكتبوا عليها عدة أسطر، كانت هذه وصاياهم التي أعطوها لشباب نقطة «**تشراغتشي**». أمامنا مسافة تصل لألفي متر ينبغي اجتيازها، للوصول إلى موقع «**الخندق**» الواقع في الطريق الآخر

مـن الجادة والمواجه للمواقع العراقية تمامـاً. قنص العدو ورشاشاته المتوسّطة مركّزان على الجادّة، ونكاد نختنق من شدّة الدّخان، والغبار، ورائحة البارود. لم يكـن العراقيّون يجرؤون على دخول الجادة، فلهذا لـم يتركوا شبـرًا إلا وأمطروه بوابل رصاصهـم وقذائفهم. كان شباب كتيبة الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم منزعجين، فقد وصلتهم أخبـارٌ عن جرح قائدهم السيد «**شكر الله واهبي زاده**» في موقع «**بيت اللهي**»، والبعض قال باكياً «**قـد استشهد**». «**واهبي زاده**» قائد شجاع، ومحبوب، ومع أني لم أعمل معه إلا أنّه كان من الذين أعرفهم وأحبّهم كثيرًا.

كـي نتقدّم للأمـام، كان علينا العبـور من مجرى قناة الجـادّة، وهو قليـل العمق. استشهد عددٌ من شبابنا خلال المسير. كلّ من تقدّم 100م من «**تشراغتشـي**» استشهد، وبقي جثمانه هنـاك. أثناء خطواتنا الأولى للتحـرّك، سقطت قذيفة داخل القناة، فاستشهـد ثلاثة أو أربعة شباب، منهـم «**خـدا داد شرافتي**» و«**نـادر رجبـي**»، فقد اخترقـت شظيّة أحشاء «**نـادر**»، وخرجـت أحشـاؤه من بطنـه، صـوت أنينه الحزيـن قطّع نياط قلوبنا، ودماؤه لوّنت التراب من حوله، انحنى «**هدايت الله ركني**»[1]، وقبّل جبهة الشهيد، سحبه إلى ناحية أكثر عمقاً في القناة، ومدّده إلى جانبها، كان «**نادر**» يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويقول بصوت خافت: «**لا تفرّقوا بيني وبيـن بندقيّتي**». كان «**هدايت الله**» يقـوم بتنظيم صفوف الشباب طوال المسيـر. لم تترك نيـران العدو لنا مجالاً للحركـة. الشيء الوحيد الذي رأيناه يتحرّك على الجادة درّاجة ناريّة عبرت بالقرب منّا بسرعة. التفتُّ

---

(1) الشهيد «**هدايت الله ركني**» قائد «**كتيبة هاني**» في «**لواء46 الهادي**»، في العام 1986م عُثر على جثمانه بعـد عشـرة أعوام من شهادته. ولد ابنه الوحيد «**مهدي**» بعد خمسـة أشهر من شهادته، توفّيت زوجته أيضًا بعد سنوات من شهادته بشكل مؤثّر عن عمر ثلاثة وثلاثين عامًا.

فعرفت سائقها: إنه «**واهبي زاده**» قائد «**كتيبة الرسول ﷺ**».

كانــت بدلته دامية، فرحتُ كثيرًا لأنّه كان لا زال حيّاً، وتصوّرتُ كم ستكون فرحة شبابه التعبويين الذين كانوا يبكون عليه منذ قليل. وصلنا إلى موقع «**أردني**»، وهو الموقع الأول بعد مستديرة «**تشراغتشي**».

كانــت الساعــة قــد قاربت الثامنــة والنصــف صباحًا. لقــد توقّفَ تقــدُّم العراقيين من الجهة اليمنى للجادّة، والسبب في ذلك مضادّات الرّباعي الرّشاشة، التي غطّـت الجهة اليمنى بنيرانها من موقع «**بيت اللهـي**». كان «**محمـد أفشين**» قد طلب من «**علـي لشكري زاده**»، رامي المضــاد الرباعي، أن ينزل زاويــة الرَّمي لتصبــح مباشرة نحو «**شط علـي**»، وثكنــة «**خاكسـار**»، فيغطّي جهتنــا اليمنى، ويمنع تقــدّم زوارق العدو.

كان «**أفشيـن**» يعرف أنّ أخاه «**جمـال**» في ثكنة «**خاكسار**»، ولكنّه لا يعــرف إذا كان حيًّــا أو أسيرًا بيد العراقيين فــي الثكنة التي احتلوها، أطلقت النيران من الثكنة نحو موقع «**بيت اللهي**»، لم يكن همّ «**أفشين**» مــا حلَّ بأخيــه بقدر ما كان القائــد الشجاع صامــدًا، محاربًا، محاولاً إبادة العدو ومنع تقدّمه.

فــي اللحظــات الأخيــرة، التحــق بنــا بعضــ الشبــاب، قالــوا إنَّنا محاصــرون من الخلــف، وإنَّ هنــاك شاحنــة «**لاندكروز**» قــد أُحرَقت بسائقها وذخائرها. احتل العراقيّــون «**تشراغتشي**»، وعليه، فلا قوّات دعــم يمكنها الوصول إلينا، ولا ذخائر. وحدة التسليح كانت قد وضعت بعضــ القطع الخفيفة والمتوسطة (كلاشنكوف، غرينوف، آر بي جي) فــي أماكن متفرّقة؛ في بعض الخنادق كتدبير احترازي لهكذا أوضاع.

حاول العراقيون أن يتسلّلوا باتجاهنا من جهتين داخل حقول القصب، كانت الاشتباكات عنيفة جدًّا. في بعض النّقاط جرت وجهًا لوجه ومقاتل لمقاتل. لم نكن نعلم من أين تأتي النيران والرصاص من داخل القصب. أكثر الشّباب أصيبوا من الخلف.

دخل العراقيون من النقاط التي يقلّ وجودنا فيها، من محور «**شط علي**» إلى القناة من الجهة اليسرى للجادة، كانوا يطلقون النار على شبابنا، ثم يعودون إلى داخل زوارقهم. قرّر عدد من الشباب العودة نحو «**تشراغتشي**» لفك الحصار عنا، لكن «**هدايت الله ركني**» منعهم، وقال لـ«**نعمت الله دشتبان**» الذي كان أمامه: «**علينا أن نواجه العدو من الأمام كي لا يصل للجادّة، أما (تشراغتشي) فيحرّرها شباب كتيبة الرسول ﷺ**».

تمّ التوافق أن لا شأن لنا بما يجري خلفنا، كنتُ واثقاً بأنَّ شباب «**كتيبة الإمام علي**»، بقيادة «**علي مردان روستاد**»، لن يسمحوا بأنّ نبقى محاصرين. جادة الخندق نفسها صارت خط التماس الأول، والخندق الأول. وكلّ الجهات صارت منطلقًا لرصاص العدو يميناً ويساراً، أمامنا وخلفنا.

كان العدو قد خبأ قواربه داخل الطُرق المائية وحقول القصب منذ الليلة الماضية. وعمل جنوده على رصد الطريق؛ حيث لا وجود لقواتنا، فكانوا يقتحمون ويسيطرون.

اقتحم اثنان من رماة «**الآربي جي**»، وهما «**رضا خشنود**» و«**نعمت الله دشتبان**» حقول القصب لاصطياد قوارب العدو، أطلقا قذائفهما، وأصابا اثنين من قواربه، وردّاً على ذلك قام العدو بصبّ حمم نيرانه عليهما،

فالتحقا بركب الشهداء، كان جثمان «**رضا**» قد تشوّه بشكلٍ رهيبٍ.

وصـل «**صفـر علـي الكامـة**» بقاربه إلى الجـادة. أحضر لنـا كمّيّة ذخائـر، وقام «**عبد الرحمـن برهمن**»، و«**جعفر خشتيـان**»، و«**هومان عباسيـان**»، بنقلها تحت وابل الرصاص والقذائـف الصاروخية، طلب مـن الشبـاب أن يضعوا بعض جثامين الشّهداء فـي القارب كي ينقلها إلـى الخطوط الخلفيّة، كان ماهرًا في رمـي الآربي جي، استشهد وهو يرمي أحد قوارب العدو بقذيفة من موقع «**بشتي**»[1].

استطـاع شبـاب كتيبـة الإمـام علـي عليه السلام أن يحـرِّروا منطقـة «**تشراغتشـي**» بعـد معركـة قاسيـة وصعبـة، قـام فيها قائـد الكتيبة بالاستعانة بسرايا: «**سلمان**»، و«**أبي ذر**»، و«**مالك الأشتر**»، وقد تمكّنت هذه السَّرايـا من مواجهة كتيبتين من قـوات مغاوير عراقيّة وطردتها من «**تشراغتشي**».

تكبَّـد العدو خسائر كبيرة جدّاً في معركـة استعادة «**تشراغتشي**»، حيث شهـد هذا الفصل من ملحمـة «**الخندق**» شهـادة السيد «**بهمن خشـاوة**»[2] قائـد فصيلـة «**سلمـان**»، و«**سليمـان دانشي**» الـذي أُصيبَ جَسـدُه بأكثر من 15 طلقة، وسقط داخل القناة. وكذلك اثنان أو ثلاثة من القادة، منهم «**جان طلا**».

كان اللافـت في هذه المعركة أنَّ أغلـب قتلى العراقيين قد سقطوا

(1) بشتي: تلفظ: Poushteh.

(2) الشهيد السيد «**بهمن خشاوة**» صاحب قلب كبير، شجاع، صريح وذو استعداد لافت، كان يقول لرفاقه: عندمـا استشهد تكون الحـرب قد انتهت، تزوّج في شباط 88، لديه ولـد واحد (يوسف) أبصر النور بعد شهادة والده بـ 4 أشهر. ما زلت أتذكّر كلماته التي حفظتها وأرددها دائمًا: «**إخوتي، عندما يفتقد الإخلاص يقع الاختلاف، أعزائي، لا تحدّثوا كذبًا ولو مزاحًا!**».

بقذائف مدفعيتهم الثقيلة، وكأن المدفعية العراقية لم تستطع تركيز رميِها، ولم تميّز بين عدوها وجنودها. ولم ينتبه العراقيون إلى هذا الأمر، إلا بعد فوات الأوان، وارتفاع عدد قتلاهم.

حين تحرّرت «**تشراغتشي**»، اطمأنّ بالنا على مواقعنا الخلفية، فلو بقيت المنطقة بيد العدو لما استطاع شبابنا أن يقاوموا على طول الجادّة أكثر من ساعات معدودة.

استمرّ تواصلنا مع قادة «**محور المثلث**» عبر عامل الإشارة. تقدّم العراقيون في جزر مجنون وجادة سيد الشهداء، وقد أطلت من السماء ما يقارب أربعين مروحية معادية إلى يمين الجادة في جزيرة مجنون الشمالية، أفاد عامل الإشارة: نفّذ العدو إنزالاً على مقر«**الحاج علي هاشمي**» حيث رُمِزَ إليها بالطيور فوق موقع بلال. كان «**بلال**» اسم موقع برج الرصد. كان «**توفيقي**» يحمل بيده مكبّر صوت وينشد الأشعار الحماسيّة والأناشيد، لبثّ روح الثّبات عند الشّباب، ومع أنه لم يكن هناك حاجة في الكثير من المواقع للتَّقَدُّم إلى الأمام، إلّا أنّ أكثر كلمات «**توفيقي**» كانت «**هيّا إلى الأمام يا جنود الإسلام**»، أظن أنّ «**حميد نظري**» هو الذي صرخ قائلاً له: «**توفيقي**» شجّع المقاتلين ولكن لا تتدخّل بشؤون القيادة! **وكم كان مؤلمًا لنا، حين صرخ «عباس هواشمي»، معاون المقر السادس للحرس، عبر اللاسلكي، دون شيفرة ورموز: هنا كربلاء! هذا عمر بن سعد يدّق طبل انتصاره!**
كانت المعارك طاحنة، وكان الاحتفاظ بجادّة «**الخندق**» أهمّ من الوصول إلى شباب موقع «**الخندق**»، هناك طرأ تعديلٌ على المهمَّة، قررنا أنه لا شأن لنا حاليًّا بشباب الموقع، وأنّ علينا بذل كل طاقتنا

للمحافظة على الجادة.

كانت الجهــة اليمنى من الجادّة خالية، وتقرّر أن تصل كتيبتان من شبــاب «**لواء النجـف** 8» لدعمنــا، ولكنهما لم تتمكنا مــن اللّحاق بنا؛ بسبــب غزارة نيران العدو. كانت قاعــدة الشهيد «**خاكسار**» في محور «**شـط علـي**» قــد سقطت، رمــى الشباب، بنــاءً على أمر قائــد المقر، تجهيزات ووسائل القاعدة في الماء. كان يكفي أن تتوقّف المقاومة في الجادة لتسقط فورًا بيد العدو؛ حيث بإمكانه احتلال الدّشم والخنادق، ولا أحد يردعه ويمنعه.

عمـل شباب الموقــع على إبطاء حركة العدو مــن خلال مقاومتهم. وكأنّ مفتاح الحرب كان في جادة «**الخندق**». بينما جزر مجنون- والتي كانــت تمثل ضلعنا الأيسر - سقطت بيــد العدو. تفصلنا مسافة كبيرة عن شباب كتيبــة الإمام جعفر الصــادق عليه السلام المتموضعين في«**شط علـي**». بالأمــس قــام لواءان مــن قوات العــدو البحريــة، المدرّبة على العمليّــات المائيّة، بإنزال فــي «**البيضة والصخـرة**». أمّا على الجانب الأيمن حيــث لا قوات محاربة، والغطاء النباتــي قليل جدّاً، فقد أحرق العــدو الأرض بكثافة نيرانه ليتمكّن من إدخــال قواته إليها. كان علينا أن نقاتــل، علــى طرفي الجــادة - حيث الماء وحقــول القصب - عدوّاً متخفّياً تصعب رؤيته، عدوّاً قد تعرّف بدقّة على جميع الطرق المائية. قبل عــدة أيــام، أَسَرَ شباب لــواء «**الإمــام الرضــا** عليه السلام - **خراسان**»، فريقَ استطلاعٍ للعدو بالقرب من معبر «**زيد**» المائي، اعترف الضابط المسؤول عن هذا الفريق، فــي التحقيق الأوّلي، وقال: استطعنا جميع الطرق المائية، والمعابر المخفية لجزر «**مجنون**»، وقمنا بإخفاء عدد

من القوارب في معابر قليلة الحركة، وهذا ما حصل حيث استهدفت هذه القوارب المخفية عددًا من شبابنا بإطلاق الرصاص والمضادات.

كان قلبي هناك مع شباب الموقع؛ الذين حوصروا في جزيرة مساحتها حوالي 2000م2، كانت قذائف وصواريخ العدو تنهمر دفعة واحدة على شباب «**الموقع**» و«**الحصن**» وحتى على رؤوس الجنود العراقيين أنفسهم. وكانوا جميعهم يقاتلون دون قيادة.

حين عبرنا موقع «**أردني**»، كان «**بهرام درود**» في طريقه إلى «**تشراغتشي**» لإحضار القذائف المدفعيّة. فرحت كثيرًا برؤيته. كان يرافقه «**أحمد أقليمي كيشن**» و«**سيد أصلان عادلي نسب**»، التجأ «**بهرام**» إلى جانبي في القناة لعدة لحظات، وتبادلنا أطراف الحديث، أتعبته قلة الذخيرة وأعيته! كان يريد إحضار قذائف60 ملم و81 ملم من «**تشراغتشي**»، كذلك فقد كانت راجمة «**الـ ميني كاتيوشا**» في «**حصن سليمان**» من دون صواريخ، كان شباب الدعم قد أفرغوا ذخائرهم في جادة «**الخندق**»، أي على مسافة عشرة أمتار مقابل أرضٍ يسيطر عليها العدو، عرضها حوالي 50كلم! كانت قوة نيراننا، مقارنة مع قوة نيران العدو المدفعية، كقارب يواجه حاملة طائرات. في الأيام العادية السابقة كنا نعاني من قلة الإمكانات، فكيف والحال هكذا! كان«**بهرام**» شديد العطش، وقد حدثني عن مواجهات موقع «**بيت اللهي**»، كان وجهه مغبرًا وأكتافه دامية. لا أعرف إن كان أصيب بشظية أدمته، أو أنّه حمل شهيداً على كتفيه. قلت له:

- ألا يوجد ذخيرة في المنطقة الأمامية؟
- لقد أصابوا جيب «**اللاند كروزر**» فاحترق.

- مع ذخيرته؟!
- نعم لسوء الحظّ!
- بهرام! إذا جُرحتُ هنا فأقسم عليك بالعباس أن تنقلني إلى الخلف، ولا تدعني أقع أسيرًا!
- ومن أنا لأنقلك إلى الخلف؟

توجّه مهرولاً نحو موقع «**أردني**»، سألته:

- بهرام! هل رأيت «**بيران مستوفي**»؟
- استشهد!

كان «**بيران**» من الذين ينبغي أن يرحلوا. قال لي المقاتل الذي رجع إلى الخلف بعد «**بهرام**»: ما أعرفه فقط بأنّ شباب كتيبة الرسول ﷺ قد دفنوه في الموقع عند الصّباح الباكر. قلت لنفسي: لماذا يدفن هناك؟

هل ستتحوّل جزر مجنون إلى مقبرة للشّهداء؟ فهمت بعدها أن الذين دفنوا «**بيران مستوفي**» كانوا قد تيقّنوا بأنّه لا مجال أبداً لإرجاع جثمانه إلى الخطوط الخلفية.

حين استرجعتُ ذكرياتنا المشتركة خنقتي العبرة، وذاب قلبي على «**خديجته**» في عامها الأول، و«**ياسر**» ذي الثلاث سنوات، و«**أعظم**» ذات السّت سنوات، كان «**بيران مستوفي**» يتولى رعاية أولاد أخيه الشهيد أيضًا. من الآن فصاعدًا، فإنّ أولاده وأولاد أخيه صاروا أيتامًا كالعديد من أبناء أبطال الحرب.

أما «**بهرام**» الذي كان قد ذهب إلى موقع «**بشتى**» لإحضار الذخائر، فقد عاد تحت وابل نيران العدو، عاد وحده، فقد استشهد مرافقاه «**أحمد**» و«**السيد أصلان**» بعد أن سقطت قذيفة بالقرب منهما،

فاستشهدا معًا. عاد بهـرام مجدّداً لنقل الذخيرة بمساعدة اثنين من قوات التعبئة، كان مسؤولاً عن إسناد موقع «**بيت اللهي**»، وكانت مدافع الموقـع تحنّ إلى القذائف. حين سـأل السيد «**علي محمد بزركواري**» شباب المدفعية عند الفجر: لماذا لا ترمون العدو بالـ «**ميني كاتيوشيا**» وبالمدافع؟

أجابـوه بسخريـة: ياسيّـد! ليس عندنـا قذائف! هل نضـع مكانها القصب ونرمي به العدو؟!

ركضنـا مع الشّباب نحو الخندق الكبير على بعد 100م أمامنا. كان «**ركنـي**» يحذّرنا وبشكل متكـرِّر: انتبهوا، ولا تغفلوا عن الجهة الخلفية، فالحقـول وراءنا مصدر خطر كبير. كنت أعتقد أنّ عددًا من الوحدات فـي طريقهـا لمساعدتنا. لا أصـدق بأنّنا سنبقى لوحدنـا. لا يمكن أن يكـون هذا هـو مصير جزر «**مجنـون**». لم يستطع أحـد اليوم الوصول إلينا لدعمنا، حتى كتيبتا فيلق «**نجف 8**»، التي كان ينبغي أن تلحق بنا، أضحت وحـدات مدفعيّة دون قذائف، كنّا وحدنا. لا قوات مساعدة ولا دعـم ميداني، لا نيران تغطية، ولا ماء، ولا طعام ... ما يقاتل اليوم هو فقـط إيمان الشباب وإرادتهم. كانـوا يقتصدون في استخدام السلاح والذخيرة إلى الحدّ الأدنى .. طلقةٌ واحدةٌ بدل زخّات الرصاص، وَرَشَقٌ واحدٌ بدل التمشيط!

علـى الرغم مـن أن السيد محسن [رضائي] قـد أصدر أمره لقائد اللـواء بالتراجع، إلا أن الشّباب فضّلوا الصّمـود والمواجهة بكل بسالة ورجولة، لم يكن أحد من المقاتلين مستعدّاً للتراجع والانسحاب[1]، حتى

(1) بعد تعذّر الدعم، والتواصل الفعّال مع القيادة، وعدم وجود أي إمكانية انسحاب بسبب الحصار.

«**محمد حسين حق جو**»[1]، الذي كان معلّمًا من منطقة «**سرفارياب**» في محافظة «**كهكيلويه**»، لديه خمس بنات، والسادسة «**زهراء**» ولدت بعد خمسة أشهر من شهادته!. كنت أعرفه من أيام «**كردستان**». في «**تشراغتشي**» كان ابن منطقته «**عبد الرضا ديرباز**» يرجوه كي يبقى في «**تشراغتشي**» ولا يتقدّم للأمام. إصرار «**ديرباز**» كان بسبب بناته الصغيرات. إلى ما قبل شهادته، كان «**ديرباز**» يسعى بشكل حثيث كي لا يتقدّم «**حق جو**» للأمام، لكن «**حق جو**» قال له: يا «**عبد الرضا**»! لعلك نسيت أنّ ابن عمك «**كرامت الله**» قد استشهد هنا في عمليات «**بدر**».

حين التجأنا إلى القناة، قال لنا، ذلك المعلّم الشجاع، «**حقّ جو**»: «**أعرف لماذا لا تريدونني أن أتقدّم معكم، لا تقلقوا على بناتي، لقد أودعتهم فاطمة الزهراء عليها السلام**».

بعض الشهداء كان لديهم وضعٌ عائليٌّ خاصٌّ: الشهيد «**جعفر الوند نجاد**» كان ابنًا وحيدًا، الشهيد «**محمد حسين حق جو**» لديه خمس بنات، أحد الشباب كان يتيم الأب والأم، والشهيد «**أكبر آخش**» كان قد تزوّج منذ عشرين يومًا فقط، الشهيد «**حنيفة خليلي شاد**» فقد أباه في الثانية من عمره، وفقد أمه في الرابعة، رُزق بولده الأول قبل سبعة عشر يومًا. كتبت له زوجته: «**الآن وقد أصبحتَ أباً، فخذ مأذونية، وتعال لرؤية ابنك**»، قال لها في رسالته: لن أعود، إن عدتُ إلى البيت وشاهدتُ ابني فسأتعلّق به، سأبقى هنا لأزور الإمام الحسين عليه السلام، وأنال الشهادة. «**الشهيد عبد الرضا ديرباز**»، كان مقرّرًا أن يتزوّج

(1) كان الشهيد محمد حسين حق جو ينادي بناته بأسماء خاصة، فكان يقول: عزيزتي صديقة، روح قلبي هدية، جميلتي زهراء، محبوبتي فاطمة، وصغيرتي سكينة (وهي أصغر بناته). كانت صديقة، ابنته الكبرى، تقول له: يا ليتني صبيًّا حتى أذهب معك إلى الجبهة؛ فما هو ذنبي حتى كنت بنتًا.

عند عودتـه هذه المرّة، كنت قد وعدته بـأن أحضر زفافه. الشهيدان، «**السيـد بهمن خشاوة**» و«**هدايـت الله ركنـي**»، رزقا ولديهما الأولين بعد أشهر من شهادتهما، الشهيد «**صَفَر علي الكامة**»، قال لعائلته: «**سأنهي معامـلات الخدمـة العسكريـة في الرابع مـن شهر حزيـران**»، وأعود للمنـزل فـي الخامس منه. وما حدث بـأنّ «**الكامـة**» أنهى معاملاته مع هـذه الدنيا في الرابع من شهر حزيران، وصـار من أهل السماء! وعاد فـي الخامسـ من «**شهر حزيـران**» إلـى عائلته وزوجتـه وأولاده البنات الثـلاث، والصبيان الثلاثة أيضًا، الذين كانـوا ينتظرونه كما وعدهم. عاد شهيدًا ليشيّع فوق أكتاف محبيه. ومن بين أسرى «**موقع الخندق**»، «**محمـد أفشيـن**» الذي حين أُعلن خبر فقدانـه، وسمعتْ عمته بالخبر أصيبت بسكتة قلبيّة وفارقت الحياة.

كان «**حـق جو**» يتحدّث مع الشباب حول أهمية المحافظة على جزر «**مجنـون**».. فهي أمانة وَصَلتنـا بدماء الشهيدين «**همّـت**» و«**باكري**».. والويل لمن يقصّر من شباب «**التعبئة**».

حين اخترقت الشظايا جسد «**حق جو**» وبدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة، قال لي ولمن كان حوله، بصوت متهدّج بالكاد يُسمع:

«**إن كنتَ رجلَ هذا الدرب فينبغي التقدم وسط الدماء**

إن أُنهكتِ الأقدام، فعلى الرأس التقدّم وسط الدماء».

حمل الشباب جثمان «**حقّ جو**»إلى داخل الخندق، كان لهذا الشهيد مظلوميـة خاصة. حاول بعض الشبـاب أن ينقلوا الجثامين في القارب الـذي كان في المعبر المائي القريـب، كان المعبر المائي الخلفي على بعـد مئات الأمتـار قد أصبح بيد العـدو. في الجهة اليمنـى كان معبر

«**شعبان**» وقاعدة الشهيد «**خاكسار**» قد وقعا في يد العدو أيضًا، وكذلك سقطت نقطة «**الطبرسي**» المقابلة لموقع «**بيت اللهي**»...

شدة نيران العدو لا تحتمل، حين أراد «**عبد العلي عليزاده**» و«**عبد الرحمن برهمن**» أن يسحبا جثة الشهيد «**فتاح عبَّاسي**» إلى داخل القناة، سقطت قذيفة بينهما فتطايرت أشلاؤهما، فكان منظر الشهداء الثلاثة معًا يدمي القلب.

كنا نهرول داخل القناة نحو يسار الجادة حين انفجرت قذيفة بالقرب منّا، فسقطنا أرضاً، لم أعرف ماذا حصل؟ استشهد اثنان أو ثلاثة من شبابنا في هذا الانفجار، ومنهم الشهيد «**هومان عباسيان**»، لم أعرف في البداية أنّي جُرحتُ، شعرتُ بأن القسم الأمامي من فخذي الأيسر ساخن ورطب، كانت شظية قد اخترقته، وصهرت بعض لحمي، كان نزيف الدَّمِ شديدًا جدًّا. ربط «**صفر علي كردلو**» رجلي بكوفيته. على الرغم من اللحم المصهور والجراح، إلا أنني لم أتوقّف عن المشي.

كانت الشظية قد حفرت مقدار كف يدٍ في رجلي. والتي لم أكن أشعر بها بسبب قطع الأعصاب. كنت لا أزال قادراً على الحركة.

اشتبك الشباب مع العدو في نقاط متعدّدة من خنادق الجادة، أصابت شظية يد «**عبد الرضا ديرباز**»، فلم يعد قادرًا على حمل رشاشه «**الغرينوف**»، فتبادلنا الأسلحة وأعطيته «**الكلاشنكوف**».

كان «**هدايت الله**» يركض يُمنَةً ويُسرةً، مركّزًا نظره على الجادّة، تقدّم العراقيون كثيراً، ولم يكن يفصلنا عنهم سوى شريط القصب. كلما استشهد أحد الشباب كان «**هدايت الله**» يبث الرّوح في بقية رفاقه،

وهـو نفسه أصيب بشظية في كتفه، وكانت بِذْلته ملطخة بالدماء. كلما قـلّ عددُنـا كانت الأمـور تشتدّ وتصعـب أكثر فأكثر. لم يكـن أحدٌ في الخلف قادراً على مساعدتنا.

احتـل العراقيون «**تشراغتشـي**» للمرة الثانية، وبقـدرات أكبر هذه المرة، كان عددنا قليلاً جدّاً في مواجهة العدو، كنّا بمثابة كتيبة تقاتل فيلقًا كاملاً.

قال«**هدايت الله**» للشبـاب الذيـن يواجهـون العـدو «**بأسنانهـم وأظافرهم**» لمنعه من التقدم: «**لا تنتظروا الأوامر من أحد، كل واحد منكم قائدُ نفسه، قاتلوا بأحسن ما تقدرون، المهم أن لا تسقط هذه الجادة!**».

كان السيـد «**محمـد علي غلامـي**»، وهو طالب علـوم دينية، يرمي «**الآربـي جـي**»، وكذلك يقوم بواجبه الديني كطالب علم، كان من قرية «**بيدك**» من قضاء «**باشت**»، جاء إلى الجبهة برفقة حوالي 15طالبًا من الحوزة العلمية المنصوريّة في شيراز.

وسط احتدام المعارك والمواجهات كان يرتجز بحماس وعنفوان:

«**أيّهـا الشبـاب.. سـرّ القتال فـي الإيمـان والإرادة، وليس في هذه القطعة الحديدية التي بأيدينا!**» كان صوته جذّاباً ومؤثّرًا جدًّا، حين صدح عاليًا:

«**والله إن قطعتم يميني إنّي أحامي أبداً عن ديني**»

مـردّداً الشعر المنسوب لأبي الفضـل العباس عليه السلام. أعادنا جميعًا إلى أرض كربلاء وأحداثها.

كان اسـم «**هدايت الله**» يذكّرني بأخي الشهيد«**السيد هدايت الله**».

قـال لنـا: «**لن يرجع أحـد منّا حيّـاً. الجزيـرة الجنوبية وجـادة سيد الشهداء في يد الأعداء، نحن محاصرون، فإمّا أن نستشهد، وإما أن نقع أسرى.**

فـإن كان هـذا هو مصيرنا المحتوم، فلا ترحموا العدو، وانتقموا منه لدماء شبابنا الشهداء، لا تطلقوا أيّة رصاصة هدراً، صحيح أنّنا اليوم لوحدنا، ولكنّ الله معنا».

كانـت السـاعـة حوالي العاشـرة والنصف. كان هدايـت الله يرمي «**الآربـي جـي**» علـى القـوارب العراقية حيـن أصابته شظيّـة معادية، كان «**صفـر علـي كردلو**» لا يزال حيًّـا. حين جُرحت منذ ساعة قام هو بتضميـد جراحـي، لم يكن ممكنًا نقل أي شهيـد أو جريح إلى الخلف. لا توجـد أيّة قـوّات دعم على الجادة؛ وحتّـى إن وجد مسعف، فلا شك بأنـه سيفضِّل رمي وسائل الإسعاف جانبًا وأخـذ السلاح من الشهداء لمواجهة العدوّ.

كان قلبي يحترق من أجل «**صفر علي كردلو**»، صديقي، وابن بلدتي، فقـد كانت جراحاته كثيرة، ولم أدرِ مـاذا يمكنني أن أفعل له، لا يزال يتنفّـس، سحبناه إلى داخل القناة، كان مجـرّد التفكير بأن العراقيين إمّا سيأخذونه أسيرًا على هذه الحال، أو أنهم سيطلقونه عليه رصاصة الخلاص، يعذّبنـي. قلت لنفسـي: إن أَسَـرَه الأعـداء سيقتلونه فوراً، كانت الدمـاء تسيل من صدره ومعدته، حيـن حاولت تضميد جراحه، قـال بصوت خافت: «**فليطلق عليّ أحدٌ رصاصة الخلاص، لا أريد أن يأسرني العدو، لا تتأخروا بسببي!**» لم يطلب نقله إلى الخط الخلفي، فهو يعلم أنه لا مجال لذلك.

مرّت في بالــي، ذكرياتنا المشتركة في شتاء السنة الماضية، حين ترافقنا معًا في مسير مشترك: «**قاعدة الشهيد غلامي**»، محطة سفر «**تشهاشيـر**»، وجبــة طعام خفيفــة، ومتابعة الرحلة إلــى «**كجساران**». والآن لا أملك سوى النظر إلى جسده الدامي المرمي إلى جانب الجادة، أنظر وأتجرّع الغصّص والألم..

حــاول «**صفـر نيكدارشـد**»، وهــو أحــد شبــاب «**كتيبـة الشهـداء الخاصـة**»، أن ينقلـه إلــى الخلف، لكنه لـم يتمكّن. أطلق نــار رشاشه «**الغرينـوف**» ليغطّـي الجــادّة، فيمــا كان عــدد من الشبــاب يحاولون التحــرّك، بقينا في أمان مــن جهة معبري «**خين**» و«**شعبـان**» المائيين إلــى أن استشهد هؤلاء الشباب وجُرح«**صفـر نيكدارشد**». لقد كان من القلائل الذين بقوا وعادوا أحياء بعد معركة «**جادة الخندق**».

أغلــب رفاقــي كانوا قــد استشهــدوا. من بقــي منهم قاتــلَ وُفْقَ ما شخَّصــه وحدّده. كانت نفسي تحدّثني «**أنّ التراجع خيانة**». كنت أعلم أنَّه، وبهذا العدد القليل، لا يمكن أن نمنع العراقيين من احتلال الجادة.

كان كلّ واحــدٍ مــن الشبــاب يجهد للقيــام بتكليفه، كانــوا يفضّلون اليوم الصمود بشهامة، والقتال ببسالة حتى الرمق الأخير، ولا يشهدوا سقــوط الجزيــرة بيد الأعــداء. هــذه الجزيرة التي كانــت، من خلال استحضــار روح الشهــداء، وبطولة الشباب في «**عمليـات بدر وخيبر**»، تدعــو الإنسان للصمود فيها، إن تراجعــتُ إلى الخلف فأين أختبئ من الشعور بالذنب؟ أسرعتُ إلى خندق يبعد عنّا حوالي المئة متر لإحضار بعض الذخائر والأسلحــة، جلست بالقرب من «**صفر علي**»، الذي كان قد استشهد، كم كان هادئاً وساكناً، وكأنّه قد غطّ في سباتٍ عميق، لن

يستفيــق منه إلّا بعد ساعات وساعات، سحبتُ مشط رصاص «**رشاشه**» لكــي أستخدمه، ورميت الرشاشــ في مياه الجزيــرة [حتى لا يستفيد العدو منه لاحقاً].

كان الأخــوة يشتبكون مع العراقيين في نقــاط متفرّقة من الجادة، كنّا نرصد حركة العدو من بين حقول القصب، كانت قواربهم تعبر من الجهــة الجنوبيــة، وتحاول الوصول الى المعابــر الخلفيَّة كي تحاصرنا وتضعنــا بين «**فكّي كمّاشــة**»؛ لتنهي مقاومتنا. أصــاب شباب «**الآربي جـي**» ثلاثة قوارب معادية، فيما تمكّنت قــوارب أخرى من إنزال قوات مشاة خلفنا، لم يكن شبابنا مستعدّين للسباحة والتراجع للخلف.

أحد الشباب الذي عرفــتُ فيما بعد أنّ اسمه «**محمد إسلام بناه**»، أصبح وجهه وصــدره كالغربال من شظايا القذيفة التي أصابته، كانت عظــام يده وكتفه مهشّمة، ولم يكن يقوَى على الكلام من شدّة الضعف والعطش، كان يجود بنفسه، حين ضمّدنا جراحه، قال: «**أرواحنا، فداء شَعــرة مــن شَعر الإمــام**»[1]، وظلّ يتمتم، ويردِّد آيــات من القرآن حتى فارق الحياة.

إنّهــا حوالــى الساعة الحادية عشــرة، والمسافة التــي تفصلنا عن موقــع «**بيــت اللهــي**» لا تتجــاوز 200م، اشتدّت الاشتبــاكات؛ كان عدد من الشبــاب من خلفنا يلتحمون مــع العراقيين بالســلاح الأبيض، لم يتراجــع العدو عن قراره باحتــلال الجــادة، إلّا أنَّ مساعيه لمحاصرة موقع «**بيت اللهي**» باءت بالفشل. إذا تمكّنوا منّا، فسيُقضى على سريَّة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مباشرة، كنّا نعلم أن مقاومتنا محدودة

(1) عندما ترد كلمة الإمام في الكتاب دون ذكر إسم آخر فمقصودهم الإمام الخميني. (نون)

جدّاً، وسط هذه الحرب غير المتكافئة، وبدأ الأمل بإنقاذ شباب موقع «**الخندق**» يخبو ويضمحل.

فضّلنا أن نترك قسمًا من الجادة ونقترب من بعضنا أكثر فأكثر؛ لأنّ عددنا قليل، فكان علينا أن نقاوم معًا على شكل مجموعتين إحداهما قريبة من الأخرى. كنّا المجموعة الأمامية، كان العراقيون يمشّطون الجادة بالرشاشات بدقة، كانت القناة المائيّة المحاذية للجادة هي ملاذنا الوحيد، لم نعد نشكّ بأنّه قُضي الأمر، وانتهت قصّتنا.

كان علينا الاختيار بين الشهادة والأسر، كان لديّ شعور سيّئ تجاه الأسر، لطالما كنت أتمنّى أن لا أقع في الأسر.

لم يبقَ من الثمانين مقاتلاً إلّا عشرة أو اثني عشر على قيد الحياة...«**سالار شفيعي نجاد**»، «**محمد علي غلامي**»، «**غلام قاسم زاده**»، «**جمشيد كرم زاده**» وعدد قليل من التعبويين الذين لم أكن أعرفهم. وقف ثلاثة أو أربعة من الشباب أمامنا في دشمة للرماية على مسافة 100م لمنع العدو من التقدّم،ذلك الخندق الذي بقي صامدًا كالقلعة، كان يحلو لهم الثبات والصمود في ذلك الخندق.

كان ذلك الخندق مصمّمًا كي يشرف على معبر «**خين**» المائي على جهة اليسار، والذي كان يشهد أكبر حركة لقوارب العدو حينها.

ولكي يتمكّن الشباب من الإشراف على الجهة الأخرى للمعبر المائي، قاموا بحني القصب وإمالته وتثبيته بالأرض، واتخذوا منه ساترًا، فصار بالإمكان الرمي على الجهتين. قام العدو بقنص ثلاثة من شباب الخندق، وكان بينهم «**خدا خواست جبّاري**» صديق «**سالار شفيع نجاد**».

لـم أكـن لأصدّق سقـوط «**جـادة الخندق**»، كنـت أشعر بـأنّ أرواح شهداء عمليّات «**بدر**» و«**خيبر**» شاهدة على مقاومة اليوم. لم أستطع أن أقنع نفسي بتقبّـل سقوط جادة الخندق، وكان التفكير بمصير جزيرة «**مجنـون**» مؤلمًا جدًّا بالنسبة إلـيّ. أكثر ما كان يشغل بال الشباب هو القيـام بالتكليف، جلسنا للحظة لنرى ما العمل في اللحظات الأخيرة؟ اجتمـع رأي الشباب على الصمود، تعاهدنـا أن نقاوم حتى الرصاصة الأخيـرة، حتّـى لو لم يكـن لمقاومتنا تأثير في المحافظـة على «**جادّة الخندق**».

لمـاذا لم تصل أية قوات لدعمنا؟ لماذا بقيت جثامين الشهداء في يـد العدو؟ وغيرها الكثير من الأسئلة، كانت تزدحم في رأسي، وتشغل ذهني دون جواب.

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة والنصف، ذخائرنا تكاد تنفد، العـدو يسيطـر على الخط مـن «**تشراغتشـي**» حتى «**مثلـث المحور**»، كانـت زخّـات الرصاصـ تنهمر من الخلـف ومن الأمـام، وكذلك من داخل حقول القصب المحاذية للجادّة، لم يكن هنـاك تواصل مع أحد، فقـط كان «**عامـل الإشارة**» يتصل بالمركز لحظـة بلحظة، كان القادة يشجعوننـا ويكرّرون عبر اللاسلكـي «**أحداث عاشـوراء وما جرى في كربـلاء**»، كانوا محرجيـن ومتألّمين كونهم لا يقدرون على مساعدتنا، كان عامـل الإشـارة ينقل لنا نداءهـم: «**قاوِموا ساعـة أو ساعتين كي نتمكّن من تطهير الجادة والوصول إليكم**».

في الخلف، كان مقرّراً أن تقوم وحدة الهندسة بمسح جادة «**حنظلة**» وقطعهـا تلك الجـادّة الممتدة من ميـدان الإمـام الرضا عليه السلام حتى

«**شط علي**»، ومنطقة «**الهور العظيم**»، كي لا يتمكّن العدو. إن استطاع احتلال «**جادة الخندق**» - من الوصول إلى الطريق المؤدية إلى منطقة «**الهور العظيم**». هذا العمل مشابه لما قام به شباب «**التخريب**» قبل عدة ليالٍ، خلف موقع الخندق؛ حيث استخدموا مقدار طنّ من المواد المتفجّرة لإيجاد مساحة فاصلة بين «**موقع الخندق**» و«**موقع بيت اللهي**» بطول 200م، ثم انسياب المياه داخل هذه القناة وتدفقه من «**شط علي**» باتجاه «**جزيرة مجنون**». هذا القطع أدّى عمليًّا إلى محاصرة «**موقع الخندق**» وفصله عمّا حوله فأصبح من غير الممكن الدخول إليه، ولا الخروج منه.

لم تبقَ أيّة قذيفة لدى وحدة المدفعية كي توفّر غطاءً ناريًّا للشباب. أفرغ شباب المدفعيّة حمم نيرانهم، وبعض الذخائر التي كانت لدى - بعض فرق الفيلق السادس في الحرس - المستقرّ في الموقع الأول في الضلع الغربي للجزيرة الشمالية-، على مواقع العدو. علمت فيما بعد، بأنّ الشباب قاموا وبعد نفاد الذخائر، بإتلاف الأسلحة والمدافع كي لا تقع في يد العدو[1].

كانت أوامر القادة في الحرب تقضي بإتلاف الأجهزة والأسلحة والذخائر في حال عدم التمكّن من سحبها الى الخلف. في ذلك اليوم تمّ تفجير العديد من التجهيزات والأسلحة كي لا تصبح غنائم للعدو.

---

(1) سمعت فيما بعد أنّ «**حسن وكيلي**» و«**محمد دجكام**» قاما بإحراق دبابتهما بالبنزين عندما علقت في مستنقع قرب الجادة. وكذلك فجّر «**نعمت الله نظري**»، مسؤول الدفاع الجوي في اللواء الأول، مدفع «**المضاد 57ملم**» بقذيفة «**آر بي جي**». وكذلك ألقى الشباب مدفع 23 كوري، كان متموضعًا في الجهة اليمنى لبرج المدفعية، في مياه الجزيرة كي لا يقع في يد العدو، وذلك في اللحظات الأخيرة قبل سقوط الجادة.

استشهد عامل الإشارة في اللحظات الأخيرة، لم يعد هناك أيّة فرصة للتواصل مع المركز (المقر الخلفي)، وعلى كلّ حال، فإنّ هذا التواصل لم يكن مجديًا.

بقي كلّ منا، يقاتل لوحده وبقدراته الذّاتيّة، سقطت أجساد الشهداء الطاهرة أرضًا بين ذرّات التراب المتناثر، والدخان الذي أصبح يخفُّ شيئاً فشيئاً. وصل العدو، وبذلك فصل بيننا وبين سرية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

جُرح السيّد «**محمد علي غلامي**»، وتلقّى «**غلام قاسم زاده**» رصاصة من الجهة اليمنى للجادة واستشهد، اشتدّ نزف «**السيّد محمد علي**»، وحين سقط على الأرض حاول أن يسحب نفسه نحو القناة المحاذية للجادة.

كان صوت تمشيط الرشاشات يُسمع من كل الجهات، كانت الدّماء تغطّي وجه السيّد «**محمد علي**» ورأسه، زحف بصعوبة بالغة، كانت شظيّة قد أصابت خدّه الأيسر فأدمت وجهه وعينيه، كان يقرأ القرآن. في سنوات الحرب، قلّما رأيت شهيدًا في لحظاته الأخيرة يفارق الحياة دون ذكر الأئمة عليهم السلام، لم أعرف ما الذي يمكنني أن أفعله للسيّد «**محمد علي**»، كانت أنفاسه مقطوعة من العطش، لم يتمدّد، قلت له:

- «**يا سيّد، تمدّد، نزيف دمك غزير**».
- لا بأس هكذا أرتاح أكثر.
- نزيف دمك يشتدّ أكثر فأكثر.
- الجلوس أفضل.

- تمدّد، لعلّني أجد شيئاً أضمّد جراحك به.

- لا أريد شيئاَ. ضع حقيبة الرأس تلك خلف ظهري.

لم يكن يريد التمدّد، على الرغم من نزيف صدره ورأسه.

كانت أصوات العراقيين مسموعة، لم أستطع أن أفارقه.

لـم يسمح لي بأن أمزّق قميصه، كي أضمّد جراحه، كنت أحدّق في وجهه حين قال بهدوء عجيب: «**السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين، وعلـى الأرواح التي حلّت بفنائـك، عليك منّي سلام الله أبدًا ما بقيت وبقـي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتكم، السلام علـى الحسيـن، وعلى علي بـن الحسين، وعلـى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين**».

جـرت الدموع والدماء من عينيه، وضع كلتـا يديه وراء رأسه متّكئا عليهما، لم أعرف لماذا يصرّ على الجلوس، لعلّ طالب العلم وصاحب القلـب الطاهر هذا أراد أن يراعي الأدب ويحفظ الحرمة أثناء سلامه على الإمام الحسين عليه السلام.

كان واضحًا من لون وجهه وملامحه بأنّه لن يبقى حيًّا. لا أنسى أبدًا دعاءه الأخير: «**اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود**».

في اللحظات الأخيرة، أحضرت له ماءً بخوذة معدنية، فلم يشرب، لم يكن مستعدًّا حتّى لبلّ شفاهه بالماء، لا أعلم، أظنّ أنّه كان يريد أن يستشهد عطشانًا، وهذا ما حصل، استشهد السيّد عطشانًا.

كانت أصـوات العراقيين تصل الى مسامعنا، كانوا يهلّلون فرحين؛ فقد تقدّموا من جهـة اليسار في جُزر «**مجنـون**» الشّماليّة والجنوبية، ومن الخلف، وعلى امتداد «**جادة الخندق**».

كانـت شمس الصيف المحرقة تَسْطع على أجساد الشهداء، وكانت الحرارة تفتك بنا.

كان جسـد أحـد الشهداء معلّقـا في القصب، فيمـا نصفه الأسفل داخـل الماء؛ فقد حاول حتى لحظاته الأخيرة أن يمسك بالقصب، كي لا يغرق، سحبناه خارج الماء ووضعناه قرب «**الشّهيد غلامي**».

حـاول العدو الاقتراب أكثـر، لم تعد تُسمع أصـوات رصاص شباب موقـع «**بيت اللهـي**»، ولكـن أصواتاً أخـرى من جهة موقـع «**الخندق**» كانـت لا تزال تقاوم وتؤخّر حركة العـدو. كان العراقيون في كل لحظة يقتربـون منّا أكثر فأكثر، لم يعد يفصلنا عن العدو إلّا 30 متراً أو أقل. كان اثنـان منهم يحملان العلم العراقي، ويتحرّكان أمام البقيّة، كانت بعض الأعلام العراقيّة قـد نُصبت في أنحاء مختلفـة، مرتفعة نسبيًّا عن الجادة.

كنّـا ستَّة، أنا، و«**سالار شفيعي نجاد**»، و«**جمشيد كرم زادة**»، وثلاثة تعبوييـن آخريـن. نظرت إلى ساعتـي فكانت تقترب مـن الثانية عشر إلّا ربعًـا، لـم يكن هناك مـن أثر لأيَّة قـوات الى يمين الجـادة، كانت الأسلحـة والرشاشات ملقـاة على جانبي الطريـق، وكان عددها بعدد أجسـاد الشهداء خالية من الرصاص والأمشاط. قمنا بجمع رشاشات الكلاشينكـوف، والغرينـوف، وقواذف الآر بي جـي، والكثير منها دون أمشـاط، ولا رصاص، ولا قذائف... ورميناها فـي مياه الجزيرة. كان طول «**شرشور**» غرينوف أحد الشهداء على يمين الجادة حوالي المتر.

لم يجرؤ العراقيون على الاقتراب من الخندق، لم يبق أمامنا سوى الاختيـار: إمّا أن نقـف مكتوفي الأيـدي بانتظار أن يتقـدّم العراقيون

ويأسروننا، وإمّا أن نقف على جانبي الجادة ونقاوم بهذا المقدار القليل المتبقي من رصاص وذخائر، وإمّا أن نرمي بأنفسنا داخل الماء ونجرّب حظّنا بالبقاء أحياء. بعد احتلال جزيرة مجنون لا يبقى قيمة لحياتنا. كيف نقوى على الرجوع؟ كل هؤلاء الشهداء كان بإمكانهم الرجوع والعيش بهناء.

كان العدو يتحيّن الفرصة من جهة القناة المقابلة لاحتلال خندقنا. في الجانب الأيمن للجادّة، كان يمكن إطلاق النار على العراقيين المتقدمين من القناة المواجهة بشكل أسهل، أفرغ «**سالار**» آخر طلقاته، بينما اشتبك التعبويّون الثلاثة مع العدو على بعد 200م إلى الخلف، كان «**خدا رحم رضوي**» أحدهم، لم يكن باستطاعتنا استخدام خندق الرماية، فقناصو العدو صبّوا سيل رصاصهم على الخندق، كانت قدرة المناورة لجهة اليمين أكبر. قلت لـ«**سالار**»:

- سأقفز الى يمين الجادة، انتبه كي لا يصيبونني من داخل القناة.
- يمكنهم النيل منك وسط الجادة.
- لا تتحرّك من الخندق، أطلق رصاصك بين «**الخندق**» و«**القصب**»، وانتبه من القناصة!

زحفت عدة أمتار كي أصل إلى يمين الجادة، كنت أريد أن أصل إلى رشاش «**غرينوف**» وأتمترس هناك.

كان العدو يطلق ناره من جانب القصب والقناة على كل كائن متحرّك.

حين وصلت الى وسط الجادة نهضت متّجهًا صوب الـ«**غرينوف**» على بعد حوالي عشرة أمتار. كنت أهرول مسرعًا حين أُطلقت النار

علـيّ، فيما كان «**سالار**» يرمـي العراقيين داخل القناة، أحسست فجأة أنّنـي صـرت أقصر قامـة في الجهـة اليمنى من جسـدي، وقعتُ على الأرض، نظرت؛ لأرى ما الذي حلّ بـي، فكانت الصدمة: عظام ساقي اليمنى قـد تهشّمت، أصابـت رصاصة أعلى رسغ قدمـي اليمنى، كان مفصـل القـدم سالماً وكذلك مشطها. لكن لحم السـاق قد تقطّع إربًا إربًـا. حوالـي الثمانية سنتيمتـرات من العظام في أعلـى المفصل قد تلاشـت بالكامل. كان كَعبُ قدمي معلّقًا بالقليل من الجلد والأعصاب. بسبب تهشّم العظم، كانت قدمي تميل مرخيّة، ونزيف دمها لا يتوقّف. أظـنّ أنّ العراقيين قد تصوّروا أنَّي قتلت حين سقطت أرضًا؛ لذلك لم يتابعـوا الرمي بغزارة نحوي، زحفتُ ببـطء ساحبًا جسدي نحو القناة على يسار الجادّة.

حيـن شاهد سالار إصابتـي، قام بمساعدتي، لم أصـدّق بأن أفقد قدمـي في هكذا ظروف، فـالآن أحتاج لقدمي أكثر من أي وقت مضى. عندما أصيبت قدمي فَارَ الدّم منها كالشلّال، فامتلأ حذائي العسكري دمـاً، لم أكن أعلم ما ينبغي فعله، تداخلـت أفكاري وتشابكت، وراحت فـي كلّ اتّجاه، صرتُ أفكّر بأبي، وإخوتـي، وأخواتي ورفاقي، وجعبتي، وكاميرتي، ودرّاجتي الهوائية.

لـم أكـن أرغب مطلقاً أن أقـع بيد الأعداء وأنا مقطـوع القدم على هذه الحال، لـم يكن هناك سبيل للنجاة من هذا الوضع، صرت أفكّر: «**لحظـات قليلـة ويأتي العراقيـون ويخلّصونني مـن كل هذا، بطلقة واحـدة، لـم تَـرُقْ لي الشهـادة بهـذه الطريقة، فـإن كان لـي نصيبب الشَّهادة، فلتكن بالقرب من الرفاق أثناء المقاومة**».

كان قلبي يغلي ويفور، كان «**سالار**» قلقًا عليّ، فلا رصاص لديه ليطلقه، ولا قدرة لي على الحركة. قال لي:

- «ماذا أفعل لك؟ لا يمكنني سحبك إلى الخلف».

- «أعرف أنّه لا يمكنك أن تفعل لي شيئاً، فقد سيطر العراقيّون على كل المنطقة».

- «لا يمكنني أن أتركك هكذا وأمضي».

- «سيصل العراقيون، وإن لم تذهب فستقع في الأسر».

- «أنت على هذه الحال، لا رصاص لديك، لا سلاح، ماذا سيحل بك؟

- «لا رصاص لديّ لكنّ جدّي موجود».

- «ضميري لا يسمح لي بتركك»».

كنت أسمع أصوات العراقيين وراء الخندق، وهم يُنشدون معًا ويهتفون لصدّام: «**بالروح بالدم نفديك يا صدّام**».

أدركتُ موقف «**سالار**» وقَلَقه، كان مستعدًّا للمخاطرة بروحه لأجلي، في تلك اللحظة بين الموت والحياة، أخذ رأسي وضعه على صدره وبكى.

استمرّ النزيف في قدمي، وسالت دماءٌ كثيرة، واعتقدت أنني مفارق الحياة، وأصوات العراقيين المسرورين تزداد وتقترب، لم يكن لديهم الجرأة على الاقتراب أكثر، مع أنّ الشباب قد استشهدوا جميعًا، لعلّ العدو كان يظنّ أننا نصبنا له كمينًا خلف «**خندق الرّمي**».

نهض«**سالار**» واقترب مراتٍ من الخندق وأطلّ من بين القصب وقال لي: «**اقتربوا كثيراً، لقد أحاطوا بالخندق**».

لم أكن أرغب في أن يتأذّى «**سالار**» بسببي، أردتُ أن يرحل بسرعة، حين جلس بجانبي قلت له:

- «**لا تبقَ هنا. أقسم عليك بحق جدّي أن ترحل بسرعة**».

أغرق العراقيون الخندق بوابل رماياتهم، كانت القنابل اليدوية تنفجر خلف الخندق.

في الدقائق الأولى لإصابتي كان ألمي خفيفًا، حين أصابتني الشظيّة في البداية لم أشعر بشيء، بدأ الألم يشتدّ تدريجيًّا، إلى أن وصل إلى عظامي بعد حوالي الربع ساعة، عدتُ أصرُّ على «**سالار**» أن يذهب.

كان هو نفسه يعلم بأن لا سبيل له سوى الرحيل، وأنا كنت أعلم أن الأسر ينتظرني. كان «**سالار**» يعرف ما الذي أريد أن أفعله، كان يصلنا صوت القائد الذي كان يتكلّم عبر اللاسلكي من بعيد، ولا أحد يُجيبه، كان صوت «**ربّاني**» قائد «**كتيبة الشهداء الخاصة**»، تلك الكتيبة التي عملتُ فيها «**دليلاً**» في يوم من الأيام، كان جهاز اللاسلكي الخاص بالكتيبة مرميًّا على بعد خمسة أمتار مني، كانت كلمات «**ربّاني**» تتردّد في ذهني:

- «**تكلّم يا قاسم، ماذا حصل في الجادة؟ قاسم، قاسم طالب! تكلّم يا عزيزي قاسم، قل لي ماذا حدث؟ أنتم الآن في أيّة نقطة على الجادة؟ قاسم، قاسم قاسم، طالب قاسم هل تسمعني؟ ثم قال بصوت حزين: «هل يعني هذا، أنهم قد استشهدوا جميعًا؟ ... هل من أحد يسمعني؟ يا ويلنا بقينا أحياء! هل نعود لنقول: الجميع استشهدوا، ونحن بقينا أحياء... قاسم**».

سمعت صوت بكائه في اللحظات الأخيرة قبل أن ينقطع الاتصال،

كان ذلـك الصـوت الوحيد الـذي سمعته مـن الخط الخلفـي [مركز القيـادة]. كـم تمنيـتُ أن أزحفَ بمـا تبقّى لي مـن قـوّة وأجيبه عبر اللاسلكي، وأحدّثه بما وقع اليوم في جادة الخندق، أقول له كيف صَمَدَ الشبـاب اليوم وحاربـوا برجولة، واستشهدوا في طريـق الحسين، كم تمنّيت ومن كل قلبي، أن أروي له كيف استشهد كلّ واحد من الشباب[1].

كان «**سالار**» يعـرف أن لا خيـار لي سـوى انتظـار العراقيين، إنها لحظـة قاسيـة، أن يبقى الإنسـان جالساً منتظراً عـدوّه. كان يتملّكني شعـور «**الفراشـة التـي وقعت في شبـاك العنكبـوت وتنتظـر أن يأتي ليلتهمها**». مشى «**سالار**» نحو القصب ليقفز في مياه المعبر، حين كان يزيح القصب بيديه ليعبـر، عاد والتفت إليّ، نظر والتردّد يملأ كيانه: أيذهـب أم يبقى؟ بقاؤه كان يثيرني ويؤذينـي أكثر، كان صعباً عليه أن يتركني ويرحل، حين رمى بنفسه في الماء تنفّست الصعداء[2].

لم أكـنْ لوحدي؛ بل كان الشهداء بالقرب منّـي، لم تسنح الفرصة لنقلهـم إلى الخطوط الخلفية، لا أدري كيف منحني بقائي بالقرب من الشهـداء كل هذا الشعـور بالطّمأنينة. قلت في نفسـي، سنقع معًا في الأسر، أنا والشهـداء، لا أعرف إن كانت هذه الفكرة قد جاءتني كوني وحيدًا، أو من كرهي للأسر، أو من استنكاري لحالتي: لمَ ينبغي أن أقع أسيراً من بين كلّ هؤلاء الشباب؟!

كانـت الأفكار العجيبة تأخذني يمنةً ويسرةً. اشتدّ ألمُ قدمي كثيرًا،

(1) بعد ما تحرّرت من الأسر، عرفت أنّه كان «**محمد كريم ربّاني**» قائد «**كتيبة الشهداء الخاصّة**».

(2) حيـن تحـرّرت من الأسر كنـت أظن «**سـالار شفيع نجـاد**» لا يزال حيّـاً، تقصّيت أخبـاره فعرفت من «**محمود داربام**»- الذي كان من بلدته - أنّه استشهد في جادة «**الخندق**».

أردت أن أُخــرج قدمي من الحــذاء العسكريّ، فلــم أستطع، كان كعب قدمي عالقاً في الحذاء ومعلّقًا بالجلد دون العظم المهشّم، كان الحذاء يُثقـل قدمي إلى درجة أحسستُ معها بأنّــي أختنق ولا أستطيع أن آخذ نفسًا واحدًا، كان الحذاء مليئًا بالدماء، وكانت العظام تَظهرُ من فوقه مهشّمــةً. يجب أن أُقنع نفســي لتستوعب بأنّي واقعٌ في الأسر لا محالة، حاولتُ في تلك اللحظة أن أقطع كل ارتباطٍ لي بهذه الدنيا، كان صعبًا أن أتوقّـف عـن التفكير بالعائلة والمتعلّقات الأخـرى، وكأنني كنتُ من الذيـن لم يستعدُّوا حتى ذلك الحين للشهادة، كانت علاقاتي وتعلّقاتي تستعرض نفسهـا أمامي. كلّ ما أملك في هــذه الدنيا «**دراجة هوائية 28**». تذكَّـرتُ حين رجعت في إحدى المرّات من الجبهة، بعد أشهر من الخدمة، أيّامًا جميلة كنتُ قد قضيتها مع أخي «**السيّد شجاع الدين**»، وكان معه درّاجة 26.

كانــت كاميرتي والعديد من الصور التي التقطتها البارحة، لا زالت في الخنــدق. هذا الخندق الذي سقط الآن بيــد العراقيين. كان عليَّ، ولكـي أستطيع تسليم الــروح بشكل سهل، أن أقطــع كل تعلّقاتي، بأبي، بعائلتي، بنفسي، بدرّاجتي، بصوري، برفاق الدراسة، بحيّنا، وشارعنا، بملعـب كرة القدم الترابي، ببستان الرمّان، وبـ«**حسن**» أعزّ أصدقائي. لقّنت نفسي أنّني لن أرى عائلتي ورفاق الجبهة والدّراسة مجدّدًا.

كانــت معلوماتي حول حِقدِ العدو على شباب الحرس والتعبئة توحي لــي بأنّ الجنــود العراقيّيــن سيطلقون عليّ رصاصــة الخلاص بمجرّد رؤيتي، كأنّ صوتًا من داخلي كان يردّد هذا الكلام، تيقّنت أنهم لا شكّ سيقتلونني، هذا اليقين خفّف من العبء الذي كان يُثقل قلبي؛ لأن قتلاً

كهذا يليق بأسيرٍ تعبويٍّ جريح، وأنه هكذا ينبغي أن أُقتل، فهذا قدري. بهذه الأفكار أصبحتُ على استعداد لمفارقة الحياة.

كنت أنظر إلى الخندق، وإلى الجادة، وأنتظر وصولهم، أمسكتُ كعب قدمي الجريحة بيدي اليمنى، فيما اعتمدت على يدي اليسرى؛ كي أستلقي على الأرض، وأبدأ بالزّحف داخل القناة، نحو الخندق الصغير الذي يفصلني عنه حوالي15 مترًا.

كانت يدي مضرّجةً بالدم المتخثّر، وكذلك كانت بذلتي العسكرية معفّرة بالدّم والتراب، لدرجة تلوّنت معها بلون داكن، وأصبحتْ كالخشب اليابس. أردتُ أن أقوم بعمل ما، ولو في لحظاتي الأخيرة، سحبتُ نفسي زحفًا لأمتار وأمتار، محاولاً الوصول إلى رشّاش الكلاشنكوف الوحيد المرميّ على الأرض، والخالي من الرصاص، قرب جسد أحد الشهداء، لأرميه داخل المعبر المائي كي لا يغنمه العدو. أرهقني الألم الشديد وزاد الانتظار من عذابي، كلّ حركة مني، كانت تُضاعفُ وَجَعِي؛ حيث كان عظمُ ساقيَ الكسير ينغرس في اللحم كسكين حادٍّ داخل جُرحي. استبدّ بي العطش ويَبِست شفتايَ؛ فالحرارة شديدة لدرجة تكاد تسلخ معها ظاهر الأرض عن باطنها، كنتُ بالكاد أستطيع جمع لُعابي (ريقي)، فلا يصل منه شيئًا للساني الجاف. لم أعد أَقوى على تحريك قدمي لشدة الألم؛ فكلّ حركة بسيطة كانت تضاعف الوجع لدرجة أكاد أغيب عن الوعي متمنيًا الموت.. حتى الآن لا أثر لجنود العدوّ.

جمعت كل الوثائق والبطاقات والصّور التي كانت معي، وفي اللّحظات الأخيرة، حفرت التراب إلى جانبي ودفنت فيه: بطاقة هويتي،

بطاقــة دورة التدريب، بطاقــة إنهاء دورة تخصّصية فــي المتفجّرات والصــادرة عن مقرّ النّجف الأشرف فــي كرمانشاه، صور أبي وإخوتي الثلاثة معي: «**السيّد هدايـت الله، والسيّد نصرت الله، والسيّد قدرت الله، وكذلـك صـور السيـد هدايـت الله، والسيد نصـرت الله باللباس العسكـريّ للحرس الثـوري، وسبعمائـة وخمسون تومانًـا، ثمّ رميت** «**البـلاك**»[1] في مكان قريب، حتى إذا قتلني العراقيّون الآن، فسيُعرف مكان شهادتي في يوم من الأيام».

دفعتني شدّة العطش إلى محاولة الشّرب من المعبر المائي القريب، لم أعد أستطيع تحمّل العطش، فلو وُضع الألم في كفّة ميزان، والعَطش فــي الكفّة الأخرى لتساويا. لم يكن ماء المعبر صالحًا للشّرب. مستوى المـاء كان منخفضًا عن الجادّة حوالي المترين، تحمّلت الألم وزحفت نحـو القَصَـب والمـاء، ساحبًا قدمــي المعلّقـة بساقي، أخـذتُ خُوذةً معدنيّــة لأحد الشهداء من داخل حقل القصب، لكن يدي لم تصل إلى ماء الجزيرة، حاولت أن أُنزِل الخُوذة؛ لآخذ غرفة ماء، لم أستطع، فلو تقدّمــت أكثر لوقعت في الماء وغَرقتُ. تَسَبَّبَ الضعف الشديد بأن تقع الخوذة من يدي، وتعوم بعيداً في مياه الجزيرة.

تمكنــت بصعوبة بالغة من الاستــدارة والعودة، انفجرت عدّة قنابل يدويّــة بالقرب منّي، كان العراقيّــون على بعد أمتارٍ من الخندق، كانت الساعــة الثانية عشــرة والنصف، عيناي ترصــدان الطريق أمامي، لا أعلـم متى يصلُ العراقيّون إليّ. جلســتُ خلف مستديرة «**تشراغتشي**»

(1) قطعة معدنية يحملها المجاهد وتتضمّن رقمًا متسلسلاً يعرِّف عن هوية صاحبه لدى الجهة العسكرية التي ينتمي إليها.

مقابـل موقع «**بيت اللهـي**»، وضعت يديّ خلفي علـى الأرض كي أستند عليهما.

كانت عيناي مركّزتان على حافّة الخندق، حين ظهر فجأة ثلاثة أو أربعـة جنود عراقيين، صعدوا إلى أعلى الخندق، أدركت من نظراتهم أنهـم خائفون مـن مفاجأة تظهر عليهم من خندقنـا، رموا عدة قنابل يدويّـة على بعد حوالي عشرة أمتار منّي. أصابت شظية إحدى القنابل يدي اليمنى، رآني أحدهم فصوّب رشّاشه عليَّ صارخًا:

- «**لا تتحرّك**»

تابع وأنا أنظر إليه:

- «**ارفع يديك**»

رفعت يديَّ، فقال بصوتٍ مرتفعٍ:

- «**ارمِ سلاحك**»

لم يكن معي سلاح حتى أرميه، تابع الجندي الذي كان يحمل رشّاش «**غرينوف**»:

- «**يلّلا، تقدّم، بسرعة....**».

كرّر هذه الكلمات كثيرًا إلى درجة أنّها ما زالت في ذهني حتى الآن. أظنّ أنّه كان لصمود الشبـاب تأثيره الواضح عليهم؛ ليردّدوا عشرين مرة: «**ليش ما تسلّموا أنفسكم؟!**».

كنـت قد ألقيت سلاحي في مياه المعبـر، تقدّم جنديٌّ آخر ونصب العلـم العراقيّ فوق حافّة الخندق، لا تزال صـورة الجنديّ الأوّل الذي أسرني محفورة في ذهني، شابٌّ نحيل الجسم، غائر العينين، ذو بشرة سمـراء، يرتدي بذلة مرقّطة، لا زلت أذكره، وأذكر الخال الأسود على

جبهته، كانــت بذلته العسكريّة متّسخة وغير مرتّبــة، أطلق حولي عدّة طلقــات، وكأنّه لم يكن يريــد قتلي، كنت صامتاً. لم يكن قد رأى قدمي المجروحة، وكرّر للمرّة الثالثة:

- «**يلّلا قم...**».

كرّر: «**لا تتحرّك**»، محاولاً أن يُفهِمني أن أضع يديَّ على رأسي، كم كان قاسيًــا وصعبــاً علــيّ أن أرفع يديّ، هذه الحركة هــي الأصعب لأيّ جنديّ في أيّ مكان مــن العالم. حين رفعت يديّ أحسستُ أنّ عنفواني العسكريّ قد انكسر.

فــي تلــك اللحظة، انكســرتُ أمــام العراقيين، وأمــام نفسي، حتّى أنّنــي شعرت بالخجل من الشهــداء الممدّدين بالقرب منّي، تخيّلت أنّ أحدهم يقول لي: «**يا سيّد ما لك وللأسر؟!**.

حيــن كانت يــداي مرتفعتيــن، انتابني شعــورٌ بالحقــارة، إحساس بالاستســلام، وبأنّني قد أخفقتُ وفشلت، كنت أعتبر الأسر في الحرب ذنباً، وها أنا أرتكب هذا الذنب.

كلّما استشهد واحد من رفاقــي، كنت أفرح له، وكلّما أُسر أحدهم، كما حصل مع «**كاووس محمدي**» في عمليّات «**نصر 4**» في كردستان، كنت أنزعــج وأقول في نفسي: كان عليهــم أن يقاتلوا حتى يستشهدوا، ولا يجب أن يقعــوا في الأسر، حين أُسرت اجتاحني إحساس أن البقيّة يشعرون بهذا الشعور تجاهي أيضًا.

استولــى عليّ إعياء شديد من النزيف والعطش والحرارة المحرقة. كانــت رطوبة الهــواء تزيد من عذابــي ومن شعــوري بالاختناق وضيق التنفــس أكثر فأكثــر. حتى كأن الهواء قد خلا مــن الأوكسيجن، تجمّع

البعوض والنمل حول قدمي المجروحة؛ لمصّ الدم منها، لم تعد تُسمع أيَّة طلقة رصاصٍ على طول جادّة الخندق.

كانت يداي لا تزالان إلى الأعلى حين صوّب الجندي العراقي سلاحه نحوي، وحاول إفهامي بالإشارة بأن أقوم وأتقدّم نحوه.

أشرت بيدي إلى قدمي؛ لأُفهمه أنّني جريحٌ ولا أستطيع التحرّك، اقترب منّي أحد الجنود، وكان أسمر اللون ومتوسط القامة، ضربني بسلاحه على صدري ملقيًا بي على الأرض. كنت قلقاً على قدمي، كي لا تتأذّى أكثر مما هي عليه. سحبني الجنديّ من كتفي، وأرغمني على الجلوس، كانت يداي مرفوعتين، ورأسي منخفضًا؛ كي لا يقع نظري عليه. قام أحدهم بربط يديَّ من الخلف بواسطة سلك هاتف صحراويّ، كانت لحظة مؤلمة وصعبة عندما كان الجنود العراقيّون - ثلاثون أو أربعون جنديًّا - يمرّون بالقرب منّي في طريقهم إلى «**تشراغتشي**»، وراحوا يسلبون الشهداء أغراضهم الشخصية: ساعاتهم اليدويّة، خواتمهم، سُبحاتهم، وأموالهم، وكل ما حوته جيوبهم.

اختلف اثنان من الجنود حول تقسيم أغراض الشهداء، كانوا يقسّمون المال فيما بينهم(1).

كان بعضهم ينهب أغراض الشهداء، ثمّ يطلق النار على أجسادهم الطاهرة. أذكر أنّ أحدهم أفرغ مشط سلاحه بكامله على وجه وجسد شهيد، وكان قد سلبه للتو ماله، وصور زوجته وأولاده، كان اسم ذلك الشهيد «**حياة الله**»، وهو من أبناء بلدتنا، وهو من أتراك «**وادي**

(1) علمتُ فيما بعد ، في معسكر تكريت، من أحد الحراس العراقيين، ويدعى «**سامي**» أنّهم كانوا يصرّفون المال الإيراني بالدينار العراقي من مصرف كويتي في شارع حيفا في بغداد.

شوري»، وكان أباً لثلاثة أولاد. كان العراقيون يتبادلون النظر إلى صور أولاده. كان جثمان الشهيد «**جهانكر رنجبر**» ملقىً على بُعد أمتار منّي، كان «**رنجبر**» متأهّلاً أيضاً، ولديه ولدان، كان بإمكانه البقاء في «**تشراغتشي**»، وعدم التقدم إلى الأمام، وكان سينهي خدمته العسكرية بعد عشرين يوماً، لكنّه تقدّم وقاوم برجولة واستشهد مظلومًا.

بدأت أشعر بدوارٍ في رأسي وبضعفٍ شديدٍ. سحب أحد الجنود، وقد كان نحيلاً وقصيرَ القامة، أقسام سلاحه وصوّبه تجاهي قائلاً:

- أأقتلك؟

فضّلت أن أنظر إلى حقول القصب على النظر إلى وجهه.

كانت عيون بعضهم مليئة بالحقد والكراهية، وحين كنت أنظر إليهم كانوا يزدادون وقاحة وقسوة، كانوا يشدّونني بشعري لإرغامي على النظر إليهم، حدّقت إلى الأرض؛ كي لا تستفزّهم نظراتي أكثر.

آلمني مرفقي كثيراً عندما تلقيت عليه ركلة من أحد الجنود. صوّب أحد الجنود بندقيّته نحوي، شعرت أنه جادٌّ ويريد قتلي بالفعل. كان يصرخ ويشتمني باللغة العربية، وبصوت مرتفعٍ، لدرجةٍ شدّ أنظار الجميع إليه.

كان غاضباً جدّاً، أغمضتُ عينيّ، وتلوتُ الشهادتين بانتظار رصاصة الخلاص. أعتقد أنّه انتبه إلى أنّني غير خائفٍ من الموت، توكّلت على الله، ورغبتُ بأن يفهموا ما أقول، ويعرفوا أن الحياة الآن بالنسبة إليَّ لا تعني سوى الألم والقهر، كنتُ أعرفُ أيّ مصيرٍ صعب ينتظرني، أفكّر بالتّعذيب والآلام، والإهانات الملازمة للأسر. لم يكن قلبي يرغب بالبقاء على قيد الحياة. جلس الجنديّ إلى جانبي،

أمسكني بشَعري، رفـع رأسي، كان أسلوب نظرته إليّ يوحي أنّها المرة الأولى التي يرى فيها إيرانيًّا. تجمّع حولي الكثير من الجنود العراقيين، وكانوا يحدّقون بي، ولم يتركونني إلا بعد أن زَجَرَهُم أحد قادَتِهِم لترك المـكان. وصل بعض الجنود الجدد، قـام أحدهم بتمريغ وجهي بتراب حذائه، دخل التراب إلـى عينيّ، لكم رغبت أن تكون يداي حرّتين؛ كي أستطيع مسح التراب عن عيني. كانوا يتبادلون الكلام فيما بينهم، وقد بقيت في ذهني بعض الكلمات والشتائم؛ لأنّني سمعتها فيما بعد كثيرًا فـي «**العمارة**»، وفي «**بغـداد**». قال أحدهم، وهـو متوسط السن: «**لعنة الله عليكـم أيهـا الإيرانيّـون المجوس**»، بينما قـال آخر: «**الإيرانيّون أعـداء العـرب**»، وسألنـي أحد الضّبّـاط، وكان مؤدّبًـا حسب الظاهر: «**ليش إجيت للحرب**»؟

حين لم يسمع منّي أيّ جواب صرخ قائلاً: «**أأقتلك**».

كانـوا يفرّغـون ما في داخلهم مـن خلال تلك الكلمـات والشتائم. حاول البعضـ. من أصحاب الضّمير. أن يُقنعوا البقيّة بتركي وشأني، وعـدم إيذائي، أمسـك أحد الضّبّـاط مسدّسه، وكانت يـده مضمّدة، صوّبه ناحيتي وقال: «**أأنت حرس الخمينيّ؟**».

لم أقل شيئاً، فتابع، «**أأنت جيش شعبيّ[1]؟**»

كان واضحًـا أنـه حاقدٌ بشـكل خاصّ علـى قوات الحرسـ الثوري والتّعبئة. حين دقّق الضابط في ملامحي، قال للجنود المحيطين به:

-«**لا هذا مو جندي مكلّف**»، ويقصد بأنّني لست من مجنّدي خدمة العلم.

(1) يقصد قوّات التعبئة.

أمـر الضابط الجنـود بتفتيش جيوبي، كنت أرتـدي قميصًا أخضر كوريًّـا ذا جيبتيـن، فتّشـوا فلم يجدوا شيئًـا. لفتت ساعتـي نظر أحد العسكريّيـن[1]، كان عليـه أن يفكّ قيدي حتى يُخـرجَ الساعة من يدي، حين فـكّ السِّلك تنفّست الصعداء، لقد كان لـون يديَّ داكناً من شدّة ضغـط السّلـك عليها. أمسـك ذلك الجنـديّ الشّابّ بيـدي؛ كي ينزع الساعة، فأشرت له بيدي أنّني سأعطيه إيّاها، لكنّني أمسكتها ورميتها في المياه، كنت أعرف عاقبة هذا العمل، لكنّني لم أكن أستطيع تحمّل رؤية ساعة أخي في يد قاتليه.

فـي تلك اللحظات لـم أكن أفكّـر إلّا بهذا الأمر، لم يكـن مهمّاً لي ردَّة فِعلهـم، رميتها وليكـن ما يكون. لهذا الجنديّ الحـقّ بأن يغضب، كان غضبه شديـدًا لدرجة أنّه ركلني على جبينـي، وضربني بأخمص سلاحــه علـى كتفي، وحيـن تَفَلَ في وجهـي، شعرت بأنّـه أفرغ عقدته النّفسيّــة قليـلاً. انتابني شعورٌ جيدٌ لِمَا قُمتُ بـه. في تلك اللحظة كان أخي يجول فـي خاطري، ويقول لي: «**ناصر! كيـف وصلت ساعتي إلى أيدي البعثيين؟؟ كان صعبًا عليّ أن أراهم وقد أخذوا ساعة أخي.!**

أعـاد أحـد الجنود تقييد يـديّ مجـدّدًا، خفّ الازدحـام قليلاً من حولـي، كان العراقيـون يعبـرون بالقرب منّـي ويتابعـون سيرهم نحو «**مثلّـث المحـور**» و«**تشراغتشـي**». اختلف اثنان مـن العسكريين حول قتلـي، فأحدهم، وبمجـرّد أن رآني، لقَّم سلاحـه وصوّبه نحوي. منعه الآخـر من إطلاق النار، وأمسك سلاحـه ورفعه نحو الأعلى، فيما كانا

---

(1) فـي صيـف العـام 1985م، ذهبت أنا وأخي السيـد «**هدايت الله**» للسّباحة قرب جسر «**بريـم**» على بعد 7كلم من «**باشت**»، غطس أخي فوجد ساعة «**السيتيزن**» في الماء،وبعد سنتين بادلت معه ساعتي بتلك الساعة، وبعد شهادته حاولت أن أحتفظ بها للذكرى.

يتبادلان الصراخ، ولم أفهم من كلامهما سوى كلمة واحدة:

- «**خالد، خالد، لا ترمِ**»[1].

كان «**خالد**» هذا جادًّا في قتلي، وكأنّه لم يكن من النوع الذي يتراجع بسهولة، كان الحقد الدفين ظاهرًا في سلوكه، صرخ بي العسكريّ الذي عرفت أنّ اسمه خالدٌ، قائلاً: «**أنت قاتل أخي**»! هذا ما فهمته من كلامه، ولكي أُفهمه بأنّ أخي قد استشهد في الحرب على أيديهم، كرّرت ما قاله: «**أنت قاتل أخي**».

يبدو أنّ أخاه قد قُتل في الحرب، ولهذا كان غاضبًا ومُستَاءً لرؤية الأسرى الإيرانيّين. أصرّ العسكريّ الآخر على ردعِه، قائلاً له: «**اتركه، إنّه شاب، وهو جريح...**».

انتهى السّجال بينهما عندما أطلّ عقيدٌ، وأمرهما بترك المكان فورًا.

كنت أنظر بعين الحاسد للشهداء المفترِشين الأرضَ من حولي، كانت أجسادهم التّرابيّة بالقرب من مياه «**جزيرة مجنون**»، وأرواحهم الطّاهرة في ضيافة الله، كنت أرى كيف انتهى أمرهم بحسن العاقبة، وأقارن وضعهم بما أنا عليه.

تجمّع حولي عددٌ من الجنود السودانيين. كان سلوكهم جيّداً، قال

---

(1) استنتجتُ أن البعثيين العراقيين كانوا يرغبون عندما يوجّهون أسلحتهم إلى الأسرى الإيرانيين أن يشعرَ هؤلاء بالذلة، ويلتمسوا منهم الصفح والعفو، هذا الأمر الذي كان ظاهراً بشكل واضح عندما يقع العراقيون أسرى، فتراهم يرفعون أصواتهم «**الموت لصدام ودخيل الخميني**» خشية الموت. وكذلك يخرجون ما لديهم من صور وتذكارات لأولادهم وزوجاتهم وصورهم في مقامات الأئمة عليهم السلام في النجف وكربلاء والكاظمين، ويقدموها للجنود الإيرانيين ليطمئنوا إليهم ولا يعرضونهم للموت، مع أن عادة جنودنا لم تكن كذلك، وقد شاهدت هذا السلوك الذليل مرّات عدة في الجبهة، على الرغم من أنه كان من بينهم من لا يبالي، ويبقى صامتاً، ولا يرفع شعارات الذمّ بصدام، وهؤلاء كانوا قلّة.

لـي أحدهم: «**أنا سودانـيّ**»، وكأنّه يريد أن أميّـز سلوكهم الحسن عن وحشية البعثيين العراقيين.

كانت ملامحهم مختلفة عن العراقيين، أعطاني أحدهم حبّة علكة (لبـان)، وهو أصغر سنّاً من الباقين، ومع معرفتي بأنّهم لا يفهمون ما أقول، سألتهم: «**أنتم السودانيّون، ما الذي تفعلونه هنا؟**».

أظنّ أنّهم أدركوا قصدي، فتركوني ومَضَوا.

كنـت أدعـو الله ألّا يحرّكوننـي من مكاني، فقد كانـت الجعبة التي بحوزتـي عراقيّة. كانـت الجعب والأحزمة التي مـع ضبّاطهم خضراء اللـون، وذات نوعيّة جيّدة. كانت يـداي مقيدتين، انحنى أحد الجنود، وكان حزامـه رمـاديّ اللـون، سحـب منّـي الحـزام وأتبعـه بالشتائم والسّبـاب، فهمتُ فـوراً أنّه يقـول: «**لقد أخذت هـذا الحـزام من أحد الأسرى العراقيين؟!**»[1].

بيـن جمع العسكريين الذين مرّوا بالقـرب منّي، كان ضابطٌ تظهر علـى كتفيه نجمتان بلون أصفـر لامع، وقف بالقرب منّـي وقال: «**سبّ (اشتم) الخمينيّ**».

قـام مرافقـه بتوجيـه ماسـورة سلاحـه إلـى هامتي، وكـرّر كلام الضَّابط.

فهمـتُ ما يقـول. حين كان العراقيـون يلفظون اسـم الإمام، كانوا يقصـدون توجيـه الإهانة، وليسـ شيئًا آخر. قبل أن آتـي الى الجبهة،

(1) لقـد أعطاني هذا الحزام، أحد الضباط العراقيين الأسرى، وكان ذلك في صيف العام 1987م. عندما قدمـت لـه معلّبات سمك وخبز. لقد استعملـت هذا الحزام لأكثر من سنة وقد سرّنـي أن يعود إليهم. فيما بعد، وفي مرحلة الأسر حين كنت في مستشفى الرشيد في بغداد، حكيت هذه القصّة لـ«**نصر الله غلامي**» من شباب بوشهر، فقال لي يومها، وعَلَتْ وجهه ابتسامة: «**الرزق الحلال يعود لصاحبه**».

كنــتُ قد سمعتُ نماذجَ من قصص تتحــدّثُ عن صلابة بعض الأسرى الإيرانيّيــن، ممّــن كانــت ذكرياتهــم تُــروى لنا. لــم أنسَ الصّرخات المدوّيــة للأسير «**محمد شهسـواري**» من أهالي «**كهنـوج**» في كرمان، حيــث أُسر فــي عمليات «**بدر**»؛ هتــف وسط البعثيين: «**المـوت لصدام، عدوّ الإسلام**».

ولم يغب عــن بالي الكلام الحازم للأسير «**علـي رضا رحيمي**» من «**شوشتـر**»، والذي قُطعـت رجله في المعركة، وقــال للمراسلة الهندية السّافرة [ترجمة بيت شعر]:

«**لك أيتها السيدة من فاطمة وصية: حفظ حجاب المرأة أفضل زينة**».

امتناعي عن شتم الإمام، أغضب الضابط، فشتم هو الإمام، كانت أصــوات تهليل الجنود العراقيّيــن وسرورهم تزيد مــن عذابي وألمي، رَكَلَنــي أحد الجنــود برجله في صــدري. كاد نَفَسِي ينقطــع من الألم، رمانــي أحدهــم بالمعلّبات الفارغــة، وقشور الفاكهة. كنــت أدعو اللّه أن لا يضربوننــي علــى قدمي. أمســك أحد العسكرييــن برقبتي، ورفع رأســي، ثمّ تَفَــلَ في وجهي، وصفعنــي بشدّة. تقدّم آخــرٌ، وكان ضخم الجثّــة، رَكَلَ قدمي الجريحة بحذائه العسكريّ، لــم أستطع عندها أن أمنــع نفسي من التــأوّه. ضمّت تلك المجموعة عــدداً من المتوحشين، واختلفــت بذلاتهم العسكرية عن غيرهم. أظنّ أنهم من قوّات الحرس الجمهوريّ. صرختُ من شدّة الألم، كنت أستحي من الشهداء.

رَبَطوا عِصابة على عينيّ، بعد أن أمرهم الملازم بهذا الأمر، فبقيتُ حوالــى الساعة أتعرّض للضّرب والتّعذيب من أشخاص لا أراهم، أظنّ

أنّهـا كانت الساعة الثالثة والنصف بعـد الظهر، عندما فكّوا العِصابة بنـاءً لطلـب أحد قادتهـم. بعدها بأيـام، وبعد أن تعرّفـت على رتبهم العسكريـة، عرفت أنّه كان لواءً. لم أكـن أفهم ما يقول، كان يحيط به عـددٌ من العقداء والضباط. أعتقـد أنّه كان من القادة الأساسيين في عمليات الجزيرة، لم يكن التعامل معي عنيفاً أثناء حضوره[1].

شعـرت بالارتياح، حين فكّوا قطعة القماش عن عيني، كان العطش قـد استبدّ بـي، لدرجة لم يَعدْ لساني يقوى علـى الحركة. كان الطّقس حارّاً لدرجةٍ شعرتُ معها بالاختناق حين قيّدوا يديّ.

حاول بعضُ الجنود التحدُّث إليّ، وإفهامي بعض الأمور. لم أعرف مـاذا يقولـون، شعـرت من أسلوبهـم بأنّهـم يريدونني أن أفهـم أنّهم علـى الحق، وأنّنا على الباطل. حيـن رأوا أنني لا أفهم كلامهم، مضوا وتركوني.

اشتـدّ ضعفي، فتمـددتُ على جانبي الأيمن فـي القناة، حين أردت تعديـل جلوسي الى الجانب الأيسر، لم أستطع الحراك، فقد كانت أيّة حركة تشعرني بألم شديد، بسبب احتكاك العظام المكسّرة عند أسفل ساقي اليمنى. فـي تلك الظروف، تحالف البعوض والذباب والطقس الحـار في الجزيرة مع العراقيّين على تعذيبي وقهري. قمت، وبصعوبة بالغـة، بخلع الحذاء العسكريّ من قدمـي الجريحة، لعلّي أخفّفُ ثِقلها

(1) من الملاحظ أنّه في الخطوط الأمامية والخلفية أنَّ الضباط الذين هم أكبر سنّاً، كان تعاملهم أفضل مـن الضبـاط الشباب. فالكبار كانوا يراعـون الأوضاع الصحية الخاصة، ويلجـؤون إلى العنف بشكل أقـلّ ساعين إلى تحصيـل المعلومات من الأسرى. لا يمكنني أن أنسى أبـداً الوحشية التي عاملني بها الضبـاط الشبـاب. بالطبـع قد يلجأ الضبّـاط الكبار إلى العنـف، إذا علموا أنّ أسيـرًا يرفض إعطاء المعلومات.

قليـلاً. أحسستُ أنّ مشطَ رجلي سينسلـخ مع الحذاء. كان الوجع أكبر مـن قدرتي على التحمّـل، وأطراف العظام المهشّمـة تنبتُ بين الجلد وثنايا جراحات ساقي المحطَّمة.

لم يكن موقع «**الخندق**» قد سقط حتى الآن، كانت القوارب العراقيّة تُنـزل الجنود العراقيّيـن على أطراف الجـادة، كانوا يُفرِغـون المؤَنَ والذخائـر، ومن ثـم ينقلونها الى «**مثلث المحـور**»، ذلك المكان الذي كان، وحتـى صبـاح اليوم، خطَّنـا الخلفي، أصبـح الآن الخط الأمامي للعراقيّيـن. كـم كان صعبًـا عليّ رؤية جنـود العدو وهـم يتنقّلون على «**جادة الخندق**».

تولّـى أحـد الضباط مـن ذوي الرُّتـب، متابعة وضعـي وحراستي، كان رجـلاً متوسطَ السّن، ذا جسـم معتدلٍ، وبشرةٍ سمراء. جلس فوق الخنـدق على بعد حوالى عشرة أمتار منّي، وركّز نظره عليّ، مع أنه لم يبـدُ عليه أنه شخصٌ سيّـئ، إلا أنّه لم يمنـع العسكريّين الآخرين من إيذائي.

وقف اثنان مـن العسكريين بالقرب منّي، كان أحدهما برتبة رائد، وتظهـر شـارة «**العقـاب الأصفـر**» على كتفـه. نظر الرائـد الى وجهي وجراحي ثم قال:

- «**عطشان؟**».
- «**نعم**».

أشار بيده إلى جنديّ، فأحضر له قربة ماء، أخذ الرائد القربة، وأراق بعض الماء فوق رأسي، أحسست ببرودة الماء، كنت أتابع حركة يده حين أفرغ ماء القربة على التراب، أمام عينيّ ولساني اليابس من العطش.

لـم أعرف لماذا قام بهذا العمل، أحنيـت رأسي إلى الأرض؛ كي لا تقع عيناي على منظر وجهه، أشهر مسدّسه، وصوّب نحوي قائلاً:

- «**أنت حرس الخميني، أنت مجوس**».

بقيـتُ ساكتاً، رفـع حذاءه العسكريّ، ودفع وجهـي بقدمه؛ كي أرفع رأسي.

كان شعـره مجعّـدًا، وشاربـه كثيفًا، متوسّـط القامـة، وذا عينين صغيرتيـن غائرتين، نظر إلى وجهي وكأنّه للمـرّة الأولى يرى إيرانيًّا. وضع مسدّسه على جبهتي وقال:

- «**تيس دون قرون! قل: الموت للخميني**».

تصـوّرت أنّه مثل باقي العسكريين، يحـاول إخافتي وإرعابي فقط، بـدا عليه حقـد وكراهية شديـدة، كان غاضبًا جدًّا، وحيـن كان يشتم الإمـام كان يصـرخ وتنتفـخ أوداجه، ومـا يزيد غضبه أنّـه لم يستطع إفهامـي ما يقول، لكـم تمنيت أن أقول له: إنّ إهانـة قائدنا لا تحلّ أيّة مشكلـة. حاولت أن أفهمه أنّ الإيرانيين، لم يجبروا الأسرى العراقيين أبدًا على شتم صدّام، وتوجيه الإهانات له، لكنّه لم يلتفت إلى كلامي.

كان الرائـد يصـرخ مردّدًا (واحـد، إثنان، ثلاثـة)، وكأنّه يعطيني مهلـة كي أقوم بشتم الإمـام، وينتظر قليلاً عند قولـه (ثلاثة) ليسمع مـا سأقوله. حين لقّـم مسدسه، أحسسـت بأنّه فقـد توازنه، قلت في نفسـي: «**إن هـذا يختلف عـن الآخريـن**»، صوّب مسدسـه نحو قدمي، أطلق رصاصة، فأُصبت بذهول شديد. تفاجأت بكلّ هذا، أحسست بأنّ هذا حلماً ليس إلّا، كنت أتصوّر بأنّه سيقتلني، ولكن إطلاقه النار على قدميّ الجريحتين كان مفاجأة من العيار الثقيل.

أطلق رصاصتين على قدميّ، كنت أنظر إليه وأنا لا أصدّق ما يحصل، أردتُ أن أحتفظ بصورة ملامحه في ذهني إلى الأبد أصابت إحدى الرصاصتين عضلة فخذي الأيمن، وأصابت أخرى أسفل عضلة ساقي اليسرى[1].

لم يعترض عليه أحد، ولم يتلق سوى عتاب بسيط من اثنين أو ثلاثة من ذوي الرّتب العليا، مع أنّني لم أكن أعرف اللغة العربية، لكنّني انتبهتُ إلى عبارات التملّق والمداهنة من عسكريين كانوا حوله، وصاروا يشيدون بعمله هذا، أظنّهم قالوا له:

- «**يستحق هذا وأكثر.. إنّ الموت هو جزاؤهم المناسب**»... وأمثال هذه العبارات.

وكأنّه لا شيء مستبعد من هؤلاء. كان الرائد ينتظر ردة فعلي، كرّر:

- «**سُبّ الخميني**».

لم يعد لكلامه أية أهميّة عندي، لم أرَ أحدًا أقسى قلباً منه في تلك الجادة. بعد دقائق، بدأت الآلام تجتاح موضعي الرصاصتين في قدميّ، كنت منهكًا وغاضبًا جدًّا. أردتُ أن أصرخ، شعرت بأنَّ صوتي لا يخرج من حنجرتي، ومع أنّه لم يكن يفهم كلامي، إلّا أني قلت له:

- «**لماذا تطلق الرصاص على قدميّ؟ اقتلني وأرحني**».

ضاعفَ العطشُ وضِيقَ التنفّس من عذابي، والحقّ يُقال، إنّ طاقتي قد نفدت، ولم أعد أستطيع التحمّل. كان السبيل الوحيد لضبط العذاب والضغط الداخلي أن أدعُوَ اللّه بكل وجودي. كرّرت ولأول مرة هذه الجملة من أعماق قلبي: «**إلهي أرحني من كل هذا الألم**».

---

(1) بعد مرور سنوات على ذلك الحادث، لا يزال أثر رصاصتي الرائد البعثي في قدميّ، كنت أتمنى دائمًا أن نتواجه، أنا وذلك الرائد، في معركة متعادلة أكون فيها سليم الجسد.

حين رأيت أنّني لا أقدر على فعل شيء، أطلقتُ على ذلك الرائد كل ما كان في جعبتي من سباب وشتائم.

لم أذكر أنّني شعرت بعطشٍ كالذي أشعر به الآن، وعندما أفكّر بالعطش، أقول في نفسي: «**لو كان عذاب جهنّم كعطش اليوم في جادة الخندق، فأنا متأكّد أنّ من يعطش هنا يكفّر عن كل سيئاته**».

استلقيت على مرفقي إلى جانب الجادة، كان الجنود الذين يمرّون بالقرب منّي يشتمونني بكلمات لا زلت أحفظ بعضها: «**حمار، جاموس، قرد**».

لم يكن لديّ سوى الصّمت جوابًا لسبابهم وإهاناتهم، والتي لم تنته إلّا بوصول أحد القادة، وإعطائهم أمراً بالتحرّك. بعضهم، ممن كان لديه التزام بمبادئ إنسانية، أخبر قائده بالإساءات التي تعرّضتُ لها، وفهمت من إشارات يديه وتكراره كلمة «**الرائد**» بأنه شرح لقائده كيف أطلق الرائد الرصاص على قدميّ الجريحتين. كان يبدو على ملامح ذلك المسؤول، وهو برتبة «**مقدّم**»، أنّ ما جرى أمرٌ عاديٌّ. كنتُ أتصوّر أنّ ردة فعله ستكون إيجابية، وأنّه سينزعج وسيدبّر حلًّا ما لحالتي. كان العطش يستبدّ بي أكثر فأكثر، قلت لأحدهم: «**ألن تسقوني ماء؟**» لم يفهم عليّ، فقلت: «**ماي! ماي!** »كانت شفتاي وشكلي خير دليل على شدّة عطشي.

أعطى أحدهم، وهو برتبة نقيب، أمراً بأن يحضروا لي الماء. شربت قليلاً، فشعرت بأنّي أحيا من جديد، لكن عطشي القاتل لم يرتوِ. أظنّ أنه قال لي من باب الشفقة عليّ: «**أنت جريح، مو زين**». وكأنّه يبرّر عدم إعطائي الكثير من الماء لأنّه يضرّ بالجريح، ثمّ

أوصاهـم أن لا يؤذونني وينتبهوا لي. فهمت من خلال كلماته، وتكراره لعبارة (الأسرى العراقيون في إيران)، بأنّ عنده معلومات عن الأسرى العراقييـن، وكيف تتم معاملاتهم في إيران، فقلت في نفسي: «**لو كان لأيٍّ منهم أدنى معلومة عن وضع أسراهم في إيران، لصار تعاملهم معي إنسانيًّا**». كنت أعرف أن إيـران، بالنسبة للأسـرى العراقيين، بمثابة فنـدق بعدّة نجوم! أعتقد أنّه قال لبقيّة الجنود: «**إنّ الإيرانيين يتعاملون بشكل جيّد مع الأسرى العراقييـن**»، لكن بعـد أن رحل النقيب، لم ينفّذ البقية وصيته.

كنتُ أسيرَ قـوم لم يرحموا يوماً الإمـام الحسين عليه السلام وأصحابه. لقـد أسـروا آل النّبيّ، ولم يتركوا نوعًا من الظلـم إلّا وألحقوه بهم. ها هـي الجادّة التي يحيّـي كل شبر فيهـا ذكرى الرجـال الشجعان للواء «**الفتح 48**»، ترزح الآن تحت نعال البعثيين.

كان هنـاك ما يزيـد عن الثمانيـن[1] جثمانـاً لشبـاب محافظتنا، مرميين في العراء تحت لظى الهجير على تراب جادة الخندق.

كان مع العراقيين في جادة الخندق سيارتا «**تويوتا لند كروزر**»، لا غيـر. لم يتمكّنوا، بسبب الحفـرة أمام موقع «**بيت اللهي**»، من إحضار

(1) فـي ذلك اليوم، ومـن الساعة 3.10 فجراً، إلـى الساعة 4.30 بعد الظهر، سقـط 119 شهيداً على جادة «**الخنـدق**». بينهـم 88 شهيـداً من محافظة «**كهكيلويـة وبوير أحمد**». 7 شهـداء في موقع «**الخندق**»، 112 علـى جـادة الخندق: كانت حصَّة مدينة «**بوير أحمد**» ومدينة «**دنا**» 27 شهيداً بينهم 9 من مفقودي الأثـر (يطلق عليهم في إيران اسم: خالدي الأثر) ولمدينتي «**كهكيلوية**»، وبهمئي،42 شهيداً بينهم 20 من خالدي الأثر. بقيت جثامين 45 شهيداً من خالدي الأثر، مدفونين في الطرقات والمستنقعات التي جفّـت بعد الحرب. في العـام 1999م، سمح العراقيون لفِرق تقصّي الشهـداء ومفقودي الأثر بالدخول إلـى جادة، وموقع «**الخندق**»، حيث تمّ التعـرّف على الرفاة، واللوحات المعدنية لشهداء ملحمة الرابع من تير (25 حزيران) من العام 1988م، ودفنهم فيما بعد كلٌّ في مسقط رأسه.

سياراتهـم إلى جـادة الخندق. كانـت أكثر المشاهد ألمـاً عندما كان العراقيـون يدهسون أجساد شبابنا بسياراتنـا نحن، عندما رأيت هذا المشهـد، استطعت أن أتصـوّر ما حصل في كربـلاء، ففي عاشوراء، داس اليزيديّون الأجساد بحوافر الخيول، وهنا يدوس البعثيون أجساد شهدائنا بالسيارات.

كان خلـف رأسـي، بالقرب مـن حقل القصب، خنـدقٌ صغيرٌ، على أطرافـه عددٌ من صناديق الذخيـرة، الخشبية والمعدنية. بالقرب من الخنـدق، كان اثنـان أو ثلاثة من الشهداء، من بينهـم السيد «**محمد علـي غلامـي**»، و«**عبـد الرضا ديربـاز**»، مطروحين أرضًـا. كان «**عبد الرضـا**» قد أصيب بشظيّـةٍ في رأسه ووجهه، وكان وجهه مهشّمًا بشكل فظيع.

كان الخنـدق الخلفي، المليء بمخازن الذخائر، يبلغ ارتفاعه مترًا، وعرضـه أكثر من متر بقليـل، لا يمكنني الدّخول إليه إلا زحفًا. لم أعد أستطيع تحمّل تلك الحرارة المحرقة، ولا ظلّ يمكن اللجوء إليه للشعور بالهدوء والأمـان. كان العراقيون مطمئنين، فهـم يعرفون أنّني عاجز عن الهـرب أو الحرب. دون أن آخذ الإذن من الضابط الذي يراقبني، أمسكـتُ كعب قدمـي اليمنى، وبمساعـدة يدي اليسـرى، زحفت شيئًا فشيئًـا إلى الخلف، إلى أن وصلت إلى الخنـدق خلف رأسي، كان ألمي شديدًا، ولم أعد استطيع التحمّل، مع أنني قد شربت القليل من الماء، إلّا أن فمي كان جافًّا، كنت أريد أن أتفيّأ في ظلّ الخندق الصغير. الذي استُحدث كمخزن للذخائر. لعلّي أرتاح قليلاً. كانت الخنادق الصغيرة، المليئـة بالذخائـر بالقرب مـن الجادة، مكانًـا لتخزيـن الأسلحة. لا

إمكانيّـة للجلوس داخل هذه الخنادق، لقد خطّطَتْ وحدة التسليح على أن تكون هذه الخنادق[1] بالقرب من الجادة، وقد قاوم الشباب ساعات بالذخيرة التي تمّ وضعها في الأيام السابقة داخل هذه الخنادق.

كنـت أريد أن أتفيّأ بسقف الخندق، وأظلّل وجهي ورأسي به. عندما وصلـت إلى الخندق، كان العراقيّون ينظرون إليّ، لم يكونوا يعرفون ما الذي أريد فعله.

كانـت عظامـي المفتتة، والتي تدخـل في جرحي، تزيـد من ألمي. بدأت عيناي تزوغان من الحرّ، عندما وصلتُ إلى حدود مترٍ واحدٍ من باب الخندق، وضعت كعب قدمي بهدوء على الأرض، وتمدّدت، سحبت نفسـي إلـى الخلف إلـى أن وصلتُ إلى بـاب الخنـدق، فوضعت رأسي تحـت ظلّ سقفه، كان صدري ورأسي يتظلّلان بالسقف، ارتحت قليلاً، وتنفّست الصّعـداء. كنت أدعو الله أن يتركنـي العراقيّون وشأني، كي أبقـى لساعات في ظل هذا الخندق. لم يكن من الممكن تحمّل العطش القاتـل، لقد أُسـرت في أسوأ نقطة ممكنة، لقـد كان هذا المكان، كما يقـال: «**علـى مفـرق طـرق**»، فكلّ من يعبـر على جادة الخنـدق سيمرّ بالقـرب منّـي، فعلى هذه الجـادة الممتـدة على مسافـة ٥ كلم، كنت الوحيد الذي وقع بأيدي العراقيين.

على الجادة لم يعد يُسمع أيُّ صوت لإطلاق النـار. كان رأسي في ظلّ الخندق، ولم أكـن أرى ما يجري في الخارج، كنت فقط أسمع أصوات العراقييـن. عنـد ازدحـام المـكان بالقرب مـن الخندق كنـت أشعر بالانزعاج والخجل من أولئك الذين يقفون على أقدامهم، كوني ممدّداً

(1) وهي دشم محصَّنة على شكل خنادق مسقوفة. (نون)

على الأرض، كنت أشعر بالخجل من عدم التفاتهم إليّ. على الرغم من أنّني كنت خائفًا من أن يدوسوا على قدمي، فإنّني سحبت نفسي إلى خارج الخندق؛ كي لا أشعر بالخجل والانزعاج، وعندما أردت إخراج رأسي من الخندق أحسست كأن السماء قد أطبقت عليه لشدة الألم، وعندما أردت سحب نفسي من الخندق، طويت كعب قدمي من جهة ساقي، فدخلت العظام المفتّتة داخل جرحي وعلا أنيني.

سحبت نفسي بمشقّة كبيرة الى خارج الخندق. قبل أن أخرج، كان كل من يراني- بقدمي المهشّمة وملابسي المليئة بالدماء والوحل- يظنّني قتيلاً في عداد القتلى، ومرميًّا هناك. كان كل عراقي يراني بجراحي هذه كان لا يفرّق بيني وبين الجثث الموجودة هناك.

كان العراقيّون منشغلون بتمشيط الجادة، كانوا يطلقون رصاصات الخلاص على جثث الشهداء، كانت تحيط بي، وعلى شعاع 20م تقريباً، جثامين شهداء شباب كتيبة الإمام علي عليه السلام، وكتيبة الشهداء الخاصة.

كانت جثامين كلّ من «**خدا رحم رضوي**»، و«**حسين برويزي**»، هناك أيضًا. بالإضافة إلى شهيد لا أعرفه بالاسم(1)، لقد مزّقت إحدى الشظايا ظهره، وكان الدّم يسيل بالقرب منه كجدول ماء. هناك، على بعد أمتار، أطلق العراقيّون رصاصة الخلاص على «**حسين برويزي**» الذي كان يماثلني في العمر.

كانوا يطلقون الرصاص على الشهداء، ويسلبونهم ساعاتهم، وكان الجنود الذين يصلون متأخّرين بعض الشيء يتشاجرون مع رفاقهم

---

(1) فيما بعد، وعندما رأيت صور شهداء الخندق عرفت أنّ اسمه: الشهيد «**عرب علي دهبان زاده**».

الذين استولـوا قبلهم على عدد من ساعات الشهـداء. كان العراقيون يرمون بجثـث الشهداء الملتحين على القصـب والأعشاب المائية في ميـاه الجزيرة. نصبوا العلـم العراقي على نقــاط مختلفة من الجادة والخنادق. اقترب أحدهم منّي وهو يحمل العلم العراقي، يبدو عليه أنّه عصبيّ؛ كان يكرّر عبارة: «**كلّكم مجوس، والخمينيّون أعداء العرب**»، وقد ضربني عدة مرّات بعصا العلم على رأسي؛ كان يبدو من تصرّفاته أنـه غير متـوازن نفسيًّا. عندما ابتعد عنّي، حوالــي خمسةَ عشرَ متراً، وقف بالقرب من جثمان أحد الشهداء الذي كان في وسط الجادة، كان الجثمــان مرميّاً على ظهره، اقترب الجنـدي الخبيث من الشهيد، رفع العلم، ثم غرسه في وسط الشهيد بطريقة مزّقت عصا العلم معدته[1]. تمنّيت لو أموت، ولا أشهد ما أراه الآن، كان الجنديّ العراقي يلتفت إليّ باستمرار ويكرّر: «**هنا ... مكان العلم العراقي**».

إنّ كل ما رأيته على الجادة تحوّل إلى عقدة لديّ، لكن مشهد نصب العلـم على جثمان ذلك الشهيد كانت الأكثر قسوة بالنسبة لي، لا أذكر أنّنــي شعــرت بالحقد على أحـد كحقدي على هؤلاء القـوم، كنت أقول من صميـم قلبي: «**إلهي، أقسم عليك بمظلوميّة هـؤلاء الشهداء، إلّا انتقمت لهم من هؤلاء العراقيين**».

حاولــت أن أكون أكثر صبــرًا، وأمنع نفسي من البـكاء، كانت أفكار مشتّتــة تـدور في ذهني، أتذكّـر منذ عدّة أيام كيف كنــت أركب درّاجة

---

(1) لا أستطيع أن أذكر اسم هذا الشهيد لأنَّ والده ووالدته المحترمَيْنِ هما على قيد الحياة. عندما تكلّمت مع أخيه، أخبرني أنّ والدته لديها مشكلة قلبية، وطلب مني عدم ذكر اسم أخيه في الكتاب. أدعو اللّه أن يطيـل عمـر والدة هذا الشهيد، وأفضّل أن أؤجّل ذكـر اسمه إلى الوقت الذي يتم فيه توثيق جرائم الحرب العراقية.

ناريّة متجهًا إلى موقع الخندق. كانت الجادّة تحت سيطرة شبابنا، لقد اغتسلتُ الى جانب هذه الجادة، واصطدت السمك، واشعلت نارًا من القصب الجاف، وتناولنا السمك، أنا، و«**الله خواست بركاني**»، و«**بيران مستوفي زادة**». ما زلت أذكر أنّني كنت على هذه الجادة وقدمي سالمة. وكنت أرى بعض الذين أصبحوا شهداء الآن يعبرون هذه الجادة، لكنّ الآن انقلبت الآية، وها هي الجادة ترزح تحت أحذية البعثيين.

كان الشهيد والعلم المنصوب فوقه يلفت نظر كلّ من يمر على الجادة، كان بعضهم يضحك، كم تمنّيت لو أستطيع نزع هذا العلم، كنت أقول: «**ليت الشباب حملوا الشهداء الى المناطق الخلفية**». لم يستطع الشباب نقل الشهداء الذين سقطوا في المنطقة الواقعة بين «**تشرا غتشي**» وموقع «**بيت اللهي**»، كان القصف شديدًا، لدرجةٍ لم يستطع معها «**قدرت الله دير باز**» أخذ جثمان ابن عمه «**عبد الرضا**» معه.

بطلبٍ من أحد الضباط، فكّوا يديّ للحظات، لم أكن أريد أن يهتكوا حُرمة جثمان الشهيد «**جمشيد كرم زادة**»، وجثمان الشهيد «**السيد محمد علي غلامي**»، المرميين على بعد ثلاثة أو أربعة أمتار منّي، كنت أدعو الله وأتوسله؛ كي لا يغرسوا عَلَمًا في جثامينهم. أخذ أحد الجنود صورة للإمام الخميني من جيب الشهيد «**كرم زاده**»، تلك الصورة كانت من النوع الذي يعلّق بزرّ من أزرار جيب البذلة العسكرية، مزّق الغلاف البلاستيكي للصورة، ثم توجّه نحوي، أراني صورة الإمام، وفي الوقت الذي كان يشتم ويسب الإمام والإيرانيين، رمى الصورة على وجهي ممزّقة قطعًا قطعًا، ثمّ ذهب.

لا أعـرف ما الذي حصل، قـرّرت فجأة أن أضـع التّراب على رأس كلّ مـن الشهيدين «**غلامي وكـرم زادة**» وعلى وجههما. على الرغم من الإعيـاء الذي كنت أشعر به، لـم أستطع أن أكون غير مكترث لما يدور حولي، سحبـتُ نفسي عدة أمتار على الأرض فوصلت الى جثمان «**كرم زادة**»، أصابتـه إحـدى الشظايا في وجهـه، كان رأسه ووجهه ملطخين بالدمـاء، وكانـت تبـدو عليه بـراءة مميّـزة، كان من عمـري، جسمه نحيلٌ، ووجهه محبوب، كان معي خاتمًا من العقيق من صديقي «**أحمد فـروزان**»، أعطاني إياه خلال عمليات «**كربلاء4**»، كذكرى منه. قدّمت الخاتم للجنديّ العراقيّ قائلاً له: «**تعال خذ هذا الخاتم، إنّه لك.!**

أردت أن أكسب رضاه، تعجّب لتصرّفي، تردّد في أخذ الخاتم، أظنّ أنّ عاطفته قد تحرّكت، واحترق قلبه لأجلي، توجّه نحوي قائلاً: لا.

لم يعرف جيّدًا ما كنت أقوله، لكنّه فهم بشكل عام قصدي، قلت له:

- «**خذه، إن لم تأخذه الآن سيأخذونه منّي في مكان آخر**».

أخذ الخاتم رغمًا عنه، أشرت للشهيد الذي نصب العراقيّون العلم عليـه، وطلبـت منه أن ينـزع العلم عنـه، كان خائفًا، أفهمتـه بالإيماء والحـركات أن يسمح لي؛ لأتقدّم بنفسي إلى الشهيد، وأنزع العلم عنه، لكنّه كرّر عدة مرّات: «**لا، لا**».

لـم يكـن وضعـي **يساعدنـي** لأزحـف 10 أو 15 متراً علـى الأرض. أشرت إلـى جثماني الشهيدين «**كـرم زادة، وغلامـي**»، واستأذنته؛ كي أضـع التراب على وجهيهمـا ورأسيهما. لم أنجح، على الرغم من كثرة محاولاتـي إفهامه ما الـذي أريده؛ حيث كان يردّد دائمًا: «**ما أدري إنت شي تكول (تقول)**».

كان جثمان «**كرم زاده**» مرميّاً في حفرة الى جانب الجادة. أمّا جثمان «**غلامي**»، فكان نصف جسده العلوي خارج القناة على الجادة. مرّ عددٌ من العسكريين بالقرب من جثمان الشهيد، ركلوه بأحذيتهم على رأسه، كانت رؤية هذا المنظر تعذّبني، أحسست أنّ جثمان أخي مرميّ على حافة الجادة، كنت أعرف أنّني لا أستطيع القيام بعمل مهم مع هذا الجسد الجريح، الدماء النازفة، والإعياء الشديد، لكنّني أردت أن أضع التراب على رأسَي ووجهَيّ هذين الشهيدين، بل على كلّ جسديهما، كي أمنع العراقيين من أن يطلقوا النار على وجهيهما ورأسيهما، وحتى لا يغرسوا الأعلام في بطنيهما، أو يهيناهما أمام عينيّ، ولم أكن أريد أن يرموا جسديهما في مياه الجزيرة. سحبت نفسي سحبًا بطيئًا، إلى الوراء حتى وصلت الى جثمان «**كرم زاده**»، عندما كنت أرجع الى الخلف، لم يأبهوا بي، وبما أقوم به. عندما وصلت الى جثمان «**غلامي**»، أمسكته بقميصه من ناحية الكتف وسحبته في القناة، لأنّ نصف جسده كان في ماء القناة، فكان من الأسهل لي سحبه داخل القناة، شرعت بوضع التراب على وجهه ورأسه، كان الجندي الذي يراقبني، ينظر إليّ بتمعّن، اقترب منّي، وأعطاني وعاء صغيراً كي أغرف به، أخذتها منه. وتركني أقوم بعملي دون أن يتدخّل. كان العسكر الذين يمرّون بالقرب منّي باتجاه مستديرة «**تشراغتشي**»، يقفون للحظات، ينظرون إليّ ثم يكملون طريقهم. الى أن توقّف أحدهم، وأنا أرمي التراب على رأس الشهيد «**غلامي**»، ليلتقط صورة لي لكنني ما لبثت أن شعرت بالدوار والتعب، فلم أستطع أن أغرف بالوعاء إلا عشر أو خمس عشرة مرّة، وأرميها على الشهيد أمامي.

لشدة تعبي تمدّدت بالقرب منهما، كنت أرى كلّ شيء مغبّشًا وغير واضحٍ. بينما كنت أرى الناس بالمقلوب، أحسست أنّ الجنديّ المسؤول عن مراقبتي ليس فقط غير منزعج مما أفعله، بل تأثّر لما ظهر منّي من شهامة وتحمّل للمسؤولية تجاه جثامين شهدائنا. فهمت هذا عندما أعطاني الوعاء،أحسست أنّ كلّ مَن هم حولي يتحرّكون بشكل مائل،كنت أشعر بدوار، ولشدّة العطش، ظننت للحظات أن لا أوكسيجن في الهواء، حاولت أن أتنفّس بعمق، فلم أستطع، تمنيت لو كنت في الظلّ، فإعيائي الجسدي سيجعلني أنهار بعد عدّة ساعات.

أعادوا ربط يديّ مجدّدًا. كتب أحد الجنود شيئًا على قميصي من الخلف بـ«**طساسة الألوان**». فهمت فيما بعد، عندما وصلنا الى الميمونة أنّه كتب «**حارس الخميني**». كان البعض، وعندما يقرؤون هذه الكلمات، يتفلون على وجهي، ولأنّ يديّ كانتا مكبّلتين، لم أستطيع أن أمسح بصاقهم عن وجهي، فكلّما كانوا يبصقون على وجهي، كنت أحاول مسحها بركبتي، وعدد قليل منهم فقط، كانوا عندما يمرّون بالقرب منّي يهزّون رؤوسهم متعاطفين معي. كم تمنّى قلبي أن يمسك أحدُ هؤلاء المتأثّرين لحالتي قطعة قماش، ويضعها على قدمي الجريحة ليجعلوا البعوض يبتعد عنّي.

وقف ثلاثة أو أربعة جنود بالقرب منّي، قبل أن يصلوا إليّ، هناك، على بعد 10 أو 15 متراً، كانوا يأخذون (لقَطات) وحركات مناسبة للصور، ويلتقطون الصور التذكارية الفردية والجماعية مع الشهداء. دفعني أحدهم بحذائه العسكري، عندما وقعت على ظهري، وضع

قدمـه على صدري والتقط صديقه صورة تذكارية له. كنت أتألّم بشدّة لهذه المشاهد المهينة، والتـي التقطوا لي فيها صوراً تذكارية. عندما التقطوا الصـور كان وجهي للأسفل، كانوا يغضبون مني لأنّني لا أنظر إلـى الكاميرا، ويشتمونني، ويرفعون وجهي إلـى الأعلى. وضع أحدهم – ويبـدو أنّه الأقل رحمة بينهم – فوهة بندقيتـه على رقبتي، وأفهمني أنّه علـيّ النظر الى الكاميرا، أمّا الجنديّ الآخـر ذو اللباس المرقّط، فقـد وضع فوّهة بندقيته علـى صدري، ووضع قدمه اليمنى على كتفي، ثـم التقط صورة. لـم تُجرح كرامتي يومـاً، أو تنكسر، كمـا انكسرت، وجُرحت آنذاك.

مـرّ بالقـرب منـي حوالـى 50 جنديًا، كانـت بذلاتهـم مختلفة عن الآخرين، توقّفوا قليلاً عندي، قدّم أحدهم الفستق لي، قلت في نفسي: «**الفستق، في هذه الأحوال؟!**».

عندما رأى جرح قدمي، أشار بيده الى رفاقه وقال: «**كلكم سوداني**»، وكان يقصـد: «**كلنـا سودانيـون**»، كانـت هـذه المجموعـة الثانية من السودانيين الذين نلتقي بهم.

فـي هذه الأجواء، ظهر الصحافيون، ومـا أدراك من هم. كالعادة، كان الصحافـي يعدّ تقريره، وكان المصـوّر المرافق له يلتقط الصور للشهـداء وللجـادة. مـن بيـن الكلمـات التـي كان الصحافـيّ التابـع للتلفزيـون العراقـي يكرّرها في كلامـه، ورسخت في ذهنـي: القوات الإيرانية، الخميّنيون، ... المجوس، الحارس الخميني، أعداء العرب، حرس الثورة و...

تركّـزت الكاميرا علـيّ، علق في ذهنـي بعض الكلمـات من تقرير

الصّحافــيّ: الخمينيّ... الشّباب... الجريح فــي الحرب... أعتقد أنه قــال: «**هذا هــو مصير حرس وتعبئــة الخمينــيّ، إنَّ الخميني يرسل هؤلاء الأطفال الصّغار بالقوّة الى الجبهة ليلاقوا هذا المصير**».

كان الصّحافــيّ رجلاً أسمر، قــويَّ البنية، وعريض المنكبين. كنت الحــيّ الوحيد علــى تلك الجادة، حاولتُ أن لا أنظــر إليه كي أرتاح من شــرّه، كنت مطأطــئ الرأس، لكنّه انحنى ثم جلــس بالقرب منّي، كان يرافقه شخــص آخر، عندما تكلّم فهمت أنّه إيرانــيّ. سألني الإيرانيّ الذي يرافقه:

- **ألستَ غاضباً من الخمينيّ الذي جعلك تلاقي هذاالمصير؟**

كان أوّل إيرانيٍّ أراه هنا، كنت أتمنى أن يكون أوّل إيرانيٍّ أراه، وأوّل كلام أسمعه باللغــة الفارسية مغايرًا لما أسمعه الآن. عندما ترجم ما سألني إيّــاه إلى الصحافي، ارتسمت ابتسامــة الرضا على شفتَي هذا الأخير، وكأن هذا هو السؤال الذي كان يريد طرحه. قلت للإيراني:

- **لم يجبرني الإمام أبداً على المجيء الى الجبهة، بل جئت بملء إرادتي، لماذا أنت مع أعداء الشّعب الإيراني؟**

انزعج من سؤالي وقال:

- «**لا علاقة لك بالموضوع، فهم ليسوا أعداءنا**».

- «**إنهم يستغلونكم للوصول إلى أهدافهم**».

عندما أصرّ عليّ، قلت له:

- «**لن أجيبك أنت بالذات، عداوة العراقيين أكثر شهامة**».

لا عِــرق إيرانيًا فيه. سكتُّ للحظات، ونظــرت إليه بحقد، أردتُ أن يفهم من نظرتي حقدي عليه، وغضبي منه. لم يكن الصّحافيّ العراقيّ

يفهم ما نقوله، كان مصرًّا على أن أجيبه، لكنني كنت شديد الانزعاج من الإيرانيّ الذي معه؛ فقلت:

- «**لست منزعجًا من العراقيين، فنحن في حرب معهم منذ ثماني سنوات، نحن أعداء، ولكنّك إيرانيّ.**

بعد قليل توّجهوا الى الطرف الآخر من الجزيرة، كانت الساعة حوالى السادسة عصراً، بقيت ساعتان لغروب الشمس، طلبتُ من الجنديّ الذي يراقبني أن يسحبني الى يمين الجادة، بالقرب من حقل القصب، كي أتفيّأ بظل القصب والأعشاب الطويلة على جانب الجادة حينما تميل الشمس الى الغروب. اقترب الجندي، حملني من تحت إبطيّ، وسحبني إلى يمين الجادة.

تجمّع الدّم في فمي وحلقي، جرّاء ضربة أحد الجنود على وجهي بحذائه العسكري. طلبتُ الماء ـ عدّة مرّات ـ من الجنود حولي، لكنّ ثلاثة أو أربعة منهم لم يهتموا لطلبي، اقترب أحدهم، الأكبر سِنًّا بينهم، وكان برتبة رقيب، وعلى ما يبدو أنّه، ومنذ سنوات، وهو يرزح تحت هذه الرتبة، قرّب لي قربة مائه، ووضع بعض الماء في فمي، حاول الجنود الآخرون ثنيه عن عمله، لكنّه لم يهتم بهم. كانت نظرته تشفق عليّ، كان الماء بطعم الدم، وكان وجهي ورأسي ممرَّغين بالتراب والدم، كانت ثيابي، المليئة بالدماء الجافة، يابسة، حتى أنك لا تستطيع طيّها. لم يكن مصيري معروفاً إلى الآن، لا القتل ولا النقل، لم أكن أعلم الى متى عليّ البقاء هنا. كان العراقيون منشغلين بتدعيم خطوطهم الدفاعيّة، فمن الطبيعيّ إذن أن لا يكون لأسير جريح، وفي مثل سنّي، أهمية تُذكَر.

مـع تكرار كلمة صلاة، كنت أطلب منهم أن يأذنوا لي بأداء صلاتي الظهر والعصر. وهكذا كان، تيمّمت في مكاني، وصلّيت صلاتي الأولى فـي الأسر، كانت المرّة الأولى التي أبكي فيها أثناء صلاتي، كنت أبكي لأحزانـي وآلامي التي أتحمّلها، لم أذكر فـي عمري أنني صلّيت صلاة بهـذه الروعة، أحسستُ أنني أكثر قرباً من الله من أيّ وقت مضى،كان قلبي منقبضًا، وباطني مملوءً بالغصّة والألم. لا شكوى، لكنّني ضعفت، لـم أعد أستطيع تحمّل بقائي حيًّا. عندما أنهيتُ صلاتي، وجدتُ عددًا مـن الجنود يقفون حولـي، وينظرون إلـيّ. كانت نظراتهـم مصحوبة بالتّعجّب والحيرة. سألني أحدهم:

- «**أنت مسلم؟!**»

كنت أعرف بعض الكلمات العربية البسيطة كـ«**نعـم**» و «**كلا**»، «**أنا مسلـم**». فقـد أمضيـت حوالى السنة فـي وحدة التخريـب مع «**صادق سيـلاوي**»، وهو من شباب الأهواز العـرب، كنت أعرف بعض الكلمات العربية. قلت له:

- «**نعم أنا مسلم**».

كان الجنـود يتكلّمون مع بعضهم بعضًا، وقـال كلّ منهم شيئًا. كان العراقيـون يتكلّمون ببساطة محاولين إفهامي ما يقصدونه. كان بعض كلامهم ممكن الفهم بالنسبة إليّ، سأل أحدهم وكان برتبة ملازم:

- «**وهل الإيرانيون يصلّون؟!**».

فهمـت ما قاله. كانت نظرة العراقيين هذه للإيرانيين أمرًا عاديًّا، فقد حاك حزب البعث كمّاً من الأكاذيب، لدرجة صدّق معها جنوده أنّ الإيرانيّين لا يصلّون، وأنّهم مجوس وكفرة.

كـم تمنّيت لحظتها، لـو كنت أُجيد اللغـة العربية، لأجيبـه وأُفهمه أنّنـا نحن الإيرانيين مسلمون، ونصلّي، ملتزمون بالأحكام الإسلامية، ومتعلّقـون أكثر منكم بالأئمـة الأطهار عليهم‌السلام. قال أحـد الجنود الذي يعتمر قبعةً حمراء:

– «**الإيرانيون، كلّكم مجوس**».

فضّلـت تحمّل كلامهم، وعدم إجابتهم. عندما رأوا أنّني لا أفهم ما يقولونـه، تفرّقوا من حولي ورحلوا. جلس ذلك العسكري الذي أعطاني الماء بالقرب منّي، أمسـك بكعب قدمي، طوى ساقي، وربطها بركبتي بكوفيّتـه[1] العربيـة. عندمـا طوى ساقـي، ولشدة وجعـي، كان معظم الجنـود الذين يمرّون على الجـادة يلتفتون إليّ لسماعهم صوت أنيني، وينظـرون إلـيّ للحظات، لم أستطـع إخفاء الأنين، وكنـت لشدّة ألمي أعضّ على شفتيّ، وأحاول أن لا يرتفع صوت أنيني.

لـم أستطع تحمّـل وضع ساقي علـى ركبتي، أكثر من عـدة دقائق. شعـرت بالعجـز والإنزعاج. لا أدري ما أفعل. فكّـرت بفكّ الكوفيّة، قد يهدأ ألمي قليلاً، ولكنه ساء أكثر.

بقـي حوالي الساعـة والنصف لغـروب الشمس. حضـر عقيد إلى المـكان، عندما رأى حالتـي، أمر بنقلي من هناك، لكـن لا حمّالة كي يضعونـي عليها، عندمـا رفعوني عن الأرض، ولكـي أخفّف من وجعي، بدأت أردّد آيات القرآن، حملت كعب قدمي بيدي، ووضعوني في قارب.

توقّـف القارب بالقرب من حقول القصب على يمين الجادة، هنـاك ثلاثـة قوارب عراقيّـة تطفو على المـاء، كان شبابنا قـد استهدفوها.

---

(1) الكوفيّة: نسيج من حرير أو نحوه على الرّأس تحت العقال أو يُدار حول الرقبة (المعجم الوجيز).

أمسكنــي أحد الجنــود بكتفي، والآخر بقدمي السليمــة، ورموني داخل القــارب. حاولــت أن أمنع نفسي من الأنين. كانــوا يحملونني مجبرين ورغماً عنهم، فهمت هذا الأمر من طريقة تعاملهم معي.

توقّــف القارب قليلاً بعــد 100م، بالقرب من موقع «**بيـت اللهي**»، في المـكان نفســه الذي حارب فيــه شباب «**كتيبـة الشهـداء الخاصة**»، من بينهم «**علي محمد كردلو**»، «**رحمت الله أشكوه**»، «**علي كريمي**»، «**حسين برويزي**»، «**مراد علي سلطاني**»، «**حسن آرم**»، و«**حسين درخشان**»[1].

لا أعــرف ما الذي حــلّ بشباب «**موقع بيت اللهــي**»، كنت أتمنّى أن أعرف ما حصل لـ«**بهرام درود**»، كنت أظنّ أنّه على قيد الحياة. عندما أتذكّــر ما قاله في اليوم السابق لشباب وحدة المعلومات: «**يا شباب إنّ هجوم العراقيين أمرٌ حتميٌّ، ألا تريدون أن تعرفوا مصير كل واحدٍ منكم؟**» عندما أتذكّر هذا الأمر كنت أشعر بغمّ العالم ينزل على قلبي، لقــد قاتل شباب «**موقــع بيت اللّهــي**» حتى الطلقة الأخيــرة، استشهد الشباب جميعهم، باستثناء اثنين.

وضــع العراقيــون جثّتين لجنديين منهــم في القــارب، ركب معنا، بالإضافــة الــى الجندييــن اللّذَيــن حملاني، سائــق القــارب (موجّه الدفّة)، وضابطٌ آخر. كان الغضب باديًّاعليهم، الغضب لرؤيتي ممدّداً بالقرب مــن قتلاهم. من الطبيعي أن ينظروا إلــيّ كقاتل وكعدو «**دم**». أعطيهــم الحــقّ أن يغضبوا منّــي. أشار صاحب الرتبــة العسكرية الى الجثتين قائلاً لي: «**أنت قاتل**».

عندمــا نظروا إلــى الجثّتين، شعــرتُ أنّهم قد يقتلونني ثــأرًا لهما.

---

(1) استشهد كلّ هؤلاء الأفراد، باستثناء عليّ محمّد كردلو، وكانت جثامينهم مرميّة على الجادة.

توقّـف القارب للحظات وسط مياه الجزيرة امتثالاً لأمر صاحب الرّتبة العسكريّـة. قلت في نفسي.. لا بدّ وأنّهم سيرمونني في الماء، لم أفهم ما كانـوا يقولونه، أو ما يقصدونه، لكنني كنـت أشعر بما يفكّرون، لم يكـن الجنود يخفـون ميلهم لرميي في المـاء، لكنّ المسـؤول عن دفّة القـارب وجنديّاً آخر، على الرغم من إحساسي بكرههم لي، خالفاهم الـرأي. وقع جدال بينهـم، اعتقدت أنّهم يريدون القضـاء عليّ بسبب حالتـي، فيرتاحـون من شـرّي. كان وجـود جريح إيرانـي بالقرب من قتيليـن عراقيين يستفزّهم، مـع أنّ رؤيتهم لقدمـي المهشّمة بسببهم كان يرضيهـم قليـلاً. مع كل هذا أعتقـد أنّه من الطبيعـي أن يشعروا برغبة في الانتقام.

تحليلي الآخر لتصرّفات العراقيين كان اختبارهم لمدى خوفي من المـوت، كنت أروّض نفسي في كلّ لحظة للتأقلم مع أية ظروف طارئة. لكنّنـي كنت أكره الموت في الماء. كنت أردّد في نفسي، لو كانوا ينوون قتلي فليتهم فعلوا ذلك على جادة الخندق[1].

بعـد أن انتهـوا مـن الحديـث، أكمل القـارب مسيره. أعتقـد أنهم أشفقوا عليّ.

لـم أكـن أرى مكانًا آخر سوى سماء الجزيـرة. كان في القارب عدّة «**مطرات**» من البنزيـن، وكميّة من المعلّبات، الفواكه المعلّبة، والخبز. كانت جثّتا العراقيين ممدّدتين عن يميني، أحدهما قويّ البنية، قصير الشعر، ذو بذلة مرقّطة، وحاجبان كثيفان، ووجه طويل، أصابته رصاصة

(1) مـع أنّنـي لم أعرف حقيقـة ما قالوه، لكنّني وبعد هـذه السنوات ما زال عنـدي الإحساس نفسه. ذلك الإحساس الذي يقول لي إنّهم، ولكي يثأروا للجنديين، كانوا يريدون رميي في مياه الجزيرة.

في رأسه. أمّا الجثّة الثانية، فكانت لرجل نحيل الجسم، ضعيف الوجه، وهــو متوسِّط الطـول، أصابته شظية فــي صدره وبطنــه، وكانت عيناه نصف مفتوحتيــن. كان يرتدي لباسًا أخضرَ بكمّيــن قصيرَين. عندما كان القــارب يتحــرّك ويدور فــي الماء، كنت أرتطم بهمــا، وكنت أشعر بالانزعــاج وبإحساســ سيّء. لم أكــن أعرف وجهتنا، كنــت أظنّ أنهم سينقلونني إلى إحدى مستشفيات العراق، لهذا كنت مسرورًا.

الفصل الثّاني:

جزيرة «مجنون» ـ «موقع الخندق»

السَّبت 25 حزيران 1988م - جزيرة «مجنون» ـ «موقع الخندق»

رسا القارب في الجهة الغربية من موقع «**الخندق**»، بالقرب من جسور «**الخيبري**»، نظرت من حولي، فشاهدتُ القوارب المتحطّمة على مياه الجزيرة. أصبحت الجزيرة هادئة، والإوزّ البرّيّ يطير باتّجاه «**شطّ علي**». كنتُ متأكّدًا أنّ معظم طيور البطّ، وكلاب الماء، وبقيّة الحيوانات المحليّة الّتي كانت تسكن الجزيرة، قد لاقت حتفها تحت النيران الّتي لم تهدأ، كان هناك الآلاف من الأسماك، وبسبب قذائف الهاون الّتي انفجرت في الماء، قد نفقت، وها هي تطفو على وجه مياه الجزيرة. نقلونا إلى خارج القارب، نزل الجنديّان اللّذان كانا يقفان فوق السّواتر التّرابيّة، وسحباني إلى ساتر موقع الخندق، لم يحملاني، وعندما قاما بجرِّي على الأرض، كانت قدمي المجروحة تُسحب ورائي، كنت أشعر أنّ السّماء تدور حولي من شدّة الألم. كانت تُسمع أصواتٌ كثيرةٌ من خلف السّواتر. تعجّبت من إحضارهم لي إلى «**موقع الخندق**»، لم أكن أريد الدّخول إلى الموقع بهذه الحال؛ حيث هناك الكثير من الجنود العراقيِّين يقفون على السّواتر التّرابيّة، وفوق متاريس الموقع، عندما أَجلتُ نظري في ساحة الموقع، وقعت عيناي على شباب

سريَّـة «**القاسم بـن الحسن**»، وقد وقعوا أسرى بيـد العراقيِّين. جلست علـى منحدَر السّاتر بالقرب مـن الخندق، عندما نظرتُ من جديد إلى الشّباب، خنقتني العبرة، وانهمرت دموعي بشكل لا إرادي، كنت أعرف معظـم الشّبـاب، لم أكـن أصدّق أنّهم مـا زالوا على قيـد الحياة، وقد أثنيتُ، في نفسي، على مقاومتهم الباسلة في هذا اليوم.

لقـد كنت سعيـدًا، برؤية معظم الشّبـاب الَّذين ما زالـوا على قيد الحياة، شعرتُ أنّ السّماء تكاد تطبق على رأسي، تغيّرت نظرة الشّباب حيـن رأونـي بينهم، كما لو أنّهـم لم يكونوا يتوقَّعـون رؤيتي هنا، وعلى هـذه الحال، وكانت نظراتهم تحكي عمّا يجـول في أنفسهم، وما كانوا يضمرونـه، ويتمنّـون البوح بـه. أحيانًا، قـد يتكلّم النّاس بنظراتهم، ويعبّـرون بنظرة واحدة ما يحتاج الحديث عنه إلى ساعات طويلة، وها أنا أكلّم الشّباب بنظراتـي، وأفهم نظراتهم المعبِّرة لي. كان الشّباب يسلّمـون عليّ بانحناءة من رؤوسهم، وقد انزعجوا من رؤيتي على هذه الحال، فهمت ما قاله لي «**نادر بيران**» بنظرته: «**إذا كان من المفترض أن يصبح وضعك هكذا، فيا ليتك استشهدت**».

جلسـتُ مع المجروحيـن في باحة الموقع، على بعـد أمتار من بقيّة الأسـرى السّالمين. وكان من غير المسموح لنا أن نتكلَّم مع من يجلس بالقـرب منّـا، فمنذ ساعة سقـط دفاع «**الخنـدق**»، ووقـع الشّباب في الأسر.

كان الجميـع حفـاةً، وبالقـرب منهـم كانـت الأحذيـة العسكريّـة والرِّياضيَّـة وبعـدد الأفراد مرميّة علـى الأرض. قيّـد العراقيُّون أيدي الشّباب بأشرطـة أحذيتهم العسكريّة، أمّا بعض الّذين كانوا ينتعلون

الأحذية الرِّياضيّة.ـ وبما أنّ أشرطتهم قصيرة.ـ فقد قيّدوهم بالحِبَال، وخطـوط الهاتف الصّحراويّـة. كلّ من لم أره في هـذا الجمع الغفير، كان قد استشهد، وكنت أشعر بالفراغ الّذي تركه كلّ من: «**جان محمّد كريمـي، إبراهيم نويدي بـور، أرجاسب عليّ زاده، حميد فروزان بور، عليّ خجر شفيع نسب، و....**».

كانت وجوه الشّباب ملطّخة بالتّراب. عاقب العراقيُّون الشّباب على مقاومتهـم اليوم بالجَلـد بـ«**كابـلات**» الهاتف، ازرقّت وجـوه بعضهم، وغطّى الدم أنوف وأفواه بعضهم الآخر.

قـام بعض العمـلاء مـن «**منظمـة مجاهـدي خلـق**»[1] بمرافقـة العراقيِّيـن. وكانـت مجموعـات المنافقين هـذه تقوم بـدور التَّرجمة والتَّجسُّـس أيضًا. كان أحدهم في «**جادة الخنـدق**» مترجماً للصَّحَفِيّ العراقـيّ، وقد حضر إلى «**موقع الخندق**» كلّ قـادة العدُوّ من الدّرجة الأولى الّذين كانوا مستقرِّين في «**جزيرة مجنون**».

كان «**موقـع الخنـدق**» مهـمّ بالنِّسبـة إليهـم. وقـف أحـد القـادة العراقيِّيـن.ـ قيـل: إنّه عقيد وقائد اللّواء الأوّل التَّابـع للفرقة 16.ـ، ثمّ تقـدّم نحونا، فـي حين كان أحد أعضاء المنافقيـن يترجم له، فسأل: «**ما الذي يجب أن نفعله معكم أيّها الإيرانيُّون؟ أنتم مجوس، ويجب إعدامكم بالرَّصاص، ودفنكم تحت سواتر «هذا الموقع....**».

التزم الشّباب الصّمت.

---

(1) منظمـة إيرانيّـة معارضـة، انحرفـت عـن مسارها عقـب انتصـار الثَّـورة، وأصبحت ألعوبـة بأيدي المخابرات الأجنبيّة، فرّ أعضاؤها ومنتسبوها إلى أوربا وامريكا والعراق سابقًا. يطلق عليها في إيران اسم «**منافقو خلق**». (مركز نون)

من الطّبيعـي أن يغضبَ هؤلاء العسكريُّون بهـذا الشَّكل؛ فقد خلط شبابنا اليوم كلّ أوراقهم وحساباتهم العسكريَّة[1].

أكمـل العقيـد العراقيّ كلامـه وهو مُقطِّـب الجبين، قائـلًا: «**لقد أرسلنـا لكلٍّ منكـم أيّها المجوس عشرة جنود مـن خيرة جنودنا، من فدائيـي صـدّام؛ لو كنّا نعلم أنّكم سبعون فقط، أو ثمانون جنديّاً هنا فـي** «**الموقع**» **لحولّنا هذه المنطقة إلى جهنّم فوق رؤوسكم، فالأمر لـم يكـن ليأخذ منّا إلّا عـددًا قليلًا من الصّواريخ، لقـد خُدعنا، لقد اعتقدنـا أنّ هنـاك لـواءً خاصّاً من جنود الخمينـيّ يقاتلوننا في هذا الخندق، لكنّنا تفاجأنا بأنّكم سريَّة واحدة.**

عندما سمعت ما قاله العقيد العراقيّ، رأيت الشُّعور بالافتخار يلوح على وجـوه الشّباب، وقلت فـي نفسي: «**أولـم تحوّلوا** «**الموقـع**» اليوم إلـى جهنّم بالنِّسبة للشَّبـاب؟»، تابع العقيد العراقـيّ، والذي يبدو أنّه متعصّـبٌ، قائـلًا: «**أنتـم أيّها الإيرانيّـون المجوس، أنتم أعـداء أمّة محمّد والعرب، ولا يجب أن نرحمكم**».

أشـار بيده إلى مجـرى المياه الّتـي كانت قواربهم قـد استهدفته، وقـال: «**أنتـم دجّالـون وقتلـة! إنّ الرّئيـس القائـد صـدّام حسين هو**

(1) كانـت معلوماتـي حول المنطقـة، تشير إلى أن الوحـدات العراقيّة العاملة فـي المنطقة قد استطاعت الوصـول إلـى أهدافها في جزيرتي مجنون الشّماليّة والجنوبيَّة، فـي الطّلائيّة، في كوشك وفي جفير. لكن المنطقة الوحيدة الّتي بقيت عصيّة على عمليّاتهم كانت جادّة وموقع الخندق. لم يستطيعوا التّقدُّم إلى هذين المحورين، ما اضطرّهم لإحضار وحداتهم إلى الجناحين الأيسر والأيمن لهذه المنطقة. فقد عقد العدوُّ أمله ومنذ الصّباح على سقوط جادّة «**الخندق**». وقد توهّموا أن السّدّ الدّفاعيّ وجادّة «**الخندق**» ستسقط في ساعات الصَّباح الأولى. كانوا يريدون تأمين الإمدادات العسكريّة واللوجستيّة إلـى جزيرتيّ المجنـون الشَّماليّة والجنوبية ، إلى شمال غرب كوشك وجـزء من «**طلائية**» عن طريق جادة «**الخندق**» ، فالطريق الوحيد الذي كان يعبر في وسط «**الهور العظيم**» ومياه جزيرتي المجنون، كان «**جادة الخندق**».

إنسان طيّب؛ ولذلك هو لا يصدر الأوامر بقتلكم، للأسف فنحن بحاجة إلى أسرى».

أفهمُ جيّدًا لماذا كان متوتراً وعصبيًّا إلى هذا الحد، لقد تمّ تدمير أكثر من 26 قاربًا عراقيًّا في المياه الشّرقيّة لجزيرة «**مجنون**»، وأكثر هذه القوارب أُصيب بنيرانهم هم. منذ صباح هذا اليوم، وبسبب عدم وجود الأسلحة، لم يكن هناك عمل يذكر لمجموعة المدفعيّة عندنا. هناك، حيث دُمِّرت القوارب العراقيّة، لم تعد تطلق من أسلحتنا أو من دبَّاباتنا أيّة رصاصة أو قذيفة.

اقترب أحد الجنود العراقيِّين من «**محمَّد صادقي فرد**»، وقد رفع يده، وأشار إلى القوارب المدمَّرة، والأجساد المرميَّة بالقرب من السَّواتر، وكرّر هذه الجملة مرّات: «**أنت مثل أبي، أنت قاتل أبي**»، وكأنَّ «**صادقي فرد**» يشبه والده.

ثمّ اقترب الضّابط العراقيّ الآخر، قائد المروحيّة، من «**محمَّد صادقي فرد**» وتفل في وجهه. فقد كان يظنّ أنّ «**صادقي فرد**» هو من أطلق النَّار على مروحيّته. كان الشّباب قد أطلقوا النَّار على المروحيّة من أسلحتهم الـ «**غرينوف**» والـ«**دوشكا**»، فأصابوا ذيل المروحيّة. فجاءت اليوم أكثر من 40 مروحيّة عراقيّة، وقصفت جزيرتي «**مجنون**»، وقامت بإنزالات على الجزيرتين ليلاً. وقد تمّ تدمير عدّة مروحيّات للعدوّ.

أهان قادة المروحيَّات «**محمّد**» كثيراً، فمحمَّد إنسانٌ شجاعٌ لا يقبل الخضوع، غضب كثيراً من ذلك الطَّيَّار الّذي تفل في وجهه، لكنّه، ولكي يحافظ على أرواح بقيّة الأسرى؛ اضطر للسُّكوت والصّبر على إهانات

الطَّيّار العراقيّ.

حضر عقيد عراقيٌّ لم أعرف ما هي وظيفته، وبقي مع الجنود، ألقى نظرة على الشّباب ثمّ بدأ بالكلام، حاول أن يتكلّم بأدبٍ واحترامٍ، ولم يستعمل الألفاظ الرّكيكة والنّابية مثل بقيّة الضُّبَّاط العراقيِّين. استعمل جملة: «**أنتم قاتلو أبناء العراقيِّين**»، وهدّد الشّباب بالقتل، وحين قال: «**أنتم لا تستحقّون سِوى المَوت**»، تحمّس الجنود العراقيُّون، سحبوا أسلحتهم وطلبوا الإذن بإعدامنا.

خاطب العقيد الجنودَ العراقيِّين الَّذين يحملون أسلحتهم قائلًا: «**لا داعي لقتلهم، فقد أمرنا القائد الرّئيس بأن نحضر أسرى، وقال: إنّ العراق بحاجة إلى أسرى، إنّ الأسير المكبَّل قد يتلقّى الصّفع من امرأة، وهو أضعف منها، لو كنتم شجعانًا بالفعل (موجّهًا كلامه لجنوده العراقيِّين)، «لكنتم قتلتموهم عندما كانوا طلقاء، وكانوا يدمِّرون قواربنا، وليس الآن، عندما أصبحوا أسرى بأيدينا، لا ذكاء في قتلٍ من هذا النَّوع، سوى أنّكم تريقون ماء وجه الشَّعب العراقيّ العظيم**».

شعرتُ بارتياح لسماع كلام العقيد، لم يكن الجنود يتوقّعون هذا الكلام من مسؤولهم. وحسب كلام العقيد، الّذي كان يتكلَّم بافتخار وقوَّة، تم رمي آلاف القنابل، الكاتيوشا، الميني كاتيوشا (107مم)، والصَّواريخ بعيدة المدى الكوريّة والنَّمساوية على جادَّة وموقع «**الخندق**». أعتقد أنهم كانوا يريدون أن يستعرضوا قدرتهم الصَّاروخية أمامنا، ثم قال العقيد: «**لقد تمّ إطلاق أكثر من 30 ألف طلقة على جادَّة وموقع «الخندق**».

يبدو أنَّ العقيـد كان مطّلعاً على اتفاقيَّة «**جنيـف**»، ويعرف الأصول والقوانيـن الخاصّة بأسرى الحرب. عندما خاطـب القوَّات الّتي تحت إمرته بهذا الـكلام أحسست أنّه يفضّل الحـرب بنوعها الشّهم، تقدّم أحد الجنود، وكان برتبة رائد، أدّى التّحيّة وقال له: «**سيّدي، إنّ هؤلاء المجوس لا يستحقُّون الحيـاة، يجـب أن يتـمّ تطهيـر الأرض مـن وجودهم، إنّهم يستحقّون الموت فقط**».

لـم يعط العقيـد أهميّة لكلام الرَّائد، وبعـد انصرافه، لجأ الجنود إلـى العدوانيّة والعنف، فتحوَّل الشّبـاب، وخاصّة ذوي اللّحى الطّويلة، إلى أكياس ملاكمة.

هدّدنـا الجنـود العراقيُّون، وأمرونـا بشتم الإمام، رفض الشّباب بغضبٍ هـذا الأمر. وقف أحد الأسرى، لم أكـن أعرفه[1]، وقال للرّائد العراقـيّ بأدبٍ: «**نحن أسراكم، ونحن في إيران لا نجبر أسراكم على شتـم صـدّام، إنّ هذا الأمر مخالـفٌ للإسلام، عاقبونـا كما تريدون، ولكـن لا تطلبـوا منّـا أبـدًا أن نهيـن مرجع تقليدنا**». لـم يؤثّر كلامه أبـدًا على الرّائد، بل على العكس، هجـم الجنود عليه، سحبوه من بين الشّبـاب وانهالوا عليه ضرباً على معدته وصـدره، لم يوفّروا مكاناً في جسمه، ثمّ أكمل الرّائد قائلًا: «**إذا لم تهينوا الخمينيّ فإنّنا سنعدمكم رميًا بالرَّصاص!**».

سحـب الجنـود «**حسيـن راد**» من بيـن الأخـوة، وقالوا لـه: «**اشتم الخمينـيّ**»! لكـن حسين الَّـذي كان شابًّا شجاعًا، وقـد استشهد أخوه فـي الأيَّـام الأولى من الحرب، أجـاب الرّائِدَ قائلًا: «**أمـوت، ولا أشتم**

---

(1) عرفت لاحقاً أنَّه «**محمَّد ثار اللهي**»، أحد أبناء محافظة بهمئي.

الإمـام»، فانهال العراقيُّون عليه بأحذيتهم وأسلحتهم، ثمّ انقضّوا على الشّباب كلّهم، حتّى الأسرى الجرحى لم يسلموا منهم.

استولـى العراقيُّون على أحذية الأخوة، وألبستهم الجديدة، وقد تمّ تأنيـب الشّباب الَّذين يرتدون ألبسـة جديدة. عادة، كانت الموضة في الجبهـة تقتضي أن يرتدي معظم الشّباب البنطال الكرديّ وقميصًا له جيبان، بنّيًا أو عسكريًّا. في كردستان، كنّا نرى معظم القادة والحرس وحتّـى شباب التعبئة القدامى يرتدون هذا الزيّ، الزيّ الَّذي لفتَ نظر العراقيِّين.

كان «**عنايـة الله مصطفـى بـور**» يجلـس بالقرب منّـي، كان وجهه مليئًـا بالكدمات على أثر ضـرب العراقيِّين له بأحذيتهم، كان شخصًا محترمًا وخجولًا بعض الشَّيء، كان نحيلًا بريء المحيّا، قلتُ له: «**لماذا أنـت منزعج؟ أنت كبيرهم، ويجـب أن تبثّ العزيمة والأمل في قلوب الشّباب**».

أجابنـي بغُصّـة وانزعاج شديد: «**منـذ دقائق، عندما جـاء العقيد العراقـيّ إلـى الموقـع، سأل عـن قائد السّريَّـة الَّتي كانـت في موقع** «**الخنـدق**»، وعندما قال الشّبـاب: إنّ القائد ونائبه قد استشهدا، سأل العقيد: «**وأين جثّتاهما؟**».

أشـار الشّباب إلى جثـة كلّ من «**جان محمّد كريمـي**»، قائد سريَّة القاسـم بن الحسن عليه السلام ومساعده «**إبراهيـم نويدي بور**». طلب من المسؤول عن دفة أحد الزّوارق، أن يحضر كميّة من «**البنزين**»، وعندما عـاد، كان في يده «**مطرة**» من البنزين. أمر العقيد بِرَشّ البنزين على جثتي «**جان محمّد**»، و«**إبراهيم**»، لم يصدّق أحدٌ أنَّ العراقيِّين يمكنهم

فعل هــذا العمل، لقد أمر العقيد العراقيّ منذ نصف ساعة بحرق جثة هذين الشَّهيدين، واحترقتا أمام أعيننا.

كان مــن المفترض أن يأتي منذ عــدّة أيّام الحاجّ «**سيف الله حيدر بور**»[1]، قائد لواء «**الفتح 48**»، وأن يُرقّي الشهيد «**جان محمد كريمي**» إلــى قائــد لكتيبــة الزَّهــراء عليها السلام ، لقــد قــال «**جــان محمّــد**» يومها: «**لننتظــر؛ كــي يتــمّ الحســم فــي مسألــة الهجــوم العراقــي المضادّ، وسأبقــى حتّــى ذلك اليــوم قائدًا لسريَّــة القاسم بــن الحسن** عليه السلام . **بعد الهجوم المضادّ. إذا بقيتُ على قيد الحياة. أستلم عندها كتيبة السَّيِّدة الزهراء** عليها السلام ». كان الشّباب في كتيبة السَّيِّدة الزَّهراء عليها السلام بانتظــار استلام «**جان محمّــد**» قيادته، ولكن ها هــو جسده المحروق مسجًّى على الأرض أمامنا.

لــم يستطع «**عناية الله**» أن يتمالك نفسه عن البكاء، لقد فَقدَ أيضًا أعــزّ أصدقائه «**حميد فــروزان بور**». كان جســدُه مسجّى على التُّراب هنــاك علــى بعد أمتار. قــال «**عنايــة الله**»: كنــت أريــد أن أقبِّل جبين الشَّهيد «**فروزان بور**»، وعندمــا رآني العراقيُّون، هجموا عليّ، ورموني بأعقــاب بنادقهم على جسد «**فروزان بــور**»، لأنّني أردت تقبيل الشهيد فقط.

لفتــت ساعــة «**عناية الله**» نظر أحــد الضُّبــاط العراقيِّين، فاقترب وأخذها من يــده. كانت السَّاعة قد تعطّلت في مواجهات اليوم، عندما التفت الضَّابط إلى هذا الأمر، غضب وضَرب وَجهَ «**عناية الله**» بحذائه.

– لماذا، خرّبت هذه السَّاعة؟

(1) بور: تلفظ: Pour.

- تعطّلت خلال المواجهات.

لقـد اعتقد أن «**عنايـة الله**» قد عطّل السّاعة عن قصد. عندما هدأ الضّابط قليلًا، قال «**عناية الله**»: «**لو كنت أريد أن أعطّل هذه السّاعة قصداً، لرميتُها في الماء**».

هـا هو الصّحفيّ الذي كان يصوّر، رأينـاه على جادّة «**الخندق**» قد ظهـر مرّة ثانية. كان يلتقـط الصّور للشباب المكبّلـة أيديهم[1]. طلب العراقيُّـون مـن الشّباب أمام الكاميـرا شتم الإمام، لكـنّ محاولاتهم باءت بالفشل، لم يتمّ تصوير الأسرى المجروحين، لم أفهم في البداية مغزَى عملهم، ولكن في ما بعد انكشفت الأسباب.

كان المصـوّر يفتّـش عـن موضـوع لافـت، اقتـرب أحـد الضُّبّاط العراقيّيـن آخذًا بنصيحة المصـوّر، وتوجها معاً إلى «**تاج محمّد عليّ بور**»، وكأنّه يمكن أن يكون سبقَاً صحافيًّا. أصابت إحدى الشّظايا رأس «**تـاج محمّد**»، وغطّت الدِّماء شعره. اقترب الضّابط النّحيل ذو القامة الطّويلـة، فتح (قنينة) الماء وهمَّ بإراقة الماء على رأس «**تاج محمّد**». أراد العراقيُّـون الّذين منعونا عن الماء حتّى هـذه اللّحظة، أن يغسلوا الدّماء عن رأس «**تاج محمّد**» أمام الكاميرات. أمّا «**تاج محمّد**» الذكيّ اليقـظ، التفت إلى هذا الأمر وأزاح رأسه، ولم يقبل أن يغسل الضّابط الدِّمـاء عنه، فاستشاط الضّابط غضبًا، وانهال عليه أربعة من الجنود بالضّـرب بقبضاتهـم وركلاتهم. فيما بعـد، عندما انهـال العراقيُّون علينـا بالضّـرب بأعقاب بنادقهـم، قال حينها «**تـاج محمّـد**» ساخرًا:

---

(1) تـم عرضـ الفيلم الذي صُوّر في ذلك اليوم وقد بثّته القنـوات الإيرانيّة، وقد عرفت العائلات - ما عدا عائلتي، وعوائل بعض الجرحى الآخرين - أن أبناءهم على قيد الحياة، وهم أسرى عند العراقيِّين.

«تضربون هذا الرأس الذي أردتم منذ لحظات أن تغسلوه بالماء؟».

كانت شمس «**جزيرة مجنون**» الجميلة تغربُ شيئًا فشيئًا، وتَجمَعُ معها أشعّتها الصّفراء والبرتقاليّة، رجا الشّبابُ الجنودَ العراقيِّين ليسمحوا لنا بالصَّلاة، رفض بعضهم الأمر. لكنّ أحد الضُّباط، يبدو أنّه ملتزمٌ بالأمور الدّينيّة، استطاع إقناعهم بالسّماح لنا بالصَّلاة، فأمر هذا الضَّابط بفكّ أغلال الشّباب كلّ عشرة على حدة للصَّلاة، تيمّم الشّباب وصلّوا صلاتهم الأولى في الأسر، دون وضوء. عندما التفت بعض الشّباب إلى أن وقت صلاتهم قد يمرّ بانتظار دورهم، صلّوا دون تيمُّم أو وضوء ودون فكّ قيودهم.

في هذه اللَّحظات، انهالت الأفكار عليّ وبدأت تعذِّبني، مرّت اللَّيلة الماضية في خاطري، حين كان الأحبّة مجتمعين بصفاء ومحبّة في هذا الموقع، واعتصر الحزن قلبي عندما رأيت كيف تغيّرت الأوضاع بين ليلة وضحاها.

أجلت نظري، وللمرّة الخمسين، على وجوه الشّباب المظلومة والمتعبة. شعرتُ أنّهم حتَّى الآن لا يصدّقون أنّ هذا هو مصيرهم في الحرب. وضع الجنود العراقيُّون جسوراً متنقِّلة؛ كي يستطيعوا نقل شبابنا إلى مناطقهم الخلفيَّة، المواجهة لهذا الموقع. منذ اللَّحظات الأولى لسقوط الموقع، بدأت الجرَّافات العراقيّة تعمل على ردم المسافة الفاصلة بين دشمتنا وبين مواقعهم، والَّتي تبلغ حوالي 50 مترًا، وكنّا نرى على الجادَّة بالقرب من الموقع، الكاميونات التي تُحضر التُّراب دون توقُّف.

قـال لي «**علـيّ محمّـد كردلو**»[1] فيما بعـد: «**بعد ظهر ذلـك اليوم الّـذي أحضرونا فيه من موقع** «**بيـت اللّهي**» إلى الجادَّة التَّرابيَّة الَّتي توصل إلى موقع «**الكرام**»، كانـت الجرَّافات العراقيّة تهيلُ التُّراب على جثـث قتلاهم، وقـد تعجَّبت يومها مـن عدم نقـل العراقيِّين لقتلاهم خلف جبهة القتال.[2]

عندمـا تمّ وضع الجسور العائمة، أخذ العراقيُّون الأسرى، ونقلوهم إلى الطَّرف الآخر من الموقع. كانت الشَّاحنات، جاهزة لنقل الأسرى، كانـت أيدي الشّباب مكبّلة، وخوفاً مـن أن يرمي الشّباب بأنفسهم إلى المـاء ويهربوا، كبَّلوا أيضًا أقدامهـم بالأغلال. سأل الضَّابط العراقيّ الشّباب: «**من منكم يستطيع السِّباحة؟ أجاب أربعة أو خمسة منهم:**

---

(1) كردلو: تلفظ: Gherdaloo.

(2) فـي صيف العـام 1998م، ذهبتُ برفقة المهندس «**أسد الله أسديان**»، المديـر التّنفيذي لشركة توزيع الكهربـاء في خوزستـان والسَّيِّد «**رضا دارابي**»، قائـد البسيج في تلك الشركة، إلـى عبادان، أخبرني «**سياوش قربانـي**» مديـر الكهرباء فـي منطقة الجنـوب «**عبـادان وخرمشهـر**» قائلا: «**كوننـا نؤمن الكهربـاء للمراكـز الحدوديّـة العراقيّـة فـي** «**شلمجة**»، كانـت علاقتنا مع الجنـود العراقيِّين جيّدة. أضـاف قرباني: «**كانت مجموعة البحث عـن الشهداء والمفقودين تتعرف على رفاة بعض الشهداء من عمليات** «**كربلاء 5**»». وكان بين اللّوحات المعدنية والعظام الّتي تمّ استخراجها حوالي الثّلاثين أو الأربعين لجنود عراقيّين. فصل الإيرانيّون رفاة القتلى العراقيِّين وقدموها لمركز شلمجة العراقي. كان شبـاب الحرس في شلمجة، يأخذون الرفـاة واللّوحات المعدنيّة للشّهداء، فكانوا يضعونها في توابيت، يلفونها بالأعلام الإيرانيّة ويزيّنونها بورود الشّقائق. وكالعادة كانوا يرتّبون التّوابيت بشكل خاصّ على النّاقلات باحترام وإجراء التّحية العسكريّة، وكانوا يخرجونها من شلمجة لتتوزّع على المدن الإيرانيّة. أمّـا العراقيُّـون فكانوا يأخذون العظـام واللّوحات المعدنيّـة، وعلى بعد حوالـي 500 متر خلف المركز الحـدوديّ كانت الجرّافات تحفـر. وإذا بهم يضعون العظام واللّوحات ويدفنونهـا هناك. مرّة، سألت المسـؤول العراقيّ عن منطقة البصرة: «**لمـاذا لا توصلون هذه الرفاة إلى أهلها وتدفنونها كلًّا في مدينتها؟ أجاب العقيد بضحكة ساخرة: «لقد انتهى تاريخ هذه الجثث، وستسّبب لنا إرباكاً (وجعة رأس)، لا يجب أن نرسلهـم إلـى مدنهـم. ستحيـا ذكرى الحـرب مرّة ثانيـة في قلـوب العراقيِّين، مـن الأفضـل دفنهـم هنا، وتابع العقيـد العراقيّ: «أنا أتعجّـب منكم أيها الإيرانيّـون، لماذا كل هذا الازدحام في شلمجة؟**»

«**نحن**»، بدا أنّهم لم يعرفوا المقصود من كلامه، فأمر الجنود بالإسراع بتكبيلهم.

حمل العراقيُّون الشّباب برفش الجرَّافة، ورموهم وهم مكبَّلون داخل الشَّاحنات. في هذا الوقت، طلب أحد الضُّباط من سائق الجرَّافة أن يفكّ قيود الشّباب، وبعد أن امتلأت الشّاحنات مرّة ثانية، أعيد تقييد الشّباب، وتمّ ترحيل شباب «**موقع الخندق**».

عندما كان الأسرى الأصحّاء يخرجون من «**موقع الخندق**»، جاء عددٌ من الشّباب، ومنهم «**حسين راد**» و«**محمّد ثار اللّهي**»؛ ليأخذوننا معهم، كنّا نحن «**الستَّة جرحى**» غير قادرين على المشي أبدًا. في هذه اللَّحظة ارتفع صوت أحد الضُّبَّاط العراقيِّين وقال لهم: «**ارجع**»، فصاح حسين بعصبيّة: «**ألا تريدون أن تأخذوا الجرحى معنا؟**

فقال الضَّابط بصوت عالٍ: «**كلّا، المعوّقَون سيبقون هنا**».

ذهب «**حسين**» و«**محمّد**»، وحين ذهبا، لاحظتُ القلق والانزعاج على وجهيهما من عدم السَّماح لنا بالذهاب مع الشّباب، أحسسنا بالوحدة، كنّا نتمنّى أن نكون بالقرب من الشّباب، لم نكن نعلم ما هو المصير الّذي ينتظرنا، لقد ارتاح بال العراقيِّين من أنَّنا نحن السّتّة، لا نستطيع الفرار أو القتال.

كانت السَّاعة حوالي العاشرة والنِّصف ليلا، نقلونا إلى أعلى (سطح) الموقع، وأجلسونا على دشمة اسمنتية هذه الدُّشمة الّتي كان يستريح عليها الشَّهيد «**جان محمَّد كريمي**» البارحة، «**إبراهيم نويدي بور**» وعدد من شباب سريّة «**القاسم بن الحسن**»، وها نحن اليوم مع العظام المحروقة للشَّهيد «**كريمي**»، و«**نويدي بور**»، على بعد

10 أمتار، ضيوف تراب موقع الخندق، والقيود العراقيّة في أيدينا.

كنّا ستّة أشخاص: «**السَّيِّد عليّ صالح رايكان**»[1]، «**السَّيِّد محمّد شفاعت منش**»[2]، «**الله خواست بزشك**»[3]، «**هجير آبسواران**»[4]، «**أحمد سعيدي**»[5] وأنا.

كان «**السَّيِّد عليّ صالح رايكان**»، من منطقة دهدشت، نائب قائد كتيبة رسول الله ﷺ، وقد قطعت يده اليمنى في عمليّات «**كربلاء 4**». كنت صديق أخيه «**وليّ محمّد**»، ذلك الرّادود الحسينيّ المميّز، صاحب القلب النّقي. هو اليوم في موقع «**بيت اللَهي**»، في عمليّات «**كربلاء 4**»، أي: تلك العمليّات الّتي قطعت خلالها يد السَّيِّد «**عليّ صالح**»، الَّذي كنتُ «**عامل التَّخريب**» في كتيبته. كان السَّيِّد من أولئك الأشخاص الّذين تعشقهم قلوب التّعبويّين (البسيج) بسرعة؛ لذلك كان يطلق عليه معظم الشّباب لقب «**خرازيُّ**» اللِّواء (المقصود به الشَّهيد حسين خرازي، وهو أحد الشّهداء القادة المعروفين في إيران الَّذين جذبوا بقلوبهم الطَّاهرة آلاف التّعبويّين).

أمّا «**السَّيِّد محمّد شفاعت منش**»، فهو من محافظة «**كهكيلوية**»، وكان قائد إحدى الفصائل في كتيبة الإمام عليّ عليه السلام، أصيب في قدمه اليسرى، كان إنسانًا شجاعًا ومقدامًا، بالإضافة إلى أنّه يتمتّع

---

(1) «**السَّيِّد محمّد صالح رايكان**»، استلم بعد إطلاق سراحه، ادارة مؤسسة الشَّهيد في محافظة «**كهكيلوية**».

(2) «**السَّيِّد محمّد شفاعت منش**»، ما زال في الحرس الثّوري لعشائر محافظة «**كهكيلوية**»، و«**بوير أحمد**».

(3) «**الله خواست بزشك**»، هو الآن في التّعبئة التّربويّة للحرس الثّوري لمحافظة «**بوير أحمد**».

(4) كان «**هجير آبسواران**» في الحرس، وقد أكمل عمله في الحرس في منطقة «**لندة**» بعد إطلاق سراحه.

(5) «**أحمد سعيدي**»، حاليّاً أحد أعضاء الحرس في محافظة «**كهكيلوية**».

بروح نكتة ذكيّة، وقد احترق وجهه وجسده بشكل كبير بعد أن انفجرت دبابة «**تي 72**» روسيّة على بعد خمسة أمتار منه. أمّا أخوه «**السَّيِّد خدايا**»، والَّذي كان من طلبة العلوم الدِّينيَّة، «**فُقِد أَثَره**»[1] في شهر آذار من العام 1984م في منطقة «**الطّلائية**».

أمّا «**الله خواست بزشك**»، فهو من «**بوير**[2] **أحمد**»، وقد جُرح في معدته وقدمه، كان العراقيُّون يظنُّون أنّه طبيب، بسبب اسم عائلته، فكانوا يريدون أن يكتبوا اسمه في لائحة الأطبَّاء، لكن «**الله خواست**» كان يقول لهم: إنّ عائلتي هي «**بزشك**» (والتي تعني باللغة الفارسيّة طبيبًا)، لكنّني لستُ طبيبًا.

و«**هجير آبسواران**» من منطقة «**سوق**»، التّابعة لمحافظة «**كهكيلوية**»، أصابته إحدى الشّظايا في قدمه اليمنى، ولم يعد باستطاعته المشي، كان في متراس كمين أثناء الهجوم (العراقي)، هذا المتراس، الَّذي كان في الحقل المواجه لـ«**موقع الخندق**»، وكان عبارة عن إحدى الدَّبابات العراقيّة الّتي أحرقها الشّباب الإيرانيُّون في عمليَّات «**بدر**»، وكانت تبعد عنّا حوالي 50 متراً. يفصل بين «**متراسنا**» وبين العراقيِّين مستنقع. لقد جرح «**هجير**» عند السَّاعة الرّابعة صباحًا تقريبًا، وقد سحبه الشّباب منذ ذلك الوقت إلى جانب أحد أبواب متاريس الموقع، كان «**هجير**» يراقب شباب الموقع، ودفاعهم الشّجاع، قال «**جابر كريمي**»: كان «**هجير**»، الَّذي لم يكن باستطاعته الحركة، يملأ أمْشَاط أسلحة الشّباب بالرّصاص.

---

(1) (هناك عدد من الجنود الإيرانيِّين ليسوا شهداء، ولا أسرى، بل مازالوا مفقودين، ولم يتم الإعلان عن شهادة بعضهم إلى الآن ويطلق عليهم عبارة «**مفقودو الأثر**»).

(2) بوير: تلفظ: povir.

«**أحمـد سعيـدي**»، كان أيضـاً من منطقـة «**سوق**»، أصيـب بشظيّة فـي معدته، فخرجت أمعاؤه من مكانهـا، ومع أنّ الشّباب ربطوا معدته بالأقمشـة والكوفيّات، وحاولوا إدخال أمعائه مرَّة ثانية، لكن الأمر كان يبدو صعبًا، فالأمعاء تخرج دون توقف.

بعـد الإصـرار والضّغط الـذي قام بـه «**السَّيِّد علـيّ صالـح**»، قَبِلَ العراقيُّـون فكّ قيودنا لنتمكّن من أداء صـلاة المغرب والعشاء. ولكي نصلِّـي دون مشكلـة، اقتـرب «**الله خواسـت**» ونزع صورة صـدّام الّتي كانـت أمامنا على الحائط، عندمـا رآه الجنـديّ، الواقف على مدخل الخنـدق، غضب، وضرب «**الله خواسـت**» بأخمص بندقيته على رأسه، مع أنَّ الجنديّ لا يفهم كلامنا فإنّ «**الله خواست**» أكمل قائلًا: «**إنّ هذه الصُّورة تذكِّرنا بذنوبنا**» لكن الجنديّ أخذ الصُّورة، وأعاد وضعها في المـكان نفسه، أَجبَرْنـا أنفسنا على الصَّلاة ونحـن ملتصقين بحائط الخندق.

كان العراقيُّـون يريـدون أن يعرفوا ما الَّـذي كان يفعله السَّيِّد عليّ صالـح بيد مقطوعـة على الجبهة، فقد احتملوا أن يكـون قائداً مهمّاً. قـال السَّيِّـد للشَّبـاب: «**كلّكـم تعرفونـي، وهـم لا يعرفونـي لغايـة الآن، إذا سألوكـم مـا هـي مسؤوليتـي على الجبهـة، أجيبوهم بأنّني جنـديٌّ عـاديٌ، لا تكتموا كوني في الحرس، ولكن لا تبوحوا برتبتي ومسؤوليَّتي**».

إنّهـا آخر ساعات اللّيل، كان عددٌ مـن عناصر «**المنافقين**» (منافقو خلـق) لا زالـوا في «**موقـع الخنـدق**». أخرَجَنا العراقيُّون - نحـن السِّتة - كلٌّ علـى حـدة، وحقَّقـوا معنـا، كان اثنـان من منظمـة «**منافقي خلق**»

يرافقان العراقيِّين في هجوم اليوم، وكان العراقيُّون يحاولون إذلالنا من خـلال قولهم لنا: «**انظروا هـؤلاء ليسوا عراقيِّين، إنّهـم إيرانيُّون وهم يحاربونكم**».

لقد تلقَّيت رسالته، وها أنا أرد له الجواب: «**ها هو فيلق بدر ليسوا إيرانيِّيـن، إنَّهـم عراقيّـون، لكنّهـم يحاربونكـم، فـكلّ واحد لـه دافعٌ خاصٌّ للمشاركة في الحرب**».

لقـد أسر العمـلاء المنافقـون «**السَّيِّد فاضـل فضليـان**» في جادَّة «**الخنـدق**». كان «**السَّيِّـد فاضل**» عنصر الحرس الوحيد الّذي استطاع رمـي نفسه في مياه الجزيرة قبل أسره، والهرب من «**موقع الخندق**». وصل الدَّور إلى «**السَّيِّد عليّ صالح**»، الّذي أبقوه في «**موقع الخندق**»، على الرَّغم من أن إصابته ترجع إلى سنة ونصف خلت. لكني لا أعرف لمـاذا لم يأخذوه مع الأسرى الأصحّاء. يعرف البعثيُّون أنّ شخصًا بيد واحدة فـي «**موقع الخنـدق**»، يعني أنّـه ليس عنصرًا عاديًـا، وكأنّهم تساءلـوا: فماذا يرومون مـن شخص لا يد له في الخطوط الأماميَّة، لا يمكن أن يكون جنديًّا عاديًّا. صحيح أنَّ لا يد له، لكنه يملك عقلًا.

قبل أن يطلبونا للتَّحقيق، وحّدنا كلامنا. كان الجنديُّ على المدخل يحـدّق بنا. خفت للحظة، وقلت في نفسي: «**ماذا لو كان هذا الشَّخص يعـرف الفارسيّـة ويفضحنا**». اتّفقنا مع «**السَّيِّـد**» على أن نقول أنّه في الحرس، لكنّه ليس من قادة الحرس، أكمل «**السَّيِّد عليّ صالح**» قائلًا: «**أمّـا فيمـا يتعلّق بيدي المقطوعة، قولوا: إنّني حين كنت في الحي، فـي إحـدى المـرّات كنت أنقـل القمح إلـى المطحنة، وحيـن وضعتُ القمح، علقت يدي بحبل المطحنة وقُطعت**».

حيـن سألنا العراقيُّـون عن يـده، وأجبناهم كلّنا بأنّهـا قطعت في الطّاحـون، بدا على وجوههـم أنّهم لم يصدّقوا كلامنـا، كان هدفهم فقط كشف هويّة «**السَّيِّد علي صالح**».

مضى مـن اللَّيل نصفه، لكنَّنا لم يغمض لنـا جفن، مزّقتُ بنطالي «**الكـرديّ**» من المـكان الّذي دخلته الشَّظيَّـة، كان جرحي عميقاً، لكنّه لم يكـن يؤذيني كثيرًا، ضمّدت جرحي بأحد القمصان العسكريَّة الّتي كانـت في الخندق، أمَّا «**السَّيِّد صالـح**»، فقد كان غارقًا في التَّفكير، لا يشعـر بشيء حوله وهو يركّز نظره في مـكان ما، أو بالأحرى في زمان ما، كنت أفهم جيّداً ما الَّذي يدور في خَلَدهِ.

ساد الهدوء كلّ الخندق.

صدفتنـا أحداث طيلة هذا النّهـار، لم نكن نصدّق أن يكون نصيب «**جزيـرة مجنـون**» مـن هـذه المعركة على هـذا النّحو، كنـت أظنّ أنّ بعضهم قد خاننا وطَعَننا في الظّهر. لا أدري قد أكون مخطئًا.

كان لـدى «**السَّيِّـد صالـح**» الكثير من الكلام، كان يلـوم نفسه؛ لأنّ معظـم مـن كان تحت إمرتـه قد وقع فـي الأسر، مع أنّه غيـرُ مقصّرٍ. كان «**السَّيِّد عليّ صالح، هجير، الله خواست، وأحمد**» الّذين وقعوا في الأسـر فـي «**موقع الخندق**»، يريدون أن يعرفـوا. وأنا أيضاً. ما الذي حصل يومها في جادَّة «**الخندق**».

حدّثتُ «**السَّيِّد صالح**» بكلّ ما يتعلّق بجادّة «**الخندق**»، وقد كلّمنا هو عن الملحمة الّتي سطّرها شباب «**موقع الخندق**».(1)

(1) بـدأ العـدوّ بالقصف فـي السّاعة 10و3 دقائق فجـراً. وانقطع منذ تلك اللّحظـات الاتّصال بين شباب موقـع «**الخندق**» وقيادة المحور. سَمعـتُ لجنة قيادة اللّواء المتمركزة على تقاطع الطّريق بالقرب من

المحـور، آخر كلام «للسَّيِّد عليّ صالح». لقد اخترق العراقيُّون وبمساعدة المنافقين موجة اللّاسلكيّ الّتـي كان يتحدّث عليها الشّباب، وبدأوا يتكلّمون مع السَّيِّـد صالح بالفارسيّة والعربيّة واللّهجة اللّورية البختياريّة. حوالي السّاعة 5.45 دقيقة صباحًا، نادى السَّيِّد شكر الله واهبي زاده قائد كتيبة رسول الله ﷺ وطلـب مـن «السَّيِّد عليّ صالـح» أن يتوجّه إلى موقع «بيت اللهـي» و«تشراغتشي»، كي يعيد تنظيم سريَّتـي الإمـام السّجاد عليه السلام والإمـام المجتبى عليه السلام بناءً للظّـروف والأحوال المتغيّـرة. لكن «السَّيِّد صالـح» قـال بلهجتـه المحبّبة: «**فدتـك روحي، اذهب أنـت أريد أن أبقى مـع الشّباب هنـا، إنّني اشعر بالارتياح وأتأقلم أكثر معهم هنا، أنا لا أُبادل هؤلاء الشّباب بالدّنيا وما فيها. إذا كان من المفترض أن أمـوت أفضّـل المـوت معهم. اثناء خـروج «السَّيِّد واهبي زاده»** من الموقـع نادى «**جان محمد**»، لم يكن «**السَّيِّد صالح**» يريد أن يبلغ «**واهبي زاده**» أن جان محمد قد استشهد. كان واهبي زاده يحب «**جان محمّد**» كثيراً وكان مضرب المثل بحبّه لقائد سريّته.

مرَّة ثانية، نادى «**واهبي زاده**» صديقه «**جان محمّدي**»، وساد قلق في المكان، فماذا يقولان؟ تقدَّم «**السَّيِّد صالـح**» وقـال له: «**اهدأ، لقد استشهد جان محمد وإبراهيم**»، ولكن لا تقلق على هذه المنطقة. عندما سمـع «**واهبـي زاده**» هذا الخبر وضع يده علـى خاصرته وجلس. قال السيد علـي صالح: عندما أبلغت «**واهبـي زاده**» خبـر شهادة «**جان محمّد**»، عـاد إلى ذهني مشهد إبلاغ «**محسـن رضائي**» خبر شهادة «**حسـن باقـري**»، شعرت أن ظهره قد انكسر. لقد خسر «**واهبـي زاده**» قائداً ومساعد سريّته في أحلك الظّروف وأكثرها صعوبة.

حوالي الساعة 6.30، سلّم «**واهبي زاده**» سريّة القاسم بن الحسن عليه السلام إلى «**السَّيِّد صالح**»، وطلب اتّخاذ الإجـراءات اللّازمة لدمـج السَّريَّتين تحت إمرته، وها هو يترك الموقـع. كان القصف ينهمر كزخّات المطـر. أبلغنـا «**واهبي زاده**» أنّـه رأى العراقيّين داخل القناة، في طريقه لرؤيـة شباب سريّة الحسن المجتبـى عليه السلام الّذين كانوا في الموقع الخلفيّ. رمى العراقيُّـون الّذين تسلّلوا واستقرُّوا بين السريّتين الأولـى والثّانية، قنبلة على «**واهبـي زاده**» الّذي جُرح بسببها. أمَّن له الشّباب تغطية بالرّصاص؛ كي لا يسمحـوا لقائدهم أن يقع في الأسر، فهو صيد ثميـن للعراقيين. كان «**وهبي زاده**» يدير قيادة السرايا عبـر اللّاسلكـيّ. ثمّ توجّه من القناة شَمـال الجادّة إلى «**تشراغتشي**» ، حيـث أصبح محاصراً هناك. حين التفت «**واهبي زاده**» إلى أنّ كلّ شيء قد انتهى، رفع يده السليمة ووقع أسيراً. لكن العراقيّين وفي زحمـة الغبـار والقصف والرِّمال لم ينتبهوا إليـه، فاستطاع هو أيضاً استغـلال الفرصة، ركض ناحية «**بيـك أب**» صغير وبيده المجروحة نجح بالفـرار منهم إلى «**تشراغتشي**» ومن ثمّ استطاع الوصول إلى «**تقاطـع المحـور**». لقـد جُرح قائد كتيبـة رسول الله ﷺ في أصعـب الظّروف. كان «**واهبـي زاده**» من اولئـك القادة الّذين يتّصفون بالتّدبيـر وحلّ المشكلات حتّى في أصعب الظّروف وأكثرها تعقيداً. قاد كتيبته بأقلّ الخسائر، وكان يتّخذ القرارات الصّائبة في أسرع وقت. عاد بسرعة من «**تقاطع المحور**» إلـى ميدان «**تشراغتشي**»، ثمّ تابع بجسده المجروح قيادة كتيبته. كان آخر اتّصال له «**بالسَّيِّد صالح**» فـي السّاعة التّاسعة صباحاً. عندما انقطع الاتّصال بينهـم، ولكي يحافظ «**السَّيِّد صالح**» على ارتفاع معنويّات الشّباب في الموقع؛ بدأ ينشد للشّباب شعراً محليّاً لازمته «**يار يار**» أي «**حبيب، حبيب**». غلبت الدّمعـة «**واهبـي زاده**» الّذي رأى حوالَـيَ الثّمانين أو التّسعين من شبابه على قـاب قوسين من الأسر،

كانت حكاية شباب «**الخندق**» حكاية مؤلمة ومُرّة. فهناك الكثير من الأسئلة كانت تقلق أذهان الشّباب، أسئلة دون إجابات: لماذا كانت أسلحتنا وذخيرتنا قليلة؟ لماذا لم يصل الدّعم، الأسلحة والإمدادات؟ لماذا لم يُقدم أحد على مساعدتنا، ويحاول خرق الحصار؟ لماذا كان مصير جزيرة «**مجنون**» هكذا؟ ولماذا ولماذا؟

لقد قاوم شباب «**موقع الخندق**» ببسالة وشراسة على أمل وصول الدّعم من خلف الجبهة. لم يتوقّعوا الوقوع في الأسر. قال «**السَّيِّد علي صالح**»: لو أنّ الشّباب عرفوا أن لا دعم، ولا محاولات لكسر الحصار، لاختلفت الأوضاع؛ لما وقعنا في الأسر؛ كان كلّ الشّباب يعرفون السِّباحة، لو كانوا يعرفون ما سيحصل، لرموا بأنفسهم في الماء

وبدأ يعتذر من «**السَّيِّد صالح**» على عدم قدرته على إنقاذهم من هذا الوضع. قال: «**لن أسامح نفسي لو كنت أستطيع أن أقوم بعمل ما ولم أقم به**». تابع استلام دفة الأمور إلى اللّحظة الّتي أغمي عليه بسبب إصابته.

إنّ القناة الّتي حفرها الشّباب في الجهة الخلفيّة لـ«**موقع الخندق**» أثناء هجوم الأعداء كانت استراتيجيّة؛ لأنّها جعلت مياه الجزيرة تملأ هذا المكان فصعّب مرور الأعداء أو هجومهم من الخلف علينا؛ لأنّ هذا الأمر جعل تقدُّم الدّبّابات وحاملات الجند صعباً جدًّا. ولكن محاصرة الشّباب في هكذا ظروف، زاد من إحساس الشّباب بالغربة والوحدة، وها هم عاجزون عن الحركة. إذا ما تم احتلال «**موقع الخندق**» سيتراجع الشّباب ويستقرُّون في موقع «**بيت اللّهي**» وفي موقع«**الطبرسيّ**». أي: التحصينات الواقعة خلف القناة الّتي تحدّثنا عنها.مع وجود هذه القناة كان من الصعب جدًّا خروج الشّباب، والانتشار على الجادّة الأساسيّة، وبالتالي مواجهتهم للعراقيّين، ثمّ قتالهم وعدم الوقوع في الأسر. لقد تحوّل الموقع إلى جزيرة تحيط بها المياه من جهة، والعراقيُّون من جهة أخرى. فلم يعد بالإمكان إيصال الإمدادات البشريّة أو الغذائيّة. إنّ توقع هذا الأمر منذ عدّة أيّام هو الذي جعل «**واهبي زاده**» قائد كتيبة رسول الله يقدّم استقالته؛ لشدّة غضبه؛ لأنّه قال إنّه بهذا العمل قد حكمنا على شباب الموقع بأن يُحاصروا داخله؛ لأنّ إمكانية ردم هذه الهوة أمر صعب جدًّا جدًّا. ولكن عندما رأى الظّروف الصّعبة الّتي تشير إلى الهجوم الحتميّ للعراقيّين تراجع عن استقالته. وها هو الموقع وحيدٌ مع شبابه الّذين يواجهون هجوم العراقيِّين الذين أحاطوا بنا من كلّ الجهات، وعلى الرّغم من أن المستنقعات كانت تحيط بالموقع فإنّ العراقيِّين،.وبعد ساعات من المحاولة،. ها هم أمامنا بكامل أسلحتهم.

ونَجَوا من هذه المحنة.

عندما سألني عن تقدّم العراقيِّين، أجبته:

– كان العراقيُّون قد تقدَّموا إلى جادّة «**سيّد الشهداء**»، منذ السّاعة العاشرة صباحًا.

– ماذا عن المقرّ السّادس للحرس؟

– يقولون: إنّ الأعداء قاموا بإنزالٍ خلف المقرّ.

عندما كانت السَّماء تشتعل بالنَّار والرَّصاص ظهرًا، وقف «**عليّ خجر شفيعي نسب**» (1) في أعلى نقطة من الموقع ورفع صوته بالأذان، كان يشجِّع الشّباب على الجهاد، وكان يرتجز دائمًا. عند الظُّهر، وفي قلب المعركة، وقف وأذّن، وقال للشّباب بعد الأذان: إنّ سريتنا اسمها سريَّة القاسم بن الحسن، واليوم عاشوراؤنا، يا أبناء الخمينيّ! قاوموا حتّى آخر رصاصة، لا تُهدروا طلقاتكم، إنّ دمنا ليس أفضل من دم مولانا الإمام الحسين عليه السلام، إذا سقطَتْ هذه المنطقة فبماذا سنجيب الإمام ونقول له؟ فاليوم عين الله، وعين الإمام الحسين عليه السلام على هذه المنطقة.

عندما نفدت ذخيرة الشّباب ورفعوا أيديهم، لم يكن «**عليّ خجر**» مستعدًّا للوقوع في الأسر. وقف كـ«**أبي ذر**» في أعلى الحصن (المتراس)، بالقرب من جسد الشّهيدين «**جان محمّد**» و«**إبراهيم**»،

(1) كان «**علي خجر شفيعي نسب**» أكبر شباب التّعبئة سنًّا. منذ العام 1981م، دخل الحوزة العلميّة «**في كهكيلوية**». كان من محبّي «**السَّيِّد مير أحمد تقوي**»، رئيس الحوزة العلميّة في «**دهدشت**». في منتصف اللّيل، وقبل ساعة من الهجوم العراقيّ، اغتسل غسل الشّهادة. ينقل «**علي رضا كرمى**»، أحد الشّباب الّذين أُسروا في «**موقع الخندق**»، أن علي خجر، وفي اليوم السّابق، أخرج من جيبه خمسين تومانا وعشرين تومانا (حوالي خمسين ليرة لا غير)، وقال: «**أيها الشّباب، لربما استشهدت، أعطوا هذا المال لماليّة الكتيبة، تبرّع منّي للجبهة.**

وقـال: إنّ دمي ليس أفضل من دماء «**جان محمّد وإبراهيم**»، لم أعش هذا العمر كلّه كي أصبح أسيراً في النِّهاية. عندما سقطت دشمتنا كأنّه أراد أن يقول: إذا لم تكن إيران، فما نفع جسمي؟ وقف في أعلى نقطة من الموقع، وصرخ بأعلى صوته: هيهات منّا الذِّلة، الموت لصدّام.

أطلـق أربعة أو خمسة عراقيِّين النّار على أكبر التعبويين سنًّا. تلقى «**حبيب بـن مظاهـر**» سريّة القاسم بن الحسن عشـرات الطَّلقات في صدره، وقع جسد هذا الشَّهيد النحيف واللّطيف بالقرب من الشّهيدين «**جان محمّد**» و«**إبراهيم**».

لجأ الأعداء، ومن أجل السَّيطرة على «**موقع الخندق**»، إلى الحيلة. اقترب ستة عشر قاربًا، وقد نصبوا عليها علم بلادنا، داخل القناة الّتي حفرها الشَّبـاب في الخلف، فرح الشَّباب، وبـدأ البعض منهم يصرخ بصوت عالٍ: «**لا تطلقوا النّار، لا تطلقوا النّار، إنّهم مقاتلونا**».

فـي الصّباح كان شباب «**الآر بي جي**» في كتيبة رسول اللّه ﷺ قد قصفـوا أكثـر من عشرة قوارب فـي الجهة الشّرقية للخنـدق. لم يمرّ الكثيـر مـن الوقت، وانكشفت حيلـة العراقيِّين، واللّه خيـر الماكرين. لقـد فهم «**السَّيِّد عليّ صالـح**»، وهو صاحب التّجربة والباع الطَّويل في الجبهة، أنّ في الأمر حيلة، وطلب من السَّيِّد «**عليّ شير قيطاسي**» قائلًا: اقصفوا قوارب العراقيِّين! لكن «**عليّ شير**» الّذي صدّق أنّهم إيرانيون، قـال: يا «**سيّد عليّ!**» إنّهم يرفعون العلـم الإيرانيّ، لن أقصفهم، إنّهم قوّاتنا. صرخ «**السَّيِّد عليّ**» بصوتٍ عالٍ: لقد رفعوا القرآن على الرّماح! إنّـه مكر الأعداء، اقصفهم! لكن «**عليّ شير**» كان لا يزال عند إصراره علـى أنّهـم إيرانيّون. لكـنّ «**السَّيِّد علـيّ صالح**»، الّـذي كان يعرف ما

يقولـه، نادى «**مهدي كريمـي**»، وهو أحد شباب الآربي جي «**الفَطِنين**» في الكتيبة، وقال: «**مهدي، اِرمِ هذه القوارب، أجاب مهدي:** »تكليف»؟! ردَّ «**السَّيِّد عليّ**»: «**طبعًا، تكليف، إنّه عَلَمُ مكرِهم**». رمى مهدي القارب الأوّل علـى بعد ستين متراً مـن الموقع، وبدأ عندها شباب الآربي جي، وكذلـك «**علـيّ شير**»، الّذي عـرف بوضوح خديعة الأعـداء، بدأ برمي قـوارب الأعداء، ودون توقُّف. عندما كان «**إسماعيل صولت دار**» يرمي القـوارب، نادى بأعلـى صوته: «**يا شاه قاسـم (وهو أحد أبنـاء الأئمّة المدفونيـن فـي محافظـة بويـر أحمـد) نـذرتُ لـك أفضـل خرافي، ساعدنـي كـي أدمّـر هـذا القـارب**». وها هـو يصيب القـارب العراقيّ، وترتفـع الصّلـوات والتّكبيـرات، أمّـا السَّيِّد «**نـادر السَّـادات**» و«**حميد مهدويّ**» فقد سال الدَّم من أذنيهما؛ لكثرة ما رموا بسلاح الآربي جي. كان «**حميـد**» الأصغـر سنًّا بين رماة «**موقع الخندق**». عندما انكشفت خطّة العراقيِّين لاذوا بالفرار، وتراجعوا عن الموقع. جمع «**السَّيِّد عليّ صالـح**» قادة المجموعات، ورماة الآربي جي، وقال لهم: «**أيُّها الشّباب، لم يبقَ من العمر الكثير، هنا نقطة النِّهاية، لا نملك شيئًا لنخسره. الكثيـر منّا قد شهد عمليّات (بدر) و(خيبر)على هذه الجزيرة. لكن اليوم ليس كباقي أيّام الحرب، وبما أنَّ الوضع قد وصل إلى ما وصل إليـه؛ قسّمـوا أطراف الموقـع بينكم، ولا يجب أن نقع فـي الأسر إلّا عندما نأخذ بثأر الشُّهداء... **».

خـارت قوى الشَّباب، وذخائرهم آلت إلـى النَّفاد. لا مجال لإرسال الدّعم والذّخائر إلى «**موقع الخندق**»، سيطر العراقيُّون على الخطوط الخلفيّـة، وقد أخذ العطش مأخذه مـن الشّباب، لم تكن مياه الجزيرة

قابلة للشُّـرب. حوالي السّاعة الرابعة بعد الظهـر، توقَّف إطلاق النَّار مـن قبل شبـاب «**الخنـدق**». فـي اللَّحظـات الأخيـرة، قاتـل الشّباب بالحجـارة، لقد كانت الفرصـة الأخيرة والرّصاصـة الأخيرة. عندما كان العراقيُّـون يصعدون على تحصينات وسواتر «**موقع الخندق**» كان الشَّباب يواجهونهم بالحجارة والعصيّ والحجارة الإسمنتيّة. قليلة هي الأوقـات الّتي واجه فيها العراقيُّون الشّباب الإيرانيِّين وهم يحاربونهم بالحجـارة والتُّـراب. كان اللُّور (أهالـي منطقة لورستان فـي إيران) أصحـاب هذه الأفـكار. كان العراقيُّـون يظنُّون عندهـا أنّ الإيرانيين يرمونهم بالقنابل اليدوية، فكانوا يقفزون من القوارب إلى الماء خوفًا. لقد سيطـر الأعداء على «**موقع الخنـدق**»، ولكن ليس على «**الحصن**» الّذي تمترس فيه الشّباب والّذي يقع خلف الموقع. كان هذا «**الحصن**» النُّقطة الأخيرة الّتي قاومنا فيها.

فـي اللَّحظـات الأخيـرة، تراجعـت كلّ القـوارب العراقيّـة. عرف «**السَّيِّـد علـيّ صالح**» الّذي كان قائدًا، وصاحـب خبرة. ما الذي يريده العراقيُّون، كانوا يريدون رَمْيَنـا بالصَّواريخ؛ لذلك جمع الشَّباب؛ لكي يعطيهـم التّوجيهـات اللّازمة، أو كما يُقـال «**أخذ التَّكليـف**» منه. كان معنـا، بالإضافة إلى شبـاب سريّة القاسم بن الحسـن، أعضاء فريق الإمداد الطِّبّيّ، وقادة القوارب أيضاً، قال يومها «**السَّيِّد صالح**»: ...أنا أعـرف ما الّذي تشعرون به في هذه الأثناء، أنا أيضاً يخالجني الشُّعور نفسه... هل تظنُّون أنّني أحبّ أن يأسرني العراقيُّون؟ نحن محاصرون، لا ذخائـر، ولا طعام. لقـد كان تكليفنا حتّى هذه اللَّحظـات أن نقاتل، وتكليفنا الآن أن نؤسَر.

في تلك اللّحظة، عندما أراد الشَّباب اتّخاذ القرار، ظهرت مروحيّة عراقيّة وحلّقت فوق الرّؤوس، وكان أحد الجنود يتلو بلاغًا باللّغة الفارسيّة باسم قائد الفرقة 16 في الجيش العراقيّ: «**إنّكم محاصرون، لا خيار أمامكم سوى الاستسلام، والأفضل أن تسلّموا أنفسكم، وإلّا سنقصف الموقع بالصّواريخ**». طلب السَّيِّد من أربعة من الشّباب أن ينزعوا قمصانهم التي يرتدونها تحت بزّاتهم، وأن يغرسوها على الجهات الأربع للموقع.

كانت لحظات قاسية ومؤلمة بالنّسبة إلى الشَّباب. وهم حتّى اللَّحظات الأخيرة لم يفقدوا أملهم، وكانوا يتصوَّرون أنّه قد تصلهم الإمدادات البشريَّة والعسكريّة ويتمّ إنقاذهم. كانت جثث الشُّهداء المحترقة «**جان محمّد كريمي**»، و«**إبراهيم نويدي**[1] **بور**»، وغيرهم من شهداء الخندق كـ «**أرجاسب عليّ زاده**»، و«**عليّ خجر شفيع نسب**» ملقاةً على الأرض، كما قال «**أحمد سعيدي**» إنّ أشلاء الشّهيد «**أرجاسب علي زاده**»، قناص الكتيبة، التصقت بحائط الخندق المجاور. لم يستطع الشّباب أن يدفنوا شهداء «**الخندق**» قبل الوقوع في الأسر، وقيل: إنّ «**محمّد صادقي فرد**» و«**درويش رومينا**» قد استطاعوا دفن جثّة «**بيران**[2] **مستوفي زاده**» فقط. لقد تمّ تعريف «**بيران**» في اللّيلة السّابقة على «**الموقع**»؛ إذ تمّ إرساله من وحدة المعلومات. في اللَّحظات الأخيرة، عندما أراد الشّباب سحب الجثث؛ لدفنها بين ألواح «**الموقع**»، تمّ كشفهم وأسرهم.

---

(1) نويدي: تلفظ: Novede.

(2) بيران: تلفظ: Piran.

ما ذكرته هو ما شهدته من أحداث في «**موقع الخندق**» و«**حصنه**».
وها نحن الآن خمســة أشخاص فقط، مكبّلين بالقيود، جراحنا نازفة، وأسـرى بيَد الأعداء. سيطر صمت مُميت على «**موقع الخندق**»، وعلى جزيـرة «**مجنون**»، لم تعد تُسمع أصـوات الطّلقات النّاريّة، كان هناك فقط أصـوات الصّراصير البرّيّة، والضّفادع الَّتي تهادت إلى مسامعنا من بين قصب المستنقعات الموجودة هناك؛ كذلك لم يرحمنا بعوض الجزيـرة المـؤذي ولو للحظة واحدة، ها هـي أوّل ليلة من ليالي الأسر نرميها خلف ظهورنا بذكرياتها الجميلة والحزينة. و... إلى الغدِ.

الأحد 26 حزيران 1988م- جزيرة «مجنون». «موقع الخندق»

كنّـا نقترب من وقـت أذان الصُّبح، كلٌّ مّنا يتألّـم بطريقة خاصّة، كانـت فكـرة أنّني أسيـر تؤذينـي بشكل كبيـر، على الرَّغم مـن الألم الشّديـد الذي كان ينتابني.. لكن وبعد قضاء نهار صعب.. شعر جسمي الجريح بالسّكينة بين تراب الموقع، امتلأت جراحي بالتّراب والدِّماء، جفّت الدِّمـاء على ملابسي، واسودّ لونها، لم استطع النّوم لشدّة الألم والتّفكيـر والتّخيّلات. عندمـا رفع «**السَّيِّد علـيّ**» صوته بالأذان غضب العراقيُّـون منـه، وانهالوا عليـه بالشّتائـم والصّراخ؛ كـي يتوقف عن الأذان. صلّيت الصّبـح متيمّمًا لشدّة تعبي وإرهاقي، غفوتُ بعد صلاة الصّبح، وكانت الكوابيس بانتظاري.

كان اليـوم السَّابق أسوأ يوم في حياتي، إبتدأ تاريخ أَسرِي مع بداية

الأسبـوع، نهار السَّبت[1]، ولشدّة ما كانـت فكرة الأسر تعذّبني، عندما غفوت لساعتين لم أستطع إلّا أن أرى في منامي أنّ المقاتلين الإيرانيِّين قد أتوا لإنقاذنا، وكنت أكرّر في نفسي أثناء الحلم: «**أعرف أنّني أسير الآن بيـد العراقيِّيـن، وكلّ مـا أراه هـو حلم، ولكن يا ليتنـي أستيقظ ويكون أمر تحريرنا حقيقيًّا**».

عندمــا أشرقت الشَّمس، تحوّل المــكان المحيط بالموقع إلى تجمُّع وممر للسّيّارات والعسكر. استمرّت الانفجارات في أحد مخازن أسلحة الأعداء إلى منتصف اللّيل. كنت أعرف أنّ مستودع الذَّخيرة في الفيلق 25 العراقيّ، الواقع في الجهة اليمنى من جزيرة «**مجنون**»، قد تعرَّض للهجوم والقصف من قبـل مقاتلينا. مهما حدث، لكن الحقيقة هي أن صـوت الانفجارات قد استمر لأكثر من 12 ساعة. لم تستطع السَّيارات وناقـلات الجند العراقيّة الدُّخول إلى «**جادّة الخندق**» من جهة «**موقع الخنـدق**»، بـل كانــوا يتحرَّكـون ويتنقلون فـي القوارب بيــن الجزيرة والموقــع، وفهمــت مــن أحاديثهــم أنّهم غاضبــون جدًّا بسبــب القناة (الحفـرة الّتي حفرها الشّباب وفصلوا بهــا الموقع عن الجزيرة؛ ممّا جعل حركة العراقيِّين أكثر صعوبة، وقد أكّد هذا الأمر ما قاله لي أحد أعضــاء جماعة «**المنافقين**» هنــا). كان العراقيُّون الَّذين يستخدمون المنافقيــن كمترجمين قد ذكروا مرارًا وتكــرارًا، أنّه لولا هذه الحفرة (القنــاة) لوصلوا إلى المحمَّرة والخفاجيّة. ما زال العراقيُّون إلى الآن يسمّــون خرّمشهــر الإيرانيّة باســم المحمّرة، وسوسنكــرد[2] يسمّونها

---

(1) نهار السّبت هو أوّل أيّام الأسبوع في الجمهوريّة الإسلاميّة، والجمعة عطلة نهاية الأسبوع.

(2) سوسنكرد: Sosangherd.

الخفاجيّة، والأهواز يسمّونها الناصريّة، وخوزستان يسمّونها عربستان.

سأل أحد العراقيِّين الّذي كان برفقة المنافقين:

- لماذا فصلتم بين الجزيرة ودشمتكم، وحفرتم هذه الحفرة الّتي لولاها لما وقعتم أسرى بين أيدينا؟

- الأهمّ هو ألا تستطيع دبّاباتكم العبور إلى الجادّة الأساسيّة (جادّة الخندق).

- لو لم تكن هذه الحفرة لكنّا الآن في الهويزة.

- هذا ما كان يتوقّعه قادتنا؛ لذلك، حفروا الحفرة بالمتفجّرات؛ كي تصبح أعمق وأكبر؛ وبالتّالي يصبح من المستحيل ردمها.

لقد هدأت آلامي وخفّ تعبي قليلاً عندما سمعت أحد القادة العراقيِّين يقول لي: «**إنّني أتقبّل هذا الواقع حتّى لو كانت خلاف رغباتنا، لقد أخطأنا في معرفة قوتّكم وقدرتكم الحقيقيّة أيُّها الـ«بسيج»** (التّعبئة). كنّا نمتلك المعلومات الدّقيقة حول قدراتكم وتجهيزاتكم العسكريّة، ولكنّنا لم نكن نعرف هذه الرّوحيّة المعنويّة الَّتي لديكم».

ساورني القلق، وكنتُ أريد معرفة ماذا تخبّئ لنا الأيّام القادمة؛ لا دواء، ولا ضمادات. كان العدُوُّ فرحًا جدًّا؛ لأنّه استطاع احتلال جزيرة «**مجنون**»، وبدأ أحدهم يغني والآخرون يرقصون رقصًا عربيًّا تعبيرًا عن فرحهم.

في الصّباح، أحضروا لنا بعض الخبز والجبن والبندورة. لم نستطع تناول الطَّعام، فقد انقطعت شهيتنا للطّعام، كنّا نقرأ أسماء الشُّهداء الَّتي كتبت على الجدار الإسمنتي للموقع، والّذين سبق أن كانوا هنا في

«**موقع الخندق**»، وقد كُتب فوق هذه الأسماء عبارة بالطبشور: «**هؤلاء المسافرون إلى السَّماء، وهذه السّنونوات المدمّاة، بذلوا دماءهم؛ لأجل بناء هذه الموقع، علينا، أنا وأنت، أن نتابع المسير ونحفظ ذكراهم**»[1].

بين السّاعة العاشرة والحادية عشرة ظهرًا، أخرجونا من الخندق، وضع «**السَّيِّد علي صالح**» يده تحت كتفي وسحبني إلى الخارج، على الرَّغم من فقدانه إحدى يديه، فقد كان الأفضل حالاً بين المجروحين، على الأقلّ لم يكن يشعر بالألم. كان بعض العراقيِّين يكرهون الإمساك بأيدينا أو مساعدتنا. كانوا يقولون لنا: أنتم الإيرانيُّون نجسون، وإذا ما أمسكنا بأيديكم علينا أن نطهّرها. كنّا نلاحظ أنّهم إذا ما أعطونا الماء وشربنا بأكواب، لا يستفيدون منها؛ لذلك كانوا يعطوننا بقايا علب الطّعام المعلَّب؛ لنشرب بها.

عند الظَّهيرة، جاء ضابطان عراقيّان ليأخذوا «**السَّيِّد علي**»، وكأنّهم عرفوا عمله ورتبته في الحرس، لم نكن نعرف إلى أين سيأخذونه، وما الذي سيحلّ به، طلب السَّيِّد من العراقيِّين السّماح له بالتكلُّم معنا، وقد قبل الضّابط الأعلى أن يكلّمنا على انفراد. جلس «**السَّيِّد**» بالقرب

(1) في أواخر شهر فروردين [منتصف شهر نيسان]، انتقل لواؤنا إلى جزيرة «**مجنون**» بعد عام من القتال في منطقة كردستان، واستلمنا مكان شباب «**لواء القائم 12**»، وهم من منطقة سمنان. أمّا أسماء الشّهداء المكتوبة على جدران الموقع فكانت لشهداء خراسان وأصفهان. ينقل «**هوشنك روئين**» مبعوث وحدة المعلومات وعمليّات اللّواء، وهو جاء من كردستان؛ لاستلام «**موقع الخندق**»: «**عندما أردت استلام الموقع بادرني القائد السمنانيّ قائلًا: «أنتم الّذين كنتم تقاتلون في الجبال الباردة، كيف ستتحملون الهواء الرّطب والحارّ في حقول القصب هذه؟**» فقلت له يومها: «**نحن جند الإمام، أينما نؤمَر نقاتل، في الجزر والمدّ، في نهر أروند في عمليّات** «**والفجر 8**» كنّا أوّل من كسر حصار الخطوط الأماميّة، ونحن هنا إن شاء اللّٰه سنفرح قلب إمامنا، وسندافع عن الموقع والجزيرة بدمائنا.

منّـا، قبّلنا واحدًا واحدًا، وكان حزينًـا جدًّا لفراقنـا. كان قلقًا علينا. أمّـا نحـن فكنّا قلقين عليـه، وكان العراقيُّـون ينتظرونه، قـال «السَّيِّد علـي»: «**أعرف أيُّهـا الشّباب أنّكم في وضع سيِّئٍ جـدًّا، مع هذا الوضع الجسـدي السَّيِّئ، ها أنتم تتعرَّضون لامتحـان صعب، والآتي أصعب، وقد تستشهدون في هذه الطَّريق التي اخترتموها أنتم بأنفسكم، وها هـو الله يبتليكم مرّة ثانية؛ ليعرف معادنكم أيّها الرِّجال. وكما ابتلى الله النبـيّ يعقـوب، هـا هو يبتليكـم، ويمتحنكم مرّة ثانيـة، ولا تنسوا وصيّتـي، أينمـا أخذوكـم، ابقوا متّحدين، لا تغفلوا عـن التَّوسّل بأهل البيـت عليهم السلام، تأكَّـدوا أنّ التَّوسُّـل بهم سيحلّ الكثير مـن مشكلاتكم، هـا هـم يأخذونني، لا يهمني ما الذي سيحل بـي، كنت أتمنّى لو أبقى بالقـرب منكـم، لـو لـم ينلْنا مـن هـذا الأسـر أيّ شـيء إلّا أن يُعَرِّفنا ويُشْعِرَنـا بمـا حـلّ بسيّدنـا الإمـام الحسيـن عليه السلام وأهـل بيته عليهم السلام فهذا يكفينا، إنّ كلّ ما سمعناه في مجالس العزاء عن مصائب الإمام الحسيـن عليه السلام، نـراه هنـا، ونفهمه هنـا، ها نحن نفهـم الآن ما الذي فعلـه يزيد عليه اللعنة بأهل البيت عليهم السلام، وإنّ لهذا الأسر قيمة؛ فقد ساعدنا على الوصول إلى هذا الفهم وهذا الإدراك**».

عندمـا سمـع العراقيُّون اسـم يزيد غضبـوا، فقد ظنُّـوا أنّ السَّيِّد يشبّههـم بيزيـد. عندما سحـب أحد العراقيِّيـن السَّيِّد بكُـمّ قميصه الخالي، حزنتُ وسخطتُ عليهم. لقد أخذوا «**السَّيِّد**»، لم يتوجّهوا نحو المناطـق العراقيّة، بـل نحو موقع «**بيت اللهـي**». عندما أخذوه، سيطر الهـمّ علينا. كالعادة، وعلـى الرّغم من الألم الذي كان يشعر به، حاول «**السَّيِّـد محمّـد شفاعـت منش**» أن يلطّف الأجـواء بنكاته، ويرفع من

معنويّات الشّباب، كان يصف بعض العراقيِّين بكلمات وصفات، لو فهموها لاقتصّوا منه، فكان يسخر من بعض العراقيِّين[1] وذلك بلهجته اللُّورية (أهل لورستان) اللَّطيفة.

كان «**السَّيِّد محمّد**» يطلق كلماته السّاخرة بجدّية، ودون أيّ ابتسامة، فيظنّ العراقيُّون أنّه يريد شيئًا. كنّا كلّنا نضحك إلّا هو، فكان يتكلّم دون أن يتغيّر شيئًا في تقاسيم وجهه، فكان العراقيُّون يقولون له: «**ما الذي تقوله أنت؟**».

سمحوا لنا بالدّخول إلى المتراس، زحفنا كي نستطيع الدّخول، كنّا نعرف أنّهم كانوا سيستجوبوننا، ولم أشكّ لحظة في أنّهم سوف يعذِّبوننا للحصول على المعلومات الّتي يحتاجونها حول وضع الوحدات العسكريّة والقادة و.... قلت «**للسيّد محمّد**»:

- إنني متأكِّد من أنّهم عرفوا أنّنا كذبنا عليهم بالنّسبة «**للسيّد عليّ صالح**»، إذا حقَّقوا معنا مرّة ثانية ماذا سنفعل وما الذي سنقوله لهم»؟

- سَنُكمل في خداعنا لهم. (استلامنا لهم).

- دَعنا من المزاح، برأيك ماذا نقول لهم؟.

- لنتكلم باللُّغة (اللّهجة) «**اللّورية**»، وندّعي أنّنا لا نفهم اللُّغة الفارسيَّة.

- سيكتشفون أمرنا، فقد تكلّمنا معهم منذ أن جاؤوا إلى هنا باللُّغة الفارسيّة.

- أنا لا أقصد هنا، عندما ينقلوننا إلى هناك، إلى مناطقهم،

---

(1) كأن يقول بعض الأمثال الساخرة: «**هذا الشّخص لديه أذنان كبيرتان يمكن أن نزرع خلفها قمحًا**».

سنلتقـي بأناس جدد، سنتكلَّم معهم باللهجة اللُّورية المحليّة، ألا تذكر كم خدعناهم علـى اللاسلكيّ[1]، والآن أيضًا سنتكلّـم باللّهجة اللُّورية حتّى يفقدوا صبرهم، ويملّوا منّا لأنّنا لا نفهم لغة البشر.

قـال «**السَّيِّـد محمّـد**»: «**كلّما سألوا سؤالاً نجيبهم: قالـوا لنا: لا تقولوا شيئًا**».

كانـت الجملة الأخيرة من المصطلحـات الرّائجة في تلك الفترة بين شبـاب الجبهة، فكلّمـا سألنا أحدهم عـن وضعنا العسكـريّ، كنّا نجيب جدّيّين، أو ممازحين: «**قالوا لنا: لا تقولوا**»، أو «**لم يقولوا لنا أن نقول**».

كان الوقـت عصرًا. عندما جـاء إليَّ جنديّان، سحبانـي إلى ساتر الموقـع التّرابي. لقد جاؤوا مرّات ومـرّات، وصوَّروا جزيرة «**مجنون**»، لـم يكن في الموقـع أسرى غيرنا، تقدّم المصـوّر العراقيّ نحوي، وفي الوقـت نفسـه، جلس بالقـرب منّي ضابـط آخر بلباسـ مرقّط، حمل «**مطرة**» الماء، قرّبها منّي، وكان يريدني أن أشرب، كانوا يريدون تكرار مـا فعلوه مع «**تاج محمّد عليّ بور**»، نحّيت قنينة الماء بيدي، وخفضت رأسي. على الرَّغم من شعوري بالعطش الشديد؛ فإنّي لم أستطع إلّا أن أرفض الشرب رافعًا يدي بالنّفي، أمّا الصّحفيّ العراقيّ الذي يبدو أنّه كان يعرف الإنجليزيّة، فقد كرّر مرّات عدّة كلمة «victory» (النّصر).

كنـت أعرف أنّهم لـن يبثّوا هذه الأفـلام، لقد اقتنـع العراقيُّون أنّ الهزيمـة التي يتصوَّرونهـا هم، تعتبر نصـرًا في مدرستنـا الدفاعيّة،

---

(1) كان شباب اللاسلكيّ يستعملون بعض المصطلحات المعقّدة والكلمات اللّورية، التي يجهلها الكثير من الفتيـة الصِّغار الذين يتكلّمون باللغة اللُّورية اليوم؛ كي يستطيعوا أن يشوشوا أذهان الأعداء؛ وبالتالي لا تنكشف الأسرار العسكريّة.

لقد ورثنا هذه الفكرة من المدرسة التّكليفيّة لـ«**عاشوراء الإمام الحسين** عليه السلام». ذهبوا إلى «**السَّيِّد محمّد**»، لم يقبل أن يحاورهم أمام الكاميرا، حاول المنافقون أن يدفعوا بنا حتّى نشتم الإمام، كانوا يريدون أن يحصلوا على سبق صحفيّ مصوّر ونحن نهين الإمام، لم يضعف الشّباب أبدًا، قال «**الله خواست**» للعراقيين: أنتم، طيلة هذه السنوات، ألم تعرفوننا؟ ألم تعرفوا أنّنا لا نهين مرجع تقليدنا؟ قال السَّيِّد محمّد: ألا يكفيكم أنّنا أسراكم؟ ثمَّ قال «**أحمد سعيدي**» بغضب: «**غدًا، يوم القيامة، عندما سَتُرمَون في جهنّم بسبب أعمالكم، ستطلبون المساعدة من الخمينيّ نفسه!**»

قال الضّابط (ذو الرَّتبة العسكريّة): «**سنقتلكم جميعًا، وندفنكم هنا**».

رفعت يدي، وأشرت إلى أعلى الموقع؛ حيث أحرقوا الشّهيدين «**جان محمّد كريمي**»، و«**إبراهيم نويدي بور**»، وقلت لهم:

- «**دماؤنا ليست أفضل من دماء أحبّائنا، إذا كان من المفترض أن نُذَلّ، فمن الأفضل أن نُقتل**».

تراجع المصوّرون والضّابط، وتركونا في حالنا. أحضر العراقيُّون اثنين من الشّباب وهم يضربونهما ضربًا مبرِّحًا، سحبوهما مباشرة إلى الطبقة السُّفلى للموقع[1]، وهناك أيضاً ضربوهما بشدّة، أحضروهما

---

(1) كانت تحصينات الخندق [موقع الخندق] ضخمة جدًّا، وهي مؤلفة من طبقتين، عليا وسفلى، وكانت دائرية الشّكل. عندما سيطرنا بعد «**عمليّات بدر**» على موقع «**الخندق**» وسوره، كان الموقع يقع في نهاية الجادّة. وتحيطه المياه من الجانبين، مياه «**شطّ عليّ**» من اليمين، ومياه جزيرتي «**مجنون**» الشّماليّة والجنوبيّة من اليسار. كان سور (ساتر) الخندق، هو الجبهة الأماميّة لجادّة الخندق. وكان عرضه حوالي 30مترًا. كان طريق العراقيِّين يمرّ من «**الهدامة**» المواجهة لمياه جزيرتي المجنون. وينتهي بـ«**ساتر الخندق.**» كانت المسافة بين «**ساتر الخندق**» و«**ساتر**» العراقيِّين خمسين مترا فقط.

بعدها إلى الأعلى، وانهالوا عليهما بأعقاب بنادقهم، ودفعوهما بقسوة كي يسرعا في المشي، اعتصر قلبي ألمًا حين رأيتهما يقعان أرضًا، كانا في غاية الطِّيبة والبراءة. فمع كلّ الضّرب الذي تلقياه لم يصرخا أبدًا. كان وجه أحدهما أزرقَ داكنًا من شدّة الضرب، لم يكن صوتهما يُسمع من شدّة إعيائهما. جلسا بالقرب منّا والدماء تسيل من أنف أحدهما، بقيا على هذه الحال قرابة الساعة. عندما جاء العراقيّ الذي يجب أن ينقلهما إلى الخطوط الخلفية، أوّل ما فعله كان أن تفل في وجه الأسير صاحب اللِّحية الطويلة. كان أحد الأسرى شابًّا نحيلاً، أشقرَ، شعره ذهبيّ اللون، لم يتكلّم معنا إلّا بضع كلمات، لم يسمحوا لنا بالحديث معه. أخبرنا الأسير الملتحي عن اسم وحدته وكتيبته، كان من شباب «**أسطول**» أمير المؤمنين عليه السلام البحري، وكان الآخر من شباب «**كتيبة مسلم بن عقيل**»، التابعة لفرقة «**كربلاء 25**». عندما سألتهما: «**في أيّ مكان من الجزيرة كنتما؟**»، أسكتني ضابط صف

تملؤها المستنقعات و برك «**الهور العظيم**». كان الشّباب يشرفون على المنطقة ويراقبونها باستمرار من الفتحات التي حفروها بأنفسهم داخل «**ساتر**» الخندق. في نهاية هذا المكان تقع التّحصينات والدّشمات الأخرى التي نضع فيها معدّاتنا. كانت المنطقة الأماميّة للسّاتر على شكل وعاء (كاسة). كان في الطّبقة السّفلى من السور، حوالي عشرين خندقا بناها شباب «**جهاد البناء أصفهان**» بالإسمنت المُجهَز مسبقا. كانت الطّبقة السّفلى من الموقع تصلح عمليّا لاستراحة حوالي مئة شخص في الظروف العاديّة. وكان الشّباب يصعدون كلٌّ بدوره إلى الموقع والى أعلى السور ويتمركزون هناك. خلف الموقع، تم حفر قناة الباب الأيسر للموقع والتي كانت تمتد إلى مقدّمة تحصينات الموقع. بعد «**عمليات بدر**»، غطّى شباب فرقة الإمام الحسين عليه السلام من أصفهان، وشباب فرقة الإمام الرضا عليه السلام من خراسان، هذه القناة بالألوح الخشبية والصفائح المعدنية. فصارت هذه القناة كخندق تونلي، حيث كان الشّباب يتنقلون وينقلون المعدات عبرها. كانت بطاريات المدفعية العراقية تمطر «**موقع الخندق**» وسوره بالقذائف ليلاً نهارًا. كنا نضيء الطبقات السفلى من الموقع والقناة بواسطة مولِّد كهربائي يعمل على الديزل. كانت مقدّمة الموقع ترتفع حوالي 1.5م، وضع الشّباب فوقها أكياس الرمل لحمايتها.لقد قدّم شباب فرقة الإمام الحسين عليه السلام لبناء وتجهيز هذا الموقع أكثر من مئة شهيد.

سّودانيّ بشتائمه وسبابه، كان وجه الأسيرين مغطّى بالوحل، كان وضعهما وشكلهما ينبئ بما جرى لهما البارحة في مياه المستنقعات المحيطة بالجزيرة، كان أحدهما يلبس قميصه الأبيض القطنيّ، ولشدّة (لكثرة) ما تحرّك البارحة في مياه المستنقع، فَقَدَ القميصُ لونَه الأبيضَ وتمزّق، كانا حَافِيَي القدمين، ويلبسان سروالاً عسكريًّا ممزّقًا من تحت الرُّكبة.

نقلهما العراقيُّون إلى الخطوط الخلفية، انقبض قلبي مرّة ثانية. ها هي ذكريات شتاء العام 1987م؛ خلال عمليات «**كوجار**» في كردستان (إحدى محافظات غرب إيران) تتداعى إلى ذهني[1]، تلك الذكريات التي حين أذكرها، أشعر بالغضب، وأمقت الأسر، وأنقم عليه بشدَّة.

كان «**أحمد سعيدي**» يسأل عن «**السَّيِّد فاضل فاضليان**». البارحة، وحين قرَّر شباب «**موقع الخندق**» أن يستسلموا، وبالتالي أن يؤسروا، كان «**السَّيِّد فاضل**» و«**محمّد ديناروند**» الوحيدين اللذين استطاعا الخروج من الموقع، لكن.. وبما أنّ المنطقة كانت تحت سيطرة

(1) الشتاء الماضي، أسر الشّباب جنديَّين عراقيَّين، في مرتفعات «**كوجار الكردستانية**»، كان أحدهما مصابًا بقدمه. لفّ الشّباب جرحه بالضمّادات. كانت الطائرات العراقيّة قد هَدَمت جسر «**سيّد الشّهداء**» فوق نهر «**قلاتشولان**» في كردستان، فقطعت بالتالي كلّ خط إمداد يمكن أن تصلنا من خلاله المعدات والدّعم الغذائيّ.. كان الثلج يرتفع أكثر من مترين على تلك الجبال. فعانينا يومها من الجوع الشديد. وصلت حالتنا إلى درجة كنّا مضطرين حينها إلى أكل الخبز الجافّ الذي كنّا قد رميناه جانبا. توقفت حركة السيارات التي كانت تنقل لنا الإمدادات. كنّا ولمدّة أسبوع.. الوقت الذي أعيد خلاله بناء الجسور، وعودة الحركة الطبيعيّة للسيارات.. نعاني بشدّة من النّقص في المؤن. كل ما كنت أملكه يومها «**سمك معلّب**» علبة واحدة فقط. فتحتها وقدمتها للأسيرين العراقيِّين، اللذين أكلاها بشهيّة كبيرة، كان كل ما أملكه يومها هذا السمك المعلّب، وقليلا من الخبز اليابس. لم يتعاط أحد مع الأسرى بقسوة أو عنف. يومها نقل شباب فرقة «**النصر 5**» الأسيرين إلى الخطوط الخلفيّة. بادر كلّ منهما ودون أيّ ضغط منا بالهتاف «**الموت لصدّام**»، ها أنا أقارن بين سلوكنا مع الأسرى العراقيِّين وما نعانيه اليوم.

العراقيِّين، وكانوا قد تقدّموا إلى عمق 5كلم داخل الجزيرة.. تمَّ القبض عليهما وسط الجـادة من قبل المنافقين، وتسليمهمـا إلى العراقيِّين. لقد استطاعا التّخفي عـن أعين العراقيِّين داخل حقول القصب لأكثر من24 ساعة، وعندما كانا يشعران بالجوع، كانا يأكلان جذور القصب.

كانـت الساعة تشير إلى السادسة والنّصـف عصرًا. ما زال هناك بعـض المنافقيـن الذيـن كانـوا برفقـة العراقيِّين داخـل الموقع. في الصباح، أعدوا برنامجًا تلفزيونيًّا للمنافقين. كان اثنان منهم يقومان بالتّرجمة، لم أعرف وأنا على هذه الحال؛ «**جسمي المجروح، وقدمي المهشّمـة**»، إلى متى سنبقى هنـا، مع أنّني كنت أتمنّى لو أنّهم يبقوننا في «**موقع الخندق**» لعدّة أيّام أخرى. كنت أفكّر أحيانًا متمنّيًا أن يأتي شبـاب «**كتيبـة الإمام جعفر الصادق** ﷺ» التـي كانت مستقرّة على «**شـطّ علـيّ**» لمساعدتنـا، كان قائدهم «**حسيـن كيواني أصـل**» رجلاً شجاعًـا ومدبّرًا. كان كلّ هذا، خواطر تدور فـي ذهني، وتجعلني أكثر أملاً بالحرّية. أفكارٌ لم تكن بعيدة المنال.

ساعة واحدة تفصلنا عن الغروب، جاء إلينا الضّابط العراقيّ الذي يضع نظّارات على عينيه، وصاحب اللِّباس المرقّط. كان ظاهره يوحي بالطِّيبة، وقريبًا من القلب.

لم أكن أفهم ما يقوله، لم أكن أعرف لماذا لم يطلب من أحد أفراد «**مجاهدي خلق**» الموجودين هناك، أن يترجم كلامه، بعض كلامه لم يكـن مفهومًا لي، كان من الضباط الذين لا يبدو في سيماهم علامات العـداء والحقـد، أجـال نظـره نحونا، ثـمّ كرّر لعـدّة مـرّات: «**صورة الخمينيّ تحت التُّراب**».

حـاول قـدر المستطاع أن يُفهمنـا ما يقوله، فكان يكـرّر طلبه كلمة بكلمـة، وعلـى مهل. اعتقـدت أنّه يقول لنـا: «**ادفنوا الخمينـيّ تحت التـراب**». كان كلّمـا اقترب منـه أحد الجنـود العراقيّين أبعـده طالبًا منـه القيام بعمـل ما، أو كان يغيّـر كلامه. من الطّبيعـي ألّا يثق ببقيّة العراقيّيـن، كان يشعـر بالضّيق لعـدم قدرته على إفهامنـا ما يريده؛ لأنّـه لو عرف العراقيُّـون الآخرون ما الذي يحـاول أن يقوله لنا، لدفع الثمـن غاليًا؛ فقـد كان تاريخ الجنود العراقيّيـن الشيعة الذين يحبّون الإمـام والإيرانيّين تاريخًا دمويًّـا ومحزنًا، كان كلامـه نابعًا من حبّه للإمام. في النهاية أفهمنا الضابط العراقيّ أنّ صورة الإمام الخمينيّ الموجـودة بالقرب منّا، يجب إخفاؤها تحـت التّراب. كان رجلاً أسمر اللّـون، ذا شعـر داكـن، له مـن العمر أكثر مـن نيّف وخمسيـن عامًا. أمر الجنـود بإحضار الماء لنشرب، عندما ذهـب الجنود قال محاولاً إفهامنـا: أنا شيعيّ، أنا لسـت بعثيًّا. نظر حوله، ثمّ قال بصوت خافت: «**والله العظيـم الخمينيّ زين**». وعندمـا أراد الرّحيل نظر حوله للمرّة الأخيرة، ثمّ وضع يده على قلبه وقال: «**الخمينيّ هنا، صورة الخمينيّ فـي بغـداد مـو زيـن، استخبـارات مـوت**»، أي: يقصـد أنّ المخابرات تقتل مـن يحبّ الخمينيّ. كانـت هذه الكلمات أكثـر الكلمات وضوحًا، حـاول الضّابط العراقيّ أن يُفهِمنا ما يريـد قوله، لقد كان أمرًا لطيفًا بالنسبـة إليّ أن أرى بعض الضُّباط العراقيّيـن يحبُّون الإمام. وفهمتُ أكثـرَ عظمـةَ وأبَّهة الإمـام في بلاد الأعـداء، وقد أفهمنـا أنّه بدل أن تحملـوا صـورة قائدكم، ضعوه فـي قلوبكم. في الوقـت الذي كان هذا الضّابـط معنـا، حوالـي عشريـن دقيقـة، لم يقتـرب أيٌّ مـن الجنود

منّـا، ولكن عندما ذهـب، تغير سلوكهم معنا، وأصبـح سيّئًا كعادتهم.

جاء عددٌ من الجنود نحونا، وقال أحدهم: «**اشتموا الخمينيّ، حتّى أقول لهم أن يُحضروا لكم عصير الفاكهة**».

أنـا لا أقـول أنَّ أحدًا من الأسرى لم يشتم الإمـام الخمينيّ[1]، فقد نقـل لنا أحد المنافقين، أنّ أحد الإيرانيِّيـن، ومن أجل علبة عصير -، شتم والده فكيف بالإمام.

لا أعرف كيف رفعت صوتي وقلت له:

- **قد يشتُم وَالده، ولكنّه لا يشتم الإمام.**

بعد صلاتي المغرب والعشاء، وقبل أن ندخل مرّة ثانية إلى الموقع، جاء إلينا اثنان مـن المنافقين (من منظمة خلق)، أحدهما في العقد الرّابع من عمره، أمّا الثّاني، صاحب شعر كستنائي، في العقد الخامس من العمر. كانا يرتديان لباس الضُّباط العراقيّين. كان أحدهُما يحمل بيده نصفَ بطيخة، قسّمها إلى خمسة أقسام، ووزَّعها علينا، مع أنّنا 5 أفراد، أكلا النِّصف اللَّذيذ منها. وعلى ما يبدو كانا يريدان أن يظهرا لنـا محبتهمـا، التي لم تدُم طويلاً، وتعكّر صفوهـا بسرعة. كنت أتألم

---

(1) كان العراقيُّون يجدون أنفسهم أمام عدّة أنواع من الأسرى الإيرانيِّين:

المجموعة الأولى، أولئك الذين قد يواجهون الموت، ولكن - وتحت أي ظروف أو ضغوط - لا يشتمون الإمـام، وكانـوا يشكِّلون الجزء الأكبر مـن الأسرى الإيرانيّيـن. وهم أشخاص ملتزمـون ومؤمنون، لا يقبلون شتم الإمام بأيّ ثمن. كان العراقيُّون يصفون هذه المجموعة أو يسمونها: حرس الإمام.

المجموعـة الثانيـة مـن الأسـرى الإيرانييـن، أولئك الذين لم تكـن لهم المقدرة علـى تحمّل تعذيب وضـرب وشتـم الأعداء لهم، هـؤلاء، وعلى الرغم من محبتهـم للإمام، كانوا لا يستطيعـون التّحمّل- وخلافا لميلهم الباطني-، كانوا يضطرّون لشتم الإمام.

أمـا المجموعـة الثالثـة فكانوا يعتقـدون أنّ شتم الإمام لا يـؤذي الإمام بشـيء، ولا يُنقص من شأن الإمام شيئًا. بعضهم كان يقول إنّ الإمام قال بنفسه: «**إذا كان أسرانا تحت التعذيب وهم في خطر، لا مشكلة في شتمنا من قِبَلهم**». لكنّني لا أعرف إن كان الإمام قد قال هذا الكلام أم لا، ومتى.

كثيرًا أن أراهما في جبهة أعدائنا، وكنت أكرههما أكثر من العراقيِّين، وكان هـذا الأمـر ظاهرًا بوضوح على وجهي، وفـي نظرتي إليهما، وقد لاحظـا هذا الأمر بسرعة، كانا يحـاولان التَّحادث معي لمعرفة من أيِّ منطقة أنا. سألني أحدهما، الأكبر سنًّا، وكان يتكلّم باللّهجة الطّهرانيّة غير الأصيلة يظهر بوضوح أنه ليس من طهران، ولكنّه يحاول أن يتكلَّم باللّهجة (الطّهرانيّة) سألني عن مسقط رأسي، عن الوحدة التي كنت أخدم فيها، وكيفيّة أسري. على الرغم من أنّه كان إيرانيًّا، لكن كلامه كان لاذعًا كالعراقيِّين تمامًا. عندما جلس بالقرب منّي، سألني:

- «لماذا ذهبت إلى الجبهة؟ لو لم تأتِ لما كنت هنا الآن.

- أنت بالذات لماذا تسأل هذا السؤال؟

- وهل تتضايق من سؤالي؟

- إذا مـا سألَنَا أولئك [أي: العراقيُّون] عـن هذا الأمر، فلا بأس، ولكنّك إيرانيّ، وتعرفُ كل المجازر والجرائم الحربيّة التي قاموا بها.

- ضحـك من كلامي، وأكمل قائـلا: «**أَوَلا يصبحُ الإيرانيُّ عدوًّا؟ نحـن لسنـا موافقيـن علـى حكومة رجـال الدّيـن، وفي الواقـع قدّم العراقيُّون لنا الملجأ واستقبلونا**».

- رجال الدّين الذين تتحدَّث عنهم، وقع اثنان منهم بالأمس شهداء هنـا في هذه المنطقة، أخذ العراقيُّـون عمامة أحدهما، وكان «**سيّدًا**»، وبدأوا يرقصون بعمامته، ودهسوا جسده بسيارتهم الـ«**لاند كروز**».

حاولـت أن أُفهمـه أنّني أكرههـم بشدّة؛ لوقوفهم فـي صفّ العدو. عندمـا أعـرب عن كرهـه للإمـام والعلماء، قلت لـه: «**لأنـك إيرانيٌّ، أستطيعُ أن أتكلَّم معك بسهولة أكبر، ثمّ أكملت:**

- **«هل تعرف ما الذي يزعجني أكثر من وقوعي في الأسر وقطع قدمي؟»**

- **«الألم الذي تشعر به، وتفكيرك بالوضع الذي صرت إليه؟»**

- **«إنّ ألمـي سيخفّ تدريجيًّـا وسأتحسّن، لكنّ ألمي الحقيقيّ هو أن أراكم إلى جانب هؤلاء».**

سكـت، وكأنّه لم يكن يعرف بماذا يجيبني؛ مع أنّهم كانوا أشخاصًا «**كالتماسيـح**» لا يتأثّـرون بهـذه السرعـة، وقد غضب لأنّني لـم أجارِه بأفـكاره وعقيدتـه. شعـرت بأنّـه أراد أن نشعـر بالنّـدم عندما نسمع كلامه عن الإمـام والعلماء وشتمه لهم. في نهاية المطاف، عندما همَّ بالمغادرة، أكملت كلامي قائلاً:

- **«إنّ هـؤلاء الذين تدعمونهم اليوم، وتساعدونهم، قتلوا الآلاف مـن أبنـاء وطنكم، واليوم بالذّات قتلوا حوالي السَّبعين هنا، في هذه المنطقة».**

لـم يكن يسمع ما كنت أقوله له، كان يكابر، ولكنّني أكملت: «**هناك، انظـر، فـي مقدّمـة الموقـع**»، كان يريـد أن يسمع ما الـذي سأقوله، فنظر إلى مقدّمة الموقع.

- هنـاك، البارحـة، وبعـد أن استشهـد اثنـان من شبابنـا، أحرق العراقيُّون جثّتيهما.

- إنّها الحرب، يحرقون، يقتلون، يمزِّقون.

- برأيك هل يتمّ إحراق جثّة من يموت؟

كان منزعجًـا من كلامـي، وبدا عليـه أنّه إنسانٌ عديـم الإحساس والعاطفـة، حاول جاهـدًا، ليؤكّد وجهة نظره، أن ينفـي آراء الآخرين،

حـاول التَّأثير عليّ كي أغيـر رأيي بـ«**مجاهـدي خلـق**»، وأن أمدحهم، فقال لي:

– إنّنـا أناس جيّدون، أنتـم أبناء التعبئة، تمتلـئ رؤوسكم وقلوبكم بمشاعر سيّئة تجاهنا، لو كنّا كما تظنُّون، سيِّئين، لطلبنا من العراقيِّين أن يقتلوكم، ولفعلوا، نحن إذًا أشخاص طيِّبون.

– لأنّكـم لا تطلبون من العراقيِّين أن يقتلونا، فأنتم أناس طيّبون، يا ما شاء اللّه، ما أحسنكم!

عندما نطقت بهذه الجملة، غضب منّي وفقد صوابه، قائلاً:

– «**يبدو أنّك طويل اللِّسان**».

ثـمّ شتـم الإمام، عندها لـم أعد أسمع فـي كلامـه، أيّ تهذيب أو احتـرام، ثمّ قال بغضب، وهو يحاول أن يبرهن عن إنسانيّته وعن كونه محقًّا:

– يمكنك أن تسمّي هذا الأمر ما تشاء، نحن نوصي العراقيِّين بعدم إيذائكـم، وأن يهتمُّـوا بكم، ولو كنّا نقول غير ذلـك لرموكم في البحر والتهمتكم الأسماك.

أردت أن أعبّـر عمّا يجول في ذهني، ولعلّ العراقيِّين كانوا يظهرون احترامًـا خاصًّا لهم أمامنـا لكي يثيروا حفيظتنـا، ويزعجونا لا غير، فقلت له بتهكّم:

«**إنّهـم يحترمون كلّ من يُظهر العداء للشعب الإيرانيّ، أمر جيّد أنّكـم لا تطلبـون من العراقيِّين قتلنا، ولكـن تأكّد أن موت البشر هو بيد اللّه**».

بعد ساعة أو ساعتين من إزعاجهم لنا، وخدشهم لأرواحنا كالمبرد، ذهبوا دون وداع والحمد لله.

عندما دخلنا الخندق، كان الليل يشرف على الانتهاء، وما زلت أنتظر ما الذي سيحلّ بنا، وما الذي سيحصل. وقف أحد الجنود العراقيِّين على مدخل الخندق لمراقبتنا، وكأنّه كان شديد الإعجاب باللِّواء الركن ماهر عبد الرّشيد؛ لأنّه سألنا:

- «**من يعرف اللِّواء الركن ماهر عبد الرشيد**»؟

أشرت بيدي إلى قدم «**السَّيِّد محمد شفاعت منش**»، وقلت له:

- طبعًا كلُّنا نعرفه، فقد قطعنا قدمه في الـ«**فاو**».

ثمّ أكمل «**السَّيِّد محمّد**»: «**طبعًا أنتم لم تقصِّروا، وردًّا على ذلك، فقد أقعدتمونا جميعًا**».

كنت متأكّدًا أنّه لو فهم ما قلناه عن ماهر عبد الرَّشيد ما كان ليتركنا أبدًا.

كان العراقيُّون يدبكون (رقص شعبيّ) في الموقع، بينما كان أحدهم، صاحبَ صوتٍ جهوريٍّ، يغنّي لهم، كانت ليلة سعيدة بالنسبة إليهم، واللّيلة الأسوأ في عمرنا.

كنت أفكر بعوائل الشُّهداء الذين سقطوا البارحة على «**جادّة الخندق**»، كان يمكنني أن أفهم وأدرك أحوال أهالي الشُّهداء في القرى والمدن في هذه الأيّام.

كانت أجواء الحداد على الشّهداء الذين سقطوا على بعد أمتار منّا تعمّ مدن «**كتشساران، كهكيلوية وياسوج**». اعتقدتُ أن عائلاتنا، نحن الخمسة، تظن أنّنا في عداد الشُّهداء أيضًا. كنّا نعرف أنّ خبر مقاومة

الشّباب البارحة، من لواء «**الفتح 48**»، وتضحياتهم هنا، قد وصلت إلى مسامع الإمام وقادة الحرب[1].

الاثنين 27 حزيران 1988م ـ جزيرة «مجنون» ـ «موقع الخندق»

في الصباح الباكر فكّوا القيود من أيدينا، وأحضروا لنا القليل من الجبن والخبز، عندما تذوّقت الجبن العراقيّ، لم استطع تحمل طعمه، وأحسست بالغثيان، كان نوعًا من الجبن الأصفر المعلّب، ولم يكن ينسجم مع ذائقتنا. قلت للجنديّ العراقيّ:

– «**إلى متى سنبقى هنا؟ إذا كنتم تريدون قتلنا فأسرعوا في الأمر وأريحونا**».

أعتقد أنّه فهم ما أقول، لم يبدُ أنّ هذا الجندي كان شخصًا سيّئًا. كرّر جملة «**اليوم العمارة**»؛ ليفهمنا أنّهم سينقلوننا اليوم إلى مدينة «**العمارة**».

طيلة المدّة التي قضيتها في الجبهة لم أسمع أنّ الإيرانيين قد تركوا أسيرًا جريحًا في الجبهة. بدأت جراحنا، نحن الخمسة، تتعفّن بعض الشّيء، وبدأت تصل رائحتها إلى مشامّنا. لم نكن نستطيع مداواة جرح «**السَّيِّد محمّد في منطقة الفخذ**»؛ حيث أصيب بطلقة. وتفتّت عظم

---

(1) عرفت فيما بعد، أن الشيخ رفسنجانيّ الذي كان نائبًا للقائد العامّ للقوّات المسلّحة، والقائد العامّ للمقرّ المشترك «**خاتم الأنبياء**» قد أثنى على مقاومة شباب «**موقع الخندق**»، وفيما يلي متن الرِّسالة التي وجّهها آنذاك إلى القائد الشّهيد «**سيف الله حيدر بور**»، قائد اللّواء «**فتح 48**»:

بسم الله الرحمن الرحيم.

جانب السَّيِّد حيدر بور،

أرجو إبلاغ سروري وتقديري للواء «**فتح 48**» الذين قاوموا في «**موقع الخندق**» ببسالة وشجاعة.

هاشمي رفسنجاني

26 حزيران 1988م (أرشيف مؤتمر القادة)

قدمــه في منطقة الفخذ. ، وقد لفُّوا قدمه عند الفخذ والسّاق بالقماش مع قطعة خشب؛ ومع هذا، كانت معنويّات السَّيِّد محمّد المرتفعة مثيرة للإعجاب. كان كلّ واحد منّا نحن الخمسة نتألَّم بشكل ما، كانت حالتي الأسـوأ بينهم. أصرّ أحد الضّبّاط العراقيِّيــن على «**السَّيِّد محمّد**» أن يشتم الإمام، وكان يكرّر باستمرار: «**أكَلّه الموت للخمينيّ**»، أيّ: «**قل: الموت للخمينيّ**»، أجاب السَّيِّد محمّد: «**مور جوسقيل للخمينيّ**[1]».

فظـنّ العراقــيّ أن السَّيِّــد محمّــد قد شتــم الإمام؛ لأنّه كـرّر عدّة مرّات: «**زين... زين...**»، ثمّ أحضر الماء للسيّد محمّد وسقانا الماء.

ساعدنــي كلّ من «**هجيـر**» و«**الله خواست**» في ربــط قدمي وتثبيتها علــى قطعــة من الخشــب. أحضر لنــا الجنــديّ العراقيّ مــن صندوق المعــدّات قطعة خشب، قال هجير: «**إذا ما نقلونا اللّيلة، فسوف تتألَّم كثيرًا إذا بقيتْ قدمك معلّقة بهذا الشكل**».

ربــط الشّباب قدمي من الكعب إلى الرُّكبــة، وقد تألّمت كثيرًا. قال السَّيِّــد محمّــد يجــب أن تجهِّز نفسك أكثــر فأكثر، فكلّمــا اقتربنا من بغداد وصدّام سوف تتألّم أكثر.

عنــد الغروب، أمر أحد القادة العراقيِّيــن بنقلنا إلى خلف الجبهة. قبل الغروب بساعة، أخرجونا من الخندق، هذه المرّة كان أحد الجنود العراقيِّيــن يكـرّر: بغداد المستشفــى؛ كي يفهمنا أنّهــم سينقلوننا إلى المستشفــى في بغــداد. اصطففنا نحن الخمسة، بالقــرب من السّاتر التُّرابــيّ للموقع، إلى جانب الضِّفــة النَّهريَّة حيث رست القوارب. وقف

---

(1) مــور تعني باللّغة اللّوريّة: العشب الأخضر. كان اللّور يقولــون للقمح القصير الأخضر: جوسقيل. وكان «**السَّيِّد محمّد**» يقصد أنَّ الخمينيّ كالجوسقيل أخضر وحيّ.

أربعة عراقيِّين يحمل كلٌّ منهم بيده «**كلاشينكوف**»، وطاب لهم المزاح، وكأنَّهم يريدون أن يختبرونا كم نخاف من الموت. كانت حركاتهم أشبه بفيلم سينمائيّ، وقف الأربعة أمامنا، وجّهوا أسلحتهم تجاهنا، صرخ أحدهم: «**استعدّ**»، لقّموا بنادقهم، حاول الضَّابط أن يُظهر لنا أنَّ كلَّ شيء جدّيّ وأنَّهم سيطلقون النّار علينا، فقال: «**فتح**»، أي: استعدّوا للإطلاق. فصوّبوا علينا، وفي النهاية قال لهم الضَّابط: «**أطلقوا النّار**»، وبدأ الجنود الأربعة بإطلاق النّار. للحظة أحسست أنّ الأمر قد انتهى، كنت أجلس على اليمين، بينما جلس «**السَّيِّد محمّد**»، «**هجير**»، و«**الله خواست**» في الوسط، و«**أحمد**» إلى اليسار. أصابت الرّصاصات التي أُطلقت عن يميني، وفوق رؤوس «**هجير**» و«**السَّيِّد محمّد**» و«**الله خواست**» وعلى يسار «**أحمد**»، الساتر العُلويّ للموقع.

قال «**الله خواست**» للعراقيّ الذي أمر بإطلاق النّار: «**نحن أكثر ذكاءً وحنكة ممّا تظنّون، لا تخيفونا من الموت**»، وأكمل السَّيِّد محمّد مستعينًا بكلام للشّهيد «**أشرفي أصفهاني**»: «**إذا كنتم تخيفون السّمكة من الماء، تخيفوننا من الشّهادة**».

حلّ اللّيل، بدأ العراقيُّون يحتفلون، تحوّلت السماء إلى مسرح للقنابل المضيئة وطلقات الخطَّاط، كان صوت هلهلة العراقيِّين وفرحهم مرتفعًا. لقد احتفل العراقيُّون كلّهم بمناسبة احتلال جزيرة «**مجنون**»، قال «**هجير آبسوران**»: «**إذا كان ما قاله ذلك الجنديّ (اليوم العمارة) صحيحًا، فلا بدّ من أن ينقلونا في ساعات اللّيل الأخيرة إلى العمارة**». كنت أظن أنّ أيّ مكان ينقلوننا إليه هو أفضل من البقاء هنا على الجبهة.

كانـت الساعة حوالي التّاسعـة أو العاشرة ليلاً، ومـا زال لدي أملٌ بأن ينقذونا. حسب معرفتي بجزيرة «**مجنون**»، فإنّ بإمكان الإيرانيِّين القيام بهجوم من محور «**شطّ عليّ**»، أي: من جهة الضلع الأيمن «**لموقع الخنـدق**». كنـت أظنّ أنّ الإيرانيِّين لا بـدّ وأنّهم أعادوا تجديد قوّاتهم ليحضّروها ويستردّوا «**جادّة الخندق**» و«**موقعه**» من العراقيِّين.

وضعونا داخل القوارب. لشدّة الألم؛ فككتُ رباط قدمي من الرُّكبة، لا أعـرف لمـاذا كنـت أعتقد أنّـه بفكّ ربـاط قدمي سيخـفّ وجعي، وأنهـا كانـت تعذِّبنـي أكثر من أي شـيء. لقد وضعونا داخـل القوارب دون الأخـذ بعيـن الاعتبار حالتنـا الجسديّة وإصاباتنـا. جاء جنديّان عراقيّـان، سحبانا على الأرض بالقرب من الرّصيـف، وأيضًا عندما أرادا إخراجنـا مـن وراء أعلى الساتر التّرابيّ، شعـرتُ بألم شديدٍ لم أستطـع تحمّله، فبدأتُ بالأنين. إنّهم لا يريـدون نقلنا على الحمّالات. يـا ليتني استمعتُ إلى كلام «**هجيـر**» ولم أفكّ رباط قدمي، رغمًا عنّي طلبـت من الجنديَّين، دون أيّ إحساس أو التفات، أن يضعاني للحظة علـى الأرض، لكنّهما لم يستمعا إليّ، فكرّرت طلبي مقسمًا عليهم بأبي الفضل العباس، عندما سمع أحد العراقيِّين، وكان عريفًا أكبر سنًّا من البقيّـة، اسم «**أبو الفضل**» صـاح بهم: «**آوقف، خلّي ولـي**» أي: توقّفوا اتركـوه. لم أعرف ما قالوه فيما بينهم. لكنّني عرفت أنّ أبا الفضل قد أنجـز عمله. أعتقد أنّ الجنديين قالا للرّقيـب: «**إنّ القارب على وشك الحركـة**»، فأمرهم بالانطـلاق، تحرّك قارب الشّبـاب باتجاه الجادّة التّرابيّة التي كانت تصل الجادّة الأصليّة «**العمارة ـ البصرة**».

قلت في نفسي: إذا لم يأخذوني إلى حيث الشّباب؟! أخاف ألّا ألتحق

بهم مــرّة ثانية. بعد أن نقلوا الأسرى، غير الجرحى (السّالمين)، إلى إحدى المدن العراقيّة، وفصلوا «**السَّيِّد عليّ صالح**» عنّا، كانت فرحتي ببقائي مـع الشّباب، دعوت الله ألّا يفصلوني عـن الشّباب. كم تمنَّيت لحظتهـا ألّا يحرّكني أحد من مكانــي؛ لأنّ ألمي قد سكن قليلاً، مع أنّه كان سكونًا مؤقّتًا، ولكنّه كان أمرًا جيّدًا. تقدّم العريف العراقيّ المسنّ نحوي، نظر إليّ، حـاول أن يُفهمني بحركة من رأسه وابتسامة أنّه قام بمـا طلبته منه، ولكن الآن يجب أن نتحـرَّك مرّة ثانية، شكرته ودعوت لـه من صميم قلبـي، طلبت منـه أن يربط قدمي مرّة ثانيـة، فأحضر قطعـة خشب، ودون أن يثني قدمي، ثبّتهـا إلى قطعة الخشب. تصرَّف معي بلطف، شعرت بأنّه يريد مساعدتي من كلّ قلبه، أحضر لي الماء، وأمـر الجنـود بنقلي بقـاربٍ آخر، كمـا أوصاهم أن يحتاطـوا بنقلي، وهكذا كان. ابتعد القارب عن «**موقع الخندق**»، بعد عشر دقائق، رسا بالقرب من جادة تحيط بهـا المياه من الجانبين. قبل الأسر، وعندما كنــت أرصد المنطقة مــن أعلى البرج، كنت أعـرف كلّ هذه الأماكن، هـذه هي الجـادّة التُّرابيّة إلى جنـوب «**موقع الخندق**»، هـذه الجادّة التــي كانت تنطلق من منطقتي «**البيضة**» و«**الصّخرة**» شمال نهر دجلة مقابل جزيرتي «**مجنون**»، وتنتهي بـ«**الاسكله**» و«**الجويبر**».

أنزلنــي الجنديّان من القـارب، وعادا من حيث قدمـا. كنت أفتِّش عــن الشّباب في تلك الجادّة التّرابيّة، لم أستطع رؤيتهم، لا أعرف أين كانوا، قلت في نفسي: «**يا إلهي أين أخذوهم**»؟

كان عرض الجـادة يسمـح بعبور شاحنـة (كاميون). فـي مقدّمة الجـادّة كانـت الجرّافة العراقيّة تحـاول توسعة الطّريـق. قبل سقوط

الجزيـرة، لم يكن العراقيُّون يستطيعون العمـل على توسعة الطريق أو علـى حفر خنادق في الجبهتين الأولى والثانية؛ لأنّهم كانوا على مرمى نيران شبابنا الذين لم يسمحوا لهم بهذا.

كنــت أتلـوّى من شدّة الألـم. لا مجال لمرور سيارتيـن بالاتجاهين فـي الوقت نفسه علـى الجادّة. كلّمـا قطعت مئة متر كنــتَ تجد بعض المساحـات الأوسـع قليـلاً مـن الطريـق الرّئيسيّة التي كانـت تتوقف السيارات المارّة على جنبيها للسَّماح بعبور بقيّة السيارات.

كنــت وحيدًا، كانوا يعرفـون أنّني لن أستطيع الفـرار وأنا على هذه الحـال. لو كنت أفضل بقليل لما تركوني هكذا، كنت أجلس على جانب الجـادّة، توقّفت سيّـارة عسكريّة دون سقف (جيـب) على بعد عشرة أمتـار منّي.. ترجّـل السّائق برفقة أحد العسكريّيـن الذين كانوا معه، وتوجّهـوا نحـوي، لقد ظنّوا أنّني عراقيّ، لم أفهـم حديثهم، عندما لم يسمعوا جوابًا منّي، عرفوا أنّني أسيرٌ إيرانيٌّ. عاد سائق الجيب ورفاقه إلـى سيارتهـم، بقي أحد الضُّباط فـي المقدّمة، ولـم يترجَّل. قبل أن يستقلّـوا الجيب مـرّة ثانية، قالوا للضابط الذي نـادوه بـ«**العقيد**»: إنّه أسير إيراني جريح.

كانت مصابيح السيارة موجّهةً على عينيّ مباشرة، كنت أركّز نظري على الـ«**جيب**». فجأة، تحرّك بسرعة شديدة، وخلَّف وراءه غبارًا كثيفًا، أحسست للحظة أنّهم سيقومون بدهسي، كانت عجلات الـ«**جيب**» اليمنى تسيـر على حافَّة الطَّريـق، حيث كنت أجلس بالضَّبـط. عندما توجّهت السيـارة نحوي، عرفتُ أنّهم سيقومون بدهســي حقًّا، لم أصدّق الأمر، بدا كلّ شيء مفاجِئًا بالنّسبة إليّ. كان على جانب الطريق مستنقعٌ، وقد

غطّى القصب والأعشاب المائيّة الطويلة جانبي الطريق، عندما رأيت أنّهم يريدون دهسي، رميت بنفسي إلى أسفل الجادّة، فإذا بالأعشاب تمنع وقوعي في الماء. قلت في نفسي، أفضّل الغرق في هذا المستنقع على أن تدهسني سيّارة العراقيِّين. كانت يدايَ مكبّلتين من الخلف، في مياه هذا المستنقع وأعشابه الطويلة، وبيدين مكبّلتين وقدم مجروحة، لم أقم بشيء إلّا طلب المساعدة والتَّوسُّل بالأئمّة الأطهار عليهم السلام، وبأبي الفضل عليه السلام. لم يكن لي أمل بالنّجاة أبدًا، قلت في نفسي، وهل يُعقل بعد كلّ محاولات الجنود العراقيِّين لقتلي على هذه الجادّة، أن تكون نهايتي الغرق في المستنقع؟ كان النِّصف الأيمن من جسدي غارقًا في الوحل والمياه. لو لم تكن يداي مغلولتين؛ لاستطعت أن أزيح الوحل من حولي، ولَعُدْتُ مرّة ثانية إلى الجادّة، مع أنّه لو كان بإمكاني ليلتها أن أسحبَ نفسي إلى طرف الجادة مرّة ثانية، لما سلِمتُ من السّيّارات العسكريّة السّريعة التي كانت تسير هناك، خاصّة أنّني إيرانيٌّ وجريح أيضًا. مع أنّني سقطتُ على القصب النّابت على جانب المستنقع، إلّا أنَّ لباسي وجزءاً من جسمي قد تلطّخ بالوحل الذي لا يخلو منه مكانٌ في تلك المنطقة، حاولت جاهدًا سحب نفسي إلى جهة يكون فيها القصب والأعشاب أكثر كثافة، وركّزت ثِقل جسمي عليها.

توقّف «**جيب**» عسكريٌّ لقيادة عراقيّة، لم يكن مهمًّا بالنّسبة إليهم ما الذي حلّ بي، ألقى السائق نظرة خاطفة على جانبيَ الطريق ورحل، مع أنّه قد أضناني الوجع والألم إلّا أنّني لم أنبس ببنت شفة. كنت أشعر ـ على الرَّغم من صغر سنّي، ومع كلّ هذه الغربة والألم ـ أنّ اللّه ينظر إليّ بلطفه. أظنّ أنّ المصائب التي تحمّلتها في طفولتي جعلتني أقوى

على تحمّل هذه الشّدائد والمصائب والمشاكل. فبعد حادثة «**ده بزرك**» (اسم القرية التي كان يسكن فيها) والتي عشتها وأنا في التّاسعة من عمري، صرتُ أكثر خبرة في تحمّل المصائب ومواجهة المشاكل.

كانت العتمة شديدة، تمنّيت أن يأتي العراقيُّون ويأخذونني من هنا، وأخيرًا، بعد عشرين دقيقة من وقوعي على القصب بالقرب من المستنقع، ظهر الجنديّان العراقيّان المأموران بنقلي إلى خلف الجبهة، رسا قاربهم على بعد 15 مترًا منّي، كانا يبحثان عنّي على الجادَّة، وهما يعرفان أنّني لن أستطيع الهرب بهذه القدم المجروحة واليدين المكبَّلتين. عندما اقتربا منّي، ناديتهما، نزلا نحوي، أمسكاني بكتفي وسحباني من بين الأعشاب والقصب، كانت ملابسي مبلَّلة وموحلة، لم يعرفا لماذا سقطتُ عن الجادَّة وما الذي حلّ بي، كانا يكرّران كلمة «**الموت، الموت**». استطعتُ أن أفهم أنّهما يظنّان أنّني كنت أريد أن أقتل نفسي؛ كي أتخلص منهما.

حملاني ووضعاني في الـ«**آيفا**»[1]، ولم يراعيا حالتي أبدًا. لم يفتحا الباب الخلفيّ للصندوق حيث وضعاني، إذ كان بالإمكان عندها أن أرتاح قليلاً، بل حملاني ورمياني في الصندوق من فوق الباب الخلفيّ، حاولت أن أتحمّل الألم ولا أرفع صوتي، ولكن لا مفرّ من الألم والصُّراخ.

كبّل العراقيُّون يديَّ بقضبان شباك السّيّارة الحديدي، وها هي السيّارة تنطلق.

توقَّفت السيارة على مسافة 200م، على الرَّصيف إلى جانب الجسور العائمة، كان القارب قد أنزل الأخوة في ذلك المكان من الجادّة

(1) سيارة عسكريّة عراقيّة تشبه الشاحنة الصغيرة، كانوا يتنقلون بواسطتها في الجبهة.

«**السَّيِّد محمّد**»، «**هجير**»، «**الله خواست**» و«**أحمد**»، وها هم العراقيُّون يُركبونهم إلى جانبي في الـ«**آيفا**»، ثمّ يكملون مسيرهم، كم فرحت بلقاء الشّباب ثانية.

بعد حوالي 200م، أُضيف إلينا سبعة أسرى أيضًا. كان غير مسموحٍ لنا التَّكلُّم معهم. كانت وجوه الشّباب الملتحين مليئة بالكدمات، وقد كبل العراقيُّون أيديهم أيضًا بقضبان السيّارة الحديديّة، كان صندوق السيّارة، حيث نحن، مليئًا بالطَّناجر الكبيرة، ووسائل الطّبخ الأخرى، التي كانت تتحرّك كلّما تحرّكت السيارة على الجادّة التّرابيّة، وترتطم بأيدينا وأرجلنا؛ ممّا يزيد من آلام جراحنا. من كثرة ما تأذّيت وتألّمت أحسستُ أن أمعائي ومعدتي تتحرَّك من مكانها، وستصبح خارج جسمي. كان بعض العراقيِّين يقفون على أطراف السيّارة لمراقبتنا، وكم تمنَّيتُ لو استشهدتُ، ولم أقع أسيرًا بين أيدي هؤلاء القوم. كان الأسرى الإيرانيُّون يعانون بشدّة، ويتحمّلون فوق طاقتهم في الأسر، وخاصّة أولئك المصابون بأقدامهم.

كانت ذكريات «**جادّة الخندق**»، تخطُرُ في ذهني، فمقاومة الشّباب اليوم كانت عاشورائيّة. لم أستطع أن أُبعِد عن ذهني، منظر ذلك الشّهيد الذي كان يركضُ عندما أصابت إحدى الشّظايا رأسه، ولكنّه لم يمت مباشرة، بل كان يركض يمينًا ويسارًا إلى أن وقع في مياه المستنقع، واستشهد هناك. كان قلبي عند الشّهيد «**صفر عليّ كردلو**». منذ سنةٍ مضت، عندما رجعنا سويًّا من ثكنة الشّهيد «**غلامي**» في الأهواز إلى «**كتشساران**»، أخبرني عن قضية مجيئه إلى الجبهة قائلاً: لم يقبل الشّباب بتسجيل اسمي للالتحاق بالجبهة بسبب صغر سنّي،

لكنّني قلتُ لهم: كيف تتجرَّؤون على عدم قبولي في جيشكم بينما قَبِل مسؤول (استقطاب الموارد البشريّة) في جيش الإمام الحسين عليه السلام أن يسّجل أسماء: علي الأكبر، والقاسم، وعلي الأصغر في جيشه، فكيف،. وأنتم في جيش الإمام الخمينيّ.، ترفضون تسجيل اسمي لأقاتل صدّام؟! يقول «**صفر عليّ**» أنّ كلامه هذا دفعهم إلى القبول بتسجيل اسمه، وها هو في الجبهة هنا.

توقَّفت سيارة الـ«**آيفا**» للحظات في عدّة نقاط على الجادّة أمام الحرَّاس «**المزعجين**» لمدينة «**العزير**»، وحرس مدخل مدينة «**العمارة**» إلى أن دخلنا إحدى الثّكنات العسكريّة.

الفصل الثالث:

«الميمونة» ـ الفيلق[1] العراقي الرابع

الثلاثاء 28 حزيران 1988م ـ «الميمونة» ـ الفيلق الرابع

كانـت السـاعـة حوالـي الثالثة صباحًـا عندمـا وصلنا إلـى الثكنة العسكريّـة للفيلـق الرابـع، فـي مدينـة «**الميمونـة**»[2]. كانـت الثكنة مضـاءةً بالمصابيـح الكبيـرة (بروجكتـور). عنـد دخـول سيّـارات الـ«**آيفا**»العسكريّـة إلى الثكنة ظَهرَ أمامنا عشرة أو خمسة عشر جنديًّا من جنـود الأمن (الحرسـ) الموجودين هنــاك. كان الجنود يحملون بأيديهـم العِصِيّ والكابلات، وينتظروننـا على الباب الخلفيّ لسيّارات

(1) قـد يطلق عليه أيضـاً الجيش العراقـيّ الرابع. تختلف تشكيـلات وفرق الجيوش من بلـد لآخر حسب ضخامـة الجيش وعدد أفـراده ومهامّه. وتتشكل القوات العسكرية لبلد مـا مثلاً من عدة جيوش يضم الجيش الواحد (2–4) فيالق. يراجع جدول التشكيلات العسكرية ملحق رقم (1–2) (مركز نون).

(2) يقع مقرّ (الفيلق) الرابع العراقيّ في مدينة «**الميمونة**»، في محافظة ميسان العراقيّة. مدينة العمارة مركـز محافظة ميسـان. كان تحت إمرة الفيلق الرابع في «**الميمونة**»أكثر من خمسة عشر لواءً وفرقة مشـاة مدرّعة ومجهزة. كانت الوحدات التي يشرف عليها الفيلق الرابع، تتولّى مباشرة مسؤوليّة جزء كبيـر من محاور العمليّات في الجنوب، من جملتها «**جزيرتي مجنون**». كان يتولّى قيادة الفيلق الرابع اللـواء الركن ثابت سلطان التكريتيّ الذي خلف اللواء الركن هشام صباح الفخريّ. كان الفيلق الثالث يتمركـز فـي مدينة البصـرة وكان بقيادة العميـد الركن ضياء توفيـق إبراهيم. أمّـا الفيلق السادس العراقـيّ، فقد تمّ تشكيله بعد عمليّات خيبر لحماية منطقة «**الهور العظيم**» وشرق دجلة، وكان مركزه في «**القرنة**». كنت قد سمعت بأسماء كلّ من اللواء ماهر عبد الرشيد قائد الفيلق السابع (ابنته زوجة قُصَـي بن صـدّام)، واللواء الركن طالع خليل الدوريّ قائد الفيلـق الخامس أكثر من غيرهم من قادة الجيش العراقيّ.

الـ«**آيفا**»، وهـم يصرخون بنا: انزل يا «**قرد**»، «**يـا عجل**»، هيا أسرعوا بالنــزول. في البداية، أنزَلوا الأســرى الأصحّاء (غير الجرحى) ، بعد ضربهم وشتمهــم توجهوا إلينا، وقد غضبوا؛ لأنّنــا لم نستطع التّرجّل من السيارة: أنا، «**السيّد محمّد**»، «**هجير**»، «**أحمد**»، و«**خدا خواست**»، اقتربــوا من السيارة وانهالوا علينا بالضرب بمــا أوتوا من قوَّة. أعتقد أنّهــم ظنّــوا أنّنا لم نترجَّــل؛ كي لا نتعرَّضــ للضَّرب، ثــم صعدوا؛ كي ينزلونــا علــى طريقتهم الخاصّــة، ولكن عندما رأوا حالنــا توقَّفوا عن ضربنا، وتركونا داخــل السيارة. كنّا نتوقّع أن يساعدوننا على النزول، وكنّا قد طلبنا من بقيّة الأسرى الموجودين معنا مساعدتناعلى النزول قبلهم، لكنّ العراقيّين لم يسمحوا لهم بذلك.

أمّــا «**السيّــد محمّد**» الذي لــم يتوقَّف عن المــزاح حتّى في أصعب اللحظــات، ابتســم قائــلاً: إنَّ عبارة «**اليــوم العمارة**» التــي شبعنا من سماعهــا منــذ البارحة، تعنــي: «**صحتين علـى قلبنا، وهنيئًـا لنا هذا المكان الجديد**».

فتــح الجنود الباب الخلفيّ لسيارة الـ«**آيفا**»، أفهَمَنا أحدهم بإيماءة منــه أنَّه علينا النّزول، تقدّمنا الواحدَ تلو الآخر زحفًا إلى حافة الباب، مــدّ أحدهــم يده إلــيّ، وقد تفاجــأتُ من طريقــة وضع يــده؛ لأنّها لن تستطيــع تحمّل وزن جسمي إذا ما رميــت بنفسي عليها، أعطيته يدي، وكنــت متيقّنًا أنّه لن يدعني أقع أرضًا، ولكن.. وكما توقَّعت.. لم يتحمَّل ثقــل وزنــي، وقد تركني فوقعــت أرضًا، بدأت أتململ مــن شدّة الوجع، ولــم استطــع منع نفسي مــن شتم هذا الجنــديّ الذي ظننــت أنّه أراد مساعدتي: «**أيّها القزم، ابن حرام**».

فهم الجنود مـن كلامي أنّني شتمتهم. انهـال أحدهم عليّ بالركّل والشّتم، وبدأ بضربي بجزمته على ظهري، فهمت ما كان يقوله، لكنَّني كنت أشعر بالارتياح؛ لأنّه فهم أنّني شتمته، وأحسست، بالفعل، أنّ ثقلاً قد انزاح عن قلبي، مع أنّني لم أكن أريد أن أصبح مثلهم شتّامًا.

تعامـل الجنـود بالطريقـة نفسها مع بقيّـة الأسـرى، سحبونا على الأرض، كنّا نتوقّع أن ينقلوننا على الحمَّالات، أخذونا إلى الممرّ، أمام دورات المياه الخاصّة بالثّكنة، كان الممرّ واسعًا وكبيرًا، فقد أحضروا البارحة أسرى موقع «**الخندق**» إلى هنا، عدد منهم لا أعرفه، كان رأس و وجـه أحدهم مليئًـا بالكَدَمات والدماء. هناك عـدد من الشباب في الغـرف المجاورة. كان ممر «**دورات المياه**» متَّسِخًا، ومليئا بالنجاسة. كانـت وجوه الشباب تمـوج بالتعب، والإرهاق، والألـم. جلس الجرحى أمام أبواب الحمّامات، متّكئين على الحائط حيث صنابير المياه، التي فيهـا كلّ شيء إلّا المياه. هناك في مكان مـا من الممرّ، خَرَجَتْ أمعاءُ «**احمد سعيدي**» من مكانها.

تفصلنا ساعتان عن أذان الصبح، ثقلتْ جفوني فغفوتُ، استيقظتُ علـى صوت الأذان يرفعه أحد الأسرى، تجادل أحد الشباب مع الأسير الـذي رفـع صوته بـالأذان قائـلًا: «**وهـل يُعقـل أن تـؤذن فـي دورات المياه؟**»، فأجـاب الأسير الـذي أذّن: «**وهل جئنـا إلى هنـا بإرادتنا؟ نحن مجبرون؛ لذلك يمكننا أن نؤذن حتّى في دورات المياه**».

فـكّ كلّ واحد منا، قيود الآخر بأسنانـه، صلّينا الصبح من جلوس دون تيمّـم، ودون سجـدات، فـي ممرّ الحمّامـات. كان المـؤذّن سيّئ الحـظّ، فبعد أن جادله بعض الشباب وانتقدوه على رفع صوته بالأذان

في هذا المكان، سحبه العراقيُّون إلى الخارج وانهالوا عليه ضربًا. كان من أصفهان. عندما عاد كان وجهه مليئًا بالكدمات والدماء. انزعج العراقيُّون؛ لأنّنا صلينا في الممرّ قرب الحمّامات، فقالوا: «**أنتم أيّها الإيرانيّون الكاذبون، صلاتكم ليست سوى خداع ورياء**».

في الصباح الباكر، أخرج الجنود الشّباب ليحقّقوا معهم، ولتسجيل أسمائهم. اصطفّوا في خمسة صفوف، كان التحقيق يجري في غرفة اسمها: «**غرفة الحرب**».

لأنّه اليوم الأوّل لنا في الثكنة؛ كان الضبّاط العراقيُّون في هذا الفيلق يتحرَّكون ذهابًا وإيابًا. انقطعتْ أخبارُ بعض شباب موقع «**الخندق**» الذين تمّ نقلهم إلى إحدى ثكنات الفيلق الثالث.

قبل أن يأخذوننا الى التحقيق في غرفة الحرب، حضر، إلى هناك، بعض الجنود من ذوي القبَّعات المرقّطة والبنّيّة، وبـ«**شاراتهم**» التي كانت على شكل «**عقاب**»، وأحزمتهم البيضاء، وألبستهم العسكريّة المرقّطة. يبدو أن هذه الثكنة تتميَّز بالنّظام والدّقّة والانضباط، يظهر ذلك من ألبسة هؤلاء الجنود النظيفة المرتَّبة.

أَجلَسَ الجنودُ الأسرى في صفوف منظّمة، استعدادًا للتّحقيق. كان الجنود العراقيُّون يخافون من الضباط الأعلى منهم رتبة، ويحسبون لهم حسابًا. فهمت ذلك من طريقة تأدية التّحيّة لهم، وطريقة وقوفهم أمامهم. عندما نظرت حولي، رأيت الأبنية، الغرف والسّاحات الكبيرة في الأجزاء المختلفة من الثكنة.

كنت مستعدًّا للتّحقيق، كانوا يحقّقون مع الأسرى الجرحى بعد التحقيق مع الأسرى الأصحّاء. قلت «**للسيِّد محمّد**»:

- يا سيّد، هل نتكلّم فعلًا باللغة اللوريّة الأصيلة[1]؟.

- عندها سيقضون علينا.

بعض الأسرى، رغمًا عنهم، أو برضاهم، كانوا يعطون العراقيّين معلومات لا ينبغي البوح بها، وكان بعضهم الآخر عندما يتعرّضون للضّرب والشتائم يفقدون صبرهم على التحمّل، ويعترفون ببعض المعلومات للمحقّقين العراقيّين الذين كانوا محترفين في عملهم.

حاول العراقيُّون، اليوم خلال التحقيق معنا، التوصّل إلى أسماء القادة، شباب المعلومات والعمليّات، الأفراد الذين قصفوا قواربهم في جزر «**مجنون**»، الأفراد الذين استهدفوا المروحيّات العراقيّة، ومعلومات عسكريّة حول عدد الجنود، الأعتدة اللوجستيّة، ومعنويّات المقاتلين الإيرانيِّين...

أخرجوا أسيرًا الى ساحة الثكنة وهو على حافّة الموت؛ لأنّه رفض البوح بمعلومات. كان بعض الأسرى، ونتيجة تعرُّضهم «**للصدمات الكهربائيّة**»، والضرب المبرِّح، يفقدون وعيهم. في ساحة الثكنة، ضرب الجنود العراقيُّون أحد الشباب الخوزستانيِّين إلى حدّ الموت، بعد أن أفشى أمره أحد رفاقه، ضربوه بطريقة جعلت الدم يخرج من فمه وأنفه. ويظهر أنّه أصاب زورقًا عراقيًّا برمائيًّا في المياه بالقرب من جزيرة «**مجنون**» الجنوبيّة بالـ«**آر. بي. جي**».

أخذوا «**السيّد محمّد شفاعت منش**» قبلي للتحقيق. عندما عاد كان وجهه مليئًا بالكدمات، كان «**السيّد محمّد**» رجلاً شجاعًا

(1) إحدى اللغات المحلية المحكية لدى سكان أحد الأقاليم في إيران، تتميز بألفاظها الغريبة، يصعب على غيرهم فهمها. (نون)

وسريـع البديهة. كنّـا، كلّما انتهى التحقيق معنـا، تجمَّعْنا بعضُنا حول البعض الآخـر، وبدأنا نستعيـد الأسئلة التي وُجِّهت إلينـا، والإجابات التـي أعطيناهـا. قـال المحقّـق «**للسيّـد محمّـد**»: لقد قتلنـا الكثير مـن الإيرانيّيـن في جزيـرة «**مجنون**»، لقـد «**مسحنا بكم الأرض**»، أجابـه «**السيّـد محمّـد**»، الـذي لم يستطـع تحمُّل الإهانـات التي كان يوجِّههـا هذا العراقـيّ، قائلاً: «**لقد كنـتُ قائد مجموعـة في جزيرة مجنـون، لقـد قضيت لوحـدي على سريّـة مغاوير عراقيّـة بأكملها، نحـن أكثـر شجاعة منكم، ولكـنّ معداتنا العسكريّة أقـلّ ممّا عندكم بكثيـر**». لكـنّ كلام «**السيّد محمّد**»، الـذي كان شخصًا عنيدًا، أغاظ المحقّـق العراقيّ، فانهال عليه بالـ«**كابـل**»[1]، وبدا ذلك على وجهه، مع أنّهـم كانوا حتّى هـذه اللحظة قد راعـوا وضع قدمـه المصابة. سأله المحقّق: إذا ما قصفنا المدن الإيرانيّة بالأسلحة الكيميائيّة فما الذي ستفعلونـه؟، أجاب السيّـد محمّد: إنّ كلّ البلديّات فـي إيران، في كلّ القـرى والمـدن، قد دَرَّبت أهلها علـى استعمال الأقنعـة الواقية، حتّى الأطفال الصِّغار قادرون على استعمال الأقنعة الواقية، أنتم تستعملون الأسلحة الكيميائيّة في الحرب، لقد فهمنا هذا الأمر، إنّ قائدنا يعتبر استعمـال الأسلحـة الكيميائيّـة أمرًا محرّمًـا. أمّا أنتـم، فلم ترحموا حلبجة العراقيّة، فكيف بنا نحن الإيرانيِّين؟

كان الشبـاب يتكلَّمون بقوَّة خلال التحقيق، كنـت اعتقد أن الأسير لا يملـك إلّا سـلاح لسانـه. إنّ فعاليّة هذا السّلاح فـي كربلاء، والذي لجأت إليه السيّدة زينب، لا يخفى على أحد. في كثير من الأحيان، كان

(1) قطعة سلك كهربائي مغلَّف بالبلاستيك أو حبل معد للتعذيب والضرب.

هذا السلاح عند الأسرى الإيرانيِّين أكثر تأثيرًا من الرّصاص وقذائف الـ«**أر. بي. جي**».

بعد «**السيّد محمّد**»، جاء دوري، وضعني اثنان من الجنود على الحمّالة، ونقلاني إلى «**غرفة الحرب [التحقيق]**». عندما دخلت إلى الغرفة، وجدت نفسي أمام أربعة ضبّاط عراقيِّين يجلسون خلف طاولة. أكثر ما لفت نظري، خلال فترة التحقيق، ذلك الإبريق المليء بعصير البرتقال الموجود أمامهم.

كم تمنّيت لو يسمحون لي بشرب هذا العصير، فهم لا يشربون منه، ولا يسمحون للأسرى أيضا بالشرب، فظننت أن وضع هذا الإبريق هناك، أمام أسير عطشان في حرّ حزيران، هو جزءٌ من التعذيب.

كان بين المحقّقين، شخصٌ ضعيفُ البنية، وذو عينان ملوّنتان، وهو أرفعهم رتبةً، ذو شعر بنيّ أجعد قليلاً، برتبة عقيد، يبدو أنّه شخصٌ جدّيّ وقاس. أمّا المحقّق الثاني فكان يرتدي بذلة خضراء اللّون، لا رتبة عسكرية له، وأكبر سنًّا من البقيّة، كان يعطي توجيهات للمحقّق. كان مترجمهم إيرانيًّا، شكله يشبه الإيرانيِّين، لكن لو لم يتكلّم لاعتقدته عراقيًّا، فقد كان يرتدي بذلة عسكريّة عراقيّة، وهو برتبة رائد، لا لَكْنَة في كلامه تمكّننا من معرفة المحافظة التي جاء منها في إيران، كان يتكلّم باللغة الفارسيّة بلهجة غليظة، وهو أحد أعضاء منظّمة «**منافقي خلق**».

أمّا العسكريّ الآخر، صاحب البِذلة الخضراء، فهو برتبة ملازم أوّل، وكان عمله تسجيل معلومات الأسرى. خرج الجنديّان اللذان حملاني على الحمّالة من الغرفة. كان على الطاولة جهاز للصدمات

الكهربائيّة، عرفت خلال التحقيق كيفيّة عمله.

فـي ثكنة «**الميمونة**»، كان التحقيق يُنجز بشيء من الحيلة والمكر، فكان المحقّقـون أصحـاب خبـرة، ومحترفين في هـذا المجال. بعد تسجيـل المعلومات الخاصّـة بي، وقف الضابط صاحـب الشعر البنيّ ممسـكًا بيده عصًـا، وأشار بها إلـى خريطة على الحائـط، أوضح لي موقـع جزيرة «**مجنون**»، أين كنا نحن، وأين كانوا هم، ماذا فعلنا، وما الـذي فعلوه هم، ثم طلب منّـي أن أوضح أين كانت تستقرّ وحداتنا من الجيش والحرس في جزيرة «**مجنون**» و«**طلائيّـة**» و«**جفير**». حاولوا.. وبحنكتهـم.. أن يسحبوا المعلومات العسكريّـة والشخصيّة لمقاتلينا، أماكـن الكتائـب والوحـدات، القـادة، الأسـرى المهمّيـن، الخطوات اللاحقة للإيرانيِّين و.....

مع أنَّني كنت مُلمًا، خلال وجودي على الجبهة، بالخرائط والـ«**كالك**» (أوراق المخطَّطات الشفّافة)، لكنّني أظهرت لهم أنّني لا أعرف شيئًا عن هذا الموضوع.

سألني العقيد:

- كم عمرك؟

- ستة عشر عامًا.

- هل أنت من التعبئة؟ هل تطوّعت للقدوم إلى الجبهة؟

- نعم أنا تعبويٌّ.

سأل المحقّق الأكبر سنًّا:

- لماذا أتيت إلى الجبهة؟

تذكّـرت حينهـا ذلك اليـوم من شهـر شبـاط العـام 1986م، بعد

عمليّـات «**كربـلاء ٥**». تذكّـرت كلام «**محمـود آقاسـي**» يومها، ونكات شبـاب التخريب[1]. مع أنّني لم أكن أحفظ الآية 190 من سورة البقرة، لكنّنـي قلت ترجمتها باللّغة الفارسيّـة (والآية هي: «**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**»).

لم يقل مسؤول التحقيق شيئًا، لكن العقيد صاحب العينين الملوّنتين قال لي:

– «**تعـرف القـرآن إذًا، علّمكـم علمـاء الديـن هـذا الـكلام: أنّنـا المعتـدون، إنَّ الله لا يحـب العراقيّيـن! بـل يحـب الإيرانيّين فقط! فـالله هو إلهكـم أنتم فقـط**». حينها أصبح صوته أكثـر حدّة وارتفاعًا ثمّ قال:

– أيّهـا المجوسـ! لقد علّمناكم نحـن العرب هذا القـرآن، ولولانا

(1) بعـد عمليـات «**كربلاء 5**»، تم تسليم «**تقاطع الموت**» في شلمجة الـى شباب التخريب. في أحد الأيّام، وفـي منطقـة «**قنـاة ماهـي**»، أو«**قنـاة السمـك**»، تجمع شبـاب التخريب حول «**محمـود آقاسـي**»، كان «**آقاسـي**» مـن مدينة «**شهرضا**»، ونائب مسؤول وحدة التخريب . فـي العام 1988م أصبح مسؤول وحدة التخريـب. كان قائدًا حسن المعشر، وقليـل الكلام. كان يأنس بالشباب. تكلّم يومها عن الأسر، فسأل الشبـاب: «**إذا وقعتـم في الأسر يومًا وسألوكم لماذا جئتم الى الجبهة، فماذا تجيبونهم؟**»، لم يأخذ الشبـاب الأمر بجدّيّة، فضحكوا يومهـا، وقال كلٌّ منا شيئًا ما. لم نفكِّر يومها أن هذا الأمر قد يحصل يوما، لم أتخيَّل للحظة أنّني سأقع تحت رحمة العراقيّين. أجاب «**بمان عليّ أنصاري**»، وهو من منطقة «**نورآباد**»: «**أقـول لهـم يومهـا، سيّـدي، جاء الجميـع إلى الجبهة فجئـت معهم**»، أمّا «**رضـا عليّ باك نسـب**»، مـن منطقة كهكيلوية، فقد قـال: «**سأعترف أنّنـي كنت جنديًّا، وقـد أتيت الى قنـاة السمكة؛ لأصطـاد السمـك فوقعت بين أيديكـم**»، بينما قال «**عليّ عالي منش**»، مـن منطقة «**استهبانات**»، من محافظـة فارسـ: سأقول لهم جئت؛ لأدافع عن وطني، ثم قرأ هـذا الشعر: لو قطعتم رأسي عن بدني، لن أتخلى عن تراب من وطني. عندما جاء دوري قلت ـ بثقة ـ: أنا لن أقع في الأسر، فأجابني «**آقاسي**» ممازحًا: إذا وقعت في الأسر، ولكي لا يقتلونك؛ قل لهم إنّك سيّد؛ لذلك أنت عربي، ومنذ عدّة سنوات فقط جئتم إلى إيران، لكن الإيرانيِّين طردوكم من أرضهم، وها أنا أعود إلى العراق. في النهاية وكما عوّدنا «**آقاسي**» دائمًا أنّه في كلّ جملة يقولها، حتّى لو كان يمزح، هناك ما يريد أن يوصله لنا: قال إذا سألوكـم لماذا جئتـم تقاتلون فأجيبوهم بهذه الآية القرانيّة: «**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**».

لبقيتم كما كنتم، قومًا يعبدون النار، لو لم نعلمكم القرآن لكنتم جميعًا كفّارًا الآن.

– الحمد لله، لقد اعترف أخيرًا أحد العراقيّين أنّنا لسنا كفرة. فمنذ عدّة أيّام وكلّما التقينا بعراقيّ كان يقول لنا: مجوس، وكفرة وما إلى ذلك.

كان غضبه يزداد، في المقابل، كان مسؤول التحقيق الأكبر سنًّا، ساكتًا، وضابطًا لأعصابه، ويسمع كلامي بدقّة، لكنّه كان يُظهرُ غضبه كلّما استشهدتُ بالقرآن في كلامي. سألني المحقّق العقيد، وفي الوقت نفسه كان المترجم ينقل كلامي له بهدوء ودقّة:

– في أيّ وحدة كنت متطوّعًا؟

– في لواء «**الفتح** 48».

– أي: أنّ لواءكم قد انتصر 48 مرة في الحرب؛ لذلك أسميتموه هكذا؟

– لا لقد انتصر أكثر من 48 مرة، ولكنّ اسمه 48 فتح لسبب آخر.

– و ما هو هذا السبب؟

– إنّها السورة ال48 من سور القرآن، سورة الفتح؛ لذلك سمّينا وحدتنا «**الفتح** 48».

عندما قلت هذه الجملة، استشاط غضبًا. وأنا لم أستطع منع نفسي من الاستشهاد بالقرآن الكريم، وكأنّ كلامه كان يجرّني جرًّا إلى العودة لكلام القرآن، لم أعرف لماذا كان العقيد يغضب كلّ هذا الغضب، وأكمل قائلاً:

– ليقسم القرآن ظهوركم، تريد أن تُفهِمني أنّ الخمينيّ في إيران لا

يتصرّف إلّا على أسس القـرآن؟ لماذا يسمّي الكتائب والألوية بأسماء مأخوذة من القرآن؟

– كلّ شخصـص يعرف نفسه، إذا كان يعمـل على أسس القرآن أم لا، ولكنّ القرآن يقول ألَّا يغزو أحدٌ بلادَ الآخرين. لكن إذا هوجمتم عليكم بالدّفـاع عن أنفسكـم. كان العقيد يزداد غضبًـا والمسؤول الأرفع عن التحقيق يدعوه للهدوء وضبط النفس. مع أنه لم يكن مرتاحًا لإجاباتي، لكنّـه أكمل طرح الأسئلة، وكنت أجيبه على قدر معلوماتي وفهمي. كان العقيد رجلاً لجوجًا وحشريًّا. ثم أكمل وسألني عن جزيرة «**مجنون**»:

– أين تمّ أسرك؟

– في جزيرة «**مجنون**» على جادّة «**الخندق**».

– هـل رأيت كيـف استرجعنا منكم جادّة «**الخنـدق**»؟ ومسحنا بكم الأرض؟

أحسست بالإهانة وفكّرت بماذا أجيبه.

– نحن لم نخسر، كنّا 200 عنصر، وكنتم عدّة ألوية، وعندما أُسرنا كانت ذخيرتنا قد نفدت، ولم يكن بحوزتنا أيّة رصاصة.

– لكنّنا استطعنا أن نأسر كلّ هذا العدد في جزيرة «**مجنون**».

– صحيـح، لقـد اسرتم حوالـي 100 مقاتل من لوائنـا، بينما نحن أسرنـا حوالي 17 ألفًا من جنودكـم في عمليّات «**بيت المقدس**». لقد أتينا إلى الجبهة امتثالاً للتكليف والواجب.

غضـب المحقّق مرّة ثانية، لكنّ المسـؤول الأعلى عن التحقيق كان هادئًـا، وباردَ الأعصاب، وكأنّه كان يفكّر بما أقوله، لقد تذكّرت إحدى اللّوحات التي كانت على جانب الطريق، فقلت للعقيد:

- هنـاك على جادّة «**الخنـدق**»، بالقرب من تقاطع «**المحور**» توجد لوحـة علـى جانب الطريـق، لربّما دمّرتموهـا، مكتوبٌ عليهـا: «**علينا القيام بواجبنا، ولا يجب الاهتمام بالنتيجة**». لقد تعلّمنا هذا الكلام من سيّدنا الإمام الحسين عليه السلام.

كان العقيد رجلاً معقّدًا ومتعصّبًا لبلده، ولا يفهم الكلام المنطقيّ، ولكـن المسؤول الأعلى عـن التحقيق، ذلك الضابـط الأكبر سنًّا، كان فهيمًـا، ومنطقيًّا أكثر. عندما كان العقيـد يغضب، ويبدأ بالشتم، كان يطلـب منـه الحفاظ على هدوئـه وحفظ لسانه. فهمـت أنّه يطلب منه عـدم السبّ والشتم. فقد كان العقيد يحاول قدر المستطاع أن يتّهمني ويدينني. فأكمل قائلاً:

- لقـد أسرناكم في جزر «**مجنـون**»، وهذه أرضٌ عراقيّةٌ، وليست أرضكم أيها المجوس، عبّاد النار، أيها المعتدون!.

- أقسم بالله، أنّنا لا نعبد النار، نحن لا نعبد إلّا الله.

- لقد أسرناكم في أرضنا، ألا يجب أن نقتلكم، و نرمي بجثثكم إلى كلاب العمارة؛ لتأكلها. الكلاب الحدوديّة في العمارة تحبّ أكل لحمكم أيّها الإيرانيّون.

- أنـا لا أخـاف من القتل، لو كنت أخافُ لما أتيـتُ إلى الجبهة. أنا أسيركـم الآن، ويمكنكـم أن تفعلـوا بي ما يحلـو لكم، أمّـا إذا سألكم أحدهم لماذا هاجمتم «**خرمشهـر**»، «**الهويزة**»، «**سوسنكرد**»[1]، وبقيّة المـدن الإيرانيّـة، واستوليتم على هذه الأراضي، فمـاذا ستجيبونهم؟ أولستم تحتلّون إلى الآن الكثير من الأراضي الإيرانيّة؟ فعندما تحتلّون

(1) سوسنكرد: تلفظ: Sosangherd.

أرضًا إيرانيّة، ستحتل إيران بالمقابل بعض أراضيكم!

حوّل العقيد موضوع التحقيق إلى «**شطّ العرب**»، وكما يبدو قام بهذا الأمر عندما شعر بالانزعاج من كلامي:

- «**شطّ العرب**»، ماذا تقول بالنسبة إلى «**شط العرب**»، ألا تحتلونه أنتم الآن؟ وهو أرض عراقية؟

- للعراق؟! لطالما كان العراق ملكًا لإيران.

أغضبت هذه الجمل العقيد. فقد كان العراقيُّون حسّاسين كثيرًا بالنسبة إلى «**شط العرب**». لم يستطع العقيد أن يضبط غضبه فقال:

- إذا كان لكم، فلماذا يسمّونه «**شط العرب**»، أليس؛ لأنّه ملك للعرب؟

- لا يهمّ اسمه، ففي محافظة خوزستان يعيش الإيرانيّون العرب؛ لذلك يطلقون عليه اسم «**شطّ العرب**». وهل الهويزة مثلاً هي لكم؟

- مساكين لقد غسل رجال الدين أدمغتكم.

- مشكلتكم أنّكم تظنّون أنّنا صغارٌ في السّنّ، ما دون الـ الستة عشر عامًا، لا نفهم شيئًا، وقد أحضرونا إلى الجبهة. لا، لقد جئنا إلى الجبهة انطلاقًا من عقيدتنا.

قال المحقّق المسنّ، الذي حافظ على احترامه إلى آخر التحقيق:

- ما هي أمنيتك الآن؟ هل تتمنّى أن تتحرّر؟

كنت أتمنّى أن أقول له: إنّ كلّ ما أتمنّاه هو أن أحمل إبريق العصير البارد الموجود على الطاولة أمامكم؛ كي أشربه. يا إلهي، كنت على وشك قول هذا، ولكنّني في اللحظة الأخيرة تذكّرت حديثًا جميلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام، حفظته من مفكرة الجَيب، فقلته بصوتٍ عالٍ:

«**أشرف الغنى ترك المنى**».

سكت الجميع، وها هم يتركونني وشأني. حملني الجنديّان اللذان أحضراني مرّة أخرى إلى الخارج. كنت مرتاحًا لسير التحقيق، مع أنّ حديثي كان بالنسبة إلى العقيد مزعجًا واستفزازيًّا، إلّا أنّه كان بالنسبة إلى مسؤول التحقيق الأكبر سنًّا متنوّعًا وجذّابًا. بدا هذا الأمر على وجهه واضحًا. عندما أعادوني، لم نرجع إلى الممرّ قرب «**دورات المياه**»، فتنفّست الصّعداء.

قرابة الظهر، جاء أحد الضباط العراقيّين، برفقة أحد الإيرانيّين من جماعة المنافقين. نادى الضابط أربعة من شبابنا بأسمائهم: «**عليّ هاشمي**»، «**عليّ أصغر كرجي زاده**»، «**هوشنك جووند**» و«**تقي إيماني**».

سكت الشّباب. نظر كلّ منّا إلى من كان بجواره.

لم أكن أعرف أيًّا من أصحاب هذه الأسماء إلّا «**عليّ هاشمي**» الذي رأيته مرّة واحدة. قال الضّابط: «**إذا كان هؤلاء الأربعة بينكم فليخرجوا الآن**».

لم يذكروا أحدًا من هؤلاء الشباب في تحقيق الصباح.

بعد الظهر، جاء أحد الضباط، برتبة «**مقدم**»، إلينا، وقال لنا:

– كلّ من تمّ أسره خارج موقع «**الخندق**» في جزيرة «**مجنون**» فليرفع يده.

رفعتُ يدي أنا وعدَد من الشباب، لم نكن نعرف لماذا يفتّش العراقيُّون عن الذين أُسروا خارج موقع «**الخندق**»، ظنّ العديد من الشباب، وأنا منهم، أنّهم يريدون أن يعرفوا مكان أسر كلّ واحدٍ من

الإيرانيّيـن؛ لأنّهم يريدون أن يحصوا وبدقّة ملـف أسر كلّ واحد منا. أخرجوا الأشخاص الثمانيـة الذين أسروا خارج «**الموقع**»، جلسنا في ظل حائط المبنى المجـاور، تظهر أمامنا صورة لصدّام على الحائط الكبيـر في الجهـة المقابلة لنا، وهو يرتدي شـالاً (كاب) أسود طويلاً أثناء الرماية.

جلس أسرى جزيـرة «**مجنون**» و«**طلائية**» فـي صفوف من خمسة أشخاص في ساحة الثكنة، وقد أُضيف إليهم عددٌ جديد من الشباب، لم أكـن أعرفهم. وقع نظـري على«**محمّد كردلو**»، من بيـن الشباب الجالسيـن في باحة الثكنة، تعجّبت لهذا الأمر، لم أكن أظن أنّه مازال حيًّـا، فعندما أخرجونا من «**الموقع**» بعد ظهر نهار السبت، لم أره بين الشباب، فاعتقدت أنّهم قتلوه في موقع «**بيت اللّهي**».

فصـل العراقيُّـون الأسرى الذيـن تمّ أسرهم فـي جزيرتي مجنون الشّماليّـة والجنوبيّة، عن بقية الأسرى. قال أحد العسكريّين الذي كان يرافقه مترجم إيرانيّ:

- ليتقـدّم الذيـن تـمّ أسرهـم فـي «**جـزر مجنـون الشّماليّـة والجنوبيّـة**». تقـدّم حوالي عشرة أخوة، بينهم جريحـان، كانا يتّكئان علـى الحائط بالقرب منّا، لم أعرف لمـاذا يركّزون على شباب «**جزر مجنـون**». في الصباح، سجّل المحقّق المعلومات المتعلِّقة بي، وكذبت فـي شيء واحد فقط، وهـو الفرقة (التشكيل) التـي كنت أخدم فيها. لـو اعترفت للعراقيّين بأنّني من جماعة المعلومات، لانتهى أمري. لقد قلت للمحقّـق أنّني من أفـراد كتيبة الشّهداء الخاصّـة. صدّقوني ولم يكملوا السّين والجيم.

كنت جالسًا بالقرب من الحائط، جاء عدد من الضباط إلينا، كان يرافقهم اثنان من الإيرانيّين؛ أحدهما يتكلّم بالعربيّة، وهو من الأسرى، كان وجهه مليئًا بالبثور الملتهبة. كان لباسه موحلاً وفي حال يرثى لها. أعتقد أنّه أُسر في جزيرة «**مجنون**». نظر إلى الإخوة واحدًا واحدًا، لم أعرف عمّ يفتشون، عندما وصل إليّ سمعته يذكر اسم «**السيّد عليّ هاشمي**»[1]، ثم قال: «**سيّدي هذا هو**»، لم أعرف ما الذي يقصده بـ«**سيّدي هذا هو**».

في تلك اللحظة جاء اثنان من العراقيّين وحملوني على الحمّالة، نقلوني إلى غرفة غير تلك التي أخذوني إليها في الصّباح؛ حيث ينتظرني محقِّقون لم أرهم من قبل.

في تحقيق الصباح، سجّل العقيد العراقيّ معلومات شخصيّة: الاسم، العائلة، رقم السّجل، مكان الولادة، المحافظة التي أسكن فيها، نوع العمل الذي كنت أقوم به في الجبهة، الوحدة أو الكتيبة التي كنت أخدم فيها، تاريخ الأسر، المكان الدقيق للأسر، وضعي الجسديّ. أمّا الآن بعد الظهر، لم يسجّلوا شيئًا ممّا ذكرتُ، بل سجّلوا فقط اسمي، واسم عائلتي، ومكان أسري، ثم سألوني مباشرة عن «**الحاجّ عليّ**

(1) ولد اللواء القائد «**الحاجّ عليّ هاشمي**» في الأهواز العام 1961م. عُين منذ بداية الحرب قائدًا لفيلق «**الحميديّة**»، وقائدًا للواء «37 **النور**». نتيجة للقدرات التي أظهرها تمّ تعيينه قائدا لثكنة «**نصرت**». كان نجاح عمليّات «**بدر**» و«**خيبر**» المهمتين بهمّة «**الحاجّ عليّ هاشمي**». إلى أن تمّ تعيينه من قبل «**الحاجّ محسن رضائي**» قائدًا لفيلق الإمام جعفر الصادق عليه السلام السادس. لقد استطاع في مدّة محدودة أن يعيد تنظيم حوالي 13 وحدة عسكريّة واحتياط في خوزستان. اختفى «**عليّ هاشمي**» في 25 حزيران 1988م في جزيرة «**مجنون**»، وقد عثر على بقايا جثته في أيّار 2010م في حقول القصب في جزيرة «**مجنون**». كان هو أحد القادة الخمسة الشهداء في محافظة خوزستان برتبة «**لواء**»: «**محمّد جهان آرا**»، «**حسين علم الهدى**»، «**إسماعيل دقايقي**»، و«**الدكتور مجيد بقائي**».

هاشمي». سألني المحقّق:

- «**هل تعرف قائد (الفيلق) الإيرانيّ السادس؟**»

كنت قد رأيت «**الحاجّ عليّ هاشمي**» قبل يومين من هجوم العراقيّين على موقع «**الخندق**». كان قد جاء لزيارة جادّة «**الخندق**»، حينها قال لي «**بيران مستوفي زاده**»: «**إنّه عليّ هاشمي**»؛ كان ضعيفًا، أسمرَ الوجه، عيناه كبيرتان، ونظرته ثاقبة، لحيته جميلة وسيماؤه قريبة للقلب.

كان يرتدي لباسًا كوريًّا. تعجَّبت يومها عندما قال لي «**مستوفي زاده**» إنّه قائد جيش الإمام جعفر الصادق عليه السلام السادس، ورأيته ينتعل «**نعلاً**» مفتوحًا[1]. يقال: إنّه كان معظم الوقت ينتعل «**الحذاء المفتوح**»، حتّى خلال الجلسات في الثكنة. لم يكن يظهر عليه أنّه قائد الجيش السادس الجنوبيّ، وأنّه يقود عدّة فيالق وألوية عسكريّة. قلت في نفسي يومها: إذن، «**سيف الله حيدر بور**» قائد لوائنا مع كلّ شأنه وعظمته، هو تحت إمرة أشخاص مثل الحاجّ.

لم أعرف لماذا يبحث ضبّاط ثكنة «**الميمونة**» عن «**الحاجّ عليّ هاشمي**». أنا أسير هنا، ولا معلومات لديّ عما يجري في الجبهة. عرفت فقط أنّ العراقيّين قاموا بإنزال على مقر الفيلق السّادس[2] ظهرًا، هذا ما قاله «**الحاجّ عباس هواشمي**» للإخوة في لوائنا، وهو

---

(1) عرفت بعدها من القائد «**عليّ ناصري**»، صديقه الأقرب إليه، أنّ «**عليّ هاشميّ**» كان يعاني من مشكلة جلديّة في القدم تمنعه من انتعال الحذاء العسكريّ في أيّام الصيف الحارّة.

(2) تقسيمات القوات العسكريّة الإيرانيّة على النحو التالي: القوات المسلحة: عدّة جيوش/ الجيش: عدّة فيالق/ الفيلق أو الفرقة: (عدة ألوية)/ اللواء: (مجموعة كتائب)/الكتيبة (عدّة سرايا)/السرية (مجموعة فصائل)/ الفصيل (وهو أصغر مجموعة عسكريّة). (مركز نون)

أحـد المعاونين في مقرّ الجيش (الفيلـق). لم أكن أعرف أين «**الحاجّ علـيّ هاشمي**»، وما الذي حصل لـه. كان المحقّق يحمل صورة «**الحاجّ علـيّ هاشمـي**». كان «**الحـاجّ علـيّ هاشمي**» في الصــورة يرتدي لباس الحرس المعروف، وكأنّها أخذت في مناطق الجبهة في الجنوب. كنت أفكّـر ما الذي تفعله صورة «**الحاجّ علـيّ هاشمي**» عند العراقيّين. قلت في نفسي: «**يا إلهي، ما الذي حصل** »للحاجّ عليّ هاشمي«**إذن؟**»

وبينما كنت أفكّر في مصيره سألني المحقّق:

- هذا «**علي هاشمي**»، هل تعرفه؟

- لقـد رأيته قبل يومين مـن هجومكم على جزيرة «**مجنون**»، رأيته على جادّة «**الخندق**».

- وهـل رأيتـه أثنـاء الهجـوم علـى جزيـرة «**مجنـون**» بتاريخ 25 حزيران؟[1]

- لا لم أرَهُ أثناء هجومكم في ذلك اليوم.

- أيّها المجوسيّ الكاذب، أنت بريد[2] «**علي هاشمي**».

- لا لست ساعي بريد «**عليّ هاشمي**».

غضب المحقّـق، فضربني بالهراوة الخشبيّة التي كان يحملها على وجهي، وقال:

- أنت ساعي بريد «**عليّ هاشمي**»؟ أين ذهب «**علي هاشمي**»؟

ثم أكمل المحقّق قائلاً:

---

(1) يقصد عمليات الرابع من تير 1367 ش. (1988).

(2) بريـد، أو ساعي بريـد، شخص مهمته إبـلاغ البرقيات والرسائـل لأصحابها، وكان موجـودًا لدى كل المقرات وقيادات الألوية. (مركز نون)

- لقد قالوا لنا: إنّ ساعي بريد «**عليّ هاشمي**» كان شابًّا في السادسة عشرة من العمر، وكان قبل الظهر حاضرًا في الجزيرة مع «**عليّ هاشمي**»، عندما حاصرنا المنطقة تلقى طلقة في قدمه، وجرح، ثم وقع في الأسر، وذهب «**عليّ هاشمي**» مع عدد من قادته إلى حقول القصب، واختفوا هناك. اين ذهب «**علي هاشمي**»؟

- صحيح أنّني في السادسة عشرة، و كنت على الجزيرة، وأُصبتُ في قدمي، لكنّني لست مَن تبحثون عنه.

كان المحقّق غاضبًا، وها هو يستشيط غضبًا. وقف في مكانه، وركلني على ظهري، ثمّ ألحقها بركلة على كتفي، ثمّ أكمل قائلاً:

- لماذا تكذب، في أيّ كتيبة كنت؟

كنت أريد أن أقول ما قلته في الصباح، أنّني في كتيبة الشهداء الخاصّة، هذه الكتيبة التي كنت دليلها، كنت أريد أن أعيد ما قلته، خاصّة أنّهم صدّقوني. فكّرت ما الذي سأقوله، فقد كانوا مقتنعين بأنّني ساعي بريد «**الحاجّ عليّ هاشمي**». لا أعرف ما الذي قاله لهم الأسير الذي يتكلّم بالعربيّة. كنت متيقّنًا دون أدنى شكّ أنّهم سيسألون بقيّة الأسرى عن مكان ونوع خدمتي في الجبهة، وعندها سينفضح أمري، ففضّلت قول الحقيقة؛ كي أقنعهم ـ بالفعل ـ بأنّني لست ساعي بريد «**الحاجّ عليّ هاشمي**». لم أعترف سابقًا بأنّني من شباب وحدة الاستطلاع؛ لأنّني لم أكن أتوقّع ما الذي سيحلّ بي وبالشباب حينها، فالعراقيُّون كانوا حسّاسين لكلّ ما يتعلّق بالمعلومات. ممّا لا شكّ فيه أنّ جرم كوني ساعي بريد «**الحاجّ عليّ هاشمي**» أكبر بكثير من كوني أحد شباب وحدة الاستطلاع والعمليّات.

لذلـك، ولكي أخفّف من جرمي ومن تهمتـي لدى العراقيّين؛ قررتُ قول الحقيقة؛ لذلك، قلت له:

- أنـا لسـت ساعي بريد «**الحـاجّ عليّ هاشمي**»، بـل كنتُ في وحدة الاستطلاع والعمليّات.!

شعرت أنّ المحقّق قـد صُدم عندما سمع العبارتين: «**الاستخبارت والعمليّـات**[1]»، وتعجَّب كذلك. لم يستطع أن يصدِّق، وأنا في مثل هذه السّـنّ، وهذا القوام النحيـف، أن أعمل في وحـدة المعلومات. سألني بتعجب:

- هـل حقًّا، أنت أيّهـا الصّوص التّعبويّ الخمينـيّ، تعمل في وحدة الاستطلاع؟

- «**نعم**»

لو لم تكن قدمي مجروحة لاختلف الوضع. لو كنت معافًى، لانصّبت المصائب على رأسي، وكأنّهم لم يتوقَّعوا أبدًا أن أعترف بمكان عملي. سأل المحقّق:

- لدينـا الكثير من العمل معًا، لا بدّ من أن يعرف شباب المعلومات (الاستطـلاع) أيـن كلّ مـن «**علـيّ هاشمـي**»، «**علـيّ أصغـر كرجـي**»، «**هوشنك جوونـد**»، و«**تقيّ إيماني**»، وما الذي حصل لهم»؟

- ثلاثة من الأسماء التي ذكرتها، لا أعرفها، لكنَّني أعرف أن «**علي هاشمي**» هو في إيران.

- الإيرانيُّون يكذبون كثيرًا، فأنتم لا تقولون الحقيقة أثناء التحقيق معكم.

(1) ورد في الكتاب: «**اطلاعات وعمليّات**»، ولكنّه يقصد الاستطلاع، وقد يكون المحقّقون العراقيُّون فهموا منه المخابرات أو الاستخبارات والعمليّات. (مركز نون)

- لـم أقل سوى الحقيقة، فالأحمق هو الـذي يعترف لعدوّه بأنّه في وحدة المعلومات والعمليّات، لقد قلت لكم الحقيقة فقط؛ كي أثبت لكم أنّني لست ساعي بريد «**الحاجّ عليّ هاشمي**».

- ولولا ذلك ما قلت الحقيقة؟

- لا، لما قلت الحقيقة.

كان العراقيُّون يظنّون أن وجودي في جادّة الخندق، وأسري هناك، يعني أنّني رأيتُ «**الحاجّ عليّ هاشمي**»، وأعرف أين هو الآن.

كان المحقّق العراقيّ شخصًا لجوجًا وصلبًا، قال لي:

- كيـف تريدنـي أن أصـدّق بأنّك كنت فـي تلك المنطقـة المهمّة للإيرانيّين، ولم تر «**عليّ هاشمي؟**».

- إنّ «**عليّ هاشمي**» هو قائد الفيلق السادس، وكانت كلّ الكتائب والفـرق فـي المنطقـة تأتمر بأوامـره. لقد كان يشـرف على عمل القـادة من مقـرِّه، ولم يكن يأتي إلى الجبهـة الأماميّة في الأحوال العادية.

كان العراقيُّـون يملكـون معلومـات كثيـرة عـن معنويّـات القـادة الإيرانيّيـن، وكانـوا يعرفون أيضًا أنّ القـادة الإيرانيِّين يحاربون جنبًا إلـى جنب مع الجنـود العاديّين. كنتَ تستطيـع أن تفهم هذا الأمر من كلامهم غير المباشر. عندها قال لي أحد المحقّقين هناك ـ كي يثبت لي أنّ القادة الإيرانيّين يأتون إلى الخطوط الأمامية ـ:

- إنّ القادّة الإيرانيّين يأتون عادة إلى الجبهة الأماميّة؛ ولذلك قُتل الكثير منهم هناك.

كان يقول الحقيقة بالفعل، لم أكن أملك جوابًا، شعرت بالفخر؛ لأنّ

أعداءنا يعرفون هذا الأمر. كان المحقّق شخصًا ذكيًّا ومحنّكًا، فأكمل قائلاً:

- إنّ أَسْـرَ «**علـيّ هاشمي**» مهمٌّ جـدًّا بالنسبة إلينا، إذا كنت تعرف شيئًـا فقل لنـا، وسنساعـدك، سنأمر بنقلـك إلـى المستشفى لعلاج قدمك.

يظهـر من كلامه أنّـه يعرف الكثير من المعلومـات الدقيقة، لذلك قال لي:

- إنّ معلوماتنا تقول: إنّه أثناء إنزال قوّاتنا على مقرّ الفيلق السادس، كان كلٌّ مـن «**علـيّ هاشمـي**»، «**عباس هواشمـي**»، وعـددٌ مـن القـادة الآخريـن، وعامل اللاسلكـيّ، كانوا فـي المقرّ في جزيـرة «**مجنون**»، حاصرتهم قوّاتنا، وقد قصفت مروحيّاتنا المقرّ بالصّواريخ؛ لذلك يبدو أنّ «**علـيّ هاشمـي**» ومن يرافقه قد لجأوا إلى حقول القصب، أو انتقلوا إلـى جادّة «**الخندق**»، أو ذهبوا إلى جادّة «**همّت**»[1]، أو أنّهم قد بقوا في الجزيـرة الشّماليّة. فـ«**عليّ هاشمـي**» ليس الآن في إيران، وجسده ليس بين الجثث، إذن لا بدّ من أنه وقع في الأسر، وها أنتم قد اتّفقتم جميعًا على أن تخفوه عنّا، ولكن ها نحن معًا هنا، وسنجده، حتّى لو اضطررنا إلى مقارنة صورته بكلّ واحد منكم، صغيرًا كان أم كبيرًا.

فهمـت مـن كلامه، أنّ «**الحاجّ علـيّ هاشمي**» الآن هـو إمّا شهيدٌ أو أسيـرٌ. أنا لـم أر كلّ الأسرى السّالمين، مع أنّني لم أره إلّا مرّة واحدة، لكـن قلبي قد انقبض لـدى سماعي عن إمكانيّة شهادتـه أو أسره. لن

---

(1) فـي الجبهة كانت المواقع والطرقـات تسمَّى بأسماء الشهداء أيضاً. يُقصد هنـا جادّة الشهيد القائد «**محمّد ابراهيم همّت**» (نون).

أنــدم يومًا على أنّنــي كشفت عن هويَّتي الحقيقيّــة بسبب «**الحاجّ عليّ هاشمــي**». يحــقّ للعراقيّين أن يُستنفروا على هــذا الشكل للتعرُّف على «**علــيّ هاشمي**»؛ لأنّهم لو أسروا «**علــيّ هاشمي**» بالفعل، لكانوا، وللمرّة الأولــى، قــد أوقعــوا بالقائد العسكــريّ الأعلى رتبة فــي الحرس. على الرّغم من أنّه إلى اليوم لا يوجد معلومات موثَّقة، أو شاهد عيان، يثبت أنّ «**علــيّ هاشمــي**» قــد استشهد أو أُسر إلّا معلومــة واحدة[1]. في ذلك اليوم الــذي نزل العدوّ في جــزر «**مجنــون**»، حاول «**عبّــاس هواشمي**»

(1) فــي تشريــن الثاني مــن العام 1990م، وبعــد شهرين من خروجي مــن المعتقل، سألت أحــد أصدقائي الأهوازيّيــن عــن مصير «**عليّ هاشمــي**». لم يكن لديهم أيّة معلومات عنه. كنــت أريد أن أعرف إن تمّ إطــلاق سراحــه أم لا. وقد أرسلــت رسالة في شهر كانون الأوَّل من ذلك العــام الى قيادة مقرّ كربلاء فــي منطقــة الجنوب، وبعــد تعريفهم بنفســي، نقلت لهم بالتفصيــل ما جرى أثنــاء التحقيق معي في «**الميمونــة**»، في ثكنــة الفيلق الرابع العراقيّ، وفي سجن الرشيد، ومــا نقله لي ك. جلالي، الذي كان سائــق شاحنــة صغيــرة «**بيك أب**»، والذي وقــع بين يدي العراقيّيــن في اليوم نفسه الــذي أسرتُ فيه، وقــد التقينــا في مخيم الأسر، قــال لي يومها إنّــه رأى في البصرة شخصًــا يشبه كثيرًا «**الحــاجّ عليّ هاشمــي**». فسألتــه يومها، هل هو حقًّا علــي هاشمي؟ أجابني: «**كان كثير الشبه بــه**». قلت: «**وما الذي فعله العراقيُون يومها؟**»

أجابنــي أنّ العراقيّين قد فرحــوا كثيرًا لأنّهم قد اعتقلوا «**عليّ هاشمي**». وقــد صدّق جلالي أيضًا بأنّ ذلك الشخص هو «**عليّ هاشمي**». عندما جاء القائد «**علي ناصري**» برفقة عدد من شباب مقرّ كربلاء مــن أجــل الحصول على المعلومــات من ك. جلالي، قال لهم مــرّة ثانية إنّــه رأى شخصًا يشبه «**عليّ هاشمــي**» كثيــرًا في البصرة، وقد أخذه العراقيُّون. أولم يرجــع الى إيران؟ هذا ما قاله أخيرًا جلالي. قــال يومها القائد ناصــري: إنّ «**محسن رضائي**» يتابع موضوع «**الحاجّ علــيّ هاشمي**» عن طريق وزارة الخارجيّــة، ثم أضــاف أنَّ الدكتور «**عليّ ولايتي**» قد طلب من السيّد «**محســن رضائي**» أن يزوِّد وزارة الخارجيّــة بأيّة معلومــات جديدة عن «**الحاجّ عليّ هاشمي**»، وسيتابع هو الأمــر بالوسائل الدبلوماسيّة بشــكل خاصّ وسريع. لم يتمّ العثور على أحد يعطي معلومات دقيقة وصحيحة حول الموضوع سوى ك. جلالي الذي رآه في البصــرة، وكان العراقيُّون ينقلونه الى المعتقل على أنّه «**عليّ هاشمي**»، يومها قلت لـ.ك. جلالي: إنّ العراقيّين قد فهموا بعد ذلك بقليل أنّ من معهم ليس «**الحاجّ هاشمي**»؛ لأنّ الضباط العراقيّيــن استمرُّوا الى أوائل شهر تشريــن الأوّل في ذلك العام يفتّشون في المعتقل عن «**الحاجّ عليّ هاشمي**» خاصّة بين الأسرى الذين كانوا في جزر «**مجنون**». (ملاحظة: هذا الكتاب تم تسليمه لمكتب الأدب والفــن المقاوم في«**حــوزه هنري**»[الدائرة الفنيّة] قبل شهر فقط مــن العثور على رفات «**عليّ هاشمي**» في جزر «**مجنون**»).

أحـد مساعدي «**علـيّ هاشمـي**» الوصول بنفسه إلى جـادّة «**الخندق**»، وكالـذي يبحـث عن حبيـب أضاعه، صار يفتّـش عن «**علـيّ هاشمي**». كان «**الحـاجّ عبّاس**»، المقرَّب جدًّا من «**الحاجّ عليّ هاشمي**»، وصديقه المقـرَّب والحميم، قلقًا ومصدومًـا؛ كان يفتش عن «**عليّ هاشمي**» في كلّ طرقات وقنوات المياه في الجزيرة.

بعـد إنـزال العراقيّيـن على مقـرّ الفيلـق السادس، فَقَـدَ «**عبّاس**» أثـر صديقه «**علـيّ هاشمـي**» في جزيرة «**مجنـون**». «**هواشمـي**» الذي كان يبحـث يومها عن ضالته، توجّـه إلى «**عليّ مـردان روستاد**».. قائد كتيبـة الإمـام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .، و«**حسـن وكيلي**».. ساعـي البريد في وحدة المعلومـات.، قائلاً: قولا للشبـاب الذين يقاومون في جادّة «**الخندق**»، إذا مـا شاهدوا أحـدًا يتوجّه نحو جادّة «**الخندق**» من ناحية اليسار، لا تطلقوا النار عليه، قد يكون «**عليّ هاشمي**».

انتقلت هذه الوصيّة من فرد إلى آخر حتّى وصلت إلى جميع الشباب الذين كانوا يقاتلـون في جادّة «**الخندق**». نحن الذين كنّا نعرف «**عليّ هاشمـي**» انتظرنا يومها طيلة النهـار أن يطلّ علينا من حقول القصب ناحية اليسار، ويتولّى بنفسه قيادة هذه المجموعة الفدائيّة التي كانت تقاتل لوحدها، ودون قيادة. لكن «**عليّ هاشمي**» لم يظهر يومها أبدًا.

هنـاك فرضيّتـان تتعلّقـان باختفـاء «**علي هاشمـي**»: الأولـى: أنّه استشهـد، واختفت جثّتـه في جزيرة «**مجنون**»، والثانيـة: أن يكون قد وقع في الأسر. الفرضيّة الثانية ضعيفة بعض الشيء؛ لأنّ العراقيّين لو كانـوا قد أمسكوا «**بعلي هاشمـي**»، لفعلوا به ما فعلوه بالشهيد «**محمد جواد تندكويان**» وزير النفط في حكومة «**الشهيد رجائي**»، حين اعتقلوه

ثم استشهد تحت التعذيب، دون أن يفصحوا عن أية معلومات تتعلّق به إلى الصليب الأحمر، أو إلى الإعلام، أو إلى المسؤولين الإيرانيِّين.

كانوا يعرفون أنّه المسؤول الأعلى لـ «**جيش (فيلق) الإمام جعفر الصادق** عليه السلام **السادس**»[1]. فالبعثيُّون وكافّة ضباط الدرجة الأولى الذين كانوا في «**الميمونة**»، مقرّ الجيش (الفيلق) الرابع العراقيّ وفي سجن الرشيد في بغداد، والمخابرات العسكريّة، كانوا يبحثون عن «**علي هاشمي**»، ويعرفون أنّه في الرتبة نفسها للمشير ماهر عبد الرشيد، قائد الجيش (الفيلق) السابع العراقيّ، أو هشام صباح الفخريّ، قائد الجيش (الفيلق) الرابع العراقي، أو اللواء خليل طالع الدوريّ، قائد الجيش (الفيلق) الخامس العراقيّ.

قلت للمحقِّق العراقيّ اللجوج:

- أعرف أنكم إذا أسرتم «**عليّ هاشمي**» ستفرحون كثيرًا، لكنّني أعتقد أنّه ليس من الأشخاص الذين يؤسَرون بسهولة. نحن جنود عاديّون، إذا أُسرنا فالأمر عاديّ وليس مهمًّا كأسر أحد القادة. أمّا هو فيعرف أنّه إذا وقع في الأسر فسيدفع هو وقائده «**محسن رضائي**» الثمن غاليًا؛ لذلك لن يسمح بوقوع هذا الأمر، حتّى إذا حصل ورأى أنّه ـ ورغمًا عنه ـ سيقع في الأسر، فسيطلق على نفسه رصاصة الرحمة، ويقتل نفسه.[2]

---

(1) ذكر السيد «**محسن رضائي**» في كتابه «**كمشده من/ ضالّتي**» وفيه ذكرياته حول «**عليّ هاشمي**»، يذكر أنّ رتبة «**عليّ هاشميّ هي ما يُعرف في جيوش العالم بـ**» اللفتانت جنرال أو الفريق الأوّل أو المشير».

(2) لم أفكر يومها بما قلته؛ لأننا كما نعرف، أن إطلاق رصاصة الرحمة على نفسه هو نوع من الانتحار، وهذا الأمر حرام في الشريعة الإسلامية .أعتقد أنه كان من الخطأ في ذلك التحقيق أن أقول ما قلته. ولكن هذا ما خطر في ذهني.

عندما قـام العراقيُّون بهجوم مضادّ، كان «**عليّ هاشمي**» في مركز قيـادة مقرّ «**خاتم الأنبيـاء**ﷺ»، كان هذا المقرّ فـي الشَّمال الشرقيّ لجـزر «**مجنـون**»، فـي آخر جـادّة «**الشهيد همّـت**». يا إلهـي ما الذي حصل «**للحاجّ هاشمي**» وما الذي حلّ به؟ كنت أفكّر بهذا الشاب الذي قضـى سنين شبابه في «**الهـور العظيم**» وجزر «**مجنـون**»، والذي كان فاتـح «**عمليّات خيبـر**»، ولكن هل يعقل، وفي أيّامـه الأخيرة، أن يشهد سقـوط جزر «**مجنون**». وكأنّه لم يكـن يريد أن يبقى حيًّا، ويشهد هذه الأيّـام، ويشعـر بالذنب لمـا يراه. كان العقـل المدبِّـر لعمليّات خيبر. قبـل «**عمليّـات خيبر**»، وعندمـا أمر «**محسـن رضائـيّ**» بتشكيل وحدة الاستطلاع «**للهور**»، وتأسيس مقرّ سريّ للمعلومات والاستطلاع، عاش «**علـيّ هاشمـي**» أيامًـا متتاليةً دون نـوم. لم يكن أحد فـي البلاد غير السيّد «**محسن رضائيّ**» يعرف بأمر تأسيس هذا المقرّ السّرّي، الذي كان تحـت إمرة «**عليّ هاشمي**». بعد أحـد عشر شهرًا من الاستطلاع، والتعـرُّف على منطقة «**الهـور**»، تمّ التخطيط «**لعمليـات خيبر**». يقول «**علـيّ ناصـري**»، أحـد مساعـدي «**علـيّ هاشمـي**»: لقـد مسحنـا كلّ المنطقـة، لدرجـة أنّنا أخذنا قياس عرض وعمق نهـر دجلة، حتّى إذا مـا اضطر شبابنا إلى عبور نهر دجلة، يومًا ما، عرفوا كم مترًا عرضه وعمقه. إنّ «**عليّ هاشمي**»، و«**جزر مجنون**»، هما حكايتان لا تنفصلان إحداهما عن الأخرى.

عندمـا كنت في السجن، وكنت أفكر بـ«**الحـاجّ عليّ هاشمي**»، كنت أقـول فـي نفسي: لا بـدَّ من أنّه كان مـن الصعب أن يرجـع الحاجّ إلى المدينة بعد سقوط جزر «**مجنون**». لأنّه لم يكن يستطيع تحمّل أن يقول

البعض: هذا هو «**عليّ هاشمي**» الذي سلّم جزر مجنون للعراقيين. لا أشك للحظة في أنّ علي هاشمي قد قاتل إلى النَّفَس الأخير، ولم يستسلم، ولم يقع في الأسر.

سألني المحقّق العراقيّ:

- وهل تعرف «**عليّ أصغر كرجي زاده**»؟[1]
- لم أسمع باسمه قط.
- هوشنك جووند؟[2]
- هذا أيضًا لا أعرفه.
- تقيّ إيماني؟[3]
- كلّ هؤلاء الأشخاص الذين ذكرت أسماءهم لا أعرفهم.

لم يقتنع الضابط العراقيّ بما قلته، كان حاسمًا ولجوجًا، وحاول ألّا يلجأ إلى العنف، فقال:

- لا أفهم كيف أنّك لا تعرف أيًّا من هؤلاء الأشخاص؟

بهذه العبارة انتهى التحقيق الأساسيّ. لقد شعر العراقيُّون بالغضب لعدم حصولهم على أيّة معلومات مفيدة حول «**عليّ هاشمي**»، وبقيّة أصحابه. لم أكن أعرف كيف أقنعهم بأنّني لا أملك أيّة معلومات عنهم.

---

(1) «**عليّ أصغر كرجي زاده**»، رئيس السّتاد (الأركان)، في جيش(فيلق) الإمام جعفر الصادق عليه السلام السادس. بعد أسره وعودته صار قائد الحرس الثوريّ في منطقة خوزستان، ثم تسلم مسؤوليّة الحرس في طهران الكبرى. وهو يشغل اليوم قيادة الحرس في مطارات إيران.

(2) هوشنك جووند، قائد محور العمليّات في«**مقرّ نصرت**». يتسلّم حاليًّا إحدى المسؤوليّات في فرقة «**ولي عصر 7**».

(3) «**تقيّ إيمانيّ هو قائد إحدى كتائب «فرقة النصر5**». كان مقرّهم في وسط جزيرة «**مجنون**»، وقيل: إنّه قائد مقر «**بعثت**»، والذي كان يتولى مسؤوليّة المقرّ التكتيكي لفرقة النصر 5. الجواسيسُ العراقيّون أخبروا عن طريق الخطأ أن «**تقيّ إيماني**» هو بين الأسرى.

قبل أن يخرجوني من الغرفة وأنتهي من التحقيق، دخل أحد الضباط العراقيّين من كبار السّنّ، فوقف العقيد العراقيّ وأدّى الجميع التحية له، وقف أحد المحقّقين ذو الرتبة الأدنى، وأعطى مكانه للوافد الجديد، فجلس هذا الأخير بالقرب من العقيد المحقّق، كان رجلاً شديد السمرة، يشبه السعوديّين، بدا وجهه ممتلئًا، حليق الذقن، في الستين من عمره، يظهر على كتفيه عقاب وثلاث نجمات، فهمت أنّه عميد ركن. تبادل المحقّقون الحديث، سمعت عدّة مرات اسم «**علي هاشمي**» في كلامهم. لا بدّ من أنّ العقيد العراقيّ ينقل للعميد الركن ما جرى بيننا من حديث، كان العميد يستمع لكلام المحقّق وينظر إليّ. وكأنّه كان يقيّمني من خلال كلامهم، ويحرّك رأسه مؤيّدًا ما يسمعه. سمعت عدّة مرات عبارة «**استخبارات**»، ففهمت أنّه يقول له أنّني أسير وحدة المخابرات أو المعلومات. لم يسألني عن «**عليّ هاشمي**»، أو عن أيّ شيء يتعلّق به، بل كان أوّل ما سألني عنه:

- قل لي إذن، الحقّ مع من؟

لأنّ رتبته عالية؛ حاولت أن أتكلّم معه بطريقة واعية ومدروسة؛ فالضباط من ذوي الرتب العالية والأكبر سنًّا كانوا أفضلَ قليلاً من غيرهم، حاولت قدر المستطاع ألّا أغضبه بكلامي، فقلت:

- الله هو الأعلم.

أجبني عن سؤالي، لن أؤذيك أبدًا، قل لي الحقّ مع من؟

- تقصد في الحرب الإيرانيّة العراقيّة؟

- أحسنت.

- ما قيمة كلام أسير بالنسبة إليكم، أنتم تعتقدون أنّكم على حقّ،

ونحــن نقول: إنّنا على حقّ، لا أحد يقول إنّه ليس على حقّ، ولكنّني على الرغم من صغر سنّي أدرك الكثير من الأمور.

سكـتُّ وكنـتُ متردّدًا في قول ما يجول في قلبــي؛ لأنّ ما سأقوله لن يرضيهــم، ولا طاقة لي بعدُ علــى تحمّل أذاهم، فوضعــي الجسديّ لم يَعدْ يُطاق، ولشــدّة إحساسي بالضّغط، والضعف، كانت كلماتي بالكاد تُسمــع. لقد كنت متعبًا بالفعل، وأتألّم كلّمــا قابلتهم، وكلما نظرت إلى أحدهم قلت في نفسي: قد يكون هذا قاتل أخي الشهيد «**هدايت الله**».

قال العميد الذي كان يبدو عليه أنّه متعطّش لسماع جوابي:

- لم تجبني إلى الآن؟

- أنــا أعرف أنّكم ستعذّبونـنــي، ولكن من ابتدأ الحرب، لا يمكن أن يكون الحقّ معه.

أظن أنّه لم يكن يتوقّع إجابتي هذه، كان كلامي بسيطًا، ولكنّه دفعه للتفكيــر، مع أنّني كنت قد قرّرت ألّا أتكلــم، لكنّني لم أستطع، وعندما كنــت أفكّر بوضعي في الأســر، أجد أن لا شيء لــديّ لأخسره، لم أكن خائفًا، لقد تعبت من نفسي ومن كلّ عراقيّ أراه، أردت أن أتكلّم بصدق وصراحــة؛ لأنّني كنــت أشعر بارتياح عندما أتكلّــم بصراحة. قلت في نفسي، بما أنّني لا أملك السلاح، فليكن كلامي كالرصاصة التي تستقرّ في قلوب العراقيّين. باعتقادي أنّ كلام الحقّ الذي أعبّر عنه هو نصر بالنسبــة إليّ، وهذا الكلام هو أحد أشكال المعركة، فالمعارك لا تكون فقــط بالأسلحــة. كنت أشعــر بعــد كلّ تحقيق، ومن خــلال نظراتهم، وتعابيرهــم، أنَّ بعض العراقيّين يُعجبــون بصراحتنا وصدقنا. بالطبع كان هنــاك عدد من الضباط والجنود لا يعجبهــم كلامنا، ولا يمكنهم

تحمّلنا، لقد كان العراقيُّون المعجبون بصراحتنا، يُقنِعون البقيّة بعدم اللجوء إلى العنف والقوّة معنا.

نظر العميد الركن متفاجئًا، حدّق بي قائلاً:

- «**أنت حقًّا لا تخاف من الموت؟**»

- الموت لا يُخيف، بالطبع هناك بعض البشر يخافون من الموت، ولكن نحن الذين جئنا بملء إرادتنا إلى الجبهة، ونواجه كلّ لحظة إمكانيّة الشهادة، أو الأسر، أو الإصابة، فلا معنى للخوف من الموت عندنا، إنّني أكره أن أموت على السرير، فالشهادة هي أمنية كلّ تعبويّ.

كان العراقيُّون ينزعجون من كلمتيَ «**الشهيد**» و«**الجنّة**». ويكرهون أن نذكر كلمة «**شهيد**» على مسامعهم. وإذا ما ذكرناها تظهر ردّة فعلهم على كلامنا بشكل سريع، ويشرعون بقذفنا بالسباب والشتائم، فقد تمّ تفهيمهم أنّ القتلى العراقيّين هم فقط شهداء، وسيفوزون بالجنّة وحدهم، وأنّ الإيرانيّين لهم جهنّم. وإذا سمعوا شيئًا غير هذا الكلام كانوا يفقدون صوابهم.

في الجبهة الأماميّة، شاهدنا العراقيّين وهم يأخذون الـ«**بلاكات**» (القلادات المعدنيّة) من شبابنا، كانوا يقولون بسخرية:

-«**هذا هو إذن مفتاح الجنّة الذي أعطاكم إياه الخمينيّ**»؟

عندما تحدّثت عن الجنّة خلال كلامي، ضحكوا. لم أعرف ما الذي كان مضحكًا في كلامي، هل حقًّا صدّقوا أنّهم يذهبون لوحدهم إلى الجنّة، ونحن سَنَرِدُ جهنم؟ حاولت قدر المستطاع أن أتكلّم بدقّة.

سأل العميد العراقيّ: كيف يمكن أن تعشقوا الشهادة؟ كيف نشأت هذه الحالة في أعماقكم، فدفعتكم إلى التقدُّم بكلّ رضًا؛ لتواجهوا

رصاصنا، ثمّ تقتلـون، أو تمشون في أراضٍ مليئة بالألغام، ثمّ تقطّعون إربًا إربًا. هل أطعمكم الخمينيّ شيئًا أيّها الحمقى؛ لتصبحوا هكذا؟

ثـمّ ضحـك وأكمل بسخريـة: إذا كان هناك حبّـةً، أو شرابًا خاصًّا يمكن بواسطته أن نصبح شجعان، ولا نخاف بعدها من الموت، فحبّذا لو تعطونا إيّاه؛ كي لا نخاف بعد الآن من الموت!

بعدمـا سمعت ذلـك منه شعرت بالفخـر والعزّة، كنـت فرحًا جدًّا للنظـرة التي يملكهـا العراقيُّون عن الشبـاب الإيرانيّين فـي الجبهة، الذيـن لا يخافون الموت ويعشقـون الشهادة؛ لذلك حاولـت ألّا أعطي أيّـة أهمية لسخريتهم منا، مع أنهـم كانوا يستفزُّوننا بشكل كبير، لكن وضعي لم يكن يسمح أن أفرغ كلّ ما كان يدور في خَلَدِي، فقلت للعميد العراقيّ:

- إنّ الخمينـيّ لم يُطعمنا شيئًـا، بل تعلّمنا هذا الأمر من عقائدنا، ومن ديننا، لقد علمنا الإسلام هذا الأمر.

وكأنّ العميـد العراقيّ أراد معرفة الدافع الذي حرّكني من الداخل، فسألني:

- أحبّ أن أعرف، إلى أي مدى تحبّ الخمينيّ؟.

عندما سأل هـذا السؤال، شعرت بإحساس مريح، وغبطة؛ إذ إنّني أستطيع، على الرغم من كلّ المصائب التي حلّت بي، أن أفرغ ما يجول فـي خاطري، كـم كنت أشعر بالفـرح عندما كانـت عقائدي تزعجهم وتفقدهـم الصـواب، لربّمـا كان جوابـي نوعًـا من الانتقـام من ذلك الضابط، فقلت مجيبًا:

- إنّ الخمينيّ قائدنا، وإذا ما صادفتم أسيرًا إيرانيًّا.. وقال لكم إنّه

لا يحبّ الخمينيّ؛ بسبب عدم تحمُّله للضرب والتعذيب.. فاعلموا جيّدًا أنّـه يكذب عليكـم، وأنّه يخفي حبّـه للخمينيّ؛ كي تتوقّفـوا عن ضربه فقط، واعلموا أنّه يحبّ الخمينيّ من صميم قلبه.

سأل عندها:

– وأنت أيضًا تحب الخمينيّ من صميم قلبك؟

كنــت أتمنّــى.. ومن صميم قلبــي.. أن أظهر حبِّــيَ الشديد لإمامي؛ بقولــي: إنَّني أحبّ الخمينيّ كثيرًا. كنت أحبّ أن يعرف العراقيُّون أنَّني في هــذا السنّ، وقدمي المهشّمة، وأنا في الأســر، أحبّ إمامي من كلّ قلبي. لقد كان الأمر ممتعًا؛ أن أُظهِرَ أمامهم حبّيَ للإمام.

انتهــى التحقيق معي، وكأنّه لا يملك سؤالًا آخر ليطرحه عليّ، فأمر الجنود بنقلي إلى الخارج.

قال لي المترجم الإيرانيّ عندها:

– يقول العقيد، بما أنّك لا تريد أن تعترف بشيء عن «**عليّ هاشمي**»، فقد اخترت لنفسك العــذاب والهوان. اذهب الآن وقف قليلاً تحت نور الشمس لتنظر إليها، فقد أمرونا ألا نضربك وقدمك على هذه الحال».

حملنــي اثنــان من الجنود علــى الحمّالــة إلى الباحــة؛ حيث مكان التجمّــع الصباحــي. كُتب فــوق الباب الرئيســي للمبنــى المجاور لي، والمؤلــف مــن طبقتين: «**قيــادة انضباطيــة الفيلق الرابــع**»، وقد كُتب أيضًــا على الحائط جملة باللغــة العربية: «**من يقاتــل بشرف يستحقّ المجــد**». كنت أتمنّى أن أقــول للعراقيّين: إنّ مصداق هذه الجملة هم الإيرانيّــون، ولستــم أنتم، فنحن مــن نقاتل بشــرف، ألا يخجلون من كتابة هكذا كلمات وهم المعتدون.

لقد راعى العراقيُّون وضعي؛ حيث طلب المحقّق العراقي أن أبقى في الخارج، وأنظر إلى الشمس أربع ساعات. في الباحة الخارجيّة، كان العلم العراقي معلّقًا على رأس عمود حديديّ. أمّا المكان الذي نحن فيه، فقد كان قسم الشرطة العسكريّة العامّة للفيلق العراقيّ الرابع. رُسِمَتْ صورة كبيرة لصدّام على الحائط الخلفي لساحة الاستعراض الصباحي. اتّكأت على الحائط، وكانت الشمس أمامي، كنت مجبورًا على النظر إلى الشمس، كان يوجد على يميني بناءٌ صغير من طبقتين مبنيًّا من الآجر، منفصلاً عن بقيّة الأبنية، وبعض الجنود الذين يرتدون لباسًا عسكريًّا مختلفًا عن البقية، ينزلون أكياسًا من الأرز، علبًا من السمن، فواكه، خضار، وأغذية أخرى. لا بدّ من أنّه المطبخ، أعتقد أنّه المطبخ الخاصّ بالضباط، كان الجنود ينزلون وسائل الطبخ من السّيارة الرّماديّة (البيك أب). عندما كنت أنظر إليهم، ضربني الحارس، المأمور بمراقبتي، بالكابل على رأسي، قائلاً: «**انظر إلى الشمس**». فقد كان عقابي، بسبب عدم تقديم معلومات عن «**الحاجّ عليّ هاشمي**» أن أنظر إلى الشمس لمدّة أربع ساعات. في الجهة المقابلة، هناك أمام دورات المياه، كان بعض العراقيّين يضربون بالكابلات حوالي عشرة أو اثني عشر أسيرًا إيرانيًّا. عندما دخلتُ مساءً إلى المعتقل، كان الشباب يتحدّثون، كيف أنّ العراقيّين أخذوا اثنين من الشباب إلى داخل دورة المياه، وضعوا رؤوسهم داخل المرحاض؛ وصرخوا بهم: «**هيّا كلوا، كلوا**». كان المسؤول عن تنفيذي لأمر النظر إلى الشمس، رجلاً طويل القامة، ضعيف البنية. سأل جنودُ المطبخ الحارسَ المكلّف بي عن بعد أربعين مترًا، فأجابهم: «**هذا**

أسيـرٌ إيرانـيٌّ». سألوه مـرّة ثانية: «**هل هو جنديّ مكلـف؟**»، فأجابهم حارســي: «**لا، إنّه حرس الخمينـيّ**». بعد أن أنهى الجنود تفريغ وسائل المطبـخ، توجه أحدهـم ناحيتي وبيده بيضة، ولمّـا اقترب منّي رماني بهـا وانكسرتْ على رأسي. كانت يـداي مكبّلتين، والجندي يفرغ حقده عليّ، وهـو يصرخ: «**مجوس، جيش الخمينـيّ...**»، بعدها، جاء آخر، وفي يده عدد من البيض أيضًا؛ كان يريد أن يضربني بها، ولكن بعد أن رآنـي على هذه الحال، تركني وشأني. عندما شاهد قدمي المجروحة، أحسسـت بمشاعـر النّدم على وجهـه، فبدأ يتكلّم بغضـب مع صديقه قائـلًا: «**هذا معـوّق، جريح، شـاب صغير...**»، معظـم كلامه كان غير مفهوم بالنسبة إليّ. وكأنّه أراد أن يوقفه عن هذا العمل المشين، ولكن المروءة لم تنبض في عروق صديقه. حاول الأوّل أن يأخذ البيض من يـد صديقه؛ كي يرميها علـيّ، لكنّه رفض؛ ولأنّه شعـر أنّه لن يستطيع منع صديقـه، تشاجر معه وذهب. أصابتني بيضـة على رأسي، وثلاث بيضات على صدري وبطني، وبيضتان أصابتا الحائط ورائي.

تداعـت إلى ذهني ذكريات الطفولة في قريتي، عندما كان الصبية الصغار يخضعون للختان، كانت العادة أن يرمي الطفلُ الذي يتمّ ختانه رأسَ المُطهِّر ببيضةٍ، فقلت في نفسي: وكأنّني الآن أعوّض ما فعلته في طفولتي عند الختان.

بقيـت عشر دقائـق وأنا ملطَّخ بالبيض، بعدها، اقتـرب منّي أحد العاملين، وكان أسمر اللون، مجعّد الوجه، قصير القامة، أصلع الرأس، بنيّ الشعر على الجانبيـن، ويناهز الخمسين عامًا. ممسكًا بيديه دلوًا من الماء، وإبريقًا. أعتقد أنّ ذلك الجنديّ العامل في المطبخ، صاحب

الضمير، قد أخبره بما حصل معي. عندما اقترب منِّي، شعرت بحنانه وعطفه، كانت تنبعث من ثيابه وجسمه رائحة الطعام والمطبخ، ما إن وصل إليّ، حتّى بدأ يحدّثني، مع أنّني لم أفهم معظم كلامه، إلّا أنّني عرفت أنّه يتحدث عن التصرف السّيّئ لذلك الجنديّ، أعتقد أنّه كان يريد أن يخفِّف عني، أو كأنه يعتذر عمّا حصل. طلب من الحارس المكلّف بمراقبتي، أن يفكّ يديّ. نفّذ الحارس ما طلبه احتراما له. كانت الأرض الحارقة، تلسع قدميّ بلؤم، والحرّ قد أعياني. كان الطبّاخ يريد أن يغسل وجهي ورأسي بالماء. ولكي لا ينساب الماء على لباسي وأتبلل؛ أمسكني من تحت إبطي، وسحبني إلى آخر الباحة. كان الأسفلت الذي يغطي الباحة المجاورة منخفضًا عن باحتنا حوالي الستّين أو السبعين سنتيمترًا، كي يستطيع صبّ الماء على رأسي، اتّكأت على مرفقي الأيمن، وخَفَضتُ رأسي، وكان يصبّ الماء من الدلو في الإبريق، ومنه على رأسي. عندما كنت أحاول مسح وجهي بيدي، ساعدني؛ كي أغسله بشكل أفضل.

كان قميصي متّسخًا جدًّا بسبب زلال البيض وصفاره. أشار عليَّ الجندي عند سكبه للماء، ففهمتُ أن أخلعه، كان القميص أخضر اللون بجيبين، متّسخًا وملطّخًا بالدماء. رمى الماء عليه، فصرت أغسله بيدي التي لا أتّكئ بها على الأرض، لكنّه، ولشدّة اتّساخه بالدم والوحل، لم يكن من الممكن تنظيفه بسهولة، حاولت تنظيفه بقوة بماء دلوٍ آخر، عصر الجنديّ قميصي بنفسه، ثمّ وبحالته المبلّلة، ألبسني إياه، شعرت بالانتعاش، والتحسُّن للحظات.

كان عددٌ من الجنود، وضباط الصفّ، والضباط في معسكر الفيلق

الرابع في العمـارة، أتراكًا وأكـرادًا، من أكراد «**أربيـل**» والمحافظات الشَّماليّـة فـي العـراق. كان الفـرق واضحًا جـدًّا بين سلـوك الأكراد وسلـوك العـرب، فبعضهم لديـه مشاعر إنسانيّـة. وكان بعض الجنود العراقيّين الكُرُد والترك يتكلّمون باللُّغة الفارسيّة، ولكن معظم حراس الثكنة كانوا بعثيّين عربًا.

فـي الليلـة السابقـة، وبشـكل سرّي، قـام أحـد الضبـاط الأكراد العراقيّيـن بسحـب الشظية التـي بقيت تحت جلد أخمصـ قدم «**تاج محمـد علـي بور**»، وقال لـه: في منتصف الليل، عندمـا ينام الجميع، سأحضـر لك معقمٍّ الجروح الـ«**بتادين**». ثـمّ مكث قليلاً أمام النافذة، وقـال لي: «**إنّ حالتك صعبة جدًّا، لا يمكـن مساعدتك هنا، وجرحك لا يمكن علاجه**».

ساعة تفصلني عن وقت انتهاء القصاص، كانت عينـاي تؤلماني من شـدّة النّظر إلى قرص الشمس الملتهب. كلّما كنت أغمض عينيّ، كان صـراخ الحرّاس الأوفيـاء لواجبهم يرتفع، فهم يسعـون لتطبيق أوامر رؤسائهم على أفضل وجه، كانوا يوضحون لي أنَّ عليّ النظر إلى قرص الشمس. كم كان يومًـا سيئًا، إذا ما أغمضت عينيّ، انهالوا بالكابلات على رأسي. كنت أفضل النظر إلى الشمس على ضربي بالكابلات، كنت أتصبَّـب عرقًا. أمرَ رئيس الحرّاسـ الجنود بنقلي إلى داخل الزنزانة. حملنـي جنديّـان عراقيان، على مضض، كما لو أنّهمـا يحملان شيئًا نجسًا. عندما دخلت الزنزانة، لم أعِ كيف غفوتُ.

الاربعاء 29 حزيران 1988م ـ «الميمونة» ـ الفيلق الرابع

صباح هذا اليوم، فتحوا باب الزنزانة متأخرين، لا خبر عن الفطور. لقد أمضى الشباب ليلة البارحة وهم يعانون من العطش الشديد؛ لشدّة ما كان الهواء حارًّا أحسست أننا «**استوينا**»، كان العرق يتصبّب منّا. لم ينم بعض الأسرى السّالمين طيلة الليل، وهم يسهرون على الاهتمام بالأسرى الجرحى، حاولوا أن يهيّئوا مكانًا أوسع للجرحى ليتمدّدوا بشكل أفضل. كان معظم الأسرى في زنزانتنا من شباب «**الفرقة 92 لمدرعات الأهواز**»، الذين أُسروا في «**الطلائيّة.**» عدد آخر من الشباب في زنزانتنا هم من فرقة «**النصر5**»، و لواء «**الإمام الرضا** عليه السلام» خراسان.

جاء عقيد عراقيّ برفقة عدد من الحراس إلى زنزانتنا. قارن كل الأسرى واحدًا تلو الآخر مع الصورة التي كانت بحوزته. لم يكن البعض يعرف من هو الشخص الذي في الصورة. البارحة أثناء التحقيق، قالوا: إنّهم سيقارنون كلّ واحد منّا بصورة «**عليّ هاشمي**»، كان العقيد يقوم بهذا الأمر، وبكل دقّة واهتمام. أخرج العقيد اثنين من الشباب الذين كانوا يشبهون إلى حد ما «**عليّ هاشمي**» إلى الخارج، وسألوا عن «**حسن بهمني**»، و«**محمود نويدي**»[1] أيضًا.

ضرب الجلّادون الشّباب بشكل فظيع في باحة المقرّ الخارجيّة، كانوا يمسكون عصيًّا لم أرَ مثلها من قبل، عندما يتمّ الضرب بها مرّة واحدة ترتدّ مثل «**الراسور**» لوحدها، وتضرب عدّة مرّات المكان نفسه. وتمّ جرُّ الشباب إلى غرفة التحقيق، تمدّد الجرحى كلٌّ في

---

(1) نويدي: تلفظ: Novede.

زاوية، كان الحرّاس والضباط العراقيُّون يبحثون عن «**عليّ هاشمي**»، فهم مقتنعون بأنَّه بيننا: «**إنّه بينكم لكنّكم لا تريدون أن تعترفوا بهذا الأمر**». كلّ من ينتهي من التحقيق يعيدونه إلى الزنزانة.

أخرج الحراسُ الشبابَ قبل الظهر إلى الباحة، كان الصحَفيّون هناك لالتقاط صور لنا. كان وضع أحد الجرحى وخيمًا. كان تقريبًا بعمري، رأيته البارحة للمرَّة الأولى، تمّ أسره في «**موقع الخندق**»، لم أكن قد رأيته من قبل في الموقع، وكان حظه جيّدًا أنهم أحضروه منذ اليوم الأوّل إلى معسكر الفيلق الرابع. عندما أحضروني إلى الموقع بعد ظهر ذلك اليوم، تم نقله هو إلى معسكر الفيلق الرابع، يدعى «**يد الله زارعي**»، وهو من شباب «**بهمه**»، كان مساعد رامي الـ«**آر. بي. جي**» «**مهدي كريمي**» في كتيبة رسول الله ﷺ، إنّه شاب محبوب وطيّبٌ جدًّا، أصابته إحدى الشظايا في رأسه، وانكسرت أحدى عظام جمجمته؛ لذلك فقد أصيب جنبه الأيسر بالشلل، عندما يبدأ بالإرتجاف كنت أتألّم من أجله كثيرًا، لم يستطع في معظم الأوقات أن يوقف ارتجاج يده.

قبل أن يُخرجونا من الزنزانة انهالوا علينا بالضرب المبرِّح، وكانوا يقولون لنا: لن نترككم في حالكم ما دام «**عليّ هاشمي**» لم يسلّم نفسه. أمّا المشكلة الأخرى معنا، فكانت أنّ قادة المجموعات والفصائل لم يعلنوا عن أنفسهم بعد.

عندما بدأوا بضربنا وشتمنا، كان أكثر ما قَلِقتُ لأجله حالُ رأس «**يد الله زارعي**»، فضربةٌ من هذه الكابلات على رأسه يمكنها إخراج دماغه والقضاء عليه. كان الشباب يعرفون وضع «**يد الله زارعي**»؛

لذلك وقف أحد شباب مشهد، وكان يدعى صادق، أمام «**يد الله**»، وصار يحميه من ضرباتهم، غضب العراقيُّون من صادق طالبين منه الجلوس، لكنّه لم يكن مستعدًّا للجلوس مهما كلّف الأمر، صرخ أحد الجنود هناك قائلاً: «**وين العربستانيّ**»، ويقصد أين الأسير العربيّ الخوزستانيّ. وقف أحد الأسرى الذين يتكلّمون العربيّة للترجمة للجنديّ العراقيّ.

قال الجندي العراقي: اسأله لماذا لا يجلس؟

- إنَّني أهتمّ بهذا الجريح.

- هؤلاء كلَّهم جرحى ألا يحتاجون للانتباه والعناية؟

- هل رأيت رأسه هنا؟ هذا الجريح يختلف وضعه عن بقيّة الجرحى. وقفت أمامه كي لا يصيب الكابل رأسه.

لقد كان صادق يتلقَّى الضربات بيديه وجسده في سبيل حماية «**يد الله**». عندما شاهد العراقي رأس «**يد الله**»، طلب من بقيّة الجنود استثناءه من الضرب.

صادق يستحقّ الاحترام والتقدير لشدّة مروءته وحنكته. على الرغم من الضرب الذي كان ينهال علينا من العراقيّين لم يتوقَّف صادق عن الكلام معهم قائلاً: «**إذا كنتم تريدون قتل كلّ هؤلاء الجرحى هنا، لماذا لم تتخلَّصوا منهم على الجبهة؟**»

في الباحة الخارجية للثّكنة، طلب أحد المحقّقين الذين رأيتهم البارحة أثناء التحقيق، من قادة السرايا، الكتائب والمجموعات الخروج إلى الباحة.

لقد أحضر العراقيُّون البارحة السيّد «**علي صالح رايكان**» إلى هنا.

عندمـا رأيته بيننا لم أصدّق عينـيّ، فحين أخذوه من موقع «**الخندق**» إلـى موقع «**بيت اللّهي**»، لـم أتوقَّع رؤيته مـرّة ثانية، كنـت أظنّ أنّهم سيقضـون عليه في موقع «**بيت اللّهـي**»، وكأنّهم لم ينتهوا من التحقيق معـه في «**الميمونة**». سألت «**أحمد سعيـدي**» الجالس بقربي: «**أحمد! هـل تعتقـد أن العراقيّيـن يعرفـون أنّ السيّـد «علـيّ صالـح» هو قائد شباب الخندق؟**

- لا أعتقد ذلك، لو كانوا يعرفون لما أحضروه إلى هنا.

أخـذ الحراس السيّد «**علي صالح**» إلى «**غرفة الحرب**»، بعد انتهاء التحقيق، جاء وجلس بالقرب من الجرحى، عندما رأيته فرحت من كلّ قلبي، لقد طال التحقيق معه، واستمر أكثر من ساعتين. وضع المحقّق ورقـة الـ«**كالك**»(المخطَّط) على كلّ الخريطة وطلب من السيّد «**عليّ**» أن يريهـم المواقع المتنوّعـة. إذا تبيّن أن الأسير يعرف المناطق على الخريطة، يفصلونه عن بقيـة الأسرى ويأخذونه إلى مقر المخابرات؛ لأنّهـم ساعتئـذٍ يتأكّدون أنّه أحد القادة في الجبهـة، أمّا السيّد «**عليّ**» فقد تذاكى عليهم، قائلاً: «**أنا لا أعرف شيئًا عن كلّ هذه الأوراق على الحائـط، أنـا تعبـويّ بسيـط، إذا أردتـم أن تسألوني عن شـيء أفهمه فاسألونـي عـن قيـادة القـوارب، ونقـل جثاميـن الشّهـداء، وإمكانات الدّعم من الطعام والماء الذي كنّا نجهّزه للشباب في كتيبة الرسول الأعظمﷺ، أنتم تعرفون أنّ التعبويّين العاديّين لا يتدخلون في أيّ شـيء لا يعنيهـم**». كمـا سألوه عن «**علـيّ هاشمي**» وبقيـة القادة معه، لكنّـه أجابهم: «**أنا لا أعرف أيًا منهم، ولـم أسمع بأسمائهم من قبل، فالتعبيُّون لا يتدخلون في هذه الأمور**».

كان الأمـر أشبـه بالمعجـزة؛ أن يصدّق المحقّقون مـا قاله السيّد «**عليّ صالح**». لقد سجّلوا اسمه في ملفاتهم ضمن التعبويّين العاديّين، ولكنّهـم ضربوه بشدَّة بسبب مقاومـة شباب الخندق، فكانت الكدمات تملأ وجهه، وكانت عينه متورّمة.

أنهـوا التحقيـق مـع «**عليّ محمّـد كردلـو**»؛ وهـو قائـد إحـدى المجموعات في كتيبة الشهداء الخاصّة، الكتيبة التي كنتُ دليلاً فيها، عندما أحضـروه كان وجهه مليئًا بالكدمات، لقد قاوم شبابه في موقع «**بيت اللّهي**» حتّـى الرصاصة الأخيرة، مع أنّهم لـم يتجاوزوا العشرة أو الخمســة عشر فردًا. لقـد أعَدَم العراقيُّون أحـد عناصر مجموعته ويدعـى «**حسيـن برويـزي**»؛ حيـث كان مجروحًا ومرميًّـا على الأرض الـى جانب الجادّة. قال «**علي محمـد**» خلال التحقيق معه أنّه لم يكن من عديـد لواء «**الفتح 48**»، ثمّ أضاف: «**منذ عـدّة أيّام فقط سلموني مسؤوليّـة هـذا اللـواء؛ ولذلـك لـم يتسنّ لـي التعرُّف علـى الشباب فيه**»، غضب الضباط العراقيُّون كثيرًا لعدم وصولهم إلى أيّة معلومات عـن «**عليّ هاشمي**»، «**علـيّ أصغر كرجي**»، «**هوشنـك جوونـد**»، و«**تقيّ إيماني**». وكانوا يفتّشون أيضًا عن «**حسن بهمني**»، و«**محمود نويدي**»، من شباب «**مقرّ الفيلق السادس**».

كان العراقيُّون يعتقدون أنّ الشباب ذوي القامة الطويلة، والضخمة، وأصحـاب اللحـى الطويلة، هم قـادة. عندما اختـار العراقيُّون السيّد «**نادر بيران**»، و«**محمد صادقي فرد**»، وأخرجوهما من الزنزانة فهمت هـذا الأمر. كان أحد الضباط العراقيّين يتنقّـل بين الشباب الأسرى، وعندمـا يرى أحدهم ملتحيًا، يوقفه، وبواسطـة «**الكمّاشة**»، كان يشدّ

لهـم لحاهم، ويقتلعها مـن مكانها. فهمت عندها كم يكـره العراقيُّون أصحاب اللحى.

لقـد ركّز الجنـود العراقيُّـون شتائمهـم وضربهم علـى اثنين من شبابنـا؛ لأنّ الجواسيس قـد أخبروهـم أنّ هذيـن الاثنيـن لديهمـا معلومـات عن «**علـيّ هاشمـي**»، وأنّهما قد وقعا فـي الأسر بالقرب من المقـرّ الذي كان موجودًا فيه؛ انكسـر أنف أحدهما وسالت الدماء من فمـه؛ وبسبب الركل بالأحذية العسكريّة، تمزَّقت شفتاه. عادةً، لم يكن الجنـود العاديّون من شبابنـا يرتدون اللباس الكـوريّ؛ لذلك بدا كأنّه أحـد قادة الحرس. أمّا الأسيـر الآخر، المرافق له، فكان يرتدي لباس التّعبئة، وكان عريض المنكبين قويّ البنية، مما جعله يتحمّل الضرب، والسياط؛ إذ إنّه لم يُسمع صوته تحت التعذيب الشديد.

كنـتُ جالسًـا برفقة بقيّـة الجرحى، خـارج الزنزانـة، وألم قدمي ينغّص عليّ راحتي، كان أحد الضبّاط العراقيّين يسجّل المعلومات حول الجرحى: الإصابـة، نوعها ومكانها، كانت تظهر الكدمات والجراحات علـى وجه كلّ من يخرج من غرفة التحقيق بشكل واضح. أحرقوا لحية أحد شباب فرقة «**الإمام الرضا** عليه السلام» بالولّاعة (القدّاحة)، كان يعتني بي، ويسهر على جراحي طيلة الليلة السابقة. أمّا «**أحمد سعيدي**» الذي كان يجلـس بالقرب مني، فقد التهبـت معدته، وأمعاؤه، بعد مرور عدّة أيَّـام على إصابته، لقـد ضمّد بعض الأسرى معدتـه بقمصانهم، لكن ورمها، والتهاباتها، كانت تزداد يومًا بعد يوم.

أحضـروا لنـا طعام الغداء، ولكـن أيدينا كانت متّسخـة جدًّا، كان الشبـاب مجبرين على تناول الطعام بهذه الأيـدي المتّسخة، كان أحد

الجنود العراقيّين يمرّ من أمامنا حاملاً وعاءً من الأرز، وكان كل واحد منّا يأخذ حفنة من الأرز بمقدار سعة كفّه. كان بعض الشباب يلحسون أكفَّهم ولا يفرّطون بأيّة حبة أرز. قال «**أحمد**» ممازحاً: «**كي لا أكون مسرفًا**».

توجّه نحونا عددٌ من الضبّاط الذين كانوا يتمشَّون في باحة الثكنة، أحدهم كان برتبة مقدّم، وتبدو الهيبة عليه، نحيل وطويل القامة. سأل أحمد سعيدي:

- «**هل أصابتك شظيّة أم رصاصة؟**»
- الاثنتان معًا.
- لو لم تأتِ لتقاتلنا لما أُصبتَ بأيٍّ منهما.

لم يُجبه أحمدُ بأيّة كلمة. عندما وقف المقدَّم أمامي، ونظر إلى قدمي، ثم نظر إليّ من رأسي إلى أخمص قدميّ، بدأ يتبادل الحديث مع مرافقيه وكأنهم كانوا يتكلّمون عن عمري الصغير. قال موجّهًا كلامه إلى الأسرى، مستعينًا بـ«**ناجي**» الأسير الذي يتكلّم بالعربيّة كمترجم له:

- أنتم أتيتم لتنتقموا من خسارة آبائكم؟
- ومن هم آباؤنا يا ترى؟
- يزدجرد الثالث.

كان يقصد إذاً القادسيّة، وخسارة «**يزدجرد الثالث**» أمام جيش سعد بن أبي وقاص. لم أكن أملك أيّة معلومات عن يزدجرد الثالث. لذلك قلت له:

- أنا لا أعرف شيئًا عن «**يزدجرد الثالث**»، وعندما بدأت الحرب

كنت صغيرًا جدًّا، لكنّني أعرف أنّ الإيرانيّين لم يأتوا ليثأروا لآبائهم، بل جاؤوا ليحرِّروا خرّمشهر، ثمّ أكملت قائلاً: هذه الجملة المكتوبة هناك على الحائط، «**من يقاتل بشرف يستحقّ المجد**»، تعنينا نحن، فمن يدافع عن شرفه، نحن أم أنتم؟

انزعج المقدَّم من سؤالي، لكنّه أكمل حديثه عن افتخار العراقيّين بحرب القادسيّة:

- ما زلتم أيها الإيرانيّون تحقدون علينا بسبب القادسيّة، وخسارتكم يومها.

أجابه الأخ «**أحمد سعيدي**» موضّحًا: «**إن كان هناك حقد في قلوبنا، فهو الحقد الذي سبَّبتموه بأعمالكم منذ بداية هذه الحرب**».

قال عقيد آخر: كان الخمينيّ يريد أن يصدّر الثورة إلى بلادنا، ونحن لا نريدها، لا نريد أن تدخل ثورتكم إلى العراق.

لقد فهمت ما يجول في قلوب وعقول العراقيّين. قبل وقوعي في الأسر، لم أكن أعرف بماذا يفكِّرون، ومن أيّ الأمور يتحسّسون: تصدير الثورة، القادسيّة، يزدجرد الثالث، انتصار سعد بن أبي وقاص....

كنت قد اعتدت على كلامهم اللاذع، فهم أعداء، ولا يجب أن نتوَقَّع منهم غير هذا. في معظم الأحيان لم يكن بإمكاني البوح بما يجول في قلبي، فقد اضطررت، وبسبب وضعي الجسديّ، أن أرجِّح بعض المصالح التي لم أكن أريدها من صميم قلبي.

توقّف العقيد العراقيّ عن الكلام بشأن القادسيّة ثمّ قال:

- إنّكم تريدون العبور إلى القدس عن طريق كربلاء، لماذا لا تسلكون طريق تركيا للوصول إلى القدس؟

ولكي أستفزّه أكثر، قلت له:

– لا بدّ من أن نختار أحد الطريقتين، إمّا كربلاء أو تركيا.

ثم أكمل «**أحمد سعيدي**» قائلاً:

كي نحرِّر القدس، علينا المرور في كربلاء

بالقرب من صاحب الرأس المقطوع

كان هذا شعرًا يردِّده الرادود «**صادق آهنكران**» للمجاهدين أثناء الحرب.

فأجابه عقيد آخر:

– نحن أيضًا علينا المرور في طهران، نفتحها للوصول إلى شمال إيران، ومن ثم نحرِّر مشهد.

انتهى الحوار مع مجيء قائدهم.

كان الوقت ما بعد الظهر، ونحن بانتظار نقلنا إلى بغداد. لم نكن نعلم إن كانت بغداد أفضل أم أسوأ. قالوا لنا: إنّنا سننطلق بعد ساعتين إلى بغداد، كان بعض الضباط فضوليّين، يأتون للكلام معنا عندما كانوا يتمشَّون في الباحة الخارجيّة. اقترب أحدهم منِّي وكان برتبة نقيب، نظر إلى قدمي المجروحة ثم قال: «**الخمينيّ جَبِلْكُم هالمصيبة**»، ثمّ اقترب أكثر، وضع حذاءه العسكريّ على كاحلي، وسألني بحقد:

– «**ما رأيك لو طحنته بقدمي؟**»

لم أشأ الجدال معه، خاصّة أنّه كان يضغط على قدمي بشدّة، تحمّلت الألم الشديد، ومنعت نفسي عن الأنين أمامه، وهكذا تيقّنت أن بعض أعصاب قدمي ما زالت حيّة. وهذا النقيب عامل السيّد

«**محمد شفاعت منش**» بالطريقة نفسها. في الليلة السابقة، كان أحد العراقيّين الأكراد، من شمالي العراق، قد ثبّت قدمي على لوح من خشب. ردّد النقيب مقولة العقيد ذاتها: «**أنتم الإيرانيّون تريدون تصدير الثورة إلى بلادنا**»!؟.

لا أعرف لماذا كان معظم العراقيّين يظهرون حساسّية شديدة لقضية تصدير الثورة، وكأنّهم قد روّجوا كثيرًا لهذه الفكرة بين جنودهم. لشدّة ما شعرت بالألم حين كان يضغط بحذائه على قدمي؛ قلت له: «**ولماذا نريد تصدير الثورة إلى بلادكم، ألا يكفيكم حزب البعث، إنّه يليق بكم**». بعد أن ترجموا له ما قلته، أزاح حذاءه عنّي، وذهب إلى «**هجير آبسواران**»، و«**أحمد سعيدي**».

كنّا نقترب من وقت الغروب، عندما استقلّ الشباب الحافلات، لم أستطع الجلوس على مقعد الحافلة بسبب وضعي الجسديّ، وقف أحد الجنود العراقيّين على باب الحافلة، وكان ينادي ساخرًا: «**هيا بغداد، ركّاب بغداد، هيا اصعدوا**». وضعوني والسيّد «**نادر بيران**»، و«**تراب عليّ توكُّل**»، في الممرّ وسط الحافلة، بعد أن نقلونا إلى الأعلى دون حمّالة. كان السيّد «**نادر**» ينتبه إلى قدمي؛ كي لا يصيبها مكروه، عندما تمدَّدت في أرض الحافلة، لفتَ انتباهي نظرة الشباب الحزينة والمكسورة، كان بعض الأسرى، منهم «**صفر بخشي**» كلّما نظروا إليّ وأنا ممدَّد على الأرض، أجهشوا بالبكاء، عرفت من نظراتهم الحنونة كم كانوا قلقين على وضعي. كان السيّد «**محمّد شفاعت منش**» أيضًا ممدّدًا أمامي في ممرّ الحافلة. لقد قسّم العراقيُّون ممرّات الحافلات بين الأسرى المجروحين الذين لا يستطيعون الجلوس على المقاعد.

قبل أن نترك ثكنة «**الميمونة**»، قيَّد الحرس أيدي الشباب مرّة

ثانيــة، أسدلوا ستائر نوافذ الحافلة، ثــمّ انطلقنا مغادرين إلى بغداد. دخل أربعة جنود مسلّحين إلــى الحافلة، صعدتْ «**بطنُ**» (كرش) أحد العراقيّيــن لشدّة سمنتــه قَبلَه إلى الحافلة. كان فكــري مشلولاً، وكنت مصدومًــا لكلّ ما حدث في الأيّــام القليلة الأخيرة. كان قلبي منقبضًا؛ لشدّة الحــزن، كنت أريد البكاء من كلّ قلبــي. عندما توجّهت الحافلة باتّجــاه بغداد، قلت في نفســي: ربما أنا في كابوســ، وكلّ ما عشته هو حلم سأستيقــظ منه. كنت كمن يشاهد حلمًا، ولا ينفك يردّد: «**عندما أستيقظ سيكون كلّ شيء على ما يرام**».

لكــن كلّ هــذه الأحــداث كانــت واقعًا أعيشــه، ويجب علــيّ تحمُّله. كلّمــا كنّا نبتعد عن محافظــة ميسان العراقيّة، كنّا نقترب من كربلاء. بالقــرب من بغداد، قال أحد الحرســ الموجودين معنا: «**كربلاء، إنّها على بعد سبعين كيلومترا**».

عندما ذَكرَ اسم كربلاء، تفجَّر حزن الأسرى العميق القديم، وكأنّ دجلــة قد انفجر فــي العيون. أجهش الأسرى بالبــكاء، وأنا أيضًا بكيت بصوتٍ عالٍ، لعلّي أفرج عــن همّي وغمّي؛ لشدّة ما أحسست بالعطش، بالأذى، والقسوة، والكلام الــلاّذع، والإهانات. كان قلبي يكاد ينفجر، لقد تحمَّلت في الأيّام الماضية ما لم أكن أتوقّع يومًا أن أتحمّله في يوم من الأيّام. كنتُ أفتّش عن حجّة؛ كي أبكي من كلّ قلبي، شعرت أنّني إذا مــا بكيت سأرتاح، وسينزاح عن صدري حملٌ ثقيلٌ. وهكذا، بينما كنت ممــدّدًا، وضعت يدي علــى وجهي كثيرًا بحجّــة الإمام الحسين عليه السلام، وبكيت بصوتٍ عالٍ. ولأجل ما مرّ علينا أنا وأصدقائي، بكيت بسبب كلّ هذا الإذلال، والإهانات، بكيت للظلم الذي تعرّض له شهداء «**الخندق**»، لجثــث الشهداء الذين بقوا على تلك الجادّة، لإهانة الشهداء، لخسارة

جزر «**مجنون**»، لعدم معرفتنا بمصير «**عليّ هاشمي**»، للشهداء الذين أطلقـوا عليهم رصاصـة الرحمة، للشهيد الذي نُصـب فوق بطنه علم العـراق، للشبـاب الذيـن قاتلوا دون دعـم أو إمداد، لشهـادة «**محمّد حسين حق جو**» الذي كان لديه خمس فتيات ـ دون صبية ـ ينتظرنه، لشهادة «**جعفر ألوند نجاد**[1]» الذي كان وحيد عائلته القرويّة، وها هي جثّتـه بيد العراقيّين، لحرق جثّة «**محمّد كريمـي**»، و«**إبراهيم نويدي بـور**»، لعمامـة ذلك الشهيـد التي حملهـا العراقيُّون كـي يرقصوا بها فرحين، لجثث الشهداء التي داستها النّاقلات العسكريّة....

كانـت كلّ هـذه الأمور، وغيرها التي لم أذكرهـا، ترمي بثقلها على قلبي.

في الحادية عشرة من عمري، كنت في مسجد الإمام السجاد عليه السلام فـي «**باشـت**»؛ ذلك المسجـد الـذي كان المرحوم عمـي السيّد «**غلام حسين بلادي**» إمام جماعته.

يومها كنـت رادودًا حسينيًا هناك طيلة الأيّام العشرة من المحرم. لقـد بكيت الليلة وبحجَّة الإمام الحسين عليه السلام من كلّ قلبي، لقد بكيت لكلّ ما مرّ عليّ وعلى الشّباب، أحسستُ أنَّ حملاً ثقيلاً قد انزاح عنّي، كنـت على يقين أنّ قلب الإمام الحسين عليه السلام قـد تفطَّر؛ لأجل أبنائه الشهـداء فـي جزيـرة «**مجنـون**». لو كنتُ فـي ظروف عاديّـة وبكيت، لأحسست بالخجل من بكائي؛ لأنّ العراقيّين والشباب الأسرى سيقولون حينها: «**انظروا إلى هذا التّعبويّ، لا يمكنه التحمّل**».

---

(1) الوند نجاد: تلفظ: Alvand Nejad.

الفصل الرابع:

بغداد[1] ـ سجن الرشيد

الخميس30 حزيران 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

وصلنا إلى بغداد مع ساعات الصباح الأولى، عندما دخلت الحافلات إلى سجن الرّشيد، فكّ أحد الجنود المكلّفين بحراستنا القيود من أيدي الشباب، فنزلنا الواحد تلو الآخر، أمّا الجنود فكانوا يقفون على باب الحافلة حاملين في أيديهم الهراوات والكابلات.

شكّل الجنود العراقيّون ممرًّا بشريًّا من صفّين، عرضه نحو مترين، وطوله نحو عشرين مترًا. كان العراقيّون، وفي كلّ المخيّمات، يستقبلون الإيرانيّين بهذا الشكل، وكأنّهم يريدون ـ كما يقول المثل ـ، أن يقطعوا رأس القطّة من اليوم الأوّل. فكان على الأسرى المرور من هذا الممرّ؛ كي يصلوا إلى باحة السّجن الأساسيّة، والجنود على الطّرفين يضربون الشباب حين يمرّون، وإذا ما صودف ووقع أحد شبابنا في الممرّ، فالويل له من ضرباتهم. لا أعتقد أنّ هناك أسيرًا لم يذق طعمَ «**نفق الموت**» هذا. حَمَلَني «**السيّد نادر بيران**» و«**محمد كاظم كريميان**»، وأخرجاني من الحافلة دون حمّالات، عندما كنّا نقطع الممرّ بين الجنود العراقيّين، كان «**نادر**» و«**محمد كاظم**» يتلقّيان

---

(1) قيادة الحرس المركزي – بغداد.

ضربات الهراوات والكابلات على رأسيهما ووجهيهما، وهما يحملانني من كتفاي ويسرعان في المشي.

دخلنا إلى باحة السّجن، يقع سجن الرّشيد في معتقل (معسكر) بغداد المركزيّ[1]. يبدو أنّ العراقيّين، وبخاصّةٍ صدّام، يحبّون هارون الرشيد كثيرًا، ليطلقوا اسمه على معظم الأماكن في العراق: سجن الرشيد، فندق الرشيد، مستشفى الرشيد، مطار الرشيد، متجر الرشيد، ساحة الرشيد، ثكنة الرشيد، ستاديوم (ملعب) الرشيد....

كان الجنود الذين يتولّون حراسة سجن الرشيد يعتمرون قبّعاتٍ حمراء اللون، أمّا الجنود العاديّون فيضعون القبّعات السّوداء، ويضع الممرّضون، أو العاملون في المستوصف، القبّعات الزّرقاء. كانت القبّعات العراقيّة تشبه قبّعاتنا العسكريّة (Beret). وتظهر شارة العقاب على طرفها،وكانت الأحزمة العسكريّة التي يضعها حرّاس السجن بيضاء اللون، وضفيرة بذاتهم العسكريّة رفيعة بيضاء اللون أيضًا، تلتفّ على أكتافهم، ثمّ من تحت إبطهم، ويعلّقونها بأحد الأزرار اليسرى لقمصانهم.

تبلغ مساحة السجن حوالي 300 م2، وللوصول إلى داخل السجن كان لا بدّ من عبور عدّة نقاط حراسة، على جدران السجن وُضعت أسلاكٌ شائكة لولبيّة الشكل، توجد أمام كلّ قاعة حجز شجرة سرو تدلّ على قِدم هذا المكان، في السّجن اثنتا عشرة زنزانة، وكل زنزانة لا تتعدّى

(1) كان الأسرى الإيرانيّون يقضون شهرًا في سجن الرشيد قبل نقلهم إلى المخيّمات. كان هذا السجن عبارة عن تصفية حساب العراقيّين مع الأسرى الإيرانيّين. فهنا تتمّ المراحل الأخيرة من التحقيق؛ لجمع المعلومات حول القادة، الحرس، التعبويّين، وبعد ذلك يتمّ توزيعهم على المخيّمات التي سيقضون فيها مدّة اعتقالهم. يقع هذا السجن في جنوب شرقي مدينة بغداد.

الـ22 متـرًا مربعًا، ويضعون فيهـا نحو50 أسيرًا إيرانيًّـا. بسبب التَّعب الشَّديد،غفا العديد من الشّباب. جلس بعضُهم في زوايا الزّنزانة دون حول ولا قوة، أمّا الذين لم يسعهم المكان، فقد أخذهم النُّعاس واقفين متّكئين على الجدران. كانت الممرّات ممتلئة بالأسرى، وقد نام العديد منهم في ممرّات المراحيض.

فـي اليوم الماضي ضرب بعثيـو ثكنة «**الميمونـة**» البارحة الشَّبابَ ضربًـا مبرّحًا، كان الضرب سلفًا عن الأيّام القادمة التي سنبتعد فيها عنهـم. كنّا نشعر بالعطش الشديد، ولا خبر عن المـاء. كان تصوّري عـن بغـداد مختلفًا عمـا أراه الآن، فالألم الشديد والشعـورُ بالاختناق ينغِّصـان راحتـي. كان «**فرج الله حيـدري**» يهتمّ بـي، ويحميني؛ كي لا يدوس الأسرى عند ذهابهم وإيابهم على قدمي المجروحة. كان بعض الأسـرى يصـرّون على الوقـوف متّكئين علـى الجدران؛ كـي يفسحوا المجـال للأسرى المجروحين بالتمـدّد على الأرض، كانت ليلة صعبة، مرّت ببطء شديد. فالحـرُّ الشديد قد أعياني، فلا مروحة في السقف لتبرّد الهواء ولو قليلاً. وقف «**تراب عليّ توكل بور**» ليحرّك الهواء فوق رؤوسنا بقطعة «**كرتون**»، وكان العَرَق يبلِّل ملابسنا.

رأيـت عددًا مـن الأسـرى الذين تـمّ أسرهـم في شلمجـة الشهر الماضي، بدا أنّهم قد قضـوا أيّامًا صعبة في سجن الرشيد، فبعضهم كان نائمًـا علـى الأرض الأسمنتيّة لأحـد الممـرّات الخارجيّة، كانت وجـوه الكثير منهـم مليئة بالكدمات والدماء، وظهـر بوضوح أنّ جراح الشبـاب، الذين تمّ نقلهم إلى هنا، كانت حرجـة، أمّا الجرحى الذين كانـوا أفضل حالاً منّـي، فقد تعاطفوا معي كثيـرًا، وكلّما مرّوا بالقرب

منّي تبادلوا معي أطراف الحديث عن مدينتي، وكيفيّة أسري، وآخر أخبار الحرب... إلخ.

عند انبلاج صباح اليوم، صلّينا دون تيمّم ودون سجدات. حوالي الساعة الثامنة صباحًا، فُتح باب الزنزانة، ودخل الجنود العراقيّون، وهم يحملون العصِيَّ والكابلات، وانهالوا ضربًا على الأسرى. استطاع بعض الشباب الفرار إلى الخارج، فنجوا بذلك من الضرب والشّتائم. كُنتُ برفقة بقيّة الجرحى داخل الزنزانة، عندما دخل الرائد العراقيّ مع عدد من الجنود، شاهد وضعنا، فطلب من الأسرى غير المجروحين إخراجنا من الزنزانة. أحضروا لنا الفطور، كان مقدارًا قليلاً من حساء العدس، وضعوه في وعاء مستطيل الشكل يُدعى «**قسوة**»، كان تناول الفطور سريعًا، كانوا يحملون «**قسوة**» حساء العدس أمامنا، وعلى كلٍّ منّا أن يأخذ أربع حفنات (جُرعات) من العدس.

لم أهدأ من شدّة الألم، كما أنّ الحرّ سلبني راحتي، كنت أشعر بالعطش منذ الليلة السابقة. ولشدّة الحرّ؛ رفض الكثير من الشباب حساء العدس؛ كي لا يزدادوا عطشًا.

أمر الرّائد الشباب بخلع أحذيتهم، مما زاد من آلامهم، فالجلوس في هذا الحرّ الذي لا يُطاق، وبقدمين عاريتين، أمر لا يُحتمل. لم يكن يُسمح لنا، بأيّ شكل من الأشكال، أن نشرب من ماء الصنبور (الحنفيّة) عند الباب. أراد أحد الإخوة الشرب، فإذا به يشربُ نار حقدهم ضربًا وشتمًا. كان معظم الشباب بقمصانهم (الداخليّة البيضاء)، فقد تمزّقت ثياب الكثيرين منهم لشدّة الضرب والتعذيب. كما أن العراقيين استولوا في الجبهة على الألبسة والأحذية الجيّدة، التي كان

الشباب يرتدونها. لم أعد أقدر على تحمّل العطش، ولم يُطاوعني قلبي على طلب شيء من العراقيِّين. تقدّم «**عليّ أصغر باقر زاده**»، ـ وهو من الرجال الهادئين والوقورين ـ، من الحارس العراقيّ، وقال له: «**نحن الأسرى السّالمون لا نريد أيّ ماء، ولكن أحضروا الماء للجرحى، ولا تعذّبوهم بالعطش، فانهال عليه بالضّرب بالكابل. توجّه بعده «عليّرضا كرمي»** نحو الحارس وقال له: «**لا يهمّنا ضرب كابلاتكم وضربكم، ولكن ارحموا هؤلاء الجرحى**».

انهال الحارس بالضرب أيضًا على «**عليّ رضا**» حتّى ارتمى أرضًا بلا حراك.

قرابة الظهيرة، جاء عقيدان عراقيّان، وكانت تؤدّى لهم التحيَّات العسكريّة، ودخلوا إلى السجن. كان الحرس قد قسّموا الأسرى كلًّا حسب الوحدة العسكريّة التي كان يخدم فيها. اجتمع شباب «**لواء الفتح** 48»، والذين تمّ أسرهم في «**جزيرة مجنون**» ، في الجهة اليسرى للسجن. تجمّع بعض شباب «**فرقة ثار الله** 41»، الذين أُسِروا في أوائل أيّار في منطقة شلمجة، في ناحية أخرى، وشباب الوحدات العسكريّة الأخرى من بينهم شباب «**لواء الغدير** 18» من يزد، شباب «**فرقة النصر** 5» من خراسان، وشباب «**أسطول أمير المؤمنين** عليه السلام **البحريّ**»، كلٌّ في طرف من الباحة بشكل تجمّعات صغيرة.

أولى التحقيقات بدأت في بغداد، كان الأسرى يذهبون واحدًا تلو الآخر إلى طاولة العقيد للتحقيق. قبل أيّ سؤال كانوا يأخذون معلوماتنا الشخصيّة والعسكريّة، كان العقيد. وكالمحقّقين السابقين في الفيلق الرابع، يبحث عن القادة بين الأسرى. كان معظم الشباب يعرّفون

أنفسهم علـى أنّهم من وحدات الدعم والإسنـاد، الإمداد، السائقين، الطبابـة والممرّضيـن، مضيفـي المطبـخ، التمويـن والهندسة. فبعد تحقيـق اليوم، صار «**محمّد صادقي فرد**» مسؤولاً في الدّعم، و«**السيّد نـادر بيـران**» أحد أفراد التعاونيّة الغذائيّة، و«**السيّد نادر السادات**» من شبـاب الدعم، و«**محمّد كاظم كريميان**» في وحدة التمريض، و«**تراب علي توكّل بور**» سائقًا، و«**الله رضا سعيدي**» سائقًا أيضًا، و«**تاج محمّد علي بور**» مساعد ممرّض، و«**فرج الله حيدري**» موظّفًا في المستودع.

كان الأسـرى يجيبـون المحقّقيـن إجابـات لا أصل لهـا ولا فصل، إجابـات مبهمة وغير مفهومة، هذا الأمـر أغضب العقيد والمحقّقين، وأفقدهـم صوابهـم. قبـل أن ينتهـي التحقيق، وعندما دخـل «**محمّد صادقـي فـرد**» و«**فـرج الله حيـدري**»، بأجسامهـم الضخمـة، وعرّفوا أنفسهـم بأنّهم من الإمداد الصحّـيّ، ومن الشباب الذين كانوا يتولّون أمور المستودع، وقف المحقّق غاضبًا، تقدّم نحو الأسرى، وقال بصوت عالٍ: «**كلّكم كاذبون**».

طأطـأ الشباب رؤوسهـم، فكَذِبُهم واضحٌ، ولـم ينبسوا ببنت شفة. فمـن بين 200 أسيرٍ تجمّعوا في الباحة، عـرَّف أكثرُهُم أنفسَهُم بأنّهم غيـر عسكريّيـن، ويخدمون فـي المجـال المدنـيّ، وكان العراقيّون لا يتعاطون كثيرًا مع العناصر المدنيّة.

اقتـرب العقيد، الذي كان يعرف الكثير مـن المعلومات حول مواقع الوحدات في «**جزيرة مجنون**»، «**طلائية**»، «**شلمجة**»، «**تقاطع جفير**»، وبقيّـة المناطـق العسكريّـة، وأشار بيده إلـى شباب «**موقـع الخندق**» قائلاً: «**كلّكم عناصر كتيبة محمّد رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم؟»

ثمّ أكمل، ليُبرهِن لهم كِذب كلامهم: إذا كنتم كلّكم أيها الإيرانيّون في وحدات الدعم، والإمداد الصحّي، والمطبخ؟ فأين قادتكم العسكريّين، قنّاصوكم، رماة الـ«**آربيجي**» وطواقم المدفعيّة؟

ثمّ أكمل قائلاً: تريدون أن تقنعونا بأنّه لا قادة بينكم؟ لا رماة آربي جي؟ لا قنّاصين؟ من هم إذن الذين كانوا يقاتلوننا؟ من كان يضرب زوارقنا في «**جزيرة مجنون**»؟ هل هذا يعني أنّ كلّ ضاربي الـ«**آربيجي**» والقذائف والقنّاصين قُتلوا جميعًا؟، ثمّ صرخ العقيد، الذي احمرّ وجهه من الغضب، قائلاً: «**الدّبّاغ، الطبّاخ، النّجدة، السّائق**».

نادى العقيد أربعة أسرى من ذوي اللِّحى، والأجسام الضخمة، وكالعادة، ولِحظّهم السيِّئ، كان بينهم «**محمّد صادقي فرد**»، «**السّيد نادر بيران**»، و«**فرج الله حيدري**».

قرأ العقيد أسماء عدد من القادة الإيرانيّين، من بينهم: «**عليّ هاشمي**»، «**عليّ أصغر كرجي زاده**»، «**حسين إسكندري**»، «**هوشنك جوونـد**»، و«**تقيّ إيماني**». هم القادة الذين كان المحقِّقون في «**الميمونة**» يبحثون عنهم. لم أسمع في الميمونة باسم «**حسين إسكندري**». عندما لم يسمع جوابًا من أحد، أكمل غاضبا: «**سندفعكم للاعتراف، إنّ كلّ من لا يتعاون معنا في هذا السجن، جعلناه يتمنّى الموت**».

قال العقيد الذي لا ينفكّ عن تكرار كلمة «**والله العظيم**» في تهديداته: «**إنّ بعض الأسرى الإيرانيّين لا يقولون لنا أسماءهم الحقيقيّة؛ كي لا يُعرفوا،ثمّ نعرف بعد مدّة، وعندها نجعلهم ينسَون أسماء أمهاتهم**».

ثـمّ تكلّم العقيد العراقيّ الأكبر سنًّا قائلاً: «**إذا كان (عليّ هاشمي) بينكم فليعرّف عن نفسه**». لم يتقدّم أحدٌ من الأسرى. قال لنا: «**سنعود بعـد الظهـر، لديكم فرصة إلى ذلك الحين. فكّـروا جيّدًا وقولوا لنا الحقيقة، خاصّة القادة منكم، فليعرّفوا عن أنفسهم**».

عنـد العصـر، دخـل المحقّقـان، كلٌّ منهمـا برتبة عقيـد، كان حرّاسـ السّجن قد وضعونـا في الباحة الخارجيّـة قبل ساعات من حضورهمـا، أخرج العقيد من جيبه سيجارًا، سحب نفسين عميقين منـه، وقال: «**أرجـو أن تكونوا قـد راجعتـم أفكاركم، لـن يندم من يقول الحقيقة، لا وقت لديّ كي أضيّعه معكم أيّها المجوس، ليقف قادتكـم وليتقدَّموا لوحدهم إلى الأمام**». لم يقف ولم يتحرّك أحدٌ مـن الأسرى، عندما وجدوا الأمر كذلـك تقدّم العراقيّون، واختاروا نحـو عشرة من الأسـرى، وطلب منهم العقيد الاعتـراف بأنّهم من القـادة، كان بينهـم «**هوشنـك جوونـد**»، الذي قُطعت قدمـه أثناء إحدى عمليّات الاستطـلاع في شَمال منطقة «**كرخة**»، وقد تمّ أسره بقدمه الاصطناعيّـة، لقد كان قائدَ أحد محاور العمليّات في «**مقرّ نصـرت**». بأمر من العقيد، انهال الجنود عليه بالركل والضرب دون هوادة. انفصلت قدمـه الاصطناعيّة، ووقعت أرضًا. كان العراقيّون يعرفـون أنّ «**هوشنك جوونـد**» قائد إحدى محاور العمليّات في مقرّ «**نصـرت**»، وأنّ إحدى قدميه اصطناعيّـة. عندما ضربه العراقيّون، قال لهم: «**اضربوا، اضربوا ألن أموت يومًا وتأكل جسدي الأفاعي والعقارب، إضربوني إذن**».

كان رجلاً كثير المزاح، صاحب معنويّات عالية، وكان مضرب المثل

بصبره وثباته تحت ضربات العراقيّين. ثم أخذوه، ولم أره بعدها أبدًا.

تقدّم العقيد وهو يدخّن سيجاره، ويظهر الفرح عليه، وقال: لقد عرفنا منذ عدّة أيّام «**باقري**»، وهو قائد أحد الألوية، وكان قد فقد إحدى يديه، وكأنّ القادة الإيرانيّين كلّهم، إمّا صاحب قدم مبتورة، أو رجل مبتورة!

يحقّ للعراقيّين أن يصفوا قادتنا بفاقدي الأيدي والأرجل، فقد كان بين أسرانا هذا العام: الحاجّ «**مرتضى باقري**»[1]، قائد لواء الهندسة (زرع ونزع الألغام) في فرقة «41 **ثار الله**»، وكان مبتور اليد، «**هوشنك جووند**» قائد أحد محاور العمليّات في «**مقر نصرت**»، وكان مبتور القدم، السيّد «**عليّ صالح رايكان**»، الذي كان نائبًا لقائد كتيبة رسول الله ﷺ، وقائد القوات التي كانت مستقرّة في «**موقع الخندق**»، مبتور اليد أيضًا. «**محمّد أفشين**»، قائد سريّة الإمام السجّاد عليه السلام في كتيبة محمد رسول الله ﷺ، كانت أصابع يده اليمنى مقطوعة. لقد أبلغنا المحقّق العراقي بفخر وسرور خبر شهادة «**العقيد قاسمي**» قائد اللواء الثّالث المدرّع لفرقة الأهواز 92، يبدو أنّ الشهيد قاسمي قد استشهد في «**الطلائيّة**»[2].

في آخر الليل، سألت «**خدا رضا سعيدي**» عن أخبار «**سليمان دانشي**»، قائد سريّة «**أبي ذر**» الذي أُصيب بخمسة عشر رصاصة في

(1) الحاج مرتضى باقري من محافظة زاهدان. قُطعت يده في إحدى العمليّات. عندما تحوّلت وحدة الهندسة في فرقة ثار الله إلى لواء الهندسة (وحدة زرع ونزع الألغام) تمّ تعيينه من قِبل قاسم سليمانيّ قائدًا للواء التخريب في الفرقة المذكورة. أسره العراقيّون في شلمجة، وقد كشف أمره في سجن الرشيد، لينقله العراقيّون، وبعد أيّام، من التعذيب إلى المخيم 12 في تكريت.

(2) اسم منطقة واقعة على جادة الأهواز - خرمشهر، عبارة عن مثلث طرق وطريق فرعية لجهة الغرب بالقرب من الحدود الدولية، العراقيّة – الإيرانية.

جـادة الخنــدق، ووقع هناك على الأرضـ. كان يبعد عنّــي نحو 200م، نقلـه العراقيّون إلــى البصرة؛ لأنّــه كان ملتحيًا. أخبرني «**خـدا رضا**» أنّ «**دانشـي**» قد استشهد فـي ثكنة الفيلق العراقي الثالث، وبقيت جثّته مرميّة تحت أشعّة الشمس.

الجمعة 1 تموز 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

اليوم هو الجمعة، وليست المـرّة الأولى التي يدخل فيها المحقِّقون السّجـن، كان بينهـم ضابـطٌ برتبة عميـد، لقد وضعوا لهـم الفاكهة، وإبريقـا مـن العصير البـارد على الطاولـة، كانوا يشربـون العصير، ويأكلـون الفاكهـة أمام الأسـرى العطاشى؛ ليزعجونـا فقط. كما في «**الميمونـة**»، كان قلبـي عند إبريق العصير علـى الطاولة، كان العميد يــردّد اسم «**علي هاشمي**»، ويقول: «**نحـن نريد عليّ هاشمي**». وكأنّهم لن يغلقـوا ملفَّه بهذه السهولة. وقـد تحوّل اختفاء «**علـيّ هاشمي**» إلى لغزٍ عجيب.

عندما ذهب العميد، طلب الجنود الحاضرون هناك من الأسرى أن يخلعـوا قمصانهم الدّاخلية البيضــاء، ويتمدّدوا على الأرض الملتهبة. كانــت شمس تمّوز قد ألهبـت أرض السجن؛ لدرجـة كان يمكن ـ على حـدّ قول الشباب ـ سلق بيضة عليها. كان الشباب يتمدّدون دون لباس علـى الأرض، فتحترق جلودهـم، وقد جعلهـم هذا التعذيـب يرفعون أصواتهـم بالأنيـن. كان الحرّاس، وفـي ربع الساعة الأولـى، يراقبون فقـط، ويتدخّلـون لـركل أو ضرب من يحـاول من الشبـاب رفع بطنه عـن الأرض، فكانــوا يقتربون منهم، ويقفون علـى ظهورهم بأحذيتهم

العسكريّـة، ويضربونهم بالكابـلات، كانوا يريـدون أن يُلصقوا بطون الشباب بالأرض؛ ليشعروا بحرارتها.

كنت مـع الأسرى المجروحين، نجلس على الأرض الحارقة بالقرب مـن الجدار الأيمن للباحة، كانت قدماي تكتويان بشدّة، وكنتُ مجبورًا علـى تقليـب جسدي كلّ خمسـ دقائق على جهـة؛ كـي أستطيع تحمّل شـدّة الحرارة. فعندما كنـت أتّكئ على الطرف الأيمـن، كنت أحترق لدرجـة أعيد جسدي بسرعة إلى الطرف الأيسر؛ كي أرتاح قليلاً. فقد استطعت اليوم، وللمرّة الأولى في حياتي، أن أستشعر حرّ رمال الجزيرة العربيّـة، وأن أدرك بالفعل ما عاناه «**عمّار بـن ياسر**»، والتعذيب الذي كان يتعرّض له أصحاب الرسول ﷺ.

لم يسمحوا لنا بشرب الماء، فَقَدَ اثنان أو ثلاثة من الشباب وعيهم مـن شدّة العطش، وقـد استشهد أحد الأسرى. أُلقيـت جثّته في زاوية السجـن في هذا الحرّ الشديد. العطش الشديد لا يحتمل. لقد سمحوا فقط برشّ بعض الماء على وجوه الشباب الذين يفقدون وعيهم. عندما تركونـا وشأننـا، يومها، اقتـرب منّي «**فـرج الله حيـدري**»، وقد تحمّل ضربهم وتعذيبهـم، كان رجلاً صبورًا، عريضـ المنكبين، وقويًّا. كان القماشـ الذي يلفّ جرحي مليئًا بالدماء والقيح والالتهاب. مزّق «**فرج الله**» قميصـه، وضمّـد به قدمـي المجروحة، كان يسعـى لمساعدتي، فسحبنـي قليلاً بمحـاذاة الجدار، ووضعَ جانِبـي المجروح تحت الظلّ القليـل، والمتبقّـي منه في الباحـة، نحو 30 أو 40 سم مـن الفيء، فلم تعـد الشمس تلسـع قدمي المجروحة. عندما طلـب الحارس من «**فرج الله**» التوجّه إلى الزنزانة، قال لي: «**يا سيّد، صرتُ أكره نفسي؛ لأنّني**

لا أستطيع أن أساعدك». عندما ذهب، قال باللغة التركيّة: «**ليقضي العبّاس** عليه السلام **عليكم يا أبناء يزيد**».

لم يتناول معظم الشباب الطعام من شدّة العطش، وقد جفّ ماء فمي. كان الجرحى في باحة السجن، وبقيّة الأسرى، موزّعين على زنزاناتهم. بعد الظهر، أخرجوهم إلى الباحة، كان الجميع يريد مساعدتي، ولم يتركوني وحدي أبدًا. «**فرج الله**»، الذي كان يعرف أن الجرحى لا رمق فيهم من شدّة العطش، توجّه نحو صنبور الماء، لكنّ الحرّاس منعوه، وانهالوا عليه ضربًا بالكابلات، لقد كنت مستعدًّا للبقاء عطشانًا، ولا أراه لحظة يُضرب على هذا النحو أمامي لأجل الماء. كان ثلاثة من الحرّاس يضربونه دون توقّف. لو كان أيّ شخص غيره، لانهار أرضًا من شدّة هذه الضربات.

عند الغروب، أعطى العراقيّون الأمر بالدخول إلى الزنازين، حملني الشباب إلى الداخل أولاً، جلست في الممرّ أمام الزنزانة، واتّكأت على الجدار.

عندما كانوا يدخلون إلى الزنازين، كان العراقيّون يضربونهم بوحشيّة بالهراوات والكابلات، كان هذا الأمر يتكرّر كلّ غروب، بعض الأسرى كانوا يُسرعون في الدخول اتقاءً من الضّرب والشّتم. عند الدخول، داس أحد الأسرى على قدمي، غبت عن وعيي لشدّة الألم. عندما استفقت كنت مستلقيًا في الممرّ، كان «**ظهراب محمّدي**»، الذي داس على قدمي، جالسًا بالقرب منّي، ينتظر أن أعود إلى وعيي ليتسامح منّي، قبّل رأسي قائلاً: «**يا سيّد أرجوك سامحني**».

- لا دخل لك في الموضوع، لا يهمّ.

- لـن أسامـح نفسي، على كلّ حـال، أرجوك يا سيّـد، أقسم عليك بجدّك أن تسامحني.

- إذا كنتُ منزعجًا، فانزعاجي هو من العراقيّين.

كانـت الزنازيـن مكتظّةً إلى درجة جعلت حيـاة المجروحين مؤلمة وصعبـة، كنت أحترق مـن شدةّ الألم عند كلّ حركـة أو ضربة خفيفة، كنـت لا أهتـم إلّا لقدمي حتّى لا يركلها أحد، لـم أكن أعرف ماذا عليّ أن أفعـل حتّى لا يحرك أحـدٌ قدمي. ناديت «**تراب عليّ توكُّل بور**»؛ كي ينقلنـي إلى ممـرّ المراحيض، كنت أريـد قضاء اللّيلة هنـاك؛ لأرتاح أكثـر، كان وضـع المراحيض مزريًا، كان للزنزانـات ثمانية مراحيض لا تصلـح للاستعمـال، وتتصاعـد منها روائـح نتنـة. كان العراقيّون، ولكـي يبقى الأسرى عَطاشى طيلة الليل، يقفلون موزِّع [سِكر] صنابير المراحيض من الخارج؛ لذلك لم تكن المياه موجودة في أيّ وقت. كان الأسـرى يستعملـون المراحيض الخارجيّة لقضـاء حاجاتهم في فترة بعـد الظّهر، ولا يستطيعـون استعمال أيّ مراحيضـ (عصرًا)، وحتّى ظهـر اليوم التالـي، فكان عليهـم التحمّل عند الضـرورة، أو استعمال المراحيضـ داخـل الزنازين. طلبـت من «**تـراب علـيّ**» أن يُحضِر لي قطعـة من «**الكارتون**»، سألني: «**وما الذي تريده من هذه الكرتونة؟**» ـ أحضرهـا لـي فقط. كان الشبـاب يضعون «**قطع كرتـون**» عوضًا عن الأغطيـة القماشيّـة وأدثرة النـوم، وكان الحراسـ العراقيّون يعطون الأسرى الجرحى قطع كرتـون لتوضع على الأرض؛ كي لا تتّسخ الأرض بالدماء والقيح. كانت المراحيض وسخة جدًّا. عندما وضعت الكرتون علـى الأرض لم تتّسخ ثيابي كثيـرًا، على الرغم من الأوساخ التي كانت

تملأ الأرض، حاولت قدر المستطاع أن تكون قدمي فقط على الكرتون، فجلستُ خارج المرحاض ووضعت قدمي في الداخل، بدأ «**تراب عليّ**» بالبكاء عندما رآني أحاول التمدّد هناك، وكأنّه تذكّر منذ ستّة أو سبعة أيّام عندما كنّا ننام أحدنا قريب من الآخر في «**جزيرة مجنون**»، كم كانت تلك الليالي جميلة! قال «**تراب عليّ**»، وقد شعرتُ أنّ وضعي يزعجه بشكل كبير: يا سيّد كيف ستقضي الليلة وسط هذه الرّوائح؟

- هذه الرّائحة بالنسبة إليّ أهون بكثير من آلام ركل قدمي المجروحة.

- لكنّ ضميري يعذّبني كثيرًا أن أتركك تنام هنا.

- المهمّ أنّني سأرتاح هنا أكثر، ألا تريدني أن أرتاح؟

لم يقل شيئًا، لكنّه تنهّد من صميم قلبه وهو يشتُم العراقيّين. جلس لأكثر من ساعة بالقرب منّي، ثمّ ذهب ليتفقّد «**هجير آبسواران**»، و«**أحمد سعيدي**». وكان يعود إليّ كل ساعة، ويقول لي: «**يا سيّد ألا تريد شيئًا؟**»، كنت أضحك في نفسي، فهل من شيء في هذه الزنزانة يمكن أن أطلبه منه. كان معظم الأسرى نائمين عندما جاء أحد الرجال من كبار السنّ، ووقف بالقرب منّي، وكان يهتمّ بالجرحى كثيرًا، ويدعى «**العمّ حسن**»، وهو الأسير الأكبر سنًّا في تلك المجموعة، وكان بمثابة الممرّض الخاصّ لي في تلك الليلة والليالي التي تلتها.

تمَّ أسره مع بداية شهر أيّار في منطقة شلمجة، كان عجوزًا ضعيفًا، ونحيفًا في الستين من عمره، أشيب الرأس واللّحية، وجهه نورانيٌّ وودود، يشبه خدّام المساجد. احتفظ العراقيّون به في إحدى الثكنات العسكريّة في البصرة لمدة عشرين يومًا، أحسست أنّني أقضي أيّام

الأسـر بالقرب من والدي، كان يُظهر حزنه لرؤيتي ممدّدًا في الحمّام. عندما شرحتُ له سبب بقائي هنا، اقتنع بذلك.

لـم أستطـع النّـوم مـن شـدّة الألـم، كان «**العمّ حسـن**» يرفع من معنويّاتي، يقول لي مؤمّلاً: سيأخذونك إلى الطبيب، وستُشفى وستبقى حيًّا.

- لا يهمّ، نرضى برضا الله، هذا هو قَدرُنا.

- **أنا سعيد؛ لأنّك لم تفقد معنويّاتك على الرغم من ظروفك الصعبة.**

أسبوعـان قضاهما «**العمّ حسـن**» بالقرب منّـي، كان بالنسبة إليّ الهادي والمربّـي، لا ينفكّ يوصيني وبقيّة الشباب المجروحين، قائلاً: يـا شباب، توسّلوا بالإمـام السجّاد عليه السلام، لقد عانـى الأسر والمرض معًا، توسّلوا بالله والإمام السجّاد عليه السلام، وسيساعدكم الله.

صبر وتقوى «**العمّ حسن**» مضرب مثلٍ، كان يكرّر بيت الشعر هذا:

«**لا تشكُ الألم في طريق الطلب، فلا وصول لمن لا يعاني**».

عندما غفوت ليلاً، لم أكن قلقًا أن يمسّ أحدهم قدمي. في منتصف الليل، وللحظات، تركني الألـم وشأني، وصار العطش يقضّ مضجعي، فطلبـت من «**العمّ حسـن**» أن يجلب لي الماء، لـم أفكّر للحظة واحدة كيـف سيحضـر المسكين المـاء، توجّه مع أحـد الأسرى العـرب إلى شبّاك السجن، مناديًا الحرّاس، وطلبًا الماء، لم يحترم بعض الحرّاس شيبته، فعـاد خاليَ الوفاض، وكان مستاءً، جلـس بالقرب منّي، وقال: «**يا بنيّ، لقد بذلنا جهدنا، لكنّ هؤلاء السّفلة، أناس لا يعرفون الله**».

عندما أرهقني العطش، فتحت صنبور الماء في المرحاض، وبدأت

بالمصّ، ظننت أنّني بهذه الطريقة قد أبلّل حلقي، لكن لم أذق سوى الهواء وطعم الحديد، آلمني فكّاي لشدّة ما مصصت الصنبور.

ليلاً، غفوت بصعوبة، حلمت أنّني في قريتي بالقرب من عين الماء، وكنت أشرب وأشرب ولا أرتوي. بقي «**العمّ حسن**» بالقرب منّي إلى منتصف الليل تقريبًا، إلى أن جاء أحد الأسرى الأرمن، وطلب منه أن ينام ليهتمّ هو بي.

السبت 2 تمّوز 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

ها قد أمضيت يومي الثالث في سجن الرشيد، في الليلة السابقة، عانيت الأمرّين من العطش، لكنّني كنت مرتاحَ البال بالنسبة إلى قدمي، لم يطأها أحد، كانت شظيّة قد أصابت فخذي من الخلف، ولم أكن قد التفتّ إلى الأمر حتّى هذا اليوم، عندما ضغطت عليها، خرج القيح والالتهاب منها.

أخرجونا في الصباح، وأحضروا عددًا من الأسرى المجروحين من الزنزانة المجاورة إلى زنزانتنا، تعرّفت على عدد من الشباب الذين أُسروا في مناطق «**الطلائيّة**»، «**الجفير**»، و«**جزر المجنون الشّماليّة والجنوبيّة**». مع أنّ معظم أسرى الجيش كانوا في الزنزانة المحاذية لزنزانتنا من الجهة اليمنى، كان معنا أيضًا عدد من شباب فرقة «**المدرّعات 92**» والذين أُسروا في منطقتي «**كوشك**» و«**الطلائيّة**». قام الحرّاس بحرق حاجبي أحد الأسرى بالسيجارة، وكان ذنبه أنّه ملتحٍ!

صباح اليوم، وزّع الأسرى الأصحاء المسؤوليّات فيما بينهم، فتكفّل

كلّ واحد منهم بأحد الجرحى، وقد تكفّل اثنان من الأسرى بالجرحى ذوي الإصابات البليغة والحرجة مثلي، ومثل «**يد الله زارعي**». كان «**العمّ حسن**» والأسير الأرمنيّ هما ممرّضاي، كان الأسير الأرمنيّ حنونًا، ويتحمّل المسؤوليّة، بقي البارحة بالقرب منّي حتّى الصباح، على الرّغم من أنه لا حيلة بيده، فإنّ جلوسه بالقرب منّي قد بثّ فيّ الصلابة والثبات. في الصباح، عندما أخرجوا الأسرى، أخرجني من المرحاض، كان يراقبني؛ كي لا يمسّ أحدٌ قدمي.

كنت أشعر بالارتياح، لكون أحد الأرمن هو «**ممرّضي**» (من يهتمّ بي)[1]. عندما شكرته، قال لي: «**إنّ خدمتكم واجبٌ عليّ**».

كان في عداد فرقة المشاة، ويخدم في «**فرقة المدرّعات 92**»، وأسر في منطقة كوشك أو طلائية. لقد دخل قلبي، وأحببته منذ اللحظة الأولى، سألته عن اسمه، قال: **سركيس داوتيانس**.

في اليومين الأوّلين كان صعبًا عليّ أن ألفظ اسمه، ولكنه بدأ يسهل يومًا بعد يوم.

---

(1) كان الأرمن في الدفاع المقدّس كغيرهم من الجنود الإيرانيّين ملتزمين بالأهداف العليا للإمام الخمينيّ (قدس سره). نقل «**الحاج أحمد رضا حاجتي**» إمام جمعة الأهواز المؤقّت، خلال إحدى خطبه في أسبوع التعبئة في العامّ 1995م نقلا عن أحد الكتب: ينقل أحد الأسرى العراقيّين أنّه في إحدى العمليّات، رأى اللواء ماهر عبد الرشيد قائد الفيلق السابع العراقيّ، أحد ضباطه يضرب أسيرًا إيرانيًّا ضربًا مبرّحًا دون توقّف، فسأل ماهر عبد الرشيد ذلك الضابط: لماذا تضرب هذا الأسير المسكين كلّ هذا الضرب، رفقًا به، فأجابه الضابط: سيدي، إن هذا الأسير يرفض شتم الخمينيّ فقال «**ماهر عبد الرشيد**»: حتّى لو لم يشتم الخمينيّ، فالأمر لا يستحقّ كلّ هذا الضرب، فقال الضابط مرّة ثانية: «**إنّ ما يزعجني يا سيّدي، كون هذا الأسير أرمنيًا، ومع ذلك لا يريد شتم الخمينيّ**»، فيما بعد، عرفت مصدر هذه القصّة وهو كتاب «**تقرير عن تحقيق**» الذي كتبه «**السَّيِّد مرتضى بشيري**» الذي حقّق معه العراقيُّون أثناء الحرب. كان الكتاب تقريرًا عن تحقيقٍ قام به العراقيُّون مع العقيد العراقي محمد رضا جعفر الجشعمي، وقد نقل العقيد هذه القصّة لبشيري.

لم يكن النهار قد انتصف بعد، أجلس العراقيون الأسرى السالمين في باحة السجن، في الحرّ الشديد، كان داوتيانس جالسًا بالقرب مني، لم يتناول الشباب الفطور من شدّة العطش، كانوا يريدون أن يضغطوا علينا من خلال العطش، فالحرّاس والمحقّقون يريدون أن يجعلوا الظروف أصعب؛ لأنّ الشباب لم يفشوا أسماء قادتهم. عند ذلك توجّه «**داوتيانس**» إلى أحد الحراس العراقيّين، ثمّ عاد ومعه إبريق ماء، تعجّبت من ذلك، سألته: «**ماذا حدث حتّى أعطوك الماء؟**»

قال «**داوتيانس**»، الذي يعاني هو أيضًا من العطش في هذا الحرّ الشديد،: «**لقد أخذته منهم، اشربوا بطريقة تمكّن الأسرى المجروحين كافّة من الشرب**».

مع أنّ الماء كان ساخنًا، لكنّه كان نعمةً أنقذتنا من العطش. «**دواتيانس**» نفسه لم يشرب الماء، عندما شربتُ قلت له: «**داوتيانس! إنّ الحرّاس لا يعطون الماء لأحد!**».

- «**أحد الحرّاس العراقيّين، أرمنيّ، وقد اهتمّ لأمري، وأعطاني الماء**».

كان «**داوتيانس**»، ودودًا، مضحّيًا وعطوفًا. حمل إبريق الماء، ومرّره للجرحى؛ كي يشرب كلّ منهم بضع رشفات. كان الحارس العراقيّ الأرمنيّ يحترم «**داوتيانس**». أعتقد انّه أوصى بقيّة الحرّاس العراقيّين أيضًا به، فبقيّة الحرّاس العراقيّين كانوا يحترمونه «**داوتيانس**»؛ لأجل زميلهم الأرمنيّ. في الأيّام اللاحقة، أصبحت حركة «**داو**» مقيَّدة، فلم يعد بإمكانه الاهتمام بنا.

بعد الظهر، جاء العراقيُّون إلى «**داوتيانس**»، وتكلّموا معه، كان

برفقتهم الحارس الأرمنيّ أيضًا، خاطبه الضابط ذو الرتبة العسكريّة والأكبر سنًّا من البقيّة: «**بما أنّك أرمنيّ، فلماذا تحارب لأجل الخمينيّ؟**»

– «**صحيح أنني أرمنيّ، لكنّني إيرانيّ أيضًا، وأنا جنديّ، وعليّ القيام بالخدمة العسكريّة في الجيش**».

بدا الانزعاج على وجه الضابط العراقيّ، فكلام «**داوتيانس**» لم يعجبه. كانوا يتمنّون أن يُظهر ندمه وألّا يكون ملتزمًا بولاءٍ للإمام ولإيران. أكمل الضابط العراقيّ ـ الذي كان يتكلّم برفق مع داوتيانس ـ، قائلًا: «**لو فررت من الخدمة لجئت إلى العراق، أنت تعرف أنّ هناك الكثير من الأرمن يعيشون في العراق، ولا دخل لنا بكم، ما يهمّنا هم هؤلاء، حرس الخمينيّ**، ـ قالها مشيرًا بيده إلينا وإلى بقيّة الأسرى الإيرانيّين ـ، **فإنّهم يسعَوْن للقضاء على العراق، يريدون فتح العراق، فالخمينيّ يريد، بالإضافة إلى إيران، أن يكون رئيس جمهوريّة العراق، هؤلاء أعداؤنا، وليس أنتم أيها الأرمن**».

شعرتُ أنّ «**داوتيانس**» لا يرغب بالجدال معهم، وكأنّه فضّل، وبسبب محبّة الحارس الأرمنيّ ولطفه، أن يبقى ساكتًا، تنهّد «**داوتيانس**»، وقد بدا وكأنّ شيئًا يزعجه، وقال: «**ليس للأرمن الإيرانيّين ذكريات جيّدة عن العراقيّين، فقد قتلتم في تبريز عائلتَي بانوسيان وهاروطونيان وهم نائمون، ولم يبقَ منهم أحدًا على قيد الحياة**»[1].

---

(1) في العام 1994م، وعندما كتبت مذكّراتي، كنت لا زلت أذكر كلام الأسير الأرمنيّ «**سركيس داوتيانس**»، كنت أتمنّى أن أحصل على معلومات حول العائلتين الأرمنيّتين «**هاروطيان**» و«**بانوسيان**»، في تلك السنة، اتصلت بوحدة المعلومات والإحصاء في مؤسَّسة الشهيد في مدينة تبريز؛ كي أحصّل معلومات كاملة عن هاتين العائلتين الأرمنيّتين. في تاريخ 21 كانون الثاني 1986م، قامت المقاتلات العراقيّة بقصف مدينة تبريز، وكان نتيجة هذا القصف استشهاد عائلة روبيك مانوك هاروطيان وزوجته جانيت بوداغيان وابنهم الوحيد برونديك مانوك هاروطيان، وفي تلك الليلة أيضا استشهد كل

الأحد 3 تموز 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

إنــه اليوم الرابع، وضعوا الأسـرى المجروحين في السجن رقم (1) والسجن رقم (3)، كنت قد رأيت بعضهم في «**العمارة**»[1]. اشتدَّ التهاب جـرح ساقـي وبـدأت تفوح منـه رائحة كرائحـة الجيفة، وتـورَّم مُشط قدمـي، وبدأ يسوء يومًا بعد يـوم. لم نكن نعرف كم سنبقى في السجن علـى هذه الحال، لم يكـن مصيرنا معلومًا. وهناك أيضًا ثلاثة أو أربعة من الجرحى كانوا يعانون من وضع وخيم ، كـ«**حسين اسكندري**»، الذي كان العراقيّون يبحثون عنه، كان جسده محروقًا بشكل فظيع، وقد تقرّح جلـده بالكامل. هو مـن «**اللـور البختياريّين**»، وقد عاش وترعرع في الأهـواز. يقـال: إنّه قائد وحـدة زرع ونزع الألغام (في لـواء الهندسة) في مقرّ كربـلاء. كان العراقيّون بسبب حروقه الشديدة، يشكّون بأمره أقـلّ من غيره، كان إنسانًا كتومًا، وكثيـر التحمّل، وصبورًا جدًّا. احترق حسيـن في «**جزيرة المجنون**» داخل القصـب، وكان قد ركض لمسافةٍ طويلة بين حقول القصب المشتعل بسبب القنابل الحارقة. لشدّة حروقه البليغـة كان يترشّح سائل بدنه على أرض الزنزانة. لم يسمح الحرّاس له بالتمدُّد في الظل، ولـم يعطوه مرهمًا لمعالجة الحروق، وقد هاجمه البرغشـ وانتشر في أنحـاء جسمه، كان ممدّدًا بالقـرب منّي، وعندما أردت أن أُبعـد البرغشـ عنه منعني قائلاً: «**أنا مديـون لهذا البرغش، فلولاه لما كنت على قيد الحياة**»، ثمّ أكمل: «**في هذه الأرض التعيسة،**

مـن ماطوسبانوسيان وزوجته وابنتيهما آني بانوسيـان البالغة من العمر تسع سنوات وآدرينة بانوسيان وعمرها ثلاث سنوات بسبب القصف الذي نفّذه النظام العراقيّ البعثيّ.

(1) المقصود: معسكر الميمونة الكائن في العمارة. (الفصل الثالث).

لم نتلقّ سوى الشتائم والسباب والضرب، لكن البرغش العراقيّ؛ عن قصد أو عن غير قصد، يقدّم لنا خدماته مجانًا».

لقد اجتمع البرغش على جسده المحروق، وعلى القروح، لدرجة أنّه غطّى كلّ جراحه، وكان يمصّ التهاب جسده وإفرازات تقرّحاته، كانت معنويّاته تستحقّ المديح. عندما طلبتُ من الحرّاس راجيًا أن يسمحوا بإدخاله إلى الزنزانة، قال حسين: «**لا أرضى بأن يطلب لي أحد شيئًا من العراقيّين، فلن يصبح العدوّ يومًا صديقًا لنا، أو رؤوفًا بنا**».

كان يتألّم طوال الساعات التي تسطع الشّمس بأشعَّتها على جسده المحروق، لكن قدرته الكبيرة على التحمُّل، جعلته يكتم صوته ولا يخرج من فمه، وكان فقط يتمتم بقراءة القرآن.

وحيث إنّني كنت جالسًا إلى جانبه، كنت أفهم جيّدًا ما الذي يعانيه بجسده المحروق في ذلك الحرّ اللاسع. عندما واساه الشّباب، قال لهم: «**وكأن الله أراد أن يضعني في هذا الحر، وبجسد محروق؛ كي يقلّل من حرقي في جهنّم**».

قلت له: «**ياحسين! وهل من المفترض أن تذهب إلى جهنم؟**»

- إذا ما رحمني ربّي وخفّف حرارة جهنّم قليلاً، فأنا راضٍ!

بعد ظهر هذا اليوم، توجّه «**العمّ حسن**» إلى العراقيّين، وطلب من الحرس أن يسمحوا لحسين اسكندري بالتمدّد في الظلّ، وذهب «**داوتيانس**» أيضًا إلى الحارس الأرمنيّ، وتوسَّل إليه؛ لينقلوا «**إسكندري**» إلى المستشفى، أثمرت جهود «**العمّ حسن**»، وباءت جهود «**داوتيانس**» بالفشل.

جريح آخر، كان مصابًا في (نحره)، أحضروه من السجن رقم

(1)، نسيت اسمه، وهو من شباب «**لورستان**»، وقد ثُقب حلقومه، فإذا مـا أغلق أنفه وفمه، يستطيـع بسهولة أن يتنفس من ثقب حلقومه، كان شابًّـا نحيفَ البنية، وصغيرَ السّن، وقد تـمّ أسره في «**جزيرة مجنون الشَّمالية**»، وقد استشهد بعد عدّة أيّام بسبب التهابات داخليّة.

كانـت الساعة حوالى الرابعة عصرًا، عندما حضر عددٌ من ضبّاط مخابرات الجيش إلى السّجن؛ كان أعلاهم رتبة عقيدًا، حسن الوجه، أسمـر، نحيل البنية، مع شعر أسود غير مرتّـب، وقد أحضر معه ملفّ المعلومات العسكريّة لأسرى «**موقع الخندق**».

نـادى العقيدُ المترجـمَ الإيرانيّ الـذي يتحدّث العربيّـة، وخاطب الأسـرى قائلاً: «**هـذه المعلومات الخاصّة بكم، وقـد أرسلها لنا قسم مخابرات الجيش في العمارة**».

أكمـل العقيد كلامـه، وهو يضرب بعصـاه على كفّ يـده الأخرى، قائلاً: لقد قُتل أخي في هجوم ذلك اليوم في «**جزيرة مجنون**».

كان العراقيّـون يبحثون عن شباب الـ آربيجـي، والقنّاصين، الذين دمّروا في ذلك اليوم أكثر من ثلاثين زورقًا عراقيًّا. شباب «**الآربيجي**» في «**موقع الخندق**» هم: «**مهدي كريمي**»، «**فرج الله حيدري**»، «**محمّد صادقـي فـرد**»، «**السيد نـادر السادات**»، «**إسماعيل صولـت دار**»، «**عليّ شيـر قيطاسـي**»، و.......عندما بدأ العراقيّون بجلد الشباب بالأسلاك والهراوات، وقف السيِّد «**نادر السادات**»، و«**محمد صادقي فرد**»، وقالا: لا تضربوا الشباب، نحن كنّا رماة الـ «**آربيجي**».

قال العقيـد وهو يشاهد ضرب وشتم «**السيد نـادر**» و«**محمّد**»: «**إنّ الذيـن دمّـروا زوارقنا، لم يكونـوا ثلاثة أشخاص**»، ثـمّ أكمل:«**أنتم،**

أيّها الإيرانيّون، تسعَوْن دائمًا كي تدافعوا بعضكم عن البعض الآخر، في السابق عندما كنّا نحضر الأسرى إلى هنا، وعندما كنّا نبحث عن شخص معين، كان أحد الأسرى يسلّم نفسه نيابة عن القائد الذي كنّا نلاحقه، وفيما بعد، يتّضح لدينا كذب ذلك الأسير وأنّه كان يريد أن يضحّي بنفسه».

أراد العراقيّون، بالتلميح والسخرية، ومن خلال نقل الأحداث السابقة، أن يُفهمونا ألّا نضحّي لأجل قادتنا.

بأمرٍ من العقيد، اختاروا عددًا من الشباب، ثمّ أوقفوهم اثنين اثنين وجهًا لوجه، ثم قال العقيد: «**اصفعوا بعضكم بعضًا**».

تفاجأ الشباب، ما الذي بإمكانهم فعله؟ فَهُمْ أسرى، رفاق سلاح، أصدقاء، ويطلبون منهم أن يصفع أحدهم الآخر، لم يكن الشباب مستعدين للقيام بذلك؛ فالحرّاس، وبعد سنوات من العمل هنا، اكتسبوا تجارب متنوِّعة في إيذاء وتعذيب الأسرى، أعتقد أنّهم كانوا يريدون أن يحقد الشباب بعضهم على البعض الآخر.

اقترب «**إسلام أكبر زادة**»، وهو من شباب «**مازندران**»، وكان لعدّة أيّام مضت يأتي لعيادتي في الزنزانة، وينقلني من مكاني كلّما اقتضى الأمر، وقال للعقيد: «**القرار بيدكم، ويمكنكم ضربنا أنَّى شئتم، فنحن أسرى هنا، ولا نستطيع أن نشتكي، ولكن أن نضرب بعضنا بعضًا، لا!**» لم يكن «**خدا رضا سعيدي**» مستعدًّا لصفع «**محمد ثار اللّهي**» على وجهه، كذلك «**ظهراب محمّدي**»، لم يكن مستعدًّا لصفع ذلك الأسير الذي لا أعرفه. طرح الحراس «**ظهراب**» على الأرض، وانهالوا عليه ضربًا بالسلك، عندما كانوا يضربونه على ظهره، حضرت النكتة،

وكالعـادة عنـد «**السيِّـد محمّد شفاعـت منش**»، فقال بلهجتـه اللوريّة الثقيلـة: ما كان عندكم مـاء، ولا خبز تأكلونه في بيوتكم؛ كي تأتوا إلى هنا وتأكلوا «**خبيط**»[1].

ليـلاً، أحضـروا من البصرة مجموعـة أسرى. لم يسمـح البعثيُّون هنـاك للأسرى بقضاء حاجتهم، فكانت رائحـة العفونه تنبعث منهم، عندمـا دخلوا إلى الزنزانة كانت قدرتهم علـى التحمُّل قد نفدت، قام بعضهم بقضاء حاجته في الممرّ، فانتشرت رائحة مزعجة جدًّا، داخل الزنزانات. تلك الليلة، صار الوضع في الزنزانة صعبَ التحمُّل.

تُظهِـر الكَدَمـات على وجوههـم ما قد عانـوه، وكان كثير منهم بلا قمصـان قطنيّـة (داخلية)، وبعضهـم الآخر دون سراويـل. لا أعرف مـا الذي حصل فـي البصرة، لكنّني متيقِّن أنّهم قضـوا أسوأ أيّامهم، هـذا ما قالوه. استشهد معظم الجرحى فـي البصرة. حدّثنا أحدهم، ويدعى«**منصـور**»، وهو من «**اللور البختياريّيـن**»، عن البصرة وما مرّ عليهم هناك قائلاً:

«**لا بـدَّ مـن أنّ صلاة أهلكم يومًا أو صيامهـم، أو عمل خير قاموا به، قد شفع لكم، فلم يحضروكم إلى البصرة**»!

- «**وهل البصرة أسوأ من هنا؟**»

هزّ رأسه موافقًا، وقـال: لقد استشهد معظم الشباب في البصرة، كان البعثيُّـون يدوسون على الشهداء، جمعوا الجثامين في إحدى زوايا باحـة المعسكر، وقد تُركـت الجثاميـن أيّامًا ولياليَ هنـاك، والجنود يأتون تَكْرَارًا لالتقاط الصور أمامها...

(1) «**خبيط**»، كلمة عاميّة تعني: الضرب والركل.

الإثنين 4 تموز 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

إنـه اليوم الخامس لوجودنا في سجن الرشيـد، تسوء حالة قدمي يومًـا بعد يوم، وقد تَجمّع الدم المتخثر، الالتهاب، والقيح تحت جلدي، وتـورّم جلـد «**مُشط قدمـي**»، وصار كالبثـور (الفقاقيـع) الكيميائيّة، تجمّع تحت جلـدي نوع من الالتهاب يشبه سائـلًا أصفر اللون، عندما كانـت تتخـرّم الفقاقيع تخرج السوائـل منها. وفي ازدحـام الزنزانة، عندمـا يرتطم العراقيّون بقدمي عـن قصد، والأسرى عن غير قصد، كانت الفقاقيع تنفقئ كالبالونات.

جاء المحقّقون مرّات عديدة، واليوم، وعلى خلاف الأيّام السابقة، تغيّـرت نبرتهم، كانوا «**يذبحون بخيط قطنيّ**»[1]، أعتقد أنّهم توصّلوا إلى أنّ استخدام هذا الأسلوب أكثر فائدة من العنف وسوء الأخلاق.

بـدأ العقيـد، الـذي كان البارحـة هنا، بالـكلام: «**انتم ضيوف العـراق، والقادة الإيرانيُّـون ضيوفنا، إنّ بلدنـا يحترمهم احترامًا خاصًّا، إنّ طعامهم ووسائلهم ومخيّماتهم منفصلة عن البقيّة، إنّ قادتكم محترمون، لهم مكانتهم الخاصّة، لدينا..**» والكثير من هذا الكلام.

كان يتكلّـم بهدوء وليـن، أنهى كلامه طالبًا من القـادة الإيرانّيين أن يعرّفوا أنفسهم ويتقدّموا إليه، إنّه اليوم الوحيد الخالي من العنف، ولكي يجذب الأسـرى الإيرانيّين قام العقيد بمعاتبة أحد الجنود الذي يمسك بيده «**سلكًا**» وطلب منه رميه بعيدًا. كان عالم نفس جيّد، ثمّ قال للحارسـ: «**عندما تكون اللغة الحسنـة والاحترام غالبـة، فلا مكان**

(1) اصطلاح للدّلالة على استعمال الحيلة والمكر المخفيّ للوصول إلى الهدف. (مركز نون)

للعنـف، إنّ الإيرانيِّيـن هم أصحاب حضارة، العنـف ليس أمرًا جيّدًا، من يريد من القادة التقدُّم، وتعريف نفسه فليفعل».

بعد كلام العقيد، تقدَّم خمسة أو ستة من الحرس، ويبدو أنّ واحدًا منهـم كان قائد سريّة وآخر نائب قائد كتيبة. لا أعرف لماذا انخدعوا بـكلام عقيـد المخابـرات الماكر، أخرجهـم الحراس مـن الزنزانة، قالـوا إنّهم سيأخذونهم إلى مخيم خاصّ بالقادة يشرف عليه الصليب الأحمـر الدولـي، صدّق بعضهم هذا الكلام لدرجـة أن بعضنا قد ندم لعدم ذهابه معهم.

في ما بعد، رأيت أحدهم في الزنزانة الانفراديّة، وكان وجهه المليء بالكدمات دليلًا على الاحترام الذي يكنّه العراقيّون للقادة الإيرانيّين، لقد صدق العقيد عندما قال: إنّ للقادة الإيرانيّين معاملة خاصّة.

كان السيد «**عليّ صالح رايكان**» منزعجًا من بساطة الأسرى الذين صدّقـوا هـذا الكلام، وذهبـوا بأنفسهم إلى الفـخّ، كان يكرّر بسخط: «**علـى القائـد أن يستغـلّ الفرص، أن يكـون عالم نفس، ومحنّـكًا، ألّا ينخدع بسهولة، وأن يعرف أنّ العراقيّين لا يريدون الخير لنا أبدًا**».

لشـدّة ما ضربه الحرّاس، لـم يكن السيِّد «**فاضـل فاضليان**» قادرًا علـى الرؤيـة، كان معاونًا فـي سريّة القاسم بن الحسـن عليه السلام التّابعة لكتيبـة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. عندما رأيته اعتقدت أن زنبورًا قد لسعه، فقـد تورّمت عيناه، وملأت الكدمات وجهـه، ولكي يستطيع الرؤية؛ كان يرفع جفنيه بيديه، ويفتح عينيه. لقد وشى به شخص اسمه (ك، م)[1]،

(1) (ك، م) نـادمٌ حاليًّا. ولا مصلحة في ذكـر اسمه، فقد اعترف باسم السَّيِّد فاضل لشدة ما تعرَّض له من تعذيب.

وقال للعراقيّيــن: هو أحد القادة. ثمّ بدأت التحقيقات، والـ«**سين جيم**» مع السيد فاضل، حتّى أتلفت أعصابه، فاضطر للاعتراف قائلاً: «**لستُ قائـدًا، إنّمـا استلمت مسؤوليـة مجموعة ليوم واحد مـكان المسؤول الذي كان في مأذونيّة**».

استغلّ الحرّاس كلامـه، ونقلوه إلى سجن المخابرات، وبسبب هذا الخطأ البسيط، بقي في سجـن المخابرات لخمسة أشهر. وفيما بعد، عندمـا نقلوا شباب «**موقع الخندق**» إلــى معسكر (مخيّم) «**الرمادية 13**» نقلوا السيّد فاضل إلى (معسكر) «**مخيم تكريت 16**». لو لم ينطق السيد فاضل بهذا الكلام لانتقل مع شباب «**موقع الخندق**» إلى معسكر «**الرماديّـة 13**»، ولصــار اسمه على لائحــة الصليب الأحمر، ولما صار بين الأسرى الـ «**مفقودي الأثر**».

بعد الظهر، تغيّـرت لهجة المحقّقين من جديد، لم أعرف ما الذي أغضبهـم مرّة ثانية. على ما يبـدو، أن أحدًا من بين الخمسة أو الستة الذين ذهبوا معهم في الصباح، قد اعترف بشيء ما تحت التعذيب.

أوقـف الحرّاس الشبـاب صفوفًا مرصوصة، 15 إلــى 20 أسيرًا في كلّ صـفّ، وانهالوا علينا بالأسلاك والهراوات، اختلفت أدوات الضرب والشتم، وتعدّدت هـذه المرّة: السلك، الخرطـوم (النربيش)، عصيّ الخيـزران والهـراوات، وكان الخيـزران أكثرهـا ألمًـا، إذ كان يرتـدّ (كالرَّسّـور) حيـن يُضرب بقـوّة ويلتف على الجسد وينغـرز مع الجلد واللحـم، كذلـك السلـك الكهربائـيّ الذي أزيـل الغـلاف الأسود عنه فصار يؤلم بشـدّة. لم يكن الحرّاس يفرّقون بين الأسرى المجروحين والأصحـاء. انهالـوا بالضـرب علـى رأس «**أحمـد سعيـدي**» الجالس

بالقرب من المدخل، فكان مشهدًا محزنًا يُدمي القلب. كل الأسرى، باستثناء «**أحمد**»، كانوا يضعون أيديهم على رؤوسهم؛ ليحتموا من الأسلاك والهراوات. لقد أصابت شظيّة في «**موقع الخندق**» معدة أحمد، فمزّقتها، أعاد الشباب أمعاءه إلى داخل معدته، ولفّوه بأقمشة إضافيّة؛ كي لا تخرج الأمعاء من مكانها. ولكن لا فائدة من هذا الأمر. خلع «**تاج محمّد علي بور**» قميصه، وكذلك أخذ القميص الداخلي لـ«**خدا رضا سعيدي**»، وربطوا معدة أحمد، أثناء التنقل، كانت الأمعاء تخرج من مكانها، وتتلطّخ بالتراب والرمال. أثناء الضرب والشتائم اليوم، أمسك أحمد أمعاءه بيديه، فلم يعد باستطاعته أن يحمي رأسه ووجهه من الهراوات والأسلاك، لذلك عندما ضربه الحرّاس على رأسه، غضبوا منه، وأكثروا من ضربه؛ لأنّهم اعتقدوا أنّه يتحدّاهم، ولا يغطي رأسه بيديه؛ وكأنّه يقول لهم مهما ضربتموني بالأسلاك، لا أشعر بالألم. أخذ أحد الحرّاس يتحدّاه، ويزيد الضربات على رأسه. عندها تدخّل «**خدا رضا سعيدي**»، وقال للحارس: «**أيّها الكفّار، اتركوه وشأنه، ألا ترى وضعه؟**» عندها قال «**فاضل**»، أحد الأسرى الإيرانيّين العرب: «**سيّدي، إنّ هذا الأسير لا يرفع يديه ليَتَّقي السلك، لأنّه يمسك أمعاءه بيديه**».

ضُرب «**يد الله زارعي**» أيضًا، مع أنّ «**العمّ حسن**» يراقبه، ويحميه؛ كي لا ينزل السِّلك على رأسه. عندما انطلق الحراس ليضربوا بقيّة الجرحى، كان «**العمّ حسن**» «**تِرسًا**» يحمي رأس «**يد الله**».

بعد الانتهاء من جولة الضرب والشتائم، بدأ «**العمّ حسن**» يفكّر جدّيًّا بحلٍّ لوضع «**يد الله**» لم يبق سوى حارسان أو ثلاثة، إذ خرج البقيّة

لتنــاول الطعام، كان الطقس حارًّا، ومعظـم الشباب لم يتناولوا الغداء لشدّة عطشهـم، قال «**العم حسـن**»: «**إنّ هـؤلاء الحراسـ متوحّشون، سيقتلـون هـذا الشـاب يومًا ما، ثـمّ أضاف: «لـن يهدأ لي بـال إلى أن ينقلـوا (يـد الله) إلـى المستشفـى، علـيّ القيـام بشيء مـا**». الحقّ مع «**العمّ حسن**»، فقد كان من الممكن أن تقتله إحدى الضربات لو أصابت رأسه. «**العمّ حسن**» رجل حنونٌ وصاحب خبرة في الحياة، لكن إصراره ومحاولات الآخرين لنقل «**يد الله**» إلى المستشفى باءت بالفشل. عندما كانت يـده تتشنّج يبدأ جســده بالارتجاف، ويتدخّل اثنــان أو ثلاثة من الشباب؛ كي يمسكوا يديه وقدميه بالقوة لتثبيته على الأرض.

لكنّ «**العمّ حسـن**»، بدأ يفكّر بأمر آخر. ظهرت البسمة على شفتيه للمرّة الأولى وهو يقول: سنحل مشكلة «**يد الله**» بـ«**كرة بلاستيكيّة**»!

ضحكت قائلاً: «**وكيف ستحل الكرة مشكلته؟**»

– «**سنقصّهـا نصفيـن، ونضعهما على رأسه كقبّعـة متينة، عندها لـن يصيبـه مكروه إذا ما أصابـه السلك، سيكون غطـاءً جيّدًا لرأسه في هذا الحرّ**».

حـلٌّ جيِّـد في مثل هذه الظـروف، لم يخطر ببالي أبـدًا. ذهب «**العمّ حسـن**» برفقة «**فاضل**» من عرب إيـران؛ للتَّحدث مع العراقيِّين؛ شرحوا قضية «**يد الله**»، وطلبهم لـ«**صباح**». يعرف صباح وبقيّة الحرّاس وضع «**يد الله**». طلب «**العمّ حسن**» من صباح كرة بلاستيكيّة، ضحك «**صباح**» لهذا الطلـب، وكي يجمعهم حوله ويضحكوا معًا؛ نادى «**صباح**» بقيّة الحرّاس، وعندما شرح لهم القضيــة ضحكوا جميعًا. انتظر«**العمّ حسن**» الجواب، قـال صباح بلهجـة ساخـرة :«**سأعطيـك كـرة بلاستيكيّة، ولكـن ليس**

لتحوّلها إلى قبّعة بل للعب كرة القدم، مباراة بين إيران والعراق».

الثلاثاء 5 تموز 1988م - بغداد - سجن الرشيد

قبـل الظهر، جاء أحد الحرّاس لرؤيتي، تفحّص قدمي، وقال: «**هل تعـرف مـا الذي يجـب فعله بـك؟**» أجاب «**حسين اسكنـدري**»: «**يجب نقلـه إلـى المستشفـى**»، فقال الحارسـ: «**في إحـدى مناطق كركوك الجبليّـة، كان أخـي ينقـل حمـلاً علـى ظهر حمـار، وقـع حمارنا عن منحـدرٍ فـي الجبـل وكسـر قدمه، وقـد تفتّت عظـام حمارنـا كعظام قدمـك، وبالتالي لم يعد ينفعنا، والخدمة الوحيدة التي كان يمكننا تقديمهـا لـه هـو إراحته رميًا برصاص رشّاش، وأنتـم أيّها الجرحى الإيرانيّون، والتي أصبحت أقدامكم مثل قدم حمارنا، يجب إراحتكم بإطـلاق رصاصـة الخلاص عليكم، لا تنزعجـوا من كلامـي، فهذا أفضـل لكـم، عذابكم سيقـلّ، فحمارنـا كان يتعذّب قليـلاً، وقد ارتاح عندما أطلقنا الرّصاص عليه**».

حاولت كثيرًا، لكنّني لم أستطع ضبط نفسي وعدم الإجابة، ولشدَّة مـا انزعجت مـن كلامه، قلت لـه: «**لا أحد يمسـك بيدكـم ويمنعكم، اقتلونا وأريحونا كحماركم**».

كنّـا داخل الزنزانات ليلاً والجنود في الخـارج يدبكون ويغنون. لم نعـرف السّبب، والشباب مـن الداخل يراقبون فـرح العراقيّين، ولكي يُظهـروا لنا سبب فرحهم؛ دخلوا إلى الممـرّات، قال لنا «**صباح**»، وهو يشير بيده إلى السماء: الطيّارات الإيرانيّة في الخليج العربي، بمب!.

لـم أفهم ما قالـه، كان «**صباح**» مسرورًا، نـادى المترجم الإيرانيّ،

وقال: «**لقد استهدف الأمريكيُّون إحدى طيّاراتكم بالصواريخ**».

ظننتُ في البداية أنّ الطائرات العراقيّة أو الأمريكيّة أسقطت إحدى الطائرات العسكريّة الإيرانيّة، فتدمير طائرة حربيّة هو أمر طبيعيّ بالنسبة إليّ.

لكن مع التوضيحات التي أضافها «**صباح**»، فهمت أن الأمريكيّين قد استهدفوا إحدى الطائرات الإيرانيّة المدنيّة[1] فوق مياه الخليج الفارسي. عندما سمعت هذا الخبر أحسست أن الدنيا تدور من حولي، وشعر الجميع بالإحباط لهذا الخبر. قال «**صباح**» فرحًا: «**لقد قُتل 300 إيراني**».

على الرَّغم من الألم والصعوبات التي كنَّا نواجهها، سالت دموعنا لهذه المصيبة، قال «**خدا رضا سعيدي**» لـ«**صباح**» وبقيّة الحرّاس: «**أيّ نوع من البشر أنتم؟ تفرحون لمقتل 300 إنسان مدنيّ؟**»

أجابني «**صباح**»: «**بالطبع، إنّ موت الإيرانيّين يبعث الفرح، أولا تفرحون أنتم لموت العراقيّين؟**»

قال «**ظهراب محمّدي**»: «**نحن لا نفرح لموت المدنيّين منكم**».

ظهر الإحراج على «**صباح**»، الذي لم يعرف بما يجيب، لكنّه استدرك قائلاً: «**أكثرهم من الحرس الثّوريّ وعسكر الخمينيّ**»!.

قال «**إسلام أكبر زاده**»: «**وما الذي يريد أن يفعله عسكريّو الخمينيّ في دبي؟**».

(1) استهدفت البارجة الأمريكية «**فينسانس**» طائرة «**إيرباص**» مدنيّة إيرانيّة، صاحبة الرحلة (655) وهي متوجِّهة من بندر عباس إلى دبي؛ وذلك بإطلاق صاروخين عليها. كانت تحمل مئة وستّة وخمسين رجلاً، وستًّا وخمسين إمرأة، وسبعةً وخمسين طفلاً بين الثانية والثانية عشرة من العمر، وثمانية أطفال تحت السنتين. وقد استشهد ركاب الطائرة جميعًا، وقد قدّم الرئيس الأمريكي إلى «**ويل روجرز**» قائد هذه البارجة ميداليّة كمكافئة على عمله هذا.

وصلتنا الأخبار المفصّلة لهذه الحادثة المحزنة بعد عدّة أيام عبر الأسرى الذين يتكلّمون باللغة العربيّة.

قال «**العمّ حسن**» لـ«**صباح**» الذي كان يخرج من الممرّ بين الزنزانات: «**إذا كنتم مسلمين بحقّ، فكيف تفرحون لمقتل مسلمين مثلكم على أيدي غير المسلمين؟**».

الأربعاء 6 تموز 1998م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

في ساعات الصباح الأولى، أخرجوا عددًا من الأسرى إلى الباحة، ما بين الـ10 و الـ15 أسيرًا، بينهم اثنان أو ثلاثة من الإيرانيّين العرب، والذين كانوا من شباب وحدتنا، وقد وقعوا في الأسر في «**موقع الخندق**» أيضًا.

أرجعوهم بعد الظهر وأخبرونا أنّ العراقيّين قد اهتمّوا بهم كثيرًا؛ أكلوا حتّى الشبع، طعامًا لذيذًا وجيّدًا، قدّموا السجائر للمدخِّنين، كما أعطوا، لمن كانت ثيابه متّسخة، عباءات (دشداشات) نظيفة، ولمن كانت أحذيتهم ممزَّقة أعطوهم «**شحّاطات**». أحدهم كان يدعى ناجي[1]، عندما دخل الزنزانة، توجّه مباشرة إلى السيِّد «**علي رايكان**»، وأشار بيده إليه قائلاً للحرّاس الذين كانوا يرافقونه: «**هذا هو قائد الأفواج**»، فهجم الحرّاس على «**السيِّد عليّ**»، وانهالوا عليه بالضرب حتّى ازرقّ جسمه. اقترب أحد الأسرى ويُدعى هادي[2]، هو

(1) كان ناجي في كتيبة الرسول الأعظم ﷺ، جنديًّا وسائق قارب. يحكى أنّه قد خان الشباب كثيرًا في السجن. عندما تحرر الأسرى في العام 1990، انضم إلى منظمة «**منافقي خلق**»، وبقي في العراق.

(2) كان هادي أحد المجندين في كتيبة الرسول الأعظم ﷺ، وهو من قرية «**خلف آباد**» في الأهواز. بعد تحرير الأسرى، جاء مع عائلته لزيارة السَّيِّد، وطلب المسامحة منه. وقد سامحه السَّيِّد على الرّغم من الحقد والقسوة التي عامله بها في السجن.

من الإيرانيّين العرب، كان أيضًا في كتيبة الرسول الأعظم ﷺ، قائلاً لأحد الحراس: «**سيّدي، إذا كنتم لا تعرفون الضرب جيّدًا فدعوني أقوم بهذا الأمر**»، لا أعرف كيف طاوعته نفسه أن يضرب «**السيِّد عليّ**» – الذي فقد إحدى يديه– بهذه الطريقة المتوحّشة والقاسية، عندما كان السلك يقع على يد السيّد المقطوعة، كان كبدي يحترق عليه.

بعد ظهر ذلك اليوم، وحتّى يخفّف من حزننا عليه، قال «**السيِّد عليّ**»: «**لقد ضربني الحرّاس بطريقة غير جيّدة، أمّا هادي فقد أجاد ضربي. وبالفعل كانت آثار ضرب هادي ما زالت واضحة على جسد السيِّد عليّ. لم أستطع أن أُقنع نفسي، كيف يمكن أن يضرب أسيرٌ إيرانيٌّ قائدَه الطريقة القاسية، مقابل بعض الطعام والماء وبضع سجائر**».

أخذ الحراسُ«**السيِّد عليّ**»، الذي استطاع التملّص منهم حتّى ذلك اليوم ونفذ بجلده. بعد الظهر، حقّق رجال المخابرات معه في سجن المخابرات، لأكثر من ساعتين. كان «**السَّيِّد**» رجلاً ذكيًّا ومحنّكًا، فقد نجا من قبضة المحقّقين في «**الميمونة**»[1]، كما أنّ جدّه ساعده خلال

---

(1) لم يستطع المحقِّقون أن يثبتوا أن «**السَّيِّد عليّ**» من القادة، فواجهوه مع ناجي، الذي لم يستطع أيضًا أن يثبت هذا الأمر. فقالوا للسَّيِّد: «**لا شيء بيننا وبينك، فمن وشى بك هو ابن وطنك. حيث استطاع السَّيِّد أن يقنعهم أنّه جنديّ بسيط في لواء «فتح 48» كما حصل في تحقيق «الميمونة»**». فصدّق المحقِّقون أنَّ ناجي يكذب عليهم؛ أحضروه ومدَّدوه على الأرض وانهالوا عليه بالضرب. كانوا يعتقدون أنه كاذب. قال »السَّيِّد«: **لقد ضربوه بطريقة رقّ قلبي لحاله. لكنَّني كنت أقول في نفسي: ناجي! لا يجب أن تشي بابن بلدك، هذا عقاب الخائن والوضيع. سأل المحقِّقون السَّيِّد عن يده المقطوعة فأجابهم: «وقعت عن الحصان»**، فسألوه: «**لماذا لم تعالجها؟**» أجابهم السَّيِّد: «**إنّ منطقتنا هي منطقة عشائر جبليّة، لا طريق يمكن للسيَّارات المرور عليها، وكنّا نبعد عن المدينة كثيرًا، وبسبب عدم وجود الدواء والطبيب، قطع طبيب منطقتنا المبتدئ يدي**».

هذا التحقيق أيضًا، لم أكن أتوقّع أبدًا أن يخرج السَّيِّد حيًّا من زنزانته الانفراديّة في سجن المخابرات.

الخميس 7 تموز 1988م. بغداد. سجن الرشيد

كان جلدي يسودّ يومًا بعد يوم، وتعفَّنت قدمي بسبب الالتهابات الشديدة، وظهر الدّود على جراحي. اسودّت قدمي بسبب عدم وجود الدواء، إهمال العراقيّين، الظروف غير الصّحيّة في السجن، والأهم عدم نقلي إلى المستشفى. لقد أدّت الالتهابات الشديدة إلى تكاثر الديدان على جراحي، وبدأت تنتشر على كلّ جلدي، وتسلبني راحتي. كانت تتنقل ليل نهار على وجهي ورأسي أيضًا، وكانت تسلبني النوم ليلاً، ولكي لا تدخل إلى أذني، وضعت عليهما قماشة تغطّيهما.

شيئًا فشيئًا بدأتُ أفقد الإحساس بقدمي، كنت أعرف أنّ قدمي قد انتهى أمرها. لا يقتلوننا، ولا ينقلوننا إلى المستشفى. أعتقد أنّ العراقيّين يريدون ترك الأسرى هنا، إلى أن يموتوا. لقد توفي إلى الآن نحو عشرين أسيرًا. بدأتُ أتعبُ من نفسي أيضًا. حاولت أن أبتعد عن الجميع خلال وجودنا في الباحة الخارجيّة، شعرتُ أنّه لم يعد باستطاعتهم تحمُّل وضعي، كنت أريد أن أبقى بعيدًا عن عيون الآخرين؛ كي لا تؤذيهم رائحتي النتنة. لشدّة انبعاث الرائحة من جسدي، لم يعد يرغب إلا القلّة بمساعدتي، حتّى الحرّاس ورجال الشرطة العسكريّة كانوا ينزعجون عندما يرونني. كنت أرى هذا الأمر في نظراتهم، فكانوا يمسكون أنوفهم بأيديهم، ويشيحون وجوههم عنِّي.

بعد ظهر هذا اليوم، حضر إلى السجن عددٌ من المصوّرين والصحفيّين، يرافقهم ضابط عراقي. يرتدي الصَّحفي بذلة خاصّة بالصَّحفيِّين، يظهر على «**ميكروفونه**» شعار التلفزيون العراقيّ، كان الصحفيّ شابًّا أسمر، بدأ بالمقابلات مباشرة أمام المدخل الرئيسيّ.

كان الجرحى متّكئين على الحائط، بدأ الشباب يجيبون على أسئلة الصحفيّ العراقيّ الذي يرافقه مترجمٌ إيرانيّ، كانت معظم الأسئلة تتعلَّق بمعلومات شخصيّة حول كلّ منّا: الاسم، اسم الكتيبة التي نخدم فيها، ومكان الأسر. أما السؤال الأخير فكان: هل لديكم رسالة توجهونها إلى عائلاتكم؟

سررتُ؛ لأنّه على الرّغم من المشاكل التي أعانيها والصعوبات والآلام، سنحت لي الفرصة؛ كي أُطمئن أهلي أنّني بخير. جاء دور «**السَّيِّد محمَّد شفاعت منش**»، بعد تعريفه بنفسه، قال: «**أرجو من والدي** «**علي مردان**» أن يقوم بواجبه على أحسن حال، أن يهتمّ بالخراف، ساعيًا بجدٍّ ليكون راعيًا جيّدًا؛ أن ينتبه للقطيع جيّدًا وليعلم أنّ أي تقصير في أداء واجبه أمر غير مقبول[1].

بعد «**السيّد محمّد**»، جاء دور «**نصر الله غلامي**» ابن مدينة «**بوشهر**»، كان يتكلّم باللغة الفصحى، بعد ذكر اسمه وكافّة التفاصيل الخاصّة به، قال: «**أرسل سلامي إلى والدي روح الله، لقد اشتقت إليك، أسأل الله أن يحفظك فوق رؤوسنا، في النهاية، أتوجّه إلى**

---

(1) قصد السَّيِّد محمد بكلامه، قائد كتيبة الإمام علي عليه السلام علي مردان روستاد، حيث كان السَّيِّد محمد قائد مجموعة في تلك الكتيبة، التي كانت تحارب في موقع بيت اللّهي. أراد السَّيِّد محمّد أن يقول: يا علي مردان! انتبه للقوّات التي تترأسها، وقم بتكليفك على أحسن وجه. أمّا الخراف فقد عنى بها الشباب الذين هم تحت إمرته.

أهـل مدينتي «بوشهر»، وأقـول لهم: نسعى لأن يفتخر بنا قائدنا «**علي دلـواري**»، معنويّاتنا مرتفعـة، رسالتي الأخرى هـي: أحوالنا جيّدة ولا تقلقوا علينا.

إنّ الجملة الأولى التي قالها «**نصر الله**» واضحة، فطيلة فترة الأسر، ولكثـرة ما استعمل الأسرى كلمة «**روح الله**»، صار الكثير من العراقيّين يدركون أنّنا نقصد الإمام الخمينيّ قدس سره. بالطبع كان قسم الحذف في المخابـرات العراقيّة يحول دون بـثّ هذه المقابلات. ضحك المترجم الإيرانيّ الذي كان برفقـة الصحفيّ، فهم أن «**نصر الله**» قصد الإمام بكلامه، فشرح للصحفيّ الموضوع، عندها انهال الحراس عليه ضربًا بالأسلاك.

جـاء دوري، جلـس الصحفيّ مقابلـي، جهّزت نفسي للـكلام، لكنّ المسـؤول عن السجـن لم يسمح لي وللجرحـى الآخرين ذوي الحالات الصعبـة بالـكلام، ودار حـوار بينه وبيـن الصحفيّ، فهمـت بعض ما كانـوا يقولونه، وعرفت لماذا لا يريدنا أن نجري المقابلة. بعد أن رحل الصحفـيّ والضابط والحرّاس، أوضح لي «**فاضل**» القضيّة، فقال: «**إنّ الصحفيّ كان يريد أن يجري معكم مقابلة، لكن الضابط لم يوافقه الرأي**».

- «**وهل عرفت السبب؟**»

- قـال الضابـط: «**وضعهم سيّئ، وقـد قُتل بعضهم هنـا منذ عدّة أيّام، وبقاؤهم على قيد الحياة أمرٌ غير معلوم. لا تتحدَّث معهم فقد يموتون، وسيشوّش ذلك على علاقتنا بالصليب الأحمر**».

الجمعة 8 تموز 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

إنّــه ظهــر يوم الجمعــة، الطقس حارٌّ جــدًّا، والبخــار يتصاعد من الأسفلــت، كانت الأرض الأسمنتيّــة حارقة لدرجة «**شَـوَت**» جلودنا، لم أستطــع الجلوس، فقد انسلخــت جلودنا لشدّة حــرارة الأرض. اليوم، وكالأيّــام السابقة، علينا الجلوس لساعــات في الباحة الخارجية تحت أشعة الشمس. خاطب الحارسُ العراقي، الذي ينادونه «**خميس**»، أحدَ الأسرى الذي طلب منه الماء قائلاً: «**اُشتم الخمينيّ لأعطيك الماء**».

اقترب خميســ من الأسير، وبلهجة ساخرة قال له: «**هل انزعجت؟ لا تنزعج، فليأت الخمينيّ ويعطيك الماء**».

لم أكن أعرف اسم هذا الأسير،سكت ولم يجبه، ثمّ أكمل خميس، ـ ويبــدو من تصرُّفاته أنّه شخصٌ معقّد ـ، وهو يرفع يديه إلى السماء قائلاً: عليكم بالدعاء، ادعوا...

قصده واضح، فهو يعرف أن الإيرانيّين يؤمنون إيمانًا قويًّا بالدعاء، والتوجّــه إلى الله، وأهــل البيت عليهم السلام، فــأراد السخرية منهم بحركته هــذه. غاب اثنــان أو ثلاثة مــن الشباب عن الوعي من شــدَّة العطش، ولــم تصل محاولات كلٍّ من «**محمّد كاظم كريميان**» و«**محمّد صادقي فــرد**» للحصــول على الماء إلــى نتيجة، وقــد أغضبَ إصــرار «**محمّد كاظــم**» الحارسَ العراقيّ «**خميســ**» وإلحاحه عليه، فانهال عليه ضربًا بالسلك الكهربائيّ.

بعــد نصف ساعــة، توجّه «**صبــاح**» وبيــده إبريق ماء، نحــو صنبور المــاء، ملأه، وأثناء عودتــه إلى غرفة الحراسة، قفــز «**محمّد كاظم**» نحــوه، خطف الإبريــق من يده، وأسرع تجاه الجرحــى، أراد أن يوصل

الماء إليهم بأيّ طريقة، دون التفكير بعواقب هذا الأمر. نادى صباح، وهو يعرف أنّه لن يستطيع التغلُّب على «**محمّد كاظم**»، ثلاثة حراس لمساعدته، فأمسكوه وانهالوا عليه ضربًا، ركض «**محمد صادقي فرد**» نحوه وهو يقول بأعلى صوته: «**يا قتلة العبّاس، يا أبناء الشمر، الماء عطيّة الله، وأنتم تمنعونه عن الجرحى؟**». لفّوا خرطوم الماء حول رقبة «**صادقي فرد**» وجرّوه، كانوا يجرّونه بطريقة عنيفة، ويسحبونه بالخرطوم حتّى ظننت للحظة أنّه سيختنق. دون شك، لو لم يكن «**صادقي فرد**» شخصًا قويًّا وصلبًا لضعُف أمام الحراس الثلاثة واختنق، لكنّه وضع يده بين الخرطوم ورقبته؛ كي يَقوَى على التنفُّس، ازداد غضب الحراس لعدم قدرتهم على إخضاعه.

امتثالاً لأمر رئيس الحرّاس، اضطر «**المحمّدان**» أن يتمدّدا على الأرض الحارقة بعد خلع قمصانهما، وانهال الحراس عليهما ضربًا دون شفقة، كان المشهد مؤلمًا، لكنّ شهامتهما ورجولتهما كانتا تبعثان على الفخر.

ارتفع صوت «**العمّ حسن**»، الذي لا يعرف الخوف وهو دائم الذكر. كان الحرّاس يهينون «**محمّد**» بنعته بالمجوسيّ، عابد النار، وكافر. مما دفع «**العمّ حسن**» إلى الوقوف حيث لم يستطع التحمُّل وشرع بالكلام. حاول «**صباح**» أن يُجلسه مكانه ، لكن رئيس الحرّاس صاح به قائلاً: «**خلّيه يولّي**» (اتركه).

سمحوا له بالكلام فقال متوجّهًا للحرّاس ورئيسهم: لقد أهنتمونا ما أمكنكم ذلك، قلتم مجوسًا، عُبّادَ نارٍ، كفّارًا، .... نحن لسنا كفّارًا، ولا عُبّاد نار... نحن أتباع سيدنا الإمام الحسين عليه السلام. ألا تفكّرون

لمَ هـؤلاء الشباب يتحمّلون إهاناتكم وأذاكـم ولا يضعفون أو يشكون؟ لأنّهـم يتوسّلون بأهل البيت عليهم السلام. أنتـم تنعتوننا بالكفّار والملحدين. ولكـن هل تعتقدون أنّ كافرًا يمكـن أن يحبّ أهل البيت عليهم السلام إلى هذا الحد؟ إنّ رمز نداء عمليّاتنا هو أسماء الأئمة عليهم السلام. إنّ شبابنا يرمون قلاداتهـم[1] في الصحـراء تأسّيًـا بسيّدتنا الزهـراء؛ لأنّ لا قبر لها، ويريـدون أن يكونـوا مثلها مجهوليـن ودون قبر. أولئـك الذين شاركوا في العـام 1982 في عمليّات «**مسلم بن عقيـل**»، لم يشربوا قطرة ماء؛ لأنّ نـداء [رمز] العمليـةّ كان يومها «**يا أبا الفضل العبّاس**». ولأنّ أبا الفضـل العبّاس قد استشهد قرب نهر الفرات عطشانًا كانوا يردّدون، «**نريـد أن نستشهـد عطاشـى**». لقـد قَتَـلَ آباؤكم أبا الفضـل العبّاس وحرموه من المـاء، وأنتم اليوم مثلهم. كم من الجرحى قد استشهدوا في الأيّام القليلة الماضيـة؟! وقد تقتلونني أيضًا بسبب كلامي، لكنَّني عشت بما فيه الكفاية فلا يهمّني.... تقولون أنّنا كفّار وملحدون، أتمنّى أن أعرف، وهل أعمالنا تشبه أعمال الكفّار، أو ما تقومون به أنتم؟».

انتفض قلبي وانتعش لسماع «**العمّ حسـن**»، وكنت أتوسّل إلى الله؛ كي لا يؤذونه بسبب كلامه هذا.

كنـت مندهشًـا ومنجذبًا لهذا الـكلام الثوريّ. ترجـم «**فاضل**» ما قاله «**العمّ حسن**» للعراقيّين. كم تعجّبت لعدم ضربهم أو تعذيبهم له. فاعتقدت أنّ الأمر يرجع إلى كونه الأكبر سنًّا بيننا.

لكـنّ القضيّة لم تكن كذلك، فعندما دخلنـا الزنزانة بعد الغروب،

(1) يقال لها بالفارسي: «**پلاك**»، وهي قلادات معدنيّة ذات أرقام تسلسليّة، تُعطَى لكلّ جنديّ في المعركة ليتسنّى التعرّف عليه من خلال رقمها لو فُقِدَ أثناء الحرب. (مركز نون)

اقتــرب «**فاضــل**» من «**العمّ حســن**» وقال له: «**يـا والــدي! أولا تهمّك حياتك؟ إذا استمرّيت بهذا الكلام فستؤذي نفسك وتؤذي الآخرين**».

أجابه «**العمّ حسن**»: «**أنا أقول الحقّ**».

أكمـل فاضل قائـلًا: «**أوافقك الـرأي، لكن لا أحـد يستوعب كلام الحقّ هنا، فلو لم أغيّر كلامك اليوم، لانتهى أمرك ولقتلوك**».

عندمـا عرف «**العمّ حسن**» أنّ فاضل قد غيّر كلامه أثناء الترجمة، غضـب كثيـرًا وحزن لهـذا الأمـر. أتفهَّـم انزعاج «**العـمّ حسـن**» من الموضـوع وأعطيـه الحـقّ. وقَصَد فاضل حمايـة «**العمّ حسـن**». لكن الأخير الذي كان يتمنّى لو انتقل كلامه كلمة بكلمة إلى العراقيّين، قال لـ«**فاضل**»: «**لقد خنتَ، ولم تكن أمينًا، لن أسامحك**».

أجـاب فاضـل: «**يا والـدي العزيـز، لا يجـب أن تنزعج منّـي، لقد غيّـرت فقـط جملتيـن أو ثـلاث: عندما قلتَ، أأعمالنا تشبـه أعمال الكفّار، أو ما تقومون به أنتم، والجملة التي قلتَ لهم فيها «إنّ آباءكم قتلوا أبا الفضل العبّاس عطشانًا»، هذا فقط!**».

السبت 9 تموز 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

كانــت حالة أحـد الأسرى الخمسة الذيـن أحضروهم من الزنزانة رقـم (1) في سجن الرشيـد صعبة جدًّا، فقد مزّقـت إحدى الشظايا معدتـه وأمعاءه، تمامًا مثل «**أحمد سعيـدي**». كما أصيب صدره ورأسه أيضًـا. لهجته مازندرانيّة، ويناهـز عمره الخمسة والأربعين عامًا، من شبــاب «**فرقة كربلاء 25**»، شعـره فاتح اللون أشقر. كلّما رأيته ذكّرني بأخي «**قدرت الله**»، يرتـدي بنطالاً كوريًّا، وقد مزّق العراقيّون قميصه

الــذي يُظهــر أنّه من الحرس الثــوريّ، وقد انتــزع العراقيّون جزءًا من شعره ولحيتــه بالكمّاشة. كانت لحيته طويلــة وجميلة. على الرّغم من جراحاته، كان العراقيون يحاولون إهانته والسخرية منه. كان «**صباح**» يدير يده فوق رأسه سائلاً إياه: «**أين عمامتك؟**»، فبعض الحراس كانوا يعتقدون أنّه عالمُ دين، وأنا أيضًا ظننت ذلك. هو رجل هادئ ورصين، وكان عندما يتكلّم يغيــظ العراقيين بشدّة. هو من شباب الحرس، لم يكن،ـ وتحت أيّة ظروف ـ، مستعدًّا لإنكار هذا الأمر.

سأله معاون السجن وهو ملازم أول: «**أنت حرس الخمينيّ؟**»

فأجابه: «**نعم أنا حرس الخمينيّ**».

أكمل الملازم كلامه وكان «**فاضل**» يترجم ما يقوله: «**وهل ما زلت متمسِّكًا بالخمينيّ وأنت على هذه الحال؟**».

أجــاب: «**كلّ واحــد منّا يحبّ قائده، وهل ستقــول لي أنّك لا تحبّ صدام، إن الأسر لا يغيّر العقيدة، بل يقوّيها**».

قــال المــلازم وكان يقضي أوقــات فراغه مناقشًــا الأسرى محاولاً التعرُّف عليهم أكثر: «**إنّك نادمٌ، أنا على يقين من ذلك**».

فأجابه الأسير: «**لم يكن أسر السيّدة زينب** عليها السلام **أقلّ من الشهادة، وأنــا لســت نادمًا على الإطلاق، إنّ هذه الظروف هــي أمورٌ عاديّة في الحرب، وقد تحصل**».

كان الطقســ حارًّا جدًّا. بدأ الحراس يقومون بالاستعدادات لقدوم الضباط من ذوي الرتب العليا إلى السجن. عادةً ما يزور السجن يوميًّا ضابــط أو ضابطان فــي الأيّام الخمســة الأولى بهدف جمــع وتسجيل المعلومات الشخصيّة والعسكريّة عن الأسرى، وفي الأيّام التاليّة لأجل

البحث عن القادة الذين لم يتم التعرُّف عليهم بعد.

أخبر الملازم الأول الأسرى عن زيارة أحد الضُّبّاط من وزارة الدفاع إلى السجن. ووجّه كلامه إلى الأسير الذي كان يتكلّم عن رحلة السيِّدة زينب في الأسر، قائلاً له: «**إذا أردت أن يأمرنا بالاهتمام بك، لا تتشاطر أثناء حضوره وتسعى لإظهار شجاعتك، بل عبّر عن ندمك أمامه، وقل له أنّك نادم، فيشفق عليك ويأمر بنقلك إلى المستشفى**».

وتوجّه الملازم بالكلام إلى بقيّة الجرحى الجالسين والمستندين إلى الجدار، قائلاً: «**أنا أخاطبكم، من يُظهر الندم، سيُنقلُ إلى المستشفى**».

كان يكذب. حتّى لو أعلنّا ندمنا فلن ينقلوننا إلى المستشفى، بل هدف الملازم إذلال الأسرى أمام الضابط؛ لأنّه سيفرح برؤية الأسرى يُعلنون ندمهم. أكمل الملازم قائلاً:

«**في الشهر الماضي، عندما زار هذا الضابط السجن، قام أسيران إيرانيّان بالتعبير عن ندمهما؛ حيث قبّل أحدهما صورة صدّام أمام الجميع، فأمر الضابط بنقله إلى المستشفى**». عندما قال هذا الكلام تيقّنت أنه يكذب، فمن الصعب تصديق أن أحد الأسرى الإيرانيّين يقبّل صورة صدّام وذلك أمام الجميع.

قال له الجريح المازندرانيّ وهو يحني رأسه بوجهه المرهق: «**تريدون إذلالنا، وأن نعرب عن ندمنا، وأن نقبّل صورة صدّام، فهذا أمر مستحيل! إنّنا ملتزمون ببعض المبادئ التي، وإن متنا لأجلها، لن نتراجع عنها، ولن نعلن ندمنا عن تمسُّكنا بها، ومن يعتقد أنّه**

بندمـه وتقبيـل صورة صـدّام سيجعلكم تشفقون عليـه، لهو مخطئ جدًّا».

حــاول الجريح الإيرانيّ، وبكلامه هذا، أن يُفهِمَنا أنّه لن يقوم بهذا العمـل، وأنّه علينـا التنبّه وعدم الوقوع في الخطـأ وألّا نلعب بماء وجه بلادنا وشهامتها.

بعد نصف ساعة، دخل ذلك الضابط السجن، كان رجلاً قويّ البنية، غائـر العينين، وأصلع الرأس، يضع نظّاراتٍ، ويرتـدي بِذلة عسكريّة مرقّطـة بكمّيـن قصيريـن، مناسبة لبنيته تمامـاً. يبدو عليـه أنّه في الخمسينـات من عمره. ما إن دخل إلى الباحة حتّى ألقى نظرة سريعة على الأسـرى وخاصّة المجروحين منهم. عندمـا وصل إلى الجرحى، توقّـف وراح يتأملنا. سأل الجرحى أسئلة متنوِّعـة. لفتت لحية الأسير المازندرانيّ نظره. فوقف أمامه وسأله: «**أنت حارس الخمينيّ؟**»

أجابه: «**نعم أنا حارس الخمينيّ**».

ثم سأله: «**وهل أنت معمّم (طالب علوم دينيّة)؟**»

أجابه: «**لا أنا في الحرس الثوريّ**».

نقـل الملازم للعقيد أنّ هــذا الأسير يعترف علنًا أنّــه ما زال يحبّ الخمينــيّ، وأن الأســر ليس أقلّ مــن الشهادة، ورسالة هــؤلاء الأسرى هــي كرسالة زينب في الأسر. قال العقيــد ـ الذي حاول بلهجة ساخرة واستفزازيــة أن يوضــح للأسير أنّ الإمام الخميني هــو المسبّب الأول لــكلّ الشّدائــد والتعذيب الذي يتلقّــاه الأسرى ـ: «**ومـا الـذي تريدون إيصالـه لنـا هنا في العراق؟ أيـن الخمينيّ الآن ليأتـي لمساعدتكم، مـا الـذي ستفعلونه وأنتم على هذه الحال؟ مـا الذي ستفعله بجراح**

معدتك وأمعائك، هل سيأتي الخمينيّ لمساعدتك؟».

أمّا الجريح الإيراني الذي لا رمَق فيه، شدّ على شفاهه اليابسة العطشى، ابتلع ماء فمه الجاف بالقوّة، وأجاب العقيد: «**لقد عملتُ في الجبهة في التثقيف العقائديّ للحرس، وكنتُ أدرِّس الشباب نهج البلاغة، فقط أستطيع أن أجيبك بهذا الشعر من نهج البلاغة. يقول الإمام عليّ** عليه السلام[1]:

فإن تسأليني كيف أنتَ؟ فإنّني
صبورٌ على ريب الزمان صليب
يَعِزُّ عليّ أن تُرى بي كآبة
فيشمت عادٍ[2] أو يُساءَ حبيبُ.

لم يكن هناك حاجة لترجمة هذا الشعر. وقف العقيد مصدومًا مبهوتًا أمام هذا الجواب وهو ينظر للأسير المازندرانيّ. بدا من منظره أنّه لم يكن يتوقّع جوابًا بهذا الجمال. أحسست به كالبالون الذي انخرم فجأة وفرغ من هوائه. لم يضربوا الأسير، ولم يتكلّم العقيد بعدها مع أيّ أسير.

كان الأسير المازندرانيّ وفي هذا الحرِّ اللاسع، يتلو القرآن. في اليوم التالي، وعند الغروب صمت صوته للأبد واستشهد. لقد كان من المتزكّين والمتكاملين في مدرسة الإمام عليّ عليه السلام، ومن حرس

(1) من الكلمة «36» في نهج البلاغة: من كلمة له إلى عقيل بن أبي طالب. لقد أخرج كلامه الألم من جسدي للحظات. في ذلك الزمن لم يبق في ذهني إلّا الكلمات الأربعة الأولى للبيت الأول: «**فإن تسأليني كيف أنت**» ونسيت ما بقي. لكن عندما تحرَّرت، ولكي أجد الشِّعر، قرأت للمرَّة الأولى نهج البلاغة بشكل كامل إلى أن وجدت هذا الشعر العربيّ. عندما وجدت الشعر تداعت إلى ذهني ذكريات ذلك اليوم. ففهمت مدى أنسه بنهج البلاغة.

(2) عادٍ: عدُوّ.

الإمام الأوفياء. ستبقى جدران وأبواب سجن الرشيد شاهدة على ذكاء هــذا الأسير وشهامته وقدرته على تشخيص العدُوّ دائمًا. كان القرآن ونهج البلاغة يجريان في شرايينه ودمه.

الأحد10 تموز 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

كنــت أعيش فــي أسوأ ظروف ممكنــة، تَوَرّمت قدمــي بشكل فظيع، تمنّيــت الموت فأرتاح من هــذا الوضع، وقد فقــدت الإحساس بقدميّ، كان اســوداد جســدي والتهابه يزدادان يومًا بعد يــوم. مضت أيّام على انضمام حارســ جديد إلى جمع الحرّاس، كان «**صباح**» يناديه «**عُبيد**». و«**عُبيد**» هذا كان حقودًا على الأسرى؛ فقد قال للسَّيِّد «**محمّد شفاعت منش**» الــذي يعاني من كسر فــي قدمه ولا جراح ظاهــرة على جسده: «**أنــت لا تعاني من شيء، هيا قم وامشِ**»، قلت له: «**لقد سَحقتْ إحدى رصاصاتكم عظام رجلـه مـن أعلى الركبـة**». لكنّه لـم يقتنع. لم يكن يَسمــح للأســرى السالميــن الاهتمــام بالجرحــى؛ إذ كان لديه نظرية مفادهــا أنّ الجرحى قد قاوموا وقاتلوا أكثــر ممن بقي سليمًا، وبالتالي قتلوا عددًا أكبر من العراقيّين.

اليوم قــام «**عُبيد**» بفصل «**العـمّ حسن**» عن الجرحــى، ووَضَعَهُ مع الأسرى السالمين.

منذ الليلــة السابقة تزايدت الديدان في جسمي، فقد انتشرت على جســدي وكلّ لباســي. كأنّما مشط قدمي قد مات، وقــد بدأت الديدان تظهــر في جروح قدمي اليســرى أيضًا. كنت متعبًا منهــكًا. لم أستطع النّــوم في الليلــة السابقة. ما إن أُغمِض عينــي، حتّى توقظني الديدان

التـي تتنقل علـى جسدي ووجهـي، وتحاول الدخـول إلى أذنـي. كنتُ أضغط على أذني الخارجيّة باتجاه الداخل؛ كي أسحقها وأقضي عليها. فصـارت هذه الديـدان مصيبة حياتي، كانت صفـراء اللون وصغيرة، وتمـوت لمجرّد الضغـط عليها، تشبه ديدان الأرض، ولكي أمنعها من الدخول ليلاً إلى أذني وأنفي وفمي؛ كنت أسدّ هذه الأماكن بقماش.

ظُهر اليوم، طلبتُ من «**عليّ شير قيطاسي**»، الذي كان في الحرس ومن ضيعتي، أن يساعدني. لقد أُسِر أيضًا في «**موقع الخندق**». معظم الأحيـان لم يكن يتركني في الظروف الصعبـة. عندما كان العراقيُّون يدخلون علينا بالهـراوات والأسلاك، ينادي أسيرًا آخر ليحمياني معًا مـن الضربات. ذلك اليوم، كان «**عليّ**» بمثابة أخ رؤوف بي. كان طيّبًا، فعلى الرغم من رائحة قدمي الكريهة والمزعجة، تصرّف معي بمحبّة وتعاطـف. عندما اقترب منّي قلت له: «**يا علـيّ شير، والله لا قدرة لي على التحمُّل ذرة أخرى**».

لأنَّنـي شعرت بالضعف، أردت البكاء من كلّ قلبي. أزاح «**علي شير**» الديدان عن جسمي ووجهي، وصار يسحقها على الأرض.

انزعـج العريف«**عبيد**» لرؤيته «**علي شيـر**» يساعدني، فقال قاصدًا الإهانـة والإذلال: «**لقـد ظهـرت الديـدان فـي جراحـك وأصبحـت رائحتك كالعفن**».

لـم أكن أتوقّع كلامًـا أفضل من هذا، إنّه عـدوّ، وحاقد. قلتُ له: لا يهـم، يُقال: إنّ النَّبيَّ أيوب عليه السلام أيضًا ظهـر على جسمه الدُّود، ومن نحن أمام النَّبيِّ أيّوب، لا نرقى إلى التراب تحت قدميه!

أمّـا «**حسيـن اسكنـدري**» الذي شهد كلامي مـع العريف «**عبيد**»،

قــال لي: «**يا سيّـد! انتبه. إنّهـم كالشيطـان، الذي كان يلـوم النَّبيِّ أيّـوب عليه السلام ليـزرع الشـكّ والتردُّد فيـه. يريدون بلومهـم هذا، أن يضعفـوا إرادتـك، انتبـه جيّـدًا، لا تضيّع أجـرك أبدًا، كـن ثابتًا، لا تسمح للتردُّد بالوصول إلى قلبك، تأكّد أنّ الله يحبُّك ليبتليك هذا البلاء، لا تنخدع بكلامهم، فتشعر في باطنك بالندم**».

لقد أراحني كلام «**حسين اسكندري**»، الذي كانت حالته سيِّئة جدًّا، بجسـده المحـروق والفقاعات الظاهـرة عليه. لم يكن أقـل ألمًا منّي. أكمـل «**عبيد**» الذي لم يفهـم ما قاله حسين اسكنـدري، فقال: «**أنتم، أيها الشباب، لماذا جئتم إلى الجبهة لتلقون هذا المصير؟**»

- جئنا في سبيل الله ولأجل بلدنا.

- جئتـم في سبيل الله لتقتلـوا العراقيّين؟ وهل طلب منكم الله قتل العراقيّين.

لقـد سئمـت من «**عبيـد**»، لم أكـن أميل للجـدال مع هـذا الإنسان اللجـوج، العاطـل عن العمل، والحاقـد. كم تمنَّيت لـو يتركني ويبتعد. لكنّني لم أُرد وبسبب سأمي من الكلام معه، أن أوافقه الرأي على أمل تركـي والابتعاد عنـي. عندما كرّر سؤاله أجبته: «**إنّ الله لم يقل لنا أن نقتلكم، لكنّه قال لكم: اقتلونا**».

كان هــذا أفضـل جواب قد يقوله شاب في مثـل عمري لعلّه يتركني وشأني، ويكف شرّه عني. ولكي يغيظني أكثر فأكثر قال لي، وبكل برودة أعصاب: «**نعم، لقد طلب الله منّا نحن العراقيّين أن نقتلكم**».

كنـت عطشانًا. لم يكـن وضعي جيّدًا. ولم يبق لي في ذلك الحرّ أيّ رمق؛ كـي أتكلّم كلمة واحـدة. ولشدَّة «**ضربـات الشمـس**» التي لحقت

بـي، لم أعد أحتمل نفسي، فكيـف بتحمّل رجل كـ«**عبيد**». مهما حاولت يومها منـع نفسي من الإجابة، لم أستطع. ولكـي أخفف غيظي وأزيده انزعاجًا، قلت له: «**قال الله لنا نحن الإيرانيّين، اقتلوا من يريد أخذ خوزستان بالقوّة**».

مـع أنّ العريف «**عبيد**» قد ركلني بقوّة على صدري، لكنني أحسست بالراحـة من حِمل ثقيل. لـم يكن «**عبيد**»، وهو رجل حقـود، ليتراجع. مـع أن «**صباح**» كان يناديه لتناول الطعام لكنّه لم يذهب، وكأنّه ما زال لديه الكثير من الكلام ليقوله. قال «**علي شير**» له: «**ألا ترى وضع هذا الجريح، لماذا لا تتركه وشأنه؟ أليس من الأفضل أن تعالجوا قدمه، بـدل الجدال معه؟ فالله ورسوله يوصيان أن تعالجوا أسيركم، لا أن تزيدوا من عذابه!**»

قال «**عبيد**» لـ«**علي شير**»: «**هل تريدني أن أطلب معالجة قدمه؟**»

أجابـه علي شير: «**نكون لك من الشاكرين، فنحـن نعالج أسراكم كما نعالج مجروحينا، لا فرق بينهما**».

كنت متيقّنًا أن عبيد يخدع «**علي شير**»، فقد صدّق ما قاله عبيد.

فقال عندها: هيا قف، وابدأ بالركل والدوس.

تفاجأ «**علـيّ شير**» بكلامه، فاعتقد للحظـة أنّه يمزح معه، تعجبت لهذا الطلـب، لكنّه أعادها مرّة ثانية، فسأله «**علـيّ شير**»: «**أنت تمزح، أليس كذلك؟**»

لكن العريف عبيد، وكان فاضل يترجم لنا كلامه، قال: «**أنا جاد في ما أقول، نحن لا نمزح مع أعدائنا**».

فأجاب علي شير: «**لن أقوم بهذا العمل**».

غضب عُبيد، وكان يريد بالفعل أن ينفذ «**علي شير**» طلبه، فقال: «**عليك التنفيذ؛ لأنّني أنا مَن أمَرَك**».

أجابه علي شير: «**وهل كل ما تقولونه صائب؟ ماذا دهاكم؟**»

اسشتاط عبيد غضبًا ـ ويظهر أنّه غير متوازن من الناحية النّفسيّة ـ، وانهال عليه ضربًا. فقد حُكِم بخمسين جلدة؛ لأنّه رفض ركل قدمي والدوس عليها. مدّده «**عبيد**» تحت تلك الشمس الحارقة على الأسفلت اللاسع وبصدر عارٍ، وانهال عليه ضربًا. في الليل، عاتبته بمحبة: لوأنك ركلت قدمي، فأنا لا أشعر بها منذ مدة.

احتضنني والدمع في عينيه، وقال وهو يمسح على رأسي ويقبِّل جبهتي: «**ما فعلناها يا سيّد**».

الإثنين 11 تموز 1988م ـ بغداد ـ سجن الرشيد

عند ظهيرة هذا اليوم، وبسبب رائحة قدمي الكريهة، أخرجوني إلى باحة السجن، فاتّكأت على حائطٍ آجُرِيّ[1]، بالقرب من شجرة صنوبر، كان وضعي بالنسبة إلى الحرّاس العراقيّين غير قابل للتحمّل، وكذلك بالنسبة للأسرى الإيرانيّين. لم يسمح العراقيُّون «**للعمّ حسن**» ولـ«**علي شير قيطاسي**» بالاهتمام بي. باءت كلُّ محاولات الشباب الحثيثة لإرسال الجرحى إلى المستشفى بالفشل. وقد استشهد الكثير من الجرحى.

عندما كان الجنود العراقيُّون يتنقَّلون في الممرَّات الضيِّقة للسجن، فيقتربون منِّي، يتوقَّفون قليلاً، ينظرون إليّ ثمّ يكملون طريقهم.

(1) الآجرّ مفردها آجُرَّة وهي الطين الذي يبنى به.

ويضطر بعضهم لإغــلاق أنوفهم لتفادي رائحة قدمي. شخصيًّا، كنت منزعجًا جـدًّا من رائحة قدمي المتعفِّنة، والتــي تشبه رائحة الجيفة، ولكنّنــي اعتـدت على هذا الأمـر؛ لأنّها جزء من جسمــي، اعتدت على تحمّل رائحتها.

توقَّفت إحدى سيارات الـ«**آيفا**» العسكريّة أمام مدخل سجن الرشيد، أنزل أربعة من الحراس طنجرة الطعام الكبيرة، ونقلوها إلى الداخل.

اصطـفّ الأسرى صفًّا واحدًا، ليأخـذوا حصتّهم من الطعام. وقف مسـؤول السجــن مــع الحراســ بالقرب مــن «**حلّـة**» الطعـام ليراقبوا كيفيّة التوزيـع. معظم الأسرى في سجن الرشيـد لا يتناولون الطعام، لشـدَّة الحـر والعطش. تقدّم أحـد الأسرى الإيرانيّيـن[1] لأخذ حصّته مــن الطعــام، وكان في الثلاثين من عمره تقريبًــا. وضع مسؤول توزيع الطعــام مغرفة مــن الأرُز وحســاء القُنَّبيط في صحنــه، لكن وبطرفة عيــن، أخـذ الضابط الواقـف هناك الصحن مـن يده، ورمـاه أرضًا، ودفعــه على الحائط، ولكمه بقوّة على وجهه. لـم أفهم ما الذي أرادوه منــه، كنت أريـد معرفة سبب هـذا التصرُّف، فمن النــادر أن يضرب الحرّاســ الأســرى أثناء الطعــام؛ لأنّ لديهـم الوقت الكافـي لضربنا وشتمنا، فكانوا يتوقَّفون عن هذا الأمر أثناء توزيع وتناول الطعام. كان المترجم «**فاضل**» واقفًا هنــاك، عندما دقّقت النظر، عرفت أنّ ما كتبه

(1) فيمــا بعـد رأيته من خلف الأسلاك الشائكة، في مخيم تكريت. هو مــن شباب فرقة 25 كربلاء. يدعى منصــور قاسمــي. وقد أُسر في جزيرة مجنــون الجنوبيّة. رأيته في مقر (الفيلـق) العراقي الرابع في مدينــة «**الميمونـة**». عندما رأيته، أظهرت له افتخاري الكبير بمقاومتـه في ذلك اليوم. فسألته: «**إلى أيـن أخـذوك يومهـا؟ ما الذي فعلوه بك؟ الحمـد لله أنّهم لم يقتلوك. فقال: «بقيتُ عشرة أيّام في الانفرادي. لقد أحرقوني بالمكواة. بعد عشرة أيّام نقلوني إلى سجن الرشيد، وها أنا هنا**».

الأسير علـى كمّ قميصه هو الذي أغضـب العراقيّين. قبل الأسر كتب هـذا الأسير الإيرانيّ على كمّ قميصه عبـارة: «**إن لم تعشق الخمينيّ لن تصبح عاشقًا للمهديّ**».

ظننتّ بدايةً أنّه وَشَم هذه العبارة على زنده. ما إن وقع نظر الضابط علـى اسم الإمام حتّى غضب وثـار، فطلب من الأسيـر الإيرانيّ ـ وهو يعطيه ولّاعته ـ، أن يحرق الجملة التي على كمّ قميصه.

بعـد تأمّـل بسيطٍ، أجـاب الأسيـر الإيرانـيّ: «**إنّ هـذه الجملة لا تضرّكم بشيء**».

فقال الضابط: أحرقها؛ كي نتركك بأمان.

أجـاب الأسير: سأعطيكـم إيّاها وأحرقوها بأنفسكـم، لن أُحرقها بنفسي.

لـم يتراجـع الأسير الإيرانيّ عـن موقفه، وكذا الضابـط العراقيّ، فلـم يكن الأسير مستعدًّا لحـرق قميصه أمام الجميـع. لم يُفلح عناد الضابـط، وقد أصرّ على أن ينفـذ الأسير طلبه أمام الجميع، فبدا من تصرّفـه أنّه يحـاول وبأيّة وسيلة كانت أن ينفّـذ الأسير أوامره. عندما واجه الأسير الإيرانيّ كلّ هذة اللجاجة من الضابط، قال له مرّة ثانية: خـذ القميص وأحرقه بنفسك، فلن أُحرِقـه أنا، حتّى لو أحرقتَ قطعة القماش هذه، لن ينقص شيء من الإمام الخمينيّ.

غضـب الضابط، ركله بشدّة، ورماه تجاه الحائط، ثمّ أمر الحراس بضربـه، فانهالوا عليـه بالركل والكابـلات، أخفضـت رأسي وغطيت عينـي؛ كي لا أرى هذا المشهد. ركله أحد الحراس على وجهه، فسالت الدماء من أنفه. استشاط الأسير الإيراني غضبًا، وهو على هذه الحال،

مرميًّا بالقرب من الحائط، بدأ يصرخ بصوت عالٍ، حاول كثيرًا ضبط نفسه وعدم قول شيء. كان رجلاً شجاعًا مقدامًا. لا أعرف ما الذي حدث، وهو جالس هناك، وضع يده تحت أنفه، كانت الدماء تتسرّب من بين أصابعه، كتب بأصابع يده اليمنى على الحائط أمامه: «**خمينيّ!**»

لم يتصوّر العراقيّون أن يقوم بهذا العمل. في ذلك الوقت، حين كنت أراقبهم، كانوا يقفون مذهولين مصدومين، لم يتوقّعوا هذا الأمر، لا نحن، ولا العراقيُّون توقّعنا هذا التصرُّف منه، مدّدوه على الأرض، وبدأوا يضربونه بأحذيتهم وهراواتهم على رأسه ووجهه، كان وجهه مليئًا بالكدمات ولباسه ملطّخًا بالدماء لشدَّة ما ضربوه، وقع على حافّة الجدار منهكًا بلا حراك، الجدار نفسه حيث كتب بدمه: «**خميني**».

نقله الحراس إلى زنزانة انفراديّة، ثم جاء أحد عمال التنظيف، بيده سطل ماء، وبدأ بإزالة الكتابة عن الحائط.

بالنسبة إليّ، كان مشهداً جميلاً، وأحد أفضل أيّام أَسري. لقد سكّن عمل الأسير الإيراني ألمي ووجعي. خلال الأسر، كنتَ ترى على الألبسة وعلى ظهر القمصان بعض العبارات كـ: مسافر إلى كربلاء، زائر كربلاء، كلّ من يشتاق إلى كربلاء، بسم الله نمضي مع الخميني حتّى الشهادة، أذهبُ لآخُذَ بثأر صفعة الزهراء، ممنوع دخول الرصاص والشظايا، والعديد من العبارات المستقاة من ثقافة الجبهة، والتي كانت تزعج العراقيّين، وفي المقابل تؤذي الشباب [داخل السجن].

في ساعات الليل الأخيرة، دخل ضابطان إلى الممرّ بين الزنزانات، بدأ رئيس السجن بقراءة أسماء عدد من الأسرى الجرحى، وكأنّهم

حقًّا سينقلوننا إلى المستشفى.

الأسـرى السالمون الذين كانوا يعدّون الأيّـام لخلاصنا من سجن الرشيـد، فرحـوا أكثر منـا. قضيـت ستة عشـر يومًا مع هـذه القدم المتعفّنة وأنا أصارع الموت. لم أصدّق أنّهم سينقلوننا إلى المستشفى. قبـل خروجنا من الزنزانـة، حضر بقيّة الأسـرى لوداعنا معبّرين عن فرحهـم. كان «**العم حسـن**» أكثرهـم تأثّرًا وفرحًـا. بكى «**علـي شير قيطاسـي**» مـن الفـرح، قبّلـت جبهته، لـم أستطع أن أمنـع نفسي من البـكاء، قـال «**العـمّ حسن**» لـي: «**يا بنـيّ، هذه دمـوع الفـرح والحزن معًـا. الفرح لنقلكم أخيرًا إلـى المستشفى، عندمـا يقطعون قدمك سترتـاح ويتحسن وضعـك؛ أمّا الحزن فلافتراقنا ومن يدري، قد لا نلتقي أبدًا، لقد اعتدت عليك في هذه الفترة القصيرة**»، قلت له: «**يا عـمّ، إنّنـي أعتبـرك أبًا لي، لـن أنسى اهتمامك ومحبّتـك ما حييت**». فالوجود الأبويّ «**للعمّ حسن**» ظلّلني، فأحسست بالأمان. أكثر من طلب السمـاح منّي هم أولئـك الأسرى الذين ارتطموا مـرّة أو أكثر بقدمي أثناء تنقلُّهم عن غير قصد.

ودّعـت الشباب، الذين لـم أرهم بعد ذلك أبـدًا. صعدنا الإسعاف برفقـة بقيّة الجرحى، خرجت الإسعـاف من سجن الرشيد، لم أعرف إلـى أيّ مستشفـى نحـن منتقلـون، لكـن وبسبب خلاصي مـن سجن الرشيـد، سجّلـت هـذا اليوم الـ11 تمـوز من العـام 1988 في ذاكرتي كأحد أفضل أيّام حياتي.

كنـتُ فرحًا؛ لأنّهـم يخرجونني من سجـن الرشيد. عندمـا أتذكّر الإهانات التي تحمّلتها في «**الميمونة**» في معسكر الفيلق الرابع العراقيّ

وفي هذا السجن، ينقبض قلبي بشدّة. تعذّبني ذكريات اليوم الأوّل في «**الميمونة**». كم تمنّيت لو قُطعت قدماي الاثنتان، وما تعرّضت يومًا لِما تعرّضت له في الميمونة من الإذلال.

في صباح اليوم الأول لوصولنا إلى «**الميمونة**»، عندما وضعونا في ممرّات «**دورات المياه**»، كنت متّكئًا إلى الحائط عند المدخل، دخل أحد الجنود لقضاء حاجته، فتبوّل عَلَيّ، أخفضت رأسي، أغمضت عينيّ، وأقفلت فمي؛ كي لا يدخل البول إلى فمي وعينيّ. أصبح تَذَكُّر هذا المشهد داء روحي، ومصدر انزعاجي وقهري.

الفصل الخامس:

مستشفى الرشيد - بغداد

الإثنين 11 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

دخلت سيارة الإسعاف الرمادية اللون التابعة لمديرية الصحة في الجيش العراقيّ إلى باحة مستشفى الرشيد[1] العسكريّ في بغداد. وقف الحرّاس أمام مدخل المستشفى، وكان على الجرحى الذين يستطيعون الحركة نقلنا -. أنا والسّيِّد «**محمّد شفاعت منش**» -. إلى داخل المستشفى. قام «**هادي كنجي**» و«**نصر الله غلامي**»، وعلى الرغم من جراحاتهما، بإنزال السّيِّد محمّد من الإسعاف أوّلاً، وبينما كنت أنتظر دوري، قام حارسان عراقيَّان بإنزالي، أدخلونا بعد ذلك إلى غرفة في المركز الصحيّ التي لا تزيد مساحتها عن 30 م2، وهناك صلَّيت ركعتين شكرًا لله على خلاصي من سجن الرشيد.

يوجد في باحة المستشفى مبنىً كان يستخدم كمخزن، تمّ إخلاؤه لاستقبال جرحى الحرب الإيرانيِّين. يحيط بالمبنى سور لا يزيد ارتفاعه عن 2م، ويعلو السور شبكة من الأسلاك الشائكة الدائريّة.

---

(1) مستشفى الرشيد في بغداد هو مستشفًى عسكري تحت إشراف مديرية الصحة التابعة للقوات المسلحة العراقية. جميع أطبائها وممرضيها كانوا من العسكريين. يوجد في إحدى زواياها معتقل سري يضم 4 مراكز صحية حيث يعالج فيها الأسرى الإيرانيِّين الجرحى بعيدًا عن أعين الصليب الأحمر الدولي وفي أسوء الظروف.

تبلـغ مسـاحـة المـكان حوالـي 1000 م2، ويضمّ مركزيـن صحيّين منفصليـن مع غرفـة عند المدخـل. كما يضـمّ مركزًا آخـر لجرحى الحرب العراقيّين.

يوجد داخل القسم، إضافة إلينا نحن الستَّة، ثلاثة جرحى إيرانيِّين آخريـن أُحضـروا إليـه بعد ظهر أمسـ. كان أحد الجرحـى يعاني من مشكلة في الرئتين بسبب تعرّضه للقصف بالقنابل الكيميائيّة، فيشتدّ سعاله عند التحدّث؛ لذلك تحاشى الإخوة التحدّث إليه. كما أنَّ شظيّة أصابـت بطنه، وسببّت له التهابات داخليّة، فخـارت قواه كلّيًّا. هو من مدينة «**رشت**» في الشمال على ما أظن.

جريـح آخر مـن مدينة «**مشهد**»، شعـره كستنائيّ اللـون في السنة الخامسـة والثلاثين من العمـر تقريبًا، وقد أصيـب بارتجاج في المخّ جـراء انفجار قذيفة دبابة بالقرب منـه، كما أصيب بشظية في الكتف الأيسر، وأخرى فـي فقرات العنق ما أفقده القدرة على تحريك رأسه. بـدأ بالهذيـان تلك الليلـة، ولا أنسى بعضًا مما قاله فـي هذيانه: «**هيّا تقدَّمـوا.. سـوف أتبعكم مباشرة.. أين جعبتـي؟؟.. يا فيلق الحسين إلـى كربـلاء، أوّلاً يـا حسين ثانيًا يا..**». كان يلتهـب من شدَّة الحمّى، فبـدأ الإخـوة بوضـع كمّادات المـاء على جبينـه. «**هـادي**» كان أفضل الجرحـى حالاً، لذا تولـى مهمة وضع كمادات الماء علـى جبينه. عبثًا حاول، فالحرارة لم تنخفض أبدًا، عندها طلب المساعدة من الحرّاس العراقيِّين، لكن دون جدوى.

جريـح إيرانيّ آخـر يدعى «**أحمد شريفي**»[1] من «**نجـف آباد**»، كان

(1) حالياً لا أعرف شيئاً عن أحمد شريفي.

أكبر منِّي بسنتين أو ثلاث، ظل يئنّ من شدّة الألم حتّى الصباح، عندما كان في قسمنا كان الجرحى القادرون على الحركة يساعدونه في الوصول إلى المرحاض، وقد أعطانا العراقيّون سطلاً ليستخدمه كمرحاض، لكن الإخوة كانوا يحتفظون بمياه الشرب داخله. لشدَّة معاناته من الألم كان يُضطر للصلاة وهو ممدَّد، يا له من فتىً رائع.

«**نصر الله غلامي**»[1] من «**بوشهر**»، كان في كتيبة «**والفجر**»، لواء «**المهدي**ﷻ»، وقد أُسر في جزيرة «**مجنون**»، أصابته رصاصات رشاش «**غرينوف**» في بطنه وظهره ويده اليسرى، نصر الله كان عامل الإشارة لدى قائد الكتيبة.

السّيِّد «**محمّد شفاعت منش**»[2]، من محافظة «**كهكيلوية وبوير أحمد**»، أُسر أيضًا في جزيرة «**مجنون**»، وقد أصابته رصاصة كلاشنكوف، كما أصيب بحروق بالغة بسبب انفجار قذيفة دبابة على مسافة قريبة منه.

«**إسماعيل صولت دار**»[3]، من «**بوير أحمد**»، كان رامي «**آر بي جي**» حاذق وماهر، وقد شارك في ملحمة الخندق المعروفة بـ «**موقع الخندق**»، وسطع نجمه. أصيب إسماعيل بشظية في رأسه أعطبت أعصاب جمجمته ما أدَّى إلى شلّ إحدى يديه.

كان معنا أيضًا الجريح «**خدا خواست**[4] **بزشك**»[5] من «**بوير**

(1) يعمل حالياً في البنك الوطنيّ فرع «**تنكستان**».

(2) تحدثت عنه في الفصل الثاني من الكتاب.

(3) متقاعد من الحرس الثوريّ في قضاء «**بوير أحمد**».

(4) خدا خواست: تلفظ: خاست.

(5) تحدّثت عنه في الفصل الثاني.

أحمد»، وقد جرح ناحية الصدر والقدم.

«**قاسم فقيه**»[1] من منطقة «**خورموج**» في «**بوشهر**»، من كتيبة أبو الفضل العباس، في لواء «**أسطول**» أمير المؤمنين البحريّ، وكان قنّاصًا. ربط العراقيّون يديه بعد الأسر وتركوه ملقًى في حقل القصب في جزيرة «**مجنون**»، وقد أنقذه جنديّ عراقيّ شيعيّ بعد ثلاثة أيّام.

«**هادي كنجي**»[2] من مواليد «**خرمشهر**»، لكنّه نشأ في مدينة «**ماهشهر**»، وقد جرح في قدمه اليمنى. هادي من كتيبة «**الإمام الحسين** عليه السلام **لواء موسى بن جعفر** عليه السلام» في «**ماهشهر**»، وهو الأسير الوحيد من تلك الكتيبة. كان يساعدنا في أغلب أعمالنا على الرغم من جراحه، فهو الوحيد القادر على السير والحركة وتقديم المساعدة، كان حنونًا، رؤوفًا، ومضحّيًا.

تمدّدت في المركز الصحيّ وقد خارت قواي، فلم يعد من أحد يدوس على قدمي المجروحة، سواء أمِنَ الإيرانيِّين كان أم من العراقيِّين.

لم يكن في القسم الصحيّ أكثر من ثلاثة أسرّة، وقد تقرّر تقديم الأسرّة للذين يعانون من جراح بليغة. كانت شراشف الأسرّة ملوَّثةً بدماء من سبقونا، ومع أنّ هادي كان جريحًا مثلنا فإنّه كان يسهر الليل للعناية بنا، نادرًا ما كنّا نراه نائمًا، وفي أغلب الليالي التي لم أستطع النوم فيها من شدّة الألم كنت أراه مستيقظًا.

كان الطبيب المعالج في قسم الجرحى الإيرانيِّين يدعى «**عزيز ناصر**»، وهو رجل نحيل، متوسِّط القامة، ذو شعر أحمر. كما كان

(1) حاليًّا هو مسؤول مخازن دائرة التربية والتعليم في «**خورموج**».

(2) يعيش في «**ايلام**»، ويعمل في مجال الأعمال الحرة.

للقسـم مسؤول أمنيّ بعثيّ، يزوره مرّة كلّ بضعة أيّام، ويدعى «**سعدون فيّاض**»، كان سعدون يكيل الشتائم للإمام، فإن اعترض عليه أحد من الجرحى كان يعيده مباشرة إلى سجن الرشيد حتّى قبل انتهاء فترة العلاج. كان هذا أقلّ عمل انتقاميّ يمكن أن يقوم به.

في أحد الأيّام تشاجر مع جريح في القسم المجاور؛ حيث شتم الإمام الخمينيّ كالعادة، فردَّ عليه جنديّ إيرانيّ بشدّة ويدعى مجيد. «**مجيد**» إنسان غيور، فإنّه كان من أشدّ المدافعين عن الإمام، كان جنديًّا قويًّا وشجاعًا ويعاني من لكنة في اللسان.

مجيد من «**طهران**»، كان جنديًّا في «**فيلق حمزة 21**»، أُسر في «**دهلران**» أو «**موسيان**». أصيب برصاصة في القدم والظهر. كان شابًّا واعيًا، وقد وَشم على ذراعيه وظهره صورة أفعى وتنّينًا وشمعًا وبعض كلمات الحبّ، وعبارة «**الأمّ في القلب**»، كان يردّد كثيرًا عبارتي «**أعزكم الله وحيّاكم الله**»، لا توحي ملامحه وتصرّفاته بأن يكون من أشدّ المدافعين عن الإمام، لكن شهامته وفتوّته كانا يطغيان على سلوكه وتصرّفاته الأخرى. كان من نزلاء القسم المجاور، إلّا أنه كان يقضي معظم أوقاته معنا.

قرّر الضابط الأمنيّ إعادة مجيد إلى سجن الرشيد بسبب دفاعه عن الإمام، وعندما جاؤوا ليأخذوه إلى السجن قال: «**صحيح أنّ مظهري وكلامي لا يُوحيان بذلك، إلّا أنّني إيرانيّ؛ وسوف أدافع عن إمامي على أرض الأعداء، وهل هناك ما هو أشدّ من القتل؟! أنا لن أتزحزح عن مواقفي أينما كنت**».

الأربعاء 13 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

فُتح بـاب المستشفى في الصبـاح الباكر، فدخـل الضابط الأمنيّ «**سعـدون فيّاض**» إلى قسم الجرحى، يرافقـه الدكتور «**عزيز ناصر**». الجريح المشهديّ الذي كان يهذي طوال الليل إثر إصابته بارتجاج في الدمـاغ، ممدّدًا علـى الأرض أمام الباب، وقف سعـدون هناك محدّقًا بجميـع الجرحـى، متقصّيًـا أخبارنا مـن الدكتور. كان وجـه الجريح المشهـديّ ملتصقًا بالأرض بالقرب من حـذاء الضابط، فجأة أمسك بالحـذاء ولكمه عدّة مراتٍ، بدا فاقـدًا صوابه ولم يكن مدركًا ما يقوم به، عندهـا استشاط الضابط غضبًا، وانهال علـى رأس الجريح ركلاً وضربًـا دون رحمـة أو شفقة، فسالـت الدماء من فمـه وأنفه، وتعالت صيحـات الاستنكار من قبل الإخوة، وقال هـادي كنجي لسعدون: «**إنّه مصـاب بارتجـاج في دماغه، وقد فَقَدَ صوابـه**»، لكن الضابط لم يُعِرْه أيَّ اهتمام.

أخـرج العراقيّـون جسـد الجريح من القسـم وهو يلفـظ أنفاسه الأخيـرة، وبعد نصـف ساعة عاد الحارس العراقـيُّ الشيعيُّ ليخبرنا بنبـأ استشهـاده، فتوجـه السّيِّد «**محمّـد شفاعـت منش**» إليه بهذه الأبيات:

غيـر أهـل الفضـائل لا يقتلون والـمـاكـرون الأراذل لا يقتلون
إن كنت عاشقًا فلا تخشى المنون جِيَفٌ من على مذبح العشق لا يقتلون

لا تضميد لجراحنا اليوم، كما أنّ طعام الفطور كان حساء العدس. بعـد الفطور نقلونا إلى الخـارج، كانت تفوح من القسم رائحة العفونة. جعل كلّ من يدخل إليه - أطباء وممرِّضون - يضعون أيديهم على أنوفهم

وأفواههم. أمر الطبيب الممرّضين أن يغسلوا جراحنا الملتهبة بالماء، ولم يكن يهمّهم عواقب ذلك.

على الرغم من الجروح الملتهبة نقلوني قرب صنبور(حنفيّة) الماء، تحت الخيمة التي يركن الدكتور سيارته فيها، هناك أُجبرت على خلع جميع ملابسي ما عدا الملابس الداخليّة. رجوت الممرّضين أن لا يغسلوا جروحي الملتهبة بالماء، وأن يعطوني قطعة من النايلون، أو ما شابه، لأغطّيها بها، لكنَّهم لم يهتمُّوا بأمري.

أمسك حارس القسم خرطوم المياه، وكأنّه ينوي ريّ الحديقة، وعندما رشّ الماء على جراحي اعترض كلّ من «**هادي كنجي**» و«**إسماعيل صولت دار**»، فرد الحارس: «**نحن نريد أن نعقّم له جراحه!**»

فقلت: بالماء؟!!

ما إن وصلت المياه إلى الجروح حتّى سالت وتدفقت الدماء من قدمي.

كل المسعفين في المستشفى من العسكر، وليس فيهم أيُّ ممرِّض أو ممرِّضة، أدركت من خلال تصرّفاتهم أنّه لا خبرة لهم في هذا المجال. فقدمي اليمنى لا ينفع معها العلاج، بل كان يجب بترها، بينما التهب جرح قدمي اليسرى المصابة بشظية، ووجب نزع اللّحم الميت عنه، وقد تصاعدت الروائح الكريهة منه، فقام الممرض باستئصال اللحم الميت بمبضع الجراحة من الجزء الأمامي لفخدي، ومن دون حقني بأيّ مسكِّن للألم، وكانت تلك المرة الأولى التي يُغسل بها جرحي بسائل مضاد للالتهاب.

الخميس 14 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

إنّه اليـوم الثالث لنا في المستشفى، أيقظنا هادي لصلاة الصبح، لكـن عندما ذهب لإيقاظ أحد الجرحـى وَجَدَ أنه قد قضى نَحبه. جاء حارسـان عراقيّان وأخرجـا الجثّة، إلى أين؟ اللّه وحـده يعلم. أخبرنا «**توفيـق أحمد**» فيمـا بعد أنّهم أخذوه إلى مقبرة تقع في محيط مدينة بغـداد، وهي مخصَّصة لدفن جثث الأسـرى الإيرانيِّين. عندما أخذوه بقـي حـذاؤه العسكريّ فـي الغرفة، فأخـذت منه الأربطـة لأصنع بها تقويمًا[1] يساعدني على حساب الأيّام والأسابيع والشهور والسنوات.

تفاقمـت حالة قدمـي وساءت من جـرّاء المياه التـي صُبَّت عليها، وأصبـح من الضـروريّ التعجيل ببترها. الليلـة الماضية **أخبرني أحد الممرّضين بأنّهم سيبترون قدمي هذا اليوم. ولشدة معاناتي وألمي كان بترهـا أسعـد شـيء بالنسبة إلـيّ. القدم التـي شاركتني في كثير مـن المهامّ، عبرتُ بهـا الأنهار والجداول والفيافي**، من حقول قصب نهـر «**أروند رود**»[2]، وجـزر «**مجنون**»، إلى حقـول الألغام ومستنقعات «**شلمجـة**»، مـن ممـرّات الخنادق إلـى الجبـال المكسـوّة بالثلوج في

(1) التقويـم الذي صنعته من أربطة حذاء الشهيد كان يعمل على الشكل التالي: قطعت أحد الرباطين إلى نصفين واستخدمتهما لحساب أيّام الأسبوع والشهور فالرباط القصير لحساب أيّام الأسبوع والطويل لحساب الشهور. كنت أعقد عقدة يمكن حلها بسهوله. ولكلّ يوم من أيّام الأسبوع عدد من العقد تشير إلـى عـدده، فمثلا كنت أعقد ثلاث عقد ليوم الثلاثاء أربع ليوم الأربعاء وهكذا دواليك إلى انتهاء أيّام الأسبوع أي الجمعة، فاعقد حينها سبع عقد، وأحُل عقد الأسبوع كلها آخر ذاك اليوم. لأعاود الكرّة في الأسبوع المقبل، وكذا الأمر بالنسبة للشهور، عقدة لكلّ يوم من الأيّام:عقدة لليوم الأوّل واثنتان للثاني وهكذا حتّى نهاية الشهر. بهذه الوسيلة تمكنت من حساب الأيّام والشهور والسنوات طوال فترة الأسر، وكنت أخبر بها كلّ من يسألني عنها؛ لذا أطلق عليَّ «**محمّد كاظم بابائي**» و«**علي أصغر انتظاري**» لقب «**السّيِّد ناصر تقويم الأسرى**».

(2) أروند رود: تلفظ: Arvand roud.

«كردستان». **كم قضينا معًا أحلى الأوقات وأصعبها، وفي مختلف المهمّات والعمليات، القدم التي تعرّضت مرارًا وتكررًا لخطر القطع والبتر، القدم التي عمِلَت على نزع الألغام لمدة سنتين من الحقول والأودية والمرتفعات، القدم التي أصابتها عشرات الشظايا** في حقول الألغام في مرتفعات «**شاشوي كردستان**»، القدم التي عبرت مرتفعات «**آلاغلو**»، «**شاشو**»، «**كردرش**»، «**كامو**»، «**كوجار**»، «**قاميش**»، و«**ياغ سمر**» في شتاء عام1987، حيث بلغت درجة الحرارة 15 درجة تحت الصفر.

كم تحمّلت هذه القدم الحرّ والبرد أينما كنت، لم تتأفّف أو تتذمّر مهما أتعبتها، رافقتني كصديق وفيٍّ على الدوام، لكن لشدَّة ما عانيت من الألم لم أعد أطيقها. القدم التي تحمّلتني كلّ هذه السنوات لم أعد قادرًا على تحمّلها الآن. رافقتني إلى أيّ مكان شئت، لم تعصني يومًا، أقرّ وأعترف بأنّني كنت لها رفيق منتصف الدرب. لكن منذ أكثر من عشرين يومًا وأنا لم أعد أطيقها، كم رغبت في فصلها عن جسدي لتذهب في سبيلها، قصَّتي معها قصّة آلام وعذابات، **ستدفن قدمي اليوم بين نفايات المستشفى. كم تخطر على بالي، وفي خلواتي ذكرى تلك القدم التي بقيت هناك.**

قبل الظهر حملني جنديّان على حمّالة إلى خارج القسم، وقبل أخذي إلى غرفة العمليات قلت لرفاقي: إنّ هذا اليوم هو أَسعدُ أيّام حياتي، اليوم الذي سأستطيع النهوض والسير والحركة إلى حيث أشاء، اليوم الذي سأودّع فيه أوجاعي، مع أنّه يُقال: إنّ الألم للرجال.

انتظرت حوالي الساعة خلف باب غرفة العمليات، وقد أغمض

العراقيّـون عيني كي لا أرى ما يدور حولي. فـي ممر المستشفى غطّوا رأسـي بالقماشـ وأنا ممـدّد على الحمّالـة. وكلّ من يمـرّ ويصادفني يسـأل الحرّاسـ المرافقين عنّـي. كم تمنّيت لو تُبتـر قدمي في إحدى مستشفيـات وطني، وأن تدفن في ترابه، وتداعت إلى مخيّلتي ذكريات الأيّام التي قضيتها في مستشفى «**لقمان الحكيم** »[1] في «**طهران**».

على رغم الظلم الذي لحق بنا، وعلى رغم كلّ مجازر البعثيّين، كنت أقول لنفسي: إنّ بقـاء قِطَعٍ من أجسادنا في تراب العراق لأهون بكثيرٍ مـن بقاء شبرٍ واحدٍ من تراب الوطن بيد هؤلاء الأعداء. عندما دخلتُ غرفـة العمليـات، وقبـل أن يتمّ حَقنـي بالمخدّر، قامـوا بنزع عظامي المهشمة من قدمي بواسطة المقصّ، فعضضت شفتيّ من شدّة الألم، لم أرغب بإظهار ضعفي أمامهم، كان بإمكانهم فعل هذا بعد التخدير، لكنّهـم لم يفعلوا. أعلـم أنّني توقّعت أكثر ممّا ينبغـي توقُّعه من عدوٍّ هـذا، توقّعت أن يتصرّفوا كالدكتور «**أميـري**» الجراح المتخصِّص في مستشفى«**لقمان الحكيم**».

(1) فـي ربيـع عام 1987 عندمـا كنـت أزرع الألغام في محيـط موقعنا العسكـريّ أُصيبت قدمـاي بجروح، فنقلـت إلـى مستشفى «**توحيد**» في «**سنندج**»، ومن هنالك نقلت مع عدد آخر من الجرحى بالطائرة من «**كرمانشاه**» إلى مطار «**مهرآباد**» في طهران، ومنه إلى مستشفى «**لقمان الحكيم**». هناك ساعدني أحد الأشخاص الذين التقيتهم في إخبار خالي المقيم في طهران عن وجودي في المستشفى، فجاء أخوالي الثلاثة لعيادتي في الليلة نفسها واكشفت حينها أن الممرضة مسؤولة القسم السّيِّدة «**رفعت رخشا**» هي زوجـة خالي الأكبر «**بهزاد**». أخيرًا لم أعد اشعـر بالوحدة التي شعرتها في الأيّـام الأولى لقدومي إلى المستشفـى، وبعد إجراء العمليّـة الجراحيّة كانت السّيِّدة «**رخشا**» تهتمّ بـي كالأمّ الحنون، وقد أصرّت علـى اصطحابـي إلى منزلهم، والبقاء في طهـران، ومتابعة دراستي، وعدم الذهـاب إلى الجبهة. لكن عندمـا تماثلت للشفاء أصرَّيت عليهم شراء تذكرة سفر بالحافلـة إلى شيراز، فوافقوا بشرط أن أعود إلى بلدتنا وأتابع الدراسة هناك، طلبت منهم أن لا يبقوا معي في محطة الحافلات، وما أن رحلوا حتّى استبدلت البطاقة إلى الأهواز، وانتقلت من هناك مباشرة إلى كردستان (إلى حيث أصبتُ). كم تمنّيت اليوم لو كنت في مستشفى لقمان الحكيم ليقوم الأطباء الإيرانيّون ببتر قدمي.

كان الطبيب الذي نزع العظام المهشّمة كهلاً، نحيلاً وأسمر البشرة، ويقارب الستّين من العمر، بينما الطبيب المساعد كان شابًّا ضخمَ الجثّة في الأربعين من العمر على ما أظن، وهو من قام ببتر قدمي. في اليوم التالي، عندما جاء إلى القسم برفقة الدكتور «**عزيز ناصر**» أخبرني بأنّ قدمي هي القدم الثالثة التي يبترها حتّى الآن، ثمّ ذهب نحو الأخ: «**محمّد كاظم بابائي** »من«**يزد**»، فهو أيضًا من بتر له قدمه، لكن «**محمّد كاظم**» أخبرنا بأنّه كان يمكن معالجة قدمه بالبلاتين فحسب.

يقوم الطبيب الشابّ بمتابعته دراسة الطب إلى جانب التطبيق العمليّ من خلال إجراء العمليات الجراحيّة للأسرى الإيرانيِّين الجرحى، كانت أولى عمليّاته الجراحية هي بتر أيدي وأرجل الجرحى الإيرانيِّين. لقد أخبرنا هو بنفسه بذلك.

قبل أن يتمّ تخديري أعطى الطبيبُ المسنُّ التعليمات اللازمة للطبيب الشابّ. استعدتُ وعيي على السرير النّقّال، فكانت تلك اللحظة التي حرّكت فيها قدمي تحت الغطاء من دون ألم، من أفضل لحظات عمري، فقد ارتحتُ من العظام المهشَّمة، ومع أنّ الحياة بقدم واحدة في الأسر صعبة جدًّا. فإنّ ذلك اليوم كان من أفضل أيّام حياتي.

الجمعة 15 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

لم أنم الليلة الماضية حتّى الصباح من شدّة الألم، كان حارس القسم يأتي مرارًا إلى النافذة ليأمرني بالسكوت قائلاً: «**اسكت قشمار**» [اسكت يا محتال].

من اليوم الأوّل للأسر وأمعائي لا تعمل كما يجب، كما أنّهم استخدموا أنبوب «**القسطرة**» لإخراج البول من مثانتي. الليلة الماضية تشاجر «**هادي كنجي**» مع الممرِّض المناوب، فقد طلب منه إعطائي المسكّن لتخفيف ألمي، لكن الممرِّض رفض ذلك، ووجّه إليه السُّباب والشتائم. من الجيِّد أنّ «**هادي**» إنسانٌ صبورٌ ومتعقّلٌ فلم يتشاجر معه.

حاول الإخوة الاهتمام بي قدر الإمكان، ففي المستشفى يقدِّمون كوبًا واحدًا من الحليب لكلّ ستة جرحى. «**هادي كنجي**» و«**إسماعيل صولت دار**» كانا يقدِّمان لي حصتهما من الحليب.

فقد جرت العادة على أنّه عندما يخضع أحد الجرحى لعمليّة جراحيّة فإنّ باقي الإخوة يقدّمون له حصصهم من الحليب. ولمّا شكرتهم على تضحياتهم، نظر إليّ هادي، وقال: «**هذا أقلّ شيء يمكن أن نفعله لأجلك**».

لقد اعتدت على الإخوة، وأنست بهم. قال لي «**هادي**» في إحدى المرّات: «**يا لسعادتك يا سيّد، فقدمك سبقتك إلى الجنة، افعل شيئًا لتلحق بها أنت أيضًا**». كان مزاح هادي يحمل في طيّاته الكثير من العبر والرسائل. ثمّ تابع قائلاً: «**لديك قبران يا سيّد، قبر لقدمك، وقبرٌ لك، لا أحد يعلم عندما تموت، إن كنت ستلحق بقدمك إلى الجنة، أم أنّها ستلحق بك إلى جهنم**». كان يدفعني مزاحه، الذي يحمل الكثير من المعاني الخفيّة، إلى التفكير مليًّا في سلوكي، ومراقبة أهواء نفسي، فكنت أقول لنفسي: «**إن سرتُ على درب الصواب والهداية فسأصل إلى قدمي اليمنى وإلّا فلا!**».

جاء الدكتور هذا اليوم باكرًا برفقة الطاقم الطّبّي، سألني الدكتور

عما إذا كان بتر قدمي قد أزعجني!!

ولكي أُفْهِمُه أنَّني لست منزعجًا على الإطلاق، قلت له: «**لقد ارتحت من قصّ خمسة أظفار**». ما إن قلت هذا حتّى تعالت ضحكات الإخوة.

كانت تصرّفات الممرِّضين العراقيِّين تنمّ عن حقد دفين؛ فقد جاء اليوم ممرضان لتغيير ضمادات الجرحى، وكانت صرخاتهم تتعالى مع سلخ اللاصق، والضمادات، وغرز المقص في الجروح. هذان الممرِّضان لم يكن لديهما أدنى استعداد لوضع سائل «**البتادين**» على الجروح قبل نزع الضمادات، وفوق ذلك لم يسمحا لنا بنزعها بأنفسنا. أحدهما كان من تكريت مسقط رأس صدام، ويدعى «**خالد**»، كان ينزع الضمادات بعنف شديد، بحيث ينسلخ معها قطع اللحم، فينزف الجرح مجدّدًا ويتعالى الأنين. صحيح أن الممرِّضين لم يكونوا مسلّحين لكنّهم كانوا يفرِّغون حقدهم وغضبهم من خلال نزع الضمادات وغرز المقصات، ممّا حدا بقاسم إلى القول: «**إنّ جرح الرصاص لأهون بكثير من مقصّاتكم**». في الأيّام الأولى كانوا يستخدمون حقنة واحدة لحقن عدّة جرحى، وعندما اعترضنا، ولم نسمح لهم بحقننا، تراجعوا عن ذلك.

خرجتُ بعد الظهر إلى باحة المستشفى لأتنشّق بعض الهواء النقيّ، وهناك التقيت بأسير يدعى «**لطيف دهقان**»، «**لطيف**» شابّ إيرانيّ عربيّ من مدينة «**ماهشهر**» الإيرانيّة، أُسر في «**الفاو**»، وهو شاب أبيض البشرة، بهي الطلعة، ممتلئ الوجه، واسع العينين، محبوب وحيِيّ، كان نزيلاً في القسم المجاور لنا، ومهمّته الترجمة للدكتور «**عزيز ناصر**» والممرِّضين في القسم المجاور لقسمنا.

بينما كنت أجلس في فيء سقف موقف سيارة الدكتور، جاء «**لطيف دهقان**»، وجلس بقربي. أحببته من المرة الأولى، وكأنَّني أعرفه منذ أمد بعيد، ربَّت على ظهري، وقال: «**جُعلتُ فداءَ كلِّ** «**سيِّد**» شريف النسب». لدهقان تجارب عديدة ومفيدة، اكتسبها في الأسر. كان عاقلاً ومتّزنًا. وطوال فترة إقامتنا في المركز الصحيّ كان يساعدنا في حلّ مشاكلنا، فقد استطاع من خلال علاقته الجيِّدة مع الدكتور «**عزيز ناصر**»، والممرِّضين والحرّاس، أن يقدِّم لنا النصائح على الدوام.

هذه بعضٌ من النصائح التي قدمها لطيف لي اليوم:

«**.. لا ينبغي أن تخبر أحدًا عن طبيعة مهمّتك، ورتبتك، واحتفظ بذلك لنفسك، فكلُّنا هنا أسرى. لا تثق بالعراقيِّين حتّى لو عاملوك بلطف؛ جلّ سعيهم الحصول على معلومات منك، لذلك تراهم يتوسّلون بشتّى السُبل للوصول إلى هدفهم، يصادقونك ويصاحبونك، وحتّى أنّهم يشتمون صدام أمامك لتركن لهم، وتعتقد أنهم معارضون له، كل ذلك لأجل الحصول على معلومات منك، وللتعرّف على القادة. لذا الأفضل لنا جميعًا أن لا نَطَّلِع بعضنا على رتبة بعض أو مهمّته، وهكذا لن يتسبّب أحدنا بالأذى والمشاكل لغيره**».

كلام «**لطيف**» كان حصيلة تجارب واسعة، استمعت إلى نصائحه بدقة وعملت بها.

شعرت منتصف الليل بعطش شديد، فالإخوة ـ بسبب عملية البتر ـ لم يقدّموا لي الماء. كان الجميع نيامًا، حتّى «**هادي كنجي**» الذي كان

يقضــي معظم الليالــي مستيقظًا. حاولــت بمفردي الوصــول إلى إبريق الماء الذي كان على حافّة النافذة، وقد ذهب عن بالي عملية بتر قدمي، نهضت ووضعــت قدمي اليسرى على الأرض، وما إن حاولت وضع قدمي اليمنى حتّى هويت أرضًا، وصرخت من شدّة الألم، أيقظ صُراخي جميع الجرحــى من النوم، حتّــى الحارس الليلي «**غانم حســان**» الذي قفز إلى النافذة ليستطلع الأمر.

الشعــور بأنّ قدمي ما تزال موجودة سبّب لــي الكثير من المشاكل، هويتُ فارتطَمَت قدمي المبتورة بالأرض، فتمزق الجرح ونزف مجدّدًا. أخــذ «**هــادي كنجي**» برأســي ووضعه في حجره، ومن ثــمّ مدَّدني على السريــر، وقال: «**أخــي العزيز، سيّـدي، إن احتجت لأيّ شــيء فاطلبه منّــي؛ فإنّ شعــورك بالقدم سيرافقك لوقت طويــل، فاحذر أن تؤذي نفسك**».

السبت 16 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

مضــى خمســة أيّــام على وجــودي فــي المستشفى، وقــد غيّروا لي الضمــادات قبل ظهر اليوم. سمعنا مــن العراقيِّين أن الجيش العراقيّ تقدَّم شرق مدينة «**مهران**»، ودخل الحدود الإيرانية. ما زلت أذكر بعض عناويــن صحيفــة القادسيّة: «**إلى الأمــام والله معكم يا جنــد صدّام**». تقــدّم حارســان جديدان منّــي، وضعاني علــى «**الكرسيّ المتحرّك**»، وقامــا بتغطية رأســي بقماشة بيضاء، ثمّ دفعاني إلــى الخارج، لم أدر وجهة السير إلى أين، كان كلّ من يمر بجانبي ويعلم أنَّني أسير إيرانيّ يكيل لي السُباب والشتائم، «**شلونك يا حمار**»، و«**مرحبا يا عجل**».

انتظـرت حوالي نصـف ساعة في ممـرٍّ مزدحم، إلـى أن أدخلوني إلى غرفة، وهنـاك نزعوا القماش عن رأسي. قـدّم الحارسان التحيّة العسكريّـة، ثـمّ انصرفـا. في الغرفة جلس عسكريّان خلـف الطاولة المواجهة لـي، أحدهما برتبة مقدَّم، كان في مقتبل العمر، كثيف شعر الرأس والشاربيـن، ويرتـدي بِذلة عسكريّـة خضراء اللـون، قصيرة الكمّين، والآخر كان كهلاً في الخمسين ونيِّف، ضخم الجسم، ملامحه تشيـر إلى أنّه إنسان عطـوف، ولم يكن يحمل أيّة رتبة عسكريّة. عُلِّقت خلـف الجنديّان صورة الْتُقطت لصدام عندمـا كان شابًّا، وإلى جانبه «**ميشـال عفلـق**» مؤسِّس حزب البعـث. أسفل الصـورة خُطّت العبارة المعروفـة» حزب البعـث العربيّ الاشتراكـيّ، أمةَ عربيّـةَ واحدةَ ذات رسالـة خالدة »، وإلى جانب العسكريَّين، جلس مترجم إيرانيّ، يرتدي بذلـة رماديّة اللـون، أنيقةً، يبدو مـن لهجته أنّه من مدينـة «**شيراز**». أعتقـد أنّه من جماعة «**المنافقين**»[1]. نهضـ المقدَّم من مكانه، صبّ الماء في أحد الأكواب، وقدَّمها لي قائلاً: «**تفضّل اشرب الماء**».

- شكرًا لست عطشانًا.

أشعل المقدَّم سيجارته الطويلة بالقداحة، ثمّ قال: «**سيجارة** »؟

- شكرًا لست مدخّنًا.
- هل تشرب الكحول؟
- نحن التعبئة لا نشرب الكحول أبدًا.

كانت هـذه أوّل مرّة ألتقي فيها عراقيًّا يتصرَّف بلطف ورأفة. تولّى المترجـم ترجمة كلام المقدَّم الـذي أردف قائلاً: «**لقد بُترت قدمُك**

(1) جماعة المنافقين: أفراد منظمة مجاهدي خلق .

فأصبحت معوّقًا، يؤلمني رؤية أولاد في مقتبل العمر، وهم على هذه الحال. لا أدري كيف أنّ قلب الخمينيّ يطاوعه في نزع أولاد صغارٍ مثلك من أحضان والديهم؟!»

بعد أن نفث دخان سيجارته، تابع قائلاً: «**أليس من المؤسف أن تصبح على هذه الحال وأنت ما تزال صغيرًا؟**» لم أكن أفهم قصده في البداية، لكن من الواضح أنّه كان يهدف إلى أمر ما من خلال تلك الكلمات. مهما يكن فقد كانت بدايةً موفقة لخداع «**الأولاد**» أمثالي، فقد ضرب على أوتار حسّاسة.

تابع المقدَّم كلامه قائلاً: «**نظرًا للحال التي أنت عليها يجب أن يُطلق سراحك، وأن تعود إلى إيران، فإذا كنت عاقلاً يمكنك التخلّص من الأسر والعودة إلى وطنك، لكن بشرطٍ واحدٍ**». عندما سمعت كلامه عن الحرية والعودة إلى إيران غلى الدم في عروقي، إنّه حلمي،«**أنا وإيران ثانية؟!**» فسألته دون أيّ تفكير: «**أيّ شرط؟**»

افترّ عن ثغره بابتسامة ماكرة، وقال: «**إجراء مقابلة تظهر فيها ندمك، وتقول إنّهم أجبروك على الالتحاق بالجبهة، قل: إنّ حرس ثورة الخمينيّ يقتلون الأسرى العراقيّين في الجبهات، في المقابل تحدث عن معاملة العراقيّين الحسنة لكم، هذا كلّ شيء**».

لقد نال منّي، ظننت من البداية أن يكون هذا هدفه فسألت نفسي: «**لكن لمَ أنا؟**»

لا أدري لمَ اختارني أنا من بين كلّ هؤلاء الأسرى، تلاطمت الأفكار في رأسي، الجيّدة منها والسّيئة، كنت أفكّر بالجواب المناسب حين قال الجنديّ الكهل: «**بنيّ، لقد أتتك فرصةً نادرةً فلا تضيّعها من يدك**».

كان، العراقيّون يتحدَّثون بطريقة تجعل ضعاف النفوس يُذعنون لهم، بالطبع كنت أتمنى العودة إلى وطني، لكن عزيزًا وليس مُهانًا.

تابع المقدَّم: «**خلال الأيّام القادمة سيتمّ إطلاق سراح عددٍ من الأسرى المرضى والمعوّقين، وأنت من بينهم، لقد صدرت الأوامر بهذا الشأن، لكن بالشرط الذي أخبرتك عنه**».

كانت أصداء كلامه تتكرَّر في ذهني، إظهار الندم، معاملة العراقيِّين الحسنة للأسرى الإيرانيِّين، ومعاملة الإيرانيِّين السيِّئة للأسرى العراقيِّين. في الحقيقة لم أكن لأحتمل قول كلّ هذا الكذب، لكن لا أعلم لِم لَم أستطع مواجهة المقدَّم بالأمر.

حينها سألت المقدّم العراقيّ: «**هل كلّ من يريد الحرية عليه أن يجري هذه المقابلة، وأن يقول هذا الكلام؟**»

- لا، فقط الأولاد الصغار الذين هم في مثل سنِّك.

احترت بم أجيب، ثمّ أضاف: «**الأمر ليس بحاجة إلى التفكير، إنّها الحرية، جُلّ ما عليك فعله هو إجراء المقابلة، وتكرار الكلام المُدوّن في هذه الورقة**».

أدركت من كلامه أنَّ الأسرى المعوقين والجرحى الذين هم في مثل سنّي سيكونون الضّحية والطّعم، أرادوا بذلك إصابة هدفين بحجرٍ واحدٍ؛ لهذا لا يجبرون الأسرى الأكبر سنًّا على فعل ذلك.

كان قلبي يخفق بشدّة، نعم أرغب كثيرًا بالحرية، مع العلم أن لا ضمانة لتنفيذ العراقيِّين لوعودهم. كان الشيطان يوسوس لي. كنت أريد الذئب والعنب معًا[1]، الدنيا والآخرة معًا. لكن لم أشأ الوصول إلى

(1) مصطلح يعني «**كلا الأمرين**» ويقصد بهما العزّة والحرية.

ذلــك بإراقة ماء الوجه، أو بجلب العار لي ولبلادي، كنت أعلم أنّ هذه المقابلــة ورقةٌ إعلاميةٌ رابحةٌ بيد العدوّ من أجـل أن يقدّم لي المقدَّم إثباتًا على حُسن نواياه، ووعوده، سألني عن مكان ولادتي :

- من أيّه محافظة أنت؟

- من محافظة «**كهكيلوية وبوير أحمد**».

وبينمـا كان يقلّب الأوراق علـى الطاولة كرَّر اسم محافظة (كوكيلوي أحمد)[1]، ثمّ أخرج لائحـة من داخل إحدى الملفات، وقرأ أسماء ثلاثة أشخاص من المحافظة نفسها، والذين كما يدّعي سوف يُطلق سراحهم.

فقـرأ أسماء: «**أحمـد سعيـدي**»، «**سلمـان غلامي مقـدّم**»، و«**عبد المجيد محمّدي فر**».

صدّقته فـي البداية، فأنـا أعرف اثنيـن منهم، «**أحمـد سعيدي**»، و«**سلمـان غلامـي مقـدّم**»، أُسـر الاثنان فـي جزيرة «**مجنـون**»، وقد رافقنــي أحمـد طـوال رحلة الأسـر من الجبهـة الأماميّـة حتّى سجن الرشيد، لكنّني لم ألتق «**عبد المجيد محمّدي فر**» من قبل.

تابـع المقدَّم كلامه قائـلًا: «**لقد صدر أمـر إطـلاق سراحك أنت وهؤلاء الثلاثة، والآن الأمر يعود لك وحدك**».

كان الشيطـان يوسوس لي، فيقول: «**يـا سيِّد، اغتنـم الفرصة، قم بإجـراء المقابلـة، وعُد إلى إيـران، لمَ التردُّد؟! فليذهـب ماء الوجه إلـى الجحيـم، إن لم تغتنم هذه الفرصة للتخلُّص من هذا الجحيم، فقد لا تسنح لك ثانية**». كانت الأفكار تتدافع في رأسي، فقطع المقدَّم عليّ حبل أفكاري، ووضع نص المقابلة بين يديّ.

---

(1) لم يكن العراقيون يجيدون لفظ اسم المنطقة بشكل صحيح.

كانت الأسئلة مدوّنةً على صفحتين- وباللغة الفارسيّة -. قرأتها بكلّ تَمَعُّـنٍ ودقةٍ، كان لديّ فكـرة عن طبيعة هذه الأسئلـة، وعندما قرأتها تيقّنت من صحة حَدْسي.

انشغلـت بقراءة الأسئلـة، فقال لي المقدَّم: «**إن كنـت تخاف العودة إلـى إيـران بعـد إجـراء المقابلـة يمكنـك طلـب اللجـوء، والبقاء في العراق**».

كان جواب السؤال حول سبب مشاركتي في الحرب على الشكل التالي: «**أصـدر آيـة الله الخمينـيّ قائـد إيـران، فتـوى بوجـوب المشاركة في جبهات القتال، وأن لا حاجة لأخذ الإذن من الوالدين؛ لذا أحضروني أنا وزملائي في المدرسة مرغمين إلى جبهات القتال دون إذن أولياء أمورنـا**». أمّـا جواب السؤال حـول معاملة العراقيِّين لنـا، فكان ما يلي: «**كانـت معاملـة العراقيِّين لنـا جيّدة، حتّى عندمـا أسرونا في الجبهة الأماميـة، قدمـوا لنا الماء والطعـام، ومن ثمّ نقلونا بـكلّ احترام إلى خلـف جبهات القتال، ونحن الآن فـي مستشفى الرشيد في بغداد، في حيـن أنّ حرس ثـورة الخمينـيّ يعاملون الأسـرى العراقيِّيـن بقسوة شديدة، فهم يُطلقون النار عليهم بعد الأسر، ويظلمونهم كثيرًا**».

وحـول إذا مـا كنّا نادمين على المشاركة فـي القتال، كان الجواب: «**أنا، ومن هم في مثل سنّي، لم نوافق أبدًا على المشاركة في الحرب، لكـن الحرس الثوريّ غرَّر بنا، وأحضرنا إلى الجبهة بالقوَّة. أنا نادم كثيـرًا علـى مشاركتـي في القتـال، وحزين جدًّا؛ بسبـب البلاء الذي أصابني**».

عندمـا قـرأت نصِّ المقابلة، تأثّـرت، وغضبت كثيـرًا، وأدركت ما

علـيّ قوله. أبعـدت وساوس الشيطان عني، تشجّعـت، وقلت، للمقدم، بكثيرٍ من الهدوء، وببـرودة الأعصاب: «**لقد قرأتُ هذه، [في إشارة إلى الإجابات]، صحيح أن عمري 16 عامًا فحسب، وربما أنا بنظركم مجـرد ولدٍ صغيرٍ لا يفقه شيئًـا، إلّا أنّني لا أنكر بأنّني مجاهد، وقد اعترفـت بذلـك أثنـاء التحقيـق، وفـي إيـران لا يجبـرون أحـدًا على الذهاب إلى الجبهات، ولم يذهب من هم في مثل سنّي إلى الجبهات دون إذن الوالديـن، فالمركـز فـي المسجد، لا يسجّـل أسماءنا إن لم نُحضر لهم استمارة الموافقة الموقّعة من الوالدين**».

- تعني أنّك لا تريد العودة إلى إيران؟

- بلى، أتمنّى ذلك كثيرًا، لكن ليس بهذه الطريقة، لقد فَقدت أخي في الحرب، كما فَقدت قدمـي، وفوق هذا أُسرت، عليكم أن تنصفوني إن فكّرت بحفظ ماء الوجه.

- أنـت لا تعي مـا تقوله، ولا ما تفعلـه، فقد لقَّنـك الحرس الثوريّ للخمينـيّ هذا الكلام، لقد سيطر الخمينيّ علـى عقلك، اللعنة عليك، أيّها الأحمق.

حاولت أن لا ألتفت إلى ما يقوله، لكن عندما بالغ في تحقيري تابعت: «**لقـد أُوذيـتُ كثيرًا خـلال هذه المـدة، يشهد الله أنَّنـي زوّرت بطاقة الهويّـة، وزوّرت تاريـخ ولادتي؛ كي أتمكّن مـن الالتحاق بالجبهة، إن كان هناك من مذنبٍ في هذه القضيّة، فهو أنا**».

سمـح العراقيّون لـي بالعودة إلـى المركز الصّحّـيّ، وعندما كنت أهـمّ بالخروج من الغرفة، قـال لي المقدَّم: «**كان سيطلق سراحك مع**

زملائك[1] لكنّك لم تشأ ذلك».

سُررت لأنني واجهت أشخاصًا منطقيِّين، ولو بالظاهر، فلم يتعرّضوا لي بالأذيّة، الأذى الوحيد الذي سبّبوه لي أنّهم أرسلوني إلى معتقل أسرى «**مفقودي الأثر**»، وليس إلى معتقل الأسرى الجرحى. عدت إلى المركز الصحيّ، وكنت أعلم بأنّ «**قاسم فقيه**»، من بلدة «**خورموج**» في «**خرمشهر**»، سيكون ضحيةً مناسبةً لهم، فقد كان في مثل عمري، ما إن وصلت إلى المركز حتّى أخبرت «**قاسم**» بما جرى، وطلبت منه أن لا يقع ضحية مكرهم. «**قاسم**» إنسانٌ بسيطٌ، وقليل الكلام، لكن في الوقت نفسه غيور وملتزم. بعد ساعة، عاد «**سعدون فيّاض**» ضابط الاستخبارات في المعتقل مع اثنين من الحرّاس، وأخذوا «**قاسماً**» إلى غرفة الدكتور «**عزيز ناصر**»، لقد أخبرهم «**قاسم**» أيضًا بأنّه زوّر بطاقة هويته، ليتمكَّن من الالتحاق بالجبهة.

لم يفهم العراقيّون أيّ خِدع استخدمها الأولاد الذين هم في مثل عمري، ليتمكَّنوا من الالتحاق بالجبهة، وتداعت إلى ذهني ذكريات صيف 1984م، حينما هربت أنا و«**كرامت**» من المنزل لنلتحق بجبهات القتال[2].

---

(1) أسرت مع «**أحمد سعيدي**» و«**سلمان غلامي**»، من بلدة «**سوق**» من توابع «**كهكيلويه**» عام 25 تموز 1988 في جزيرة «**مجنون**»، وقد أُطلق سراحهما بعد 6 أشهر من الأسر؛ بسبب شدّة جراحهما، كما أطلق سراح «**عبد المجيد محمدي**» في التاريخ نفسه من دون إجراء المقابلة، ذلك أنهم كانوا أكبر سنًّا مني، وهذا لا يساعدهم على تحقيق أهدافهم الإعلاميّة..بينما حذف اسمي من لائحة المفرج عنهم.- (وذلك باعتراف العراقيّين أنفسهم) -؛ لرفضي إجراء المقابلة.

(2) لقد هربت من المنزل برفقة زميلي في المدرسة «**كرامت محمّدي**» الذي استشهد أخوه. حاولنا كثيرًا الالتحاق بالجبهة، لكنّنا لم نفلح لصغر سننا، فقرّرنا أن نجرب حظنا في مدينة شيراز، فكنّا.-ومن أجل الحصول على ثمّن بطاقات السفر بالحافلة إلى المدينة. نبيع البلاستيك في شارع الشهيد «**بلاديان كجساران**». وفي أحد الأيّام، رأيت أخي «**السّيِّد نصرت الله**»، وكنت منزعجًا منه؛ لأنّه لو شاء لاستطاع

الأحد 17 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

كان قلبـي يتألّـم من أجل «**قاسـم**». قام الإخوة فـي الصباح الباكر بتدليـك قدمه بالماء الساخن، لكن دون فائـدة. لم يستطع مدّ قَدمِه، لم يستطع ذلك إلّا بعد أن أخرجوا له الرصاصة من ركبته، لقد ضعُفت عضلة قدمـه، وهَزُلت كثيرًا. بالمناسبة، كان «**قاسم**» أنحفَ جريحٍ في القسم.

جـاء الدكتور «**ناصر عزيـز**» قرابة الظهر، وقـال: وين «**قاسم كوك علـي حسيـن**»؟. الدكتـور «**عزيـزي**» والممرِّضون في القســم لم يكونوا قادرين على لفـظ اسمه بالشكل الصحيح فكانـوا ينادونه «**كوك عليّ**»

أن يساعدنـا فـي تسجيـل أسمائنا، والالتحاق بجبهات القتـال؛ لذلك لم أشأ أن يرانـي، فاختبأت خلف أحـد الأعمدة هنـاك .بعد ذلك لجأنا إلى بيع التيـن؛ بالاستفادة من ميزان دكان والـد أحد الأصدقاء، وكنـت عـلاوة على ذلك أدّخر كلّ ما أحصل عليه من مصروف. ولـو كان أخوالي يعلمون أنّ ما يعطونني إيّـاه أدّخِـرهُ من أجل الجبهـة لما أعطوني شيئًا. صيف عـام 1984، وبعد نهاية العـام الدراسيّ، كنت أنا و«**كرامـت**» على استعداد للهرب، فقد ادخـرت 1500 تومن، وكرامت 800 تومن. ارتدينا اللباس العسكريّ الـذي أخذنـاه خلسة من أخوينا، وقمنا بتقصيره ليناسبنا، ومن ثـمّ غادرنا منزلينا دون أن نخبر أحدًا، واتّجهنـا نحو شيراز. هناك قمنا بتزويـر تاريخ الولادة، لكن بطريقة غير مُتّقنة، فلم يقبل بها أحد، ولم يسمحـوا لنا بالانضمام إليهم، والذهاب معهم إلى جبهـات القتال. وطلبوا منّا العودة إلى المنزل. لعدّة أيّـام كنّا ننام في صناديق الكرتون على قارعة الطريق، ونأكل الخبز فحسب، وعندما علم أفراد التعبئة أنّنـا بلا مـأوى سمحوا لنا بالإقامة في الحسينيّة لعدّة أيّام .بعدها طلبـوا منّا بشدّة العودة إلى منازلنا، وقـد شـارف المال الذي بحوزتنا على النفاذ. العودة إلى المنـزل كانت صعبة عليّ مع تلك الرسالة التي كتبتها لوالدي، والتي أخبرته فيها بأنّني في الجبهة حيث تتساقط علينا نيران الأعداء، وبأنّني لن أسمح للعـدوّ بالتقـدّم إلى مدننا والاستيـلاء على أرضنا، وأن لا يبك عليّ إن استشهـدت. بسبب صغر سنّي لم ألتفت إلى أنّ عنوان البريد المرسل منه الرسالة يكون مدوناً خلفها، فافتُضح أمري، وكنت محطّاً لتندّر أهلـي، وخاصّة أخي «**السّيِّد هدايت الله**» لمدّة من الزمن. وكنت أخجل من الحضور بينهم، فقد سألني أخـي مـرّة أقسم عليك أن تخبرني أيـن كنت عندما كتبت تلك الرسالة، بأنّـك الآن في كردستان، وأنّك تقاتل البعثيين العفالقة، وأنّه لا يجب البكاء على الشهيد، وأنّ نيران الأعداء تنصب عليك من كلّ حدب وصوب..؟ مع أنّني كنت خجلاً من نفسي فإنّني أجبته بأنّني كنت في محطة الحافلات في شيراز. ما إنّ قلت ذلك حتّى تعالت ضحكات الجميع .

بدل«**كُرك عليّ**»، أحضر الدكتور «**عزيز ناصر**» معه صورة الأشعة لقدم قاسم، كانت رصاصة «**الكلاشنكوف**» قد اخترقت ركبته، واستقرت فيها بزاوية 90 درجة، أشار الدكتور مسرورًا إلى مكان الرصاصة وقال لقاسم:

- انظر يا قاسم إلى مدى دقَّة قناصينا في إصابة الهدف!

فأجابه قاسم: «**قناصوكم ليسوا دقيقين على الأطلاق، فهم أطلقوا النار عليّ بهدف قتلي، لكنهم أصابوا قدمي، وأيّ شخص مبتدئ يستطيع فعل ذلك**».

- لسانك طويل جدًّا

- لا أقصد الإساءة، لكن أهداف القناصين كانت إنصافًا دقيقةً جدًّا؟!

قرابة الظهر، أحضروا أسيرًا من «**مستشفى 17 تموز**»، اسمه «**باقر درخشان**»[1]. تقع تلك المستشفى في «**الفلّوجة**»، وكانت تضمّ عددًا آخر من الجرحى الإيرانيّين. كان باقر من فصيلة القوّة الضاربة في (أسطول) «**أمير المؤمنين**عليه السلام» البحري، وقد أُسر قرب ساتر الكمين الأماميّ لكتيبة «**الإمام الحسن**عليه السلام» في «**جزيرة مجنون الجنوبيّة**». لم يبقَ أيّ جزءٍ سالم في جسمه، أصيب في رأسه، ووجهه، وفكّيه، وتحطّمت أسنانه الأماميّة إثر أصابته بشظية قذيفة «**هاون**»، جروح وجهه كانت عميقةً جدًّا، وظهره كان مليئًا بالندوب الملتهبة، كما غطَّت الكدمات معظم جسمه؛ جراء الضرب المبرِّح. يُقرأُ من عينيه

(1) عمل بعد الحريّة في مصفاة الغاز «**الفجر**» في «**كنكان عسلويّه**».

أنّه إنسان مقاوم وصبور. عندما جُرح بقي مَغْشيًّا عليه إلى غروب ذاك اليوم. عند المغيب، جمع العراقيّون جثث الشهداء في حفرة مائيّة، تمهيدًا لتغطيتهم بالتراب بواسطة الجرّافة. عندما بدأت الجرّافة عملها، عاد باقر إلى وعيه، أراد بعض العراقيِّين دفنه حيًّا مع باقي الجثث، لكن الجنود الشيعة عارضوهم، فأنقذه اثنان من أصحاب الضمير الحيّ، ونقلوه إلى خلف جبهات القتال. اليوم أخبرني بنفسه عما جرى معه.

شعرت بالرأفة تجاه «**باقر**»، وأصبحنا صديقين حميمين. بسبب تحطُّم أسنانه لم يستطع تناول شيء غير السوائل، وعندما قلت له: «**إن شاء الله ستتحرّر وتعود إلى إيران، فيعالجك طبيب الأسنان**»، ضحك، وقال: «**وما أدراك لربما شاء الله لي أن أستشهد هنا في العراق، فلا أحتاج لكلّ تلك المصاريف من أجل علاج وجهي وفكِّي**». قال «**باقر**» بروحه المتسامية: «**إذا كان من المقرّر أن أستشهد، فلمَ كلّ تلك المصاريف من أجل علاج وجهٍ سيُبلى؟!**»

كان باقر منسلخًا عن الدنيا، وعندما كان الإخوة يواسونه؛ بسبب ما أصاب وجهه، كان يقول لهم: «**لا تقلقوا بشأن وجهي، واقلقوا بشأن أنفسكم**»، ثمّ قال لي: «**يا سيد! جمالُ الوجه دنيويٌّ، وقصير الأمد، فما أكثر أصحاب المُحيا الجميل، جاءوا إلى هذه الدنيا، ورحلوا، ولم يبق لهم ذكرٌ أو أثر؟! يجب أن تكون أعمالنا جميلة، وأن لا تقيّدنا هذه الأمور**». كانت لي بدايةٌ جيِّدة مع «**باقر**».

أحضروا بعد الظهر «**السّيِّد محمّد شفاعت منش**» من غرفة العمليات، لا أدري لمَ لَمْ يكن الطبيب العراقيّ على استعداد لوضع

قطعة بسيطة من البلاتين لا يتعدّى طولها 10 سم بدل كلّ هذه الأسياخ المعدنيـــة؟! كانت ساقهُ بحاجــة إلى شخص يهتمّ بهــا، ويراقبها على الدّوام، لقد تهشّمــت عظام ساق «**السّيِّد محمّد**» من أعلى الركبة إلى أسفـل عظام الحوض؛ إثـر إصابته برصاصة قناصـ. أحدث الدكتور ثلاثــة ثقوب في أعلى ركبتــه، وثلاثة أخرى أسفل عظــام الحوض، ثمّ أخــرج من هذه الثقوب ثلاثة أسياخ معدنيّة بشكل أفقيّ، يتراوح طولها ما بين 15 إلى 16 سم، ثمّ قام بوصل الأسياخ الثلاثة العليا مع السفلى بثلاثــة أسياخ عاموديّــة، وثبَّتها بواسطة البراغيّ. ظلّــت تلك الأسياخ تسبِّــب للسيد محمّد الأذى والعــذاب لسنتين، خاصّة في ذلك المكان المزدحم، إلى أن قام الدكتور بنزعها له قبل حوالي شهرين من تاريخ تحريرنا [1].

الاثنين 18 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

بعــد ظهر هذا اليــوم، وافقت إيران على قرار الأمــم المتحدة رقم (598)، ونحن لم نكن على علم بذلك، لم أكن أصدق ذلك، فقد أَنستُ بالحــرب، وتوديعها مؤلم جدًّا بالنسبة إليَّ. لا أدري لم تعلَّقت بالحرب إلــى هذه الدرجــة، ربما بسبب الدشــم الصغيرة التــي لا يزيد ارتفاع سقفهــا عن سقف المنــازل العصريّة اليوم. وبمناسبــة انتهاء الحرب طلب صدام من العراقيِّين الاحتفال لمدة سنة كاملة.

(1) لقــد قاموا بنزع الأسياخ من قدمه صيف عام 1990 من دون استخدام المخدِّر، وقالوا: إنّ على عناصر تعبئة الخمينيّ تحمّل الألم، فقال لهم: أنا على استعداد لتحمّل شتى أنواع الألم، لكن قيّدوا قدمَيّ ويدَيّ جيّدًا بالسرير، واسمحوا لي بقراءة القرآن الكريم.

الثلاثاء 19 تموز 1988 - مستشفى الرشيد – بغداد

كنّا نسمع هلهلات العراقيِّين من الخارج احتفالاً بالقرار (598).

كذلك دخل الدكتور «**عزيز ناصر**» والممرِّضون بسعادة لا توصف إلى القسم، وكان برفقته «**لطيف دهقان**»، فقال: «**لقد انتهت الحرب، لقد وافقت إيران على القرار** (598).

شعر الإخوة بالإحباط من هول الصدمة، لقد سيطر علينا الحزن والغمّ عندما سمعنا هذا الخبر. تفاجأ الدكتور والممرِّضون وحرّاس القسم من ردَّةِ فعلنا، وتعجَّبوا كثيرًا: لأنّنا لم نفرح لهذا الخبر. فسألنا الدكتور: «**ما بكم؟! على الأقل بانتهاء الحرب ستعودون أنتم إلى بلادكم، ويعود أسرانا إلى بلدنا**».

بكيتُ كثيرًا. كان الإخوة يؤمنون بقرارات الإمام وحكمته. أمّا بعض العراقيِّين كانوا ينظرون بشكّ وريبةٍ إلى قبول إيران بالقرار (598)، وكانوا يقولون: «**أنتم تخدعوننا، وتكذبون بشأن قبولكم بالقرار، أنتم تهدفون إلى إعادة بناء قوَّتكم العسكريّة؛ لتتمكّنوا من الهجوم ثانية على العراق**».

لم يستطع معظم الإخوة تمالك أنفسهم عن البكاء، مع أنّ الحرب مكروهة بحد ذاتها، إلّا أن بكاء الإخوة كان لشيء آخر. الحرب التي استمرت ثمّاني سنوات، والتي فرضها علينا الاستكبار الشرقيّ والغربيّ والأوروبيّ مع الدول العربيّة، علاوةً على آثارها المدمِّرة، كان لها مُكتسبات عديدة، وحزنُ الأخوة ليس بسبب انتهاء الحرب، بل لأنّنا كنّا نشعر بأنّ كل تلك الفضائل، والمعنويات، والشوق الجهاديّ، والإلهيّ الثوريّ، قد انتهى.

كيف نستطيع أن نُفهم العراقيِّين بأنّ الجبهة محل صناعة

للإنسـان، الجبهـة أرض العبوديّة والـولاء. كيف لنـا أن نفهمهم **بأنّ في دُشمنـا وخيمنا الجَماعيّـة قد رسخت مفاهيـم الصمود، الصبر، التعفّـف، نبـذ الظلـم، الوفاء، الاستقامـة، التواضع، الصـدق، العفو، الحمـد، الوطنيّـة، المـروءة، المحبّـة، الكمال، الاعتمـاد على الذات، الإخلاص، الصّداقة، الإنصاف، التعاطف، التوكُّل، الرضا، الخشوع، الخضـوع، المعرفـة، الأدب، الكرم، العزة، الكرامـة، الأمانة، اليقين، والانتظار؟!**.

قـال الدكتـور: «**لا أستطيـع أن أفهـم سبـب انزعاجكم مـن سماع خبـر طيِّـب كهـذا؟! إذ ليس من خبـر آخر قد يفـرح العراقيِّين بقدر هـذا الخبـر**». كان العراقيّون يقيمون الاحتفالات في كلّ أنحاء العراق، شاهدنا ذلك على شاشة التلفزيون العراقيّ، فقد نَزَلَ الناس إلى الأزقّة والشـوارع يَعْقِـدون حلقات «**الدبكـة**»، احتفالاً بانتهـاء حرب استمرت ثمّاني سنوات.

لـم تسعِ الفرحـة الحرّاس والممرِّضيـن، وكانوا يقولـون لنـا: «**هيا افرحـوا أنتـم أيضًـا، عبّروا عن ذلـك، ارقصوا وغنُّـوا وصفِّقوا**». لهم الحقّ في أن يفرحوا. كان «**توفيق أحمد**» حارسًا مثقّفًا، قال لنـا: «**هذه الحرب لم تجلب للعراق سوى 70 مليارَ دولارٍ من الديون الخارجية، ومئات الآلاف من القتلى و..**»**.**

الأربعاء 20 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

بعد ظهـر هذا اليوم، تشاجرت مع مسؤول الممرِّضين، فالعراقيّون لـم يعطوني مضادّات الالتهابات إلّا في الأيّام الثلاثة الأولى بعد إجراء

عمليّـة البتر، كان جُرحي قد التهب كثيرًا، وعندما طلبتُ من الممرِّض مضادًّا للالتهاب، كالعادة قال لي: «**يجب إعطاء الإيرانيِّين الرصاص بدل مضادّات الالتهاب**».

- مكانُ رصاصاتكم التي أصابت بدني هي في ذاكرتي.

دخـل الدكتور، الـذي كان يـزور الأسـرى الجرحى مـرّةً كلّ ثلاثة أيّـام إلى القسم، وأخبر «**نصـر الله**» بأنّه يجب قطع يده، وقد صدّقهم «**نصـرالله**» للوهلة الأولى، فالعراقيون كانوا جاهزين دائماً لقطع أيدي وأرجـل الأسـرى الإيرانيِّين. أرادوا قطع يـد «**نصـرالله**» اليسرى التي أُصيبـت بعدد من الطلقات فتهشّمت عظامها، لكنها لم تكن بحاجة إلّا لوضع قطعة من البلاتين ريثمّا تلتئم كسور العظام.

لم أكن أريد أن تُقطع يد «**نصرالله**»، فقلت له: «**نصرالله**»! هؤلاء الأطباء مجرّد طلابٍ في كليّة الطب، وقد أخبرنا «**توفيق أحمد**» بأنّهم إلى جانب دراستهـم يقومـون بالتطبيـق العمليّ بإشـراف الأطبـاء المتخصِّصين، ويرغبون كثيرًا بإجراء العمليات الجراحيّة لاكتساب التجارب.

جـاء الممرِّضـون لاصطحـاب «**نصـرالله**» إلـى غرفـة العمليـات، فرفض ذلك. وكانوا قبل عدّة أيّام يريدون قطع ساق «**قاسم فقيه**» من الركبة فرفض ذلـك أيضًا. قال لهم «**نصرالله**»: «**لن اذهب إلى غرفة العمليات**». فقالوا له:

- ستَسوَدُّ يدك وتموت.

- لا يهمّ. إذا اسودّت، عندها يمكنكم قطعها.

بعد شهر شفيت يده، لكن كسور العظام التأمت بشكل غير صحيح، حينها قال لي «**نصرالله**»: «**لولا مشورتك لفقدت يدي**».

كانوا قد أحضروا قبل الظهر جريحين جديدين من سجن الرشيد، أحدهما أصابته شظية في وجهه، فذهبت بعضلات خدِّه الأيسر، وتشوَّه وجهه، وأنفه كلّيًّا. كما تضرّر فكّه الأسفل وأسنانه، كان من عناصر الجيش الإيرانيّ، وقد أُسر في منطقة «**دهلران**». أخبرني بأنّ دبابة عراقيّة تعقّبته في الصحراء، فقد أراد قائد الدبابة أن يتسلّى في ملاحقته، كان يعدو في الصحراء؛ كي لا تدوسه الدبابة، وفي النهاية سقط أرضًا، بعد أن أنهكه التعب، لكن الدبابة لم تدس سوى على قدمه، نسيتُ اسمه، لكنّني أذكر أنّه كان جنديًّا في «**فرقة حمزه 21**».

الخميس 21 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

عصر هذا اليوم حدَّثنا «**توفيق أحمد**» عن الإمام الخمينيّ والقرار (598)، وعن كأس السّمّ، لم أفهم قصده تمامًا، لكن حسبما قال، فالإمام الخمينيّ وجّه البارحة رسالةً حول القرار (598)، وما إن سمعنا كلام الإمام حول «**كأس السمّ الذي تجرّعه**» حتّى فاضت دموعنا، وأردنا سماع المزيد عن الإمام وإيران.

الجمعة 22 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

تم نقل عددٍ من جرحى القسم المجاور إلى المعتقل المركزيّ، مع أن أكثرهم كان لا يزال بحاجة للعناية الطبية، كما تم صباح هذا اليوم، وبأمر من الدكتور، تنظيف فناء المستشفى بالماء، فمُسحت أرضيات غرف المركز الصحيّ ورُتّبت. أخبرنا الدكتور بأنّ عددًا من مسؤولي المركز الصحيّ التابع للجيش العراقيّ سيزورون المكان مع عددٍ من الأطباء المدنيّين.

الحارس الذي علمت باسمه حديثًا ويُدعى «**عبد الجبّار**»، قال للجرحى: «**لا يحقّ لكم الاعتراض على المركز الصحيّ أمام الأطباء المدنيّين، أو أمام العقيد**».

كما أكّد الدكتور «**عزيز ناصر**» بنفسه: «**إذا سُئلتم عن العناية الطبيّة، والاهتمام بكم هنا، فقولوا إنّ كلّ شيء على ما يرام، لا تواجهكم مشاكل على الإطلاق**».

وقال «**عبد الجبار**»: إذا تفوّهتم بغير هذا فسيكون حسابكم بعد رحيلهم عسيرًا. وتابع الدكتور: ولا يحقّ لكم إخبارهم عن الجرحى الإيرانيِّين الذين قتلوا في هذه المستشفى.

بعد أن انتهوا من التهديد والوعيد نقلونا إلى القسم المجاور، وقبل وصول العقيد والأطباء، أحضروا الأدثرة والفرش للجرحى الذين كانوا ينامون على الأرض.

لقد توسّل القيّمون على القسم بشتّى السبل؛ لإظهار المكان بأفضل صورة أمام الضبّاط المفتِّشين، فرتّبوا كلّ شيء ونظّموه. كان بين الجرحى رجل كرديّ عجوز، ناهز السبعين من العمر، وقد أُسر مع ابنه- الموجود حاليًّا في سجن الرشيد- بالقرب من حدود محافظة «**إيلام**» الإيرانيّة. كان العجوز نحيل الجسم، أوهنه الضعف، فبالكاد يستطيع فتح جفنيه. رجاهم كثيرًا أن لا يفرّقوا بينه وبين ابنه، لكن أحدًا لم يصغ إلى رجائه. فرح العجوز كثيرًا عندما علم بزيارة العقيد، وقد أدرك العراقيون أنّه سيطلب من العقيد إرساله إلى ابنه، فقد أخبر أحد الحرّاس بالأمر. أحضروا له «**دشداشة**» عربيّة، وطلب منه حارس القسم «**غانم حسان**» أنّ لا يذكر شيئًا عن هذا الموضوع. أظنّ أنّهم

لم يريدوا أن يُذكر هـذا الموضوع أمام الأطباء المدنيِّين. قال «**أحمد شريفـي**»: «**عندمـا كانـوا يجلدون ابنـه بالسوط في سجـن الرشيد، هجـم علـى الحارس محاولاً نزع السوط منه، لـو كنت حاضرًا لترى مـدى فجاعـة المشهـد، انهـال الحرّاس بالسياط علـى الأب والابن كزخّـات المطر، وفـي النهاية، عندمـا علموا أنّ العجـوز والد الشابّ تراجعوا عن جلدهما**».

حاول الدكتور «**عزيز ناصر**» أن لا يقول له شيئًا، لكن «**عبد الجبّار**» سيِّـئ الخُلـق، تصرّف بـكلّ حقارة مع العجـوز «**الإيلامـيّ**»، وقال له: «**اسمـع أيّها العجوز، والله العظيم إذا تفوَّهت بشيء عن ابنك للعقيد فسأقطـع لسانـك، يجـب أن لا يعلـم الأطبـاء المدنيّـون بالأسـرار العسكريّة**».

استـاء «**هـادي كنجـي**» أكثر من غيره لهذا التصـرّف، فقال «**لعبد الجبّـار**»: صحيـح أن هذا العجوز أسير عندكـم، لكنّه في سنّ والدك، كيف ستتصرَّف إن تحدّث أحدهم بهذه الطريقة إلى والدك؟!

- ومتى كان عدوِّي أبًا لي؟!

انزعـج العجـوز الكرديّ منه كثيـرًا، وقال: «**اللعنة على مـن يسأل الناس شيئًـا دون ربّ العالميـن، لـن أطلب مـن عقيدكـم شيئًا، كنت سأطلـب منـه أن يرسلنـي إلـى ابنـي، لكـن صرفـتُ النظر عـن ذلك، سأطلب ابني من الله، وليس منكم**».

تنفيـذًا لأوامـر الدكتور، أحضـروا عددًا من أباريـق مياه الشرب، ووضعوهـا علـى حافة النافذة. وصل العقيد العراقـيّ قبل الظهر، كان مربـوعَ القامة، كثيـفَ الحاجبين، ممتلـئَ الوجه، أسمـرَ اللون، وكان

برفقته عددٌ من الأطباء باللباس المدنيّ، دخلوا إلى القسم، وكان الإخوة يجلسون في الممرّ بهدوء وصمت، الجميع بقي صامتًا، قدّم الدكتور «**عزيز ناصر**» للعقيد والأطباء تقريرًا حول أوضاع الأسرى الجرحى، هزّ العقيد، القادم من المركز الصحيّ التابع للفيلق العراقيّ، رأسه علامة على الرضا، أعتقد أنّ تقرير الدكتور «**عزيز ناصر**» كان على الشكل التالي: يتم تغيير ضمادات جروحهم يوميًّا، ويُقدَّم لهم الطَّعام المناسب. تم إجراء أغلب العمليات الجراحيّة لهم في هذه المستشفى. نسمح لهم بالخروج واستنشاق الهواء، ولا أحد يضايقهم هنا، كما ونعاملهم معاملة إنسانيّة.

أنصت العقيد إلى تقرير الدكتور، ثمّ نادى المترجم الإيرانيّ «**لطيف**» وقال:

- لقد تجرّع قائدكم كأسَ السّم، لقد انتهت الحرب، أعلمتم بذلك؟

- لقد عقد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الصلح مع معاوية أيضًا، نحن جميعنا نحترم قرارات إمامنا.

بدا العقيد كأنّه مستمع جيّد، ثمّ قال: «**أنتم الإيرانيّون تكذبون في هذا الشأن، فقواتكم تتحضّر لشنّ هجومٍ جديد على العراق، نحن نعلم أنّكم تخدعوننا**».

- الجميع يعلم أنّ قائدنا لا يكذب، ولا يخادع.

وقال «**هادي كنجي**»: لم أشأ ذكر المثل القائل: «**الكافر يعتقد أنّ الجميع على شاكلته**». وأنتم تعتقدون أنّنا مثلكم؟!

- على أيّ حال، وبما أنّنا نعرف أنّكم تكذبون، قرّرنا أن نهجم على

بلادكم[1]، تمامًا كما بدأت الحرب، سنقوم باحتلال مناطق من بلدكم تمكِّنُنا من فرض شروطنا عليكم في المفاوضات القادمة، وأن ننتزع منكم «**شطّ العرب**».

فقال له أسيرٌ جريح من ضباط الجيش الإيرانيّ، من فرقة «**حمزه 21**»: «**من جهة توافقون على وقف إطلاق النار، ومن جهة أخرى تقومون بالهجوم على الحدود الإيرانيّة، كيف ستسوِّغون تصرُّفاتكم للعالم؟**».

من بين كلّ الكلام الذي تبادلناه مع العقيد، أشعل كلام الضابط الإيرانيّ غيظه، ففرّ العقيد من الساحة، وقال بكثير من الغرور والتعجرف: «**وهل من المقرّر أن يسوِّغ الرئيس القائد تصرّفاته لأحد؟! نحن لا نسوِّغ تصرفاتنا لأحد، أعني: إنّه ليس علينا فعل ذلك**».

كان الغرور والتكبّر باديين في كلّ كلمة قالها.

فقلت له: «**وحتّى لله ؟!**».

السبت 23 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

اليوم كان عدد من الممرِّضين والحراس عصبيّي المزاج، فقد منعوا عنّا الحليب وطعام الفطور، بل حتّى الدواء، وتغيير الضمادات. أخبرنا «**توفيق أحمد**» الذي تربطنا به علاقة طيِّبة عن سبب غضب العراقيِّين، كان يحمل معه صحيفة «**القادسية**»، فأشار إلى خبرٍ في الصفحة الثانية، وقال: «**العراقيّون غاضبون بسبب مقتل أحد القادة في هجمات البارحة**». لقد نُشرت صورة القائد العسكريّ البعثيّ في الصفحة الثانية من صحيفة القادسيّة، ويدعى «**سالم محمّد عليّ**

(1) قام العراق بالهجوم على الأراضي الإيرانية بعد 4 أيّام من القبول بالقرار (598)، وقرأ دهقان هذا الخبر في الصحف العراقية، وترجمه لنا.

حمودي»، قائد «**لواء المشاة الخامس**» في الجيش العراقيّ الذي قتل البارحة في «**شلمجة**» على يد قوّاتنا، وفي الصفحة الأولى من الصحيفة ذاتها كُتب بالخط العريض ما يلي: «**إلى الأمام يا أحفاد خالد وسعد وصلاح الدين، يا رجال قادسيّة صدام**».

الثلاثاء 26 تموز 1988 - مستشفى الرشيد- بغداد

عند الظهيرة كانت الفرحة بادية على وجوه العراقيِّين، كالعادة أردت أن أعرف سببها، فقد رأيت الفرحة تغمر وجوه العراقيِّين ثلاث مرّات حتّى هذا اليوم، المرّة الأولى عندما كنت في سجن الرشيد، حينها وصلنا خبر قصف القوّات البحريّة الأمريكيّة للطائرة المدنيّة الإيرانيّة، المرّة الثانية منذ عدّة أيّام، عندما وافقت إيران على القرار (598)، واليوم هي المرّة الثالثة التي أراهم فيها فرحين بهذا الشكل، ناديت «**لطيف دهقان**» من خلف النافذة وسألته:

- ماذا هناك يا لطيف؟ لمَ العراقيّون سعداء هكذا؟
- لقد هجم «**المنافقون**» على إيران.
- هكذا إذن! لأجل هذا صَدَحت أصواتهم؟!

بعد قبول إيران بالقرار 598، استخدم صدّام آخر ورقة رابحة في يده، ألا وهي «**المنافقين**». دخل الدكتور «**عزيز ناصر**» الذي كان مهتمًّا بتلك المواضع إلى القسم وقال:

- لقد انتهى أمر إيران .
- وكيف ذلك يا دكتور؟ هل لأنّها وافقت على القرار؟

عندما سمعت كلام الدكتور أدركت أنّه لا يعني القرار، فالبارحة

قامت منظمة «**المنافقيـن**»، وبمساعدة الجيش العراقيّ بالهجوم على حـدود إيـران الغربيّة، ودخلوا اليـوم منطقة «**سربل ذهـاب**»، و«**إسلام آباد**». انتهت الحرب، وعلى الرغم من القبول بالقرار 598، فإنّ الجيش العراقـيّ هاجـم الأراضـي الإيرانيّة. تحـدّث «**غانم حسـن، وسعدون فياض**» ضابطا الاستخبارات عـن النصر، إلّا أنَّ أشخاصًا منصفين، أمثال «**توفيق أحمد**» تحدّثوا عن هزيمة نكراء.

وقـد أعلن التلفزيون العراقيّ أنّ أئمة المساجد في إيران قد ارتدوا زيَّ المجاهديـن، وانطلقوا إلى جبهات القتـال أيضًا. بدايةً لم يفصح العراقيّـون عن دعمهم لمنظمة «**المنافقين**»، إلّا أنّ الصحف العراقيّة لـم تستطـع إبقـاء الأمر طـيّ الكتمـان، كان الجميع فرحيـن، ما عدا «**توفيق أحمد**». يحقّ لهم ذلك، فهجوم المنافقين على إيران كان آخر ورقة رابحة في يد العراقيِّين.

تعجّبنـا كثيرًا لوقوع المعارك بعد صدور القرار، وعلمنا، من خلال المعلومـات التـي زوَّدنـا بهـا «**لطيـف دهقـان**»، أنّ عمـلاء المنظمة، وبقيـادة «**مسعـود رجـوي**»، قد هاجمـوا إيران تحت عنـوان «**عمليات النـور الخالـد**»[1]، وأعلن «**مسعود رجـوي**» في مقابلـة بثّها التلفزيون

(1) لقـد قامـت منظمـة مجاهدي خلق، وبعـد 9 أيّام من قبـول ايران بالقـرار 598، بجمـع عناصرها من الـدول الأوروبيّة الذين بلغ عددهم حوالي 15 ألف عنصر مدعمين بالآلة العسكريّة العراقيّة، وانقضوا علـى الحـدود الغربيّة لإيران، وقـد ساندتهم القوّات الجويّـة العراقيّة أيضًا، فاحتلـوا بعض المناطق الحدوديّة، وقتلوا عناصر من حزب الله الإيرانيّ، وأحرقوا المستشفيات. لكن الشعب الإيراني الغيور، وبعد اطلاعه على أمر الهجوم، توجّه إلى الحدود الغربيّة للبلاد وصدّ هجومهم . فقتل للمنافقين 4800 عنصـرًا من عناصرهـم، إضافة إلى مئات الجرحـى، وكانت تلك المنظمة قـد قدّمت خدمات جليلة لصدام طوال سنوات الحرب، من القيام بعمليات اغتيال، وتجسُّس، وبثّ الشائعات، وجمع المعلومات العسكريّة، وتقديمها للعدوّ.

العراقي أنّ كلّ (تشكيل) من وحدات «**المنافقين**» تساوي ثلاث أو أربع وحدات من الحرس الثوريّ، والجيش الإيراني. ووعد جنوده بأن عملية «**النور الخالد**» ستكون تحت شعار «**ذهاب بلا إياب**»، وسوف تقضي على الثورة، وعلى حكومة رجال الدين.

قال العراقيّون: إنّ رجوي، قال في لقائه مع صدام: عليكم تأمين الأعتدة والذخائر العسكريّة الحديثة لنا، وعلينا نحن أسر الخمينيّ، وجلبه إلى بغداد. كان العراقيّون يناقشوننا كثيرًا في هذا الأمر، اثنان فقط كانا يوافقان على كلامنا وتحليلاتنا. عندما قالوا: إنّ إيران قد انتهى أمرها، أجبناهم: «**لو اجتمع جميع المنافقين فهل سيصل عددهم لفيلق واحد من فيالق الجيش العراقيّ؟ أنتم وبكلّ قدراتكم، وتجهيزاتكم، لم تستطيعوا التغلّب علينا طوال ثمّاني سنوات من الحرب، فكيف للمنافقين أن يهزمونا؟**».

البعض منهم وافق على كلامنا، والبعض الآخر لم يكن يفكّر إلّا بالقضاء على إيران.

بسبب هجوم المنافقين على إيران، تساهل العراقيّون معنا، وسمحوا لنا بالخروج إلى فناء المستشفى، وقضاء ساعات أطول هناك.

السبت 30 تموز 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

هُزم المنافقون في عملية «**المرصاد**» شرّ هزيمة، وكانت تصلنا أخبارهم عن طريق «**توفيق أحمد**»، لكنَّنا حاولنا إخفاء معرفتنا بتلك الأخبار، فلم نتحدّث معهم حول تلك المواضيع، وهم أيضًا لم يخبرونا بأيِّ شيء، كما لم يعلموا أنّنا على علم بها، لكن بعضهم كان يُقرّ بأنَّه

لا يمكن هزيمة نظام «**رجال الدين**» بهذه السهولة.

قال «**باقر درخشان**» للعراقيين: «**صحيح أنّنا أسرى، ولا يمكننا الوصول إلى المنافقين، لكن لو كنت مكان «مسعود رجوي» لأسميت** العملية باسم «**الهلاك الخالد**»؛ لكان ذلك أكثر واقعيةً».

وقال «**توفيق أحمد**» الحارس المثقَّف: «**في حين لم تتمكَّن السلطة «البهلويّة**»[1]، ومع كلِّ اقتدارها من هزيمة حكومة «**رجال الدين**»، فكيف للمنافقين أن يفعلوا ذلك؟!.

كانت تحليلات بعض العراقيِّين شبيهة بتحليلات الإيرانيِّين، لكنَّ بعضهم الآخر ـ وبسبب حقدهم الدفين علينا ـ، كانت تحليلاتهم جوفاء بلا أساس. تعجبتُ، وقلت في نفسي: «**بهذه التحليلات ظنّ صدام أنّه يستطيع احتلال إيران خلال أسبوع واحدٍ؟!**». وقال هادي كنجي: «**بما أنّ صدام يفكّر بهذه الطريقة، فماذا تتوقّع من هؤلاء؟! إنّهم كخفافيش الليل لا يرون سوى الظلام، هم لا يرون النور**».

قال أحد ضباط فرقة «**حمزة 21**» للعراقيين: «**في عهد الشاه، كان المسؤولون العراقيّون يهابونه، ويخافونه كخوفهم من الموت، وقد هُزِمَ ذلك الشاه، الذي كنتم تحسبون له ألف حساب، على يدي الخمينيّ الذي أخرجتموه من أرضكم، فكيف بـ«رجوي» هذا؟!**»

الأثنين 1 آب 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

كنت أتابع اليوم أخبار إيران، وقد سمعت أخبارًا طيبة، فقد تمكَّن الإيرانيُّون البارحة من تحرير مدن «**قصر شرين وسومار**» من يد

(1) المقصود: نظام الشاه البائد «**محمد رضا بهلوي**».

الأعـداء. وقد انسحـب العراقيّون بـكلّ مهانة من الأراضـي الإيرانية الجنوبيّـة. فقد حاولوا جهدهم بعد قبول إيران بالقرار، السيطرة على أجزاء منها، ولو نجحوا في ذلك، وبناءً لقول أحد الإخوة، لقامت حرب أخـرى بعـد الصلح معهم لاسترجـاع تلك المناطق. وكمـا قال «**هادي كنجي**» فإن احتلال مناطق الجنوب بالنسبة إلى صدام ألذّ من احتلال بقية المناطق!

السبت 6 آب 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

اليوم هو يـوم اليأس بالنسبة إلى العراقيِّين. أعتقد أنّ بوابة العبور لاحتـلال مناطق من إيران قـد أُقفلت في وجههم بعـد قبولهم رسميًّا بوقف إطلاق النار.

الخميس 11 آب 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

أحضـر أحـد الأطبـاء العراقيِّين ابنه الـذي يبلغ مـن العمر قرابة تسـع أو عشـر سنوات معه إلـى المستشفى، كان الصبـيّ كوالده أسود البشـرة كالحاً، أخبره الأب بأنّنا أسـرى إيرانيُّون، وعندما سمع بذلك هجم علينا بسيـف بلاستيكيّ كان في يده، وشرع بضربنا على رؤوسنا ووجوهنـا، كان والده ينظر إليـه ويضحك دون أن ينهره عن فعل ذلك. ترجـم لنا «**منصـور**»، الأسير العربيّ، كلام الدكتـور الذي كان سعيدًا لسعـادة ابنـه في ضرب الأسـرى الإيرانيِّين. وكـي لا ننزعج من ذلك ،. قـال وهـو يبتسم بخبـث: «**ابني يكـره المجوس، لـم أطلـب منه أن يضربكم، فقد نشأ على كره الإيرانيِّين**».

ظـل الصبيّ يضـرب بسيفه البلاستيكيّ على رؤوسـ ووجوه الإخوة

حتّـى تعب وانصـرف، تمنّيت لو لم أكـن أسيرًا، فأصفعـه على وجهه صفعة قويّة.

رأيـت الليلـة الماضيـة «**أحمـد فـروزان، والسّيِّـد شريـف بنجه**[1] **بند**»[2] في عالم الرؤيا. كان أحمد من أعزّ أصدقائي، ما كان أحوجني إلـى وجـوده معي في تلك الأيّـام، لقد اشتقت إليه كثيـرًا، فقد قضيت معـه أوقاتًا عصيبة في جبهات القتـال، في الجنوب الغربي من إيران. قضيت معه 18 شهرًا في تفكيك الألغام، كانت من أجمل أيّام حياتي.

دخلنا شتاء عام 1987م الأراضي العراقيّة في عملية «**كموندوس**»، لا أنسى أبدًا بكاء أحمد حزنًا على فقد السّيِّد «**شريف**».

في تلك السنة دخلنا إلى كردستان العراقيّة في عملية «**كموندوس**» مـع مجموعة من الأكـراد المعارضين، وقد استشهـد «**السّيِّد شريف**» إثـر إصابته بشظية قذيفة «**هاون**»، وهو يصلّي في حال «**القنوت**»، كما تجمّد عددٌ من الإخوة بسبب البرد الشديد.

تمكَّـن «**أحمـد**»، وبصعوبـة بالغة، - مع مـا له من لياقتـه البدنيّة، وبمساعدة أحد أفراد فرقـة الاستطلاع - من إنزال جسد الشهيد من المرتفعات الجبليّة الوعرة إلى الطريق العامّ، وقال قائد العمليّة «**جواد عظيمي فرد**» لسائق الجرّار الزراعيّ الكرديّ: «**خذ ما تشاء من المال لقاء سحب جثّة الشهيد إلى الخلف**». لا أدري كم أعطاه من الدنانير،

(1) بنجه: تلفظ: Panjeh.

(2) كان الشهيد السّيِّد «**شريف بنجه بند**» من الإخوة في استخبارات وعمليات لواء «**الفتح 48**»، وقد استشهد فـي شبـاط عام 1987م في «**مـاروت كردستان**»، و كتب فـي وصيته :.. اطلب السماح مـن والدي وإخوتي وأخواتـي و خاصّة أمي الحنونة .. ومن زوجتـي .. وأطلب منكم الإنفاق في سبيل الله ووضع مبلغ 5 آلاف تومن في حساب الجبهة؛ لأنّني مدين بهذا المبلغ لها ..و اطلبوا من الله أن يحشرني مع شهدائه ..(كتاب وثائق الشهداء والإيثاريّين لمحافظة «**كهكيلويّه وبوير أحمد**» الكتاب الأوّل صفحة 589).

لكن أحمد قال: لولا «**عظيمي فر**» لبقي جسد الشهيد هناك.

كان أحمد بطلاً حقيقيًّا في الدفاع المقدّس، لقد افتقدناه عندما احتلّ الأعداء جزيرة «**مجنون**». التقيتُ «**أحمد**» أوّل مرّة في عمليات «**كربلاء أربعة**»، في جزيرة «**مينو**»، وقد أُصبنا بالقصف الكيميائيّ؛ إذ لم يكن بحوزتنا أقنعةٌ واقيةٌ من الغازات السامة، فحقنني أحمد بحقنة «**أتروبين فآميل نيتريت**» الخاصّة به بالقوَّة في فخذي. بعد عمليات كربلاء أربعة، فررنا معًا من مستشفى «**الشهيد كلانتري**» في «**دزفول**»، وعدنا إلى مقرّ عمليات اللواء.

حدّثتُ اليوم «**باقر درخشان**» عن ذكرياتي مع أحمد. أخبرني إخوتي، فيما بعد، أنّ «**أحمدَ**» جاء قبل عشرين يومًا من شهادته إلى منزلنا، وقرأ لي الفاتحة، وبكى كثيرًا لفقدي، كما طلب من الله، وفي حضور أفراد عائلتي، أن لا يبقى حيًّا بعدي. وقبل ستّة أيّام من شهادته أفصح في رسالة لأخي عن مكنونات قلبه تجاهي[1].

الاثنين 15 آب -1988 مستشفى الرشيد - بغداد

إنّه الثاني من شهر محرَّم الحرام، دخل الدكتور «**عزيز ناصر**» إلى القسم الصّحّيّ برفقة شخص آخر لم أره من قبل. كان يرتدي اللباس المدنيّ، فقد ارتدى بزّةً أنيقة. طلب الدكتور منّي، ومن قاسم فقيه،

(1) لم أعد أعي نهاري من ليلي.. أقسم أن لا رياء في مشاعري.. وأشعر حقًّا أن فقد ناصر سوف يقضي عليّ، ولم أكن لأحزن على شهادة جميع أهل إيران بقدر حزني على شهادة ناصر. البارحة ذكرناه في السيارة، وبكينا، وكنت أقول لنفسي: لمَ لَمْ يترك هذا الشجاع رسالة! وما إن وصلت إلى الغرفة حتّى أعطوني رسالته. أخي إنّ قلب والديك كسير ويداوى ذلك بمؤانستهم ومواساتهم بتضحيات براعم الثورة الذين تناثرت على أيدي الغرباء. حديثي هذا موجَّه الى الشهداء «**شريف**»، «**هدايت**»، و«**ناصر حسيني**». «**عزيزي ناصر**» رحلت وما زالت صورتك محفورة على لوح قلبي، رحلت والقلب حزين حزين.

وأحمد شريفي، ونحن أصغر الأسرى سنًّا في القسم، أن نجيب عن أسئلة الطالب العراقيّ الذي هو بصدد كتابة أطروحته في الدكتوراه، أعتقد أنّها كانت تدور حول الحرب والأسرى الإيرانيِّين الصغار السنّ.

قال ذلك الطالب: إنّ الجيشَ الإيرانيّ عاجزٌ بمفرده عن الدّفاع عن الحدود الإيرانيّة؛ لذلك قرّر النظام الحاكم في إيران الاستعانة بالأولاد الصغار الذين يجلبونهم بالقوّة من المدارس إلى جبهات القتال.

لقد طرح علينا أسئلة متنوّعة، لكن بذهنيّته الخاصّة، كان يريد أن يعرف كيف لقوى التعبئة الشعبيّة ـ التي أطلقوا عليها في العراق اسم «**الجيش الشعبيّ**» ـ أن تكون أقوى من الجيش الرسميّ. أيًّا كان، فقد سمحت له وزارة الدفاع والاستخبارات بإجراء المقابلات مع الأسرى الإيرانيِّين الصغار السنّ لكتابة أطروحته في الدكتوراه. كان يدون الملاحظات والأجوبة التي أعطيناه إيّاها، ولا أعلم كم كان منصفًا وأمينًا في ذلك. سألَنَا عن دوافعنا وعن طاعة التعبويِّين لأوامر الإمام الخمينيّ دون اعتراض.

وقد أجابه «**قاسم فقيه**» بلغته البسيطة، ولهجته المحبَّبة: «**أنا لا أفقه من الدافع والدوافع شيئًا، فقد جئت لأدافع عن وطني**». عندما أخبرناه عن حقيقة مشاعرنا اندهش كثيرًا، وقال: «**هذا السؤال لا علاقة له بأطروحتي، لكن أخبرني، ألست منزعجًا؛ لأنّك فقدت قدمك، وأُسرت عندنا، وأنت لا زلت صغيرًا؟**».

- و لمَ ينبغي أن أنزعج؟
- لمَ أَفهم!
- لقد جئت بنفسي إلى الجبهة، وأنا أعرف عاقبة عملي.

غـادر طالب الدكتوراه، لكنَّنـي أعتقد أن نزاعًا شبّ في داخله ذلك اليوم. فقد اندهش للروح المعنوية العالية للجرحى الصغار السنّ.

أنشدتُ الليلة السابقة لطميّة للإخوة:

صوتك من كربلاء ينادينا فدتك الأرواح وا حسينا.

تلك كانت اللّطميّة التي أنشدها الحاجّ «**صادق آهنكران**» في حشد من المقاتلين.

أخرجني «**عبد الجبّار**» من القسم الصحِّيّ، وصفعني على وجهي صفعة قويّة، وهدَّدني بأنّه سيعاقبني بشدّة إذا عدت إلى تكرار ذلك. قرّرت أن أنشد اللطميّات كلّ ليلة دون الرضوخ لتهديدات «**عبد الجبار**». لقد سمعت من «**توفيق أحمد**» أنّ هناك ضوابط لإحياء الشيعة مراسم عاشوراء في العراق. لم أطق الامتناع عن إنشاد اللطميّات للإخوة أيّام محـرَّم. الليلة الماضية أيضًا جاء «**عبد الجبّار**»، وبعد أن ضرب رأسي بقضبان النافذة الحديديّة، تشاجر مع الإخوة حول عاشوراء، والإمام الحسين عليه السلام، والإيرانيِّين.

قال عبد الجبار: «**الإمام الحسين عربيّ، فما شأنكم به أنتم الإيرانيّون؟**».

مع أنّني اغتظت منه، إلّا أنّني أجبته بهدوء حتّى لا يضربني: «**الإمام الحسين عليه السلام للجميع**».

وقال «**باقر درخشان**»: «**ماذا تريدنا أن نفعل إن كنّا نحبّ الإمام الحسين؟**»، وقال «**هادي كنجي**»: «**أنا من إيلام، وعلى الحدود عند منطقة «خسرويّة» هناك لوحة تدلّ على مدى حبّنا للإمام الحسين عليه السلام كتب عليها: (505 كلم إلى كربلاء)**».

الثلاثاء 16 آب 1988 - مستشفى هارون الرشيد- بغداد

إنّــه الثالــث من محرّم الحــرام، أنشدت لطمية للإخــوة، مع علمي بأنّها ستغضب «**عبد الجبّار**».

عندمــا كنتُ صغيرًا، كنــتُ أنشد اللطميّات ليلــة العاشر من محرّم في مسجــد الإمــام السجاد عليه السلام فــي حيّنا. وبعــد أن التحقــتُ بالجبهة كنتُ أيضًا أقرأها في العاشر من محرم من عام 1986 في جبهات القتال جنوب البــلاد، وفي عام 1987 فــي منطقة كردستــان حيث كنــتُ رادودَ مجموعة شباب التخريب[1].

عندمــا أنشدت هذه اللطميّــة تذكّر الأخوة أيّام الحــرب والجبهة، وبكوا كثيرًا.

«**من كربلاء صوتك ما زال قادمًا، فدتك الأرواح يا حسينا**».

فــي تلك الأيّام كنت أنشد لطميّات الحاجّ «**صادق آهنكران**» للإخوة في مناسبة، ومن غير مناسبة. قبل أن ألتحق بالجبهة كنت قد حفظت أغلــب لطميّاته، وكنــت في العادة أنشدها للإخوة مــع بداية أيّة عملية عسكريّــة، لقد حفظتُ أغلــب تلك اللطميَّات بفضــل أشرطة التسجيل التي سجَّلها أخي الشهيد بصوت الحاجّ «**آهنكران**»[2].

عندما كنــت أنشدُ اللطميّات، كان العراقيّــون يقتربون من النافذة وينصتــون، فقــط «**عبد الجبّــار**» و«**توفيــق أحمد**» كانا يــدركان معنى

(1) تشكيل عسكري مهمته زرع ونزع الالغام.

(2) كان أخــي الشهيــد السّيِّد «**هدايت الله**» يكن محبَّــة خاصة للحاجّ «**آهنكران**»، وكان إلى يوم استشهاده يواظب على تسجيل جميع لطميّاته التي كانت تبثُّ من الإذاعة. اتصل الحاجّ «**صادق آهنكران**» بي عام 2009 م، وقال لي: «**لقد اخبرني** «**إبراهيم سنائي**» بأنّ أخاك الشهيد كان قد جمع أشرطة مسجلة بكل لطميّاتي، وأنا حاليًّا بصدد جمعها، فهل لك أن تقرضني إياها لبعض الوقت؟»، فسألته: «**ألا تملكها؟**»، فقال: «**لقد فُقدت كلها**»، فقلت له:«**سوف أحضرها لك إلى** «**الأهواز**».

لطميّتــي، البقية كانوا يعتقدون أنَّني أنشد شيئًــا من أشعار «**داريوش**» وغيره، بعضهم كان يقول: **جيِّد، هيا أنشد ثانية، أنشد**.

فــي المــرّة السابقة، ترجم لطيــف دهقان لطميّاتــي بشكل مغاير؛ لأنّه يعلــم أنّ الترجمة الحقيقية ستسبِّب لــي المشاكل؛ لذا ترجم لهم شعرًا من أشعار «**بروين اعتصامي**»، اليوم أوقعت الترجمة الصحيحة للّطميّات لطيــف دهقان بالمشاكل، كان العراقيّون يثقون بلطيف، لكن قال له عبد الجبار: «**لطيف! في هذا الشعر ذكر للمعارك**».

نفى «**لطيف**» ذلك، لكن «**عبد الجبّار**» أصرّ على أن هذا شعر ثوريّ.

في البرنامج التلفزيونيّ «**صدى المقاومة**» الذي كانت تعدّه منظمة «**المنافقيــن**»، ويُبــث مــن التلفزيون العراقــيّ، تحدّثوا كثيــرًا عن دور «**صــادق آهنكران**» في إيجاد الحماس، ورفع معنويات المجاهدين، كما تحدّث التلفزيون والإذاعة العراقيَّة مرارًا عن «**بلبل الخمينيّ**»[1].

قلت في نفسي: «**سيسبِّب الفيلم، الذي التقطه لي** «**رضا منطقي**» مصــوّر لواء «**الفتــح 48**»، **الوحيد قبــل عمليات** «**كربــلاء 4**» **المتاعب يومًا من الأيّام**».

ففــي ذلك اليوم- وبإصــرار من رضا -، أنشدت لفرقــة نزع الألغام لطميّة:

«**أيّها المجاهدون، حسين معكم والله حاميكم**».

أراد رضــا، الذي استمع إلــى أغلب لطميّاتي في الجبهــة، أن أكرِّر البيــت الــذي يقــول: «**نحــن قادمــون للجهــاد، لنمــرِّغ جبــاه العــدوّ بالتــراب**». فقلــت في نفســي حينها: «**رضــا! إن وقــع هــذا الفيلم بيد**

(1) يقصدون به الحاجّ صادق آهنكران.

الأعـداء فسيمرِّغون جبهتـي برصاصة واحدة فـي التراب». لكن من جهة أخرى كنت سعيدًا بأن يكون هذا الفيلم ذكرى لعائلتي، فسيرونني دائمًا في الرابعة عشرة من عمري.

بعـد الظهر جـاء لطيف، وقال لي: «**يـا سيّد مرّ إنشـادك للطميّات «آهنكـران»** حتّى الآن بخير وسلام، وقد حاولت جاهدًا أن أخفي عنهم حقيقة أشعارك، لكن العراقيِّين أدركوا اليوم بأنّني كنت أكذب عليهم، لكن إن فقدوا ثقتهم بي فسوف يضرّ ذلك بنا جميعًا.

- تعني أنهم أدركوا أنّني أنشد لطميّات آهنكران؟

- أجـل، عندما تنشد لطميّات آهنكـران أُضطر؛ لأن أترجمها لهم بشـكل مغاير، لكن «**عبـد الجبّار**» شابّ ذكي. كما لم أستطع أن أترجم اسم «**كربلاء والحسين**»؛ إذ لا يمكن ترجمة الأسماء.

لـم أستطع قول شيء، لم أشـأ أن يفقد العراقيّـون ثقتهم بلطيف، فوجـوده كان ضروريًّا جدًّا للجرحى الأسـرى، يمكن صرف النظر عن لطميّات «**آهنكران**»، لكن لا يمكن التفريط بلطيف. قام «**لطيف**» بحذف كلمات، كالإمام الحسيـن، كربلاء، القدس، وما شابه. لكن العراقيِّين قالوا للطيف: هذا الولد يذكر كلمة «**الحسين، وكربلاء، والقدس**»!.

عند المغيب استدعاني «**عبد الجبّار**»، وقال لي: «**لقد حاول «لطيف» مساعدتك، ألم تنشد أشعارَ «آهنكران» الخمينيّ الحماسيّة**»؟

- أنا لا أنشد لآهنكران.

- أقسم بالحسين.

- لن أقسم.

- إذًا، كنت تنشد أشعار «**آهنكران**»، ومحرّم؟

اشتد غضب «**عبد الجبّار**»، وصفعني صفعتين شديدتين على وجهي، أحسست حينها بأنّ طبلة أذني قد ثقبت، ثمّ أمطرني بسيل من الشتائم، وأعادني إلى (القسم) المركز الصحّيّ. ظهرت الكدمات على وجهي، فأخبرت الإخوة بما جرى بيني وبين عبد الجبار.

وطوال إقامتي في المستشفى لم أُنشد لطميات «**آهنكران**».

جلب «**توفيق أحمد**» الكعك لي، لقد زادت علاقتي به يومًا بعد يوم، فقد شهد توفيق أحمد جيّدًا مدى علاقة الأسرى الجرحى بأبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقال: لقد أدركتُ أنَّ الله لن يذلّكم، أنتم الإيرانيِّين، في هذه الحرب، فلطالما جَعلتم الخمينيّ، الذي عانى ما عاناه من النفي والتشرّد، قائدًا لإيران، وجعلتم شاه إيران يلوذُ بالفرار، كما أدركتُ أنَّ الله سيذلّ جنودنا الذين كانت سميرة توفيق، ومي أكرم مع زوجها المغني، يقيمون لهم حفلات الفسق والرقص والغناء في «**جبهة مهران**[1]». وبعد أن سيطرتم أنتم على «**مهران**» أعدم صدام قائد الفيلق العراقيّ الثاني «**ضياء توفيق إبراهيم**». وبأمر من صدام أيضًا أُعدم أغلب الجنود الذين انسحبوا من تلك المنطقة، وكُتب على نعوشهم «**جبناء عمليّة مهران**».

في ذلك اليوم، أدركت أن الله يحبّكم، وأنَّ الجنود العراقيِّين، قبل أن يُقتلوا بأيديكم وبدي صدام، هم قتلى طمع رئيس بلادهم بالجاه والسلطة.

(1) مهران: اسم منطقة ومدينة حدوديّة بين العراق وإيران في محافظة ايلام الغربية...

الأربعاء 17 آب 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

جـاءوا اليوم لرشّ المركـز بمبيد للحشرات، دفعـت رائحة المبيد المؤذية العراقيِّين للبقاء في غرفهم. كانت حالة أحد الجرحى وخيمة، ويدعـى «**عليّ**» من قضاء «**ساوه**»[1]، وعلـى الرّغم من محاولات الإخوة فإنّه لم يتناول الطعـام، ولا الشراب منذ ثلاثة أيّام، لقد أصبح نحيلاً جدًّا، وتحوَّل إلى كومة من الجلد والعظام، وكلّ محاولات «**هادي كنجي، وباقر درخشان**» لحثّه على تناول الطعام ذهبت سدًى.

جلسـت مع «**محمّد كاظـم بابائـي**» أمام مدخل المركـز الصحّيّ، وكان الجرحـى العراقيّـون من المركـز الصّحّي المواجـه يمشون في الفنـاء الخارجيّ. إلى اليوم لم أكن أعلم لـمَ هؤلاء الجرحى هنا، ولمَ لا يزورهـم ذَوُوهـم، وكنـت أتعجّب كثيرًا مـن عدم اهتمـام الحرّاس العراقيّيـن بهـم. سألت أحد أسـرى الجيش الإيرانـيّ العرب، ويدعى «**منصور**»، وقد أُسر في «**مهران**»:

- هل هؤلاء عراقيون؟؟

- أجل عراقيُّون، جرحوا في الحرب.

نـادى «**محمّـد كاظـم**»، وهو إنسـان مرح ومحبّ للمغامـرات، أحد الجرحى العراقيِّين، فجاء أحدهم، وجلس بالقرب منّا، كانت ملامحه تـدل على المظلوميّة، كان جميـع الحرّاس ما عدا «**توفيـق أحمد**» في غرفهـم التي لم تتوقَّـف المكيِّفات عن العمل فيهـا لحظة واحدة، كما كان عمّال المبيدات مشغولين برشّ المبيدات في المركز.

قـال «**محمد كاظـم**» للجريـح العراقيّ: «**أنتـم العراقيِّيـن قطعتم**

(1) ساوه: تلفظ: Saveh.

ساقَيْنَا نحن الاثنين، لكن لا يهمّ، تلك هي الحرب».

استطـاع «**محمّـد كاظم**» من اللحظـة الأولى التواصـل معه جيّدًا. كانـت يد «**حسيـن رحيم**»، الجريـح العراقيّ، مضمّـدة، وقد جُرح في ناحية البطن أيضًا.

كان «**حسيـن**» نحيل الجسـم، أسمر اللون، صغيـر العينين، يحدِّق بنقطة واحدة عندما يتكلّم. حسين شيعيّ من «**الغاضريّة**» في كربلاء، ويقيـم عند شاطئ الفرات، ما إن سمعت باسـم الفرات حتّى انهمرت دموعـي دون قصد منّي. صديـق حسين يدعى «**عرفان عبـد الرزّاق**»، كان ضخـم الجثة، قوي البنية، شديد السمـرة، أسود العينين، وشعره كستنائيّ اللـون، كان شيعيًّا من النجف، يقيم، بحسب ما أخبرني، في «**شارع السُدير**» في النجف.

طـرح «**محمد كاظم**» عليهمـا الكثير من الأسئلـة، فأجابوا عن كلّ الأسئلة دون أيِّ خوف، أو وجل.

لكنّنـي قلت لـ«**محمّد كاظم**»: «**قد لا يرغبان في الخوض في تلك الأمـور؟!**» فأجـاب «**محمّـد كاظم**»: «**أريـد أن أعرف لِـمَ هما في هذا المكان غير المناسب إلّا للأسرى أمثالنا؟!**»

تنمّ ملامحهما عن حزن دفين، وددت كثيرًا أن أعرف المزيد، كان منصور يترجم كلامنا، وقد وثق «**حسين رحيم**» بي وبـ«**محمد كاظم**»، وقـال في بداية الحديـث: «**هذه الحرب هـي لقتل الشيعـة، البعثيون يعلمـون تمامًـا مـا فعلـوه**»، وقـال: «**نحن مـن أتبـاع آيـة الله محمّد باقـر الصدر الـذي أصدر في بداية الحرب فتوى تُحرِّم قتال الإخوة الشيعة الإيرانيّين**»، وقال أيضًا: «**لا شيء أغضب صدام حسين بقدر**

مـا أغضبتـه هذه الفتوى، فقد حـاول كثيرًا أن يثنـي آية الله الصدر عن فتواه التي قال فيها: (إنّ البعثيِّين ليسوا بمسلمين، وإنَّ أيَّ نوع من التعامل معهم حرام)، وفي النهاية قتلوا آية الله الصدر».

أضاف «**حسين رحيم**»: الكثير من العراقيِّين، وبسبب هذه الفتوى، لم يكونوا على استعداد لمحاربة الإيرانيِّين.

لـم أدر ما أقول، وكذلـك «**محمد كاظم**»، وعلى ما يبـدو أنّه إنسان مثقّـف، وقـد أخبرنا بأمور لـم أسمعها مـن قبلَ؛ منها فتـوى «**آية الله الصـدر**»، وتابـع «**حسين رحيم**» قائـلاً: كان البعثيـون يرسلون الشيعة للقتال في الجبهات الأماميّة؛ كي يقتلوا هم أيضًا، وهكذا يصل البعثيون إلى تحقيق أمانيهم حسب ما يقولون، فإذا ما قُتل إيرانيّ يتخلّصون من مجوسيّ، وعدوّ خارجيّ، وبقتل العراقيّ الشيعيّ يكونون قد تخلَّصوا من عدوٍّ داخلـيٍّ. بالنسبة إلى صدام أنتم عدوٌّ خارجيّ، ونحن عدوّ داخليّ؛ لذلـك عندما كان صدام يزور مسقط رأسـه تكريت كانوا يردِّدون هذا الشعار له: «**يا صدام لا تهتمّ، شيعيّ شيعيّ، يجري الدم**».

كنـت أسمع منه الكثير مـن الأخبار التي لم أسمع بها من قبل. فقد أخبرنـا أنه فـي 1968 ـ وبسبب الظلم الشديـد والقتل اللاحق بالشيعة العراقيِّين من قبل الحكومة العراقيّة ـ، وقع خلاف شديد بين «**آية الله الحكيم**» والجنرال «**عبد السلام عارف**» رئيس جمهوريّة العراق آنذاك، وقـد رفض آية الله الحكيـم استقبال «**عبـد السلام عـارف**»، مما أثار غضبـه، فأمر بنزع صور «**آية الله حكيم**» من الأزقَّة والأسواق والمحال التجاريّة في المدينة. لم يبق ظلم «**عبد السلام عارف**» وعمله هذا دون جواب، فبعد أسبوع من إصداره هذا القرار قتل بحادثة تحطُّم طائرته

أثنــاء عودته من البصرة والقرنة إلى بغداد. كان يومها قد أهان.، في خطاب له في تلك الليلة.، الشيعة والإمام عليّ عليه السلام، وعندما علم أهل البصرة من السنَّة والشيعــة على السواء بسقوط مروحية عبد السلام ردّدوا الشعــار التالي: «**صعد لحم، نزل فحـم**»، وكان آباؤنا يقولون أن جد هذا السّيِّــد (يقصدون الإمام الحسين عليه السلام)، هو من قضى على «**عبد السلام عارف**».

وقــال: «**هل تتصــوَّرون لـمَ الشيعة لا يَصِلُـون إلى أعلـى المراتب فـي الجيش العراقـيّ، مع كلّ مـا يقدِّمونه مـن تضحيـات؟! فما إن يصـل أحدهـم إلى مرتبة عالية حتّى يُحال إلى التقاعد فورًا، ويبقى العقيـد الشيعيّ يتخبَّط في تلك المرتبـة سنوات عدّة، قبل أن يُحال إلـى التقاعد الإجباريّ. البعثيّون لا يثقون بالشيعيّ أبدًا، بينما تجد أن الضابـط البعثـيّ يترفَّـع فجأة مـن رتبة ملازم إلـى رتبة عميد**».

وقد أخبرنا «**حسين رحيم**»، نقلاً عن أخيه، أنّه عندما احتل العراقيّون «**الهويـزة وسوسـن كرد**» كان أخـوه في «**الفرقـة9**» العراقية، التي كان يقودها صديق صدام الحميم. ثمّ سألنا إن كنّا قد سمعنا باسم «**طالع خليل الدوريّ**» من قبل؟!

فقال محمّد كاظم: «**لقد سمعت باسمه كثيرًا**»

وقلت: خلال السنوات التــي شاركت فيها في جبهات القتال سمعت بأسماء ماهر عبد الرشيد، هشام صباح الفخريّ، وطالع خليل الدوريّ كثيرًا، لكن اسم ماهر عبد الرشيد تردّد أكثر من غيره».

فقـال «حسيـن رحيـم»: «الثلاثة حقيـرون، لكن طالع خليـل الدوريّ أحقرهـم وأقساهـم قلبًـا». وتابع نقلاً عن أخيـه: «كان أخي في أوائل

الحرب يخدم في «الفرقة9»، وأخبرني أنّه عندما احتلّ الجيش العراقيّ «سوسن كرد» لم يكن في المدينة سوى العجائز والأطفال والأولاد الصغار الذين لم يتمكّنوا من الفرار من المدينة، وبأمر من «طالع خليل الدوريّ» الذي كان عقيدًا في ذلك الحين، جُمع من بقي من أهالي المدينة في الساحة الرئيسيّة، وقيل لهم إنّ قائد الفرقة يريد التحدّث إليهم، وقد عرض عليهم الذهاب للعيش في مخيم المهاجرين في البصرة، صدّق المساكين مقولتهم، وعندما اجتمعوا في ساحة المدينة، وبأمر من «طالع خليل الدوريّ»، أُطلقت النيران عليهم، ومن ثمّ داسوهم بالدبابات، وناقلات الجند. وبناءً على كلام «حسين رحيم»، فإنَّ أخاه عانى بعد تلك الحادثة من مشاكل نفسيّة، وهرب من الجيش، لكن مخابرات الجيش ألقت القبض عليه في منزل عمّه، وكان عمّه من نشطاء حزب الدعوة[1]. كان النظام البعثي قد ألقى القبض على عمّه عام 1984، أي في العام نفسه الذي قَتَل فيه حزب البعث عددًا من علماء النجف. اعتقل العم لمدَّة 5 سنوات في سجن «أبو غريب»، وكما قال، فقد ألقى جهاز المخابرات القبض على ابن عمه بتهمة توزيع بيانات لواء الصدر[2]، فأعدم.

سألته: «أين جرحت؟»

(1) نشط شيعة العراق في إطار حزب الدعوة، وتجمُّع العلماء، وغيرهم لمناهضة حكم صدام الذي منع أيّ نشاط للشيعة من أي نوع كان. وكان للشيعة منشوراتهم الخاصّة التي يديرها آية الله الحكيم، وآية الله الصدر، ومنها «**لواء الصدر**»، وقد خطب الشهيد الصدر بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران في جمع من طلاب الحوزة العلميّة قائلا: لقد انتصر اليوم موسى على فرعون وتحقّقت أمنيات جميع الأنبياء .اليوم قضى الإمام الخمينيّ على حكم الشاه؛ لذا علينا جميعنا أن ننضوي تحت لوائه ونأتمر بأوامره.. هذا ما أخبرنا به الدكتور «**مؤيّد**»، الطبيب المساعد في مستوصف المعتقل.

(2) وهي من منشورات المجلس الأعلى للثورة الإسلاميّة في العراق.

قال: كنا 4 مجنَّدين في خدمة العلم، في «**لواء المشاة 34**»، وقبل انتهاء الخدمة بقليل، وفي عمليّة 22 تموز[1]، تشاجرنا مع قائد الكتيبة التكريتيّ، فأصبحنا على هذه الحال.

كانت قصّة هذين الجنديَّين العراقيِّين مؤلمة، تشاجر «**حسين رحيم وعرفان عبد الرزّاق**» مع قائد الكتيبة. قال «**حسين**»، وهو إنسان منطقيّ ومثقَّف، لقائد الكتيبة: «**سيدي، بما أنّ إيران قد وافقت على القرار** 598 **فما الداعي لمهاجمتها؟**». أرسل قائد الكتيبة بلاغًا بالأمر إلى قائد اللواء العقيد «**نزار ساقي**» الذي جاء إلى مقرّ الكتيبة، فأخذ كلاشينكوف أحد الجنود، وأطلق النار على الجنود الأربعة، فأصيب «**حسين رحيم**» في الساق والبطن، و«**عرفان عبد الرزاق**» في القدم اليسرى والمثانة.

لقد تأثّرنا، أنا و«**محمد كاظم**» بما سمعناه من هذين الجنديَّين كثيرًا، واغرورقت عيناي بالدموع. قال «**محمّد كاظم**»: «**يا لسذاجتي؛ لأنّني توقَّعت أن يعاملني العراقيُّون برفق بسبب بتر قدمي**»، وأضاف: «**أنا منزعج من نفسي؛ لأنّني قلت لهما ذلك الكلام**».

- أيّ كلام؟

- حين قلت لهما: إنّكم قطعتم قدمينا.

- لن ينزعجا منك، فأنت لم تكن تعلم أنّهما كانا أيضًا هدفًا لرصاص البعثيِّين.

وقال «**عرفان عبد الرزّاق**»: «**حاليًا نحن هنا، لكن من المقرَّر، وخلال الأيّام القادمة، نَقْلُنا إلى المحكمة العسكريّة، توكّلنا على الله، ولا يهمُّنا مهما يحدث لنا**».

---

(1) وهو آخر هجوم عراقيّ على «**شلمجه**» بعد القبول بالقرار 598.

الخميس 18 آب 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

لـم تنفع جميـع محاولات الإخـوة لحض «**عليّ**» على تنـاول الطعام والمشي، وقد التصق بطنه بظهره من شدّة النحول، وأصبح من السهل جدًّا عدُّ عظام قفصه الصدريّ.

منـذ أسبوع وهـو على هذه الحال، لـم يستطع أن يتنـاول شيئًا من الطعـام، فاستشهـد قرابة الظهيـرة، كما أنّ العراقيِّين لـم يعيروه أيّ اهتمام في أيّامه الأخيرة.

كانـت حالته مزرية تمامًا، تُحرِقُ فـؤاد كلّ من يراه، فقد تحوَّل إلى كتلة صغيرة من العظام، فغارت عيناه، وتجوَّف خدّاه، واختنق الصوت في حنجرته، كما أنّ رئتيه قد التهبتا، فلم يعد يستطيع التنفُّس بسهولة، فـي الأيّام الأولى التي كان يستطيع فيها تحريـك يده، كان يصلّي وهو ممـدّد، فيضع تربة السجود علـى جبينه، لم ير الإخوة سوى حركة يده وشفاهـه للصـلاة، لكن فـي الأيّام الأخيـرة، لم يعد يقـوى حتّى على تحريك يده تلك.

عندما رجونا الحرّاس أن يحضروا له المصل المغذّي، قالوا: «**نحن لا نقـدّم المصـل المغذّي لأعدائنـا**»، فقال «**هادي كنجـي**» للممرِّض: «**ليس الوقت مناسبًا لهذا الكلام، كما أنّ الحرب قد انتهت، فاهتموا قليلاً بمداواة هذا الجريح، نحن أيضًا لدينا أسرى عراقيُّون جرحى في إيران، ونعاملهم معاملة الجرحى الإيرانيِّين**».

كان «**علـي**» أكثر الجرحـى الأسرى مظلوميّة، أساسًا لمْ أُدرك كيف استشهد، تحلَّق الإخوة حـول جسده، ولم يتمالك أيّ واحد منهم نفسه عـن البكاء. حين قـال «**باقر درخشـان**»: لعلّه في الأسـر، ومن بين كلّ

مئة أسيـر إيرانيّ، ينال أسيران شرفَ الشّهـادة، تذكرت كلام السّيِّد «**عنايـت الله مـرادي**»، فالشهيد مرادي حـارب الصهاينة لسنوات في لبنـان، كان قائد مجموعتنا في وحـدة «**زرع ونزع الألغـام**»، واستشهد فـي عمليات «**كربـلاء 5**»، كما استشهد بعـد فترة «**بارني شيـخ**»، أحد أصغـر عناصر الوحدة سنًّا، قال (عنايـت الله): أيّها الإخوة، من بين 35 مليـون إيرانيّ يمنـح الله شرف الشهادة لـ 200 أو 300 ألف إيرانيّ فقـط، والباقي يموتـون لعلل وأسبـاب أخرى. ثـمّ قال: «**تبقـى أمنية العجائـز، أو الذين يموتون على فراش الموت، أو لأسباب أخرى، لو أنّهـم كانـوا من بين هؤلاء الـ 300 ألف شهيد، لنالـوا حسن العاقبة، وضمنوا الجنة**».

جـاء الحرّاس والممرِّضـون علـى أصـوات البـكاء، وقـف «**هادي كنجـي**» أمام الجسـد، وبدأ بتلاوة الحديث القدسـيّ، كنت قد سمعت هذا الحديث فـي جبهات القتال، لكن عندما قرأه «**هادي كنجي**» أمام جثمّـان الشهيد المظلوم غصصت بالبكاء، كما بكى الجميع معي. قال «**هادي كنجي**» وقد خنقته العبرات: «**من طلبني وجدني، ومن وجدني عشقنـي، ومن عشقني عشقته، ومـن عشقته قتلته، ومن قتلته فعليّ ديّته، ومن عليّ ديّته فأنا ديّته**».

بعـد أن شرح هادي معنى الحديـث بالفارسية، قـال: أيّها الأخوة، يـا لسعادة «**عليّ**» وأمثال «**عليّ**» ممن ديتهـم الله، لقد رأيتم كيف كان يصلّـي، ورأيتم مظلوميته، حتّـى إنّ العراقيِّين لم يكونوا على استعداد لحقنـه بالمصل المغـذّي، أيّها الإخوة، كم كان «**علـي الأكبر**» مظلومًا فـي هذا البلد التّعس. يـا لسعادة «**علي**» الراحل هـذا، ويا لسعادة من

يرضى عنه «**عليّ** عليه السلام»، نحن بقينا؛ لأنّنا عاجزون، بقينا لنشهد حُزن إمامنا، بقينا لنشهد تجرّع إمامنا لكأس السّمّ، لم نكن جنودًا وتعبويّين جيِّدين لإمامنا، ولو كنّا كذلك لما وقعنا في الأسر، لقد تجرّع إمامنا كأس السّمّ بسبب تقصيرنا، بالتأكيد أخطأنا في مكان ما، حتّى يقول لنا العراقيّون إنّ قائدكم تجرّع كأس السُّم.

جاء «**أحمد توفيق**» إلينا أواخر الليل، وكان حارس الليل، كان حزينًا لشهادة «**عليّ**»، وقد مُلئَ قلبه قيحًا من الحارسين «**سعدون فياض وعبد الجبّار**»، لقد وثق بنا، وحدّثنا عن مكنونات قلبه، فقال: «**كان عمّي من تجار سامرّاء الكبار، لكن البعثيِّين صادروا جميع أملاكه وثرواته بتهمة تقديم المساعدة للحوزة العلميّة في النجف الأشرف**»، وقال لا يسمح البعثيّون.. بهدف إضعاف الشيعة في العراق .، للتجار الشيعة بتوسيع أعمالهم وثرواتهم ودعم الحوزة العلمية والعلماء في العراق، وقال أيضًا: «**لتحقيق هذا الهدف؛ فإنَّ من مهامّ فروع حزب البعث العراقيّ في المحافظات مصادرة ممتلكات و ثروات التجار الشيعة**».

الجمعة 19 آب 1988 مستشفى الرشيد - بغداد

صادف البارحة الذكرى السنويّة الثامنة لفاجعة «**ده بزرك**»[1]، فقبل 8 سنوات، وفي مثل هذا اليوم، وقع أسوأ حدث في حياتي، وكأنّ قَدَرِي قد جُبِلَ بالمصائب والألم.

---

(1) اسم قرية مسقط رأس الأسير والكاتب ناصر حسيني بور. والحديث عن تفاصيل هذه الحادثة سيأتي خلال الفصول الأخيرة من الكتاب.

السبت 20 آب 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

صباح هذا اليوم، أعلن الأمين العام لأمم المتحدة «**بيريز دكويّار**» عن وقـف إطلاق النار بين إيران والعـراق بشكل رسميّ، لا أدري إلى أيّ مدى سيلتزم العراق بوقف إطلاق النار، وبالقرارات الدوليّة، لكن ما علمته أنّ الدول الغربيّة لم تكن لتحرِّك ساكنًا إزاء نقض العراق لتلك القرارات.

الخميس 25 آب 1988 - مستشفى الرشيد - بغداد

أحضروا لنا الصحف قبل الظهر، وقد تحدثت صحيفة «**القادسيّة**» عـن بدء مهمـة مراقبي منظمة الصليب الأحمر الدولـيّ؛ تمهيدًا لبدء عمليـة تبادل الأسرى بين البلدين، وتحدّثـت أيضًا عن بدء مفاوضات وزيـري الخارجيّـة الإيرانـيّ والعراقـيّ برعايـة الأمين العـام للأمم المتحدة في «**جنيف**».

كان قـد مضـى 38 يومًا علـى نهاية الحـرب، والقبول بقـرار وقف إطـلاق النار. كنّا نتناول الغـداء عندما دخل «**توفيق أحمـد**» وأخبرنا بـأنّ استخبـارات الجيشـ ودائـرة الأمن الخاصّ قد أخـذا البارحة «**حسيـن رحيـم وعرفـان عبد الـرزّاق**» إلـى المحكمـة العسكريّة، كم وددتُ لو أنّني رأيتهما للمرة الأخيرة؛ إذ لم تسنح لنا الفرصة لرؤيتهما مجددًا، أنا و«**محمّد كاظم بابائي**». كان «**توفيق أحمد**» سعيدًا لانتهاء الحـرب، فقد قاتل في جبهات «**مهران**» و«**دهلران**» مدّة عامين، حدّثنا عـن صـدام، وعن أحـداث سبتمبـر 1983، وكيف أنّ الشعـب العراقيّ كان عليـه إطاعة رجلٍ يحمل بيدٍ سيفًا، وباليـد الأخرى ذهبًا، يقصد به صـدام، فمن لم يكـن على استعـداد لتقديم حياتـه مقابل الذهب

والسيــارة والدينار، سيصطدم بسيف صــدام ويخسر رأسه، وأضاف: «**لا أدري كيف استطاعت التعبئة الشعبيّة في إيران مواجهة الجيش العراقـي طوال 8 سنـوات**». وبعد أن أخبرناه عن روحيّة مقاتلي التعبئة وشجاعتهـم، قال: «**في عام 1980 لم يكن الجيش العراقي يملك أكثر مـن ستّة فِرق مـن المشاة والآليات والمدرعات، لكن تزايد عام 1984 العـدد ليصـل إلـى 44 فرقةً، فكيـف استطعتم الصمـود ومقاومة كلّ تلك الجيوش المدرَّعة والآلية والمشاة؟!**».

جُمعنــا بعـد الظهر فـي باحـة المستشفى، حيـث أخبرونـا بأنَّهم سينقلوننــا إلى المعتقل، وقالوا لنا إنّ هــذا القسم (المركز الصّحّيّ) سيتمّ إخــلاؤه نهائيًّا من الجرحى الإيرانيِّيــن، فبعد انتهاء الحرب لم يعد من جريح ليحضروه إلى هنا.

فرحتُ لأنّهم سينقلوننا إلى (المخيَّم)، كان «**لطيف دهقان**» يقول: «**المعتقـل أفضـل مـن سجـن ومستشفـى الرشيـد**». انتظرتنا سيارة «**فولـز فاكن ستيشن**» طحينيّة اللون أمام المدخل لتقلّنا إلى المعتقل، قبـل أن أصعد السيارة أردت توديع «**لطيـف**»، وكم تمنَّيت لو أبقى معه فـي المعتقل ذاته، جـاء «**لطيـف دهقـان**»، وجلس بالقـرب منِّي، قبّل رأســي وذرف الدمــوع، لا أنسى دموع «**لطيف**» ذلـك اليوم، كان رجلاً حنونًا وغيورًا، كان رفيقًا جيّدًا للجرحى في مستشفى الرشيد، قلت له: لا أريـد أن أودع «**توفيق أحمد**» أمام أعين الممرّضين والحرّاس، حتّى إنّ «**توفيـق أحمـد**» ذاته لـم يشأ أن يَطّلِع أحدٌ علـى علاقته بالجرحى وعاطفته نحوهم، فقلت للطيف: عندما نغادر قل لتوفيق أحمد «**وفقك الله**»، وأنّنــا سندعـو له، وإنــه كان رجــلاً شهمًا، لكنا ندعـو الله أن لا

يرحم «**غانم حسّان**»، ولا ضابط الاستخبارات «**سعدون فيّاض**». من أفضل الذكريات التي علقت في ذهني عن «**توفيق أحمد**» أنّه كان يحدّثنا في إحدى ليالي شهر محرّم الحرام بأحاديث عذبة ومعبرة، وفي آخر ليالي محرّم كان يأتي إلى النافذة، ويقول: «**الطموا بشكل لا يسمعونكم فيه**»، وعندما يرتفع صوتنا أكثر كان يعود إلى النافذة، ويشير إلينا بيده؛ أن أخفضوا أصواتكم، ويقول: «**ليس من مصلحتكم أن يتمّ نقلي من هنا**».

في الأيّام الأخيرة، كان طلبه الوحيد من الأسرى الإيرانيِّين، وكما كان يقول: «**عندما تتحرَّرون وتذهبون إلى مشهد، أوصلوا سلامي إلى الإمام الرضا** عليه السلام**، وقولوا له: إنّني لم أقسُ على الأسرى الإيرانيِّين أبدًا**». أدركت أنّه إنسانٌ متدينٌ ويخافُ اللّٰه، عندما أخبر الإخوة في المعتقل بأنّ أمّه مريضة، تعاني من مشاكل في القلب، وطلب منهم الدعاء لها، فهو يؤمن بأنّ دعاء الأسير مستجاب عند اللّٰه.

كنت أشعر بقيمته أكثر عندما كنت أقارنه مع ضابط الاستخبارات في قسم الجرحى «**سعدون فيّاض**»، الذي قال لي يوم عاشوراء: لو وافق الإيرانيُّون على نقل قبر «**هارون الرشيد**» إلى العراق، ونبشتم قبر «**الحسين**»، ونقلتموه إلى إيران، لكانت مقايضة جيِّدة ، «**هارون الرشيد**» مقابل «**الإمام الحسين**».

وأضاف: «**في عهد الشاه طلب الرئيس صدام حسين من شاه**

إيران أن يسمح له بنقل قبر هارون الرشيد إلى بغداد، لكنّه رفض[1]».

عندما كانوا ينقلوننا معصوبي الأعين ومكبّلي الأيدي من مستشفى الرشيد، تذكّرت كلام «**توفيق أحمد**» قبل عدّة أيّام، حيث قال:

«يا سيِّد، أدركت أنّ الله ليس معنا عندما قام «هشام صباح الفخريّ» في مركز «اللواء 413» في قلعة «ديزه» بحمل ثلاثة أسرى إيرانيِّين في المروحية ورميهم من عُلُوٍّ شاهق إلى الأرض، كلّ الجنود العراقيِّين يعرفون مدى قساوة قلب هشام، وأدركت أنّ الله معكم عندما أخطأ «لواء 47» للمشاة العراقيّ الهدف في منطقة «أبو الخصيب» في معركة «شلمجه»، وأطلقوا النار بعضهم على بعض، فوقعت كلّ تلك الخسائر».

(1) لقد تحققت من صحّة مقالته، فقد ذكر المحقق والباحث التاريخيّ في ايران «**خسرو معتضد**» أنّ صدام طلب ذلك في أوّل زيارة له إلى إيران، لكن الشاه أجابه حينها بأنّ أمر نبش القبور يعود إلى المراجع وعلماء الدين.

الفصل السادس:

سجن الرشيد[1] - بغداد

السبت 27 آب 1988م- سجن الرشيد- بغداد

كنّا ثمّانية أسرى، ولم نكن نعرف وجهتنا، «**أنا**»، و«**محمد كاظم بابائي**»، «**نصر الله غلامي**»، «**باقر درخشان**»، «**هادي كنجي**»، «**يد الله زراعي**»، «**قاسم فقيه**»، «**إيرج شباني**» و«**إسماعيل صولت دار**». ما إن تَرجلّنا من سيارة الـ«**فولز فاكن**» حتّى وقعت عيناي على «**سجن الرشيد**»، تعجّبت، وقلت في نفسي: «**لمَ سجن الرشيد ثانية**»؟! السّجن الذي ضَمّتْ جُدرانه الكثير من الذكريات المُرَّة للإخوة في عَمليّات «**موقع الخندق**»، السجن الذي أمقُتُ سجّانيه. أرسلونا إلى الزنزانة رقم (1)، بينما كنت في المرة السابقة في الزنزانة رقم(2)، تمنّيت لو أنّهم أرسلوني إلى الزنزانة نفسها لأكون مع الإخوة، أسرى «**موقع الخندق**»، فلم أكُنْ أعلم أنّهم نُقِلوا إلى معتقل «**المُخيَّم (13)**» في الرماديّة، ولم ألتقِهم ثانية منذ ذلك التاريخ. لقد حَالفهم الحظ؛ فقد سَمحَ العراق لمنظمة الصليب الأحمر الدوليّ بزيارتهم[2]، وهكذا

---

(1) قيادة الحرس المركزي في بغداد.

(2) كان العراق يعتقل أكثر من 20 ألف أسير إيرانيّ في معتقلات «**تكريت**» المخفيّة و الرهيبة بعيدًا عن أعين منظمة الصليب الأحمر الدوليّ. وقد طلبت المنظمة من العراق تزويدها بأسماء الأسرى الإيرانيّين الذين أُسروا في السنة الأخيرة للحرب.

دُوِّنت أسماء الإخوة أسرى «**الخندق**» في لوائح المنظمة.

كتبَ الإخوة أسرى «**موقع الخندق**»، ومنهم «**الله بخش حافظي**»، عنّي وعن أحوالي مرّة أو مرّتين في رسائلهم التي أرسلوها إلى أهلهم في الوطن، لكن قسم الرقابة في دائرة الاستخبارات العراقيّة منع إرسال تلك الرسائل إلى إيران.

كُنت سعيدًا لأنّني أستطيع التنقل في سجن الرشيد، فقد عانيتُ الأمَرّين عندما كنت نزيل الزنزانة المجاورة في المرّة السابقة، ولا أدري إن خرجتُ من ذلك الامتحان مرفوع الرأس أم لا؟ أعتقد أنّني أخْفَقتُ في مواقع مُتعدّدة.

علا صوت السجّان النّكرة، وهو يقول لنا: «**يلّلا بسرعة، يلّلا ادخل**». دخلنا إلى السجن، كنت أظنُّ أنّني لن أرى سجن الرشيد ثانيةً وإلى الأبد. قال السّيِّد «**محمّد**» لي، وكان يتمتّع بحسٍّ أدبيّ: «**كأنَّنا وهذا السجن أنسباء، وكأنَّنا خُلقنا أحدنا للآخر، ومن دوننا سيتآكل من الوحدة**».

لم أكن أعرف أحدًا من نُزلاء سجن الرشيد، ولولا وجود الإخوة الجرحى لشعرت بالغُربة. كان أكثر نزلاء الزنزانة رقم (1) من جنود الجيش الإيرانيّ الذين أُسِروا في جبهات: «**زُبيدات، مهران، دِهلران، فَكّه، سومار وموسيان**». كانوا من جنود «**فرقة حمزة 21**»، وفرقة «**خُراسان 77**» و«**المُجَوقل 92**»، كما أنّ عددًا من الإخوة في الحرس الثوريّ والتعبئة الذين أُسِروا قبل شهرين في «**شلمچة**» ما زالوا في السجن نفسه، كانت وجوههم كالحة؛ لأنّ العراقيّين كانوا يُبقونَهم أربع أو خمس ساعات يوميًّا تحت أشعّة الشمس الحارقة.

كُنتُ فـي الزنزانة رقم (4) عندما دَخل رئيسـ الحرّاس، وهو يأكل الفُستق، فكنت أشعر بملوحتها في فمي.

كان «**هـادي كنجي**»، وكالعادة، يُقـدِّمُ لي كلّ ما أحتاجه، يُحضر لي الطعام والخبز، يساعدني في الذهـاب إلى المرحاض، وينام بالقرب منّي؛ كي لا أتعرّض للرَّكلِ من قِبلِ الأسرى الأصحاء أثناء مرورهم.

تعرفـت اليوم علـى أسيرٍ من «**كيلان**»، من قضـاء «**صومعه سَرا**»، و يدعـى «**عباس كُلـزار بـور صادقـي**»[1]. كان «**عباس**» أحـد عناصر الحرسـ الثوريّ، وعلمتُ فيما بعد أنّه أحد قادة موقع «**رمضان**». عيناه خضـراوان، وشَعـرُ وجههِ ورأسـه أشقرُ اللون، وقد أُسـرَ بزيّ الحرس الثـوريّ، كما أنّه التـزم بنهج الحرس الثـوريّ طَوال مُـدّة الأسر، فلم يكُـن من الذين يعملون بالتَّقيةِ وما شَابـه. شعرُ لحيته الأشقر سبّبَ له الأذى، فقـد أشعلَ ضابـط الاستخبارات النارَ في لحيتـه «**بالولّاعة**»، وأمره بإهانة الإمام، فأجابه «**عباس**»: «**الخميني مرجِعُ تقليدي، ولن أُهينَـه**». عندما علمَ أنّني من وحدة الاستطـلاع والعمليّات اطمأنّ لي، وأخبرني بمجريات أسرِه، وكيف حالفهُ الحظ إذ لم يقتلهُ البعثيّون.

حمـلَ «**عباس**» معه أربعين ألف دينار عراقيّ، مع خريطةٍ، ومُخطّط عسكـريّ للمنطقـة، واتّجـه إلـى النقطـة المُحـدَّدةِ للقاءِ أحـدِ قادة المُعارضةِ الكُرديّة الذي كان من المقرّر أن يُسلِّمَه المالَ والخريطة؛ كي تستخدمها المعارضة الكرديّة في عملياتها ضدّ صدام في «**كركوك**».

قـام العراقيُّون بعمليّة إنْزالٍ، وأسروا «**عباسًا**» مع الخريطة والمال.

---

(1) أصبـحَ عباس بعـد التحرّر نائبَ قائد «**اللـواء2**» في «**فرقة القدس 16**» كيلان، وقـد أُحيل إلى التقاعد حاليًّا.

فَقَدَ الضابـطُ العراقيُّ صوابه عندما رأى 40 ألـف دينار بحوزته، قال «**عباس**»: لـم تسعهُ الفرحة وقـد أعمى الطمعُ بصيرتـه، فقام بعمليّة مُقايضة، وقال لعبّاس: «**لا تُخبر الاستخبارات والمحقّقين العراقيّين بأمر المال، وأنا بدوري لن أُخبرهم شيئًا عن الخريطة، ولا عن هُويّتك، وسأقول لهم: إنّك مجرّدُ مقاتلٍ عاديّ، وإنّنا لم نجد معك أيّة وثائق**». مَزّقَ الضابط العراقيّ الخريطة، الوثائق الثبوتيّة، تصريح المهمّة وغيرها من الوثائق والصور التي كانت بِحَوزة «**عباس**»، والتزم الطرفان بالعهد الذي قطعاهُ كلٌّ واحد للآخر، لم يُفشِ الضابط السرَّ؛ حيث لم يتمّ التحقيق معه بهذا الأمر.

نَـامَ الإخـوة على الأرض ليـلًا، فالعراقيُّون لا يُعطـون البطانيّات للنُّـزلاء الجُدُد، أعطانـا «**عباس**» بطانيّته، فطَويناهـا واستخدمناها كوسادة للنوم. نمنا أواخر الليل دُونَ أيّ فِراشٍ على الأرض. وقد اتسعَتْ الوِسادةُ (البطانيّة) لنا نحن السبعة.

كانـت ليالي سجن الرشيد حارةً جدًّا، لكن محبّةَ الأخوة كانت أشدُّ حرارةً. لم يكن في السجن مَراوح في السقف، وقد استخدم العراقيُّون الحَلقـةَ المُخصَّصة للمروحة في سقـفِ الزنزانة الأخيرة، وهي أوسعُ الزنزانـات، لتعليق الأسـرى أثناء التحقيق معهم. قلـت لعباس عندما كانوا يعذِّبـون الأسرى في الزنزانة الأخيرة: «**عليـك أن تُصلي ركعتي شُكرٍ لله يوميًّا؛ لأنّك أُسرتَ من قِبلِ ضابطٍ طماعٍ**».

- كان ذلك من حُسنِ حظي.
- لكنّ الله لا يمنحُ حُسنَ الحظ هذا لأيٍّ كانْ.
- لقد شَملني الله بلطفه، وسأبقى شاكرًا له ما حَييت.

- كانـوا يُقدّمـون لنا كلّ شيء بمقـدار مُحدّد، وكانـت حصتي من الماء كوبًا واحدًا لهذه الليلة، فتقاسمتُ كوب الماء مع «**قاسم**»، وطلبت منــه أن يريـق ماء كُوبهِ على الأرض حيث ننـام لنشعر ببعض البرودة؛ مع أنّها برودة سريعة الانقضاء، إلّا أنّها مُنعشةٌ في هذا الطقس الحار.

الأحد 28 آب 1988 - سجن الرشيد - بغداد

كان الوقـتُ ظُهـرًا، وجميعُ الأسـرى داخل زنزاناتهـم. دخل رئيس حرّاس السجن وقرأ اسمي. عندما خرجتُ من الزنزانة وجدتُ رئيس السجن واقفًا يحمـل عَصاهُ تحت إبطهِ، وقد اتسعت عيناه، وهو يُحدِّقُ بوجهي وجسمي بكلِّ دقَّة، نظرَ الضابط إليّ وقد عَقدَ إبهامَهُ على حِزام الرصاص، ونفثَ دُخان سيجارته من أنفه وقال:

- أنت ناصر سليمان منصور؟
- نعم سيِّدي.
- كنت تعمل في الاستخبارات؟

شعـرت بالغثيان، وقـد تصبَّب العرقُ البارد علـى جبيني، وتَواردت شَتَّى الأفكار إلى ذهني.

قـال الضابط لرئيس الحراس شيئًا لـم أفهمه، فسلَّمني خارج باب السجن إلى حارس آخـر، أخذني حارسانِ من ذوي القُبعات الحمراء، فسـرتُ مستعينًا بالعصا مُـدة 10 دقائق، دَخلنا مبنًـى فيه ممرٌّ ضيقٌ وطويلٌ، ويبدو من أشجار النخيل الباسِقةِ والجُدران التي ذهب طِلاؤها أنّه سجنٌ قديم.

يوجـد في الثُكنـة المركزيّة في بغداد، والتي تضـمُ سِجن الرشيد،

العديد من الزنزانات الانفراديّة. رُسِمَ على المدخل الرئيسي للسجن صورة كبيرة لصدام بالزّيّ العسكريّ برتبة «**المهيب الركن**». ما زلتُ أذكر أنّه كُتبَ على مدخل المبنى المجاور: «**مديريّة الاستخبارات العسكريّة**». عَبَرنا قاعةً طويلةً ناهز طولها على 50م وعرضِ 2م، أدركتُ- من شكل الأبواب الحديديّة التي لا تزيد المسافة التي تفصِلُ بينها على المترين-، أنّها زنزاناتٌ انفراديّةٌ، حاولت أن أحفظَ في ذهني كلّ ما أُشاهدهُ، يوجد في كلّ بابٍ حديديٍّ كُوّةٌ صغيرةٌ لمراقبة السُجناء في الداخل. دخلتُ الزنزانة ما قبل الأخيرة، فتَّش الحارس مَلابسي، وأخذَ مِنّي «**تُربة الصلاة**» التي أعطاني إيّاها «**توفيق أحمد**» في مستشفى الرشيد. تتّسعُ الزنزانة لنوم شخصٍ واحدٍ فقط، أغلقَ الحارسُ باب الزنزانة وغادر. مَضتْ 6 أو7 ساعات قبل أن يأتي أحدٌ إلي. كان لصوت فتح وإغلاق أبواب الزنزانات دويًّا يتردَّدُ في الأرجاء. جِعتُ، وعطشتُ، لكنَّ شعوري بالعطش كان أشدَّ من شعوري بالجوع. مضت ساعة أو ساعتان على أذان الظهر، ولم أكُنْ أعرف اتّجاه القِبلة؛ لذا طرقت باب الزنزانة عدّة مرّات، جاء السَّجان إليّ، فَتحَ الكوّة التي في الباب، في البداية سألته عن اتجاه القِبلة، ومن ثمّ طلبتُ منه إعطائي «**تُربة الصلاة**»، لم يستجب لي، بل كال لي الشتائم باللغة العربيّة، وغادر، فقلت في نفسي: لو أرادوا إعطائي «**تربة الصلاة**» لما أخذوها منّي أساسًا، تَيَمَّمتُ وصلّيت على الأرض بالاتجاهات الأربعة. بعد الصلاة، غلبني النُعاس، استيقظت مَذعورًا على صوت فتح باب الزنزانة، فهمت من كلام وإشارات السّجَان أنّه يريدني أن أتبعَهُ، أخذني إلى غرفةٍ كبيرةٍ موجودةٍ على مدخل المَمرّ، كان في

الغرفـة ثلاثةُ أشخاصٍ: ضابطٌ عراقـيٌ، شعره بنيٌّ، مائلٌ إلى الأشقر، يرتدي بِزّةً عسكريةً قصيرة الكُمّين، عراقيٌّ آخر يجلسُ بقُربه، يرتدي «**الدشداشـة**» العربيّـة مع «**الحطّـة والعقال**» على رأسـه، كان سمينًا، مُنتفخ الوجه، مُترجـمٌ إيرانيٌّ يرتدي بزّة رماديّة اللون، مُقلّمة وأنيقة، توحـي ملامحـه أنّه فـي الأربعين ونَيِّف مـن العمر، وكانـوا - ثلاثتهم - يجلسون خلف طاولة واحدة.

قَبـلَ أن أدخـلَ، كانوا قد أخرجوا للتوّ أسيـرًا آخر لا أعرفُه، فهو لم يكُـن مـن وحدتنا، ويظهر من ملامحـه أنّهم قد عذَّبوه كثيـرًا. تَفْضحُ عينـاه المُتعبتان، والكدمات المُزرّقَةِ على وجِهه، عُمق معاناته. عندما رأى قَدمي المبتورة، بَانَـت علائمُ الحُزن والشفقة على وجهه، مع أنّنا لـم نستطع التحـدّث بعضنـا إلى بعض أبـدًا. دخلتُ غرفـة التحقيق، فسمحـوا لي بالجلوس على الكرسيّ، سألنـي ضابط التحقيق العراقيّ الذي لا يحمل رتبة عسكريّة:

- هل أنت ناصر سليمان منصور؟
- نعم سيِّدي.

حمل زجاجة الخمر الكبيرة التي على طاولته، وصبّ قدحًا وسألني:

- هل تشرب؟
- أنا لا أشرب الخمر.

فقال ضابط التحقيق بكلّ هدوء، وبرودة أعصاب.

- أوراق التحقيـق الخاصّـة بك موجودة هنا. هـل أنت من وحدة «**عليّ هاشمي**»، أو من وحدة الاستطلاع والعمليّات؟
- ظنّـوا فـي «**الميمونـة**» أنّنـي ذلك الشخـص الذي هو بريـد «**عليّ**

هاشمي»، لكن ثَبُتَ بعد ذلك أنّني لست هو، وأخبرتهم خلال التحقيق أنّني من وحدة الاستطلاع والعمليّات.

- هل حقًّا أنت لست بريد «**عليّ هاشمي**»؟
- لو كنت كذلك، لأخبرتكم.
- إذن لِمَ قلت أثناء التحقيق، صباح ذلك اليوم، أنّك من كتيبة عسكريّة؟
- ليس لدي ما أقوله.
- ولِمَ قلت في التحقيق، نفسه أنّك من كتيبة الاستشهاديّين الخاصّة؟
- كذبتُ؛ كي لا يُؤذوني.
- إذًا لِمَ عُدْتَ وقُلتَ في التحقيق، بعد ظهر اليوم عينه، أنّك من وحدة الاستطلاع والعمليّات؟
- لأنَّ الجنديَّ العربيَّ قَدَّمَني لضباطكم على أنّني بريد «**عليّ هاشمي**»؛ وكي أُثبتَ لهم أنّني لست كذلك، أخبرتهم بالحقيقة؛ لِيَقلَّ جُرمي.

فقال الضابط العراقيّ الذي كان يُدخّنُ السيجارة تلو السيجارة، وينفثُ الدخان في وجهي:

- أصدّقُ كلامك أنّك لست من وحدة «**عليّ هاشمي**»، لكنّك قُلتَ في «**الميمونة**» أنّك من وحدة الاستطلاع والعمليّات، صحيح؟
- نعم صحيح.

فضّلت قَولَ الحقيقة، ولو أخفيتُ شيئًا لأوسعوني ضربًا؛ كي أعترف به؛ لذا لم أرَ من داعٍ لإخفاء أمرٍ كنت قد اعترفت به في معسكر «**الميمونة**»، وقلت في نفسي: لقد انتهت الحرب، وأصبحتُ عنصرًا في

وحـدةِ استطلاعٍ وعمليّاتٍ لا تفيـد معلوماته العراقيِّين في شيء؛ لذلك قُلـتُ الحقيقةَ كاملةً حول مـا جرى في تحقيق ذلك اليـوم في معسكر «**الميمونة**».

كان العراقيّ الذي يرتدي «**الدشداشة**» يُدوّن محضر التحقيق. قال لي ضابط التحقيق الذكيّ:

- صدَّقـتُ أنّك لست من وحدة «**علي هاشمـي**»، لكن أجبني بدقّة عن الأسئلة التي أطرحها عليك.

بَدأ ضابط التحقيق كلامه بمُقدّمةٍ حول انتهاء الحرب، فقال: لقد انتهـت الحرب، ولم تعـد المعلومات حول مناطق القتـال مُهمّةً لنا من الناحيـة العسكريـة، ما يُهِمّنا هو معلومات رِجالكـم من داخل الحدود العراقيّـة، تلـك المعلومات لا تـزال مُهمّةً لنا. كانـت قواتكم في وحدة الاستطـلاع والتجسُّـس تدخل الأراضـي العراقيّة، فيبقـون فيها أيّامًا وشهـورًا في بعضـ الأحيـان، وكانوا فـي أغلبهم من عمـلاء وأقرباء المجاهديـن العراقيِّين في «**فيلـق بدر9**»، كانت تلـك العناصر تدخُل قُرى: «**الحسان، الزجية، وأبو سعيد**»، فيبقى العديدُ منهم لعدَّة أشهرٍ في أهوار «**عصارة، الناصرة والقرنة**». أيُّ منازلَ كانت تأوي عناصركم فـي القرى التـي ذكرتُها؟ نحن نريـد أسماء أولئـك الأشخاص الذين قدّمـوا لعناصركم المأوى، إلـى جانب أسماء قُراهـم . بقيتُ صامتًا، وأنـا أنظرُ إليه مَبهوتًا، وقلت في نفسي: «**يا إلهي من هم هؤلاء؟ وعمَّ يبحثون؟**». حُرتُ بما أُجيب، ثمّ تابع: «**أجبْ عن أسئلتي، ولا تكذب، لا تستطيع الادِّعاءَ بأنّك لا تعرف شيئًا، إذا تعاونت معنا فسوف آمُرهم بإعادتك إلى أصدقائك، ولن نتعرّض لك بشيء**».

عندمـا سمعـتُ كلام المُحقّق، أدركـتُ أنَّ الاستخبـارات العراقيّة قـد وَجدتْ بعد انتهاء الحـرب مُتَّسعًا من الوقـت لتُلاحق المجاهدين العراقيِّيـن مـع أقربائهـم وأصدقائهـم الذيـن تعاونوا طـوال سنوات الحرب مع إيران، فآووا، بتنسيقٍ مُسبقٍ، الأخوة من وحَدات الاستطلاع والتجسُّس في منازلهم. إنْ حصلَ العراقيُّون على معلومات عنهم، فلن يكون مصيرُ أولئك الذين تعاونوا مع إخواننا زمن الحرب، وقدّموا لهم منازلهـم، وكانـوا أدلّاء وعيوناً لهم فـي الأراضي العراقيّـة، وزوَّدوهم بالسيـارات، والمعلومات، والصـور، والخرائط عن ما خَلف الجبهات، وعن المعسكـرات، والمناطق الاستراتيجيّة العسكريّـة العراقيّة..، إلّا المَوتَ الحَتميّ.

مـا قاله ضابط التحقيق حول تعـاونِ المجاهدين من «**فيلق بدر9**» مع عناصر وحدات الاستطلاع والعمليّات للحصول على معلومات حول المراكز العسكريّة للأعداء وإيوائهم لهم أيّامًا وشهورًا داخل الأراضي العراقيّة كان صحيحًا.

قُلـتُ لضابط التحقيـق: «**لا أعـرف إلى أيـن كان يتّجـه العناصر الذين دخلوا الأراضي العراقيّة، فتلك المعلومات سرّيّة، وليست في متناول الجميع، وأنا لا أعرف شيئًا**».

حَـدَّق الضابط بي، وكادت عينـاه تخرُجان مـن محجريهما، تركَ لُطفَـهُ جانبًا، نهض من مكانه، واتّجه نحـوي، فأمسك بياقة قميصي، وصفعني صفعةً قويّةً على أُذني، ثمّ تابع كلامه.

- كلامُـك هـذا غيـر مقبول؛ إذ كيـف يمكنُ لشخص يعمـل في وحدة الاستطـلاع والعمليّـات أن لا يعـرفَ إلـى أيّ مـكان كان أصدقاؤه

ورفاقــه يذهبون، وإلــى أيّة منازل كانوا يأوون ليــلاً داخل الأراضي العراقيّة؟!..

- كانــت مَهمّتي رَصد تحرّكات العدوّ، وكنــت أقضي معظم أوقاتي في أعلى أبراج المراقبة، هذا عمل الراصد لا غير.

- من كان قائد وحدتك؟

- «**ولي عزت اللّهي**»[1]

عندما لفظت اسم «**ولي عزت اللّهي**»، ضربني بالعصا التي في يده علــى وجهي، علمت سبب غَضبِه قبــلَ أنْ يتفوّه بأيّة كلمة، بالتأكيد علم أنّني أكذب، حاولت أن أُبقي نظري للأسفل، مع أنّه كان عدوِّي، إلّا أنني شَعــرتُ بالخجل من النظر إلى وجهه؛ لأنّني كذبتُ وافتُضِحَ أمري، من الواضح أنّه يعرفُ الاسم الحقيقيّ لقائدِ الاستطلاع والعمليّات في لواء «**فتح**48» حتّى غَضِب وتصرَّف بهذا الشكل. تابع ضابط التحقيق:

- هل تَقولُ الحقيقة، أيّها المجوسيّ اللّعين؟

بَقيتُ صامتًا، وكان يُحملق في وجهي مُنتظرًا أن أُكرّر كلامي ثانيةً. كَال لــي الكثيــر من الشتائــم: مجوس، مسخرة، قِــرد، ذُبابة، وغيره. وعندما لم أُجبهُ رَمَى كوب الماء الذي كان على طاولته، على رأسي.

- قل ثانية ما اسمُ قائدك؟

كنــتُ مُضطرًا أن أُصرَّ على الكذبــة، وأن لا أتراجع عن كلامي؛ لذا كرّرتُ ثانيةً:

---

(1) كان «**عــزّت الله ولــي بــور**» قائد الاستطــلاع والعمليّات في لواء «**فتح**48 **مــن** »ساري. كان يقول للإخوة: اذا أسرتــم، و سألوكم عن اسم قائدكم فاجعلوا اسمه الأوّل على أنّه اسم العائلة، وأضيفوا إليه شيئًا. واذكــروا اسم العائلة على أنّه الاسم الأول، واحذفــوا منه شيئًا، فعلى سبيل المثال يصبح اسمي «**ولي عزت اللهي**».

– ولي عزت اللهي

– ألست تكذب؟

– ربّما كان هذا اسمه المستعار، فأنا لا أعلم.

نهض المُحقِّقُ من خلف الطاولة، واتّجه نحوي. وطلب منّي الوقوف بإشارة من يده، عندما وقفت صفعني صفعة قويّة على وجهي، كانت يده ثقيلة، فَقدتُ توازُني، وسقطتُ على الأرض، أردت النهوض فركَلَني على كَتفي، وتابع كلامه بعد أن عاد إلى مكانه.

– أيّها المجوس الكاذبون، أنتم الإيرانيّون لا تُجيدون شيئًا غير الكذِب، أتريدُ أن أذكُرَ لك أسماء بعضٍ من قياديي وحْدَتِك؟!

اعتقدتُ أنّه يُخادع، كنتُ أعلمُ أنّ للجيش العراقيّ جهازَ استخبارات قادرٍ وقويٍّ، لكنّني لم أكُن أتصورُ أنّه يَملكُ معلوماتٍ دقيقةً عن قيادة وحدتنا. أخَرجَ ضابطُ الاستخبارات مِلفًّا، وقرأ أسماء عددٍ من قادةِ وَحدتنا:

«**سيفُ الله حيدر بور**[1]، **جواد عظيمي فَر**[2]، **عليّ روستاد**[3]، **شكر الله واهبي زاده**[4]، **عوض شهابي فر**[5]، **عزّت الله ولي بور**[6] **ومحمود آقاسي**[7]». عندما قرأ الأسماء بقيت صامتًا، فالأسماء التي قرأها كانت لقياديّين في الكتائب الهجومية التابعة للواء «**فتح48**». لم يبقَ أيُّ

(1) سيف الله حيدر بور قائد اللواء «**فتح48**».

(2) جواد عظيمي فر رئيس قيادة (مقرّ) اللواء «**فتح48**».

(3) عليّ روستاد قائد كتيبة «**الامام عليّ** عليه السلام».

(4) شكر الله واهبي زاده قائد كتيبة «**الرسول الأكرم** صلى الله عليه وآله».

(5) عوض شهابي فرو قائد التخطيط والعمليّات .

(6) عزّت الله ولي بور قائد وحدة الاستطلاع والعمليّات .

(7) محمود آقاسي قائد وحدة التخريب.

كلامٍ لأضيفه، فأنا لـم أتوقّع أن أسمع أسماء قادَتِنا على لسان ضابط التحقيق في سجن الاستخبارات في بغداد. شعرتُ بالندم لأنّني كذبت. تابع ضابط التحقيق:

- نحن نَعرف أيضًا أنّ أحد قادَتكم أَبْكَم.

كان يقصـد «**جـواد عظيمي فر**»، كنت مستغرقًـا في التفكير حين سألني المحقِّق:

- هل تريد أن أذكر اسمه لك؟

لأُثبت له أنَّني أقول الحقيقة هذه المرّة، قلتُ دون أيِّ تأخير:

- جواد عظيمي فر.

ابتسم المحقِّق، وقال: «**هل تريد أن يحضروا لك المياه الغازيّة؟**»

كنت عطشانًا، وأردتُ شُربَ الماء. لم أدرِ ما حدث حتّى أراد ضابط التحقيـق أن يُقدِّم لي المياه الغازيّة، اعتقـدتُ أنّه أراد تكريمي؛ لأنّني أفصحـتُ عن اسم «**جواد عظيمي فـر**»، كنت أفكّر بماذا أُجيب، حين كرّر سؤاله ثانية: «**هل أطلب منهم أن يحضروا لك المياه الغازيّة؟**»

- لا مانع إن وُجد.

تبادلَ ضابط التحقيق والعراقيّ صاحب «**الحطَّة والعقال**» الكلام. حَدَّقا بي، وعَلَت محيَّيْهما ضحكات مريبة. سألني ضابط التحقيق:

- أتريد البُرتقاليّة أم السوداء؟

- البرتقاليّة.

- لا يوجد لدينا بُرتقاليّة، فهل تشربُ السوداء؟

- لا فَرق.

طلـب ضابـط التحقيق مـن السَّجان الـذي أحضرنـي أن يُقَدّم لي

المياه الغازيّة السوداء اللون. ما إن أخرجني من الغُرفة حتَّى انهالَ عليَّ بالكابل، كان عديمَ الرحمةِ، جَلدني على ظهري حوالي 30 جلدةً. عندما انهالتِ الضرباتُ عليّ أدركت أنّ المُحقّق قد خَدعني، وأنّ المياه الغازيّة السوداء ما هي إلّا كابل السّجّان الأسود. عندما كانت الضربات تنزِلُ على ظهري قلت في نفسي: لو كنتُ أعلم أن المياه الغازيّة السوداء هي هذا الكابل الكهربائيّ، لَما اشتهيتُ المياه الغازيّة بتاتًا.

الاثنين 29 آب 1988 ـ سجن الرشيد ـ بغداد

كانت الساعة حوالي العاشرة صباحًا عندما رجِعَ السَّجان إليَّ ثانيةً ليأخذني إلى التحقيق. نمتُ الليلة الماضية وحدي دون دِثارٍ. عندما دخلتُ الغرفةَ رأيت ضابط البارحة مع المترجم الإيرانيّ، لكن الرجل «**صاحب العِقال**» لم يكُن موجودًا.

ضحك الضابط وقال:

- هل شَرِبتَ البارحة المياه الغازيّة السوداء؟ هل كانت لذيذةً؟

لم أَقلْ شيئًا، كنتُ أعلمُ أنني استحِقُّ تلك المياه الغازيّة. لقد راعوا حالتي بسبب بتْرِ قَدَمي، كرّر العراقيّ أسئلة البارحة، وكذلك فعلتُ أنا، لو كنت أعلمُ أنّهم يعرفون اسم «**عزت الله ولي بور**» لقلتُ الحقيقة، مع أنّني أحبُّ «**ولي بور**»، وقد تآخينا صيف العام الماضي في مقرِّ «**كردوي كردستان**»، إلّا أنّني ـ ولكي يَدَعونَني وشأني، ويُعيدونَني إلى أصدقائي ـ، شَتمتهُ وقلت لضابط التحقيق:

- إذًا، لِمَ قال لنا ذاك الرجلُ المُخادع أنّ اسمه «**ولي عزت اللهي**»،

لربما كان يَكذبُ علينا طوال الوقت؟!

- أنتم تأكلون من خُبزِ ومِلحِ العراق وتكذبون علينا!

بَـاءتْ جميعُ المُحاولات -لإقناعه بأنّني لا أكذب- بالفشل. سَألني الضابط عن «**عليّ أصغر كرجي زاده**»، وقد سُئِلتُ السؤال نفسه خلال التحقيق معي في مدينة «**الميمونة**». كنت أعرِفُ مسؤوليّته في الحرس الثـوريّ، فيلق «**الإمـام جعفـر الصـادق**عليه السلام 6». كان «**كرجـي زاده**»، رئيس أركان الفيلق السادس.

قلت له: «**لا أعرفه**».

كان واضحًـا من نَظراته أنّه لم يُصدِّقني، تابع المُحقِّق الذي حاول السيطرة على غضبه:

- لقـد شارك في «**هجوم 25 تمـوز**» في جزيرة «**مجنون**»، حيث أُسرتَ أنـتَ، كان هذا الرجل مع «**عليّ هاشمي**»، وقـد أخبَرَنا جواسيسُنا، الذين هم من أبناء وطنِكَ، بأنّ «**عليّ هاشمي، وعلي أصغر كرجي زاده**» ليسا في إيران، فهل تعرف «**كرجي زاده**»؟

كان العراقيُّـون يبحثون عَنـهُ من «**الميمونـة**» إلى «**بغـداد**». وكانوا مُتعطِّشين للإمساك بـ«**عليّ هاشمي**» قائد الفيلق السادس أكثرَ مِن أيّ شخصٍ آخر. كان ضباطُ الاستخبارات يَدخلـون سِجن الرشيد يوميًّا بحثًا عنه، وكانـوا في معسكر «**الميمونة**» والمعسكر المركزي ببغداد، ينقلـون أيّ شخص بينه وبين «**عليّ هاشمـي**» أدنى شبهٍ، أو يَشُكّون به، إلى السجن الانفـراديّ. أخَرجوا البارحة شخصًـا من غرفة التحقيق يشبهُ «**عليّ هاشمي**» في الجزء السفليّ من وجهه. قد سأله المُحقِّق:

- بما أنّك من عناصر الاستخبارات، فهل تعرف «**فريدون كرم زاده**»؟

- إنّها المرّة الأولى التي أسمعُ بها بهذا الاسم.
- إنّه شخص ضخم الجسم، وقويّ.
- لا أعرفه.
- ماذا عن «**مهديّ نريمي**»[1]، ألا تعرفه أيضًا؟

كان «**السّيِّد فاضل فضليان**» نزيلَ السجن الانفراديّ المجاور لي، وكان السّجّان يأخذه للتحقيق، سألته: من هما «**مهديّ نريمي، وفريدون كرم زاده**» اللذان يبحث العراقيُّون عنهما بهذا الشكل؟ فقال: لا أعرف «**مهديّ نريمي**»، لكن «**فريدون كرم زاده**» هو نفسه «**علي أصغر كرجي زاده**». وكما أخبرني السّيِّد فاضل، فقد عُذِّبَ «**كرجي زاده**» في السجن الانفراديّ نفسه، وكان قد عرّفَ عن نفسه بأنّه «**فريدون كرم زاده**»، وقد عذّبهُ العراقيُّون كثيرًا كي يعترفَ، لكنّه صمَدَ وأصرَّ على اسمه المُستعار، فلم يستطع العراقيُّون.. رغم كلّ التعذيبِ.. أنّ يحصلوا منه على معلومات حول شخصيّتهِ الحقيقيّةِ، أو حَولَ «**عليّ هاشمي**». اطمأنَّ «**كرجي زاده**» للسيّد «**فاضل**»، وقال له: «**أنا علي أصغر كرجي زاده، فإذا تحرَّرت فاذهبْ إلى أركان الفليق السادس، وأخبرهم بأنني أسيرٌ**». فقال له السّيِّد فاضل الذي كان يعرفُه: «**أنا أعرفُك، لكنَّني لم أشأ أن أقول شيئًا**».

انكشف أمرُ «**كرجي زاده**»، فقد علِمَ العراقيُّون أنّ «**فريدون كرم زاده**» هو نفسه «**عليّ أصغر كرجي زاده**»، قائد الأركان في فليق «**الإمام جعفر الصادق عليه السلام السادس**». حصلتْ استخبارات العراق عبر

(1) مهديّ نريمي هو مسؤول استخبارات فليق الإمام جعفر الصادق عليه السلام السادس الذي اختفى مع «**علي هاشمي**» في جزيرة «**مجنون**».

جواسيسهـا وعملائها على فيلمٍ مُصوَّرٍ لـ«**عليّ أصغر كرجي زاده أثناء إلقـاء كلمة لـه في جمعٍ من مقاتلى تشكيـل**» حضرة محمّد ﷺ[1] في مدينة «**عبادان**»، فانكشف أمره.

كان ضابـط التحقيـق يَرمـي للحصول علـى معلومات حـول «**عليّ هاشمي، وعليّ أصغر كرجي زاده**»، فقال لي:

- هل تعلم أنّنا أسرنا وزير النفط في بلدك[2]؟
- أجل أعلم.
- وما رأي الإيرانيِّين؟ هل شقَّ عليكم أن أسرنا وزيركم؟
- وزيرُ النفط ليس عسكريًّا، لقد خَانهُ الحَظ فوقع بأيدِيكم.
- إذا عَـرَّفَ القـادة الإيرانيُّون عن أنفسهم فسـوف ننقُلهم إلى جانب وزيرِكم.

حـاول ضابـط التحقيـق فـي المرحلـة الأخيـرة أنّ يحصـلَ منّي علـى إجابات للأسئلـة التي طَرحَها علـيَّ البارحةَ حولَ عَمـلِ وَحداتِ الاستطـلاع والتجسُّس الإيرانيّة في الأراضـي العراقيّة وإلى أين كانوا يذهبون؟ فأجبته:

- لقد كنتُ راصدًا في وحدة الاستطلاع والعمليّات، وكنتُ أراقب مُرورَ وعُبـورَ آلياتكم في مناطق: «**الصخرة، البيضة، وقناة صُويب**»، ولا عِلمَ لي بأيّ أمرٍ آخر.

---

(1) كان تشكيـل مقاتلـي «**حضرة محمّد** ﷺ» من أكبـر القوّات الشعبية التي التحقـت بجبهات القتال في خريف 1987، كانت منقطعة النظير طوال فترة الدفاع المقدّس...

(2) أسـر النظـام البعثي عـام 1980 المهندس «**محمّد جـواد تندكويـان**» وزير النفط فـي حكومة الشهيد رجائـي آنذاك ،على طريق عام «**آبادان - ماهشهر**» عندما كان في زيارة تفقديّة للمناطق النفطيّة في جنوبيّ البلاد. استشهد بعد سنوات من التعذيب في معتقلات النظام البعثيّ، وقد سلَّمَ جثمّانه النظام البعثيّ آنذاك إلى البعثة المُرسلة إلى العراق عام 1991.

أمرَ بإعادتي إلى السجـن. أحضَروا لي القليل من الأرُز والحُمّص، بمقـدار «**كُلْ حتّـى لا تمـوت**». كنـتُ قـد نَويـتُ الصيام بِنِيّـةِ النجاة، فاحتفظـتُ بوجبةِ الغـداء للإفطار. لم أعلم متى حـلّ موعدُ الإفطار. أحضـروا عنـد العشاء القليل مـن الأرُز مع مَـرق القُنّبيط، فاحتفظتُ بهما للسَّحور. لم أعلم موعد السحور؛ لذا تناولت وجبةَ السَّحور بعد 4 ساعات من تناولي الإفطار. انْتابَني ألمٌ في الساق، فكنتُ أمشي يوميًّا، وبصعوبـة بالغة، مدة 20 دقيقةٍ مستعينًا بعـكّازي في زنزانة لا يتراوحُ طولها المتريـن وعرضُها المتر الواحد. في الليـل اقترَبَ السَّجان من زنزانتي، وقـد أدركتُ من صوته النكرة أنّه يعترضُ على الضَجَّة التي أُسبِّبُهـا. لقـد تلُفَ الغِـلافُ البلاستيكـيّ أسفل عُكازّي فـكان يُصدِرُ صوتًا عندمـا يصطدمُ بالأرض يتردَّدُ صداه في أرجاء السجن فيزعجُ السُّجناء والسَّجّانين. حاولت أن أتجنّبَ الاصطِدام بالسَّجانين؛ لذلك مَزقـتُ كُمَّـي «**الدشداشة**» العربيّـة التي كنت أرتديها مـن المِرفَقَين، وربطتُهمـا أسفلَ العُكّاز. لم يعُدْ عُـكّازي يُصدِرُ أيَّ صوتٍ أثناء السَّير، فتركني العراقيُّون وشأني.

الثلاثاء 30 آب 1988 - سجن الرشيد - بغداد

صباح هذا اليوم، كنتُ أتَلَوّى من ألمِ البطن، فقد أُصبت بالإسهال، كنـت أرغبُ بالصوم والصلاة بثيـابٍ نظيفةٍ؛ لذا طرقتُ باب الزنزانة عدَّةَ مرَّات، فتحَ السَّجَّان الكُوة، فأفهمتُه بالإشارة والإيماء أنَّني أُصبتُ بالإسهال، وأنّه عليَّ الذهاب إلى المرحاض، غَضِبَ كثيرًا فأغلق الكُوّة وذهـب. كانت ثيابي وجسمـي بحالة يُرثَى لها، شعـرتُ معها بالقرف،

فقـد فاحَـتْ منهما رائحةٌ كريهـةٌ. لا يحتاجُ المصـابُ بالإسهال سوى للذهـابِ إلى المرحاض، الأمـرُ الذي لم يكن ميسَّرًا. كنـتُ أُصلّي في تلك الزنزانة القذرة والثيـاب المتنجِّسة، صلاةً لم تكن مرضيّة لديّ. طرقتُ باب الزنزانة عدّة مرّات من قلَّةِ حِيلتي، دخل السَّجان فضَربني بالكابل علـى رأسي، وكَال لي بعض الشتائم التي لا تليقُ إلّا به، وخرج. دَعَـوتُ عليـه في نفسـي وطلبتُ مـن الله أن يصيبـهُ مـا أصابَني من الإسهال، ولا يُسمحُ له بالذهاب إلى المرحاض.

قَبـلَ أن يأخذونـي إلـى التحقيق، بعد ظهـر ذلك اليـوم، سُمحَ لي بغسـلِ ثيابـي وبالاستحمـام؛ لا لأنّ السَّجان قد أشفَقَ علـى حالي، بل أراد أنْ أكونَ نظيفَ الثّياب والرائحة في حُضور ضابط التحقيق. قيلَ: إنّـه لا يوجـد حمَّامٌ في سجن الاستخبـارات، وإنْ وُجـدَ لا يُسمحُ لأحد باستخدامـه حتّى في أصعَبِ الظروف. أدركـتُ من إشارة السَّجان أنّه عليَّ غسلُ ملابسي والاستحمام داخل المرحاض.

كانت ثيابي عنـد الغروب ما تزال مبلّلة، فجـاء السَّجان إليَّ ثانيةً، واصطحبني إلى غرفة ضابط التحقيق. سألني ضابط التحقيق:

- هل كنتَ في «**شلمجة**» عام 1986 ؟

قلـت في نفسي، ومـا أهميّة ذلك للعراقيّين؟! لـم أجد مبررًا لنفي ذلك، فأنا لمْ أكُنْ أعَلم الهدفَ من هذا السؤال.

فقلت: «**شاركتُ في عمليّات «كربلاء 5**».

- سأذكُرُ لك عددًا من الأسماء، فأخبرْني إن كنتَ قد سمعتَ بها؟

ذكرَ المحقِّق اسميـن لضابطين كبيرين في الجيش العراقيّ، هما: العميـد «**أميـر أحمـد**» قائد اللـواء 506، والعقيد «**محمّد عبـود**» قائد

المدفعيّة في الفرقة 19 العراقيّة[1].

لقد أسرَ الإيرانيُّون هذين الضابطين عام 1986 في عمليات كربلاء خمسة. وقال أنّ عناصر من منظمة المنافقين قد أخبروهم أنّ الإيرانيِّين قتلوهما بعد الأسر. عندما كرَّر سؤاله، قلت له:

- لا أعلمُ شيئًا عن هذين القائدين، لكنَّني أعلم جيّدًا أنّ الإيرانيِّين ـ وبسبب معتقداتهم الدينية ـ لا يقتلون أسرى الحرب.
- سأسألك سؤالًا، وإن أجبت عليه سَأطلبُ إعادتك إلى مخيم الأسرى.

اعتقدت أنّه سيسألني عن «**موقع الخندق**»، عن «**عليّ هاشمي**، **وعليّ أصغر كرجي زاده**»، أو غيرهما من القادة الإيرانيِّين. سأل المحقِّق:

- هلّا أعلمتني أيَّ الموجودات التي كان من الأفضل أن لا يَخلُقها اللّه؟

لم أفهم أيَّ موجودات يقصد، فلم أجد جوابًا لسؤاله، ولذتُ بالصمت. كنتُ انتظر أن يُوضّحَ لي السؤال أكثر، وكنت أفكِّر بالجواب عندما ضحك، وقال:

- إذا طُلِبَ منك أن تذكُرَ أسماء ثلاثة موجودات مؤذية للطبيعة، فأيَّ الموجودات سَتذكُر؟
- لكلّ موجودٍ من مخلوقات اللّه سرّهُ الخاصّ.

---

(1) من أجل استكمال كتابة مذكّراتي سألت لُجنة الأسرى عن مصير هذين القائدين البعثيِّين، فأخبروني بأنّهما كانا أسيرين في معتقل الضباط تحت نظر منظمة الصليب الأحمر الدوليّ. وقد أُطلقا من الأسر عام 1990. كانت منظمة مجاهدي خلق قد أعطت معلومات خاطئة للعراقيِّين حول مصيرهما آنذاك .

- هل تريد أن أذكر لك تلك الموجودات؟
- أنا لا أعرفهم.
- ثلاثةُ مخلوقات: الإيرانيون، اليهود، والذُباب[1].

انزعجت كثيرًا من كلامه. كانوا يضحكون وأنا أنظرُ إليهم. تمنَّيت لو لم أكن في قبضتهم، حتّى أقول له إنّ البعثيّين واليهود سلبوا الناس أمْنَهـم. كنتُ أخشى عواقب هذا الـكلام، وكنت أتمنَّى أن يُعيدوني إلى رفاقي؛ لذا لم أبح بما في نفسي. لو كانوا لا يتعرّضون لي بالأذيّة لقلتُ لـه: اشكروا الله على أنّ من يزعجكم هم الإيرانيُّون واليهود والذباب، مع أنّني متيقّن أنّ اليهود لا يُسبِّبون لهم أيّ إزعاج.

أعادوني إلى الزنزانة بعد التحقيق.

الأربعاء 31 آب 1988 - سجن الرشيد - بغداد

نمتُ الليلة الماضية في الزنزانة الانفراديّة؛ قرابة العاشرة صباحًا، قَدِم إليّ سَجّانان واقتاداني إلى سجن الرشيد. عندما دخلت السجن رقم (1) فرح الإخوة كثيرًا لرؤيتي، ومنهم «**هادي كنجي، نصر الله غلامي، أيرج شباني**». وكان صديقاي «**السّيِّد محمّد شفاعت منش، وأحمد شريفي**» في السجن رقم (2). كان السَّجَّانون قد مَدَّدوا عددًا من الأسرى على الأرض في باحة السِّجن، وكانوا يدُوسون بأحذيتهم العسكريّة على ظُهورهم، فقد أخبرهم أسيرٌ خائنٌ بأنه رآهم يَرمون

(1) سمعتُ المقولة نفسها بعد ذلك في المعتقل رقم (16)، وعلى لسان الحارس العراقي حامد. أخبرني الحارس العراقي الطيّب «**سامي**» بأن صدام قال ذلك أوائل الحرب. وعندما أراد البعثيون تحقير الإيرانيين كانوا يُرددون الكلام نفسه .بعد التحرّر سألت العقيد «**مرتضى**»، مدير مكتب الفن والأدب المقاوم«**عن أول من قال ذلك الكلام، فقال هو** «**خير الله طلفاح**» والد زوجة صدام في مقالة خاصة، أمر صدام فيما بعد بأن تُدرس في التعليم العقائدي لحزب البعث.

دبابـات إحدى التجمُّعـات العراقيّة بقذائف «**الأر بي جـي**» في منطقة «**دهلران وموسيان**». والله أعلم إن كان صدقًا أم كذبًا.

قَرابـةَ الظُّهـر استشهـد أحـد الإخـوة، قيـلَ: إنّه كان مـن أفضل الملاحيـن في «**كيلان**»، ولم أعرف اسمه. أصـرَّ الإخوة على البعثيِّين لنقله إلى المستشفى، لكن دون نتيجة، وقالوا: سننقلهُ إلى المقبرة بدل المستشفـى. تحوَّل ذلك الجسـم القويّ إلى كتلة مـن العِظام والجِلد. أُسـر ذلك الشهيد في «**سومار**»، فقد أصيـب بشظيّة في ناحية البطن والقفـص الصـدريّ. فكان- كمـا قيل- يتنفسُ بصعوبـةٍ بالغة. نقل العراقيُّون جثمّانه خارج السجن، ودفنوه في مكانٍ مجهول. ولم أكن قد رأيتُهُ الشهر الماضي في مستشفى الرشيد.

رفـع أحد الإخـوة أذان الظهر، وبينما كان الإخـوة يُصلّون صلاتي الظهـر والعصر، دخلَ نائـب قائد المعسكرات إلـى السّجن، فسألني، وكنت أصلّي من قعود: «**أنتم تصلّون؟**»

ثمّ تابـع بلهجةٍ وابتسامةٍ ساخرة: «**وهل يصلّـي المجوس؟**». فقال لـه «**محمد كاظم بابائـي**»: «**أوّلاً، لسنا مجوسًـا، ثانيًا، الصلاة تعبيرٌ عـن العبوديّة لله، وإن ظننتُم أنّ الإيرانيِّين لا يُصلُّون، فاذهبوا أنتم، وأدُّوا أعمالكم كما يجب، فالله وحده هو من يحقّ له أنّ يسأل- وليس أنتـم- إن كان العراقيُّون يُصلّـون أم الإيرانيّون، الأمريكيّون يصلُّون أم الكويتيّون**».

فـردَّ الضّابط علـى «**محمّد كاظـم**»، وقال: «**نحـن العـرب، وبقوّة السيف أجبرناكم أنتم الإيرانيُّون على قَبول الإسلام**». فقال «**محمّد كاظـم**»: لقد تراجعت عن كلامك الأوّل، وهكذا إن استمريت بالتراجع

عن كلامك خُطوةً خُطوةً، فستصل إلى نتيجة، وهي أنّنا نحن الإيرانيِّين من أفضل عباد الله بعد عصر النبيّ ﷺ.

غضبَ الضّابط من كلام «**محمّد كاظم**»، حاول الإخوة الامتناع عن الجـدال مع حرّاس السجن والضّابط. فهؤلاء عندما لا يروقُهم الكلام يلجؤون إلى العنف. أشرتُ بحاجِبَيَّ إلى «**محمّد كاظم**»؛ كي يتوقّف عن الجدال معهم، لكن دون فائدة.

فقال الضابط مخاطبًا الجميع:

- نحن من أحفاد قعقاع بن عمرو[1] الذي مرَّغَ أنف العجم بالتراب، يجب أن نوكّلكم أنتم الإيرانيِّين إلى سيف «**سعد بن أبي وقاص**»[2].

عندمـا قال هذا، أجبته: نحـن لدينا «**سلمان الفارسـيّ**» الذي كان مستشـارًا للرسول محمّد ﷺ، وأضاف محمّـد كاظم: «**الإيرانيُّون لم يُسمّموا أحدًا من أئّمة الشيعة، بل العرب هم من قتلوهم**».

الجمعة 2 أيلول 1988 - سجن الرشيد - بغداد

دُهشـتُ عندما وقعتْ عيناي عليه، فقد أشـار إليّ في مقرِّ «**الفليق العراقـيّ الرابع**»، وقال للعراقيِّين: «**هذا رسول (بريد) عليّ هاشمي**». قلت لإيرج شباني من «**هرمزكان**» وكان يجلس بجانبي:

- اذهـب يا «**ايرج**»! إلى «**عباس بهِنـام**»، وقُلْ له أنّني أريده في أمر. كان «**عباس**» طويـلُ القامـة، وأقوى الأسـرى بنيةً. جاء «**عباس**» إليَّ، وقال: «**ماذا هناك يا سيّد؟**»

---

(1) كان قعقاع من قادة العرب في حرب القادسيّة

(2) كان سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش العربيّة في حرب القادسيّة

- هل ترى ذلك العربي يا «**عباس**»؟
- أيًّا منهم تقصد؟
- الرابع من اليمين؟
- رأيته، وما به؟
- ذلك الرجل كشف أمري عند العراقيِّين في «**الميمونة**»، وقال أنّني بريد «**علي هاشمي**»، أقسم عليك بالعباس عليه السلام أن تَنتقمَ لي مِنه متى سَنحت لك الفرصة.

وَعَدني «**عباس**» أن يَختلِقَ سببًا لضَربه الليلة في الزنزانة. لم أتمالك نفسي، فما إن غَادر السَّجَّانون حتّى نهضتُ، وذهبتُ إليه، ما إن رآني حتى انخطف لونه، فهو لم يتوقَّع رؤيتي، كنتُ ساخطًا عليه، وأكرهه منذ ذلك اليوم، ومن شدّة انزعاجي، قلت له:

- أيُّها العميل الخائن، لم كذبتَ على العراقيّين وادّعيت أنّني بريد عليّ هاشمي؟ هل تعرفني أساسًا؟ لم اختلقتَ ذلك الكلام؟!
- أحببتُ أن أفعل ذلك، فماذا تريد أن تفعل؟ هنا كلّ شيء ليس في صالحك.

فقلت لعباس و«**إيرج**» لو أنّه لم يدّع أنّني رسول «**عليّ هاشمي**» لما أُجبرتُ على إخبار العراقيِّين بأنّني من وحدة الاستطلاع [المخابرات]. قلت لعباس: «**حالتي الجسديّة لا تسمحُ لي بمقارعته، لكن أُقسمُ عليك بالله أن تنتقمَ لي منه، فكلّ ما أعانيه هو بسبب هذا الخائن**».

السبت 3 أيلول 1988 - سجن الرشيد - بغداد

قبل الظهر جمعوا الأسرى في باحة السجن، فقد أرادوا إرسال عددٍ منهم إلى أحد المعسكرات. اختار رئيس الحرّاس عددًا من مجموعتنا، منهم «**هادي كنجي**». كان السّجّانون يعلمون أنّ «**هادي**» يقوم بمساعدة الجرحى، ويُعيننا في كلّ أعمالنا، وأن لا أحد يستطيع أن يحُلَّ مكان «**هادي كنجي**». كان الحرّاس أنفسهم يرون مدى تضحياته في الليل والنهار، كان يَستغني عن الطعام والنوم من أجل راحتنا، وكمْ مَرّةٍ وَاجَهَ الحراس، وبكلّ غرور من أجلنا. كنت أعلمُ أنّ العراقيّين سينتقمون منه، شخصٌ واحدٌ كان بإمكانه الاهتمام بيد الله زارعي، وهو «**هادي كنجي**». إنَّ فِكرة إبعادِه أحزَننا جميعًا.

ذهبتُ إلى رئيس حرّاس السجن، ورجوته أن يسمحَ لـ«**هادي كنجي**» بالبقاء، وقلت له:

- بدون هذا الرجل ستكونُ حياة الجرحى صعبةً جدًّا وَسطَ ازدحام السِّجن.

لم يبالِ رئيس السجن بكلامي. قال الأسير العربيّ، الذي تجادلتُ معه البارحة، للسجانين أنّني من الاستخبارات. وقال «**محمّد كاظم بابائي**»: بما أنّكم قررتمْ تَرحيلَ 40 أسيرًا مع «**هادي كنجي**»، فليكن الجرحى من ضمنهم، أَرسِلوا جميع الجرحى مع «**هادي**» إلى ذلك المعسكر.

تصرّفَ رئيس الحرّاس بكلّ قساوةٍ مع «**محمّد كاظم**»، فأدركت أنّ هدفهم الأذيّة فحسب، أرادوا إبعاد «**هادي كنجي**» عن الجرحى، فقد تجادل «**هادي**» مع العراقيِّين أكثر من مرّةٍ، وأغاظهم من أجلنا.

فصلَ رئيسُ الحرّاس «**هادي**» عنا، ووضعوه مع الأربعين أسيرًا المَنْويّ ترحيلهم. لقد حزنتُ كثيرًا لفراق «**هادي**».

أوّل الليل، دخل رئيس الحرّاس إلى الزنزانة، كان يَجلدُ الإخوة بالكابل عندما كان يُحصيهم، كان قاسيًا جدًّا، ضرب «**إسماعيل صولت دار**» على رأسه في مكان إصابته بالشظية، وكذلك ظَهْرَ «**نصر الله غلامي**»؛ حيث نزَعت الشظية التي أصابته جزءاً من لحمه. كنّا حين نُبدّلُ له ضماداته نضع بضعَ ضماداتٍ داخل التجويف الذي أحدثته الشّظية في ظهره، ثمّ نكمل تضميد كامل الجرح ليستوي مع الظهر.

الأحد 4 أيلول 1988 - سجن الرشيد - بغداد

اسمه «**محمّد**»، من «**لاهيجان**»، كان العراقيُّون ينادونه «**محمّد محمود عبد الله**»، كان يستخدم اسمًا مستعارًا، ولا أدري لِمَ يَضربهُ جميعُ الحرّاس بهذا الشكل!. كان بعد الضّرب، يَقرأ هذا الشعر للحرّاس:

حتّى لو مُلئتِ الدنيا بيزيدٍ فلن نتخلّى عن سيّد الشهداء

كان يقول: «**أنا من أقارب الحاجّ مصطفى أكبري**»، وهو عجوز في العقد التاسع من العمر، من «**كيلان**». عندما سمعتُ بعد ظهر ذلك اليوم قصّة الحاجّ «**مصطفى**»، قلت له: «**لك الحقّ في أن تفتخر به**».

وكما قال، فإنّ الحاجّ «**مصطفى**» من أهل قرية «**باركو سرا**»، ولهُ 90 ابنًا وحفيدًا، وقد استُشهد 8 من أبنائه وأحفاده في معارك الدفاع المُقدّس، إضافة إلى أسير، وآخر جَريح. تشاجر «**عباس بهنام**» مع

الأسير العربيّ الذي كشـفَ أمري في «**الميمونة**»، وأوسعه ضربًا. كما أنَّ الحرّاسـ لم يرحمـوا «**عباسًا**»، وضربـوه ضربًا مُبرّحًـا دفاعًا عن جاسوسهـم. غَطّت الكدَماتُ وجه عباس، فشعرتُ بالنّدم؛ لأنّني طلبتُ منه أن يَضربَ الجاسوس. جاء «**عباس**» إليَّ، وقال: «**لقد نفّذت المَهمّةَ التـي أوكلتهـا إلـيّ**». أخبرني «**محمّد كاظـم**» بأنّ «**عباسًـا**» تشاجر مع الجاسوس العربيّ في ممرِّ المرحاض، وأوسعه ضربًا، فشعرت بالرضا.

كان الأسـرى الأصحّاء يشعرون بنوعٍ مـن الحَميّةِ على الجرحى. لا أدري لِـمَ قال «**عباس**» هذا: «**يا سيّد، في ذلـك الزمن الذي كَسرَ فيه الأوغـادُ ضِلـع الزهـراء** عليها السلام**، تمكّنوا من ذلك؛ لأنّهـا كانت وحيدة، لكـن لم أمت أنا بعدُ حتّـى أدعَ هؤلاء الأوغاد يتعرَّضون لك بالأذيّة**»، ما إن قال ذلك حتّى انهمرت الدموع من مُقلتيّ.

تم جمـعُ الأسرى في فناء السجن قرابَـةَ الساعة العاشرة صباحًا، وقالوا لنا: إنّهم سينقلوننا إلى المعتقل. قلقتُ كثيرًا من أن يتُمَّ التفريق بيننا، فقد اعتدنا بعضنا على بعضٍ، وتَشاركنا حلاوة السّجن ومرارته. كنـتُ سعيـدًا؛ لأنّني سأتخلّصُ مـن بعض الحّراسـ، وخاصّة رئيسهم الحَقُود.

الفصل السابع:

تكريت - المخيَّم الملحق

الأحد 4 أيلول 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

صعدنـا حافلات وزارة الدفاع الرّماديّة اللـون، وخرجنا من سجن الرشيـد في بغـداد. أُسدِلت ستائر الحافلة بأمر مـن رئيس الحرّاس، وقالـوا لنا: «**لا يحقّ لكم النّظر إلى الخارج**». كمـا صعد إلى الحافلة عددٌ من الحرّاس ذوي القبّعات الحُمر والمسلّحين بكلاشنكوفاتAKM (أخمص حديديّ).

أيّ مـكان آخر سيكون أفضل مِن سجن الرشيد. كان سائق الحافلة شخصـاً مرحـاً، ممتلئ البطـن، رفع صـوت «**المُسجِّلـة**» عاليًا، فكان الحرّاس يصفّقون، ويغنّون مع سائق الحافلة، والمطرب العربيّ، بينما يقـوم آخر بتبديـل أشرطة التسجيـل باستمرار، ويُعرِّفُنـا على أسماء المطربيـن: فاضل العوّاد، حسين نعمة، سعـدون جابر، مي أكرم، وأم كلثوم.

كنـتُ غارقًـا في عالمي الخاصّ، لا أشعر بكلّ ما يـدور حولي في الحافلـة، اختلسـتُ النظـر من شُقـوق السّتائـر، فشاهـدتُ أشجار النخيـل، لا أدري لِـمَ أثارت رؤية تلـك الأشجار شُجُونـي؛ ربّما لأنّها تذكّرنـي بمعاناة أهـل البيت عليهم السلام. ما إن وقعتْ عينـاي على أشجار

النّخيـل حتّى انقبضَ قلبي حزنًـا، وكأنّ تلك الأشجـار تحدّثني عن مظلوميّـة عليّ وأهـل البيت عليهم السلام. لم يكـن الأمر بحاجـة إلّا للقليل مـن الإخلاص، والوَجْد، لتشعر بوجـود أهل البيت بين تلك الأشجار، وللقليـل من العشق كي تشعر بوحدة عليّ عليه السلام، ونقض «**أهل الكوفة**» العهـدَ معه في هـذه الأرض الملعونة. انهمـرتْ دموعـي لرؤية تلك الأشجار؛ لكن الصّور الكبيرة المنتشرة على طول الطريق سَلبَت منّي ذلك الشّعور المعنويّ الجميل.

تنتشـر على طول الطرق بين المدن العراقيّة العديد من الصّور الكبيـرة لصـدّام حسيـن بقيـاس: (3×2م) و(4×3م)، تمثّـل تلك الصـور التي رسمهـا أمْهر الرسّامين على لوحـات أسمنتيّة كبيرة «**صـدّام حسيـن**» بوضعيّـات وأزيـاء مختلفة، صـدّام حسين بزيّ الجنرالات، الزّيّ العسكريّ، الزّيّ العربيّ: «**الجلباب (الدشداشة) والعقـال علـى الرأس**»، الزّيّ العسكـريّ الأمريكيّ مـع النّظارات الشّمسيّة، الزّيّ الكـرديّ والعشائريّ. ترمي تلك الصّور المتفاوتة المقاييـس، والأزيـاء، والوضعيّـات، إلـى إظهـار عظمـة صـدام وشجاعته الزائفتين. كصورته وهو يمتشق السّيف إلى جانب «**سعد بن أبي وقاص**»، أو إلى جانب «**القعقاع بن عمرو**»، «**آشوربانيبال، أو نبوخـذ نصّـر**»، صورٌ له وهو يمتطي الحصـان، ويُطلق النار، أو خلـف المِدفع، أو وهو يلقي خطاباً من على المنبر. لقد زُرِعت تلك اللوحات على جانبي الطريق، ويفصل الواحدة عن الأخرى مسافة 5كلم تقريبًا.

بعـد حوالي أربع ساعات من السّفـر قطعنا خلالها مسافة 300 كلم

تقريبًا، دخلنا إلى باحةٍ ترابية لمعسكرٍ يضم معتقل الأسرى «**مفقودي الأثر**»[1].

ترجّلنا من الحافلة، أينما نظرتُ وقعتْ عيناي على الصّحراء. يحيط بالمعسكر ثلاثة صفوف من الأسلاك الشائكة، كرويّة الشكل. يقع«**معسكر صلاح الدين**» بالقرب من الطريق العام الذي يربط «**تكريت**» بمحافظتي «**أربيل والموصل**»، ترتفع جدران المعسكر ما يزيد على أربعة أمتار، وقد نُصبت في أعلاها زوايا حديدية بطول مترين، التفّتْ عليها أسلاكٌ شائكة متشابكة، فأصبح طول الجدران مع الأسلاك الشائكة نحو ستة أمتار ونيِّف؛ فالعراقيّون الذين تمتّعوا طول فترة الحرب بفريق هندسةٍ عسكريٍّ مُحتَرفٍ، قد راعوا في المخيَّم أقصى جوانب الحِيطة والحذر؛ بحيث يتعذَّر فرار أيِّ أسير إيرانيّ على الإطلاق.

جلسنا صفًّا واحدًا مقابل المخيَّم، ويُشاهد في أطرافه ناقلات الجُندِ والمدرعات، وقد ارتفعت أربعة أبراجٍ للمراقبة في زواياه الأربع.

---

(1) مدينة تكريت هي مسقط رأس صدام، وإحدى أقضية محافظة «**صلاح الدين**». يحدّها من الشّمال محافظة أربيل والموصل، من الشرق محافظة ديالة ومندلي ونهر دجلة، من الغرب محافظة الأنبار وبحيرة ثرثار، ومن الجنوب بغداد وسامراء يمرّ أنبوب النفط إلى الغرب من تكريت، وينقل النفط من آبار «**جيغال**» في محافظة الموصل إلى بغداد يضمّ معسكر صلاح الدين المعتقلات 13، 15، 16، 17، 19، 20. كان من المقرَّر أن يكون هذا المعسكر من أهمّ المعسكرات العراقيّة، حيث يضم عدداً كبيراً من الألوية والفيالق العراقيّة المدرعة والمؤلّلة. تعتبر معسكرات: «**صلاح الدين، التاجي، الراشيديّة، الرشيد وأبو غريب: أكبر خمسة معسكرات في العراق، وكانت تضمّ في زواياها معتقلات الأسرى الإيرانيّين. أمّا العنابر التي نزلنا فيها في معسكر «صلاح الدين»** فكانت محلاً لركن دبابات ومدرعات الجيش العراقيّ. وقد قام العراقيّون عام 1988 بتحويلها إلى مكان لاعتقال الأسرى، وكانوا يعتقلون فيها حتى أوائل شهر أيلول من عام 1991، وبعيداً عن أعين الصليب الأحمر الدوليّ، ما يقارب الـ 20 ألف أسير إيرانيّ مفقود الأثر.

في كلّ برج جنـديّ مسلّحٌ برشاش «**غرينـوف**»، فالحرّاس متموضعون فــي تلـك الأبراج لحراســة المخيَّم ليل نهــار، ويبدِّلـون مناوباتهم كل 12ساعة.

عندمــا رأيت أبـراج المراقبة انقبضـ قلبي، وتذكّـرت الأيّام التي قضيتهــا على بــرج المراقبــة لرصد تحــرُّكات العراقيّين فــي جزيرة «**مجنـون**»، لكـن دارت الأيّــام، وأصبحــتُ أسيــرًا، وأصبحــوا هم من يراقبوننــي، فقلت فــي نفسي: لو سنحت لنا الظـروف يومًا ما، وتمكّن جميــع الأسرى من الفــرار، لما استطعنــا أنا و«**محمّد كاظم بابائي**» ذلك، فقد حُرمنا نعمة امتلاك قدمين.

تبلغ مساحــة المخيَّم المربّع الشكل 1000م2 تقريبًا. دَخَلنا المخيَّم بثلاثــة صفــوفٍ، وقف الحرّاســ الذين يحملون الكابــلات على جانبي المدخل، وكانوا ينهالون بكابلاتهم المزدوجة على أجسام الأسرى، لم يكـن هذا النوع من الاستقبال غريبًــا عنّا، فقد خبرناه في «**الميمونة**» أيضًا. يعاني العديد من الإخوة الذين جرّبوا «**نفقَ الرعب**» من مشاكل في المثانة، ومن آلام الفَتْق. دَخَلنا المخيَّم، وجلسنا في صفوفٍ.

يَضُــم المخيَّــم 25 زنزانة مختلفــة الأبعاد والمساحــات، تقع غرفة الضابـط المناوب إلى يســار المدخل، وتقع الزنزانــات من واحد إلى سبعة جنوبيّ المخيَّم، بينما تمتد الزنزانات من ثمانية إلى خمسة عشر غربيّ المخيَّم، من ستة عشر إلى اثنين وعشرين شماليّ المخيَّم، ومن ثلاثة وعشرين إلى خمسة وعشرين شرقيّ المخيَّم، ويوجد بالقرب من غرفــة الضّابط المناوب، وإلى يمين المدخل الرئيسيّ للمخيم، خمسة مراحيض، وخمسة حمّامات. انتظر الحرّاس قُدومَ قائد المعتقل. كان

هواء «**تكريت**» شديد الحرارة، يقطع الأنفاس، وشمسُها حارقةٌ تَسلَخ اللحم عن العِظام. صيفُ «**تكريت**» شديد الحرارة، وشتاؤها قارسٌ، يخترق العظام. بَعدَ ساعة تقريبًا من جلوسنا في ذلك الجوِّ الشديد الحرارة، دخل قائد المعتقل على وقع تحية الحرّاس العسكريّة له.

قائد المعتقل النقيب «**خليل إبراهيم كاظم**» من محافظة «**الموصل**»، مربوع القامة، كثيفُ شعر الحاجبين، أسودُ العينين والشاربين، أسمرُ البشرة، لباسه أنيق مع «**برستيج خاصٍّ**»، يرتدي لباسًا عسكريًّا أخضر اللون قصير الكُمّين.

حمل «**خليل**» العصا الخاصّة بالضّباط، وقد لمعت النجوم على كتفيه، سلّمنا، بأمر منه، كلّ ما نَملك مِن نقودٍ، ساعات يدٍ، خواتم، مسابح، وغيرها. كَمَا أخذوا منا ثيابنا، وأحذيتنا، وأعطونا عِوضًا عنها، قُمصانًا داخليّةً، سراويل قصيرة، وزوجين من النّعال البلاستيكيّة.

بدأ «**خليل**» كلامه، وقد تولّى الأسيرُ الإيرانيّ العربيّ «**كريم جلالي**» الترجمة حرفيًّا. تحدّث النقيب عن رعاية القوانين، والأنظمة، والنُظم، والانضباط، إضافة إلى احترام الضباط والحرّاس في المعتقل. أدركت من كلامه أنّ اسم المعتقل «**المخيَّم المُلحَق**»[1]، كما يُعرف أيضًا بـ«**مخيَّم الجدران الأربعة**». تحدث «**خليل**» بكلّ جدّيّة وحَزم، وبصوت مرتفع قائلاً:

(1) –يقع «**المخيَّم الملحق**» بالقرب من المعتقل (16)، وعلى مسافة 300م منه. وكان في السابق مكاناً لاعتقال السياسيّين الشيعة والمعارضين لحزب البعث. بناءً على ما أخبرنا به الحارس «**سامي**» فإنّ بناء «**المخيَّم الملحق**» يعود إلى عام 1984م.

«الأسْلاكُ الشائكة الكرويّة المحيطة بالمخيَّم موصولةٌ بأسلاكٍ كهربائيّـةٍ عاليّـة الفولتيّـة[1]، ستقتُلُ كُلّ من يَلمَسهـا، لذا حاولوا أن تُبعدوا فكرة الفرار عن أذهانكم، لأنّه أمرٌ مستحيل».

قـدَّم النقيـب «**سعـدًا**» كرئيسٍ لحرّاسـ المخيَّم، وقـال: سيُعرّفكم «**سعـد**» علـى قوانين المخيَّم التـي لا يُغفر تخطيها أبـدًا. بَعدَ أن أنهى النقيب «**خليل**» كلامه وتوجيهاته، بدأ رئيس الحرّاس (سعد) الكلام.

كان «**سعد**» طويل القامة، ممتلئَ الجسم، ثقيلَ الوزن، كبيرَ البطن، أبيضَ البشرة، شعره كستنائي اللون، ومنتفخ العينين.

تحدث «**سعد**» عن القوانين والأنظمة بكلّ جُزئياتها وتفاصيلها. فقد وُضعـت قوانينٌ خاصّة بالمخيَّم، كان علينـا اتباعُها. ومن الممنوعات التي ذكرها سعد:

إقامـة البرامج الدينيّـة، التجمُّع لأكثر من ثلاثـة أشخاص، إقامة صـلاة الجماعـة [2]، إقامة الأذان، صـلاة الليل[3]، ذِكـرُ اسم صدام، الاحتفـاظ بأيّة وسيلة حادة كالشفـرات، المسامير، الإبر، المقصّات، وغيرها. الساعة التاسعة ليلاً هو وقت النوم، ويجب على الجميع التقيّد بذلـك، ومن لا يستطيع النوم عليه التمـدّد، وإغماض عينيه واصطناع النـوم. من يريـد شيئاً مـن الحرّاس، عليـه تقديم التّحيّـة العسكريّة أوّلاً بضـرب القدم اليمنـى بالأرض، وأن لا يتكلّـم إلّا عندما يسَمح له الحارسـ، أو الضابـط بذلك. أُعْفيـتُ أنا و«**محمّد كاظـم**» من تقديم

(1) التوتُّر الكهربائيّ بالڤولت؛ التوتّر العالي (فوق 650 ڤولتًا).

(2) فيما بعد، أَجْبَرْنا العراقيّين على السماح لنا بإقامة صلاة الجماعة في الزنزانة رقم 2.

(3) لـم يمنعونا من إقامة الصلاة اليومية ، لكن بعض الحرّاسـ منعونا من استخدام السجدات للصلاة، وعندما اعترض الإخوة عادوا و سمحوا لنا باستخدامها .

التحيّـة؛ لأن كلَّ واحـد منا بقدم واحـدة. كان يجـري إحصاؤنا ثلاث مرات فـي اليوم، صباحًا، ظهرًا، ومساءً، فكان الأسرى يقضون مُعظَمَ أوقاتهـم في صفوف الإحصاء. كان علينا عنـد الإحصاء الجلوس في خمسة صفوف، فكلُّ واحد يضمّ رُكبتيه إلى صدره ويضع رأسه بينهما، ولا يحـق لنا رفع رؤوسنـا قبل أن يصل القائد أو الضابط المسؤول عن العدِّ إلينا. كما لا يُسمح لنا بالنّهوض إلّا بعد الانتهاء من إحصاء كافة الزنزانـات. كان وقـت الدخول إلى الزنزانات الساعـة الحادية عشرة ظهـرًا والساعة الخامسة عصرًا، مع انطـلاق صفارة رئيس الحرّاس. طَوال مدة الأسر لم أرَ القمر أو النجوم. أُلزِمنا بحلق محاسننا مرتين في الأسبوع، الأحد والثلاثاء، وقد أُعفيتُ من هذا القانون؛ لأنَّ لا لحية لديّ. كانوا يعطون شفرةً واحدةً لكلّ خمسة أسرى، يستخدمونها مداورةً الواحد تلو الآخر. فكان الإخوة، خلال الأسبوع الواحد وحسب ترتيبهم فـي الدور، تارةً يحلقون بشفرةٍ جديدةٍ قاطعةٍ، وتارةً أخرى يعانون من الحلاقـة بشفرة مُستهلكةٍ فلَّ[1] نَصلُها. بعد الانتهاء من حلق اللحيّة أو الرأس، كان مسؤولو المعتقل يُحصون الشّفرات ويطابقونها مع العدد الـذي تـمّ تسليمه لنا، والوَيل كلّ الوَيل لنا إن فُقـدَ نِصفُ شفرةٍ، فكان العراقيّـون لَيُقيموا الدنيا على رؤوسنا ولا يُقعدونها. كنّا نحلق رؤوسنا مرةً في الشهر حيث يُعطون شفرةً لكلّ أربعة أشخاص.

كانـت ملابسنا صفراء اللون، إلّا أنّه في أواخر العام 1989، وبسبب النقص فـي الملابس الصفـراء، أعطوا نُـزلاء الزنزانـات ملابس كُحليـة من قطعةٍ واحدةٍ، تُشبهُ ملابس عمال رشِّ المبيدات في دائرة

(1) فلّ نصلها: صار حدُّها غير قاطع.

«**الملاريا**» في عهد «**الشاه البائد**»، وقد وُضعت علامة تحمل حرفي «p.w» وهما اختصارًا للكلمتين الإنكليزيَّتين «prisoner of war»، أي: «**أسيرُ حرب**». لقد خاطوا العلامة الرّماديّة اللون على الجَيب الأيسر للقميص، وعلى ظهره. وإذا نزعنا تلك العلامات نجد فراغًا مكانها.
كان للمراحيض في «**المخيَّم المُلحق**» قوانينها الخاصة، إذ كان ينتهي الوقت المخصّص للمرحاض لقضاء الحاجة عند الانتهاء من العدّ من رقم (1) إلى (10)، وكان على الأسير الخروج من المرحاض مباشرة بعد الوصول بالعدِّ إلى الرقم عشرة، وإلّا فإنّ المسؤول عن تنظيم الأدوار سَيَركُل باب المرحاض بقوّة؛ ليُجبر الأسير على الخروج، وكانت أقفال أبواب المراحيض معطَّلة من الداخل. ما أن يصل مسؤول تنظيم الدور إلى العدد عشرة حتَّى يَركُل الباب بشدّةٍ، وإذا لم ينتبه الأسير داخل المرحاض فسيرتطم الباب برأسه بشدَّة. لكن الإخوة كانوا يخرجون عادةً من المرحاض فور الانتهاء من العدِّ.

في الأوقات القليلة التي كنّا نخرج فيها للفُسحة في باحة السجن، ويتمكَّن أحدُنا من الدّخول إلى المرحاض، يُعتبر ذلك فتحًا مبينًا. لقد تَشَارك كلّ عشرة من رفاق الزنزانة في «**الإنفاق**»، كان هؤلاء العشرة في الغالب من المدينة أو الكتيبة نفسها. وقد وَزّعَ مسؤولو السجن الإخوة الشَّرِهين، أو أصحاب الشهيّة الكبيرة على مختلف المجموعات. كان الإخوة، بسبب قلَّة كميّة الطعام، يُقسّمونَهُ في القَصْعَة[1] الواحدة إلى عشر حِصصٍ، وذلك برسم خطٍ وحدودٍ بالملعقة على سطح القصعة،

(1) كانت القصعة من فلز الرصاص، طولها 50 سم وعرضها 30 سم و ارتفاعها 10 سم تقريباً، وتسمى «**القسوة**».

فيلتـزم كلّ واحد بتناول كميّة الطعام المحـدَّدةِ له، ولا يتجاوز التعدّي على حصَّة الآخرين حدّ الملعقة الواحدة.

كانـت حصتنا من الخبز رغيفين في اليوم، خبزٌ مُنتفخٌ يزنُ حوالي 500 غرامًـا، يطلقُ العراقيّون عليـه اسم «**السَّمّـون**». لا يخبز الرغيفُ جيّـدًا في الفرن، ويبقـى أكثر من نصفـه عجينًا؛ لذا كنّـا نضع بقايا الخبز المُعجَّن تحت أشعـة الشمس لتجف، فنطحنها مجدّدًا، ومن ثُمّ نُضيفها إلى الطعام أو الأرُز.

كان الأسـرى المشاركـون فـي «**الإنفـاق**» يحتفظـون بحصَّتهم من الخبـز فـي كيسٍ واحـدٍ، خاطُوه من القماش. فتحتفـظ كلُ مجموعةٍ بحصّـةِ أفرادهـا العشرة من الخبز الذي نتناولـه للفطور والعشاء في ذلك الكيس.

كنّا نتنـاول حَساء العدس للفطور، وهو طعـام أشبه بالشوربا، مُعَدٌّ من العدس، مع فُتات الأرُز ورُبّ البندورة. كانت حصّة أربعين شخصًا بالكاد تُشبع عشرة أشخاص فقط.

حِصّـة كلّ أسيرٍ للغـداء سبع أو ثماني ملاعق مـن الطعام تقريبًا، وقـد تصل أحيانًا إلى عشـرة. كان الحساء الذي يُقدّم مع الأرُز للغداء متنوّعًا خـلال أيّام الأسبـوع، بسيطًا وغير مُكلِفٍ، مثل مَـرقِ القُنَّبيط (القرنبيـط)، البامية، الكَرَفْس، الباذنجان، اللفتٌ النـيء، مَرق أوراق الشَّمندر، الجزر، البطاطا المسلوقة، والبندورة مع البصل.

كان طعام العشاء عِبارةً عن حَساء الباذنجان، البصل، الحُمص، اللّوبيـا، أو لحم البقر المستورد. وكانت حِصّـة عشرة أشخاص من مـرق لحـم البقـر، عبارة عـن20 % لحـم و 80 % مـاء، فـلا تتعدّى

حصــة الشخص الواحد ست أو سبع ملاعــق، أو ما يعادل 20 غرامًا من اللّحــم. أخبرنا «**محمّد رمضانيّ**»، الــذي يعمل في المطبخ، أنّ اللّحــم مستورد مــن بلغاريا، أو البرازيــل أو أستراليا، وكثيرًا ما كان فاسدًا تملؤه الديدان، وقال: «**عندما كنّا نعترض كانوا يقولون لنا: اطبخــوا اللحــم، وأعطــوه للأســرى، ولا تتفوّهــوا بأيّة كلمــة، وإلّا فستطــردون مــن هنا**»، ولقد طــرد العراقيّون أحــد أمهرِ الطباخين بسبــب انتقاده لتصرفاتهم، وعيّنــوا مكانه طبّاخًا لا يعرف شيئًا عن الطبخ والمطبخ.

الاثنين 5 أيلول 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

كنّا نقضي الليالي حتّى الصباح كيفما كان، فالسجن مليء بالغبار، والصراصير، وخيــوط العنكبوت، وكأنّ أحدًا لم ينزل فيه منذ سنوات كثيرة. الليلة الماضية لم أستطع النوم، بسبب شخير أحد الأسرى. كنّا ثلاثين شخصًا في زنزانةٍ لا يتعدى طولها وعرضها (4×4,30 م). وكنّا نُعانــي من مشكلة في النــوم، فقد جرّبنا طُرقًا متعــدّدةً، كالنّوم ثلاثة صفــوف في عرض الغرفة، عشــرة أشخاص في كلّ صــفّ، كان يمكن تحمُّل الوضع في النوم متلاصقين، لكن المشكلة في الطول، فلو قَدَّرنا أن متوسِّط طــول الفرد منّا (170 سم) بينما المساحة المخصَّصة له (143 ســم) فقط، لكان علــى كلّ أسيرٍ أن يَقْصُرَ نحو (27 سم) حتّى يتمكَّن من مدِّ قدميه والنوم براحة. حتّى ينام كلُّ أسيرٍ بهذه الطريقة، يشْغَــل مساحــة (40×143 ســم)، فينــام الصفّــان الأوّلان متقابليــن ومُتداخلــي الأقدام، بينما الصف الثالث تكون أقدامه باتجاه الحائط،

وهكـذا تقلّ المساحـة المخصَّصة للطول بنحو(40 سـم) ، فأصبحت المشكلة أكبر.

جرَّبنـا النوم في صفين، وعلى طول الزنزانة، على أن تكون رؤوسنا باتجـاه الجـدران وأقدامنـا متقابلـة، لكـنّ المقدار المحـدَّد للعرض قـلّ إلى 29 سـم بينما زاد المقـدار المحدد للطول إلـى 200 سم، ولَم تُحَـل المشكلة، إذ أنّ المقدار المحـدّد للعرض أصبح قليلاً جدًّا وغير مناسب. ثمّ جرّبنا طريقةً ثالثةً لم تنجح هي الأخرى.

الثلاثاء 6 أيلول 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

كان طعـام العشـاء حساء اللوبيـا. مع أنّ كمية الطعـام كانت قليلة جـدًّا، إلّا أن محبّـة الإخوة وإلفتهـم قد تجلَّت فـي انصرافهم السّريع عن تناول الطعـام؛ إفساحًا في المجال للأسرى الجرحى بتناول كميّة أكبـر من الطعام. مع أنّنا كنّا جِياعًـا على الدوام، لكن تضحية الإخوة الأصحّـاء المشتركين معًا في «**الإنفاق**»، من أجل الأسرى الجرحى قد تحوّلـت إلى نوع مـن الثقافة. لم نستطع النوم بسبـب الجوع في أغلب الليالـي، وكان كُلّ مـن يستيقظ ليلاً يقـول للمستيقظين أنّه لم يستطع النوم من الجوع، وأنّه رأى في المنام أنّه يأكل، ولا يشبع.

الأربعاء 7 أيلول 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

أصبحـت صديقًا لكلٍّ من «**عليّ يمانـي**»، و«**محمّد باقر وجداني**». أصبـح الاثنـان بمنزلة «**هادي كنجـي**» بالنسبة إليّ، كانـا جنديّين في الجيشـ الإيرانيّ من مدينة «**مشهد**». سمح لنـا العراقيّون هذا اليوم، وبعد مضي مدّةٍ طويلةٍ، بالاستحمام، لم يكن أغلبُ الإخوة قد استحمّوا

حتَّى ذلك اليوم، لعدم وجود حمّام في سجن الرشيد. طلب الحُرّاس منّا الانتظـام في صفوفٍ؛ تمهيدًا لدخـول الحمّام. قام «**محمّد باقر**» وهو أطول أسرى الزنزانة قامةً، وقبل الخروج من الزنزانة، بربط قميصه بطرف عكّازي، ونظَّف خيوط العنكبوت من زوايا سقف الزنزانة، وقال إنّ خيوط العنكبوت تجلب الغم.

كان «**محمّد باقر**» فرحًا، نشيطًا، وأكثر الإخوة مرحًا وفكاهة، فكان بمزاحه اللطيـف يضفي أجواء المرح على مَنْ فـي الزنزانة رقم (1). كان يقـرأ الدعاء أثناء تنظيفه خيوط العنكبوت، دعاءٌ من ابتكاره لكنّه جميلٌ في آن.

كان يقول: «**اللهـم ارزقني الاستحمام كلّ خميسٍ، وطعامًا يكفينا، ولـو لـم يكـن لذيـذًا، وزنزانـةً دون سـوطٍ، ومكانَ نـومٍ مريحًـا، وأرح العراقيّين من شرّ صدّام، والمخيَّم من شرّ وليدٍ، ومن الأسرِ حررنا، ومـع جَـدِّ السيِّـد ناصر سليمان منصـور احشُرنا، برحمتـك يا أرحم الراحمين، آمين رب العالمين**».

بعد عدّة أيّام، وصل هذا الدعاء المبتكر إلى أسماع العراقيّين عبر أسيـر إيرانيّ عربي، كان دَأْبُه نقل أخبارنـا إليهم. كان «**محمّد باقر**» يرعانـي، وكأنّه ممرّضي الخاصّ، منذ اللحظة التي أدرك فيها أنّني لا أستاءُ من المُزاح، شَرَع بملاحقتي بمُزاحه، في إحدى المرات، عندما دخلـت إلى الزنزانة، قال: «**مـن أجل سلامة السيِّد عُدّوا إلى عشرة**»، لكنّه ما لبث أن صَحح مُزاحه، وقال: «**من أجل سلامة السيِّد الوحيد في الزنزانة، صلوات**».

اليـوم، ساعدنـي «**محمّـد باقـر**» علـى الاستحمـام فـي «**المخيَّم**

المُلحق»، كلّ واحد كان عليه الاستحمام خلال خمسِ دقائق فقط. لم تكن معتقلات ثُكنة صلاح الدين العسكريّة الكبرى متصلة بشبكة أنابيب مياه الشرب التابعة لمدينة تكريت، بل كانت الصهاريج تَحمِل المياه إلى الثُكنة مرّةً واحدةً في اليوم، فتملأ خزاني المياه الكبيرين في المخيَّم؛ لذا لم يكن بمقدورنا استخدام المياه كيف ما كان، وإلّا فإنّ المياه لن تكفي لاستحمام الجميع، أو حتّى لاستخدامها في المراحيض.

عندما عانى المخيَّم من شُحٍ في المياه، ابتكر الإخوة طريقةً جديدةً في الاستحمام. فكان الأسرى يخرجون إلى مكان الصهريج في مجموعات من خمسين شخصًا فيقوم المسؤول عنه برشهم بالمياه، فيبلّلهم في المرحلة الأولى، ومن ثمّ كان على الإخوة خلال بضع دقائق، وبعمليّة سريعة، تنظيف أجسامهم بالصابون، وفي المرحلة الأخيرة يصوِّب مسؤول الصهريج خرطوم المياه نحوهم لمدَّة ثلاث أو أربع دقائق. هكذا كانت تجري عمليّة الاستحمام، لكن لهذا النوع من الاستحمام مشاكله الخاصّة؛ فالإخوة الأصحاء كانوا يقفزون عاليًا لتصل المياه إلى كامل أجسامهم. وبما أنّني عاجز عن القفز، كان «**محمّد باقر**»، وآخرون يرفعونني عاليًا ليبتلَّ كامل جسمي. وكثيرًا ما كان الإخوة يعودون إلى الزنزانة وآثار الصابون ما تزال على رؤوسهم، ووجوههم، وأبدانهم. رُبَّما لم تكن هذه الطريقة صعبة كثيرًا على الأسرى الأصحاء، لكنها سبّبت مشكلة واقعية بالنسبة إلى الجرحى، فكان اثنان من الأسرى الأصحاء يستحمّون إلى جانب مساعدتهما للجريح على الاستحمام. وكما كان «**محمّد باقر**» يقول: «**لم يحرمنا الله مِنَ الاستحمام بمياه العراقيّين!**».

الاثنين 12 أيلول 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

هــذا هو اليــوم الثامن الذي أمضيــه في «**المخيَّـم المُلحـق**». بعد الظهــر جَلَستُ في ممــرّ المخيَّم، ولم أكن قد اعتــدت بَعدُ على الحياة فيــه، كنــت أشعــر بالغُربــة، كان المخيَّــم مُوحِشًا، وفي قلــب صحراء «**تكريــت**» القاحلة، والشديدة القيظ. فرحتُ؛ لأنّني جئت إلى المخيَّم، لكنّنــي اشتقت إلى «**هادي كنجي**»، وتمنَّيــتُ أن أعرف مصير «**حسين رحيــم**»، و«**عِرفــان عبد الــرزّاق**». كنت أُفَكِّرُ بــكلِّ شخص، وبكلِّ شيء. لقــد اشتقت إلى الإخوة رفاق الجبهة، وخاصّةً «**حسن وكيلي**، «**محمود داربــام**»، و«**هوشنــك روئيــن**». كانت تتوارد إلى ذهنــي في تلك الوحدة صورٌ ومشاهدُ من حياتي، وكانــت صورة والدي، أخواتي، وأخي السيِّد »هدايت الله«**أكثر ما تَشغلُ بالي**.

كنــت أهيــمُ في زحــام ذكرياتي وحيــدًا، فجأة جلــس بالقرب منِّي أسيرٌ، لم أره من قبل. كان الأسرى الأصحّاء يتمشّوْن في الفناء، بينما أقبــع منطويًا على ذاتي في إحدى الزوايــا، لقد شعرت بانجذاب نحوه من المــرَّة الأولى، اسمــه «**ميثم سيرفــر**»[1]، توحي ملامحــه بأنّه من أبناء جنوب إيران. قال الإخوة: إنّه كان في وحدة الإعداد والتخطيط، لكنّــه كان «**بريــد**» الحاجّ «**قاسم سليمانــي**»، قائد فرقة «**ثــار الله 41**». لقــد أرسله الحاجّ «**قاســم**» إلى قائد لواء التخريــب في الفرقة «**الحاج مرتضــى باقــر**»، وعلى مفتــرق الطُرق قرب الحسينيّــة أُصيب بشظيّة

(1) «**ميثــم سيرفــر**» مــن مدينة «**جيرفــت**» في محافظة «**كرمــان**»، كان من عناصر التعبئــة في فرقة «**ثار الله 41**». كان أخــوه قائد الكتيبة المؤلّفة من دمج عناصر الجيشــ الإيرانيّ النظاميّ وعناصر الحرس الثوريّ. وقد استشهد عام 1983 في عمليّات «**والفجر1**» شمال غرب «**فكه**».

قذيفـة «هـاون» أدّت إلى فقده عينه اليمنى، كمـا أُصيب برصاصة في القـدم، فكان يسير متّكئًـا على عُكّاز واحد، لم يعطـه العراقيّون سوى عـكّازٍ واحد؛ لذا كان يستندُ إلى الحائط عند المشي عِوضًا عن العكّاز الآخـر. لم يرض أن ينظر الآخـرون إليه بعين الشفقة، على الرّغم من معاناته الجسديّة كان يقوم بجميع أعماله بنفسه.

بعـد أن تعرّفـت إليه أكثر، أدرَكتُ أنّه من زُهـاد الدنيا. كان الإخوة يَقولون له ـ بجدية تارةً، وممازحين له تارةً أخرى ـ:

يا ميثمً! أنت تحبّ السيِّد ناصر أكثر منّا، التفت إلينا قليلاً يا عديم الإنصاف.

فيجيبهم ميثم دون تبسُّم:

ليـس الأمر كما تقولون، أنا أحبّكم جميعكم، أقسم بجدِّ هذا السيِّد إنّي أنظر إليكم جميعًا بعين واحدة.

كان يقول الحقيقة، فهو لا يملك أكثر من عين واحدة. كان «حامد»[1] الحارس العراقيّ الغامض، محلّلاً نفسيًّا جيّدًا؛ فقد قال لسامي: يرقُد خلفَ هذا الوجه الهادئ والصامت، تعبويٌّ مُقاتل، صعب المراس. هذا ما أخبرني به «سامي». كان «حامد» يمقتُ «ميثمًا» كثيرًا.

كان «ميثم» جالسًا بالقرب منّي، عندما جاء إليه «سعد» وسأله:

ماذا كنت تفعل في الجبهة؟

كانت أعمل في مدّ أنابيب المياه.

صحيـح! «الجبهـة ومـدّ الأنابيب؟!» وهـل كنت تمـدّ الأنابيب في الجبهة الأمامية حتى تقطعت أوصالك هكذا؟!

(1) حامد وسعد وسامي، ووليد من حراس المعتقل العراقيين.

ثم تابع سيره وغادر. كان صديقاً «**ميثم**»، «**أكبر دامغاني**» و«**محمّد كمالي**» من «**كرمان**»، يحاولان مساعدته فيقول لهما:

ينبغي أنّ أتمرَّن في الأسر على الاعتماد على نفسي، وإن لم أستطع فسأطلب منكما المساعدة.

كان «**ميثم**» يكن مشاعر خاصّة للسّادة، وعندما يريد إبراز تلك المشاعر كان يقول لي: «**يا سيِّد، نحن رصاصُ سلاحك**»[1].

ما زلت أذكر دروسًا كثيرةً تعلمتها من «**ميثم**» في الأسر. ومع أنّه كان قليل الكلام، إلا أنّه كثيرًا ما كان يتحدّث إليّ. قال لي في أحد الأيّام:

-«**يا سيِّد، علينا الانتباه في هذا المخيَّم، فلا ننسحب من متراس عقائدنا.**»

عندما كان يتحدَّث عن العقائد، كان يستخدم ألفاظًا خاصّةً بالجبهة والحرب، على سبيل المثال:

«**الانسحاب من العقائد، ليس كالانسحاب التكتيكيّ من المتراس، أو من أحد معابر الجبهة. عزيزي السيِّد! لا يمكن الانسحاب من هذا المتراس أبدا!**»

الثلاثاء 13 أيلول 1988 - تكريت - المخيَّم الملحق

في هذا اليوم، شَكّلوا ملفات للأسرى. دخل عددٌ من الضباط العراقيّين إلى المخيَّم ليُدوِّنوا آخر المعلومات حول الأسرى «**مفقودي الأثر**». طلب رئيس الحرّاس منّا الجلوس في خمسة صفوف مقابل

(1) بالعاميّة: (خرطوش فردك) والمعنى «**أننا خدامك**».

الزنزانــة، وقبــل أن أدخُل إلى غرفة رئيس الحرّاســ للتحقيق، قال لي السيِّد «**محمّد شفاعت منش**»:

بماذا ستجيب إذا سألوك عن مهمَّتك في الجبهة؟ انتبه، لا تخبرهم بأنَّك كنت في «**الاستخبارات والاستطلاع**»!

لا يمكــن الكذب، ولا شــيء يستحقُّ الكــذب لأجله، سأُكــرّر الكلام نفسه الذي قلته في «**الميمونة**»، وفي السّجن الانفراديّ في بغداد.

عندمــا وصــل دوري، دخلتُ غرفــة رئيــس الحرّاســ، كان النقيب «**خليــل**»، ومُقــدَّمٌ عراقــيّ آخــر يُحقِّقــان مع الإخــوة. المُقــدَّم يسأل، والنقيــب يُدوِّن الســؤال والجواب، وقــد تولّى الأسير الإيرانــيّ العربيّ «**خالد محمّدي**» من خوزستان أمر الترجمة.

في البداية سألني عن سجلّي الشخصيّ، ثمَّ سألني:

ما كانت مهمتك في الجبهة؟

كنت في وحدة العمليّات والاستطلاع.

عندمــا سمع كلمة «**الاستخبارات**» مــن المترجم «**خالد محمّدي**»، تعجَّب كثيرًا. أخبرني «**خالد**» فيما بعد، بأنّه بعد أن خرجتُ من الغرفة، قال المُقدَّم للنقيب «**خليل**»: «**كنّا نقاتل هؤلاء الأولاد خلال 8 سنوات! واستخباراتنــا العسكريّة أكثر خبــرة، وعناصرنا أكبر سنًّا، فيما نجد أولادًا صغارًا يعملون في مجال الاستطلاع في جيش الخمينيّ!.**»

سأل المقدَّم بكلّ تعجبٍ وشغفٍ:

كيفَ يمكن لشاب فــي السادسة عشرة من عمره أن يعمل في وحدةِ الاستطلاع والتجسُّس في الحرب؟!

- ليس أمرًا عجيبًا، فأنا كنت في وحدة الاستطلاع والعمليّات، مجرّد

«**راصدٍ**» عاديّ، ولم أكن قائدًا، كما أنّ أغلب قادة الألوية والفيالق كانوا دون الثلاثين من العمر.

- كيف سمحوا لك بالمشاركة في الحرب وأنت في هذه السنّ؟
- كثيرًا ما سُئلتُ هذا السؤال في العراق، لِمَ هو عجيب بالنسبة إليكم؟! عندما نجد شخصًا كالشهيد «**فهميده**» الذي كان يَصغُرُني بأربع سنوات تقريبًا، عندما احتلّت قوّاتكم «**خرمشهر**» حزَّم نفسه بقنبلة يدويّة، ونزل تحت دبابتكم، بعدها قال قائدنا الإمام الخمينيّ: «**حسين فهميده**» قائدنا[1].
- الجيش العراقيّ أقوى أم الجيش الإيرانيّ؟

صَمتُّ قليلاً، فقد علَّمتني تجاربي السابقة، أن لا أُغضب العراقيّين أثناء التحقيق، لذا لم أجبه، فقال المُقدَّم:

– سكوتك يعني أنّ الجيش العراقيّ أقوى.

أثار حفيظتي عندما قال هذا الكلام، وعلى الرغم من أنّني قرّرت عدم قول أيّ شيء، إلّا أنَّني غيّرت رأيي، فلم أستطع مع صغر سنّي تحمُّل بعض كلامهم؛ لذا قلت له:

– بكلامي لن يقوى جيش ويضعُفَ آخر، لكن برأيي الجيش الأقوى هو الذي يدافع عن وطنه بعقيدة وإيمان، سواء قُتل أو قَتَل. هذا ما تعلَّمناه من إمامنا الحسين عليه السلام.

– لقد غسل رجال الدين عقولكم أيّها الأولاد.

---

(1) نقلت للمقدَّم خلال التحقيق ما قاله الإمام الخمينيّ: «**قائدنا هو ذاك الطفل ذو الاثني عشر عامًا، الذي بقلبه الصغير، الأثمَنُ من مئة لغة وقلم (أيّ: التعبير)، قد حزّم القنبلة ورمى بنفسه تحت دبّابة العدوّ فدمّرها، و شرب كأس الشهادة.**»

كثيـرًا ما سمعـت هذا الكلام مـن العراقيّين أثنـاء التحقيق، كلّما تفوَّهنـا بكلمة صدق، ينتقلون مباشرة للحديث عن رجال الدين وغسل الأدمغة، ولكي أتمكَّن من قول ما أريد دون أن أغضبهم كثيرًا؛ قلت له:

كان لديكم جيشًا قويًّا وجيّدًا.

كان المُقـدّم حاذقًا وذكيًّـا، فعندما قلت: «**كان لديكم جيشًا قويًّا وجيّدًا**». قال:

- كان لدينا أو لديكم؟

- لديكم.

بعدها كرّر كلمة «**زين**» عدّة مرات، ثمَّ أكملتُ:

«**كنتـم أقوى من حيث التجهيـزات العسكريّة، فأمريكا، والاتحاد السوفياتي، والعديد من الدول العربيّة قدّموا لكم كلّ الدّعم، بينما كنّـا نحـن نعاني مـن الحصـار والمقاطعة**». عندما رأيـت أنّه مستمعٌ جيدٌ تابعت:

«**عندمـا كنت فـي الصف الخامس الابتدائيّ، كنت أخاف من اسم «أُتنـدار»[1]، كان اسمهـا مرعبًا، وعندما كنّا نخـرج في المسيرات، كنّا نـردِّد الشعـار التالـي: «سنحـوّل مضيـق هرمـز إلى كربـلاء وسوبر «أُتنـدار» إلى بخار في الهـواء». كنت أتمنّى لو أعَرف ما هي الـ«سوبر أُتنـدار» التـي تملكونها دوننا، ثـمَّ علمتُ فيما بعـد أنّ فرنسا أعطتها لكـم. وقـد شاهدتُ على شاشـة التلفزيون في إيـران مشاهد لأسرى أُردنيِّيـن، سودانيِّيـن، ومصريِّيـن كانـوا يقاتلـون معكـم. مـن تلـك الناحية كنتم أقوى منّا**».

(1) طائـرة سوبر أُتندار (Super Etendard) مقاتلة قادمة للإسناد الجويّ القريب تحمل صواريخ من طراز «أكسوسيت» لمهاجمة الأهداف البحريّة.

وصـل دور السيِّد «**محمّد شفاعـت منش**» للتحقيـق، وقد أعطاهم اسمًــا غير اسمــه، لم يعطهم اسمه واسم أبيه وجـدِّه، بل ابتكر لنفسه اسمًا آخر، «**محمّد كاكا يوتر**». سأل المُقدّم محمّد: «**هل أنت جنديّ؟**»

فأجابـه السيِّد محمّد: «**نعم أنا جنديّ، لكن جنـديّ إمام الزمان**»، ثمّ سأله: «**ما الذي دفعكَ للقدوم إلى الجبهة؟**». فأجابه، وكان سريع البديهة: «**عِشقُ الحسين جرَّني إلى هذا الوادي**[1]».

بعد هذا التحقيـق اشتهرتُ باسم «**ناصـر الاستخباراتيّ**»، وأصبح «**وليـد**» أكثـر الحرّاس عَداءً لـي. كان الجميع يتحـدَّث عن عدائه لي. «**وليـد**» مـن البصرة، لكنَّه نشأ فـي الناصريّـة، كان إنسانًا متشائمًا، بشرتـه صفـراء اللون، متوسِّط الحجـم، رموش عينيـه خفيفة، عيناه صغيرتـان، متجهّم وعبوس، أُصيب خَدّهُ وحاجبه الأيمن بحروق، فكان يُنزل قبعته العسكريّة إلى حدود الحاجب ليغطِّيَه.

عندما يدخل ضابط أو حارس جديد إلى المخيَّم، كان «**وليد**» يشير إليّ، ويقول للداخل الجديد: هذا «**ناصر الاستخباراتيّ**».

إن أشفـق أحد الحرّاسـ عليّ بسبب حالتـي الجسديَّة، كان «**وليد**» يأتــي إليه توًّا، ويقول له: «**هذا ناصر الاستخباراتيّ**». طوال مُدّة الأسر كنـت الوحيد الـذي لا يناديه «**وليـد**» باسمه، ففي كلّ مـرّة يصل إليّ، كان يقـول: «**وين ناصر الاستخباراتيّ؟**» أحمل معي ذكريات أليمةً عن «**وليد**». كانوا قبل التحقيق معي قد ضربوا أحد الإخوة من «**آذربيجان**»

---

(1) عشـق الحسيـن جرّنا إلى هذا الوادي، فكربلاء ها هنا أيّها المجاهـد. هذا من الأبيات الشعريّة التي قرأها الحاجّ «**صادق آهنكران**» في جمع من التعبويّين أيّام الدفاع المقدّس، وقد اقتبس المصرع الأوّل منه في جوابه للمقدّم بينما تصرف في الشطر الثاني حيث قال: «**قِلة حيلتنا و ضعفنا جَرّنا إلى هذا السجن**».

الغربيّـة، وعندمـا خـرج من غرفـة رئيس الحرّاس كان وجهـهُ مليئًا بالكدمات. بعد عدّة أيّام أخبرني عن سبب ضربهم له.

كانت الأسئلة المطروحة تدور حول الهويّة الشخصيّة للأسير، وعن اسـم القضاء الذي يعيش فيـه، مكان الأسر والكتيبـة التي كان يخدم فيهـا. فـي البداية كان المحقّقـون يسألون عن الهويّـة الشخصيّة، ثمّ عـن المعلومات العسكريّة. عندما سأله المُقدَّم عن اسم القضاء الذي يسكن فيه أجابهم: سيِّدي «**ماكو**».

غَضِـب المحقِّق، وسأله ثانية مـن أيّ قضاء من أقضية إيران أنت؟ فأعطاهم في المرة الثانية والثالثة الجواب نفسه: أنا من «**ماكو**».

ظـن النقيب أن الأسير الإيرانيّ يمتنـع عن ذِكر اسم مدينته، فأمر بجلـده. عندمـا كانت الكابـلات والهَـراوات تنهال علـى رأسه ووجهه كزَخـات المطر، كان يردّد باستمرار وباللغة التركيّة الآذريّة: «**والله أنا من مدينة** «**ماكو**»، لمَ تضربونني دُونَ سبب؟».

فقال المحقق: بالتأكيد أنت من مدينة «**خمين**»، وتخاف أن تعترف بذلـك»! في نهاية المطاف أنقذه أسيرٌ من «**خوزستان**»، من الإيرانيّين العـرب، ويدعى «**حكيم خليفـان**»، إذ قال للمحقق: يـا سيِّدي، إنّه من «**ماكـو**»[1]، هـذا الأسير يقول الحقيقـة، فـ«**ماكو**» اسـم القضاء الذي يعيش فيه، عندها تركوه وشأنه. كان العراقيّون طوال تلك المدَّة، وقبل نقله إلى معتقل آخر، ينادونه: «**شلونك ماكو؟**».

كنـت أنـا والسيِّد محمّـد جالسين عصـر ذلك اليـوم أمام مدخل

---

(1) ماكـو: كلمـة عراقيّة تعني «**لا يوجد**» ،فـكان العراقيُّون يعتقـدون أنّ الأسير يقـول: «**لا يوجد**».بينما «**ماكو**» هي مدينة في محافظة «**آذربيجان الغربية** » في إيران.

السجن رقم (7). علم «**حامد**» أنّني كنت في وحدة الاستخبارات فسألني:

- كيف استطعتم أن تعبروا كلّ تلك الحواجز، وتأتوا خلف جبهاتنا؟

- عندما كنّا نعبر من أمامكم كنّا نقرأ آية السدّ ﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾، وعندما نصبح خلف جبهاتكم، كان الإمام الحسين عليه السلام يساعدنا فلم ترونا».

الخميس 15 أيلول 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

أخرجوا الأسرى الذين امتنعوا عن حَلقِ لِحاهم خارج الزنزانات، إذ يعتبر هذا عصيانًا للقانون. كنّا ستة أشخاصٍ، أنا، «**محمود يوسفي**» من «**ملاير**»، «**حسين مقيمي**» من «**كرمان**»، «**يد الله زارعي**» من «**بهبهان**»، «**قاسم فقيه**» من «**بوشهر**» و«**إيرج شباني**» من «**هرمزكان**». استدعى «**حامد**» مسؤول المخيَّم الإيرانيّ «**كريم جلالي**»، فجاء كريم، وقدم التحية العسكريّة، وقال له: نعم سيِّدي. تقدم «**حامد**» منّي، أمسكني من ذقني أمام جميع الأخوة وقال: «**لم لا تحلق لحيتك مثل الجميع؟**»

- لأنّه لا لحية لي لأحلقها، إنّها بِضعُ شعُيرات فحسب، أنا على استعداد لنزعِها، لكن لن أحلقها.

لم يكن بعض الإخوة يريد حلق محاسنه؛ لأنَّه أمرٌ مكروهٌ، وأنا لم أشأ استخدام الشفرة على وجهي بسبب بِضع شُعيرات؛ لذلك لم أخضع للأمر، ولم أبالِ إن تعرّضت للضرب، لم أكن أرغب أن تمرّ الشفرة على وجهي وأنا في هذا السن، لكن تهديدات «**حامد**» اتخذت منحًى عنيفًا.

طلب «**قاسم**»، وهو ضابط قسم الصيانة، وتربطه بي علاقة طيِّبة، من «**حامد**» أن لا يضربني، لكن «**حامداً**» شخصٌ عنيدٌ، فلم يستجب له. كان «**قاسم**» إنسانًا مسالمًا لا يعرف الحقد والعداء، وهو من مدينة «**الكوت**» في محافظة «**واسط**» العراقيَّة. ضميره حيٌّ، ويعرف مدى قسوة «**حامد**» وعناده، قال لي: ناصر سليمان، لمَ تسبِّبُ لنفسك المشاكل، احلق لحيتك مرّتين في الأسبوع كسائر الأسرى، وأرح نفسك من المتاعب.

- لكن لا لحية لي لأحلقها!

حاول قاسم جهده لإقناعي بالعدول عن رأيي.

أخذونا إلى الباحة الأسمنتيّة للمخيَّم، فقد دبَّر الحُرّاس عقابًا خاصًّا للذين يرفضون حلق محاسنهم. بما أنّني بقدم واحدةٍ، وغير قادر على تنفيذ العقاب، فقد أمر «**حامد**» بجلدي خمسين جلدة. انهال «**وليد**» بسوطه على ظهري حتَّى ازرقَّ من شدَّة الضرب. كانت العشرون ضربةٍ الأولى مؤلمةً جدًّا، لكن الضّربات الأخيرة كانت أقلَّ إيلامًا.

وصل دور «**محمود، حسين، قاسم وإيرج**»، و تركوا «**يد الله**» وشأنه. أمر «**حامد**» كلَّ واحد من الإخوة بأن بوضع سبّابته على الأرض، واليد اليسرى على الرأس، ومن ثمّ أمرهم بالدوران وهم في هذه الوضعيّة فداروا حول أنفسهم خمسين أو ستّين مرّة، إلى أن أصيبوا بالدوار، وفقدوا توازنهم.

وبحسب أوامر حامد، كان على الإخوة أن يركضوا بسرعة نحو باب الزنزانة رقم (12)، المقابل لممرٍّ أسمنتي وسط الباحة. فما إن ركضوا نحو الباب المغلق، حتّى تبعهم الحرّاس وهم يضربونهم بالسياط، وبما

أن الإخـوة قد أصيبوا بالدوار فقد اختلَ توازنهم وسقطوا على الأرض. وبسقوطهـم تعالت ضحـكات الحرّاس، خاصّة «**حامـد**» و«**وليد**». لكن «**قاسم**» انزعج كثيرًا.

بعد معاقبة عدد من الإخوة، منهم «**إيرج شباني وحسين مقيمي**»، صَرفوا النظر عن معاقبة البقيّة، وفي اليوم التالي حلق الإخوة لحاهم. مع تعرّضي للضرب المبرّح في كلّ مرّةٍ إلّا أنّني لم أخضع للأمر، وبعد مدَّةٍ تركني العراقيّون وشأني.

السبت 17 أيلول 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

كنا نُعاني من مشكلة الوضوء داخل الزنزانة. عند خروجنا للفُسحة الصباحيّة، كان الأخوة يتوضؤون لصلاة الظهر والعصر. وفي فُسحة بعـد الظهر كانوا يتوضّـؤون لصلاة المغـرب والعشاء. لكـن لم ندرِ كيـف، وأيـن نتوضأ لصلاة الصبـح، حتّى إنّ الإخـوة الذين يريدون تجديـد الوضوء للظهر والعصر، أو المغرب والعشاء كانوا يعانون من المشكلـة نفسها. كنّـا ندخل إلى الزنزانة الساعـة الخامسة عصرًا، ونظـلّ فيها حتَّى الثامنة صباحًا، ولا يُفتح بـاب الزنزانة قبل الموعد المُحـدّد تحت أيّ ظرفٍ مـن الظروف. «**أين نرمي ميـاه الوضوء؟**» كان هـذا السـؤال الذي يُطرح ليلاً. وقد قدّمت عـدّة اقتراحات، قال أحد الإخوة: نتوضّأ على قطعة «**نايلون**» ثم نضع ماء الوضوء في كوب إلـى الصباح، وقـال آخر: نتوضّأ أمـام باب الزنزانة وفـي الصَّباح، وقبل الإحصاء، ننظف الماء بقطعة من القماش. لم تكن الاقتراحات مناسبة لحالة الزنزانة.

كان الإخــوة يتوضّــؤون بمهارة كبيرة، ولم يذهب هــدرًا سوى بِضع قطـرات من الماء، فكان أربعة من الإخــوة يتوضّؤون بكلّ سهولة بكوب واحدٍ من الماء، بينما يصعُب ذلك على الخمسة.

فــي النهايــة تمَّت الموافقــة على اقتــراح الأسير المشهــديّ، الذي اقترح طــيّ ثلاث قطع مــن البطانيّــات بحجم (40×40ســم). وخِطْنا رِباطًــا في إحدى الزوايــا لنتمكَّن من تعليقها فــي أيّ مكان نشاء. كان الإخــوة يتوضّؤون عليها، وهكذا لم تبتل أرضـ الزنزانة بماء الوضوء، ثــمّ كنّــا نعلق البطانيّات المملــؤة بالماء بواسطة حبــل بالنافذة خارج الزنزانة، وهكذا نتخلص من ماء الوضوء. لكن بعد مدَّة، قال لنا وليد، بذريعةٍ واهيةٍ ولؤم بني إسرائيل:

بهذا العمل تبلِّلون ممرّ السجن بالماء.

الخميس 22 أيلول 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

أصبحتُ، ومنذ عدّة أيّـام، صديقًا لـ«**جعفر دولتي مقّدم**»[1]. اليوم هـو أوّل أيّام أسبوع الدفاع المقدَّس[2]، وذكـرى اعتداء النظام البعثيّ العراقـيّ علـى بلادنا. منذ عـدّة أيّام وأنـا أقضي أوقـات الفسحة مع «**جعفر وميثم**». **كان** «**حامد**» حارس السجن يمقتُ «**جعفرًا**».

«**حامـد**» مـن محافظة «**الأنبـار**» العراقيّة، وهو مـن أقارب «**صلاح قاضـي**» أحد قـادة الجيش العراقيّ، كان قصيرَ القامـة، أسمرَ اللون، مغـرورًا وشـكّاكًا. وحسـب كلام «**سامـي**» الحارس العراقـيّ الطيّب، فـإنَّ «**صـلاح قاضـي**» هو عمّ «**حامـد**». كان «**صلاح قاضـي**»، وقبل أن يصبـحَ قائدَ الفيلق العراقـيّ الثالث، قائدًا لفرقـة المشاة 16. أعطى «**صـلاح**» الأوامر للقـوّات بالانسحاب إثر عمليّات «**بيت المقدس**» التي شنّتهـا إيران لتحَريـر «**خرمشهـر**»؛ لذلك أمَـرَ صـدام بإعدامه بعد سقوط «**خرمشهر**». وكان صدام قد أعدم قبل عدّة أيّام العقيد الركن «**جـواد أسعد**» قائد الفرقة المجوقلـة الثالثة بتهمة الخوف والتردُّد في تنفيـذ مهمّة الهجـوم المضادّ، وبسبـب عدم تعاطيـه المناسب حيال

---

(1) جعفـر من مدينة «**زابُل**» فـي محافظة «**سيستان وبلوجستان**»، وكان نائبَ قائـد الكتيبة في فرقة «**ثار الله41**». استشهـد والـده وأخواه عام 1992 خـلال عمليّة إرهابيّـة أعدَّ لها مسبقا، علـى طريق «**زابل-زهـدان**» حيـث أصابت قذيفة «أر بي جـي» السيارة التي تقل والده وأخويه. فاستشهد والده «**غلام عليّ دولتـي مقـدّم**» وأخـوه «**محمود دولت مقدّم**» وقد تحـوَّل جثمانيهما إلى رماد. بينمـا وقع الأخ الأصغر «**علـيّ أصغـر**» الـذي كان يبلغ من العمر 22 عاماً آنذاك في أسرِ الأشـرار. وبعد 3 أيّام من الأسر سمع صوت مروحيّة فخرج من وكرهم و أخذ يلوّح للمروحيّة بقميصه الداخليّ، أغضب تصرفه هذا الأشرار فأطلـق عليـه أحدهم النار وأرداه شهيداً. شغل جعفر إلى العام الماضي منصب مدير مؤسَّسة حفظ و نشر آثار الدفاع المقدّس في محافظة «**سيستان و بلوجستان**».

(2) الدفاع المقدّس: يطلق هذا المصطلح على الحرب المفروضة على إيران في ثمانينات القرن الماضي، أي الحرب العراقيّة – الإيرانيّة (نون).

انتشار الخوف بين العناصر الذين هم تحت إمرته. كان «**حامد**» يحب عمّـه كثيرًا، وقد أخبرنا أنه في السنة الأولـى للحرب كان «**ماهر عبد الرشيـد، هشام صباح فخري، وحسين كامل**» أقلَّ رتبةً من عمه، وقال أيضًا أنّ عمه كان عميدًا، وهؤلاء الثلاثة عقداء.

كان «**حامـد**» يتحـدَّث عـن عمِّه كثيـرًا، فيقـول: كان عمِّـي رئيس العشيـرة، وصاحب مقـام ووجاهة في العـراق قبل أن يَصُـبّ «**صدام حسيـن**» عليه جامَ غضبـه، وأن وزير الدفاع العراقيّ «**عدنان خير الله زيـاد**» أحبّـه كثيرًا، وقد حاول الحؤول دون إعدام «**صلاح قاضي**»، لكن مساعيه باءت بالفشل. حدَّثنا «**جعفر دولتي مقدّم**» منذ عدّة أيّام عن ذكرياتـه في عمليّـة «**بيت المقدس**». وصل هذا الحديـث إلى مسامع «**حامـد**». فحامـد يكنُّ عداوة خاصّة لكلّ من شـارك في عمليّات «**بيت المقدس**».

يحمـل «**حامد**» ذكريات مرّة عـن تحرير «**خرمشهـر**»، فهي تُذكره بمقتـل عمِّه؛ لذا نراه يبحث دائمًا عن حُجَجٍ واهية ليؤذي «**جعفر**»، ولا يُقرُّ بأنّ صدام هو من قتل عمه؛ ربما لأنّه يخاف منه.

نادانـي «**حامـد**»، وأخذني إلى غرفة رئيـس الحرّاس، كان الملازم «**قحطـان**» المعاون الثاني في المخيَّم هنـاك. «**قحطان**» من محافظة «**ديالة**»، شخصٌ ثَرثارٌ، نَهِمٌ ولجوجٌ، أسمرُ اللون قبيحُ المنظر. قلتُ له بعـد مدَّة من انتشار خَبر تبادل الأسرى فـي الصحف: سيِّدي، برأيك متـى سيُطلقُ سراحنا؟ فأجابنـي الملازم «**قحطـان**»: إذا حَبِلَ الرجل يُطلقُ سراحكم. وعندما بدأ الأسرى الإيرانيّون بالعودة إلى الوطن قلت للدكتور «**مؤيـد**» الذي تربطه علاقات جيِّدة مع الملازم قحطان: «**قل**

للملازم قحطان، هل رأيت، سيُطلق سراحنا «ولم يحبل أيّ رجل»؟!

كان «**قحطـان**» يَحتَسـي الشّاي، لم يستطع «**حامـد وقحطان**» أخذ اعتـراف من «**جعفر**» حول مهمَّته، ورتبته في الجبهة، فسألني الملازم قحطان:

أنـت صديـق لـ«**جعفـر دولتي مقـدَّم**»، ويقولـون أنّـك ترافقه على الدوام، فهل أخبرك ما كانت مهمَّته في الجبهة؟

أنـا لم أسأله، وهو لم يخبرني بـأيّ شيء ، لكن الإخوة الكرمانيِّين يقولون إنّه كان في وحدة الإسناد.

ما بكم عندما نسألكم عن مهمّة شخص ما في الجبهة تُجيبون على الفور بأنّه كان يعمل في وحدة الإسناد؟!

كنـت أعلم من الذي دفع «**قحطان**» إلـى ذلك، فحامد لم ينس بعد كلّ تلـك السنوات عُقـدة خسارته لعمّه، وبـدل أن يكره «**صـدام**» الذي أمـر بإعدامه، صبّ جـامَ حقده على كلّ من شارك فـي عمليّات «**بيت المقدس**»، أمثال «**جعفر**».

قال «**حامد**» للملازم «**قحطان**»: إنّ «**جعفرًا**» قائدٌ، نعم لقد أصاب، فجعفـر كان قائدَ مِحـور العمليّات في «**شلمجة**»، وإلـى ذلك اليوم لم يُكشف أمره، لكن بعد مدّة انكشف الأمر.

قلتُ للملازم «**قحطان**» أعمل في الأسر بنصيحة أحد الأصدقاء الذي قال لي: الأفضل لنا في الأسر أن لا يعلم بعضنا بمهامّ بعض ورتبهم.

فجـأة تحوّل كلامه إلى صياح وسألني بغضب: «**تريد أن تقول أنّكم لا تخبرون بعضكم بعضًا بمهامّكم في الجبهة؟!**».

- أجل، إذ لا ضرورة لذلك.

فقال «**قحطان**» لوليد: «**خذ ناصر الاستخباراتيّ، واجلده بالكابل 30 جلدة**».

خرجتُ، وكانت تلك أمنية «**وليد**» الذي جلدني بالكابل 30 جلدة على يديَّ، لقد تألّمت كثيرًا فقلت له:

لا تجلدني على يديَّ. فهي بمثابة القدمين لي، واجلدني عوضًا عن ذلك على ظهري. تقرَّحتْ يدايَ ولم أعُد قادرًا على حمل عصاي والسير بها.

قال «**حكيم**» «**لوليد**»: سيِّدنا، اضربني بدلاً عن السيِّد، دع السيِّد وشأنه، مسكين فهو معوَّق.

تضايقتُ من كلام «**حكيم**»، مع أنّه كان يقصدُ مساعدتي، لكن استخدامه لعبارات مثل «**سيِّدنا**»، هذا «**معوَّق**»، و«**السيِّد صغير السنّ**»، وما شابه، ضايقتني كثيرًا. فأنا لم أرد أن يُداس على عزَّة نفسي وكرامتي، فلا كلام الأسرى كان يروق لي، ولا شفقة العراقيّين.

ولشدة ما آلمتني يداي أمسكت بعكَّازي بصعوبة بالغة، وعدت إلى الزنزانة، ولم استطع استخدام يديَّ لعدّة أيّام أُخر، تركتُ العصا، وكنت أتَنقَّل قفزًا على قدمي. عندما كان العراقيّون يأخذون منّي العصا، وكانت يداي سالمتين، كنت أضع النعلين في كفيَّ، وأنتقل من قعود مستخدمًا يديَّ.

ذهبت إلى «**جعفر**» بعد الجلد المُبرِّح الذي تلقَّيته من «**وليد**»، وحدَّثته بأمر «**حامد**» وأسئلة الملازم «**قحطان**». كان جعفر كتومًا، لا ينبسُ ببنت شفة، فقلتُ له ممازحًا: «**يا جعفر! أترى ما فعله بي «وليد»** لأنّني لم أكن على استعداد لفضح أمرك؟!».

فأجاب جعفر بلهجته «**الزابُليّة**»[1] المحبّبة ممازحًا:

يا سيِّد! الأكثر قربًا في هذا الحفل ينالون النصيب الأوفر من الكؤوس.

فقلـت له ضاحـكًا: «**يا جعفـر! مـاذا إن كنـت لا أريد ذلـك الكأس منك، ولا مِن** «**حامد وقحطان!**»».

خــلال فترة وجودي فــي «**المخيَّم المُلحق**»، أُخِـذَ جعفر إلى غرفة رئيس الحرّاس للتحقيق عِدّة مرّات، وكرّر «**جعفر**» في كلّ تلك المرّات الكلام نفسه، أي أنّه عنصر عادي من عناصر التعبئة[2].

الأحد 2 ت1 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

إنّهـا ذكـرى أربعيـن الإمـام «**الحسيـن**ﷺ». هنــاك ضوابـط ومُقرّرات محدّدة لإقامة الشعائر الدينيّة. كنت أعرف «**حيدر راستي**»، مــن الأتراك الإيرانيّين، أهل «**كوكان تبريـز**»، وقد أنشد لنا اللطميّات مــرّة أو مرّتين بعيدًا عن أعيــن العراقيّين. لقد انجَذبت إليه، واتخذته رفيقًــا لي، كان يعلم أنّني أُنشِد اللطميّات أيضًا، فجاء إلي قبل الظهر، وطلــب أن نُقيم مجلس عزاء للإخوة فــي الزنزانتين (7 و16) بمناسبة أربعيــن الإمام الحسينﷺ. أعرف جيّدًا عاقبة هذا الأمر إذا وصل إلــى أسمــاع العراقيّين. لقد أبكـتْ لطميّات «**حيدر**»، باللغــة التركيّة، وبذلــك الصوت الحزين والجميل، عيون الجميع. كنت أذهب إليه أكثر الأوقــات، وأطلب منه أن يقرأ لي التَّعزية. كان يقرأ التعزية للجميع في المناسبات، ويقرأ لي بشكل خاصّ من دون مناسبة.

---

(1) الزابليّة أي نسبة إلى مسقط رأسه مدينة «**زابل**» الإيرانيّة.

(2) فــي الأيّام الأخيرة للأسـر، وعندما لفتت مهارة «**جعفر**» في الخياطة أنظـار العراقيّين ،كان «**جعفر**» يقول لهم توريةً: «**انظر يا سيِّدي إلى مهارتي، فقد كنت قائد دار الخياطة في** «**فرقة ثار الله 14**»».

عندما كان يقرأ التعزية كانت تبتلّ وجَناتِنا بالدموع دون إرادة منّا. لا أدري لم للتعزية باللُّغة التركيَّة كلّ هذا الأثر والشجون، حتَّى إنّ الإخوة الناطقين بالفارسيّة، كانوا يتأثّرون بالتعزية التركيَّة كثيرًا مع أنّ أغلبهم لم يكن يُجيدُها. عندما كان «**حيدر**» يقرأ لهم التعزية كانوا يَذرفون الدموع بكلِّ حرارة.

ربّما يكون السرّ علاقة الأتراك الإيرانيّين المُتميّزة بأبي الفضل العباس عليه السلام.

كنَّا نقرأ التعزية أنا و«**حيدر**» في الزنزانتين اللتين كنّا فيهما، وقد حدّدنا اثنين من الإخوة الذين يحملون قطع «**المرآيا**» كمراقبين لممرَّات المعتقل؛ لإنذارنا بقدوم الحرّاس المناوبين. مع أنَّه كان من المقرّر التوقُّف بشكل مؤقَّت عند قُدوم الحرّاس، فإنّه ـ وبسبب الحالة المعنويّة التي عمّت الجميع ـ لم نقطع التعزية. لم نقطعها مع إشارة المسؤول عن المراقبة.

لم أقطع التعزية عند رؤيتي للعراقيّين الذين حضروا خلف النافذة، ولم ألتفت إليهم، ولا إلى كلامهم. كان «**كريم**» يترجم كلام «**حامد**» من خلف النافذة:

ممتاز، جيّد جدًّا! هذا يعني أنّكم تشعرون بالأمن والأمان كثيرًا حتَّى تقرؤون التعزية، وتلطمون الصدور! لعَن الله آباءكم أيّها المجوس، سنُنزِل عليكم من البلاء ما يجعل الحسين يأتي بنفسه إلى هنا لنجدتكم.

أخذونا أنا و«**حيدر**» إلى غرفة رئيس الحرّاس. قال «**سعد**» الغاضب جدًّا:

رأيت في الجبهة الجنوبيّة أسراكم، وقد كتبوا على ظهور قمصانهم، وعَصبـات رؤوسهم، «**مسافر كربلاء**»! هل تريـدون احتلال كربلاء؟! لـم لا تحضرون شاحنة كبيـرة فتحملوها معكم إلى إيـران وتريحوننا منكم؟!

لم يكن كلام «**سعـد ووليد وحامد**» في ظل نظام «**صدام**» المعادي للشيعة بالأمر العجيب.

جاء «**خليل**» الليلة، لإحصاء الأسرى، وكان غاضبًا جدًّا. كان مقيّدًا بأوامر من هم أعلى رتبةً منه، حيث يُعاقَبُ الحرّاس الذين يبالغون في استخـدام العنف، لكن عِقاب من يقـرأ التعزية للإمام الحسين عليه السلام كان كبيرًا جدًّا، و«**خليل**» من الذين لا يعرفون الرحمة.

حُكِمنا أنا و«**حيدر**»، وبأمر من النقيب «**خليل**»، بسبعين جلدةً. جلد «**حامـد**» حيدرًا بينما جلدني «**وليـد**». بعد أن تلقينا سبعين جلدةً، قال «**حيـدر**» لهما بلهجتـه التركيّة اللطيفة، ولمرتين علـى التوالي: «**أقسم عليك بحياة أُمّك أن تجلدنا جلدتين إضافيَّتين؟!**».

- يبدو أنّ الجلدات التي نَزلَت على رأسيكما قد أفْقَدتكما صَوابكما! لكن لا حاجة للرجاء.

قـال «**حامـد**»، وهو يجلد كلّاً منّا جلدتيـن إضافيَّتين: «**خذا هاتين الجلدتين، واغربا عن وجهي**». أثناء عودتنا إلى الزنزانة قلت لحيدر:

- «**يبـدو حقًّا أنّـك فَقدتَ صوابك! لِمَ طلبـت أن يَجلُدنا جلدتين إضافيَّتين؟!**»

- بحق أبي الفضل العباس، ما فهمت لمَ؟

- لا!

- أردت أن يكتمل النِّصاب، كان الأمر يستحق أن نتلقَّى 72 جلدة في أربعين الإمام الحسين عليه السلام، باللّه عليك أليس ذلك رائعًا؟!

كان ذلك النوع من التفكُّر والشوق الذي يكنُّه «حيدر» للإمام الحسين عليه السلام درسًا لي. شعرتُ بالسكينة لسماعي ذلك الكلام، وقلت: «**أجل واللّه يستحق ذلك**».

إلى أيّ مدى ذهب حيدر بأفكاره، إلى أن يطلب 72 جلدة بعدد شهداء كربلاء! هذه العقيدة وهذا الحبّ جعل الجميع يتأثّر بقراءته للتعزية، حتّى الحرّاس العراقيّين أمثال «**سامي وقاسم**».

الاثنين 3 ت1 1988 . تكريت - المخيَّم الملحق

مُنع الماءُ عن المعتقل الليلة الماضية بسبب إحيائنا لمراسم أربعين الإمام الحسين عليه السلام، فطلب «**حسن بهشتي بور**»(1) في الزنزانة رقم (2) من رفاق زنزانته تكرار قراءة آية «**أمّن يُجيبُ المُضطر إذا دعاهُ ويكشف السّوء**».

تردَّدتْ أصداءُ دعاء الإخوة في الزنزانة رقم (2) في جميع أرجاء المعتقل، لم يقرّ لنا قرارٌ من شدّة العطش، ولم يستطع العراقيّون إسكات أصواتنا.

في الصباح الباكر، التقيتُ «**بهشتي بور**»، فقال: من الجيِّد أنَّهم

(1) «**حسن بهشتي بور**» إنسان متعلِّم، ذو همّة وتدبير. هو من طهران و طالب في السنة الأخيرة في فرع الاقتصاد في جامعة «**بابُلسَرْ**»، التحق مع 25 من زملائه الجامعيِّين بكتيبة «**حضرت رسول الله**» في فرقة «**كربلاء 25**» وتوجَّهوا إلى «**شلمجة**» وقد وقع 9 منهم في الأسر، عام 1988. كان حسن موظّفًا في مؤسّسة الإذاعة والتلفزيون الإيرانيّ. وقد عيّنه السيِّد «**لاريجاني**» بعد التحرّر مديرًا لقناة «**العالم**». وهو خبير وصاحب رأي بارزٍ في القضايا الإعلاميّة والشرق الأوسط. جاء في كتاب «**ثقافة الجبهة**» الجزء 5 الصفحة 59، أن أفراد التعبئة في فرقة «**سيِّد الشهداء 10**» قد منحوه لقب «**البروفسور**».

أعطونـا المـاء، وإلّا لـكان الإخوة قـد هلكوا حتَّـى الصباح مـن شدَّة العطش».

- وهل أعطوكم الماء؟

- أجل، أعطونا القليل، كان قَعرُ السطل مليئاً بالطين والوحل، لكنه سكَّن عطشنا.

تعجّـب «**بهشتي بور**» كثيرًا عندما علم أنّهم أعطوا الماء لزنزانته فقط، وقال: يـا سيِّد! هذا من بركات «**أمَّن يُجيـب المضطر إذا دعاه ويكشف السّوء**».

قام العراقيّون قبل إحصاء الظهيرة بفصل عناصر الجيش الإيرانيّ عـن عناصر التعبئة والحرس الثوريّ. فقد أراد حرّاس المعتقل فصل زنزانـات عناصـر الجيش عن عناصـر التعبئـة والحرس. برأيهم أنّ عناصـر الحرس الثوريّ والتعبئة هم المنظِّمـون لمراسم أربعين الإمام الحسيـن عليه السلام، والمسبِّبـون للهياج فـي المعتقل. أظنّ بـأنّ هذا الأمر مـن تدبير ضابط الاستخبـارات في المعتقل. جُمعنا فـي الباحة، دخل الملازم فاضل. بلغ عدد عناصر التعبئة والحرس حوالي 80 عنصرًا من أصل 850 أسيرًا في المعتقل. 90 % من الأسرى هم من عناصر الجيش.

كان هدفهـم إثـارة الفتنـة والتفرقة، وهذا ما ظننتـه أيضًا، وذلك عملاً بالقول السائد «**فرق تسُد**». وهذا ما استَنْبَطْناهُ من كلام الملازم «**فاضل**» نفسه. فقد أرادوا إيجاد اصطفاف جديد بين الأسرى.

قال الملازم «**فاضل**»: من الطبيعي أن تكون معاملتنا لأسرى الجيش الإيرانـيّ أفضل، فعناصر الجيش مُلزمون بتأدية واجب «**خدمة العلم**» في الحرب، لكـن الحرس الثوريّ وتعبئة الخمينـيّ شاركوا في الحرب

بـكلّ رغبـة وإرادة بهدف احتلال العراق، ولم يفكِّـروا بهدف آخر غير احتلال العراق والقضاء عليه.

خصَّصـوا الزنزانتين رقـم (11) و (12) للحرس الثوريّ وعناصر التعبئة. كان عددنـا قليلاً، وتربطنا علاقات أخويّة مع عناصر الجيش الإيرانـيّ، وغالبيتهم من الجنود في «**خدمة العلم**». كان هؤلاء الجنود الغيارى يساعدوننا في أعمالنا واحتياجاتنا الشخصيّة. قال «**وليد**»:

لمَ أكثر الجرحى هم من الحرس الثوريّ والتعبئة؟!

أجاب هو عن سؤاله: «**لأنّكم كنتم تقاتلوننا بعناد، وحتى الرمق الأخير**».

الاثنين 10 ت1 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

اليـوم ذكـرى ارتحال النَّبـيِّ الأكـرم ﷺ، وشهادة الإمـام الحسن المجتبـى عليه السلام. منذ عـدّة أيّام وضـع العراقيّون مكبِّـرًا للصوت على السطـح، كان صوتـه المزعـج يُبـري أرواحنـا كالمِبردِ، كانـوا يبثون خلالـه الأغاني العربيّـة والفارسيّة. تضايق الإخـوة، وغضبوا؛ بسبب بـثِّ الأغاني في ذكرى ارتحال النّبيّ ﷺ. حزِن «**حسن بهشتي**»، وقال «**جعفر دولتي مقدَّم**»: «**يا سيِّد ما كان يجب أن نُؤسَر**».

لِمَ لا؟ فالأسرُ في النهاية جزءٌ من الحرب والجهاد.

خَرجتْ «آه» من أعمـاق صدره، وقال: «**لا يا سيِّد! لا وجود للأسر في المدرسة التي عَلّمتِ الشهادة**».

عندمـا فكَّـرت بكلامه أدركـت أن الحقَّ معـه. لم أكـن حتَّى ذلك اليـوم قد تعمّقت بهذا الكلام. قال «**جعفر**»: «**فهل هنـاك أسوأ مِن أن نُجبـرَ علـى سماع الأغانـي في ذكرى ارتحـال النّبـيّ ﷺ؟!**». تحدَّث

«**جعفـر**» قبلَ عـدّة أيّام مع الملازم «**حميد**» الـذي جرح أثناء عمليّات «**والفجـر8**». الملازم «**حميـد**» من مدينة «**الكوت**»، كان نَحيل الجسم، أنيقًـا، قليلَ الكلام، بارد الدم. شعره أشقر اللون، طويل الوجه، مرحًا ومثقفًا، وخرِّيج كليَّة الضباط في بغداد.

سـأل جعفر: «**كيف لكم أنتم الإيرانيّين أن تعبروا نهر** «**أروند**» في ذلـك الشتاء القارس، وتصلوا إلى الفـاو؟» فأجابه قائلاً: «**لقد طلبنا العون من الله، وأهل البيت**ﷺ».

حدَّثه «**جعفر**» عن غواصي عمليّات «**والفجر8**»، وكان الملازم «**حميد**» الذي يحمل ذكريات مُرّة عن شتاء عام 1986، يُلِّح عليه في الأسئلة، يرْغَبُ كثيـرًا في معرفة ما جرى خلـف تلك السواتر الترابيّة تلـك الليلة، أجابه جعفـر: «**سيِّدي!**» عندما يجمع «**قاسـم سليماني**» قائد فرقة «**ثار الله 41**» غواصي التعبئة في تلك الليلة الباردة على ضفة نهر «**أروند**»، ويقول لهم: هذا الماء الذي ترونه هو مَهْرُ «**فاطمة الزهراء**ﷺ»، فأقسموا على الله بحق مَهـرِ السيِّدة «**فاطمة**» أن تعبروا المـاء، وتُفَرِحوا قلب الإمام». فهل تتوقَّع أن لا تساعدنا «**فاطمة**ﷺ؟!»

بُهِـتَ الملازم «**حميـد**»، وهزّ رأسـه بالإيجاب، وغاص عميقًا في أفكاره، فتابع «**جعفر**»: «**يا سيِّدي! لقد حاربناكم في الجبهات بعشقنا لله ولأهـل البيـت، وطلبنا منه العون، لكن أليس أهل البيت أنفسهم مظلومين هنا في بلدكم؟!**».

اندهـش الملازم «**حميـد**» أكثر فأكثر عندما قلـت له: «**لقد دمّرنا لكـم فـي عمليات** «**والفجـر ثمانيـة**» **72 مقاتلـة حربيّة بعـددِ شهداء كربلاء**».

قبل أن يحين وقت إحصاء الظهيرة طلبت من «**جعفر**» أن يرافقني إلــى غرفة رئيس الحرّاس. فقد أردت أن أطلـب منهم أن يتوقّفوا عن بــثّ الأغاني مــن مكبّر الصوت فـي المخيَّم احترامًــا لذكرى ارتحال النّبــيّ ﷺ، وشهادة الإمام الحســن عليه السلام. دخلتُ أنا و«**جعفر**» غرفة رئيس الحرّاس. كان «**سعد**» منشغلاً بالكتابة فسألنا:

ها شنو؟!

جاء المترجم «**كريم**»، فقلت لسعد:

يا سيِّــدي، صحيح أننا بنَظرِكم أعداءٌ لكم، لكنَّنا مسلمون، ونؤمن بالله والنّبيّ.

فقال سعد الذي يستاء من المقدِّمات:

أجل أعرف أنّنا جميعًا مسلمون، ماذا تريد؟

فقال جعفر: «**سيِّدي! للنَّبيِّ الأكرم ﷺ حُرمةٌ، النّبيّ هو لجميع المسلميـن. فاحترامًـا للنَّبـيِّ الـذي يصـادفُ اليوم ذكـرى ارتحاله، أعطوا أوامركم بوقف بثّ الأغاني**».

لــم يذكر «**جعفـر**» شيئًا عــن الإمام الحســن المُجتبى عليه السلام، فقد حــاول من خــلال ذكر اســم النَّبــيِّ ﷺ فقــط التركيز علــى القاسم المشتــرك بين المذهــب السِّنيِّ والشيعيِّ. أعطى «**سعـد**» أوامره بوقف بثّ الأغاني.

الأربعاء 12 ت1 1988 ـ تكريت -المخيَّم الملحق

أينعــت اليوم القَريحة الشعرِية عنــد السيِّد «**محمّد شفاعت منش**» فنظمَ شعرًا، قال فيه:

قَبعتُ في زاوية السجن دون مؤنسِ فـاشـفـنـي يـا خـالـقـي وأعِـنِّـي.

كان مسؤول توزيع الشاي في المخيَّم شابًّا نحيلَ الجسم، وطويل القدِّ، يُدعى «**بهزاد روشن**»[1]. دخل الزنزانة وكان يحمل كوبًا من الشاي في يده، فناداه مسؤول الزنزانة، وطلب منه توزيع كوب الشاي بين جرحى الزنزانة.

كانت حصّة كلِّ خمسةِ أسرى في المخيَّم كوبًا واحدًا من الشاي. وكان العراقيّون يُعطون «**بهزاد**» المسؤول عن توزيع الشاي في المخيَّم كوبًا إضافيًّا، لكنَّه كان يَكتفي بحصَّته من الشاي التي يتقاسمها مع أربعة آخرين، ويوزِّع حصَّته الإضافيّة يوميًّا، وبالتناوب على الزنزانات الخمس والعشرين. عندما علم مساعد طبيب المخيَّم (الدكتور مؤيّد) أنّه طالب سنة ثانية في كلية الطب نقله إلى مستوصف المخيَّم.

قرابة الظهيرة، عاد الإخوة الذين كانوا يقومون بأعمال السُّخرة إلى المخيَّم.

كان العراقيّون يأخذون يوميًّا وبالقوَّة، عددًا من الأسرى للقيام بأعمال السُّخرة. كانوا يختارونهم من الأسرى ذوي البنية القويّة. مع ذلك، كان بينهم أيضًا أسرى ضِعاف الجسم، أجبروا على القيام بأعمال السّخرة بسبب نقمة الحرّاس عليهم.

يقع بالقرب من المخيَّم مصنعٌ لصناعة أحَجار البناء الأسمنتيّة،

(1) الدكتور «**بهزاد**» من «**كيلان**». كان طالباً في السنة الثانية في كلية (شيراز)، وجاء إلى جبهات القتال برفقة عدد من الطلاب الجامعيين. أُسر في «**شلمجة**» بتاريخ 25–5 – 1988م. تابع دراسة الطب بعد التحرّر ويعمل كمدرس في كليّة الطبّ في «**كيلان**».

فكان الإخوة يقومون بتشغيله. وقاموا أيضًا بإنجاز أعمال البناء في عددٍ من الأبنية التي لم يُستكمل بناؤها بعدُ في معسكر صلاح الدين. كنت صديقًا «**لحسين جعفري**» من «**كرمان**» نزيل الزنزانة رقم (7)، وكان يقوم بأعمال البناء [بالسخرة]، وقد استغلّه العراقيّون كثيرًا. هو المذنب في هذا الشأن، فقد كان يعمل دون كَلَلٍ، والعراقيّون يعجبهم الشخص الذي لا يعرف التعب، فلا يدعونه وشأنه.

مع أنّ «**حسين**» كان مريضًا في ذلك اليوم، إلّا أنَّهم أخذوه للسّخرة. بالكاد استطاع السير عند عودته إلى المخيَّم. بعض العنابر التي نُصبتْ هياكلها المعدنية، بُنيت على أيدي: «**حسين جعفري، رضا زينلي**»، وعددٍ آخر من الإخوة الآراكيين، الطهرانيِّين، والهمدانيِّين. كان مسؤول قسم الهندسة في المعسكر يُريد إنهاء بناء القسم الإداريّ، اللوجستيّ، وأحد المخازن في أسرع وقت. هزلت أجسام الإخوة (العاملين بالسُّخرة) بسبب سوء التغذية، ولم تعد لديهم القُدرة على القيام بالأعمال الشاقّة والصعبة. كان عليهم ملء حُمولة عشر شاحنات أو اثنتي عشرة شاحنة صغيرة بالأحجار الأسمنتية. كان العراقيّون يُجبرون الإخوة على العمل كالعبيد، ولم يكونوا على استعداد للاهتمام بتغذيتهم وإطعامهم، بل كانوا يعطونهم كمية الطعام نفسها كالآخرين. كان الإخوة الذين اكتسبوا خبرة في هذا المجال، ولم يكونوا قادرين على مقاومة العراقيّين، يصبّون جام غضبهم على الأحجار الأسمنتيّة، فكانوا يضعون الكثير من الحصى والقليل من الأسمنت عند صبِّ الأحجار الأسمنتيّة أو العكس. كانوا يهدفون من وراء تقليل كميّة الأسمنت أن يصنعوا أحجارًا أقلّ مقاومةً وأسرع تلفًا.

ومن خلال زيـادة كميّة الأسمنت أن يُعرضـوا العراقيّين لمشاكل نَفادْ كميّـة الأسمنتيّة عندهـم. هذا الشـيء الوحيد الذي استطـاع الإخوة القيام به.

قـال «**حسين جعفـري**»: عندما كانت تتحطَّـم الأحجار الأسمنتية، ويسألنـا العراقيّون عـن السبب، كُنّا نجيبهم بأنّنـا لسنا مذنبين، فقد خـارتْ قِوانا، وكانت الحجارة تسقطُ من أيدينا وتتحطَّم. وقد أخبرنا العريـف «**قاسم**»، مسـؤول قسم البناء فـي المخيَّم، بأنّـه قبل وصول الأسـرى الإيرانيّيـن إلى معسكر «**صـلاح الديـن**» كان عددٌ من العمّال التكريتيِّن، ومن القرى المجاورة، يعملون على بناء الأبنية غير المكتملة في المعسكر. لكن بعد وصول الأسرى طردوا العمّالَ قائلين: إنَّ العمّال المجّانيِّين أفضل.

السبت15 ت1 1988. تكريت - المخيَّم الملحق

أُصبـتُ بحُمَّـى الأمعـاء (الديزنطاريـا). ولـم أكن لأذهـب إلى مستوصـف المخيَّم؛ حيـث الدكتور «**جمـال**» يسيء معاملـة الأسرى الإيرانيِّيـن. كان «**علـيّ يماني ومحمّـد باقـر وجدانـي**» يقومـان بتمريضـي. جلسـت بكلّ صعوبة فـي صف الإحصاء. مـا زال أمامنا ساعـة لانتهاء إحصاء الظّهيـرة. حاول «**بهزاد روشـن**» جاهدًا إقناع الدكتـور «**جمـال**»؛ لكـي يدخلني إلـى مستوصف المخيَّـم. فقد كان الدكتور «**جمـال**» على عكس الدكتور «**مؤيّد**» لا يهتمّ بصحة الجرحى والمرضى الأسرى.

حاول الجميع مساعدتي. كان «**مرتضى واحد بور**»[1]، المسؤول عن توزيـع الخبز في المخيَّم. جاء إلـيّ وعَمِلَ على تمريضي لعدَّة ساعات. ألـحّ عليَّ كثيرًا؛ لأتناول شيئًا من الطعام، وأعطاني حصّته من الخبز. لقـد اعتاد «**مرتضى**» أن يقسّـم حِصّته من الخبز كلّ يوم بين الأسرى الجرحـى والمسنِّين. كان إنسانًا ملتزمًا ومسؤولاً. أدركت بعد مدّةٍ بأنّ العراقيّين يُعطونه حِصّة إضافية من الخبز.

حسب كلام «**بهشتي بور**»: في تلك الظروف التي لا يشبع فيها أحد، يعتبرُ الحصولُ على خبـز إضافي بمثابة الحصول على سيارة مجانيّة ودون انتظـارٍ لشركـة السيـارات الإيرانيّة. لـم يكن «**مرتضـى**» ليأكل حصَّته الإضافية من الخبز أبدًا.

لم يقبل في البداية الحصـول على حصّة إضافية كـ«**بهزاد**» تماماً، بـل أراد أن يكـون متساويًا مع الآخرين. قبل عـدّة أيّام قال له الملازم «**فاضل**»: «**حصّة كُلِّ أسيرِ حربٍ من الطعام هي بالمقدار الذي يسمح لـه البقـاء على قيـد الحيـاة**»، فقال له «**مرتضـى**»: «**يا سيِّـدي، يقول سقراط: نحن نأكل لنَعيش، ولا نعيش لنأكُلَ**».

قـال «**أصغـر إسكندري**»[2] لمرتضـى: خُـذ الخُبـز وأعطـه للأسـرى المرضى والجرحى، إن لم تأخـذه فسيأكله شخصٌ شَرِهٌ كـ«**سلوان**»[3].

(1) كان الدكتـور «**مرتضـى واحد بـور**» طالباً في فرع الكيمياء في جامعة «**بابلسر**» وقد أُسر في «**شلمجة**» عـام 1988. بعد التحرّر حصل علـى شهادة الدكتوراه في الكيمياء وهو حاليـا أستاذ معاون في جامعة «**زنجان**».

(2) «**أصغر اسكندري**» من طهران، عمل بعد التحرّر في قسم الأبحاث في وزارة النفط.

(3) «**سلوان**» حارس عراقيّ بعثيّ سيِّئ الطباع.

الاثنين 24 ت1 1988. تكريت - المخيَّم الملحق

قرابة الظهر، دخل الملازم «**فاضل**» إلى المخيَّم، كان معه «**وليد وسعد**»، ومعهما كميّة من «**الشوكولا**». قال الملازم: أرسل الرئيس «**صدام حسين**» لكم «**الشوكولا**» لمناسبة ذكرى مولد النَّبيِّ الأكرم ﷺ في 12 ربيع الأوّل، إنَّه يفكِّر حتَّى بأسرى الحرب، وقد أمر شخصيًّا بتوزيع «**الشوكولا**» عليكم. وزَّعوا «**الشوكولا**» على الأسرى بأمر من الملازم، فقال «**رامين حضرت زاد**»[1]، وهو إنسان ذكيّ: يا رفاق لا تأكلوا «**الشوكولا**»، بل احتفظوا بها لنقدِّمها إلى العراقيِّين في 17 ربيع الأول ذكرى مولد النَّبيِّ الأكرم ﷺ. أعاد حوالي 40 أسيرًا «**الشوكولا**» إلى «**رامين**». كنت أرغب بشدّة في أكل «**الشوكولا**»، فتناولها لذيذ جدًّا بالنسبة إلى أشخاصٍ لم يذوقوا طعمها منذ مدَّة طويلة. احتفظ «**رامين**» بالشوكولا.

الأربعاء 26 ت1 1988. تكريت - المخيَّم الملحق

هذه الليلة صادفت الذكرى السنويَّة الأولى لاستشهاد أخي السيِّد «**هدايت الله**». شعرت بالانقباض، لكنَّني ارتحتُ قليلاً عندما بكيت. لَمْ يعلم الإخوة سبب بكائي. اعتقدَ بعضُهم أنني قد انْهَرتُ. قبل سنة من الآن، وفي مثل هذه الليلة استُشهِد أخي في عمليَّات استرجاع تلة «**دوقلو**» في منطقة كردستان.

---

(1) عمل «**رامين حضرت زاد**» بعد التحرّر في المجالين الاقتصاديّ والثقافيّ. فقد أسّس المركز الثقافيّ والتبليغي «**بعثت**» في زاهدان. كما عمل كمدير تنفيذيّ لشركة «**أحرار**» محافظة «**سيستان وبلوشستان**» وعضو هيئة الإدارة في شركة الصناعات الغذائيّة في «**القدس الرضويّة**» (نسبة إلى العتبة الرضويّة المقدّسة).

ما من شكٍ في أنّهم يقيمون مراسم العزاء لي ولأخي في مسقط رأسي هذه الليلة.

أمضيت ليلتي مع ذكريات أخي السيِّد «**هدايت الله**»[1].

الجمعة 28 ت1 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

جمع «**حسن بهشتي بور**» من كل زنزانة أسيرًا واحدًا. كان يتمتع بذوق وفكر متوقّد، واعتبره الأخوة قائدًا للمخيم. عندما كنت ألتقي به فيما مضى، لم أكن أعتقد أنّ هذا الجسم النحيل والصغير يضم كل هذا التخطيط وسعة الأفق. لقد أخبره الإخوة أن يوم أمس كان الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد أخي، فجاء إليّ اليوم، وجلس بالقرب مني،

(1) كان السيِّد «**هدايت الله**» قبل استشهاده العام الماضي قد أطلق علينا نحن الفريق الذي عمل على زرع الألغام في منطقة «**ساشو**» وتلّة الغابات اسم «**مزارعو الخضار الصيفيّة**»، كان تعبيراً جميلاً. فَفِرَق زرع الألغام، تزرع أنواع الألغام وعلى مائدتها أنواع المواد المتفجرة التي كنّا نعدّها للضيوف غير المرغوب بهم. كان السيِّد «**هدايت الله**» في فرع الاستخبارات الذين يدخلون إلى دار الأعداء دون دعوة وتربطهم مع وحدة التخريب علاقات قديمة. لم يخبرني أحد في البداية بنبأ استشهاد أخي، وعندما كنت في الطريق إلى كردستان سألت السيِّد «**شريف بنجه بند**» في معسكر الشهيد بهروز غلامي عن أخي فقال: «**إنّه في المعسكر**» ولم أدرك من تصرفاته ومحاولته إخفاء البكاء أنّ أخي قد استشهد. وقد حاول حسن أيضًا منعي من دخول الصالة قائلاً أنَّ أخي ليس موجودًا وأنّه قد ذهب في إجازة، لكنّني استطعت أن أرى اللوحة التي كتب عليها التبريك باستشهاده. من هناك عدت إلى قريتي وكنت أبكي باستمرار. وقبل أن نصل إلى «**باشت**» توقفت الحافلة؛ لتناول العشاء، وهناك التقيت أخي السيِّد «**شجاع الدين**» الذي كان يبدو سعيداً فاستقبلته ببرودة. كان عائدًا من «**الهور العظيم**»، ولم أدر هل كان على علم باستشهاد السيِّد «**هدايت**» أمْ لا؟ سألني عن أحوالي وعن السيِّد «**هدايت الله**». حينها أدركت أنّه لا يعلم بخبر استشهاده. صادفنا في الزقاق السيِّد «**أرش**» فأخبرته بصوت منخفض بأنّ السيِّد «**شجاع**» لا يعلم بالأمر. عندما لم نجد أحدًا في المنزل، وعلم أنّ الجميع قد ذهب إلى القرية الكبرى، شكَّ في أنّ شيئًا ما قد حدث. في الطريق قرع السيِّد «**شجاع**» باب أحد زملاء الدراسة ففتح الباب ولد صغير، سأله السيِّد «**شجاع**» هل استشهد أحد ما في «**باشت**»؟ فأجاب الولد الذي لا يعرف السيِّد «**شجاع**» بأنّ ابن السيِّد «**سليمان**» قد استشهد. ذهبنا إلى المقبرة وكانت أخواتي ما زِلنَ عند قبر السيِّد «**هدايت الله**». مازال صوت أختي«**فيروزة**» يتردّد في أذني: «**لقد وصلتما متأخِّرين عن دفن أخينا «هدايت الله»**!

وحدّثني عن الشّهادة والشّهيد، فكان كلامه يُسَكِّن آلامي. لقد استخدم اليوم تعابير جميلةً عن الشهادة، فقال: «**يا سيِّدي العزيز، في يوم من الأيّام كنت أقارن بين شهداء الحرب المفروضة، وبين النبي إسماعيل** عليه السلام**، فقلت لنفسي:** «**أيّ مقام ومنزلة رفيعة لهم؟!**» ثم تابع قائلاً: «**النبي إبراهيم** عليه السلام **أحضر إسماعيل** عليه السلام **إلى مكان التضحية، ولم يذهب هو بنفسه، لكن شهداءنا ذهبوا بأنفسهم. كان الكبش فداءً لإسماعيل؛ لكن شهداءنا كانوا هم القرابين**».

كان لبهشتي بور أصدقاء طيبون، أكثرهم من طلاب الجامعات، وقد وضع البرامج من أجل دنيا الإخوة الأسرى وآخرتهم، فقام الطلاب الجامعيّون الذين وقعوا في الأسر بنهضة ثقافية وعلمية في المخيَّم بإدارة «**حسن بهشتي بور**».

تعرّض «**بهشتي بور**» للكثير من الأذية مع بداية مجيئنا إلى المخيَّم، فقد أخذه العراقيّون إلى الاستخبارات وآذوه. اعتقدوا أنّه من أقارب الشهيد «**بهشتي**»، فقال «**بهشتي بور**» لهم: «**إنّه لفخر لي أن أكون من أقارب الشهيد بهشتي، لكنني للأسف لست كذلك**». لكن العراقيّين لم يصدّقوه.

كان يقول للإخوة: إنّ الوقت لا يقدَّر بثمن، ولا يُتلفُ أيّ شيءٍ بِقَدَرِه؛ لذلك كان يقضي معظم وقته في الأعمال العلميّة والثقافيّة. كان بعض الأسرى الذين أُصيبوا بنوع من اليأس والقنوط يقولون له: «**نحن أسرى، ولا أملَ لنا بالحرية على الإطلاق، وإذا كان من المُقرّر أن نتعفن في هذا السجن فما فائدة الدرس؟!**».

كان «**بهشتي بور**» يتحدّث إلى تلك الجماعة التي تجذّر اليأس

واللامبالاة في فكرها، بكثير من المنطق الاستدلال، فيقول: «**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**». وفي بعض الأحيان يقول لهم: اطلبوا العلم ولو في «**تكريت**» في مخيم الأسرى رقم (16). وكان يقول أيضًا: لو كان النَّبيُّ الأكرم ﷺ حاضرًا بيننا الآن، وأراد أن يجيب عن سؤالكم لقال لكم: «**اطلبوا العلم من الجبهة إلى معتقل الأسر**».

كنت أؤمن بإخلاصه وأعماله.

فقد تولَّى «**حيدر راستي**» تدريس الترجمة، والتجويد، والصرف، والنحو، كما تولّى «**أصغر إسكندري**» تدريس قواعد اللغة الفارسيّة. بينما قام الدكتور«**بهزار روشن**» بتدريس اللغة الإنكليزيّة، و«**حكيم خليَفان ومحمّد آغاجري**» تدريس العربيّة وترجمة الصحف العربيّة، تولّى «**مرتضى واحد بور، وبهشتي بور**» نفسه تدريس ترجمة الصحف الإنكليزيّة «Bagdad observer». منعنا الحرّاس بعد مدة من القيام بأنشطةٍ علميّةٍ وثقافيّةٍ، فكان على الأساتذة أن يُدرّسوا تلامذتهم باستخدام حيلٍ مختلفة، وعلى الإخوة أن يدرسوا بأيّة طريقة. كان التلامذة الذين يَدرسون اللغة الإنكليزيّة يبسطون صحيفة «Bagdad observer» على الأرض، ويتحلقون حولها، ويدرسون. وافق عدد قليلٌ من الحرّاس على عمل «**بهشتي بور**»، وكان يتوقف التدريس عند قدوم «**وليد وحامد**». وكان الإخوة يكتفون بترجمة الصحيفة إلى اللغة الفارسيّة فحسب. كنّا نقضي أكثر من ساعتين في اليوم في صف، كلّ ينتظر دوره للدخول إلى دورة المياه، فكان على من يُدرِّس أن يجلس في الصف أمام الذي يَدرُسُ عنده.

عانى الأسرى، «**مفقودو الأثر**»، في «**تكريت**» من ضوابط خاصّة،

فالويـل لهم إن ضَبَطَ الحرّاس معهم قلم حبرٍ أو ورقة؛ لذا كان الإخوة يخبِّئـون أقلامهم بعيدًا من أعين العراقيّيـن. استخدم الإخوة أكياس الأسمنت، وعلب مسحوق الغسيل الكرتونيّة، وحتَّى أوراق علب السجائر للكتابـة عليهـا. وكان أغلبهم يُخفي قلمَـهُ الحِبـر، أو الرصاص داخل الوسادة، أو داخل معجـون الأسنان. لكن الأسرى الذين حرّر الصليب الأحمر لوائح بأسمائهم لم يعانوا من تلك الضوابط، حتَّى إنّ الصليب الأحمر كان يزوّدهم بما يحتاجون مِن كتب وأقلام وورق.

نظّم «**بهشتي بور**» صفـوف التدريس في الباحة الترابيّة الخارجيّة للمخيَّـم بصـورة مجموعات مؤلفة من ثلاثـة أو أربعة أشخاص، وعلى فترتي الفُسحة في الصباح والعصر.

لكلّ أسلوبٍ من أساليب التدريس مشاكلهُ الخاصّة، فكانت الباحة الترابيّـة الخارجيّـة للمخيَّم بمثابة اللوح، وكف اليـد الممحاة، بينما كان أصبـع الأسـتـاذ الطبشور. بعضهم كان يستخـدم عيدانًا خشبيّةً للكتابة على الأرض الترابيّة، والنعل كممحاة. كانَ الإخوة في المعتقل رقم (12) يطحنون الملح مع مسحوق التنظيف جيّدًا ويبسطونه على صـورة الأشعة (radiology)، ثمَّ يستخدمون عـودَ الخشب للتمرّن على الكتابة.

وكان للتدريـس داخل الزنزانـات أساليبه الخاصّة: مـرةً أحضروا لوحًا خشبيًّا بقيـاس (20×30سم)، وخاط الإخوة على إحدى الجهتين قطعة من القماش، ثـم وضعوا عليها القليل من الزّيت، وأضافوا برش الصّابـون، ثـمّ وضعوا اللوح أمـام الشّمـس لتمتص القماشة الزيت والصابون بشـكل كامل. في المرحلة الأخيرة، غطُّـوا القماشة بقطعة

مـن النايلون الرقيق، والشفاف، فأصبح اللـوح الزيتي جاهزًا للكتابة. عندمـا نكتب على اللوح، كانت الكتابة تظهر جلِيَّة، ومن أجل محو تلك الكتابـة يكفـي أن ننـزع قطعة النايلون عـن اللوح فتمحـى الكتابة، ثمّ نعيدها إلى مكانها فيصبح اللوح جاهزًا للكتابة من جديد.

عملنا بهذا الأسلوب مدّة مِن الزَمن، لكن اكتشف العراقيّون الأمر، بمساعـدة جواسيس الداخـل، فصادروا الألواح. حُرمنـا نعمة الألواح المصنّعة داخليًّا، فاضطر الإخـوة بعد ذلك للكتابة بواسطة الصّابون على بلاط أرض الزنزانات.

ابتكـر الإخوة بعد مدّة طريقة أخرى للكتابة؛ إذ يوجد داخل أكياس السّكـر قطـع بلاستيكيـة بيضـاء بقياس(30×30سم) ، فـكان الإخوة العاملـون في المطبخ يُحضرون تلـك الألواح بعيدًا عن أعين الحرّاس. يضـع الإخوة القطع البلاستيكيّة على قطع من الكرتون، ويكتبون عليها بأقـلام الحبر، وفـي الصباح التالـي يَمحونَ الكتابـات بغسلها بالماء الساخن والصابون، ثمّ يُجفِّفونها تحت أشعة الشمس؛ لتُصبحَ جاهزةً للاستخـدام مجدّدًا. بعضهم كان يحرق معجـون الأسنان ليَتَحوّلَ إلى فحم، ثمّ يكتبون به على أرض الزنزانة.

كان فـي المخيَّم طيفان من الأفكار: فريق يعتقـد أنّه علينا التقيّد بجميـع أنظمـة وقوانيـن العراقيّيـن، وأنّه علينـا إطاعتهـم، وتنفيذ أوامرهم ما دمنا في أسرِهم، بينما رفع الفريق الآخر الذي يتزعمهم «**بهشتـي بـور**» شعار: «**هيهات منّا الذلـة**»، وهذا الفريق في أغلبه من عناصـر التعبئة والحرس الثوريّ. كانـوا يعتقدون أنّه شئنـا أم أبينا فأجسامنـا أسيرة عنـد العراقيّين، لكن علينـا أن لا نسمح لهم بأسرِ

معتقداتنــا. كنّــا نؤمن بأنّــه يتوجب علينــا العمل بتكليفنــا في حربنا العقائديّة، تمامًا كما فعلنا في الدفاع المقدَّس، وأنّه علينا الثبات على معتقداتنــا وشعاراتنا، فلا نتنــازل عنها. كانت تصرفــات العراقيّين عدائيّة تجاه الفريق الثاني.

السبت 29 ت1 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

اتّفقنــا علــى أن يذهب «**رامين حضرت زاد**»، اليــوم، إلى الحرّاس، ويقدّم لهم «**الشوكولا**». ذهب «**رامين**» إليهم، فتعجب الحرّاس، لأنَّهم عرفوا أنّ هذا «**الشوكولا**» هو نفسه الذي وزعوه على الأسرى قبل عدَّة أيّام بمناسبة الثاني عشر من ربيع الأوّل؟ أخذ عددٌ منهم «**الشوكولا**»، وســأل «**وليــد**» و«**رامينــاً**» عن المناسبــة، فأجاب «**راميــن**»: «**بمناسبة السابـع عشـر من ربيع الأوّل ذكرى مولـد النَّبيِّ الأكرم ﷺ**». غضب «**حامـد**»، وقال: «**أيَّها المجوسيّ تريد أن تقول لنا: إنّ مولد الرسول هو في 17 ربيع الأوّل؟**».

أراد «**راميــن**» أن يخفّــف من غضب «**وليد وحامـد ومؤذن**» ضابط الاستخبــارات، فقال لهم: 12 ربيع الأول هو ذكــرى مولد النَّبيِّ الأكرم حســب التقويم السّنّي، و17 ربيع الأوّل هو ذكرى مولده حسب الروايات الشيعيّة؛ لذلك يوجد في تقويمنا ما يُسمَّى بأسبوع الوحدة الممتدّ بين 12 و17 ربيــع الأوّل، وهو أسبــوع الوحدة بين المسلمين الشيعة والسنّة؛ لكي لا يتمكَّن الأعداء من إيجاد الفُرقة بين المسلمين».

فقــال «**مـؤذّن**» «**لرامين**»: لقــد تمكَّن قائدكم بتدبّــره و حنكته من القضاء على حكم الشاه.

الثلاثاء 1 ت2 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

ذهبتُ إلى الزنزانة رقم (9) لأزور «**يد الله زارعي**»، فهو لم يخرج منذ عدّة أيّام إلى الفُسحة. لقد وزَّع العراقيّون الأسرى الجرحى على مختلف الزنزانات، الأمر الذي سهّلَ على الأسرى الأصحاء تقديم المساعدة والعناية بهم.

كان الأسرى الأصحّاء بمثابة عكازٍ صعبٍ[1] للأسرى المجروحين، فيتولَّى أحد الأسرى الأصحّاء، وفي كلِّ آنٍ وأوان، العناية وتقديم كلِّ أنواع المساعدة لأحد الأسرى الجرحى أو المسنِّين. تولّى «**محمّد باقر وجداني**» العناية بي، وتولّى «**أحمد اماندراي**»[2] العناية بـ«**يد الله زارعي**». كان أحمد إنسانًا صبورًا لا يعرِف الكلل، هو من عناصر التعبئة، في «**كتيبة** 415»، من فرقة ثار الله 41. كان يتوجّب على من يرعى شؤون «**يد الله**» أن يخصّص جانبًا مهمًّا من وقته لأجله. تقرَّر في الأيّام الأولى أن يرعى عددٌ من الأسرى الأصحاء أحد الجرحى، فيتولَّون مُداورةً غسل ملابسه، وتوضيب دثاره، ومساعدته على الاستحمام، والذّهاب إلى المرحاض، ومرافقته أثناء زحمة الأسرى.

لكن بعد ذلك، وبسبب مشاعر العطف والألفة التي طغت على علاقة الجريح بالمسؤول عن رعايته، كان هذا الأسير يفضِّل الاستمرار برعاية الجريح بمفرده إلى نهاية مُدَّة الأسر.

(1) كان الأسرى الجرحى يشعرون بالحرج؛ لأنّهم يتّكِلون في جميع أعمالهم وفي تأمين احتياجاتهم على الأسرى السالمين.

(2) أحمد أماندراي: من مدينة «**بم**» في محافظة كرمان. لقد قُتلت ابنته «**فرشته**» 11 عامًا، وابنه «**رضا**» 9 أعوام في الزلزال الذي ضرب «**بم**». بينما أُنقذ هو وزوجته من تحت الأنقاض. يعمل حاليًا كمدرب للرياضة في وزارة التربية والتعليم.

دخلت إلـى الزنزانة رقـم (9)، فرأيت «**يـد الله**» يجلس حزينًا في إحـدى الزوايا، لم يحـدث أن رأيته حزينًا بهذا الشكل، ولَمْ أُطِقْ رؤيته علـى تلك الحـال، فقد كان «**يد الله**» صبورًا حتَّى فـي أقسى الظروف، جلست بالقرب منه وسألته:

- ما بِك؟ لِمَ أنت منزعج هكذا «**هل غَرِقت سفنك؟**»[1]

- أنـا منزعج مـن تصرّفات «**عيسى**» معي. دعـاؤك مستجاب عند الله يا سيِّد، فادعُ على «**عيسى**» مِن أجلي.

- كـن متيقِّنًـا أنّه لو شـاء الله أن يستجيـب لدُعاء أحـدٍ فبالتأكيد سيستجيب لدعائك أكثر منِّي.

حدّثنـي عن تصرّفاتـه العدائيّة معه. «**عيسى**» مـن أصل سودانيّ. جـاء جدّه إلى العـراق قبل سنوات، وتزوّج من امـرأة عراقيّة، فحصل علـى الجنسيّـة العراقيّة. تعيش عائلته فـي مدينة «**الناصريّـة**»، وكان ابـن عمه من الجنود السودانيِّين الذين قاتلوا في جبهة «**شوش**»، وقُتل هنـاك. كان «**عيسى**» قصير القامـة، بشرته سوداء اللون كالحة، وكان يكـره «**يد الله**» كثيرًا. كانت علاقته بـه كعلاقة «**وليد**» بي. كان العديد مـن الحرّاس يُقـدِّرون «**يـد الله**» بسبب حالته الجسميّـة. لكن لم يكن يعلم سبب عداء «**عيسى**» له.

فسألت يد الله:

- حقًا، ماذا يريد «**عيسى**» منك؟ ما به؟

- دائمًا يعترضني ويؤذيني.

---

(1) هـل غرقـت سفُنـك؟ مصطلح خاصّ يعني هل حدثت لـك مشكلة كبيرة بحجم غـرق سفن التاجر أو البحّار.

- هل شكوته إلى «**سعد**»؟

- لا فائدة من ذلك «**فالطيور على أشكالها تقع**».

البارحة شكى «**يد الله** » «**عيسى**» عند «**سعد**» رئيس الحرّاس. فرماه «**عيسى**»، الذي كان يصبُّ الماء المغلي في وعاء الشاي الحافظ للحرارة، بالماء على ظهره، فقال له يد اللّه: «**لم أر ظالماً مثلك في حياتي**». لم يعترض «**سعد**» على تصرّفات «**عيسى**» أبدًا، فقال «**يد الله**» لعيسى: «**لِمَ رميتني بالماء المغليّ أيّها «المُعقّد»**؟ ما الذي فعلته لك؟». عندها حمل «**عيسى**» إبريق الماء البارد الموضوع على الطاولة، وأفرغه على «**يد الله**»، وقال له: «**لقد أحرقتُك بالماء المغليّ، وبردتُك بالماء البارد**».

عندما أخبرتُ العريف «**قاسم**»، الذي يعمل في قسم الصيانة، بالأمر، قال لي: «**عيسى شخصٌ غير سويٍّ نفسيًّا، وقد أخبر الدكتور «مؤيّد»** رئيس الحرّاس بأنّ تصرّفات عيسى أشبه بتصرّفات مريض نفسيّ؛ لكن بسبب علاقته الجيِّدة مع «**سعد**»، لم يتّخذ الأخير أيَّ إجراءٍ ضده، بل كان يقدِّم له الحماية والدّعم.. فقلت ليد اللّه: علينا أن نفكّر بشيء ما.

- مهما فكّرت لا أعرف سبَبَ ابتلائي بهذا الرجل!!

- لقد تجاوز الأمر حدّ الدعاء، سأذهب، وأتحدث إليه، سأقول له: إنّ «**يد الله**» قرّر أن يشكوك إلى النقيب «**خليل**»، وسأرى ردّة فعله.

كان «**عيسى**» يخافُ قائدَ المعتقل خوفَه من الموت، ولقد أدركنا هذا في وقت لاحقٍ. تضايقت كثيرًا؛ لأنّه بصق في وجه «**يد الله**». كان «**يد الله**» حائرًا، هل يشكوه إلى النقيب، أمْ لا؟! كان خليل يكتفي

بتوجيه ملاحظة بسيطة للحارس الذي يشكوه الأسرى إليه، فهو يرجّحُ الحرّاس على الإيرانيّين. كان كلٌّ من يشكو الحرّاس يتعرّض للمضايقة من قبل المشكيّ (عليه)، فكان يأتي إلى الشاكي فور مغادرة القائد، أو الضابـط، المخيَّم، ويذيقه الويلات؛ لذلك فضّل الإخوة السكوت. كان الحرّاس ينتقمون مـن الأسير الذي اشتكى عليهـم، ويُسيؤون معاملته حتَّـى آخر أيّـام الأسر. كان «**يد الله**» على درايـة بالأمر؛ لذا لم يرغب فـي أن يكون مصيره كمصير أولئك الأسـرى. تركتُ «**يد الله**» وذهبت إلى «**عيسى**».

كان «**عيسـى**» يتنـاول الفاكهة، مـا إن رآني قرب بـاب غرفة رئيس الحرّاس حتى سألني: «**ها شينو؟**»

فقلت له دون أن ألفظ كلمة سيِّدي:

صحيـح أنّنا أسرى، ويمكنكم أن تفعلـوا بنا ما تشاؤون، لكن لماذا تُسيء معاملة «**يد الله**» بهذا الشكل؟!

فقال لي، وقد أغضبه أسلوب كلامي:

أنت تطيل لسانك!

عندما رأيت أن لا أثر لكلامي معه، وأنّه شخص لا مُبالٍ، قلت له:

سأقـول لك شيئًا واحدًا فحسب، لا أعـرف بماذا تؤمن، لكنَّنا نحن الإيرانيّيـن نؤمن بالإمام الحسين عليه السلام الذي قال: «**إن لم تكن مؤمنًا فكُن حُرًّا**». أردت أن أقول لك: إنّ دعاء «**يد الله**» عليك سيقصم ظهرك.

- اذهبْ، واغرب عن وجهي أيّها المجوسيّ، هيا ابتعد من هنا.

ثـمّ جلدني بسلك الكهربـاء على ظهري، وشتمنـي، فعدت إلى «**يد الله**»، وأقنعته بأن يشكو عيسى إلى النقيب «**خليل**».

الخميس 3 ت2 -1988 تكريت -المخيَّم الملحق

ذهبت إلى «**حسن بهشتي بور**»، فكلامه يرفع المعنويات. عندما تحلّقنا حوله، قال لنا: «**نحن على متنِ قطار، وعلينا أن نسعى كي نصل إلى المحطة الأخيرة، المخيَّم المُلحق ليس آخر محطةٍ، بل إن** «**خير العاقبة**» هي محطتُنا الأخيرة».

اليوم، رمى «**عيسى**» بقطعة قماشٍ أمام «**يد الله**»، وطلب منه أن يمسح له حذاءه العسكريّ.

يعلم عيسى تمامًا أنّ إحدى يدي «**يد الله**»، وإحدى قدميه، مشلولتان، فقال له «**يد الله**»: سأخبر النقيب «**خليل**» عن سوء معاملتك لي. فردّ عليه عيسى قائلاً: «**لم تترك الشظية الكثير من جلد رأسك، فإن تفوهتَ بأيّة كلمة أمام النقيب** «**خليل**» **فسأسلَخ ما تبقى منه بنفسي**».

فقال له «**يد الله**»: «**سأخبره بكلِّ شيء، وأتوكّل على الله، حتّى لو لم يؤدِّ ذلك لأيّة نتيجة**».

كان النقيب «**خليل**» نظاميًّا ومنطقيًّا، وكنت واثقًا بأنّه سيُواجه «**عيسى**» بالأمر. لكنَّنا لم نكن نثق بالملازم «**فاضل**»، أو بالملازم «**قحطان**»، فقرّرنا إن لم يكف «**عيسى**» أذاه عن «**يد الله**» أن نشكوه إلى النقيب «**خليل**»، وأن نطلب منه نقل «**يد الله**» إلى معتقل آخر ليتخلص من شرِّ «**عيسى**».

وصل النقيب «**خليل**» إلى المعتقل ظهر ذلك اليوم، فقد عَادَ من إجازته. ذهبتُ إلى «**يد الله**»، وأخبرته بأنّه الوقت المناسب، وأنّ النقيب «**خليل**» قد عاد من الإجازة.

كان النقيب «**خليل**» يتمشى في ممرِّ المخيَّم، فرفع «**يد الله**» يده طالبًا الإذن بالكلام. كان النقيب «**خليل**» محاطًا بعددٍ من الحرّاس، فنادى أحد الأسرى العرب، وسمح «**ليد الله**» بالتحدّث.

قال «**يد الله**»: سيِّدي أريد من «**حسين آغاجري**» أن يترجم كلامي.

كان «**حسين آغاجري**» أهلاً للثقة، ولم يكن الحرّاس راضين عنه. كان يترجم كلام الإخوة الأسرى دون زيادة أو نقصان، كما يفعل «**حكيم خلفيان وخالد محمّدي**»، حتَّى لو سبّب لنفسه الأذى. لقد كان شهمًا وشُجاعًا. كان الحرّاس العراقيّون قد جَنَّدوا بعض الأسرى الإيرانيّين العرب ليترجموا شكاوى الأسرى الإيرانيّين بشكل مغاير أمام قائد المعتقل، أو ضُبّاط التفتيش، كي لا يتعرَّضوا للمساءلة، وقد تعاون بعض الأسرى العرب معهم في هذا المجال، ولم يكن الأمر ليمُرَّ دون حصولهم على المكافئة؛ لذلك أراد يد الله أن يترجم «**حسين**» كلامه.

تحدّث «**يد الله**» عن تصرّفات «**عيسى**» السيِّئة معه، وترجم «**حسين**» كلامه دون زيادة أو نقصان. نادى «**خليل**» «**عيسى**» الذي تقدَّم منه، وقدَّم له التحيّة العسكريّة، وقال: «**نعم سيِّدي**». سأله «**خليل**» عن الأمر، فنفى «**عيسى**» كلّ شيء، وقال:

سيِّدي! إن هذا الأسير يكذب.

فقال النقيب «**خليل**»: «**هذا الأسير لا يكذب، بل أعتقد أنّك أنت من يكذب**».

شعرت بالارتياح، فقد أمَرَ «**خليل**» بإخراج عيسى من المخيَّم المُلحق. ومنذ ذلك اليوم أصبح عيسى يحرسُ خارج الأسلاك الشائكة للمخيم إلى جانب عددٍ آخر من الحرّاس، إضافة إلى ذلك فقد أُضيف

ثلاثـة أشهر إلى مدة خدمته في الجيش؛ بسبـب معاملته السيِّئة لـ«**يد الله**». علمـتُ بعد مدّة أنّ عيسى طلـب من الحرّاس داخل المخيَّم أذيَّة «**يـد الله**»، قائلاً لهم: «**انتقموا لي منه؛ لأنّه كان السبب في إخراجي مـن المخيَّـم**». فقال له «**سامـي**»: «**بـل إن تصرّفاتك هـي السببُ في إخراجك**».

الأربعاء 9 ت2 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

تحدّثت الصحف عن التوافق بين إيران والعراق على تبادل الأسرى المعوقين والمرضى، فجاء الأسـرى الأصحّاء إلينا ليُبارِكوا لنا. بدأتُ بمساعـدة «**حسين مروتـي**»، و«**عليّ إسماعيلـي**» بتدوين أسماء أسرى المخيَّم خفيـةً، فقد أصرّ الإخوة عليَّ وعلى «**محمّد كاظم بابائي**» بأن نُطلع الصليب الأحمر عن وجودهم أحياءً فور خروجنا إلى الحرية..

قـرّرت بـدءًا من اليـوم تدويـن أسمائهم فـي لائحتيـن، وأن أُوْدِع اللائحة الثانية لدى «**محمّد كاظم**»، فإن اكتشف الحرّاس لائحة يبقى لدينا لائحةٌ أخرى.

استغرق الأمرُ ثلاثة أسابيع للانتهاء من تدوين الأسماء على الوجه الآخـر لورق علب السجائر الداخلي اللامـع، وأوراق أكياس الأسمنت. كان ورق الأسمنـت يأخـذ حيّزًا كبيـرًا من تجويف عـكازي، لكن ورق السجائـر كان مناسبًـا أكثر لهـذا العمل؛ لـذا أعدنا تدويـن الأسماء التـي كنّا قـد كتبناها على ورق أكياسـ الأسمنت، علـى ورق السجائر من جديد. حتّـى إنّ العراقيّين صدّقوا بأنّه سوف يُطلق سراح الأسرى الجرحى في أسرع وقت. فقد أعلن وزير خارجيّة العراق «**طارق عزيز**» مـن «**جنيف**» بأنّـه سيُطلق سراح الأسرى المعوّقيـن والمرضى بأسرع

وقـت. لم يشأ صدام إطلاق الأسرى الجرحى في المعتقلات المخفيَّة، فيفشـي أمرَ أكثرَ من 20 ألف أسيرٍ مفقـود الأثر، معتقلين في تكريت. ما كنّا لنسّر لو تحرَّرنا، وبقي رفاقُنا في الأسر.

السبت12 ت2 1988 ـ تكريت -المخيَّم الملحق

طلـب طبيـب المعتقل الدكتور «**جمـال**» من «**فاضل رحيـم**»[1] الذي يعمل في المستوصف أن يُدخل إليه عددًا أقلّ من المرضى هذا اليوم. كان «**د. جمال**» عديمَ الصّبر ومزاجيًّا، يزورُ المعتقل مرّتين أسبوعيًّا، ويقضي باقي أيّام الأسبوع في معتقلات معسكر صلاح الدين الأخرى. فـي كلّ مرّة كان يأتي إلى المخيَّم لا يعاين أكثر من ثلاثين إلى أربعين أسيـرًا مريضًا، وجريحًـا. بينما كان عدد الأسـرى الذين يطلبون من «**فاضـل رحيـم، وبهزاد روشـن**» رؤية الطبيب يوميًّا يفـوق 200 أسيرًا. أصيـب أكثر مـن 80 % من الأسـرى بحُمّى الأمعـاء (الديزنطاريا). حـاول «**فاضل**» إقناع الدكتور «**جمال**» بمعاينة عددٍ أكبر من المرضى، وكان قـد تشاجـر معه الأسبوع الماضي لهذا السبـب، فقد وصل الأمر إلى حدٍّ أن قام د.«**جمال**» بطرد الأخ «**فاضل**» من المستوصف.

أعطى «**فاضل رحيم**»، وهو مساعد ممرِّض، الدواء خُلسَة إلى بعض الأسـرى المصابين بالإسهال، لكن الدواء المخصَّص لمعتقل الأسرى محـدود الكميّـة، ويمكـن إحصـاؤه بسهولـة؛ لذلك كانت يـدا فاضل مقيَّدتين في هذا المجال. جلس عددٌ من الأسرى بعد إحصاء الصباح

(1) عمل فاضل رحيم بعد التحرّر في دائرة الصحة في محافظة الأهواز (كان مسؤولو السجون العراقيون يستفيـدون من الأسـرى ذوي الاختصاص في كافة المجالات لمساعدتهـم، ومنهم المتخصِّصون في مجالي التمريض والطبابة..).

في باحة المخيَّم بانتظار الدكتور. ما إن وقعت عينا الدكتور جمال على حشد المرضى حتَّى نادى «**كريم جلالي**» مسؤول المخيَّم الإيرانيّ، وطلب منه أن لا يُدخِلَ أكثر من 20 مريضًا، فطلب «**كريم**» بقاء 20 مريضًا على أن يعود البقية إلى زنازينهم. يقع المستوصف إلى جانب مدخل المخيَّم، رجع عددٌ من الإخوة كُلٌّ إلى زنزانته. وقد استُشهد حتّى ذلك اليوم أكثر من 30 أسيرًا في مستوصف المخيَّم. كانت حالة أكثر المرضى سيِّئة جدًّا، ويتوجّب نقلهم إلى مستشفى «**تكريت**». تَفشَّتْ أمراض متعدِّدة في تلك الأيّام، كحمّى الأمعاء، دودة الأمعاء، الفطريّات الجلديّة، الدُمَّل الملتهبة، التسمُّم الغذائي، وغيرها من الالتهابات، والاشتراكات، وتساقط الشعر.

بلغ عدد الأسرى الذين بقوا أمام المستوصف حوالي 60 شخصًا. خرج الدكتور «**جمال**» من المستوصف، وألقى نظرة خبيثة على الأسرى المرضى، ثمّ قال: أخبرتكم بأنني سأعاين 20 منكم فقط، مكث قليلاً، ثمّ تابع: لا يهمّ، سأعاينكم جميعًا، إذ لدينا ما يكفي من الدواء اليوم. سعدنا لأنّ؛ الدكتور وافق على معاينتنا اليوم.

دخل المرضى واحدًا تلو الآخر إلى المستوصف؛ لكنّهم كانوا يخرجون بوجوه واجمة. لم ندرِ لِمَ طلبوا من المرضى الابتعاد عن المستوصف مسافة 30م، كما أنّهم رفعوا صوت المسجِّل الذي كان يصدح بغناء «**مي أكرم**»، مغنيّة الدكتور «**جمال**» المفضلة، عاليًا[1]، ولم يأذن الحرّاس للأسرى - الذين يخرجون من غرفة الدكتور «**جمال**»

(1) كانوا يهدفون من وراء ذلك إلى منع الأسرى الذين ينتظرون دورهم في الخارج من سماع أصوات جلد المرضى الذين نُفِّذَت وصفتهم في مكانهم مباشرة.

ويمرّون بالقرب منّا- في التحدّث إلينا، لكنّهم كانوا يُفهِمُوننا بالإيماء والإشــارة أن نرجــع، ولا ندخــل إلــى المستوصف. أدركت مــن إشارة «**حسين مقيمي، وإلياس نظري**» أنّ أمرًا ما يحدث داخل المستوصف. نهض الذين أدركوا الأمر محاولين العودة إلى الزنزانات، لكنّ الحرّاس منعوهم من ذلك. عندما دخلت إلى غرفة الدكتور «**جمال**» سألني مما أشكو؟

- قدمي ملتهبة، ولم تشف منذ أن بُترت.
- هل تعاني من مشكلة أخرى؟
- لا، فقط أحتاج لبعض الضمادات.

كتب لــي وصفــة، وأعطاها لماجــد، اعترضــ كلّ من«**كامبيز فرح دوســت**»، و«**فاضل رحيم**» اللذان يعمــلان هناك، حتّى الدكتور «**مؤيّد**» اعترضــ عليه. فقد كتب الدكتور في وصفته التي أعطاها لماجد: «**أنّه يتوجّــب علــيَّ غسل جوارب وليد**». أظن أن الأمر كان نوعًا من التسلية بالنسبة لوليد الذي كان يجلس بالقرب من الدكتور «**جمال**». فقد طلب منه أن يكتب هكذا وصفة.

كتــب لكلّ مــن الأسرى المرضى وصفة خاصّــة، فقد كتب «**لمحمّد كاظــم بابائــي**»، «**تنظيــف زجــاج غرفة رئيســ الحرّاســ**»، راعى حالة «**يد الله زارعي**»، بينما كتب لقاسم فقيه، «**مسح حذاء حامد**». ونُفذت وصفــة «**إيــرج شبانــي**» في المكان حــالاً. يلقى المرضــى الأفضل حالاً عــدَّة جلدات داخل المستوصف، وقد راعى الدكتور.. كما ادّعى..، حالة الجرحى في عقاب اليوم.

لقــد آذانا الدكتور «**جمال**» اليوم كثيرًا، فهو قد وصفَ عدَّة صفعات

لعددٍ مـن المرضى، بينما وصـف للبعض الآخر أمثال «**علـيّ حسيني، رضـا زينلي، ومحمّـد رمضاني**» القفزَ كالضفـادع، وأيديهم متشابكة خلـف رؤوسهـم. ضربـوا «**حميـد زارع زاده**» أكثر من غيـره؛ لأنّه قال للدكتور جمال: «**هل تصف هذا للعراقيّين أيضًا؟!**»

تشاورت مع كاظم، وذهبنا ثانية إلى الدكتور «**جمال**»، وقلنا له:

يـا دكتـور لقـد أدركنا ما ترمـي إليـه، «**أي: موتـوا ولا تأتـوا إلى الطبيب**».

- يا لكم من أذكياء!

- يـا دكتور، اضربونـا كباقي الأسرى الأصحّـاء، فنحن لسنا على استعداد لتنظيف الزجاج، أو غسل الجوارب، ومسح الأحذية.

- هل هذا رأي باقي الجرحى أيضًا؟

- أجل هذا رأيهم أيضًا.

اليـوم، لم أغسـل جوارب وليد، ولـم ينظّف «**محمّد كاظـم**» زجاج غرفة رئيس الحرّاس، كما لم يمسح «**قاسم**» حذاء «**حامد**»، لقد فضَّلنا الجلـدَ على أن تُهان كراماتُنـا. أمر الدكتور «**جمال**» «**حامـدًا ووليدًا**» بجلدنا، فنال كلٌّ منَّا 20 جلدة.

الأحد 13 ت2 1988. تكريت - المخيَّم الملحق

ذهبت اليوم إلى شخصٍ كنت أعلم أنّه يتجسَّس لصالح العراقيّين. حملت لـه خمس سجائر، فرح كثيـرًا عندما أعطيتـه السجائر. الليلة الماضية ضَرَبه الإخوة بشدّة، لكنّه لم يخبر العراقيّين بالأمر، تحدّثت إليه فأعرب عن ندمه.

- يا سيِّد هل سيغفر اللّه لي؟
- لمَ لا؟ فقد غفرَ للحرّ الرِّياحيِّ، فكيف لا يغفر لك؟
- أملي هو رحمة اللّه.

رويت له قصة، نقلاً عن «**باقر جاكيان**»[1]:

كان هنــاك شخصٌ معــدمٌ، مجرم، خارج عن القانون، وقد انقلبت حالــه أثناء تشييــع جنازة أحــد أصدقــاء الطفولة، فالتحــق بجبهات القتــال، كان جسمه مملوءًا بالأوشام، وكان يقول لرفاقه في المتراس: إنّه قلق فيما لو استشهد، ورأى من يَقُوم بتغسيله، وتكفينه، تلك الأوشام علــى جثته، ألن يتســاءل كيف لهذا المجرم أن يكــون شهيدًا؟! ثمّ قال ممازحًا: «**أفضل الموت على أن يأتي ذلك اليوم!**».

لقــد أصابت قذيفة هاون متراسه في «**شلمجة**»، وتقطع جسمه إربًا إربًا. كان اللّه يحبّه كثيرًا إذ لم يعد من حاجة لغسل جثمانه.

مــا إن أنهيت القصة حتّى فاضت دموعه، وأصبح منذ ذلك الحين من أفضل الإخوة في المخيَّم.

الاثنين 14 ت2 1988. تكريت - المخيَّم الملحق

قبــل ظهر هــذا اليوم، قــام العراقيّــون بضرب اثنين مــن الأسرى «**الفلقــة**»[2]، لأنّهمــا بــدّلا زنزانتيهمــا دون إذنٍ. فكانــوا يبلِّلون باطن قدميهمــا بالماء ثــمّ يجلدونهما بالكابــل، وضربوا أسيــرًا آخر بتهمة ممارســة الرياضة، فقد اتهمه «**حامد**» الــذي يحقد عليه، بأنَّه يمارس

(1) كان من طلاب الحوزة العلمية و قد استشهد في «**ماروت**» كردستان.

(2) الفلقــة : يُمــدّد الأسير على الأرض وتُرفع قدماه على خشبة أو ما شابــه للأعلى ويُضرب على باطنهما بالسوط أو العصى. (م. نون).

الرياضة بهدف الفرار من المعتقل.

قرابة الظُهر، جاء ضابطـان، أحدهما برتبة مُقدَّم برفقة الملازم «**فاضل**»، المعاون في المعتقل، إلى المخيَّم، فجُمعنا في باحة المخيَّم بأمـر مـن «**سعد**» كان المُقـدَّم نحيـلاً أسمـر البشرة. تحـدث إلينا، وأدركنـا أنّه كان يبحث عـن العقيد الركن«**محمّد الفاتـح**» قائد اللواء 429 العراقـيّ، وينوي الحصول على معلومات حول مصيره من الأسرى الذين أسروا في شهر حزيران من هذا العام في منطقة «**شلمجة**». كان اسم هذا العقيد مألوفًا لديّ، لكنّني لم أشأ جَلبَ المتاعب لنفسي، فقد أُسِـرَ العقيد «**محمّد الفاتح**» في 12 تمّوز من هـذا العام، وقام الإخوة فـي وحدة الاستخبارات باستجوابه في اليوم نفسه في مقرّ «**كربلاء**»، وأخبرنـا «**ولي بور**»، مسـؤول وحدة المعلومات في اللـواء، بأنَّ العقيد «**محمّد الفاتح**» أخبرهم أثناء التحقيق بأنّ العراق ينوي إقامة معسكر له في جزيرة مجنون بعد «**شلمجة**».

أعْطـى العقيـد وعـودًا كثيرة لمن يُقـدم له المعلومـات عن العقيد «**محمّـد الفاتـح**». كان واضحًا مـن طريقة كلامـه أنّ مصير «**محمّد الفاتح**» يعنيهم كثيرًا، إذ قال: «**كلّ من يُطلعنا على مصير قائد اللواء سننقلـه إلى المخيَّم الذي يُشـرف عليه الصليب الأحمر**». عندما لم يتلـقّ أيَّ جواب، قال: يتابع الفريق أول «**عدنـان خير الله**» وزير الدفاع العراقيّ هذا الأمر شخصيًّا.

كان «**محمّـد كاظم**» جالسًا بالقرب منِّي، ويعلم أنّ «**محمّد الفاتح**» أسيـرٌ في إيران. فقال لـي بصوت خافت، مخاطبًـا العميد: «**حتّى لو قلت إنَّ صدام شخصيًّا مهتمّ بهذا الأمر فلن أخبرك، مع أنّني أعرف**

مصيره، فنحن بغنى عن المشاكل، ووجع الرأس».

كان عددٌ مـن الإخوة الذين أُسروا في «**شلمجة**» على علم بمصير «**محمّـد الفاتـح**» لكنهم كانوا في غنى عن تقديم المعلومات، والتّسبُّب بـالأذى لأنفسهم، فلم يتفوَّهوا بأيّة كلمـة. عندها قال العقيد للإخوة: «**أعلـم أنّكم لا تثقون بنـا، وإنّكم لن تخبرونا بأيّ شيء، حتَّى لو كنتم على علم بالأمر!**».

لو شعرت بقليل من الصدق في كلامه، لأخبرته بأنّ عقيدهم أسيرٌ في إيران، ويتناول الدجاج مع الأرُز في معتقل الضباط.

أخـذ العراقيّـون معهـم اليـوم أحـد الأسـرى الـذي كان فـي فرع المعلومـات في مقرّ «**النجف الأشرف - كرمانشاه**»، فقد اكتُشِفَ أمره من خلال الجواسيس. لم ألتقه بعد ذلك اليوم أبدًا.

الأربعاء 16 ت2 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

دخلـتْ شاحنـة «**الآيفـا**» الصغيـرة المُحمّلة بالخبز إلـى المخيَّم، يقودهـا العريـف الأوَّل «**إبراهيم يونس**». يبلـغ إبراهيـم مـن العمر خمسين سنة ونيف، من مدينة «**السماوة**»[1]، كان نحيل الجسم، شديد السُمرة، ومحدودب الظهر، يعمل سائقًا للشاحنات في الجيش العراقيّ منذ أكثر من 25 عامًا.

لديـه ابـنٌ يُدعـى «**ناصـر**»، وقد سمعتـه يقـول: إنّه وُظِّـفَ كسائق للشاحنات الصغيرة في الجيش العراقيّ منذ عهد «**حسن البكر**»، وقد عمـل على قيادة الشاحنات منذ بداية الحرب إلى نهايتها، وخدم أكثر

(1) إحدى مدن جنوبيّ العراق.

الأوقات في الفيلق الثالث.

كان يأتـي إلـى المخيَّم، بشاحنتـه المُحمّلة بالخبـز عصر كلّ يوم قبـل وقت الإحصاء، كمـا كان ينقل بشاحنته تلك معظـم كميّة الخبز المخصَّصـة لمعسكـر صلاح الدين. لـم يكن يتحدّث إلـى أحد. كان يقـف بالقرب مـن الشاحنة بصمـت أثناء تفريغ حمولـة الشاحنة من الخبز، ويراقب جيّـدًا كي لا يختبئ أحد الأسرى تحتها بقصد الفرار. فقـد حـدث ذات مرَّة أن اختبـئ أحد الأسرى مـن المعتقل رقم (15) تحت سيارة نقل النفايات فاكتشف الحرّاس أمره. عندما كان العريف أوّل «**إبراهيـم**» يدخـل إلى المخيَّـم، كان يسأل عنـي، وإذا كنت داخل الزنزانة كان الإخوة يأتون إليّ، ويقولون: «**صديقك العريف «إبراهيم»** يسأل عنك يا سيِّد».

كان يغمرنـي شعور طيب فـي كلّ مرّة أراه فيها، مع أنّه كان عراقيًّا، إلّا أنّني كنت أشعر بأنّه إيرانيّ حنون. لا أدري لِمَ انجذبت إليه، لكنّني أدركت أنّه شعور متبـادل. ناداني العريف «**إبراهيم**»، وقال لي: «**الأكل علـى حائـط المرفق الصحـيّ الأخير**»، فهمت ما قالـه لي، ثمّ ذهبت إلـى ممـرِّ المراحيض وتلمّستُ بيـدي حائط المرحاض الأخير الذي لا يتعـدّى ارتفاعـه القدم، فوجـدت كيسًا بلاستيكيًّا فيـه بعض الخبز والعجّـة من صنع زوجته. لم يكن ليُعطيني الخبر أمام أعين الحرّاس، خوفًـا من الوشاية به، كان بإمكانه أن يعطيني كميّة إضافية من الخبز فـي الخفاء، لكنه كان يراعي الحلال والحـرام، وحقوق الآخرين، كما أنّنـي لم أكن لأرضى بأن يعطيني الخبز مـن حصّة الإخوة. لقد حدَّثَ زوجتـه عنّي، بأنّني أصغر أسيرٍ في المخيَّم، وأن اسمي «**ناصر**» كاسم

ابنهما، وأنّني فقدت قدمي في الحرب، وأنّني سيِّد أيضًا.

حزِنت زوجَتُهُ، وطلبت منه أن يهتمّ بي. ومنذ ذلك التاريخ وهو يُحضر لي الطعام كل 10 أو 15 يومًا، فكان يضعهم على الجدار الأخير للمرحاض بعيدًا عَن أعيُن الحرّاس، فأذهب وآخذهم.

بعد مدّة أحضر لي دواءً للمعدة، فقد عانيتُ من ألم شديدٍ في المعدة، وحرقة لا تطاق، حتّى أنّني لم أستطع النوم ليلًا من شدَّة الألم، فطلبتُ منه أن يحضر لي الدواء بدل الخبز والطعام. استفاد الإخوة من الدواء أيضًا، لكنَّني كنت أتناول الطعام وحدي. لم يطلع أحدٌ على ما كان يدور بيننا من حديث، إلّا «**كاظم بابائي، وحكيم خلفيان**» اللذان أثق بهما كثيرًا.

عندما ينشغلُ الإخوة بتفريغ حمولة شاحنته من الخبز، كنت أتحدّث إليه، ويتولّى حكيم الترجمة. حكيم إنسان كتوم، لم يستطع العراقيّون تَجنيدهُ للعمل معهم، فقد طلبوا منه نقل أوضاع الأسرى، ومشاكلهم إلى الضباط المفتشين بشكل مغاير، لكنّه لم يكن ليرضخ لأوامرهم. كان يقول: وماذا أفعل بوجداني؟!

تعرَّض عدَّة مرات للضرب المُبرِّح على أيدي العراقيّين بسبب تلك المواقف. أخبرت العريف «**إبراهيم**» أن من بين الأسرى الإيرانيّين العرب في المخيَّم يمكن الوثوق بـ«**حكيم خلفيان**»، وبناءً على كلامي، وثِقَ به. كان «**إبراهيم**» بداية الحرب سائقاً في أحد فيالق الجيش العراقيّ، ويحمل الكثير من الذكريات عن نهب ممتلكات أهالي مدينة «**خرمشهر**»، وغيرها من المدن الإيرانيّة التي احتلها الجيش العراقيّ. وقد شهِد بنفسه نهب ممتلكات أهالي «**خرمشهر**»، وظل يعاني من

عذاب الضمير بسبب ما شهده من أحداث بعد احتلال تلك المدينة.

حدّثني بعد ظهر هذا اليوم عن «**خرمشهر**»، وقال لي: وقّع العقيد «**غفور فرج**»، رئيس لجنة الإشراف على «**غنائم الحرب**»، على أكثر من أربعين استمارة مَهمّة لي؛ لنقل ممتلكات وأموال أهالي «**خرمشهر**» إلى عناوين محدَّدة لقادةٍ عسكريّين، وإلى أقربائهم، وأغلبهم من أنسباء وأقرباء زوجاتهم، وإلى عدد آخر من الأشخاص، حدَّدوا لي عناوين محالّ إقاماتهم. وقال: كنت مجبرًا على ذلك، زَفر زَفرةً من أعماق صدره، جرت دموعه، وتابع: في إحدى المرّات كنت متوجهًا من مدينة «**خرمشهر**» إلى مدينة «**الكوت**» على طريق العمارة - البصرة، فاصطدمتُ بـ «**قاطرة**» تحمل دبابة، كان ذلك الحادث بسبب خيانتنا للإيرانيّين؛ إذ كُنّا نَسْطو على ممتلكاتهم في وضح النهار، وننقلها إلى مدننا، وقد تحوّلت تلك الأموال والممتلكات المغصوبة إلى جهاز عرس لعدد من فتيات العراق. يا لتلك الحياة المشؤومة التي بدأتها أولئك الفتيات مع ذلك الجهاز المغصوب!».

أضاف العريف «**إبراهيم**»: «**عندما كنّا نفرِّغُ حمولة الشاحنة، وبما أنّ القادة العسكريّين لا يثقون بالسائقين، كنّا نُقدم اللوائح التفصيليّة بالوسائل المنقولة إلى رئيس مكتب القائد العسكري، وننتظر حوالي الساعة ليقوم المعاون بجَردِ الوسائل، ومطابقتها مع اللوائح**».

سألته ما هي أكثر الأغراض التي أخذتَها من «**خرمشهر**»؟ انزعج، وقال: «**قُل أَخَذُوها**». فصحّحتُ سؤالي.

يوجد في حمولة كلّ شاحنة: براد، تلفزيون، مُبرّد[1]، جهاز تسجيل، مروحـة سقف، غسالة كهربائية، فرن غـاز، ماكينة خياطة، بطانيات، مدفأة، سجّاد، وغيرها من الوسائل.

وقال: يا سيِّد، تُركَت الوسائل التي لا قيمة لها في مدينة «**خرمشهر**»، وحَمَّل جنودنا الطمّاعون في الشاحنـات كلّ الوسائل والأشياء القيّمة، ونقلوهـا إلى العـراق. أَقسَمَ لي، وقال: مع أنّني كُنت قادرًا على أخذ ما أشـاء، إلّا أنّنـي لم أفعـل ذلك، لكن جنودنا قاموا ببيـع ما سطوا عليه فـي مدينتي البصرة والعمارة، وغيرهما من المدن العراقيّة. وقد عَلِم َأغلـب العراقيّين المتديِّنين أنّ تلك الوسائل مغصوبة من «**خرمشهر**»، فلم يقدموا على شرائها.

وقـال العريف إبراهيم أيضًا: شَهـدتُ في أحد الأيّام مشاجرةً بين مؤهّلٍ ورائد في الجيش العراقيّ، كان المؤهّل من مدينة البصرة، وقد هاجـر العديد من أفراد عائلته منذ القديم إلـى «**خرمشهر**»، وسكنوا فيهـا، بينما الرائد البعثيّ من مدينة «**تكريت**». لـم يكن المؤهّل يَهابُ أحـدًا، فقال للرائد: ألا تخجل من كونـك عربيًّا، وأنت تسطو على تلك الممتلـكات؟! لو كانت تلـك الممتلـكات لإيرانيّين فُرس ومجوس لما اعترضـت، ولكُنـت أخذتها أنا أيضًـا، لكنَّنا عربٌ، وهـذه أموال عربٍ أيضًـا. إنّه لأمر مخجلٍ حقًّا أنْ يعلـمَ كلُّ عربيٍّ «**خوزستانيّ**» في إيران كـمْ نحن حقيـرون، أراذل، وعديمو المـروءة. وصل الشّجـار إلى حدٍ دفع بالرائـد التكريتيّ لاستهـداف المؤهّل، صاحب الحميّـة العربيّة، برصاصةٍ قتلتهُ على الفور.

---

(1) جهاز تبريد يعمل على الماء يقال له: «**كولر**».

السبت 19ت2 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

كان يومًا عصيبًا، كنت داخل الزنزانة، عندما دخل السيِّد «**محمّد شفاعت منش**» وقال: «**أيُّها الإخوة! استمعوا إلى شكواي واضطرابي، استمعوا إلى قصّة حيرتي وضياعي**»، فسألته: «**ماذا حدث يا سيِّد محمّد؟**»، فأجاب: «**لقد وَلدت بقرتُنا**[1]**، ضاعت نِصفُ شفرةٍ**».

كلُّ من قضى عدّة سنوات في سجون العراقيّين يعلم جيّدًا عاقبة الأسرى عند ضياع نصف شفرة. كان على الإخوة حلق لحاهم مرّتين في الأسبوع. في الأيّام الأولى لم يعط العراقيّون الإخوة الفرشاة، ومعجون الحلاقة؛ لذا استعاضوا عنهما بالصابون. كما كانوا يواجهون شُحَّ المياه في أغلب الأوقات.

قال العراقيّون لمسؤولي السجن[2] الإيرانيّين: لن يُقدَّم طعام الغداء ما لم يظهر نصف الشفرة الضائع. كانوا يعطون 175 شفرة لـ 875 أسيرًا، أي بمعدل شفرة واحدة لكلّ خمسة أشخاص. عندما يصل دور الأسير الخامس في الحلاقة تكون الشفرة فلَّ نصلُها، مما يصعب عليه أمر الحلاقة كثيرًا. وكان مسؤولو السجن يسلّمون عدد الشفرات نفسها بعد الانتهاء من الحلاقة.

باءت جهود الإخوة في البحث عن نصف الشفرة الضائعة بالفشل، فانهال الحرّاس بالكابلات على الأسرى، ولم يفرِّقوا بين الأصحاء والجَرحى.

(1) مصطلح إيرانيّ يُقصدُ به أنّ المصائب قد انهالت على رؤوسنا.

(2) عيّن العراقيّون لكلّ زنزانة مسؤولاً (عريفًا)، اختاروه من بين الأسرى الإيرانيّين؛ لتولّي شؤون الأسرى، والمتابعات مع الحرّاس العراقيِّين..

قام الحارس «**سامي**» بعمل وجدانيّ، لم أظن أنّه سيقوم بتضحية كهذه من أجلنا، كان يعلم أنّه إذا لم يُعثر على الشفرة حتَّى الغروب، فإنَّ زملاءه سيُذِيقوننا الويلات.

أفهمني بإشارة من حاجبيه بأن أنتبه إلى يده، راقبت يده، فرأيته يرمي نصف شفرة قرب العامود، ويغادر. أشرت إلى «**محمّد كاظم بابائي، وحسين مقيمي**» لمكان الشفرة، لم يعلم الإخوة أنّ «**سامي**» هو من رماها على الأرض. لقد فرح «**محمّد كاظم**» كثيرًا.

كان «**سامي**» حارسًا نجيبًا، وصاحبَ ضميرٍ حَيٍّ، قليلَ الكلام، كتومًا، شفوقًا، وهو من مدينة «**الديوانيّة**» في محافظة «**القادسيّة**» العراقيّة، لكنّه نشأ وترعرع في مدينة «**بغداد**».

نهضتُ، وناديتُ الإخوة الذين كانوا يبحثون عن الشفرة في باحة المخيَّم. حاولتُ أن أخبرهم بطريقة طبيعية. اتجَهَ الإخوة نحو الشفرة الضائعة، بينما تَعمَّدَ سامي التأخُّر عن باقي الحرّاس في الوصول إلى المكان. لم يعلم أحد بما فعله «**سامي**» لأجلنا اليوم، لكنَّني وبعد عدَّةِ أيّام، أخبرتُ السرّ «**لحسين مرواني**»، «**ميثم سيرفر**» و«**محمّد باقر وجداني**»، وهم موضع ثقة لدينا، وحافظون للسرِّ.

أُغلِقَ اليوم مِلف نصف الشفرة الضائعة بفضل تضحية «**سامي**» الذي بَقِي سرّه خافيًا على العراقيّين.

الأحد 20 ت2 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

كان «**سامي وماجد**» يتحدّثان عصر هذا اليوم عن ذكرياتهما في جبهة «**الفاو وخُرَّمشهر**». قال «**سامي**»: «**خَبران أفْرحا صدام**

كثيـرًا زمـن الحـرب، ولا شـيء أغضبَـهُ بقـدرِ سَماعه لخبـر سقوط «خرَّمشهـر». أخبرنـا «**ماجد**» بأن «**عدنان خيـر الله**» قال في جمع من الجنـود العراقيّين: إنّ خرمشهر هي بمثابـة الوسادة التي تتكئ عليها «**البصـرة**». وقال قائد الجيش «**ماهر عبد الرشيد**»: «**المحمَّرة (أي: خرَّمشهر) هي بمثابة بؤبؤ العين**». قال سامي: «**خبران أفرحا صدام كثيـرًا، الأوّل خبـر استشهـاد الدكتـور «شمـران»**، والثاني خبر سقوط الطائـرة العسكريّـة الإيرانيّـة (C- 130) فـي جنوب طهـران[1]. وقال «**سامـي**»: «**لقـد بُثَّ نبـأ سقـوط الطائـرة العسكريّة الحاملـة للقادة العسكرييـن الإيرانيّيـن عـام 1981 فـي الوسائـل الإعلاميّـة. وكان صدام حينها في زيارة لمعسكر الراشديّة برفقة «عدنان خير الله»**».

كان «**عدنـان خيـر الله**» أول من سمع بالخبـر. وقبل أن يُعلم صدام بالأمـر قال له: سيِّدي، لديَّ خبر مهم لك سيُسعدك كثيرًا، لكنَّني أريد الحصول على ترقية مقابله، فقال له «**صدام**»: اذا كان الخبر كما تقول فسأوافـق على ترقيتك. عندما سمع صـدام بالخبر لم تسعه الفرحة، ضحـك، وقال لـ«**عدنان**»: أفرح خبرُك قلبي يا عدنان. وحصل «**عدنان خيـر الله**» على الترقيـة. أضاف «**سامي**»: لقد سمعـت بهذا في إحدى خطب عدنان خير الله في معسكر التاجيّ.

---

(1) سقطـت طائـرة عسكريّة إيرانيّة من نوع(C - 130) عام 1981 كانـت متّجهة من الجبهات الجنوبيّة إلى طهران و على متنها وزير الدفاع الإيرانيّ اللواء «**موسى نامجو**»، والعميد ولي الله فلاحي قائد المشاة فـي الجيش الإيرانيّ، اللواء جواد فكوري قائد القـوات الجوية في الجيش، ونائب قائد الحرس الثوريّ يوسف كلاه دوز، و قائد الحرس الثوريّ في خرمشهر محمّد جهان آرا الذين استشهدوا جميعًا.

الثلاثاء 22 ت2 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

كان الوقت ظهرًا عندما دخل المخيَّم عددٌ من عناصر منظَّمة «**مجاهدي خلق**»، برفقة أحد الضباط في قسم التوجيه السياسيّ. كانت تلك هي المرّة الأولى التي يأتي فيها أفراد من هذه المنظَّمة إلينا. كان العراقيّون قد أخبرونا قبل أيّام، بأنّ عَددًا من الإيرانيّين سَيأتُونَ لزيارتنا. فقد وسّعت المنظَّمة نطاق أنشطتها، لتشمل معتقلات الأسرى الإيرانيّين، «**مفقودي الأثر**»، كانوا يَسعون للحصول على مناصرين لهم من بين الأسرى وقد سمح صدام بدخول عناصر «**مسعود رجوي**» إلى المعتقلات المخفيَّة للأسرى، «**مفقودي الأثر**»، في «**تكريت**»؛ بهدف جذبهم إلى المنظَّمة، في حين أوصَد أبوابها في وجه الصليب الأحمر الدوليّ. وجودُ وتَردُّدُ «**جماعة المنافقين**» يدلّ على مدى ثقة «**صدّام**»، وحزب البعث الزائدة بالمنظَّمة، وبشخص «**مسعود رجوي**»، ولم يكن صدام على استعداد لتقديم أيّة معلومات للصليب الأحمر الدوليّ عن الأسرى، «**مفقودي الأثر**»، ما بين عامي 1988 و1990.

كان صدام يُقدم 60 مليون دولار شهريًّا لمنظَّمة «**مجاهدي خلق**». هذا ما قاله «**سامي**» شخصيًّا. حاولت المنظَّمة وصدام الإيحاء بأنَّهما، وبشكل ما، ليسا في جبهة واحدة. ونظرًا للحقد والكره الذي يَكنُّه الشعب الإيرانيّ للنظام البعثيّ الغاصب، فقد اضُطرّت المنظَّمة لاتخاذ مواقف مضادَّة للنظام العراقيّ، ولو في الظاهر. كما حاول النظام العراقيّ الإيحاء بأنّه قدَّم المأوى للمنظَّمة لإنقاذها من التشرّد فحسب. لكن معاون صدام «**عزت إبراهيم الدوريّ**» صرّح بأنّ منظَّمة

«**مجاهـدي خلـق**» الإيرانيّة هي مقابل مجاهدي فيلق «**بدر9**» العراقيّ. وزَّع العراقيّـون اليـوم كُتُبَ المنظَّمـة، ومنشوراتها داخـل الزنزانات، كانت المرّة الأولى التي تُوزع فيها الكتب في المخيَّم.

كانت معظـم الكتب تعود للسنوات الماضية، وقـد تآكلها الغبارُ في مخازن المنظَّمة. عندما دخل مسؤول الزنزانة، وبيده هذا الكمِّ الهائل مـن الكتب المزركشـة، قلت له: ليتك قلـت لهم أنْ يوزعـوا «**مصحفًا شريفًـا**» علـى كلِّ زنزانةٍ، بدل كلِّ هذه الكتب. لكنّنَي اغتنمت الفرصة، وانتزعـت الصفحات البيضاء من آخـر كل كتاب، وصنعت منها دفترًا صغيرًا للملاحظـات. بدأت قراءة الكتب والمنشـورات عند الظهيرة، بهدف ملء الفـراغ، وإشباعًا لفضولي، فقـد أردت معرفة ما يقولونه. قـرأت النشـرة الأسبوعيـة «**الحقيقـة**» فوجـدت فيهـا كلّ شـيء، إلّا الحقيقة. وفي نشرة «**المجاهد**» الأسبوعيّة، والتي هي النشرة الرسميّة للمنظَّمة، قرأت مقابلة «**مسعود رجوي**» و«**مريم عضدانلو**» المعروفة باسم «**مريم رجوي**». وُزِّعَ بين الإخوة أكثر من أربعين عددًا من أعداد نشرة «**المجاهد**». قال رجـوي، الحانق من نتائج عمليّات «**المرصاد**»، فـي أحد أعداد النشرة: سوف تنتقم منظَّمة «**مجاهدي خلق**» لعمليّات «**المرصـاد**» من الحرس الثوري. وكتب رجوي فـي افتتاحية عدد آخر مـن النشرة ذاتهـا: آن الأوان لمواجهة دكتاتوريَّة ولاية الفقيه، والقيام عليه. وصرّح «**مهدي أبريشمجي**» في مقابلة معه: «**إنّ سبب عدم نجاح المنظَّمـة فـي إيران هو ولايـة الفقيه، والحرس الثـوري، والتعبئة**»، كمـا قال «**أبريشمجي**»، وهو مسؤول الاستخبارات في المنظَّمة: «**ليس لـدى مجاهـدي خلق أملٌ فـي تحرير الشعـب الإيرانيّ مـا دام حكم ولاية الفقيه قائمًا في إيران**».

رحَّب الحرّاس العراقيّون بما أسموه الزواج الإيديولوجيّ، والمخالف للشرع، بين «**مسعود رجوي**» و«**مريم عضدانلو**». حاولتُ أن أحفظ في ذهني تلك الجملة التي قرأتها في أحد أعداد «**المجاهد**»، حيث كتب «**أبريشمجي**»: إنَّ معارضة رجوي أشد كفرًا من معارضة مشيئة اللّه.

عندما قرأ «**حيدر راستي**» هذه الجملة قال: باللّه عليكم انظروا لهذا «**البطاطا!**». كانت «**مريم رجوي**» زوجة أبريشمجي. دفع «**رجوي**» «**أبريشمجي**» لكي يُطلقها، ويتزوجها هو، ثمّ إنَّ عديم الشَّهامة والشرف «**أبريشمجي**» هذا يقول: «**إنّ مخالفة رجوي أشدُّ كفرًا من مخالفة مشيئة الله؟!**». كيف يمكن لإنسان أن يكون مُنحطًّا، ووَضِيعًا إلى هذا الحد؟

كانت زوجة رجوي الأولى هي «**أشرف ربيعي**»، التي قُتلت في طهران، وأُطلق اسمها على مخيم المنظمة في منطقة «**ديالة**» العراقيّة، أمّا زوجته الثانية فهي «**فيروزة بني صدر**»، ابنة «**بني صدر**»، التي تزوجها عام 1984، ثمّ انفصلا بعد عدَّة أشهر.

قالت «**مريم رجوي**» بمناسبة «**يوم المرأة**» جملة عَلِقت في ذهني: كان للمرأة قبل الثورة مكانة خاصّة، وقد أبعَدتْ الثورة الإسلامية النساء عن مكانتهنَّ ومقامهنَّ.

من بين منشورات وكتب المنظَّمة نشرة «**إيران نامه**» (رسالة إيران)، التابعة للمطالبين بإعادة الحكم «**الشاهنشاهيّ**». فالمنظَّمة كانت على علاقة وطيدةٍ مع أولئك القابعين في أوروبا، في حين أن الأسرى لا يملكون أيّ رابط يربطهم مع العالم خارج المعتقل، كانت نشرة «**إيران نامه**» التي تُطبع وتُوزع بإشراف «**أشرف بهلوي**»، ونشرة

«**راه زندكى**» (طريـق الحياة)، و«**راه آورد**» (التقـدُّم) تُنقلُ من مطارٍ فـي الولايات المتحدة الأمريكيّة إلى مطار الرشيد في بغداد. وعلى ما تسعفنـي به ذاكرتي أيّام الشباب، فقـد كان أشخاصٌ أمثال «**داريوش همايـون**» و«**حميـد خواجه نصيـري**» يكتبون في نشرة «**إيـران نامه**»، وقد سخّروا كلّ طاقاتهم للهجوم على الثورة الإسلاميّة، وولاية الفقيه، وقيَم الدفاع المقدّس.

من بين الكتب التـي أحضروها إلى المخيَّم، وقرأتها، كتاب «**هدية برند**»(هدية الثُّريّا) لحميد خواجه نصيري.

طُبـع على إحدى صفحـات نشرة «**المجاهد**» صـورة «**مجيد نيكو**» الـذي اغتال الشهيد «**آية الله مدني**»، وقد نشرت «**جماعة المنافقين**» سيرتـه الذاتيّـة، وعـدَّدوا الاغتيالات الأخـرى التي قام بهـا، وقدّموه بعنوان «**الشهيد البطل في جيش التحرير**».

كنـت أحب شهداء «**المحراب**» منذ الصغـر، وقد ألصقت صورهم الأربعة داخل غلاف كتاب الصفّ الخامس الابتدائيّ.

الأربعاء 23 ت2 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

صبـاح هذا اليـوم أخرجونا مـن الزنزانات، وتقـرّر معاقبتنا نحن الثلاثـة: «**علـيّ كوجـك زاده، حسيـن شكـري**» وأنا؛ لأنّنـا مزّقنا صور «**رجـوي**». وكي لا يتكرر هذا الأمر، أخذونا إلى باحة المخيَّم الترابيّة، أمر ضابط التوجيه السياسيّ بجلد عليّ، وحسين مئة جلدةٍ لكلٍّ منهما، وبالنظـر إلى وضعي الجسمي، تمَّ إعفائي من الجلد، وعِوضًا عن ذلك وضـع حامد طرف خرطوم المياه في فمي، ثمّ أطبق فمي بقبضته بكلّ

إحكام، وأمر «**سلوان**» بفتح صنبور المياه، حاولت جاهدًا التملُّص منه، فقد امتـلأت معدتي بالمياه كالغريق، وسَال المـاء من أنفي. جريمتي هي أنّني ثقبتُ عيني «**مجيد نيكو**» (في الصورة) الذي اغتال «**آية الله مدني**»، ومزَّقتُ صور«**مسعود رجوي، ومريم عضدانلو**». أيقنت اليوم مدى علاقة العراقيّين بقيادي «**جماعة المنافقين**».

الإثنين 28 ت2 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

لـم أرغب فـي تناول طعـام الغـداء اليوم؛ لـذا احتفظ لـي الإخوة بحصتـي فـي الكوب المعدنـيّ. كان الغداء حسـاء القُنَّبيط مـع الأرُز. عندمـا رأيت خبزًا يشبه خبز الـ «**سنـكك**»[1] الإيرانيّ في يد «**حامد**»، سَـال لُعابي، وتذكرتُ الفرن في الشارع الرئيسي لمدينة «**ياسوج**». كنت أقيم حينها في منزل أختي «**بي بي ماهتاب**». وكنتُ أذهب أكثر الأوقات إلى الشارع الرئيسيّ للمدينة، وأشتري الخبز، ثمّ أجلس في أحد الأزقة الهادئة وأتناوله، كان طعمه لذيذًا جدًّا، وأفضل من طعم الأرُز والدجاج المشويّ وغيره، ورؤية الخبز في يد «**حامد**» دفعني إلى تناول غدائي.

استخدمت صحيفة القادسيّة كمائدة، عادةً تطبعُ صُحفُ القادسيّة، الثورة، والجمهوريّة صـورَ صدّام على صفحتها الأولى، ولم أرَ صحيفة لا يوجـد صُورٌ لصدام على صفحتها الأولى. كنت أتَناولُ الغداء عندما دخـل «**جميـل**» إلى الزنزانة. لَـم أدرِ لما ضربنـي بالكابل على رأسي، فهـو قد التحق بالحرّاس منـذ نحو أسبوعين فقط. كان «**جميل**» طويل القامـة، عيناه غارقتان فـي مِحجريهما، وعلى خـدِه الأيسر آثارُ جُرحٍ

(1) نوع من الخبز يُخبز على الحصى داخل أتونٍ خاصّ بحرارة عالية.

وقُطَبٍ، قـال: إنّه جُرِحَ بشظيَّة قذيفة هاون في منطقة «**طلائية**». كان «**جميـل**» «**كوليـد**» مـن عشاق «**صـدام**»، ويقول: إنّ العـرب سيختارون صـدام في القريـب العاجل قائدًا لهم من النيل إلـى الفرات، وسيقوم فـي يوم من الأيّام بتأسيـس الإمبراطوريّة العراقيّـة الكبرى. فقلت له بالفارسيّـة بما معناه :«**ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه**»، فسأل «**جميل**» حكيم خليفان: هذا شو يقول«؟!

فقـال حكيـم: «**سيِّـدي، لا يقـول شيئًـا، يقـول: إنّ الإمبراطوريّة سوف تتأسَّس**».

حمـلَ جميل الصحيفة، وأشار إلـى الحساء الذي سقط على صورة صدام، وقال: «**هذا شينو؟**».

لفـظ جميل كلمـة «**توهيـن**» الفارسيّة بشـكل جيّد، وقـال بغضب: «**مجوس! هذا توهين**».

- سيِّدي، لا، مو توهين.

ركل «**جميل**» كوب طعامي مثل الكرة بقدمه، وضربني عدّة ضربات بالكابـل علـى رأسـي، ثـمّ كالَ لـي الإهانات، فـي تلك الأثنـاء، وصل «**سلـوان**». «**سلـوان**» من الناصريّة في محافظة «**ذي قـار**»، وهو أضخم حارس في المخيَّم بعد «**سعـد**»، كان نَهِمًا وباسِـمَ الوجه. عندما سأل «**جميل**» عن سبب غضبه، أراهُ صحيفة القادسيّة، فقال «**سلوان**» الذي هو في العادة إنسان لامبالي: «**ما يخالف**».

فرحت، وقلت بالعربيّة والفارسيّة: سيِّدي، والله أنا مو «**منظور**» (لا أقصد).

تَرَكَني «**جميل**» وشأني، ومنذ ذلك الحين لم أعد استخدم الصحيفة

كمائدة. قال «**جميل**»: «**مو تكرار**»، وغادر. كان «**جميل**» يعامل الأسرى بكثير من العدائية، فينتهي الأمر بالشكوى عند رئيس الحرّاس، حتّى إنّ «**سعدًا**» نفسه طلب منه التخفيف من عدائيّته تجاه الأسرى.

كان الإخوة يُلقبون «**جميل**» بـ «**أبو الشّرّ**».

أصبح بعض الإخوة يجيدون كيفيّة التعامل معه، فلا يجادلونه، كما اكتشفوا نِقاط ضعفه، فجميل في الخامسة والثلاثين من العمر تقريبًا، ويكفي أن تقول له: «**سيِّدي، يبدو أنّك في العشرين، أو الخامسة والعشرين من العمر، لا أكثر**»، فيفرح ويغادر.

كان جميل يقول للإخوة الأسرى الجالسين في الممرّ، وهم يَتبادلون الحديث: «**ليش تجلسون هنا؟**». فإذا أجابوه: «**إذن أين نجلس؟!**». عندها يقول لهم: «**اسكت قشمار**» (أي أحمق). كان يُشتِّت تجمُّع الأخوة، ويتلذّذ بذلك.

إذا دخلَ علينا، ونحن نتناول الغداء، ولم نقف له، يقول: «**ليش ما توقفوا وتقدِّموا التحيَّة العسكريّة؟!**» وإذا نهضنا يقول لنا: «**ليش نهضتم؟ ما تعرِفون إنو القيام عند الطعام مكروه؟!**». كان يُحطّم «**تربة الصلاة**» بحذائه العسكريّ، ويقول: «**أنتم الإيرانيّون تعبدون الأصنام، أنتم جماعة من عَبَدة الحجارة والتراب**».

كان نعلُ أحد الإخوة مقلوبًا أمام مدخل الزنزانة قبل عدّةِ أيّام، فنادى جميل صاحب النّعل، وهو «**قدرت الله قهرمان بور**». جاء «**قدرت الله**» إليه، وقدَّم التحيَّة العسكريّة، فضربه «**جميل**» بالنعل على رأسه عدَّة ضَرَبات قويّةٍ، ثمّ رمى بالنعل على سقف المخيَّم. يعتبر العراقيّون أنّ النعلَ المقلوب إهانة، وكلمة «**كُندرة**» (أي

الحـذاء) كانت إحدى شتائم «**جميل**» لنـا. عندما يلوح «**جميل**» آتيًا باتجـاه الإخـوة يقرؤون له آية السدّ: ﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْـنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾.

بعـد مضي وقت على وجوده في المخيَّـم، وصل الأمر بالحارس «**قاسـم**» فـي قسـم تجهيـزات المخيَّم، لأن يقـول له: «**يـا جميل! هـل تشاجـرت مـع زوجتـك اليـوم؟ مـا لـك ولهـؤلاء الأسـرى المساكين؟!**».

الثلاثاء 6 ك1 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

جاء «**كريـم**» المسؤول في المخيَّم المُلحق إليّ، وكان من المدمنين علـى التدخيـن. مع نهاية كلِّ شهـر يأتي إلى الأسرى غيـر المُدخِّنين، محاولاً أخـذ سجائرهم. كان «**كريم**» الأسيـر المُدلّل عند العراقيّين، وقـد خصّصـوا الزنزانة رقم (27) لـه وَحدَه. حَـدثَ أنْ ضَربَ كريم الأسرى عدّة مرَّات بدلاً عن العراقيّين، وعندما كان الإخوة يسألونه: يا كريم! ألا تريد العودة إلى إيران؟ لماذا تدمّر كل الجسور من خلفك؟!. لقَـد أعمى الغُـرور والتكبُّـر بَصيرته، فكان يقـول: «**لا، لن أعـود إلى إيران، فبيتي الأوّل هو العراق**»[1].

كان كلُّ مـن يُوَاجِهُـهُ في المخيَّم المُلحق يتعرّضـ للضّرب المُبرّح.

(1) كان «**كريـم**» يقـول: إنّـه لن يعود إلى إيـران، لكنّه غيّر رأيه ليعود مع قوافـل المحررين في تموز1990. كان العراقيـون علـى يقين من أنّ الأسرى سينتقمون منه؛ لذا قاموا فـي الأيّام الأخيرة لعمليّة التبادل بنقلـه إلى معتقـل آخر، لا أحد يعرف عنه وعن سوابقه شيئاً، فلا يلحقـه الأذى. لكن بعض الإخوة في المخيـم الملحق قد اشتكوا عليه بعد التحـرر لدى المركز الصحي (الكرنتينا) التابع للثكنة العسكرية – طهـران، ووضعـه المسؤولين على اللائحة الحمراء، وجـرَّدوه من جميع المزايـا المعنويّة والماديّة للأسرى المحرَّرين.

وقد تعرض «**حسن بهشتي بور**» أكثر من غيره للضرب على يدي «**كريم**»؛ بسبب إدارته للأنشطة الثقافيّة في المخيَّم. لقد أدمى كريم قلب «**بهشتي بور**».

كنّا نتقاضى في الأسر راتبًا شهريًّا مقداره دينارًا ونصف الدينار، أي ما يُعادل 1500 فلسًا، وكان لزامًا على الأسرى، حتَّى غير المدخنين، شراء علبتي سجائر من حانوت المخيَّم. كان سعر سجائر «**سومر**» الطويلة 350 فلسًا، و«**سومر**» العادية 250 فلساً، وسعر سجائر «**بغداد**» 230 فلساً. كنّا على استعداد لادِّخارِ جُزءٍ من راتِبنا من أجل شراء مُقلّم الأظفار، إذ كنّا نضطر أيّام السبت والثلاثاء، أي: الأيّام الملزمون فيها بحلق لحانا، أن نستخدمَ الشفرات لتقليم أظفارنا. باءت جهود الإخوة غير المدخنين لشراء أشياء أخرى بالفشل، فقد حاول العراقيّون بهذه الطريقة دَفعَ غير المدخنين للتدخين. كان الأسرى المُدخنون ينفقون كلّ راتبهم على شراء السجائر، ولم يكن يكفيهم إلّا للأيّام العشرة أو الخمس عشرة الأولى من الشهر، فيلجؤون بعدها إلى تدخين قشر البرتقال، أو العشب، وأوراق الصحف.

كُنت أميلُ للتدخين في بعض الأحيان، إلّا أن «**محمّد كاظم بابائي**»، وهو من المدخّنين، كان يراقبني عن كَثَب. أصرّ أحد الأسرى المُدخنين عليّ بالتدخين، فسحبتُ نفسًا واحدًا من سيجارته، رآني حينها «**محمّد كاظم**»، وأنّبني بشدَّة، كما أنّب الأسير الذي قدَّم لي السيجارة. كان «**محمّد كاظم**» يهتمّ بي، وكأنّني ابن له، فقال لذلك الأسير: «**السيِّد ناصر بمثابة الابن لي؛ لذا أقسم بالله، إن تجرّأ أحدٌ ما وجعله من المُدخّنين فسأضربه بعصاي هذه على أمّ رأسه**»،

ثـمّ قال لي: «**أنا أخاطبـك أيضًا، إن تجرّأتَ ثانيـة ودخنتَ، فسأدعُ كلَّ محبَّتي وعاطفتي لك جانبًا، وأصفعك على أذنك**».

قـرّر «**محمّد كاظـم**» مقايضة حصَّتي من السجائـر بمواد غذائيّة من حانوت المخيَّم.

كان بعضـ الأسرى آخر كلّ شهـرٍ يقايضون «**جلابيبهم**» العربيّة بعددٍ من السجائر، وفي بعض الأحيان بسيجارتين فقط. ووَصل الأمر ببعضهم الآخر إلى أن يُقايضـ أعماله اليدويّة القيّمة، مثل السبّحات، المجسَّمات الحجريّة، أو المُطرّزات الرائعة مع العراقيّين لقاء سيجارة أو سيجارتين.

عندمـا رأيت كـم أنّ بعضهم يحقّرون أنفسهم فـي سبيل الحصول على سيجارة واحدة، استأتُ من نفسي كثيرًا، وشكرتُ «**محمّد كاظم**» على صنيعه معي[1].

مـع دخـول السّجائـر إلـى المخيَّـم، ازدهـر سـوق الجواسيـس والمخبريـن، فمنهم من كان يُعرّف بعضَ الأسرى للعراقيين على أنّهم قادة عسكريّيـن، وبعضهم الآخر كان يقول: «**لقـد كنتُ في الخطوط الأماميـة للجبهـة، ورأيـت بأمّ العيـن كيف كان الأسيـر «فلان» يقتل العراقيّين**». كان يُفتضح كذبهم في أغلب الأحيان، فالذي قال: إنّه رأى «**جعفـر دولتي مقدّم**» يقتـل العراقيّين، كان قد أُسر قبله بمدَّة طويلة، ولـم ينلْ هـؤلاء الجواسيـس، لقاء عملهم هـذا، أكثر مـن سيجارة أو سيجارتيـن. بعض الجواسيس كان ينقل أخبار المعتقل إلى العراقيّين،

(1) بعـد التحـرر قبّلتُ «**محمّد كاظم**»، وقلت له: سأبقى مدينًا لك مدى الحياة؛ لأنّك لم تسمح لي في تلك الظـروف أن أصبح مدخّنًـا. فقبّلني، وقال لي: سامحني إن تصرّفت معـك بقسوة، لكنّ ذلك كان من أجلك، فأنت بمثابة ابني، ولم أكن لأسمح أن يخدعك أحد، ويجعلك من المدخنين.

فيُعطَونَ عددًا من السجائر يتناسب وأهميّة الخبر المنقول. كان «**كريم**» يقصد الأسرى الضعفاء أو الجرحى، محاولاً سلبهم سجائرهم منهم. على الرغم من تأمين العراقيّين لكافة احتياجاته، إلّا أنّه كان يتصرف معهم كالإقطاعيّ والرَّعيّة.

كنت مُمدّدًا، قبل ظهر هذا اليوم، عندما جاء «**كريم**»، وهو يعلم بأنّني لا أدخِّن السجائر، وقف خلف النافذة، وأراد أخذ سجائري بالقوَّة، فقاومته.

كان العديد من الأسرى يُعطون «**كريماً**» السّجائر بمجرّد أن يطلبها منهم؛ كي يأمنوا شرّ افتراءاته.

قال لي كريم: ماذا تريد أن تفعل بسجائرك؟

- أريدهم لِأَمرٍ ما.

- تريد إعطاءهم «**لمحمّد كاظم**».

إنّها أمنيتي أن يطلبهم منِّي «**محمّد كاظم**»، لكنّه لا يفعل. فبعضهم كان يعطي سجائره لـ«**رامين حضرت زاد**». كنت أعلم أنّه ليس مُدخّنًا وأعلم ما يفعل بالسجائر، فقد قال «**حسن بهشتي بور**»: علينا مواجهة الأشخاص الذين يبيعون أبناء وطنهم من أجل السجائر وقال رامين: علينا أن نردعهم عن الذهاب إلى العراقيّين. فقد ثُقبت طبلة أُذن أحد الأسرى «**الطهرانيّين**»، بسبب افتراءات هؤلاء الجواسيس، ومن أجل بضعة سجائر فقط.

أردت إعطاء سجائري لـ«**رامين**»، فقد كان يُخطِّط لكلِّ شيء. كان «**كريم**» يعلم أنّ «**رامين**» يُقدّم السجائر التي نعطيه إيّاها للجواسيس؛ كي لا يتجسَّسوا علينا. علمنا بعد ذلك أنّ بعض هؤلاء الجواسيس كانوا

يستغلّون الطرفين، فيأخذون السجائر منّا مقابل أن لا يتجسُّسوا علينا، وفي الوقت نفسه يأخذون السجائر من العراقيّين لقاء تجسُّسهم علينا، وكان أكثرهم ينقل أخبارنا عبر «**كريم**» إلى العراقيّين.

اليوم جاء «**كريم**»، وأطل من خلف النافذة، وقال لي بكناية واستهزاء: «**أنا أيضًا جاسوس، ألن تعطيني السجائر؛ لأتوقف عن فعل ذلك؟**»

كان «**كريم**» الأشدَّ ظُلمًا من بين كلِّ الجواسيس والخائنين. لقد طفحَ كيلُ أغلب الأسرى، فكانوا يتَحيَّنون الفرصة للقضاء عليه داخل المرافق الصحيَّة. وكان العراقيّون على علم بمدى مَقتِ الأسرى له. كان «**كريم**» يضرب الأسرى بعنف شديد، وعلى مرأًى من الجميع، ولا أشكُّ في أنّ نصف الشفرة الضائع كان بيد أسيرٍ يتحيّنُ الفرصة المناسبة للقضاء عليه.

قلت لكريم: «**أنت ستَخوننا في جميع الظروف، سواءٌ أعطوك السجائر أم لم يعطوك إيّاها**».

- لا أحد يجرؤ في هذا المخيَّم على مخالفتي، سأغضُّ الطَّرف عنك بسبب قدمك، وإلّا لكنت أذقتك الويلات.

لم أكن لأقوى على مواجهة «**كريم**» وأنا بهذه الحال. لو كنتُ مُعافًى لكنت قد تخلّيت عن فكرة العودة إلى إيران، والعائلة، والحياة، والمستقبل، وأنزلت به البلاء. كان «**كريم**» عنيدًا لا ينجُ أحدٌ من شرّه. إن حقدَ على أحدٍ، فإنّه يكيلُ له الافتراءات عند العراقيّين، أمثال «**جميل**»، ويحاول أن ينغِّصَ عليه حياته بأيّ شكل من الأشكال.

قدَّم له العراقيّون الحماية، أطلقوا يده في المخيَّم، وعيّنوه عريفًا

يصولُ ويجول في المخيَّم على هواه. عندما رأيت أنّ كريمًا يحاولُ أخذ السجائر من الكيس بالقوَّةِ، سحبت الكيس من يده، وأخفيته بين جَنبَيّ، ثمّ قلت له: «**صحيح أنّني نصف إنسان بنظرك، لكنّ أبي لم يناهض الجور في بلدتنا؛ كي أخضع أنا له هنا. لن أعطيَك السجائر**».

- سوف أريك!

- اذهبْ يا «**كريم**» في حال سبيلك، وليرزقك الله في مكان آخر.

تعالى صُراخنا، فجاء كلّ من «**حميد زارع زاده**»، وهو من أهل «**يزد**»، «**حسين مقيمي ومراد كمال**» من «**كرمان**»، وصَدّوا كريمًا عنّي. لو كان «**محمّد كاظم**» حاضرًا لاخْتَلف الأمر. قال «**حميد**» لـ«**كريم**»: «**أتعتقد أنَّ الاستقواءَ على «نصف إنسان» عملٌ رجوليٌّ؟!**».

كان «**حميد زارع**» صاحِب حَميّة، فتعارك مع كريم، وجاء الإخوة ففرَّقوا بينهما. وقال له «**منصور**» من «**تبريز**» باللغة التركيّة: «**آنا آتاسيز**» (أي: يا عديم الشرف ماذا تريد منه؟) وصل «**سامي**» في تلك الأثناء، وكان «**وليد**» شاهدًا على شجاري مع «**كريم**»، لكنّه لم يُحرّك ساكنًا، على الرغم أنّه شَهِدَ سوء تصرفه، لكنّ «**سامي**» أنّبهُ وشتمه، فحاول «**كريم**»، الذي ظنّ نفسه واحدًا من حرّاس المعتقل، أن يُبرِّر تصرفاته.

كان «**سامي**» يمقتُ كريمًا، فهدّده بأن يشكوه إلى النقيب «**خليل**» إن استمر في معاملته السيّئة للجرحى. بعد أن أنهى «**سامي**» كلامه، هدّدني «**كريم**»، وقال لي بغضب: «**لك واحدة يا ناصر الاستخباراتيّ!**».

بعد أن غادر، قلت للإخوة: «**لو أن العراقيّين أرادوا أخذ كيس السجائر منّي بالقوّة لما اعترضت، لكنّني لم أُطِقْ ذلك من أسير مثل كريم**».

ناصبنـي «**كريـم**» العـداء، فأخذنـي عدّة مـرَّات إلى غرفـة رئيس الحرّاس بتهمة قراءة اللطميّات، في محاولة للانتقام منِّي.

تشاجـرت في أحد الأيّام مـع أحد الأسرى من «**فرقـة حمزة 21**»، الـذي كان من الفريـق اللَّامبالي، ولقدْ تجرّأ علـى ذلك بتحريضٍ من «**كريم**» نفسه، فقال لي: «**نحن لسنا في إيران، ولا في الجبهة، وعلينا أن نتبـع قرارات الحكومـة العراقيّة، بينما أنـت بقراءتك اللطميّات، وبتصرفاتك هذه، تُصعّبُ الحياة علينا، دعنا نُنهي مدّةَ الأسر براحة بال**»، فأجبته دون تَردّدٍ: «**سأقوم بأيِّ عمل أراه مناسبًا. ربما شئت أنت أن تكون علمانيًّا في هذا المخيَّم، فهذا شأنك، لكنَّنا نحن أُسرنا من أجل عقائدنا**».

قبـل إحصاء الليـل، قلت لـ«**كريم**»: «**لقـد دعوت عليـك الليلة، كُنْ واثقًا بأنّ جدّي سيُلاحقك ويُعاقبك**».

الجمعة 9 ك1 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

تمـزّق سروالي من عـدّة نواحٍ، وبقيتُ مدّةً علـى هذه الحال، فكنتُ أبحث عـن خيط وإبرة لأَخيطه. بناءً لأنظمـة المخيَّم، يُمنع اقتناء أيّ شـيء ذي رأس حادٍّ. وبسبب حاجـة الإخوة الماسّة للإبـرة فقد تقرّر حذف «**الإبرة**» من لائحة الممنوعات. لم نكن نعاني كثيرًا في الحصول على الخيـوط، إذ كان الإخـوة ينتزعونها من أنسجـة البّطانيّات، كما استخـدمَ العديـدُ منهم خيوطَ الجَـوارب أو المناشـف، وآخرون كانوا يقايضـون أعمالهـم اليدويّة بالخيـوط مع حرّاس السجـن. فيما بعد، أحضـر حانـوت المخيَّـم الخيـوط لبيعها. فـي السنة الأولـى للأسر،

عانينـــا من ندرة الإبر، فوعدونا بتأمينها. كان بعض الأسرى، لا يتعدّى عددهــم أصابع اليد، يملكون الإبـــر، وأغلبهم من الأســرى الإيرانيّين العرب الذيــن تربطهم علاقات جيِّدة مع حرّاســ السجن، ولكن كانوا يقرضونهـــا لمقرّبين منهم عــادةً. كانت الإبرة في الأســـر شيئًا ثمينًا وقيّمًا.

حــاك أحد الأخــوة، وهو مــن مدينـــة «**أرومية**»، نعليــن قطنيين، باستخدام الخيــوط المنتزعة من المناشف، كان النعل جميلاً ورائعًا، وقــد استغرق عمل حياكتــه شهرين كامليــن، لكنه اضطُــر لمقايضته بإبرة مع أحد حرّاس السجن.

قــررتُ الوصــول إلى الاكتفــاء الذاتيّ مــن الإبر، ومــن أجل ذلك، وجدت قطعةً من الأسلاك الشائكة، فقمت بحفّ أحد أطرافها بالسور الأسمنتيّ للمخيّم، حتّى أصبح مسنّنًا بشكل جيّد، وفي المرحلة الثانية، طرقت الطرف الآخــر للسلك بحجر حتَّى أصبح دقيقًا ومسطّحًا، وفي المرحلــة الثالثــة، صنعــتُ ثُقبًا في الجــزء المسطح بواسطــة مسمارٍ فــولاذيّ، وفــي المرحلة الرابعة قمــت بحفِّ الجزء الــذي يحتوي على الثقــب ليصبــح مطابقًـــا للمواصفـــات المطلوبــة فــي الإبــرة، ويَسهُل استخدامهـــا للخياطة. عانينا في بعض الأوقات من مشاكل في تأمين الخيوط، فكان الأسرى، المسؤولون عن تنظيف غرفة رئيس الحرّاس، ينتزعون الخيوط مــن بطّانيّات العراقيّين. وقــد أسمى الإخوة عملهم هذا «**بالابتكار الإلزاميّ**».

لقد أثار إبداع الأسرى الإيرانيّين، وعملهم الخلّاق عجب العراقيّين، وأقروا بــأنَّ الإيرانيّين تمكَّنوا، بفضــل ابتكاراتهم، من الصمود طوال

ثمانـي سنوات من الحرب، وكانوا يقولـون: ماذا كنتم لتفعلوا بنا لو لم تكونـوا محاصرين اقتصاديًّا؟! وقال جميل: «**ما كان لأحد أن يسبقكم حينها إلى فلسطين**».

قدَّم جنودنا خلال سنوات الحرب نماذج من الابتكارات والإبداعات، أذْهلت العراقيّين. على سبيل المثال: الجسور «**الخيبريّة**» في عمليّات خيبـر، وهـو جسر بطـول 13 كلـم تقريبًا؛ عمليّـة ربـط القناديل على زوارق من دون ملّاحين، وإطلاقها في نهري «**كَرْخه وكارون**»، فتضيئ النهريـن بهدف خِـداع العراقيّين، وإيهامهم بـأنّ الإيرانيّين يتقدَّمون عبـر الزوارق، فصبّوا عليها وابل نيرانهم لبضع ساعات؛ شبكة أفخاخ الدبابـات فـي منطقة عمليّـات «**آزادكان**»، حيث قـام الإيرانيّون بحفر الأرض عميقًا في تلك المنطقة، وغطوا الحُفر بالخشب والتراب. تلك الحُفر تسبَّبت بإعاقة حركـة الدبابات وتقدُّمها. وقيل: إنَّ هذه الخطة كانـت من ابتـكار الدكتور «**مصطفـى شمران**»؛ عمليّة ضـخّ المياه في مناطق سهوب «**آزادكَان**»؛ كي تعلقَ أوحالها بالدبابات العراقيّة، فتعجز عن التقدُّم، ونسيطر عليها ونغنمُها.

الإثنين 12 ك1 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

دخـلَ «**وليـد**» إلى الزنزانة حاملاً خبر إقامـة مسابقةٍ في الرِّماية، كان الهدف الذي وضعه الحرّاس للرماية هو صورة الإمام. قال «**وليد**»: إنّ المسابقـة عبارة عن رمي «**الأسهم**» باتجاه الصورة، وكان لكلّ جزءٍ مـن أجزائهـا نقاطه الخاصّـة، فيُعطى 10 نقاط عنـد إصابة العين أو الجبيـن، 8 نقاط لإصابة الخدّين والذقن، و6 نقاط لإصابة اللحية، و4 لباقي أجزاء الصورة.

«**شفيق عاصم**»، ضابط قسم التوجيه السياسيّ، هو الذي اقترح إقامة هذه المسابقة، وهو ضابطٌ غامضٌ، يزور المخيَّم مرَّة أو مرَّتين في الأسبوع، وكان في كل مرة يحمل معه خطّة من خططه القذرة، كان يُظهر الحقد والعداء للإمام أكثر من غيره من الضبّاط والحرّاس. اعترض الإخوة على إقامة المسابقة، ولم يُبْدوا أيَّ استعدادٍ للمشاركة فيها، فغضب العراقيّون من صَلابة وغِيرةِ الأسرى، ولجأ «**وليد**» و«**ماجد**» إلى العنف، لكن الإخوة لم يوافقوا على المشاركة في المسابقة أبدًا. كانت صورة الإمام مع «**حامد**»، وبعد أن جُوبِهوا برفض الإخوة تراجعوا قليلاً عن قرارهم، وطلب الحرّاس من الأسرى أن يشاهدوا المسابقة التي سيقيمونها فيما بينهم دون مشاركة الأسرى بها، فلم يجلس لمشاهدة تلك المسابقة المُهينة سوى بضعة أسرى.

بعد انتهاء المسابقة، قال الملازم «**فاضل**»، بهدف إثارة الأسرى المُدخنين وإغاظتهم، إنّ جائزة الرابحين في تلك المسابقة كانت 20 علبة سجائر.

لم يجرؤ الجواسيس والخائنون، الذين كانوا على استعداد لفعل أيِّ شيء من أجل الحصول على سيجارة أو سيجارتين، على المشاركة في المسابقة. صحيح أنّهم على استعداد لفعل أي شيء من أجل الحصول على السجائر، لكنَّهم كانوا أعقل من أن يخاطروا بحياتهم من أجل 20علبة من السجائر؛ لما قد يتعرّضون له من أذًى على أيدي الأسرى في المرافق الصحيَّة.

السبت17 ك1 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

ظهـر هذا اليوم، شرح لنا «**حسـن بهشتي بور**» مقالة حول «**ميشال عفلـق**». فقد كانـت الصحيفـة الرسميّة في العراق تـروّج لفكر حزب البعـث العربـيّ الاشتراكيّ، ولأفـكار «**ميشـال عفلق، وصـلاح الدين بيطار**». كان «**ميشال عفلق**» مسيحيًّا ارثوذوكسيًّا من سوريا، ومن أهم أهدافه فصل العرب عن الإسلام.

ضربوا «**علـيّ أصغر إنتظاري**» بشدَّة هـذا اليوم، فازرّق لون وجهه مـن الكدمات. فقد اعتاد عند صفـارة الإحصاء، وحركة الأسرى نحو الزنزانات الركض باتجـاه الحمّامات، فيستحمّ خلال خمس دقائق أو أقل.

كان حاذقًـا ونشيطًا، يستغلُّ الخمس دقائـق التي يستغرقها الإخوة للوصـول إلى الزنزانات والجلوس في صـفّ الإحصاء، ويتراوح الزمن الفاصـل مـا بيـن انطـلاق صفـارة الإحصـاء، ووصـول الأخـوة إلى الزنزانات، وجلوسهم في الصفوف، من خمس إلى عشر دقائق.

اكتشـف «**حامد**» الأمر، فأغلق الباب الخارجـيّ للمرافق الصّحيّة، تفاجأ«**علي أصغر**» بالباب المغلق، فلم يستطع الخروج، دخل الحرّاس إلـى المرحاضـ، ورأوا «**علي أصغـر**» قد استحم، ووقـف خلف الباب، فاعتقـدوا أنّه ينـوي الهرب. كانت نافذة المرافـق الصحيّة أصغر من أن يتمكَّـن أحـد من الفـرار من خلالهـا، ناهيك عن وجـود القضبان الحديديّـة. أَخبرَ«**علي أصغـر**» العراقيّين بالحقيقـة، وقال لهم: «**لقد فعلـتُ هـذا الأمـر مـرارًا، لكـن كُشـف أمري هـذه المـرّة**». كان «**علي أصغـر**» من الأشخاص المواظبين علـى الاغتسال، وكان على استعداد

ليتلقّى الضرب، لكن لن يتنــازل عن الغُسل الواجب. كان بعض الإخوة في المخيَّــم يغتسلون بمقدار كوبين من المــاء، وفي حال فقدان الماء كانوا يبلِّلون خرقة ما ويمسحون بها أجسامهم من الرأس إلى أخمص القدميــن، فيغتسلون (الغسل الواجب) بهـذه الطريقة، ولا أعلم مدى صحّة ذلك من الناحية الشّرعيّة.

بعــد الظهر، التقيــت «**علي أصغــر**» في باحة المخيَّــم، فقال لي: يا سيِّــد كنت أقــرأ دائمًا آية السدّ ﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْـنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾[1]، صدقني لقد تقاعست هذه المرَّة، فلم أقرأها فكُشف أمري.

الاثنين 19 ك1 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

يوميًّــا، عندما تنطلق صفارة الدخــول يُسارع الإخوة إلى زنزاناتهم للجلوس فــي صف الإحصــاء. صبــاح اليــوم الماضي انقطعــت مياه المخيَّــم، فلــم يستطع عددٌ كبيرٌ من الأسرى الدخــول إلى المرحاض، انهــال الحرّاس بالكابلات على الإخوة، فالأســرى الذين مضى عليهم أكثر من ساعتيــن واقفين في صف الدخول إلى المرحاض، لم يكونوا علــى استعداد لترك الصف في اللحظات الأخيرة حين وصول دورهم، فيتحمّلوا أَلَــمَ المثانة ستّ عشرة ساعة أخرى بسبب عدم تمكُّنهم من دخول المرحاض.

كنــت في طريقي إلــى الزنزانة حينما سقطت أرضًــا فجأة، كاد أن يغمــى عليّ من شدَّة الألم في مفصل ساعــدي، التفتُّ لأرى من سحب

(1) سورة يس، الآية 9.

العصـا من تحت إبطي، فرأيت «**حامدًا**». لقد تحول عكازي إلى هراوة فـي يده، انهال بها ضربًا على رؤوسـ الأسرى، وعلى ظهورهم. إضافة إلـى كيلِ الشّتائم والسُّباب لهـم. كان يأمرهم بترك صف المرحاض، والتوجّه إلى الزنزانات للإحصاء، فـكان صوته يصدح عاليًا: «**ادخل، يـلاّ، بسرعة، قشمار، إحصـاء**».. لم يحمل حامد الكابل معه، ولم يجد أفضل من عكازي ليحوِّله إلى هراوة. صَعُب عليَّ مشهد ضرب «**حامد**» للإخـوة بعـكّازي. فبعضـ الذين تلقـوا الضّرب كانـوا بمثابة عكازي، أمثال: «**حسين مقيمي**»، «**جلال لحمي**»، «**عليّ يماني**»، «**عليّ كوتشك زاده**»، و«**حسن كشته كر**»[1].

الثلاثاء 20 ك1 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

نزعـت ملاحظاتـي وكتاباتـي المهمّـة التي كنـت قـد وضعتها في العـكاز، وخبأتها بين طيّات الوسادة الإسفنجيّة، ثمّ اتجهت نحو غرفة رئيسـ الحرّاسـ، ما إن رآني «**سعـد**» حتّى نـادى المترجم، شرحت له أحداث البارحة التـي شَهدها بنفسه في باحة المخيَّم. لقد شهد كيف انهـال «**حامد**» على الإخوة ضربًـا وشتمًا. قلت له، كما في السابق دون أي مقدمـات: سيِّـدي، لطـف منكم إن أعدتـم لي العـكاز لأستعين به علـى المشي، لكن «**حامداً**» استخدمه لضرب الإخوة، وفي الحقيقة، لا أستطيـع استخدام عكاز يُضربُ به الإخوة. أنا لم أعد أريده، ويمكننـي العيش في هذا المخيَّم دونه».

ظـل «**سعـدُ**» صامتًـا مستغرقًا بأفـكاره. شعرت بنوع مـن الرّضا؛

---

(1) الدكتور كشته كر من «**زابل**» ويعمل حاليًّا في زاهدان في قسم التصوير الشعاعي.

لأنّني قلت ما عندي، ولأنّني شعرت بأنّني قمت بواجبي. كنت أشكّ بأنَّ «**سعداً**» هو خلفَ هذه القضية، وبينما أنا أفكِّر بهذا الأمر، ابتسم «**سعد**» بخبث، وقال: «**لقد أعطاك العراق هذه العصا، ويحقّ للعراقيِّين استخدامه ككابل للضرب متى شاءوا**».

أدركت أن لا فائدة من كلامي، وأنَّ تصرّفَ «**حامد**» أمرٌ عاديٌّ بالنسبة إلى «**سعد**»، ولو كان غير ذلك لكان أنّبه بعض الشيء؛ لذا قرَّرت، وبما أن «**سعدًا**» يدافع عن «**حامد**»، أن أقوم بشيء يشعرني بالرضا، فقلت لسعد: «**أخجل من رفاقي عندما أستخدم هذا العكاز!**».

- إذا كنت تخجل فلا تستخدمه!

- لن أستخدمه، وإن كنت لا أملك قدمًا فأنا أملك يدين اثنتين.

وضعت عكازي بغضبٍ على الأرض، وسرتُ من جلوس معتمدًا على يدي إلى خارج غرفة رئيس الحرّاس. انتابني شعورٌ طيّبٌ عندما خرجت من هناك، لم أستطع القفز على قدم واحدة؛ لذا رجعت إلى الزنزانة، وقد وضعت نعلي في يدي اليسرى. أخبرني «**فاضل**» فيما بعد بأنّه بعد أن وضعت العكاز على الأرض وخرجت من غرفة رئيس الحرّاس قال «**حامد**» «**لسعد**»: «**انتقم من ناصر الاستخباراتيّ هذا، ولا تعطه عصاه قبل شهر أو شهرين**»، فقلت لفاضل: «**لا يهمّ، فسيحلّ الإخوة محل قدمي**». مع أن الحياة دون عكّاز في مكان مزدحم كهذا صعبة جدًّا، لكنّني كنت أشعر بالرضا. في الأسبوع الأوّل كنت أستخدم للسير[في يدٍ] نعلاً واحدًا فقط، وفي اليد الأخرى نصف حجر أسمنتيّ. قال لي «**حامد**»: «**يُمنع إدخال الحجارة إلى الزنزانة**»، فمُنعتُ من استخدامه. بعد أسبوع، حلَّ الإخوة الذين يذهبون للسُخرة

مشكلتـي، فقـد أحضر «**حسيـن جعفري**» لـي كعب حذاء بـالٍ. بقيتُ أكثـر من 20 يومًا دون عكاز. لم أشأ أن يُعينني الإخوة في الذهاب إلى المرحاض، وقد أصبح النعل، وكعب الحذاء الذي أحضره لي «**حسين جعفري**» بمثابة نعلين ليدَيّ، فكنتُ أتنقَّل بهما من جلوس. كانت يداي تتنجسـان أثناء دخولي المرحاض، وعندمـا أخرج كان الإخوة يريقون مقدارًا من حصَّتهم من ماء الشرب على يديَّ؛ لأغسلهما. أصرَّ الإخوة علـى حملي أثناء التنقُّل، لكنّني كنت أرفض. قال لي «**أحمد أمانداري**» بعد أن خرجت من المرحاض: «**لِمَ تعاند؟! دعني أساعدك**».

الخميس 22 ك1 1988 ـ تكريت - المخيَّم الملحق

قرابة الظهر، دخل الملازم «**قحطان**»، المعاون[1] في المعتقل، إلى المخيَّـم. كان «**قحطان**» قصيرَ القامة، سمينًـا، وهو الضّابط الوحيد الذي لم أعرف اسم مسقط رأسه، كان نهمًا يتناول على الغداء دجاجة كاملـة، أي: ما يسـاوي 20 حصة أسيـرٍ. قال «**علـي أصغـر إنتظاري**» لحامـد، واصفًا الملازم «**قحطـان**»: «**رُبّ حريص يملـك الدنيا، وهو جائع، ورُبّ قانع بكسرة خبز يشبع**»[2].

عندمـا التحق«**قحطان**» بالمخيَّم، حـاول أن يظهر بمظهر الإنسان الجـدّي والغاضب، فـكان الأسرى، وحتَّى الحرّاسـ، يدركون أن صوته «**كالطبـل الأجوف**»، لذلك عندما يغضب يصيح ويتوعّد، كان «**حسين شكـري**» يقـول عنه: «**أسمع جعجعـة، ولا أرى طحنًـا**»[3]. وقال «**عارف**

(1) قد يقصد من المعاون: نائب مسؤول المعتقل.

(2) ترجمة المثل بتصرُّف من المترجم

(3) ترجمة المثل بتصرُّف من المترجم

يـزدان بنـاه» عنه: «**إنّه كالرعـد والبرق دون مطر**». كمـا أن الحرّاس أنفسهـم لم يكونوا يهابونـه. كان العراقيّون يهابـون الضابط «**حميد**» الذي هو أدنى برتبتين من الملازم «**قحطان**».

كان «**قحطان**»، بالأضافة إلى نهمه بالطعام، نهِمًا أيضًا بما يصنعه الأسـرى. فعندمـا دخل إلـى المخيَّم قال: «**زوجتـي تحـبُّ الصِناعات اليدويّة الإيرانيّـة كثيرًا، فصناعاتكم اليدويّة أنتم الإيرانيّين رائعة جدًّا، ماذا لَديكُم من أعمال مناسبة للزينة؟!**»

عندمـا قال هـذا الـكلام، أجابه «**حسيـن عبـد اللّهـي**» الذي كان يجلس بالقرب منِّي: «**لقد تكَبّدت زوجتك العناء بإعجابها بصناعاتنا اليدويّـة، فساجـدة[1] أيضًـا ستُعجـب بصناعاتنـا اليدويّـة إن رأتها**». فتَّش قحطـان جميـع الزنزانـات للحصـول علـى صناعـات الأسرى اليدويّـة، وكان يختار أفضلها وأثمنَها، ويأخذهـا معه؛ لذا سعى بعض الإخـوة لإخفـاء أعمالهم الثمينـة والقيّمة. كان الحرّاسـ يعرفون من يملـك الأعمال الجيِّدة، وتملُّقًا لقحطان كانوا يفتِّشون أغراض الإخوة، ويعطونـه ما يجدونه من أعمالٍ يدويّة، حتَّـى إنّهم ـ ودون الالتفات إلى رضـا أو عدم رضا الإخوة ـ، كانوا يسطُون علـى بعض الأعمال القيِّمة. عندمـا علم «**قحطان**» بالأمر غضب كثيرًا، وطلـب منهم أن يعيدوا له كلّ ما أخذوه من أعمال الأسرى اليدويّة.

كان النقيـب «**خليل**» يعارض تصرّفات «**قحطان**» والحرّاس، وطلب منهـم لأجـل حفظ ماء وجـه العـراق أن لا يأخذوا صناعـات الأسرى اليدويّة بالقوَّة. لم يجرؤ أحد على إخبار النقيب «**خليل**» بأنَّ «**قحطان**»

---

(1) ساجدة زوجة صدام المقبور.

وبعض الحرّاس يَعصُون أوامره. لم يشأ الإخوة أن يتسبَّبوا بالمشاكل لأنفسهم. كان النقيب «**خليل**» عفيفَ النفس، ولا يمكن له أن يتصرّف كما يتصرّف قحطان، كما أنّ الملازم «**حميد**» كان يتمتَّع بروحيّة النقيب «**خليل**» نفسها. أحضر «**قحطان**» الأقمشة إلى المخيَّم، وطلب من الإخوة تطريزها.

صنع الإخوة العديد من الأشياء الثمينة، فمن النايلون صنعوا مفرش مائدة للطعام، ومن علب الصفيح صنعوا مجرفة للغبار، ملاعق ولوحات معدنيّة، ومن خيوط الجوارب، وأكياس الخيش، والمناشف، والبطانيّات، صنعوا قبّعاتٍ، شالًا، ثيابًا للشتاء، أحزمةً وأحذية، كما صنعوا من الطين أنواع المجسّمات والأدوات، ومن جلد كرات القدم المثقوبة الأحذية الخفيفة، كما صنعوا أجمل المجسّمات الجصيّة، وصنعوا من الخشب غليونًا للسجائر، ولوحات فنية نفيسة. حفر أحد الإخوة مجسَّماً لأحد الحرّاس، فأحضر له «**سلوان**» جميع الأدوات التي يحتاجها للحفر على الخشب، استغرق حفر المجسَّم الذي طلبه «**سلوان**» حوالي شهرين، فكان الأخ يترنَّم بالأناشيد أثناء العمل.

استخدم «**قحطان**» الغليون الخشبيّ الذي صنعه «**عليّ يماني**» المشهديّ. فقد حفر الغليون بطريقة فنّيّة رائعة. كان رأس الغليون عبارة عن تنين يضفي جمالاً خاصًّا عندما توضع السيجارة فيه.

كان الإخوة، وعبرَ حف الأحجار العاديّة على أرضيّة الباحة الأسمنتيّة للمخيَّم، يصنعون أعمالاً فنّيّة متعدّدة، وكانوا يقايضون تلك الأعمال، التي يستغرق صنعها أيّاما وشهورًا، بالدواء والأقلام والورق مع الحرّاس.

قال الدكتور «**جمال**»: بما أنّه علينا إعطاء بعض الأسرى المرضى الدواء، فسنأخذ منهم أعمالهم الفنيّة مقابل ذلك.

كان بعض الإخوة على استعداد لمقايضة أفضل وأثمن ما صنعوه من أعمال فنيَّة بعدد من الأقراص والأدوية؛ لإنقاذ حياة الأسرى المصابين بحُمّى الأمعاء، وغيرها من الأمراض والالتهابات.

لقد توفي في المخيَّم أكثر من 85 أسيرًا إيرانيّا بسبب إصابتهم بحُمَّى الأمعاء، وغيرها من الأمراض غير المعروفة.

أدرك العراقيّون ما هي احتياجات الأسرى، وأدركوا أيضًا قيمة أعمال الأسرى الفنيَّة، فكانوا عندما يذهبون في إجازة إلى مدنهم، يشترون الدواء بأبْخَسِ الأثمان، ويقايضونه مع أعمال الأسرى اليدويّة القيّمة.

الأربعاء 28 ك1 1988 ـ تكريت ـ المخيَّم الملحق

مضى تسعة أيّام، وأنا أتنقل دون عكاز. دخل «**سعد**» إلى الزنزانة، وصفعني صفعة قويّة على وجهي، وأرسلني إلى الزنزانة رقم (10). كنت أود البقاء بقرب «**محمّد باقر وجداني**»، و«**علي يماني**». وقد انزعجت كثيرًا؛ لأنّ سعدًا أبعدني عن أصدقائي. لم أدر ما حدث؟ عندما نادى «**فاضل**» علمت سبب غضبه، لم أكن أعلم أن قراءة شعر «**صادق آهنكران**» ستُسبب لي المشاكل، قبل أن أجمع أغراضي وأنتقل إلى الزنزانة رقم (10)، أخذني إلى غرفة رئيس الحراس؛ حيث بقيت في إحدى زواياها حوالي نصف ساعة ريثما يصل الملازم «**فاضل**». وعندما جاء أخبره سعدٌ بالأمر. كان العراقيّون يعرفون «**آهنكران**»

جيّدًا، فقال الملازم «فاضل» لحامد: «**بما أننا لا نستطيع الوصول إلى بلبل الخمينيّ فلنضرب هذا**».

أخبر بعض الأسرى العرب الضُبّاط العراقيّين بأن «**آهنكران**» هو السبب في مجيء عناصر التعبئة إلى الجبهة، فسألني الملازم «**فاضل**»: هل صحيح أنّه عندما ينشد «**بلبل الخمينيّ**» تتوجَّهون جميعكم إلى الجبهات لقتل العراقيّين؟!»

- ليس الأمر كذلك، فنحن عناصر التعبئة جئنا إلى الجبهة من أجل الإمام وإيران، لكن لا يخفى تأثير «**آهنكران**» على أحد.

في ذلك اليوم، أصرّ الملازم فاضل عليّ لأنشد الأشعار التي كنت أنشدها للإخوة في الزنزانة، ففعلت ذلك. كان الأمر صعبًا عليّ، لقد تصرّفت بصبيانيّة وعدم نضوج، فقد أنشدتُ أشعارًا تسبَّبت لي بمشاكل عظيمة. لم يستطع الجواسيس حفظ تلك الأشعار بدقَّة، لكن معاني تلك الأشعار أشعلت غضب العراقيّين عليّ. فالأشعار التي أنشدتُها ذلك اليوم - وكما قال «**عليّ يماني**» كانت من «**العيار الثقيل**»: «**سنجعل صدام يندم، سنقاتل كلّ الأعداء**»، «**طريق القدس تمرّ من كربلاء، علينا العبور من أمام ضريح قطيع الرأس، تقدّم أيُّها الأسد المقاتل، وحرّر الوطن من الأعداء**».

اعتقدت أنّه قُضِيَ عليّ، وقلق الإخوة عليّ كثيرًا. يحقُ للعراقيين أن يغضبوا كلّ هذا الغضب. في السابق أنشدتُ أشعارَ «**آهنكران**» للإخوة في مستشفى الرشيد، حينها أنقذني «**لطيف دهقان**»، مع أنّ ترجمة «**لطيف دهقان**» غير الصحيحة لتلك الأشعار كادت أن تُطيحَ به. كان يقول لي دائمًا: «**صوتك يشبه صوت آهنكران**» وتنشد مثله، فاحذر من

أن تتسبَّب لنفسك بالمشاكل».

وَعدتُ لطيفًا بأن لا أعود إلى ذلك مجدّدًا؛ لكن لا أدري لماذا لمْ أستطع ذلك. لم أملك شيئًا لأدافع به عن نفسي، ولم أعتقد أن من بين من كنت أُنشدُ لهم سيقومون بخيانتي. دوَّنَ «**سعد**» بعض معاني تلك الأشعار وقرأها لي. لم تكن دقيقة، لكنّها صحيحة. لشدّة غضبه منِّي، طلب«**فاضل**» من «**حامد**» أن يضربني. وضع «**حامد**» النعل على رأسي، وقال: «**سأضربك بالكابل 30 ضربة على يدك على أن لا يسقط النعل عن رأسك، وفي كلّ مرّة يسقط النعل ستتلقّى 10 ضربات إضافيّة**». سقط النعل مرّتين عن رأسي، وتلقّيت 20 ضربة إضافيّة. على الرغم من أن «**حامداً**» عاقبني، إلّا أنّ «**وليداً**» لم يسمح لي بالعودة إلى زنزانتي. كان ينتظر «**شفيق عاصم**»، ضابط قسم التوجيه السياسيّ، الذي وصل بعد حوالي 15 دقيقة. كان «**شفيق عاصم**» قد وصف الإيرانيّين قبل عدة أيّام بأنّهم مجوسٌ وكفّارٌ، وأنَّ العراقيّين هم المسلمون الحقيقيّون، فقلت له: «**يا سيِّدي، إن كنتم أنتم المسلمون، ونحن الكُفار، فَلِمَ تضربوننا إن أقمنا صلاة الجماعة والتعزية لأهل بيت رسول الله؟!**»

أمر «**شفيق عاصم**» «**وليداً**» بإخراجي من الغرفة ومعاقبتي. كنتُ أرغب في أن يعاقبني حارس آخر غيره، فقد تلقّيت على يديه قبل عدَّة أيّام ضرباً مبرِّحًا.

في ذلك اليوم، انقضّ «**وليد**» كالوحش على أحد الإخوة، وضربه ضربًا قاسيًا، كان ذلك الأسير من الإيرانيّين الأتراك التبريزيّين، شابٌ نحيل الجسم، وطويل القامة. ضربه وليد بقبضة يده على أنفه

فسالت دمــاؤه، ولوثت قميصه. سألت عن السبــب، فأخبرني «**حسين رحيميـان**» أن الأسير التبريزيّ قد صنــع سُبَّحة جميلة من نواة التمر، أراد وليد أن يأخذها منه بالقوَّة، فلم يقبل الأسير، وقال لوليد:

لقد صنعت هذه السُبَّحة لوالدتي.

فقال لــه «**وليـد**»: وهل من المقــرّر أن يُطلق سراحــك حتَّى تصنع سُبَّحــة لوالدتــك؟! فأجابه الأسيــر: في نهاية الأمر ســوف نُحرّر، ولن نبقى هنا، أُعطيها لك إذا بقيت هنا لعدّة سنوات أُخر. وبينما كان وليد يسحــب السُبَّحة بالقوَّة من يده انقطع خيطهــا، وانفرطت حباتها على الأرض، غضب وليد كثيرًا، وضربه بقبضة يده على وجهه. عندما رأيته مُدمًّى، في ذلك اليــوم، انزعجت كثيرًا، وسألت «**حسيناً**» عمّن فعل به هــذا؟ فقال: «**وليد**»، فقلت له: «**وليد**» ليــس إنسانًا، بل وحشٌ، ومكانه في حديقة الحيوانات، وليس في المخيَّم. وصل كلامي هذا إلى مسامع «**وليــد**» فجــاء إليَّ وصفعني بقوَّة على وجهي، وقــال: أنت «**كندره**»[1] يا ناصر الاستخباراتيّ، من الذي مكانه في حديقة الحيوانات؟!

عندمــا أمر «**شفيـق عاصـم**» «**وليـداً**» بمعاقبتي، كنــت أعلم أنه لا يــزال يحقد عليّ بسبب ذاك الكلام، إضافة إلى طبيعته الحقودة. لقد أراد معاقبتــي بعيدًا عن أعيــن الأسرى. أخذوني خــارج المخيَّم، كان وليد حانقًــا جدًّا، حدّق بي، وقال: «**سأريك حديقــة حيوان، تتمنّى لو كنــت فيها فعلاً**». طأطأتُ رأســي كي لا يزداد غضبه عندما أحدّق به. كان «**وليــد**» يحمــل كابلاً كهربائيًّا بطول متر ونصــف، رماه بعيدًا، ثم أمــر بتقييد يــديّ خلف ظهري، عندما أنهى «**ماجـد**» تقيّيدي، قال لي:

(1) تعني الحذاء، والقصد هنا الشتيمة.

«**اذهب، وأحضر الكابل بفمك**»، وكان «**فاضل**» يترجم له. منذ مدَّة انغرست أظفار قدمي في اللحم، والتهبت، فلم أكن قادرًا على القفز بقدم واحدة؛ لذا قلت لفاضل: لقد عاقبني «**حامد**» في غرفة رئيس الحرّاس، فقل «**لوليد**» أن يختار لي عقابًا آخر. حاول «**فاضل**» أن يقنعه بالعدول عن ذلك، لكن دون جدوى. على الرغم من العذاب، وألم القفز على قدم واحدة، وصلتُ إلى الكابل، وحملته بأسناني. كنت أفقد توازني أثناء القفز على قدم واحدة، فيسقط الكابل من فمي، وأضطر للتمدُّد على الأرض، وحمله بأسناني ثانية إلى أن وصلت إلى «**وليد**»، ورميت الكابل أمام قدميه. ومن أجل أن يثير حنقي أكثر فأكثر، قال لي: «**كرّر ذلك ثانية**».

لقد كرّرت ذلك أكثر من 10 مرات، فتعفَّرت ثيابي بالتراب. كان هذا العقاب صعبًا جدًّا على شخص بقدم واحدة، مقيّد اليدين من الخلف؛ إذ كان عليّ في كلّ مرّة يسقط فيها الكابل من فمي، التمدُّد على الأرض لأتمكَّن من حمله ثانية، ومن ثمّ كنت أتَّكئ على الجهة اليسرى من جسمي، وأجلس. إلى هنا كان الأمر سهلاً، لكن كنت أجد صعوبة بالغة في الوقوف، إذ كان عليَّ بذل قصارى جهدي كي أتمكَّن من الوقوف. في المرَّات الأخيرة قلت لـ«**فاضل**»: «**قل لوليد أن يجلدني بالكابل، فذلك أهون عليَّ**» .

فقال «**وليد**»: «**هل ستقلد بلبل الخمينيّ ثانية؟!**»

- سأسعى جهدي أن لا أفعل.
- من مكانه في حديقة الحيوانات؟
- القردة، والحيوانات البريّة، مكانها في حديقة الحيوانات.

قال «**فاضل**»: اعتذر منه، قل أنّك أخطأت، فقلت «**لفاضل**»: حتى لو فعلت ذلك فلن يدعني وشأني.

اعتذرت «**لوليد**» بإصرار من «**فاضل**». خارت قواي، وسقطت على الأرض في مكاني. لم ينته عقابي بعد، فقد أراد «**وليد**» أن أكرّر ذلك ثلاث مرّات أخرى، حتَّى لو أدى ذلك إلى هلاكي، لم أعد قادرًا على الاستمرار، كان فمي وفكي يؤلماني كثيرًا، وقد تسَارعت أنفاسي. سعدتُ؛ لأنّه تركني وشأني. لقد كانت تجربة جيّدة؛ كي أنتبه لتصرفاتي، فلا أنشد «**لآهنكران**»، أو أقول: إنّ مكان وليد هو في حديقة الحيوانات. عندما هدأ «**وليد**»، قال: «**هذا المعتقل هو حديقة حيوانات، وجميع من فيه هم حيوانات، ونحن نقوم بحراستكم أيّتُها الحيوانات**».

كنت مضطرًّا كي لا يؤذيني ثانية أن ألزم الصمت. لكن كنت أقول في نفسي: «**أنت وأجدادك هم الحيوانات**» .

فكَّ «**فاضل**» قيد يديّ، وعندما كنت أسيرُ نحو المخيَّم، قال لي «**وليد**»: «**قف**».

وقفت معتقدًا أنّه يريد أن يستكمل تعذيبي. عندما ألتفتُّ إليه قال:

- سأسألك سؤالاً يا «**ناصر الاستخباراتيّ**»، فهل ستقول الحقيقة؟

- أجل، أقول الحقيقة!

- لو كان معك الآن بندقية ماذا كنت سَتفعلُ بي؟

أدركت ما يرمي إليه، فهو يعلم مدى كُرهي له. كان يودّ أن أُعَبّرَ عن ذلك الكره. سكتُّ، وفكّرتُ مليًّا فيما يجب قوله، لمْ أكُن أرغب بالإجابة، وكنت أدرك أنّه في تلك الظروف ينبغي أن لا أُعبّر عن مشاعري الحقيقيّة. لقد كنت مشمئزًّا منه، ومن تصرّفاته، لكن كي

يدعني وشأني قلت له:

مـكان البندقيّة في جبهـات القتال، كما أنّني هنـا لا أملك بندقيّة لأستخدمها.

أصـرّ بأن أجيب عن سؤاله، ولم يكن ليدعني وشأني قبل أن أعطيه الجـواب، ولم يسمح لي بالعـودة إلى المخيَّم أيضًـا، حاولت أن أجيب بتعقُّل ووعي، وكنت أفكّر فيما أقوله، فتابع: «**إلى أيِّ مدًى تكرهني؟**»

حاولت عدم المغالاة فـي الإجابة فقلت له: «**كرهي لك لن يضرَّك في شيء، فما أهميّة أن يكرهك أسيرٌ، أو أن لا يكرهك؟!**»

– لـو أُطلق سراحك في يوم ما، وعـدت إلى إيران، فماذا ستفعل لو رأيتني هناك؟

فرحـت كثيـرًا عندما سألني هـذا السـؤال، ومع أنّني كنـت أمقته كثيـرًا، ولكـن يشهد الله بأنّني إن تحرّرت في يوم مـن الأيّام، والتقيته في إيران، فسيختلف الحال حينها.

قلت له: «**أنا مستاء منك لأنك تُعذّبني، لكن إن التقيتك في إيران فسأدعوك إلى منزلنا، وأستضيفك قدر استطاعتي**»[1].

– أنت تقول هذا لأنّك أسير.

– لـو قُدّر لي وأطلق سراحي وعدت إلى إيـران، ثم التقيتك هناك، وهـذا أمر مستبعد، عندهـا سترى بأنَّنا نحن الإيرانيّيـن لسنا سيّئين كما تعتقدون.

(1) عندمـا كتبـت مذكّراتي عام 1991 قررت أن أهـدي الكتاب إلى وليد، وقلت في نفسـي: يا ليتني حينما سألني وليد عما سأفعله إن التقيته في إيران،أجبته بأنني سأكتب مذكّراتي وأهديها لك.

الجمعة 1 ك2 1988 - تكريت - المخيَّم الملحق

قايضت اليوم سبّحتي بنصف قلمِ رصاص مع «**سلوان**». تساوي سبَّحتي التي صنعتها من نواة التمر أكثر من 10 دنانير، بينما لا يساوي نصف قلم الرصاص أكثر من مئة فلس[1].

منذ عدَّة أيّام وأنا لا أملك قلم رصاص، ولا قلم حبر كي أكتب به.

كنت أودّ الاحتفاظ بسبّحتي كي أقدِّمها لوالدي يوم يُطلق سراحي. كنت أرغب أن يسبّح والدي بالسّبّحة التي صنعتها له من نواة تمر العراق، لأنّني أشعر بأنَّ نخيل العراق سيحيي في داخله ذكرى الأئمة عليهم السلام. استغرق صنعها حوالي شهرين. فرح «**سلوان**» كثيرًا؛ لأنّه حصل على سبّحة جميلة مقابل نصف قلم رصاص، وقد هدَّدني بقطع لساني إن أخبرت أحدًا أنَّني أخذت قلم الرصاص منه. أراد أن يعرف كيف صنعتها دون استخدام أيّة أدوات خاصّة.

شرحت له كيفيّة الصُّنع، وقد تولّى «**خالد محمّدي**» أمرَ الترجمة: «**في البداية، ننقعُ نواة التمر في الماء لمدّة 40 ساعة تقريبًا كي تصبح ليّنةً وجاهزةً للحفّ، ثم نصُبُّ بعض الماء على قسم من أرضيَّة السجن الأسمنتيّة، وبعدها نقوم بحفّ نواة التمر عليه، فنعطيها الشكل الذي نريد. يجب أن تكون جميع نواة التمر بالحجم نفسه. في المرحلة الثانية نستعينُ بأداة ذات رأس حادّ لنقش الرسم الذي نرغب عليها. كان أغلبُ الأسرى يحفرون عليها أسماء الأئمة عليهم السلام. في المرحلة الأخيرة نصنع ثقبين من طرفي نواة التمر، ثمّ ندخل الخيط فيها**».

---

(1) كل ألف فلس يساوي ديناراً عراقياً واحداً.

الأحد 8 ك2 1989 - تكريت - المخيَّم الملحق

كنـت أشعـر بضيـق، فقصـدتُ «**حسـن بهشتـي بـور**»، فحديثـه، ونصائحـه تمنـحُ الإنسـان الطمأنينة والسـرور. كان وجـوده نعمةً في المخيَّم المُلحق. أنشدَ لي الشعر الذي نَظَمه بمساعدة «**بهزاد روشن**». الشعر الذي عُرف فيما بعد باسم «**شعرُ الشاعِرَين**».

كان «**بهشتي بور**» عندما يصل لبعض الأبيات والمصارع، يقدِّم لي النصائح. لقد مُلئَ قلبه قيحًا من بعضهم.

فكرّر هذا البيت مرَّتين:

ابحَثْ عن الشجاعة والكبرياء في شمعة

تحترق وتـذوي شامخةً منتصبة القامة.

قـال: على الإخوة أن لا يستسلموا في الأسر، في التضحية والعطاء، وأن نتعلّـم المـروءة من الشمعـة، أن يحترق الإنسان لكـن بشموخ. إنْ أراد الإنسـان أن لا ينحنـي أمام أيّ عـدوّ، أو أيِّ حقير، فعليه أن يتعلَّم التضحيـة والصمود من الشمعة. الشمعـة التي تحترق وتذوب بشموخ، تحتـرق بكلِّ مروءة حتَّى النهاية، تحتـرق ولا تنكسر حتَّى النهاية. لكن بعضًا منّا ينكسر بكلّ سهولة. ليتنا نتخذ الشمعة مثلاً لنا في الاحتراق والعطاء، في المروءة والصمود.

الشعر الذي أنشده «**بهشتي بور**» لي اليوم وفي الأيّام التالية:

خسرتُ العزَّ والغـرورَ والشموخ   خسرتهم يـوم فقدت رشّاشي

وتراكم غبار الهَوان على سلاحي   واكفَهرَّ الوجه مذ خسرت رشّاشي

يوم شهِدت السماءُ قصَّة غيرتي   نَثَرَتْ كُلَّ كبريائي فتناثرت آمالي

لم أملكِ الشجاعةَ لأختار الموت   فعشتُ الهوانَ وخسرتُ الشهادة
ابحثْ عن الشجاعة في شمعةٍ   تحترقوتذوي شامخةمنتصبةالقامة

الإثنين 9 ك2 1989 - تكريت - المخيَّم الملحق

صباح اليوم أعادوا لي عكازي. لم أعلم حينها من أخبرَ الملازم «**حميد**» بأنّني دون عكّاز. لكن علمت فيما بعد أنّه الدكتور «**مؤيّد**». لم يعلم الملازم أنّ الحرّاس أخذوا منِّي العكّاز، وأنَّني أَردتُ ذلك؛ لأنّ «**حامدًا**» كان يضرب به الإخوة. كان «**حميد**» يقدّر مدى معاناتي، فقدمه الثانية كانت اصطناعيّة. لقد خسرها خلال عمليّات «**والفجر8**».

الأربعاء 18 ك2 - 1989 تكريت - المخيَّم الملحق

لم يستطع أغلب الإخوة الذهاب إلى المرحاض بعد ظهر البارحة[1]؛ لذلك اضطروا إلى التبوُّل في أكواب شرب الماء، فمع بداية فصل الشتاء، وبرودة الهواء لم يكن أمام الإخوة الذين يعانون من التبوُّل اللّاإراديّ، أو من أمراض الكِلى والمثانة، أو الإسهال الحادّ، إلّا استخدام أكواب الشاي الخاصّة بهم لقضاء الحاجة. فقد كنّا نَقضي حوالي 14 ساعة دون الذهاب إلى المرحاض، أي: من الساعة السادسة عصرًا وقت إحصاء الأسرى وحتَّى الثامنة صباحًا.

كان بعض الإخوة مضطرين لاستخدام صفائح السَّمن سعة 5 كلم، أو حتَّى أكياس المصل، وعُلب الفاكهة، ورُبّ البندورة لقضاء حاجاتهم، مع العلم بأن الاحتفاظ بتلك الصفائح والعلب كان ممنوعًا.

(1) كان يمنع الأسرى من الخروج إلى المراحيض في غير الأوقات المخصّصة لذلك عند العدّ والإحصاء.

لكنَّ الإخوة كانوا يخبئونها تحت بطانيَّاتهم بعيدًا عن أعين الحرّاس.

يومها كنت استخدم عُلبة معلّبات الكرز، لكن بعد أن أخذوها منّي، أُجبرتُ، كبقيّة الإخوة، على استخدام كوب الماء المعدنيّ.

في الأسبوع الماضي كان «**سلوان**» يتناول الكرز المعلّب، وكنت أَنظُرُ إليـه. أدركت مِن نظراته لي أنّه يظنُّ أنّني أشتهي تناول الكرز المُعلّب. كان على حقّ، فقـد اشتهيتُ الكرز، لكنّ نظراتي «**لسلوان**» كانت لأجل العُلبـة أيضًـا. أعطاني «**سلـوان**» العلبة، وقد ترك فيهـا أربع أو خمس حبَّات كرز، وقبل أن انتهي من تناولها كنت أفكّر بالعلبة.

كنت ما أزال استخدم علبة الكرز حتَّى هذا اليوم، فالليلة الماضية، وكالعـادة استخـدم أغلب الإخوة أكوابهـم المعدنيّة، وعُلـب المعلّبات لقضاء الحاجة .

بعـد صلاة الصبح، وقبـل إحصاء الصباح، جمـع الإخوة الأكواب والعُلـب في زاويـة الزنزانـة، ووضعوا عليهـا قطعة مـن الكارتون، ثمّ وضعـوا عليها البطانيّات بعد توضيبها. مع كلّ تلك التدابير الاحترازيّة لم نكن ندري ما العمل برائحتها الكريهة. فقد أصبحت رائحة الزنزانة مُقـزِّزة جدًّا. وكان الإخوة يتحيّنونَ الفرصـة لإفراغها في المراحيض بعد إحصاء الصباح.

دخـل «**سعد**» فـي الصباح الباكر إلى الزنزانة مـن أجل الإحصاء، فاكتشـف من خلال نظراته الفاحصة الأمر، لكنّه لم يُبدِ أيّة ردة فعل. بعـد أن خرج من الزنزانة، قال للمسؤول أن لا يخرج أحد من الزنزانة قبل أن يسمح هو بذلك.

عند انطلاق صفارة الخروج من الزنزانات أسرع الأسرى بالأكواب

نحــو المراحيض، كان «**حامد ووليد وسلوان وماجد**» بانتظارهم عند مدخل المرافق الصّحَية. فقال «**حامد**»: قفوا كلُّكم.

وقــف الإخوة، فقــال لهم «**وليــد**»: «**نحـن نعلـم أنَّكـم تتبوَّلون في أكوابكم**».

كان الإخــوة ينوون إفراغ الأكواب فــي المراحيض قبل توزيع الفطور والشاي؛ فيتمكنوا من الحصول على حصّتم من الشاي. كانوا مضطرّين لشرب الشاي في الأكواب التي تبوَّلوا فيها الليلة الماضية. كما أنّ أغلب الإخوة الصائمين كانوا يحتفظون بحصّتهم من الغداء داخلها إلى حين الإفطار والسحور. كنّا نغسل الأكواب بالماء دون استخدام سائل الجلي، أو أيّ منظـف آخر، ولهذا السبب أُصيب العديد منّا بحمَّى الأمعاء. قال «**حامد**»: «**ليصبَّ كلُّ منكم كوبَ بوله على رأسه**». اعترض الإخوة على ذلك، فقال وليد: «**عليكم الاغتسال ببولكم**».

كان «**حامـد**» يضــع قطعة مــن النيلون في يــده، فأخذ أكــواب بعض الإخوة وصبّها فوق رؤوسهم. كان المنظر رهيبًا أمام الزنزانة رقم (1)، وقرب مدخل المرافق الصحيّة، فقد انتشرت النجاسة في كلّ مكان.

رَمَــى الحرّاس من خلال تصرّفاتهــم هذه إلى عدم تكرارِنا للأمر. قلت «**لسعد**» الذي كان يقدّرُني أحيانًا بسبب حالتي:

لــو كنت مكاننا أفما كنت لتبوّل في كوبك الذي تشرب فيه الشاي أو الماء؟!

وعندما لم يجب قلت له: «**أتعتقد أنّنا نرغب في فعل هذا طوعًا؟**»

طــوال المدَّة التــي قضيتها فــي المخيَّم الملحق كان هــذا المشهد يتكرّر، وخاصّة في فصل الشتاء.

الجمعة 20 ك2 1989 - تكريت - المخيَّم الملحق

كان الهـواء باردًا جدًّا، وهطل المطر والبَـرَد بشكل متفرّق. هطول المطر وهبوب الرياح الباردة جعلـت الإخوة يحتمون ببطانيّاتهم. كان العديـد ممَّن يعانون من مشاكل في المثانـة والتبوُّل اللّاإرادي يتبوَّلون في أكوابهم، وأمّا غيرهم،. وكي لا يتعرّض للضرب .، فكان يقضي الليلة بمثانة ممتلئة حتَّى الصباح.

لقد ابتكرنا طريقةً جديـدةً للتخلُّص من البول، فالأشخاص الذين يُضطرون للتبوّل ليلاً يستخدمون أكياس المصل وعبوات رُبّ البندورة الفارغـة. البارحة أخذتُ من «**فاضـل رحيم**» كيس مصلٍ فارغ. جلست آخـر الليل أمام باب الزنزانة لإفراغ البول من الكيس، وذلك عبر ثقبٍ بجانـب القفـل إلى الباحـة الخارجيّة للمخيّـم، كنت أريـد الاستفادة مـن المطـر كي أخفـي آثار البـول، كانت نوبـة «**حامد**» فـي الحراسة تلـك الليلـة، وكان يسير في ممرّ السجـن، فرأى آثار البـول أمام باب الزنزانـة. يبدو أنّ عمليّـة التخلّص من البول من ثقـب الباب لم تجرِ بالطريقـة الصحيحة! وكان «**حامـد**» يراقب الأمر، فانحنى ليراقب ما يجري داخـل الزنزانة من خلال الثقب في الباب، ولـم أعلم أنّه يفعل ذلك، وكانت عمليّة ضخّ البول على نهايتها عندما سمعت صياحه، فقد رشثتُ البول، دون قصد منِّي، على عينيه ووجهه.

في اليـوم الثاني أخذني «**حامد**» إلى الخـارج، وعاقبني هذه المرَّة بطريقـة خاصّة، فبعد أن صفعني عدَّة صفعـات على وجهي، قضى لي بخمسين جلدة. وقفتُ قرب حائط الزنزانة، وقبل أن يبدأ بجلدي، وضع علـى ظاهر كفّ يدي كوبًا مـن الماء وبدأ بضربي علـى يدي اليسرى،

وقال لــي: في كلِّ مرَّة يسقط الكوب فيها ستتلقــى 10 جلدات إضافيّة. العِقــاب نفسه نفَّذه قبل مــدّة في غرفة رئيس الحرّاســ، لكنّه في تلك المــرَّة وضع النعــل على رأسي بدل كــوب الماء. على الرغــم من أنّني حاولت جهدي لكي لا يسقط الكوب عن يدي، فإنّه سقط 4 مرات، وكان «**حامـد**» يغيّرُ مكان الكــوب من يد إلى أخرى مع كلّ 10 ضربات. حاول الإخــوة التّضحية من أجلي، والقول بأنّ الأمر لم يكن فعلتي، لكنَّني لم أقبل بذلك.

فمن المؤكَّد أنّ جواسيس الزنزانة سيخبرون «**حامدًا**» بأنّها فعلتي، حينها سأعاقب أنا والرفيق الذي حاول التّضحية لأجلي.

الفصل الثامن:

تكريت - المخيّم (16)

الأحد 22 ك2 1989 ـ تكريت ـ المخيّم (16)[1]

بعد الظهر، أصدر «**سعد**» أوامره بالاستعداد للانتقال. كلّ ما أملكه كان كيسًا واحدًا، وكوبًا معدنيًّا، وجلباباً (دشداشة عربيّة). كنت أتمنّى أن أنتقل إلى مكان لا وجود لـ «**وليد**» فيه. فالحياة من دونه كانت جميلة بالنسبة إليّ، وكنت أشعر بالارتياح لذلك، ووليد نفسه كان يعلم ذلك، لا أدري كيف قرأ أفكاري حينها، وليستفزّني نادى «**وليد**» المترجمَ، وقال: «**ناصر الإستخباراتيّ! سألحق بك أينما ذهبت**».

شعرتُ بالانقباض. كنت أتمنّى التخلّص من شرّه! وكأنّ مصيري كان مربوطًا به!

نُقلنا إلى العنابر، تقع العنابر الخمسة «**للمخيّم** 16» إلى الشرق من ثكنة صلاح الدين، كانت تحيط بها أسلاكٌ شائكة دائريّة، أبراجٌ صغيرة للحراسة، وعددٌ من العربات المدرّعة. وكان المخيَّم محاطًا بدائرة حماية مُحكمة. وقد نُصبَ فوق باب كلّ عنبر كشّاف بروجكتور كبير. كان العنبران، (1) و(2) متلاصقان، وكان لهما فناء مشترك،

---

(1) ضم المخيم (16) معتقلا للأسرى الإيرانيّين.

مخصّص للمشي. أمّا العنابر رقم (3)، (4) و(5) فتقع على مسافة 100م لجهة الجنوب، وكانت مفصولة بأسلاك شائكة كثيفة. كان عنبرنا يحوي خمسة مراحيض، وخمسة حمّامات، وكانت المرافق الصحيّة تقع إلى الجهة الشرقية للعنبر.

كانت هذه العنابر في فترة الحرب (مقرًّا) لحفظ الدبّابات، والآليّات المدرّعة لألوية الفيلق العراقيّ الثالث، وفِرقِهِ. وكانت بعض أقسام ثكنة صلاح الدين مكانًا لتدريب القوّات الجويّة.

كان لكلّ خمسة عنابر مطبخ مشترك، وكان المطبخ يقع إلى جانب مدخل المخيّم. أمّا غرفة رئيس الحرّاس فكانت أمام مدخل العنبر.

كان عرض مدخل العنبر لا يتجاوز مترًا واحدًا. فعندما كان صوت الصفّارة ينطلق مؤذّنًا بالدخول، كان العراقيّون، بحجّة الإحصاء، ينهالون على الشباب ضربًا بالأسلاك (كابلات الكهرباء) والهراوات. وحين دخول العنبر، غالبًا ما كان الضرر يصيب المجروحين، وكبار السنّ.

في القسم الأعلى لمدخل العنبر كانت توجد فُتحة صغيرة بحجم (30×40) سم، وكان الحرّاس يراقبون أعمالنا من خلالها ليلاً ونهارًا.

كانت الحياة في العنبر مختلفة عنها في معتقل «**المخيّم الملحق**»، فكلّ عنبر كان يضمّ أكثر من ألف أسيرٍ. كنّا من أجل الإحصاء نجلس في عشرة صفوف، كلّ صفّ مؤلّف من مئة شخص، ليأتي أحد القادة أو الضبّاط ويحصي عددنا. كان الجرحى وكبار السنّ يجلسون في آخر الصفّ، ولم يكونوا يسمحون لنا بالانصراف ما لم ينهوا إحصاء العنابر الخمسة عند كلّ نوبة إحصاء، وكنّا نبقى واقفين في الصفّ مدّة ساعتين.

كان الجلوس في الصفّ من أجل الإحصاء صعبًا على الجرحى، والمسنّين، والأشخاص الذين يعانون آلامًا في الظهر.

الاثنين 23 ك2 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كانت الليلة الثانية لإقامتنا في العنبر، وقد انتظم أمره. لم أكن أعرف الكثير من الأسرى. فقد قُسّم العنبر إلى اثنتي عشرة مجموعةً، تتألّف كل واحدة من90 أسيرًا. ستّ مجموعات مؤلّفة من تسعين أسيرًا في الجهة اليمنى، وستّ مجموعات مؤلّفة من تسعين أسيرًا في الجهة اليسرى. أمّا وسط العنبر فكان مخصّصًا للمشي ليلاً، ومكانًا لإحصاء الأسرى نهارًا. أمّا مكان نوم الجرحى والمرضى وسكناهم فكان في مؤخرّة العنبر إلى الجهة اليسرى.

شعرت بالانقباض؛ لأنّ «**وليدًا**» كان أحد حرّاس عنبرنا من بين العنابر الخمسة. كان كظلّي، يتبعني أينما كنت أذهب.

تعجّبت كثيرًا من رؤية أسير لم يتجاوز التاسعة من العمر. ظننت أنّه ابن أحد الحرّاس، وقد جلبه معه إلى المخيّم. وقد أثار فضولي قولهم: «**إنّ هذا الصبيّ ذا السنوات التسع أسيرٌ**»، فقد كان أصغر أسرى المخيّم، ويُدعى «**أمير**». كان «**أمير**» هذا من إحدى قرى «**إيلام**» الحدوديّة، وقد وقع في الأسر مع أخيه «**إبراهيم**».

ذهبت آخر الليل إليه، وقد أخبرني قصّة أسره، أخذه العراقيّون وأخاه على حين غفلة. رجا أخوه الأكبر «**إبراهيم**» العراقيّين أن يأخذوا الخراف بدل أسرهما، فلم يقبلوا. عندما أنهى العراقيّون تحميل الخراف، طلب «**إبراهيم**» إليهم أن يأخذوه هو، وأن يتركوا أخاه وشأنه.

لم تجدِ محاولاته نفعًا!

كنــت أتفهّم «**أميرًا**»، فقد أصبح منزويًا. حاولــت أن أؤمّله بالحياة والحريّــة. كان مشتاقًا في هــذه الليلة إلى عائلته. كانــا ابني أخ «**العمّ إبراهيم**».

كان العــمّ إبراهيــم، الرجل الإيلامــي السبعينيّ، يعتنــي بـ«**أمير**»، وكان أكبــر أسرى العنبر سنًّا، وهو رجلٌ مســنّ نحيف، ومظلوم. كانت عظام وجهه بارزة، وقد ابيضّ شعرُ رأسه ولحيته بتمامهما. وقع العمّ «**إبراهيم**» في الأسر عندما كان يبحث عن ابني أخيه «**أمير وإبراهيم**» في الخطوط الأماميّة، بالقرب من الحدود.

في هذه الليلة، قام الحاجّ «**سعد الله كل محمّدي**»[1] أثناء الإحصاء مــن مكانه، من دون أخذ الإذن من حرّاس العنبر، وشرع بالكلام. كان العراقيّــون يستاؤون من تكلّــم الأسرى مع قائد المخيّــم من دون أخذ إذن مسبــق. أذِنَ النّقيب «**خليل**» للحاجّ «**سعـد الله**» أن يقول ما عنده، فغالبًــا ما كان يحترم الأســرى المسنّين، والحاجّ «**سعد الله**» هو الأكبر سنًّــا في العنبر بعد العمّ «**إبراهيــم**». كان رجلاً سمينًا ومربوعًا، يتمتّع ببنية قويّة، أصيب برجلــه في شلمشة، وعلى الرغم من إصابته، أطلق ضابــط عراقيّ النــار عليه مــن مسدّسه، فأصابت ســتّ طلقات بطنه ورجله، وكأنّه كان يريد أن يقضي على الحاجّ، لكنّ إرادة الله شاءت أن يبقى على قيد الحياة. كان الحاجّ «**سعد الله**» بتلك الجثّة الثقيلة يتنقّل بصعوبة متّكئًا على عصاه. ودائمًا ما كان يقول الحق، ولا يخشى شيئًا. تلــك الخاصيّــة التي طَغَت علــى سائر سجاياه الفاضلــة. كان بالنسبة

---

(1) عمل بعد التحرر في معمل لربّ البندورة «**يك ويك**» في كركان.

إليـنـا أبًا معنويًّـا. كان يطيل في صلواته، وخاصّـة القنوت. كنّا ننتظره على العشاء ليحضر إلى المائدة. عندما كان يتأخّر كنت أقول له:

- إنّك تطيل في صلاتك كثيرًا!

- أرجو، إن قُدّر لي أن أموت في هذا المخيّم، أن يكون العمل الأخير لي حين الموت هو العمل الصالح.

أوَليس من المؤسف أن نموت نحن البشر الذين حُزْنا مقام خلفاء الله ونحن في حال الغِيبة، والكذب، والتجسّس، والوشاية بغية الحصول على عدد من السجائر؟

الليلـة، قال الحاجّ «**سعد الله**» للنقيب «**خليل**»: ليس لدينا اعتراض أو شكوى، إنّ كلّ مـا أصابنا فهو بفعل أيدينـا، نحن أسرى حرب، وقد أتينا إلى الحرب بملء إرادتنا. ولكنّكم أسرتم هذا الصبيّ ذا السنوات التسع، وأحضرتموه إلى هذا المخيّم، هل هذا العمل يمتّ إلى الإسلام بصلة؟

لـم يكن لدى النقيب «**خليل**» شيئًا ليقوله، فقد كان إنسانًا منطقيًّا، وحياديًّـا، قليلَ الـكلام، يقبل الـكلام المنطقيّ، لكـن لا يجيب عليه، لا يسعـى إلى تبرير أعمـال الآخرين. عندما ناقـش الحاجّ «**سعد الله**» الموضـوع من النواحـي العاطفيّة، قال للنقيـب «**خليل**»: «**سيّـدي! إذا أسر الإيرانيّون طفلك ابن التّسع سنوات على الحدود، فماذا سيكون حالك؟ كم كنت ستتألّم**»؟

فأجـاب قائلاً: «**لم أكن أنا الذي أسـره، وحرّيّة هذا الطفل ليست بيـدي، سأطلـب من المسؤوليـن إطلاقه، ولا أعلم كـم سيؤثّر ذلك، فالقرار النهائيّ يُتّخذ في بغداد**».

الثلاثاء 31 ك2 1989 ـ تكريت ـ المخيم 16

طغى على صحف اليوم خبر عائد إلى 26 عامًا مضت. في مثل هذا اليوم قام البعثيّون بقيادة الجنرال عبد السلام عارف بانقلاب أطاحوا فيه بحكم الجنرال عبد الكريم قاسم.

الجمعة 3 شباط 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

أصرّ الحاجّ «**سعد الله كل محمّدي**» على أن نؤدّي الصلاة جماعةً. وكان ذلك ممنوعًا في السابق. في اليوم الأوّل لدخولنا **المخيّم الملحق**، قال لنا «**سعد**»: «**الصلاة جماعة ممنوعة، الدعاء ممنوع، إنّي سلم لمن سالمكم و... ممنوع**».

لقد عُوقب «**حسن بهشتي بور**» في **المخيّم الملحق** عدّة مرّات بهذا الجرم. لقد حاول إقناع العراقيّين بالسّماح للإخوة بالصلاة جماعةً، فتعامل «**حامد**» معه بقسوة، أمّا بعض الحرّاس الذين كانوا يكنّون الاحترام للحاجّ «**سعد الله**»، قالوا: «**دعك من صلاة الجماعة، لكنّ الحاجّ لم يكن ليتراجع**».

قال الليلة الماضية: «**سأقيم الصلاة جماعة، حتّى لو أدّى ذلك إلى قتلي**»! انقسمنا ثلاث مجموعات: مجموعة غير مهتمّة، كانت تريد أن تمضي فترة أسرها دون أيّ قلق، وهذه لم تلتحق بنا، وحزب اللهيّو[1] العنبر الذين كانوا مصمّمين على هذا الأمر، وجماعة أخرى محايدة، لم تكن تنتمي إلى هؤلاء، ولا إلى أولئك، وقد التحق بنا بعضهم، لكن ما إن وصل الحال إلى الضرب، على حدّ قول الحاجّ «**حسين شكري**»،

(1) يطلق هذا العنوان على الملتزمين بخط الإمام والعاملين بتوجيهاته والمضحِّين حتّى الرمق الأخير. (م. نون).

حتّـى تركونـا، والتحقـوا بالجماعة غيـر المكترثة. كان الحـاجّ يعتقد أنّنـا لو استطعنا رفع الأذان في المـكان، سنتقدّم خطوات إلى الأمام. قـال «**رامين حضرت زاد**»: «**يمكننـا من خلال هـذا الأمـر أن نجبر العراقيّيـن علـى التراجـع عن بعض القيـود الأخرى التـي فرضوها علينـا**». العراقيّون أنفسهـم كانوا يحرصون على أن لا يقوموا بأيّ عمل يؤدّي إلى قيام الأسرى بالتمرّد والعصيان على خلفيّة أمور دينيّة. وقال «**علي جار الله**» الذي كان يثق «**برامين**»:

- إذا وقفتم بتماسك وقوّة سوف يتراجع العراقيّون!

كان الحاجّ «**سعد الله**» قد أخبر الإخوة فردًا فردًا، أنّ صلاة الجمعة ستُقـام ظهرًا بعد الإحصاء. علم «**سعد**»، مسؤول العنبر بما يحضّر له الإخوة؛ لذا توعّدنا قبل أن يخرج منه.

بعـد إحصاء فترة الظهر، وقف الإخوة في صفوف منتظمة للصلاة بإمامـة الحـاجّ «**سعد الله**». وفـي الركـوع الأوّل، دخل حرّاسـ العنبر بالأسلاك والهراوات، وعلى الرغم من الأسلاك التي كانت تنهال على رأسـ الحاجّ «**سعد الله**» ووجهه، تابـع صلاته، فدفعه «**عطيّة**»، وسقط أرضًـا، تفرّقت الجماعة بضـرب العراقيّين وشتمهم لنـا. بعد ساعة، حضر الملازم «**فاضل**»، كان في غاية الغضب، قال: أنتم تتمرّدون، لقد دستم علـى قوانين المخيّم، لستم في إيران هنا، قرارات هذا المخيّم هـي التي تُنفّـذ، لا قوانين الخمينـيّ! بمجرّد ذكر اسـم الإمام أطلق الإخوة ثلاث صلوات مدوّية. ازداد «**فاضل**» غضبًا، وراح يسبّ ويشتم.

أخـذوا الحاجّ إلى غرفة رئيس الحرّاس، هدّده «**سعد**» إن عاد وكرّر عمله هذا. عندما دخل الحاجّ إلى العنبر، كان مزرقّ الوجه. في العنبر

رقم (1)، خـلال الأسبوع الماضي، ضَربوا «**أكبر جعفري**»، الذي كان يديـر الأنشطـة الثقافيّة هناك، بشـدّة. كان جعفري قد حـاول إقامة صلاة الجماعة مثل الحاجّ «**سعد الله**».

التفّ الإخوة حول الحاجّ، قال الحاجّ لهم: أيّها الإخوة! ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[1].

ثـمّ تابع: «**أنا مستعـدّ لبذل دمي في هذا المخيّـم من أجل صلاة الجماعـة هذه، لم نكـن مؤهّلين للشهادة في الجبهـة، لربّما يوفّقنا الله تعالى للشهادة في سبيل إقامة صلاة الجماعة في العراق[2]. في هذا البلد، استُشهد الإمام الحسين عليه السلام من أجل إقامة أحكام دين الله**».

الاثنين 6 شباط 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كانـت «**الديزنطاريـا**»[3] قـد انتشرت. عانى الكثيـرون من آلام في الكليـة والمثانة، وابتلـي بعض كبار السـنّ والمرضى بـ«**سلس البول**» (التبـوُّل اللّاإراديّ). حاول «**بهزاد روشـن**»، و«**أبو الفضل صادقيان**»، و«**كامبيـز فـرح دوسـت**» الذين كانوا يعملون فـي المستوصف أن يحلّوا مشكلة الإخـوة. أمّن بهزاد، بصعوبة، بعض أقراص «**الايميبرامين**»

(1) آل عمران: 139.

(2) فيمـا بعد، أُقيمت صلاة الجماعة من خلال مثابرة الحاجّ «**سعد الله**» والآخرين وجهودهم؛ عندما كنّا نصلّـي على محمّد وآله ونقول بعدها وعجّل فرجهم وأهلك أعداءهم وأعلِ شأن الإمام الخمينيّ، كان العراقيّـون يقولـون: يمكنكم أنّ تصلّوا على محمّد وآل محمّد، ولكن لا تصلوها بعجّل فرجهم و...، إذا التزمتـم بذلـك لن نتعاطى معكم، ولن نضربكـم. لقد كانوا يتحسّسون من هـذه العبارات. بعد فترة، حصروا المنع بدعاء الوحدة. كانوا يستاءون من دعاء الوحدة أيضًا. ويقولون: كلّ من يقرأ أنجز وعده ونصر عبده هذا، سوف يجلد مئة جلدة

(3) حُمّى الامعاء التي تسبب إسهالاً حاداً مع خروج دماء.. .

لكبـار الســنّ المصابين بـ«**سلس البـول**». وأخذ «**رامـيـن حضرت زاد**» من «**علي جـار الله**» بعض الحقن البلاستيكيّـة للأشخاص المصابين «**بالديزنطاريـا**». كان تحمّـل 16 ساعة من دون دخول المرحاض غاية فـي الصعوبة. بعد 16 ساعةً، عندمـا كان صوت الصفّارة ينطلق، كان الإخوة يهرعون إلى دورات المياه، وكأنّهم يريدون اقتحام أحد السواتر الترابيّــة العراقيّة. اليوم طرح الإخوة موضـوع دورة المياه المتنقّلة[1]. دخل المـلازم «**خليـل**» العنبر بغية الإحصاء، طـرح المهندس «**غلام رضـا كريمـي**» أمامه، نيابةً عن الإخوة، موضـوع دورة المياه المتنقّلة. فوافق الملازم «**خليل**» على ذلك.

الأربعاء 8 شباط 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليـوم، نُصبت دورة الميـاه المتنقّلة في آخر العنبـر، وقد تشكّلت مــن عــدّة قطع مــن الحديـد المضلَّـع بعرض متـر وارتفـاع مترين. كان الإخـوة هم مــن عمل على تلحيم هيــكل دورة الميــاه، وقد غطّوه بالبطّانيـات وأكياس الخيش من جميـع الجوانب، ووضعـوا فيه دلوًا كبيـرًا، وأُضيف إليه في الأيّـام التالية دلوًا آخر. عندما تفقد الملازم «**فاضـل**» دورة المياه هـذه، قال غامزًا من قناة المهندس «**غلام رضا كريمـي**»: «**جيّـد، دورة الميـاه المتنقّلـة هذه هي صناعـة إيرانيّة؟!**» فـردّ المهندس قائلاً: «**أعلم أنّـك تهزأ منّا، لكن لا تنسَ أيّها الملازم أنّ مصمّـم مدينـة بغداد كان إيرانيًّا، يُعرف بـ «سهل السرخسيّ» فلم ينبس الملازم ببنت شفة.**

(1) دورة مياه مؤقّتة.

اليوم، وجّه «**سعدُ**» أوامره قائلاً: الأشخاص المصابون «**بالديزنطاريا**»، وبآلام في المثانة والكلى، والعمّ «**إبراهيم**» فقط، يمكنهم الاستفادة من دورة المياه هذه.

أكثر الأسرى الأصحّاء لم يلتزموا بالأمر.

ومن أجل أن لا تُرفس أطرافنا المجروحة بفعل الذهاب والإياب، كنّا ننام في مؤخّرة العنبر. لكن استخدام دورة المياه المتنقّلة صعّب الحياة علينا؛ ففي الليل، على الرغم من امتلاء الدّلو وسراية النجاسة إلى جوانبه، كان البعض يقضي حاجته في الدلو العائم. كانت النجاسة تسري من تحت مقصورة دورة المياه المتنقّلة، وتلوّث فراشي، وفراش «**علي أكبر فيض**»، والحاجّ «**حسين شكري**». كان بعض الأسرى الأصحّاء يستغلّ الموقف بحجّة أنّه مصاب «**بالديزنطاريا**». كانت الروائح النتنة تفوح من داخل العنبر، والبطّانيّات وثيابي دائمةَ النجاسة، فيما كانت رائحة البول تصيبني بالدوّار.

صباح كلّ يوم كان مسؤولو النظافة يخرجون الدّلاء لإفراغها. كنتُ أنام، قبل انشاء دورة المياه المتنقّلة، آخر العنبر إلى الجهة اليمنى، وبعد ذلك كنت أقربَ الأشخاص مسافةً إليها، حيث كنت أنام على بعد مترين منها، فكانت جارَ سوءٍ بالنسبة إليّ. لم أكن أرغب في أن يضحّي الإخوة ويتبادلون الأمكنة معي، فكلّ شخص كان ينام مكاني كان يدرك حالي.

أكثر ما كان يغضبني هم الأسرى الأصحّاء. فعلى الرغم من رؤيتهم للدّلاء وقد امتلأت، وأن لا مجال لاستخدامها، لم يكونوا يلتزمون بذلك. ولقد تكلّمت إلى بعضهم بهذا الشأن. اليوم، سَرَتِ النجاسة إلى

تحت قدميّ، فبقيتُ مستيقظًا إلى الصباح. رجوتُ الأسرى الأصحّاء أن لا يستخدموا دورة المياه المتنقّلة، لم يجدِ ذلك نفعًا!

قلت لأحد الأسرى: «**لقد امتلأ الدلو، وتنجّست بطّانيّتي وفراشي بفعل سراية النجاسة، لا تدخل إلى دورة المياه**».

لم يكترث لكلامي، وحين قضى حاجته، وذهب لينام، ناديته، فوقف. أريته النجاسة السّارية من حولي وإلى أطراف بطّانيّتي، وقلت له: «**كان من الأفضل أن تقضي حاجتك هنا، على هذه البطّانيّة**»! كان إنسانًا عديمَ الشعور.

استفاق على صوتي عدد من الإخوة، فقال له «**علي أكبر فيض**»: يا رجل! ألا تخجل من قضاء حاجتك تحت أرجلنا؟ أجاب: أعاني مرضًا في الكلى. فقال علي أكبر: صحّتك أفضل منّا جميعًا، لستَ مستعدًّا للتضحية مقدار ذرّة، مثل البقيّة!

عند الخامسة صباحًا، صاح «**محمّد كاظم بابايي**»، وكان الأشجع من بين الجرحى، بأعلى صوته، مخاطبًا أسرى العنبر، قائلاً: «**إذا أراد أحد دخول دورة المياه المتنقّلة على الرغم من امتلاء الدلو، فليواجهني!**»

كان «**إسلام تقي زاده**»[1]، يغسل ملابسي معظم الوقت، وأحيانًا كان يغسلها «**رضا محمّدي**»[2]. وكان «**رضا**» قد أخذ خفيةً قطعة (لدينة) بلاستيك من المطبخ، وكان يمدّها ليلاً تحت بطّانيّتي، لكن لم يُجدِ

(1) إسلام تقي زاده من أهالي أردبيل وترعرع في طهران، وهو الآن يعمل في البنك المركزيّ في جمهوريّة إيران الإسلاميّة.

(2) «**رضا محمّدي**» من أهالي شاهرود، وهو الآن طبيب متخصّص في الصحّة العامّة، وصاحب عيادة في شاهرود.

ذلــك نفعًا. مهما حاولــت كانت بطّانيّتــي وملابسي تتنجّــس، فبسبب قلّــة المياه، لم نكــن نستطيع غسل البلاستيك الــذي كنت أضعه تحت بطّانيّتي، ثمّ بعد ذلك أعرضت عن استخدامه.

صباح كلّ يوم، بعد الإحصاء، وقبل تناول طعام الفطور، كان الإخوة يخرجــون من العنبــر؛ ليقوم مسؤولــو النظافة بمســح الأرض. فكانت أرض العنبر الذي تبلغ ثلاثين مترًا عرضًا، وستّين مترًا طولاً، تُمسح، علــى االرغــم من كلّ تلك النجاســة والتلوّث، بخمســة أو ستّة دلاء من الماء.

كانت الروائح النتنة تفوح من العنبر دائمًا. وقد تسبّبت دورة المياه المتنقّلة بأمراض، من قبيل الديزنطاريا، الفطريّات الجلديّة، الجرب، تساقط الشعر، التهاب الجروح، والدمامل المتقيّحة و... .

الخميس 9 شباط 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليــوم، تجــادل العريف «**ماضي**» مــع «**عطيّة**» بسبــب الإساءة التي ارتكبهــا بحقّ «**لطف عليّ**»، أحد أبنــاء قزوين. كان «**ماضي**»، وهو من أهل منطقة «**ذي قار**» في العراق، رجلاً نحيفًا، بشوشَ الوجه، ضحوكًا، أسمــرَ الوجه ومعقــوفَ الأنف، ودائمًا ما كان يمضــغ شاربيه بأسنانه، ويمشــي بطريقة منتظمة، وكان إنسانًــا صاحبَ وجدان. وكان «**عطية**» قد أساء إلى «**لطف عليّ**»، جريح النخاع الشوكيّ جرّاء إصابته بشظيّة أدّت إلــى شلله. كان «**رضا محمّدي**»، و«**إسلام تقي زاده**» يتولّيان نقله من مكان إلى آخــر. أحيانًا حين كان الحرّاس يؤذونه بالكلام، والهمز واللمز، يردّ بعبارة وحيدة: «**ستجدونني إن شاء الله صابرًا**».

اليوم، وبعد مدّة من المنع، سمح «**سعد**»، رئيس الحرّاس، للجرحى بالاستحمـام خارج دوام الاستحمام، فقال «**عطيّة**» لـ«**رضا محمّدي**»، و«**إسلام تقي زاده**»، اللذيـن كان ينقـلان «**لطف عليّ**» إلـى الحمّام: «**ارجعوا إلى العنبر**».

قـال «رضـا محمّـدي»: «**رئيـس الحرّاس نفسُـه سمـح للجرحـى بالاستحمام خارج دوام الاستحمام**».

أجـاب «عطيّة»: «**أنتـم تكذبون، فرئيس الحرّاس ذهب إلى مركز قيادة المخيَّم من أجل الحصول على الإذن بالتموين، تريدان غسله خلسةً**».

قال «رضا»: «**ما هذا الكلام؟ لهذا الرجل أوضاع خاصّة**».

أمر «**عطيّة**» بإرجاع «**لطف علي**» إلى العنبر، أخبر «**رضا محمّدي**» العريـف «**ماضـي**» بالأمـر، الذي أوصـل بدوره الخبـر إلى «**سعـد**»[1]، المسـؤول عن العنبـر. عاد «**سعد**» مـن مركز قيادة المخيّـم متأخّرًا، دخـل العريف «**ماضـي**» إلى العنبـر، وطلب من «**لطف علـي**» الذهاب إلـى الحمّام، فأجابه «**لطـف علي**»: «**أبقى سنوات مـن دون حمّام ولا أتحمّل المنّة**».

كان العريف «**ماضي**» أعلى رتبةً من «**عطيّة**». لم يبقَ هناك أكثر من شهريـن. ذات يوم، ضرب «**عطيّة**» أحـد الإخوة؛ لرفضه صبغ حذائه، تجادل «**ماضي**» مع «**عطيّة**»، وقال: «**إنّ هذه الأعمال تحطّ من سمعة العراق**»، ثمَّ أخبر الملازم «**خليل**» بالأمر. كان «**ماضي**» يتعاطف معنا،

(1) لا صلـة نسب بين «**سعد**» مسؤول العنبر و«**سعد**» الـذي كان مسؤول المخيّم الملحق. فـ«**سعد**» هذا كان يُسمّى بـ«**سعد الصغير**»، وأمّا هو فكانوا ينادونه بـ«**سعد الكبير**». كان «**سعد الكبير**» صاحب أكبر بنية بين عراقيّي المخيّم، وسعد الصغير كان أقلّ عراقيّي مخيّم تكريت (16) شأناً.

وقد نُقِلَ إلى قسم التجهيزات والمخازن التابع لقاعدة صلاح الدين.

كان اليوم يحدّثنا ويقول: «**إنّني أعاني من وجودي في مخيّم الأسرى الإيرانيّين**».

عندما سألناه عن السبب أجاب: إنّ ابن عمّي أسير لدى الإيرانيّين، وهو يعيش أفضل الأوضاع مع أفضل الإمكانات، كان قد كتب إلى والده: إنّ الطعام الذي نتناوله في مخيّم «**كركان**» أفضل من الذي كنت آكله في العراق.

فبسبب معرفة العريف «**ماضي**» بالأوضاع الجيّدة التي يعيشها الأسرى العراقيّون في إيران، كان من المدافعين عن الأسرى الإيرانيّين.

كان «**ماضي**» في زمن الحرب يعمل في مقرّ «**رعد**» السرّيّ، الذي أُنشئ في أوائل الحرب بأمر من صدّام، وكانت مهمَّة هذا المقرّ تنظيم القوّات المرسلة من البلاد العربيّة، والاستفادة منها في الحرب، وكان هذا المقرّ يُشرف على: تنظيم إدارة الحرب، إرسال القوّات إلى الجبهات، ودخول وخروج جنود الدول العربيّة. قال: «**أغلب القوّات التي دخلت العراق لقتالكم كانت من مصر، والسودان، واليمن، والأردن**». وكان يقول: كان يشرف على قسم «**القتلى والمفقودين، والأسرى**»، التابع لهذا المقرّ لواء بعثيّ ويتلقّى أوامره مباشرة من «**عدنان خير الله**» وزير الدفاع (العراقي) آنذاك. كان «**ماضي**» يقول: «**إنّ السودان واليمن كانتا تسعيان لاسترجاع جثث قتلاهما إلى بلديهما، أمّا مصر والأردن فقد أرسلتا رسائل، طلبتا فيها دفن قتلاهما تحت عنوان قتلى مجهولي الهويّة**». لم أفهم السبب في

ذلك. حتّى «**ماضي**» نفسه لم يكن يعلم السبب، وكان يقول: ذات مرّة، أُعـدم بأمر من صدّام ثمانون مصريًّا، كانوا قد فرّوا من الحرب، وقد سمـح حسني مبارك لصـدّام أن يتعامل مع الجنـود المصريّين تمامًا كالجنود العراقيّين.

مع انتهاء الحرب، أزيل «**مقرّ رعد**» السرّي بأمر من صدّام.

السبت11 شباط 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

في الذكـرى العاشرة لانتصار الثورة الإسلاميّة، أقام شباب تبريز وأروميـة مسابقـة. في هـذه الأيّام، كانت تـزداد حساسيّـة الحرّاس، وتشتـدّ مراقبتهم لنا. علـى الرغم من التضييق وقلّـة الإمكانات، قرّر بعض الأسرى، قبل عدّة أيّام وبشكل حماسيّ، الاحتفال بذكرى انتصار الثـورة. كانـت احتفالاتنا البسيطة تُقـام بعيدًا عن أعيـن العراقيّين. باقتـراح من الحـاجّ «**حسين شكـري**»[1]، قـام بعض الإخـوة قبل عدّة أسابيع بتهيئة المقدّمات اللازمة. باءت محاولاتي لشراء عشر شمعات مـن حانوت المخيّم بالفشل. أردت شراء عشر شمعات بمناسبة ذكرى انتصار الثورة من أموالنا، وإضاءتها ليلاً. كانت المسابقة الثقافيّة من إعـداد «**يزدان بخش مرادي**»، طُرحت عدّة أسئلة حول الإمام والثورة، ونـال الرابحـون الجوائـز. أقامـت العنابر الأخـرى أيضًـا، مباريات فـي المصارعـة، والشعـر، والمسرح، وتظاهـر الإخوة فـي مسابقات المصارعـة أنّهـم يتصارعـون واقعًا، لكـنّ أمرهم انكشف فـي الأيّام اللاحقة.

(1) الحـاجّ «**حسين شكري**» من أبنـاء مهريز في مدينة يزد، وكان من عناصر لواء الغدير 18. هو الآن من متقاعدي حرس الثورة في يزد.

جهّزنا جوائز المسابقات من الأشغال اليدويّة التي كنّا نصنعها، وكانت عبارة عن حزام، قبعة، شال، مسبحة و...، وقد وضع الإخوة كلّ جهودهم في تصرّف المسؤول الثقافي.

طرّز أحد الإخوة الآذربيجانيّين، وهو من الأتراك أصحاب الذّوق، صورة الإمام الخمينيّ على قماشة جلباب، مستخدمًا في ذلك خيوط المناشف والبطّانيّات، وقد رسم هذه الصورة «**علي يماني**». كان عملاً جميلاً[1]. قال علي: إنّ وجود صورة الإمام نعمة بالنسبة إلينا، نحن الذين لا نتمكّن من مشاهدة التلفزيون الإيرانيّ، ولا من رؤية صورة الإمام. كلّ من يشتاق إلى الإمام، فليأتِ، ولينظر إلى هذه الصورة.

بعض الإخوة خلط سُخام الحمّام[2] المتصاعد من السخّانات النفطيّة بالزيت، ولوّن بهذا الخليط صورة الإمام.

ادّخر الإخوة مخصّصاتهم الشهريّة، التي تبلغ دينارًا ونصف الدينار (للأسير الواحد)، قبل عدّة أشهر؛ لإعداد الحلوى والسكّر، فأعدّوا الحلوى مستخدمين الحليب، والسكّر، وعجين الخبز اليابس، وأعدّ الطبّاخون «**الحزب اللّهيّون**» الحلوى من خلال اللوازم التي وفّرها الإخوة لهم.

بعد ظهر اليوم، تناول ثلاثة من الحرّاس، «**عطيّة**»، و«**حامد**»، و«**سلوان**»، حلوى الاحتفال بذكرى انتصار الثورة، التي قدّمها لهم المهندس «**غلام رضا كريمي**». سأل سلوان المهندس قائلاً: «**شينو المناسبة؟**» (ما المناسبة)؟

(1) عندما حُرّرنا، قدّم الإخوة صورة الإمام كتذكار «**لعلي جار الله**»، الحارس العراقيّ الودود.

(2) آثار وأوساخ الدخان.

فأجـاب المهندسـ «**كريمـي**»: سيّـدي بمناسبة «**جاء الحـقّ وزهق الباطل**»[1].

الأحد 12 شباط 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

قبل الظهـر، انهال الحرّاس والملازم الأوّل، الذي لم أكن قد رأيته مـن قبـل، بالسّياط علـى «**فرهنـك خاكيـان**»، أحد أبنـاء تبريز، وقد أوسعـوه ضربًـا. لا أعلم لِمَ آذوه كلّ هذه الأذيّة. كنت على علاقة جيّدة «**بفرهنـك**»، فقـد كان سائق المهندسـ «**إبراهيـم رستكار مقـدّم**»[2]، وكان «**رسـتكار مقـدّم**» من أتراك تبريز، ومديراً عامًّا للنقل والطرقات «**قدس**»[3]. كان رجلاً أربعينيًّا أقرعَ قصيرَ القامة، وقد تخرّج في العام 1980م مـن جامعـة الخواجه نصير الديـن الطوسي، قسـم الهندسة المدنيّة. كانت المديريّة العامّة، «**قدس**»، للنّقل، تتولّى مسؤوليّة صيانة وتوسيـع الطرقات العسكريّـة في الجبهة الغربيّة للبـلاد، والتي تشمل محافظـات إيلام، «**كرمانشـاه**»، و«**كردستان**»، و«**آذربيجـان الغربيّة**». كان العراقيّـون قـد أسـروا المهندس وسائقـه في «**وادي شيلـر**». لقد أصابتهـم رصاصات القنّاصة في «**وادي شيلـر**»، وهم يستقلّون سيّارة «**نيسـان باترول**»، بيضـاء اللون. اخترقت الرصاصـات الجهة اليمنى للسائـق، وأصابـت ركبته وركبـة المهندس «**رسـتكار مقـدم**». اعترف

---

(1) الاسراء ـ 81

(2) بعد التحرّر عمل المهندسـ إبراهيم مقدّم كنائب للمدير التنفيذي للمختبر الفنّي والميكانيكيّ للتربة في البلاد، وقد أصبح في الحكومة التاسعة مستشار وزير النقل لشؤون الجرحى.

(3) قدسـ: اسـم كان يطلـق علـى مديرية الطرقـات والنقل. كثيـراً ما يُطلق فـي ايران علـى المديريّات والمؤسَّسـات ذات الانتشار أسماء من وحي الثقافة الإسلاميّة من قبيل: قدس، جهاد، قرض الحسنة، جمعية المؤثرين ... (مركز نون).

العراقيّـون بأنّه ما كان ينبغي من البداية إحضار مدير عامّ إلى مخيّم الأسرى الـ«**مفقودي الأثر**». عندما التفتوا إلى أنّه ينبغي نقله إلى مخيّم الضبّاط والمسؤولين، كان الوقت قد فات. من الناحية الأمنيّة، لا ينقل العراقيّـون أيّ قائـد، أو مسـؤول رفيع المستوى، إلـى مخيَّم الضبّاط، وأسـرى الصليب الأحمر. كانـوا يراعون كافّة جوانب الاحتياط، بأن لا يلتقـي أيّ واحد من العشرين ألف أسيرٍ «**مفقود الأثر**» الموجودين في تكريـت، بالأسرى المدوّنة **أسماؤهم** لـدى الصليب الأحمر. لم يكونوا يريـدون أن تتسرّب معلومات عن الأسرى «**المفقودي الأثر**» إلى خارج «**قاعدة صلاح الدين**»، وإلى أسرى الصليب الأحمر.

لربّمـا أخطـأ المحقّقـون قبل عـدّة أشهر فـي التحقيـق الأوّل في المخيّـم، في استمـارة كلّ من المدير العـامّ وسائقه، فبـدّل المحقّق العراقـيّ، الـذي كان يرتـدي ملابس التحقيـق الخاصّة فـي استمارة التحقيق، صفة «**رستكار مقدّم**»، الذي كان المدير العامّ بصفة السائق وكذلك الأمـر بالنسبة إلى «**فرهنك خاكيـان**» حيث كتب في استمارته أنه المدير العامّ. اليوم كان «**فرهنك**» سيئ الحظّ.

كنت أعلم أنّ «**فرهنك**» هو سائق المدير العامّ.

قال «**فرهنك**» بذلك الوجه المزرقّ للعراقيّين: «**لست المدير العامّ للنقـل والطرقـات، بل سائقـه، لكنّني مستعـدٌّ لتلقّـي الضربات بدلاً منـه**»! قلت للعريف «**ماضـي**»: «**قل لهذا الضابط، هل يبدو على هيئة هذا الرجل أنّه مدير عامّ؟**»

- إنّ أشخاصًا في سنّه يصبحون قادة فيالق في إيران!

كان «**فرهنـك**» يكنّ محبّـةً خاصّةً للمهندس «**رسـتكار مقّدم**»، كان

شابًّا بدينًا، قصير القامة، أجعد الشعر، ذا وجه جذّاب، ومحبّب. عندما أراد العراقيّون نقل «**رستكار مقدّم**» إلى «**مخيّم بعقوبة**» (18)، قال لهم فرهنك: «**أنا سائقه، ينبغي أن أكون برفقته دائمًا**».

أحياناً، كنت أمازح «**فرهنك**»، وأقول: فرهنك! هنا كلّ واحد هو مدير عامّ على نفسه، وكان يجيب: صحيح أنّني من دون سيّارة، ولكن يمكن من دونها أن أكون سائق المهندس.

في النهاية، اقتنع العراقيّون أنّ «**فرهنك خاكيان**» هو سائق المهندس «**رستكار مقدّم بور**».

الخميس 16 شباط 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

أصبح «**سعد**» يظهر محبّة للإمام الخمينيّ، وقد كان من قبل يسيء الكلام إليه. كان «**عليّ جار الله**» مسرورًا: «**فقد حَدَثَتْ أمورٌ جعلت سعدًا، وبعض الحرّاس يظهرون المحبّة لقائدكم**».

بالأمس، نشرت الصحف العراقيّة خبرَ صدور فتوى الإمام الخمينيّ التاريخيّة بإعدام مؤلّف كتاب الآيات الشيطانيّة، «**سلمان رشدي**». قال سعد: «**صحيح أنّنا في حالة حرب معكم، لكنّنا نشترك معكم في أمور أربعة**»[1]. كان العراقيّون يقولون: «**إنّ فتوى أيّ من كبار أهل السنّة لم تمنح المسلمين مثل هذه العزّة**».

لم أعد أسمع أو أرى، من اليوم ولاحقًا، «**سعدًا**» والسيّد «**حسين**» يسيئان إلى الإمام.

بعدها بفترة طويلة، قال «**سعد**» لي وللحاج سعد الله: «**تعجبني**

(1) الله، والقرآن، والنبيّ محمّد ﷺ، والقبلة.

فيكم أنتم الإيرانيّين مسائل ثلاث: أسبوع الوحدة، ويوم القدس، وفتوى قائدكم بحقّ سلمان رشدي».

الأربعاء 1 آذار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليوم، جاءوا بالجريدة، فقد صادق بالأمس مجلس الشورى الإسلاميّ في إيران على مشروع قرار معجّل لقطع علاقات إيران السياسيّة والدبلوماسيّة ببريطانيا نهائيًّا. وفيما كانت الصحيفة بين يدي «**سامي**» و«**علي جار الله**»، اللذين كانا يكرهان الإنكليز، كانا يثنيان على عمل مجلس شورى بلدنا. قال «**سامي**»، الذي كان دائمًا يطلق على الانكليز صفة الثعلب المكّار:

- الإنكليز أشدّ لؤمًا من الأمريكيّين، كان عليكم، وبعد الثورة مباشرة، قطع علاقتكم بالإنكليز.

ذهبت صباحًا، باحثًا عن «**إبراهيم**»، الأخ الأكبر «**لأمير**». أردت الحديث معه بشأن «**أمير**». كان «**سلوان**»، حارس العنبر، قد فرش بساط الصداقة مع أمير، محاولاً استمالته. قال لي «**عليّ جار الله**»: انتبه لـ«**أمير**»، يريد العراقيّون أن يستخدموه كأداة».

في الأيّام الماضية، كنت أقول لأمير مرارًا: أميرا لقد سوّد العراقيّون أيّامك، لولاهم، لما كنت الآن وإبراهيم أسيرين...

كان أمير يتمشّى بشكل منتظم مع «**سلوان**» و«**سعد**» في فناء المخيّم. كان الحرّاس يقدّمون له الطعام لتزداد علاقته بهم.

قبل الظهر، قال لي «**سامي**»: يريد العراقيّون أن يقوموا بأمر، بحيث إذا ما قرّروا معاقبة أسير ما، أن يقوم «**أمير**» بضربه!

- لماذا لا يقومون هم بضربه؟

- فيما بعد، ستدرك ما يخطّطون له. الملازم «**فاضل**» إبليس، لقد أبلغ الحرّاس كيف يستفيدون من «**أمير**».

- ألا تخبرني بها؟

- لا تكن عجولاً، أريد أن أرى إن كانوا واقعًا سيقومون بذلك أم لا؟

قلت لإبراهيم: «**العراقيّون يحيكون مخطّطًا لأخيك!**»

كان «**إبراهيم**» شابًّا بسيطًا، لا يمكن الاعتماد كثيرًا على كلامه، كان إنسانًا متقلّب المزاج.

عصرًا، أخرج «**حامد**» أحد الإخوة العاملين في المطبخ؛ لكونه دافع عن حقّ الأسرى[1]. وعندما أرادوا ضربه، نادوا «**أميرًا**»، وقالوا: «**أمير**»، تعالَ واضربه أنت!

قام العمّ «**إبراهيم**»، وأخذ السلك من يد «**أمير**». لقد كان «**أمير**» طفلاً بسيطًا،لا يدرك ما يفعل، وسريع الانخداع. اقترب «**سامي**»، الذي كانت تعلو وجهه ضحكة ذات معنىً، منّي وقال: «**أرأيت يا ناصر سليمان؟**»

- نعم، الآن فهمت قصدك!

- هذا ما كنت أريد أن أقوله لك!

ماذا ننتظر من أسير ذي تسع سنوات، لعلّ أيّ أسير آخر مكان «**أمير**»، كان سينخدع. لقد حالف «**أميرًا**» الحظّ، لأنّ؛ عمّه وأخويه كانا يرعيانه.

(1) «**كريمي**»، أحد العاملين في المطبخ، عندما أراد أحد حرّاس العنبر أخذ نصف خروف من حصّة الأسرى من المطبخ، وقف بوجهه، وقال: «**نصف الخروف هذا هو حصّة مئة أسير إيرانيّ!**» عندئذ صفعه الحارس العراقيّ على وجهه، ولما أراد أن يوجّه له صفعةً أخرى، أمسك كريميّ بيده ولواها. لم يستطع الحارس العراقيّ منافسة كريمي.

لو كان «**أمير**» قد ضرب الأسرى نيابةً عن العراقيّين، لكان العراقيّون قد أذاعوا عمله هذا، وقالوا: «**كم أنتم وضيعون أيّها الإيرانيّون، فحتّى أسير ذو تسع سنوات منكم لم يرحمكم، وقد ضربكم نيابةً عنّا!**»

بعد نوبة الإحصاء الليلي، ذهبتُ ثانيةً إلى «**أمير**»، تحدّثتُ إليه مطوّلاً...: لم تكن مقاتلاً (كنت مدنيًّا)، وقد قضى العراقيّون على حياتك؛ أخذوا خرافك، ألم يتوسّل «**إبراهيم**» إليهم ليأخذوه هو، ويتركوك وشأنك، هؤلاء الذين يظهرون لك كلّ هذه المحبّة، لماذا لا يسمحون لك بمقابلة الصليب الأحمر... أم ينبغي لك، وأنت في هذه السنّ، أن تقضي فترة أسرك إلى جانب الأسرى «**المفقودي الأثر**»؟!»، ومثل هذا الكلام.

عندما تحدّثت إليه، تأثّر بكلامي، واقتنع به. لكنّ طبيعته الطفولية اقتضت أن يحدث «**سلوان**» بكلّ ما قلته له في اليوم التالي، وأن يكون في تصرّفه، وكما يريد هو!.

السبت11 آذار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

عصر البارحة، قال «**علي جار الله**» لـ «**رامين حضرت زاد**»: اِتُّخِذَ القرار بتفقد العنبر، وتفتيش أمتعتكم الشخصيّة غدًا.

من بداية مجيئنا إلى العنبر، كانت علاقة «**علي جار الله**» بـ«**رامين**» وثيقة وجيّدة. فقد كان شيعيًّا من أهالي مدينة سنجار، إحدى توابع محافظة نينوى، يقارب الخامسة والأربعين من العمر، ودودًا وكتومًا، قصير القامة، شهل العينين، خفيف شعر الأهداب، ورفيع الشارب.

كان أكثر الحرّاس معرفةً باللغة الفارسيّة، فقد علّمه رامين الكثير من كلماتها، حتّى لقد استدعى العراقيّون «**رامين**» عدّة مرّات إلى غرفة رئيس الحرّاس؛ ليعرفوا السرّ الذي بينه وبين «**عليّ جار الله**»، لكنّ «**رامينَ**» كان إنسانًا متحفّظًا وكتومًا.

مساء البارحة، أخبرني رامين، وبعض الإخوة، الذين يثق بهم، عن مسألة التفتيش. منذ أن جرت المفاوضات بين وزيرَي خارجيّة إيران والعراق في مقرّ الأمم المتّحدة، أعلنت الصحف العراقيّة خبر تحرير الأسرى المعوّقين والمرضى. كنت قد كتبت أسماء أكثر من 400 أسيرٍ من «**المخيّم الملحق**» على أوراق علب السجائر، وهوامش الصحف، وقد خبّأتُ الأسماء في عصاي، وللاحتياط، أودعت لدى «**محمّد كاظم بابايي**» نسخة أخرى أيضًا. لقد صدَّقْنا بأنه سيُفرج عنّا خلال الأيّام القليلة القادمة.

في تلك الأيّام كنت منهمكًا بتجهيز لائحة بأسماء أسرى العنبر، الذين لم يكونوا في «**المخيّم الملحق**»، وقد ساعدني في ذلك «**محمّد كاظم بابايي**» و«**على أكبر فيض**»، فقد بدأنا منذ أسبوع تدوين أسماء أسرى العنبر خفيةً. ومنذ اليوم الذي انتشر فيه خبر تحرير الأسرى المُعوّقين، كان الأسرى الأصحّاء يعطون عناوينهم، وأرقام هواتفهم للجرحى. قال لي المهندس غلام رضا كريمي: «**سيدّ! أستحلفك بالله، أن لا تنسانا، عندما تذهب إلى إيران، ولا تنسى تسليم أسمائنا إلى الهلال الأحمر!**»

عند سماع خبر التفتيش، أخفى عددٌ من الأصدقاء المقرّبين لـ«**رامين**» ما يملكون من الوسائل الممنوعة والأشياء ذات الرؤوس

الحـادّة، كالأقـلام، والأوراق، والدعاء، والشّفـرة، والمسمار، والإبرة و...، كلّهـا بين طيّات الوسائد الإسفنجيّة. كان من غير الممكن إفشاء أمـر التفتيش؛ لأنّ ذلـك كان سيضـرّ بـ«**علـي جـار الله**»، الـذي جعل «**راميـن**» موضـع ثقته. أعطى عدد مـن الجرحى كتاباتهـم وأدعيتهم المكتوبة للجرحى، فأثناء التفتيش لم يكن العراقيّون يفتّشون ضمادات الجرحى، لم يكونوا يتصـوّرون أنّ الجرحى يخفون الأشياء الممنوعة، وكتابـات بعضـ الأسـرى الأصحّـاء فـي طيّـات ضمـادات أعضائهم المجروحة.

فـي الحقيقـة، كان قلبـي لا يـزال غير مطمئـنّ لـ«**عليّ جـار الله**»، فعندمـا كنـت أتذكّر كلمات «**لطيـف دهقـان**»، لم أكن أثـق بالحرّاس العراقيّين بهذه السهولة. مع ذلك، كنت لا أنسى تعاطف «**توفيق أحمد**» فـي مستشفى الرشيد ببغداد، كما كنت أثق بـ«**سامي**». قلت لـ«**رامين**»: «**رامين**»! كم هو مقدار معرفتك بـ«**عليّ جار الله**»؟

كان «**راميـن**» علـى علاقـة وثيقـة به، وكنـت أصدّق كلّ مـا يقوله، «**فرامين**»، على حدّ علمي، ليس بالشخص الذي يسهل خداعه. ضحك «**رامين**» وقال باطمئنان:

«**سيّد! أثق به بمقدار ما أثق بك!**»

وليثبت رامين أنّ «**علي جار الله**» رجلٌ شفوق وخيّر، تابع:

– أوَلم يخبرنا البارحة أنّهم سيفتّشون أمتعتنا؟

– نعم، جيّد!

– جيـد، إذا فتّش العراقيّـون أمتعتنا اليوم، سيتّضح كم هو صادق، وكم يريد أن يساعدنا!

قبل الظهر، دخل العراقيّون العنبر، قبل أن يتوجّهوا إلى أمتعتنا، أجلسوا الإخوة في صفّ الإحصاء، وفتّشوا الجميع. بحث الحرّاس عن الأكياس الخاصّة، فتّشوا في البطّانيّات والوسائد الإسفنجيّة، فقد تناهى إلى مسامعهم أنّ الإخوة أخفوا لوازمهم الممنوعة بين طيّاتها، لذا، مزّقوا كل الوسائد الإسفنجيّة، واستمر التفتيش هذا اليوم ثلاث ساعات. المكان الوحيد الذي لم يفتّشوه، كان داخل ماسورة عصيّ الجرحى، وطيّات ضمادات جروحهم. أثناء تفتيش أمتعتنا، كان نظري منصبًّا على «**عليّ جار الله**»، تيقّنت أنّه عراقيّ مضحٍّ. لا أعلم كيف أصبح مستعدّاً للمخاطرة من أجلنا. في حملة التفتيش اليوم، لم يجدوا شيئًا هامًّا. وبسبب بعض المسامير، التي كان نحّاتو المخيّم يتخذونها كأدوات للحفر والنقش، انهال العراقيّون على الإخوة بالضرب.

في حملات التفتيش التي لم يكن الحرّاس يجدون فيها شيئًا من الممنوعات، كانوا يتّبعون أسلوبًا خاصًّا، فيه الكثير من الخِسّة، كما فعلوا اليوم، وكي لا تَظهر خيبتهم؛ كانوا يضعون خلسة، وبنحو لا يراهم فيه أحد، بعض الممنوعات كالسكّين والشفرة، والمسمار، أو أيّ أداة ممنوعة أخرى بين أمتعة الإخوة، ومن ثمّ يلتقطونها ويشيرون إليها، قائلين: لمن هذه؟

لم يذكروا يومًا في كيس من وجدوا تلك الأدوات. نحن أيضًا لم نكن نستطيع إثبات عدم مخالفتنا للقوانين، فكلّ واحد منّا كان يظنّ أنّ ذلك الشيء الممنوع خاصّ بأحد الأسرى، والحال أنّه لم يكن خاصًّا بأيّ أسير.

بعد التفتيش، قال لي «**رامين**»: سيّد! كيف رأيت «**علي جار الله**»؟

ضحكـت، وكنت قد تيقّنــت أنّ «**علي جار الله**» إنســان صادق. قلت «**لرامين**»: «**إنّه إنسان جيّد، خسارة، هو في صفوفهم!**»

الاثنين 20 آذار 1989م ـ تكريت ـ المخيّم 16

كانــت الليلة الأخيرة مــن العام 1367شمســي[1]. كان «**عليّ كلابي**» يعاني من ألم في العين، فقد التهبت عينه بشكل كبير؛ ولم يكن مستعدًّا للذهاب إلى الدكتور «**جمال**» بسبب معاملته السيّئة للجرحى.

أُسِــرَ «**علــيّ**» مــع 12 من رفاقــه المجاهدين في جزيــرة «**مجنون**» الجنوبيّــة، لــم يبقَ أحدٌ من هــذه المجموعــة حيًّا سواه، فقــد أخبرنا أن الضابــط العراقــيّ أمــر الجميع بالتمــدُّد على الأرض؛ لكــي يُرمَوا بالرصاصـ. أصابت رصاصــة عين عليّ، فأطفأتهــا، بقي حتَّى غروب ذلــك اليــوم غائبًا عن الوعــي. أخبرني «**عليّ**» عن ذلــك اليوم المرير قائــلاً: «**أستفقـت قبـل الغـروب، حيـن نظـرت حولي، وجـدت جميع رفاقي قد أصبحوا في عداد الشهداء!**»

«**كان ذلـك اليـوم، أي 25 حزيران 1988، بالنسبـة إليّ يومًا مريرًا، ومفعمًا بالذكريات**».

الثلاثاء 21 آذار 1989م ـ تكريت ـ المخيّم 16

أمضينا العيد بهدوء، كنت أودّ أثناء «**تحويل السنة**»[2] أن أكون إلى جانب عائلتي، وكنــت أتمنّى هذا لكلّ رفاقي في الأسر، كان الكثير من

(1) يبدأ العام الشمسي الهجري، التقويم الإيرانيّ، في 21 آذار من كلّ عام ميلاديّ.

(2) مصطلح يُطلق عند بداية العام الإيرانيّ الجديد، ويتمّ الاحتفاء بالمناسبة، والدعاء لجعلها سنة خير بدعاء تحويل السنّة: «**اللهمّ محوّل الحول والأحوال، حوّل حالنا إلى أحسن حال**» (مركز نون).

الإخوة منزعجين ومنقبضي الحال؛ فمعظمهم كان يائسًا من مجيء يوم يتحرَّرون فيه. قلت لـ «**علي أكبر فيض**»: «**علي! إن شاء الله نكون العيد القادم في إيران!**»

- في المنام!

- لِمَ في المنام؟ لن نظلّ في هذا السجن إلى الأبد!

بالأمس وعدتُ الحاجّ «**سعد الله**»، والحاجّ «**حسين شكري**» أن أهيّئ لوازم سفرة «**السينات السبع**». فالتفّاح (سيب)، والثوم (سير)، والخلّ (سركة)، والنقود (سكّة)، وحلوى السمنو، والسمّاق والخضار (سبزة) غير متيسّر في الأسر، لكنّي كنت أودّ أن يوجد على سفرة «**السينات السبع**» خاصّتنا، سبعة أشياء تبدأ بحرف السين. وقد هيّأ الله لنا اليوم سينات سبع مختلفة: قطعة حجر (سنك)، سلك شائك (سيم خاردار)، إبرة للخياطة (سوزن خيّاطي)، بطاطا (سيب زميني)، علبة سجائر (سيكار سومر)، حقنة (سرنغ)، ومصل بلاستيكيّ (سرم)!

أخذ «**محمّد كاظم بابايي**» الـ«**سرنج**» من «**أبي الفضل صادقيان**»، العامل في قسم مستوصف المخيّم، وأحضرت أنا بطريقة ما المصل البلاستيكيّ (سرم)، والسلك الشائك (سيم خاردار)، والحجر (السنك)، أمّا إبرة الخياطة (سوزن) فكانت «**ليزدان بخش مرادي**»، وأحضر «**كريم دلفي زاده**» البطاطا (سيب زميني) من المطبخ، والسجائر كانت «**لمعزّ الدين أصغري**»، وصنع «**محمود يوسفي**»، أحد أبناء ملاير، سمكةً من العجين. قرأ الحاجّ «**سعد الله**» دعاء تحويل السنة: «**يا مقلّب القلوب والأبصار، يا مدبّر الليل والنهار، يا محوّل**

الحول والأحوال، حوّل حالنا إلى أحسن حال».

في الليل، أدخل الإخوة سنّة التزاور إلى العنبر، وتصالح بعض الإخوة ممّن كانوا متخاصمين. لقد بدّلت لحيتا الحاجّ «**سعد الله**» والحاجّ «**حسين**» الكثير من العداوات إلى محبّة؛ فتصالح الكثير ممّن كانوا قد تخاصموا لأسباب تافهة.

الأحد 26 آذار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

قبل عدّة أيّام، أجبرنا العراقيّون في صفّ الإحصاء، أثناء الجلوس والقيام، على شتم الإمام!

لا أدري لِـمَ كان يجب أن يبدأ إحصاء الصباح، والظهر، والمساء عام 1368ش (1989م) بشتم الإمام؟ بعد صدور الفتوى التاريخيّة للإمام الخمينيّ بحق المرتدّ سلمان رشدي، حلّت محبّة خاصّة للإمام في قلوب المسلمين، ومن جملتهم أهل السنّة. بعد هذه الفتوى، أصبح بعض حرّاس المخيّم من أهل السنّة، الذين كانوا من قبل يسبّون الإمام، يذكرون اسم الإمام بكلّ احترام.

لم يكن الإخوة مستعدّين للشتم (أثناء العدّ والاحصاء)، والعراقيّون لم يتراجعوا، فقد كان هذا أمرًا صادرًا عن صدّام مباشرة. وكأنّه عُمّم على جميع المخيّمات، أن يقوم الأسرى صباحًا وظهرًا ومساءً، بشتم الإمام!

عندما يدخل أحد ضبّاط المخيّم العنبرَ للعدّ والإحصاء، كان المسؤول الإيرانيّ عن العنبر يقف، ويصرخ «**استعدّ**»، وكان العراقيّون يقولون: ينبغي أن يقوم الأسرى بشتم الإمام وهم يضربون أرجلهم

بالأرض [وكأنّهم يؤدّون التحيّة العسكريّة] مباشرة بعد تلفّظ المسؤول بكلمة «**استعدّ**».

حيـن أُعلنت حالة الاستعداد، وضرب الإخـوة أرجلهم بالأرض، لم يقم أحدٌ بشتم الإمام؛

عندهـا انهـال العراقيّون علينـا ضربًا بالأسلاك والهـراوات. لقد قاوم الإخوة اليوم بشدّة، ولم يلتزموا بهذا التعميم.

كان «**علـيّ جـار الله**» ينزل سلكـه بهدوء على ظهر الإخـوة. قال له «**رامين**» يومها: «**سيّدي! اضربنا بقساوة، حتّى لا يشكّنّ فيك أحد!**»

طلـب إليـه «**راميـن**» عـدّة مـرّات أن يعبس، وأن يتظاهـر بالغلظة والقسـوة، وأن يضربنا كمـا يضربنا الآخرون. لم نكـن نحبّ أن يعرّض نفسـه للخطر بسببنـا. لم يستمع «**عليّ جـار الله**» لكلام «**رامين**»، ولكي لا ينزعـج «**راميـن**»؛ كان أحيانًـا يتظاهـر بالقسوة، وحينـذاك لم تكن السماحة تغادر وجهه.

لـم يتوانَ العراقيّـون، وكأنّ هذا الأمر ينبغي أن يُنفّذ بأيّ ثمن كان. كان رئيـس الحرّاس يقول: «**سيسيـل حمّام من الدماء فـي المخيّم**». لم يقم أحد بشتم الإمام سوى المنافقين، وبعض الأفراد الذين باعوا أنفسهم، واللّامبالين.

فـي الأيّام التالية دبّر الإخوة خطّة، إذ عملوا على تحريف الكلمات، وأطلقـوا الشعار. عندما كان الإخـوة يطلقون الشعار، سُرّ العراقيّون لأسابيع عدّة. أخيرًا، فهم العراقيّون أنّ الإخوة يقولون مرد مرد خميني (الخمينـيّ، رَجُل، رَجُل) بدل مرك بر .. (الموت لـ ...)، أو مرد است خمينـي (الخمينيّ رَجُل). في العنبر كان ثلاثة من الإخوة يقولون بدل

مرك بر .. : برق رفت خميني! (انقطعت الكهرباء يا خمينيّ).

عندما فهم العراقيّون أنّ الإخوة استبدلوا كلمة «**مرك**» بـ «**مرد**»، أو «**برق**» انهالوا علينا ضربًا، وآذونا كثيرًا؛ قلّلوا حصّتنا من الطعام، ضيّقوا علينا بالماء، وبساعات الذهاب إلى المراحيض، والخروج من العنبر، واستخدموا كلّ وسائل الضغط علينا.

لو لم يصل الأمر عن طريق الجواسيس، ومن باعوا أنفسهم، الذين يسمّيهم الإخوة «**الأنتينات**» [الهوائيَّات]، إلى مسامع العراقيّين، لم يكونوا ليفهموا أبدًا أنّ الإخوة بدّلوا الكلمات وحرّفوها[1].

السبت 8 نيسان 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

دخل الحرّاس العنبر. ما إن اصطفّينا حتّى بدأوا بتفتيش أمتعتنا، ومن دون مقدّمات، قال سعد: «**أين الراديو؟**» كان الإخوة ساكتين، فحيازة راديو جريمة كبرى. أخرج الحرّاس كلّ من شكّوا فيه.

بأمر من الملازم «**فاضل**» عصّبوا أعين الإخوة بقطع من القماش، لم أكن أعلم ماذا كانوا يريدون أن يفعلوا بهم، ثمّ جعلوهم في صفّين متقابلين، كلّ صفّ 20 نفرًا، يفصل بين الصفين 30 مترًا. أمر الملازم «**فاضل**» أن يركضوا بأقصى سرعة، الصفّ باتجاه الآخر،

(1) كان الإخوة الذين يأتون من مستشفى القادسيّة في تكريت يقولون: أراق البعثيّون بسبب الاعتصام الذي أقامه الإخوة في المخيّم (12)ـ تكريت، من أجل الطعام، نهرًا من الدماء. كان النقيب «**جمال**» قائد المخيّم (12) يؤذي الإخوة بأشدّ ما تكون الأذيّة. كان الإخوة يقولون: إنّه لم يرحم حتّى الأسير «**مهدي تجر**» الذي قُطعت كلا رجليه. وقد التقى الإخوة بعضاً منهم في مستشفى القادسيّة في تكريت. بعضهم كُسر فكّه وأسنانه إثر الضرب بالهراوات. شخص أو شخصان منهم تمزّقت شرايينهما وأُصيبا بنزيف داخلي. قال النقيب «**جمال**» لهم: أنتم هنا لا تشملكم أيّ من القوانين الدوليّة. لو متّم كلّكم هنا، لا نتعرّض للمساءلة!

وهـم معصوبو الأعين. كان أسلوبـاً جديدًا، وكان الإخوة مجبرين على تنفيذ الأوامر. عند الركض بأقصى سرعة، كانوا يصطدمون ببعضهم بشدّة، ويسقطون أرضًا.

بعـد عدّة أيّام عرفت أنّ العراقيّيـن كانوا يكذبون بشأن حيازة أحد الأسـرى لجهاز راديو، وقد حصل أحـد الجواسيس بسبب هذه الكذبة على علبة سجائر!

الأربعاء 26 نيسان 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كانـت هذه الليلـة ليلة القـدر. ذهبـت والسيّـد «**محمّـد شفاعت**» بمحـاذاة الأسلاك الشائكة، كنّا نبحث عن مصحـفٍ، كان مع الإخوة قرآن، وبعض أدعية المفاتيح المكتوبة بخطّ اليد.

بعـث السيّد «**محمّـد**» وراء السيّد «**فاضل فضليـان**»، حضر السيّد «**فاضـل**»، الـذي كان مـن أسـرى العنبـر رقـم (4)، وراء الأسـلاك الشائكة. لم يكن الحرّاس يسمحـون لأسرى العنبرين بتبادل الحديث مـن خلف الأسلاك الشائكة، ولكي لا يفهـم الحرّاس شيئًا، قال السيّد محمّد للسيّد فاضل باللهجة اللوريّة:

- سيّد فاضل! وَ اوُ تشيل «**ملّا غريب**» نداري؟[1]
- بالطبع عندي!

لـم يفهم أحد مـا قاله السيّد «**محمّد**» سـوى السيّد «**فاضل**». حتّى أنـا، لم أكن أعلم المقصود من «**المـلّا غريب**». عندما دخلت العنبر، سألت عن قصّة «**الملّا غريب**» هذه؟

---

(1) لديك «**ملا غريب**»؟

فضحك وأخبرني القصّة![1]

مـن خلال تجميـع الأسـرى لأوراق أكياس الأسمنـت، وأوراق علب السجائـر البرّاقة، وكتابة أدعيـة المفاتيح، والسـور القرآنيّة، صنعوا كتيبـات جيب جميلـة. معظم المصاحـف المكتوبة بخـطّ اليد، كانت تدور بالتناوب بين الإخوة، فكان كلّ شخص يستفيد منها مدّة ساعتين أسبوعيًّا.

لقـد حفظ الكثير من الإخوة من خـلال كتيّبات الجيب هذه، أدعية المفاتيح والسور القرآنيّة. وقد منح الإخوة الثقافيّون الأشخاص الذين حفظوا في المرحلة الأولى الجزء الأخير من القرآن هدايا من الأشغال اليدويّة.

أحيانًـا كنّا نحتاج إلى كمّيّة أكبـر من الأوراق، فكان الإخوة يضعون علب مساحيق غسيل الثياب الخالية في الماء حتّى تنتقع، ومن ثمّ كانوا يفصلـون بعضها عن بعضـ ويجفّفونها، وبعد جفافهـا، كانوا يصفّون بعضها فوق بعض، ويكتبون عليها.

عندمـا كنّا نحتـاج إلى استعمال القلـم بشدّة، كنّـا نضطرّ لتجاوز الخطـوط الحمراء، فـكان الأسرى الذين يتولّـون تنظيف غرفة رئيس الحرّاسـ، يسحبون الحبر من أقـلام العراقيّين التي كانت توضع على مكاتبهم عن طريق حقنة (السرنـج)، ويفرِّغونها في أنابيب أقلامهم الخاليـة، ولإخفاء الأقـلام، كنّا نضع الأنابيـب الداخليّة لها في أنبوب

(1) «**الملاّ غريـب**» علويّ النسـب من أهالي قرية «**جغل**» فـي منطقة كهكيلويه. كان كاتـب أدعية محلّي، يؤمـن الناس به وبأدعيته. وكان رجـلاً متعبّداً، ممتثلاً لأوامر الشرع، ومن أهل الروحانيّة. وكان يأنس بالقرآن أنساً استثنائيّاً. كان قصد السيّد «**محمّد**» من ذكر اسم الملّا غريب، أدعية المفاتيح، والآيات القرآنيّة المكتوبة بخطّ اليد.

معجـون الأسنان، أو بين طيّات المسانـد الإسفنجيّة، أحيانًا كنّا نهيّئ لها مكانًا داخل العِصِيّ.

الجمعة 28 نيسان 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

الليلة ليلة القدر، ليلة الأنس بالقرآن، وقد أغضبَ العراقيّين شروُعُنا بالتلاوة. لم يسمح العراقيّون لنا بإحياء الليل، كان صوت تلاوة القرآن يُسمـع في كلّ أنحاء العنبـر وكان القرآن مصدرًا لسكـون أرواحنا في جـوّ المخيّم الكئيب. وعلى الرّغم من أنّنـا كنّا مجبرين على النوم في الساعة التاسعة، تمنّى الحاجّ «**حسين شكري**» على الحرّاس أن يتركوا الأسرى هـذه الليلة وشأنهم. بقي العراقيّون على موقفهم، وقالوا لهم: ما إن يُطلب منكم الالتزام بوقت النوم، على الجميع الذهاب إلى النوم.

قال«**يـزدان بخش مرادي**»: المهمّ أنْ نشغـل أنفسنا بهذه الأعمال؛ اسمحـوا لنـا أن نقـوم بأعمال هـذه الليلة؛ فلـن يضرّكم ذلـك شيئاً، وستكونون شركاءنا في الثواب.

قال سلوان: «**أنتم تطلبون منّا أن نضع السلاح بين أيديكم؟!**»

أجاب يزدان بخش: «**أيّ سلاح، هل تعي ما تقول أصلاً!**»

قال سلوان: «**أنتم تقاتلوننا بأدعيتكم هذه، وهل عندكم سلاح آخر غير الدعاء؟!**»

كان أحد الأسرى المتعاملين مع العراقيّين، قد ألّب العراقيّين علينا مـن خلال توضيح عبـارة «**الدعاء سلاح المؤمن**»، وقـال للعراقيّين: «**اتّقوا دعاء الأسرى الصائمين!**»

قـال الحاجّ «**سعد الله لسلوان**»: ويل لأمّة تحسـب نفسها غنيّةً عن

توجّه وعناية أهل البيت عليهم السلام.

الليلة، حَرَمَنَا «**شفيق عاصم**» (ضابط القسم السياسيّ البعثيّ التكريتيّ)، من بركات إحياء ليلة القدر.

الثلاثاء 2 أيار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليوم، تمّ الإمساك بأحد الأسرى بعد أن حاول الفرار، كان من أسرى المخيّم (15). يقع هذا المخيّم على بعد 200 م جنوب مخيّمنا، وكما قيل، فقد ألصق نفسه بأسفل سيارة الآيفا، حاملة الخبز، أو السيّارة التي تنقل نفايات المخيّم إلى الخارج.

أثناء خروج سيّارة الآيفا من الباب الثاني للقاعدة وقع الأسير الإيرانيّ بأيديّ حراس البوابّة. بالإضافة لبوّابة المخيّم، كان للقاعدة التي تحوي مخيّمات للأسرى المفقودي الأثر، ثلاثة حرّاس، كلّ واحد منهم أكثر تشدُّدًا وغلظة من الآخر. كان الحرّاس عند خروج الآليّات يفتّشون أسفلها.

ولكي لا يفرّ الأسرى بين أكوام النفايات، في السيّارة الحاملة لها، كانوا يطحنون النفايات بواسطة جهاز خاصّ.

فقد شكّل فرار أسيرين إيرانيّين من «**مخيّم الموصل** (2)»[1] في زمن الحرب، طعنةً في كبرياء العراقيّين. وكانوا يقولون: «**انتُهكت حيثيّتنا العسكريّة والأمنيّة**». لم يكن يوجد أيّ منفذٍ للفرار في «**مخيّم تكريت**»، وعلى حدّ قول «**سعد**»، رئيس الحرّاس: بعد فرار هذين

(1) «**زاكرس ميراني**» و«**محمّد رضا عبدي**» هما الأسيران اللذان كانا قد فرّا من «**مخيّم الموصل** (2)». وقد نُشرت مذكرات محمّد رضا عبدي في كتابه «**الفرار من الموصل**» من قبل منشورات سوره مهر برعاية مكتب الأدب والفنّ المقاوم.

الأسيريـن الإيرانيَّيـن من الموصل، عزل صدّام القائـد العامّ للأسرى الإيرانيِّيـن في العراق، وعيّن مكانه العميـد الركن «**حميد نظر**»، وقال صدّام في لقاء مع حميد نظر: «**أيّها العميد الركن! إذا فرّ أسير إيراني مـن مخيّمـات العراق، فمن الأفضل أن تفرّ أنت أيضًا من البلاد، وإلّا ستلقى حتفك قبل أن تطأ رجلا ذلك الأسير أرض إيران**»!

كان «**حميـد نظـر**» قد نقـل كلام صدّام هذا إلى قـادة المخيّمات، وقد نُقلت تهديدات صدّام ووعيده إلى الجميع، من أعلى سلسلة الرتب إلى أدناها. فهدّد «**صدّام**» «**حميد نظر**»، وهدّد «**حميد نظر**» بدوره كلّ قـادة المخيّمات، وقادة المخيّمات هدّدوا رؤسـاء الحرّاس، والحرّاس هدّدونا وتوعّدونا.

سبّبـت لنا عمليّة الفـرار غير الموفّقة للأسيـر الإيرانيّ مزيدًا من التشدُّد والقسوة؛ فازدادت نوبات الإحصاء اليوميّ من ثلاث إلى خمس مرّات، وأُضيف إحصاء قبل الظهر، وبعد الظهر إلى إحصاء الصباح، والظهر، والمساء.

حاول أسير آخر الفرار داخل صهريج المياه، فعلق داخل الصهريج ومـات. لم يستطـع الخروج مـن صهريج الميـاه، وبقيـت جثّته داخل الصهريـج ثلاثة أو أربعة أيّام، فكنّا نشـرب من الصهريج الذي كانت الجثّـة فيـه. فاحت رائحـة الجيفة من المـاء، ظنّ الجميـع بأنّها مياه البئر. بعد أسبوع، حين تفقّدوا الصهريج، سحبوا جثّته المهترئة.

كان الجلوس في صفّ الإحصاء، لخمس مرّات يوميًا، أمرًا منهكًا، ومدعـاةً للعـذاب. كنّـا نحن الجرحـى، وكبار السـنّ أشـدّ معاناةً من الجميع.

كان الإخوة صائمين. اختار الأسير الإيرانيّ الوقت الأسوأ للفرار. لا أدري كيف يتقبّل البعض من خلال فرارهم تصعيب الحياة على عدّة آلاف من الأسرى الإيرانيّين. إذا كان واحد أو اثنان سيرتاحان بفرارهم من عذاب السجن، لكن يبقى على أربعة آلاف أسير إيراني أن يدفعوا ثمن فرارهم.

وأدنى معاقبة على الفرار كانت زيادة نوبات الإحصاء من ثلاث إلى خمس.

جُمِع الإخوة في فناء المخيّم، وبأمر من الملازم «**فاضل**»، أُجبروا على التمرّغ بالتراب، وأمر الملازم فاضل الحرّاس برمي الأسرى في قناة الصرف الصحّي، ودُفع بعضهم، ممّن قاوم، في قناة الصرف الصحّي بواسطة الأسلاك والهراوات.

جاء الإخوة زحفًا بتلك الألبسة المتّسخة والمبتلّة إلى مدخل العنبر، كانت رؤوسهم ووجوههم متّسخة، وملابسهم متنجّسة، وملوّثة بالتراب، وقد فاحت رائحة النجاسة في العنبر كلّه.

بعد هذه المشاكل والعذابات، إذا كانت لدى أسير ما خطّة للفرار، سينصرف عنها بسبب الأضرار التي سيُلحقها فراره بعشرين ألف أسير إيرانيّ «**مفقود الأثر**».

الأربعاء 3 أيار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

مضت ساعة على الإفطار، أُصبنا بالإعياء من شدّة الجوع. وقف العمّ «**إبراهيم**»، أكبر الأسرى في العنبر، من دون أخذ الإذن، وخرج من صفّ الإحصاء قاصدًا كيسه الشخصيّ، أخرج كسرة خبز منه،

وراح يتناول إفطاره دون اكتراث، كان يشكو من ألم في المعدة، ومع ذلك كان يصوم، كان إنسانًا نحيفًا، وقليل الصبر، تثور ثائرته بسرعة؛ لعلّ ذلك يعود إلى طبيعة كِبَرِ السنّ. عندما كانوا يوجّهون الإهانات له، كان يغضب بسرعة. كان الإخوة يقولون له: عمّ «**إبراهيم**»! دارِ العراقيّين قليلاً، ما دمنا نحن هنا، علينا تنفيذ أوامرهم؛ لأنّهم لم يتمكّنوا من هزيمتنا في الجبهة، فهم يعوّضون الخسارة هنا، صحيح أنّك لست عسكريًّا، لكن دارِهم من أجل عائلتك، ما من سبيل أمامنا، علينا أن نتماشى مع قضايا المخيّم، وقوانين هؤلاء البطّالين. لكن الكلام لم يُجدِ نفعًا.

في شهر رمضان المبارك، لم يستطع الكثير من الإخوة الجلوسَ بأمعائهم الخاوية في صفّ الإحصاء، وقد أُصيب بعضهم بالإعياء، وسقط أرضًا.

غضب «**وليد**» عندما وقف العمّ «**إبراهيم**» في صفّ الإحصاء، فحتّى الوقوف في صفّ الإحصاء كان يتطلّب أخذ الإذن، لم يأذن «**وليد**» له، صاح «**وليد**»، فيما كان يراقب بنظره العمّ «**إبراهيم**» من خلال الطاقة الصغيرة لمدخل العنبر، بأعلى صوته، وطلب منه الرجوع إلى صفّ الإحصاء، والجلوس في مكانه، لم يكترث العمّ «**إبراهيم**»، وظلّ يتناول كسرات خبزه.

كثيرًا ما كان يحدث أنّه إذا ما اشتكى أسيرٌ من الجلوس الطويل في صفّ الإحصاء، كان الحرّاس يزدادون عنادًا، ويبقونه لفترة أطول، وكون العمّ «**إبراهيم**» لم يرجع إلى صفّ الإحصاء، جعل «**وليداً**» يستشيط غضبًا. لم تُجدِ ضغوطات «**وليد**» لإجلاس العمّ «**إبراهيم**» في

صـفّ الإحصاء. ما إن علا صوت صفّـارة الانتشار، حتّى هرع الإخوة، من شـدّة الجوع، إلى أوعيـة الطعام. كنت قلقاً على العـمّ «**إبراهيم**»، دخـل «**وليد**» العنبر، وأخذ بعنقه، وأحضـره إلى وسط العنبر، المكان المخصّص للإحصاء، قائـلاً له: «**إنّك شيخ عنيد، عليك أن تجلس ساعةً في صفّ الإحصاء!**»

كان جميـع الحرّاس، ما عـدا «**وليـد**» و«**عطيّـة**»، يحترمـون العمّ «**إبراهيـم**». عندمـا أحسّ «**وليـد**» بحنـق الأسـرى عليـه قـال: علـى «**إبراهيـم**» أن يجلس ساعة في صـفّ الإحصاء؛ بسبب عـدم امتثاله لقانون الإحصاء، لا فرق عندي بين الشيخ والشابّ، مفهوم؟!»

كان إفطـار الليلة أشـدّ الافطارات مرارةً. كان الإخـوة يتألّمون في الصميـم لمظلوميّة العـمّ «**إبراهيم**»، ويكيلـون اللعنات لـ«**وليـد**»، وأنا أيضًا لعنته في قلبي.

لم تُجدِ توسّلات وتمنّيات «**عليّ جار الله**». حاول «**مسعود شفاعت**»[1] أن يقـوم بعمل يجعل «**وليـدًا**» يترك العمّ «**إبراهيـم**» وشأنه، وقد حاول الاستفـادة مـن بعض الأحاديـث والروايات قائلاً لـه: «**صحيـح أنّك تستطيـع القيـام بكلّ ما تريده، لكنّ الله سينتقم منك بسبب أفعالك هـذه، هـذا الشيخ الكبير يتألّم، لعناته تـؤدّي إلى خراب عيش المرء، خفِ الله!**»

عندما تابـع المهندس كلامه، غضـب «**وليـد**»، وأجلسه إلى جانب «**العمّ إبراهيم**».

---

(1) كان المهندس «**مسعود شفاعت**» من الإخوة فـي مؤسّسة جهاد البناء في فارس. بعـد التحرّر أصبح مسؤول أمور الجرحى في مؤسّسة جهاد البناء في محافظة فارس.

وحين لم يؤدِّ كلام المهندس «**شفاعت**» إلى نتيجة، ذهب المهندس «**غلام رضا كريمي**» إلى «**وليد**» وكلّمه، لم يقنع «**وليد**» بترك العمّ «**إبراهيم**» وشأنه. في النهاية، نادى المهندس «**كريمي**» المترجمَ «**حكيم خليفان**»، وطلب إليه أن يترجم لـ«**وليد**» هذه الأبيات من شعر«**بوريا ولي**»:

إذا كنت أميرًا على نفسك، فأنت رجل
وإذا لم تبحث عن عيوب الآخرين فأنت رجل
ليس الرجل من يرفس من سقط أرضًا
إنّما الرجل من يأخذ بيده

السبت 6 أيار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

عصر اليوم، دخل الحرّاس العنبر بالأسلاك والهراوات. لم يرحموا جريحًا، أو كبيرًا في السنّ، لم أكن أدري ما الخبر، انتابني الفضول لأستعلم الأمر. قال «**عطيّة**»، وقد كان رجلاً فظًّا: لقد كتب الأسرى على الحائط خلف باب أحد المراحيض كلامًا مسيئًا لصدّام«. **ومن جملة ما كتبوه:**

– اليوم هو يوم ميلاد صدّام، لطفًا، بعد قضاء حاجتكم، أريقوا الماء جيّدًا لكي يصبح قصر صدّام نظيفًا!

منذ عصر اليوم، قُطعت المياه عنّا، أظنّ أنّنا كنّا نستحق العقاب!

الأحد 7 أيار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليوم، لم يسمح العراقيّون لنا بتأدية صلاة عيد الفطر جماعةً، وباءت محاولات الحاجّ «**سعد الله كل محمّدي**»، والحاجّ «**حسين**

شكري» بالفشل، مع أنّ عيد الفطر هو العيد الأساسيّ عند العرب، إلّا أنّ صلاة الجماعة كانت ممنوعة، فصلّى الإخوة صلاة العيد فرادى.

الاثنين 8 أيار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليوم ثاني أيّام عيد الفطر السعيد. لم يكن العراقيّون مرتاحين، مع أنّه كان يوم العيد. لم أكن أدري ما الخبر. بحث «**عليّ جار الله**» عن «**رامين**». كنت على يقين من أنّه يريد إخباره بأمر مهمّ. قصدت رامين لأستطلع الخبر، كان الخبر يتعلّق «**بعدنان خير الله**» وزير الدفاع العراقيّ.

كان «**عدنان خير الله**»[1] قد قُتل بالأمس، وفضلاً عن كونه وزيرًا للدفاع، كان نائب القائد العامّ للقوّات المسلّحة.

كان مقتل «**عدنان خير الله**» بعد انتهاء الحرب موضعًا للتساؤل، وقد تصدّر خبر مقتله عناوين الصحف العراقيّة هذا اليوم. فصحيفة القادسيّة كتبت في عنوانها الأوّل: «**عدنان العظيم كان أمّ انتصارات الجيش العراقيّ في الحرب**».

كان صدّام يعتبر نفسه أبا الانتصارات في العراق، وعدنان أمّها. حاول البعثيّون إظهار موته على أنّه موت طبيعيّ، لكنّ «**سامي**» و«**علي جار الله**» كانا يعتبران موت «**عدنان خير الله**»، الرجل الثاني في العراق، مؤامرةً خُطّط لها مسبقًا.

كان «**عدنان خير الله**» يحظى بمكانة في صفوف العسكريّين والموالين للحكومة العراقيّة أكثر من صدّام. كان يُقال: «**عدنان**»

(1) عدنان خير الله ابن خير الله طلفاح، ابن خال صدّام، وأخ زوجته.

متعلّم، وخرّيج كلّية الضبّاط، أبوه «**خير الله طلفاح**». أعلنت الصحف خبر موتـه عند سقوط طائرة الهليكوبتر التـي كان على متنها بصورة مبهمة. وقـد سقطت طائرته في منطقة صحراويّة بين محافظة أربيل وتكريت. بعد أيّام، علمتُ أنّ طائرته فُجّرت بأمر من «**صدّام**» على يديّ نجله عديّ الذي كان ابن أخت «**عدنان خير الله**».

قـال «**علي جار الله**»: بعد الحـرب، كان «**صـدّام**» يزيح من طريقه كلّ مـن يشعـر بأنه يُشكّل خطرًا عليه! لكن اعتبـروا أنفسكم كأنّكم لم تسمعوا هذا الكلام منّي».

الاثنين 15 أيار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

دخـل العنبـر أربعة أشخاص من عمــلاء منظّمة «**مجاهـدي خلق**» برفقـة المـلازم «**فاضـل**» و«**شفيـق عاصـم**» ضابـط دائـرة التوجيـه السياسـيّ، كانت تلك المـرّة الثانية التي يأتي فيهـا مسؤولو المنظّمة للاستعانـة بنـا. المرّة الأولى كانوا قد أتوا إلــى «**المخيّم الملحق**» في شهـر تشريـن الثاني من العـام 1988، وقد خرج عمــلاء المنظّمة من المخيّم خائبين.

كان أحدهـم يناهز الأربعين من العمر، أصلـع، وذا لحية قصيرة، والآخر أسمر اللون، طويل القامة، يتكلّم بلهجة طهرانيّة غليظة، ويبدو مـن هيئته أنّــه في الخمسين مـن العمر، ويظهر أنّه قائـد المجموعة. غالبـاً مـا كان هـو المتحدّث، قبـل أن يبـدأوا بالكلام، قـام الملازم «**فاضـل**» بالترحيـب بهـم والتقديـم للموضـوع، ومن حظّـه العاثر أنّ المــلازم «**فاضل**» كان هو المعرفّ عنهـم، ولم يكن ماهرًا في الكلام،

وكان للإخوة ذكريات سيّئة معه.

أفـرط الملازم «**فاضـل**»، الذي أصبح اليوم ودودًا، بتبجيل منظّمة المنافقين. لا زلت أذكر بعضًا من كلامه:

... هـؤلاء إيرانيّون، مـن وطنكم، يفكّرون فيكم أكثـر من مسؤولي حكومـة الخمينيّ! ولقد آويناهـم على الرغم من أنّنـا قاتلناكم ثماني سنـوات؛ لم يكن لهـؤلاء مكان في إيـران، فلجأوا إلى العـراق؛ ينبغي عليكـم أن تشكرونا؛ إذ آوينا مواطنيكم في العراق، ولو بقوا في إيران، لكان نظـام الخمينيّ أعدمهم. إنّهم يريـدون تحريركم من شرّ رجال الدين!

أمّـا «**شفيـق عاصـم**»، ضابط قسـم التوجيه السياسـيّ، الذي كان عاقـلًا وفطنًا، فقد نسف بجملة واحدة، عـن قصد أو عن غير قصد، كلّ كلام الملازم «**فاضل**» وأعضاء منظّمة المنافقين، وخلافًا لسيرته أخبرنا هذا الضابط الأمر على حقيقته:

– مـن يريد منكم أن يكون عضوًا في منظّمة مجاهدي خلق، يمكنه ذلك، لكنّكم لا تستطيعون الالتحاق بهم!

ظنّ بعض الإخوة أنّهم سرعان ما يتحرّرون من سجون تكريت وبلاد مـا بين النهريـن. وأنا نفسي ظننـت أنّهم أتوا ليأخـذوا معهم كلّ من يحبّ. قال أحد أعضاء المنافقين:

– «**الأوضـاع في إيـران غير مؤاتية في الوقـت الراهن، وحتّى الآن لـم تتمكّن إيران مـن تنفيذ القـرار 598. هناك احتمال كبيـر أن تبدأ الحرب من جديد، وأن تشنّ أميركا هجومًا على إيران. إيران آيلة إلى السقوط! والمسؤولون الإيرانيّون لم يخطوا خطوةً واحدةً حتّى الآن**

مـن أجل تحريركم، لقد نُسيتم. بالنسبة إلى المسؤولين الإيرانيّين، لا قيمة لحيّكم، ولا لميتّكم! لو كانت لكم أهمّية عند إيران، فلِمَ يجب أن تبقوا في السجن كلّ هذه السنوات بعد الحرب. أريد منكم أن تلتحقوا بنا؛ ليكون لكم مستقبل زاهر، ومشرق في العراق».

كان رجلًا ذكيًّا، حاول تشويه الصورة، وَسْوَسَ بكلماته في عقول البعض، وصدّقتْ كلامه قلّة قليلة من الأسرى السذّج.

طلب العراقيّون وأعضاء المنظّمة من الأسرى تسجيل أسمائهم. سجّل بعض الأسرى أسماءهم ممّن خُدعوا ببريق كلامهم، وانطلت ألاعيبهم عليهم، والذين ملّوا الأسر، لم يتجاوز عدد هؤلاء عشرين شخصًا. كانوا يتوقّعون إقبال عدد أكبر من الأسرى.

حاول المهندس «**غلام رضا كريمي**» ثنيَ الإخوة عن تسجيل أسمائهم، فزجره الملازم «**فاضل**»، فجلس مكانه. مع أنّ «**شفيق عاصم**»، ضابط قسم التوجيه السياسيّ، قد قال: «**أولئك الذين يسجّلون أسماءهم لا يمكنهم الالتحاق بمنظمة مجاهدي خلق إلّا عند تبادل الأسرى، فإنّ بعض الأسرى ظنّوا أنّهم إذا ما سجّلوا أسماءهم فسوف يخرجون فورًا من المخيّم.**

في نهاية المطاف، قال الملازم فاضل: «**ستصبح معاملتنا مع تلك المجموعة التي تلتحق بمنظّمة مجاهدي خلق حميمة وأخويّة، كلّ من يسجّل اسمه، فهو اليوم ينشقّ عن نظام الخمينيّ، وإنّنا أصدقاء الذين ينشقّون عن نظام الخمينيّ[1]!**

(1) ما إن ذكر اسم الإمام حتّى علت الأصوات بذكر الصلاة على محمّد ﷺ وآل محمّد، ممّا أغضب العراقيّين وأعضاء منظّمة المنافقين.

الثلاثاء 16 أيار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

ذهبت والحاجّ «**حسين شكري**» إلى أسير كان قد التحق بالمنظّمة بالأمس. جلست إلى جانبه. كنّا أصدقاء، لم أكن أظنّ أنّه سيُخدع بهذه السهولة. غالباً ما كان يأتي إليّ عندما كنت في المخيّم الملحق، ويفضي إليّ بهمومه. كان صبيًّا محبّبًا وبسيطًا. أردت أن أعرف ما الذي دفعه ليفعل ذلك. كان من أهل الصلاة. سأله الحاجّ «**حسين**»: لِمَ فعلت هذا؟

شعرتُ أنّه خَجِل من ذلك، فقد قطع الكثير من أصدقائه الحزب اللهيّين علاقتهم به. كان يقول: «**أُقسم بالله، لا أطيق النظر إلى خائني الوطن، كنت أظنّ أنّني بعملي هذا سأتخلّص من شرّ الأسر**»، فقال الحاجّ «**حسين**»: تريد أن تنجوَ من الحفرة لتسقط في البئر؟!

لم يكن لديه أيّ جواب، كان نادمًا، كان يظنّ أنّ المنافقين سيأتون في القادم من الأيّام، ويخرجونه مع الذين سجّلوا أسماءهم من هذا المخيّم. نصحه الحاجّ «**حسين**» كثيرًا.. وقد أثّر كلامنا فيه. قال الحاجّ «**حسين**»: «**يا بني! إنّ أباك، وأمّك، وكلّ عائلتك في إيران تفتخر بك كأسير، هل فكّرت فيما لو رجع الأسرى إلى إيران، وعلمت عائلتك أنّك أصبحت عضوًا في جماعة المنافقين، كم سيشعرون بالخيبة؟ عائلتك الآن في إيران عائلة أسير «مفقود الأثر»، لكن ماذا ستصبح عندها**»؟

بدا التأثّر بكلام الحاجّ «**حسين**» واضحًا على وجهه.

في الأيّام التالية أظهر الندامة، وقرّر إذا ما سلّمه العراقيّون قلمًا، أن يكتب رسالة جوابيّة إلى المنظّمة يعلن فيها ندمه على تسجيل اسمه.[1]

(1) حُرّر مع الأسرى الإيرانيّين، عندما كان الأسرى عائدين إلى إيران قال لي: سيّد! برأيك، ألا تتحوّل فعلتي تلك إلى قضيّة؟ قلت له: لا تقلق، أنت لم تلتحق بهم.

الثلاثاء 23 أيار 1989 . تكريت . المخيّم 16

بالأمس، شتمني «**وليد**» شتائـم مستهجنة. عند الظهر، حين دخل النقيب «**خليل**» لتفقّد المخيّم شكوت «**وليدًا**» إليه. كنت منقبض القلب كثيـرًا، إلى درجة طلبـت فيها من «**خليـل**» أن ينقلني إلـى عنبر آخر، قلـت: «**أودّ أن أذهـب إلـى مـكان لا وجـود لـ«وليد» فيه**». كنـت أودّ أن أكـون في العنبر رقم (3) إلـى جانب السيّد «**فاضل فضليـان**»، أو في العنبر رقم (4) إلى جانب «**منصور مظاهري**»، وأبناء مدينتي. أحيانًا كان «**منصـور**» يأتي برفقة أبناء «**كجسـاران**» بمحاذاة السلك الشائك لرؤيتـي. جميـع أبناء مدينتي، والذيـن كان «**منصـور**» زعيمهم، كانوا فـي العنبـر رقم (4). كانوا إخـوة ودودين وظرفـاء، كانوا في صفوف الجيش، لكن كانت لديهم روحيّة التعبئة.

كان «**النقيـب خليـل**» قد نبّـه «**وليدًا**». علمت ذلـك من «**علي جار الله**». قال له: «**دع ناصر سليمان وشأنه!**» كانت تلك المرّة الأولى التي أشكـو فيها «**وليدًا**». عندمـا كنت في المخيّم الملحـق، عزمت مرارًا عديـدة أن أشكوه، لكن حين كنت أفكّر فـي عاقبة ذلك كنت أتراجع، كنـت أتمنّى عندما أشكـوه أن ينقله النقيب إلى مـكان آخر، كما فعل بعيسـى الحارس السودانيّ. كان وليـد بعثيًّا مدعومًا فهـو من أقارب «**شفيـق عاصـم**»، ضابـط قسم التوجيـه السياسيّ للمخيّـم، كنت قد سمعت هذا الأمر من «**سامي**».

بعـد الظهـر، عندما كنـت أتوضّـأ ناداني «**وليـد**»، جئـت إليه، قبل الإتيـان بأيّة حركـة، جعل ينظر فـي عينيّ، كان الحقـد والغضب يملأ عينيـه، انتظرتُ لأرى مـاذا سيفعل؟ لم أستطع دخـول العنبر من دون

إذنـه. وبينما كان الإخوة يدخلـون العنبر من أجـل الإحصاء، صفعني «**وليد**» صفعةً قويّةً على خدّي وركلني برجله، وقعت على الأرض، فرفعني «**حميـد زارع زاده**»[1]. توجّه «**محمّـد كاظم بابايي**»، الذي شهد ضربي، إلى «**وليد**» قائلاً: «**لهذا السيّد المعوّق جَدٌّ، لِمَ تعامله هكذا؟!**»

انزعجـت كثيرًا؛ لأنّي وقعت أرضًا. عندما أردت الدخول إلى العنبر ناداني «**وليد**»، وقال:

– تشكونـي إلى مسـؤول المخيّم! إن تجرّأت مـرةً أخرى على ذلك، سأنتزع روحك.

قلت «**لحكيم خليفان**» الذي كان يترجم كلامنا:

– قـل له، لقد شكوته مرّة إلى النقيب «**خليـل**»، وكانت النتيجة تلك الصفعـة علـى وجهي. إذا قطعـت رجلي هـذه في هـذا المخيّم، فلن أشكـوك إلى «**خليـل**»، لكن اطمئـنّ، سأشكوك إلى شخـص سيقضي عليك. إذا كان لي جدّ، فإنّ جدّي سيقضي عليك، وإلّا فلا جدّ لي!

ترجم «**حكيم**» كلامي، وكان هـو أيضًا منزعجًا من أعمال «**وليد**». حتَّـى ذلك اليوم لم يحـدث أن كرهت أحدًا هكذا، ومـن أعماق قلبي. كانـت تلك المرّة الرابعة التي يرفسنـي فيها، وقد فعل هذا الأمر أمام أعيـن الكثيرين. المـرّة السابقة عاقبني خارج العنبـر، واليوم انكسر قلبي.

بعـد فترة، ذهب «**وليد**» في إجـازة، وعند عودته، كانت يده اليمنى ملفوفـة بجبيرة، ومعلّقـة بعنقه. لم يقـل شيئًا، لكنّ «**الدكتـور مؤيّد**» قال: لقـد وقع حادث سيـر «**لوليد**» أثنـاء قيادته سيّارتـه الشخصيّة

(1) كان «**حميد زارع زاده**» مجنّداً، وهو الآن يعمل في بنك صادرات إيران شعبة أبركوه في يزد.

مـن نوع تويوتا على طريق عام البصرة ـ العمـارة، وقد كُسرت يده من المرفـق. وبعـد أسبوع مـن الإجازة العلاجيّـة، دخل المخيّـم ، وسأل فاضـلَ (مسـؤول العنبر) عنّـي، كنت جالسًـا تحت السقيفـة الغربيّة للعنبـر، فجاء إليّ، وقال: «**هـا ناصر استخباراتي! لقد دعوت عليّ، ها قد تعرّضت لحادث سير!**»

ظننـت أنّه بسبب الحادث الذي وقع لـه سينهال عليّ بالسوط، وقد سُـررت؛ لأنّـه لـم يضربني. في تلك الأيّـام كنت أظـنّ أنّ تغيّرًا ما قد حصل فـي سلوكه، لكنّني أدركت فيمـا بعد أنّ «**وليـدًا**» ليس بالإنسان الذي يؤوب إلى نفسه، ويتغيّر.

الخميس 25 أيار 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

قبـل الظهـر دخلـت المخيّـم سيّـارة الآيفـا العسكريّـة الخاصّـة بالتجهيزات.

اجتمـع الإخوة فـي باحة المخيّـم لاستلام حصصهـم من النعال البلاستيكيّـة للسنـة الثانية من الأسـر، وقف الإخـوة صفوفًا، وبشكل منتظـم، وتسلّمـوا حصصهـم، كان من المقـرّر أن نستلـم بعد شهر حصصنا من الألبسة.

وقفـت أنا و«**محمّـد كاظـم بابايي**»[1] فـي نهاية الصـفّ، «**وكلانا كنّـا مبتـوري القـدم**». كنـت أنـا قطيـع الرجـل اليمنـى، وكان محمّد قطيـع الرجـل اليسرى؛ لذا اتفقنـا على أن أعطيه فـرد النعل الأيمن، ويعطينـي هو فرد النعـل الأيسر. وهكذا يكون كلانا قد حصل على نعلٍ

(1) كان «**محمّد كاظم بابايي**» من أبناء يزد ومن عناصر لواء الغدير 18.

إضافـيّ. عندما وصل الدور إليّ وإلى «**محمّد كاظم**»، كنت واقفًا قرب البــاب الخلفيّ لسيارة «**الآيفـا**»، وحين أراد جنديّ التجهيزات تسليمي نعلـي، قال النقيب «**خليـل**» الذي كان واقفًا في زاوية وراء سيّارة الآيفا العسكريّة:

«**زوج واحد يكفي لهذين الشخصين!**»

لقـد أُصبنا بسبـب كلام «**خليل**» بخيبـة كبيـرة، كان إنسانًا حذقًا وذكيًّـا. أعطونا نحن الاثنيـن زوج نعل واحد، وادّخروا الزوج الآخر في تجهيزات الجيش العراقيّ!.

الثلاثاء 3 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كانـوا منذ مدَّة قد أحضروا لنا تلفازًا. فـي الليلة السابقة، انهارت أعصابنـا عندما كان التلفزيون العراقـيّ يبثّ صورًا تظهر وجه الإمام المتعـب والمريض. وعندما كانت النشرة الإخباريّـة المسائيّة تعرض صور الإمـام، وقد أُدخل «**مستشفـى قلب طهـران**»، هرع الأسرى نحو التلفاز، وراحـوا ينصتون جميعًا. بُهت العراقيّون، فلم يتمكّن الحرّاس إلـى ذلك اليوم، من جعل الأسرى الإيرانيّين، حتّى بالتهديد والإجبار، يجلسون لمشاهدة برامج الرقص، والغناء، والاستعراضات التلفزيونيّة الخاصّـة بهم. كنّا نفكّر بالإمام، ونحن في الأسر، بمقدار ما كنّا نفكّر بعائلاتنـا. أكثر مـا كان يفرحنـا أنّهـم سيأخذوننا للقـاء الإمام بعد تحرّرنـا. والتفكيـر بلقاء الإمام بعد الأسر كان يهـوّن علينا آلام الأسر وعناءه. لقد امتزج عشق الإمام بحياة الأسر.

لـم يكن من قلـبٍ لا يخفق لذكر الإمام، لم يكن مـن قلبٍ يغفل عن

ذكر الإمام. تجمّعنا أمام التلفاز، كانت أعين الأسرى الباكية والقلقة متوجّهة إلى المراسل ونشرة الأخبار المسائيّة. للحظة ساد الصمت جوّ العنبر، الكلّ كان مضطربًا وقلقًا. كنت مشتاقًا لرؤية صورة الإمام. بعد سماع خبر إدخال الإمام إلى المستشفى كنّا ننتظر بجزع خبر تحسّنه. عندما انتهى بث صورة وجه الإمام من على شاشة التلفزيون العراقيّ، تفرّق الإخوة، أخذ كلّ واحد ناحيةً كالثكلى، ورفع يديه بالدعاء لشفاء الإمام. دعا الحاجّ «**سعد الله**» بطريقة خاصّة: «**إلهي أنت تعلم أنّ لا أحد لنا غير هذا الإمام، إلهي لا تأخذ الإمام منّا**».

كانت ليلة صعبة وطويلة، أمضاها معظم الإخوة، حتّى أولئك الذين كانوا أكثر الأوقات غير مبالين، كانوا مضطربين وقلقين حتّى الصباح. بتنا ليلتنا على أمل أن تصلنا في الغد أخبارٌ عن سلامة الإمام.

الأحد 4 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

قبل الظهر، جلس عدد من الإخوة في الباحة الترابيّة للمخيّم على الأرض، متّجهين إلى القبلة، وراحوا يدعون لشفاء الإمام. كان الحاجّ «**حسين شكري**» يقول: «**أنا على يقين أنّ الله إذا أراد أن يستجيب دعاءً، فسيكون دعاء الأسرى المكسوري الخاطر، أمّا لو طلب الإمام من الله سبحانه الذهاب إلى جوار الشهداء وجدّه الأطهر، فلن يكون لدعائنا أيّ أثر**».

بعد الظهر، انطلقت الصفّارات معلنةً موعد الإحصاء، فتوجّه الإخوة نحو العنبر، وهم في حالة اضطراب وخوف، وجلسوا في صفّ الإحصاء. كانت الأنظار شاخصةً إلى العراقيّين، و«**أعلاء**»، المترجم

الإيرانــيّ الناطـق باللغة العربيّــة. كان «**أعلاء**» يترجم لنــا يوميًّا، قبل دخــول القائد إلى المخيّم بهدف الإحصــاء، أخبار الصحف العراقيّة بالفارسيّــة، وكانــت ترجمة الصحــف العراقيّة من قبـل أحد الأسرى الإيرانيّيــن العــرب في صــفّ الإحصاء في العنابــر أمرًا سائـدًا. كنّا ننتظـر سماع أخبار تحسّن صحّة الإمام. بعد الظهر، انتشر عدد كبير من الحرّاس في جوانب العنبر. من تزايد عدد الحرّاس حول المخيّم، يُستفــاد أن الأوامر قــد أُعطيت للعراقيّيــن أن استعدّوا. مــا إن دخلنا العنبر حتّى خرج العراقيّون وأغلقوا الباب.

لم يكــن «**أعلاء**» كعادتــه. كان في السابق يترجــم أخبار الصحف العراقيّــة بهدوء ومــن دون تأخير. حاول «**أعــلاء**» أن يتمالك نفسه عن البكاء، وأعلن الخبر المفجع، عندما قال وهو يغصّ بكلماته:

– لقــد التحق الإمام الخمينيّ قدس سره بالملكــوت الأعلى! تسمّرت في مكاني! ظننــت أنّي أحلم، لم أكن أفكّر يومًــا بجماران من دون الإمام. ساد الصمت جوّ العنبــر للحظات، ودفعة واحدة، علت أصوات الأسرى بالنحيــب، كلّ مــن في العنبــر كان ينوح ويبكــي. لطم الكثيــر الرؤوس والوجوه، وكأنّ كل واحد من الأسرى فقد قريبًا من الدرجة الأولى. ضجّ العنبر بالبكاء والنحيب، وأغمي على عددٍ منهم في اللحظات الأولى من سماع الخبر. كان كلّ واحد ينتحب بطريقته، ابتداءً من العمّ «**إبراهيم**»، أكبــر الأسرى سنًّا، إلى «**أمير**»، ابن السنوات التسع وأصغرهم سنًّا. لم نكن نصدّق أنّ الوجود اللطيف للإمام سيرتفع من بيننا.

لم يكــن الحرّاس يتصــوّرون كلّ هــذه المحبّة التي يكنّهــا الأسرى الإيرانيّون للإمام.

دخل الملازم «**فاضل**» إلى العنبر. بناءً لأوامره، لم يُسمح لنا سوى بساعتين لإقامة العزاء عن روح الإمام؛ في تلك الليلة، عندما طلب العراقيّون منّا الوقوف في الصفّ لأخذ طعام العشاء، لم يستجب أحد. كانت الليلة الوحيدة التي لم يذق فيها أحد طعامًا. فهذا الارتحال قد يَتَّم أبناءَ الإمام في الغربة.

في آخر الليل، كانت أصوات البكاء والنحيب تتعالى من كلّ ناحية. كان الجوّ حارًّا داخل العنبر، ومع ذلك كان الإخوة يغطّون رؤوسهم بالبطّانيّات وينتحبون، وظلّت تُسمع أصوات البكاء والنحيب من نواحي العنبر إلى منتصف الليل.

الاثنين 5 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

تبدّلت الزيارات واللقاءات الليليّة إلى مجالس حزن ومأتم. كانت الأعمال النهاريّة تُنجز بصعوبة. لم يكن لأحد جَلَدٌ على الدرس والتدريس. كان الإخوة يجلسون في جوانب باحة المخيّم، يلتفّون على أنفسهم، ويحدّقون بشيء ما. ما عاد للكثيرين منهم جَلَدٌ على المشي في الباحة الترابيّة للمخيَّم كالسابق. وفي صفّ الإحصاء، كان معظم الإخوة ينطوون على أنفسهم، ولا يتكلّم أحد مع من بجانبه.

قال «**رامين حضرت زاد**»: «**سيّد! لقد قال الإمام الحسين** عليه السلام **حين شهادة علي الأكبر** عليه السلام، **على الدنيا بعدك العفا، وكذلك نحن، ينبغي أن نقول بعد الإمام، على الدنيا بعدك العفا!**» كان الحراس مبهوتين لرؤيتهم هذا الجمع العظيم من الأسرى يبكي الإمام. وقد شهدتُ بكاء اثنين من الحراس هما: «**سامي**»، و«**علي جار الله**». كان

الدكتور «**مؤيّد**» حزينًا على الإمام، لكنّه كان يخفي ذلك. كان بعض الحرّاس البعثيّين مسرورين. قال «**يزدان بخش مرادي**»[1] لـ«**عطيّة**»: «**بالنهاية سينبئ التاريخُ الشعبَ العراقيّ من كان الإمام الخمينيّ، ومن كان الآخرون، ماذا فعل الإمام الخمينيّ وماذا فعل الآخرون!**»

كان الأسرى قلقين على الوضع بعد الإمام.

كنّا نودّ أن نعلم من هو الشخص الذي سيتولّى قيادة الشعب الإيرانيّ بعده، وكان الحرّاس البعثيّون يتهكّمون علينا كثيرًا، كانوا يحسبون أنّ كلّ شيء قد انتهى بوفاة الإمام، كان حامد يقول: «**لو كان قائدكم قد مات زمن الحرب لفتحنا إيران حينها!**»

كان البعثيّون ومن جملتهم الملازم «**فاضل**» يقولون: «**بموت قائدكم، سيسقط الحكم في إيران**». فأجابهم الأسير «**أصغر إسكندري**»: «**وهل انهزم الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ؟ إنّ الثورة الإيرانيّة ليست قائمة على شخص محدَّد بذاته، تمامًا مثلما أنّ الإسلام لم يكن، ولن يكون قائمًا على شخص**».

أمّا «**وليد**» فقال: بموت قائدكم، سيعود «**مسعود رجوي**» خلال أيّام إلى إيران، وسيصبح هو القائد. لكنّ «**عليّ جار الله**» و«**سامي**» كانا يقولان: «**ليست إيران بالبلد الذي يواجه مشكلةً برحيل قائده**». واسانا «**عليّ جار الله**» الذي لم يكن يخفي أمام الأسرى محبّته للإمام، وَاسَانا وقال: «**نحن أيضًا حزينون على وفاة الإمام الخمينيّ، لقد كان الخمينيّ رجلاً عظيمًا!**»

---

(1) كان يزدان بخش مرادي من أبناء قزوين، ومن العناصر المحورية والفكريّة في المخيّم. نال في العام 1992 شهادة الماجستير في الحقوق من جامعة تربيت مدرّس- طهران. وهو الآن أستاذ جامعي وعضو في مجلس شورى مدينة قزوين.

اليـوم، ولكـي يعلـن الإخـوة الحـداد، بدّلـوا ملابسهـم الصفراء بالملابس الكحليّة الخاصّة بالأسر. لكن بعد أن سلَّم الإخوة الملابس الصفـراء الخاصّة بالأسر، لم يسمح رئيس الحرس للأسرى بارتداء الملابس الكحليّة، أي التبّان (لباس مؤلف من قطعة واحدة).

لـم يردنـا أيُّ خبر عن قـرار مجلس خبـراء القيـادة. كانت تُطرح آراء مختلفـة، كلّ واحـد كان يذكـر اسم عالم من العلمـاء، وقائد من قـادة الثورة. كان الحـاجّ «**سعـد الله كل محمّـدي**»، و«**حسـن بهشتي بـور**»، و«**يزدان بخش مـرادي**»، والمهندس «**غلام رضا كريمي**»، وعدد مـن الأسـرى يقولـون: «**إنّ السيّـد الخامنئيّ أهـل للقيـادة**». أمّا أنا، ففـي خبرتي الحديثة، لم أكن أتصوّر علـى الرغم من وجود كلّ هؤلاء المراجـع الكبار والقيـادات المسنّـة، أن يتمّ انتخاب شـابّ ذي لحية سـوداء كآية الله الخامنئيّ للقيادة، كان تصوّري لقائد بلدي دومًا، أنّه ينبغي أن يكون شخصيّة ذا لحية بيضاء، يناهز السبعين من العمر؛ لا أدري لِـمَ أمدّنـا طرح اسم آية الله الخامنئيّ في تلـك الأيّام بكلّ ذلك الاطمئنان وقوّة القلب.

الثلاثاء 6 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

نشـرت الصحـف العراقيّـة الحانقـة تفاصيل الاجتمـاع التاريخيّ لمجلس خبراء القيادة فـي إيران، وقد علمنا مـن الخبر المنشور في صحيفة الثـورة أنّ آية الله الخامنئيّ قد انتخب قائدًا لجمهوريّة إيران الإسلاميّة.

منذ الأمـس، كان العراقيّـون، وخاصّـة الضابط «**شفيـق عاصم**»،

مسـؤول قسم التوجيه السياسيّ، يستطلعـون آراء الأسرى فيما يخصّ القائـد المستقبليّ. كانوا يريدون أن يعلموا مـن سيصبح قائد إيران. عندما كانـوا يستمعون إلى أجوبة الأسـرى الإيرانيّين، كانت وجوههم تتجهّـم، ولا يستطيعـون إخفاء انزعاجهم، ما كانـوا يحبّون أن يصبح آيـة الله الخامنئيّ قائدًا لإيـران، وهم حتمًا يعرفـون السبب أكثر من غيرهـم. كان بعضهم يقـول: إنّ الرئيس القائد، وشـورى قيادة حزب البعـث، ومن جملتهم عـزّة إبراهيم الدوريّ، وطـارق عزيز يحبّون أن يُنتخـب مسعود رجوي كقائد لإيران بعـد الخمينيّ. إذا لم يكن رجوي، فمنتظـري! قلـت للعريف مؤذّن: «**إنّـي لأعجب كيف لا تعلمـون أنّه لا يمكـن لشخص يلبس السروال والجاكيت أن يصبـح قائدًا**»! وقال له المهندس «**كريمي**»: «**إنّ عزّة إبراهيم الدوريّ وطارق عزيز لا يحبّون أن يكون هناك قائد للشعب الإيرانيّ!**»

الخبـر الوحيد الذي طمأن قلـوب الأسرى الإيرانيّيـن القلقة، كان انتخـاب آيـة الله الخامنئيّ كقائـد للشعب الإيرانيّ، الخبـر الذي حلّ كبلسم على قلوب الأسرى المفجوعة في غياهب سجون العراق.

اليـوم، بُـثّ القسـم الأخيـر مـن البرنامـج التلفزيونـيّ «**سيمـاء المقاومة**»[1] على التلفزيون العراقيّ، وهو من إنتاج منظّمة المنافقين. لا أدري لِـمَ شتـم مقـدّم البرنامج الإمـام كثيرًا. وقد كانـت ردّة فعل

(1) كان البرنامج التلفزيوني «**سيماء المقاومة**» من إنتاج منظّمة مجاهدي خلق. وكان هذا البرنامج يُبثّ كلّ يـوم لمدّة تسعين دقيقةً، ابتداءً من الساعة السادسة عشرة، من سائر شبكات التلفزيون العراقيّ. معظـم مقدمي هـذا البرنامج ومنتجيه ومخرجيـه كانوا من العاملين في النظـام السابق في الإذاعة والتلفزيـون التابـع للحكومـة الشاهنشاهيّة. وكانوا يضمـرون حقداً وعداوة خاصّـة للإمام والإسلام ورجال الدين، وكانوا معارضين للقيم الاسلاميّة والثورة. كما كان لإذاعة «**صوت إيران الحرّ**» برنامج يومي يُبثّ من الساعة السابعة عشرة إلى الساعة الثامنة عشرة.

الإخوة أن راحوا ينادون بصوت يصمّ الأسماع: الموت للمنافق، الموت لرجوي. كانت منظّمة المنافقين تعتبر أنّ كلّ شيء قد انتهى. توجّه الإخوة، بسبب الإهانة التي وجّهها مراسل الحلقة الأخيرة من برنامج «**سيماء المقاومة**»، للحرّاس قائلين: «**خذوا تلفازكم وإلّا سنكسره**».

ذهب أحد الإخوة ليكسر التلفاز، منعه الحاجّ «**سعد الله**»، تعجبت عندما قال الحاجّ «**سعد الله**» له: «**لِمَ تريد أن تكسر التلفاز، إنّه خاصّ ببيت المال!**» فقال للحاج «**سعد الله**»: «**أوَنحن في إيران، حتّى يكون خاصًّا ببيت المال**»؟! أجابه الحاجّ: «**وهل يجب أن يكون ملكًا لإيران حتّى يُحتسب من بيت المال؟! هذا التلفاز هو للشعب العراقيّ، صحيح أنّه بيد جيش صدّام، ولكنّ صدّام لن يدوم إلى الأبد، ولا بدّ أن يأتي يومٌ يتخلّص فيه العراقيّون من شرّه**».

شاع بين الإخوة، أنّه لن يشاهد أحد التلفزيون العراقيّ. كان الإخوة بعد وفاة الإمام كنارٍ تحت الرماد. قبل فترة، وبسبب إهانة «**راديو مجاهد**» للإمام، رمى الإخوة الحجارة نحو مكبّرات الصوت في المخيّم. كان «**راديو مجاهد**» ينشر الدعايات الإعلاميّة المضادّة للثورة والإمام بتمويل من الدول الغربيّة. كانت برامج «**سيماء المقاومة**» والخطابات اليوميّة للمنافقين تُبثّ من القواعد الموجودة في ضواحي بغداد، والمموّلة من وكالة الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة (CIA)، وسائر الدول الأوروبيّة الأخرى. فمنذ بداية الحرب، أُستُحدِث جهاز إرسال إذاعي، كان يُعرف «**بصوت إيران الحرّ**»، تحت إشراف «**الفريق أوّل أويسي**»، وكان ينشط ضدّ النظام الإسلاميّ في إيران.

كان الحرّاس يظنّون أنّه بإجبار الإخوة على حضور برامج منظّمة

المنافقين، سيتمكّنون من جعلنا ننقلب ضدّ النظام، والثورة، والإمام. كان «**عليّ جار الله**» يقول: «**إنّ العراقيّين أساساً، لم يُحضِروا لكم التلفاز إلّا على أمل التمكّن من حرف أفكاركم!**»

الأربعاء 14 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كنت متعجّبًا من «**السيّد حسن**»، الحارس العراقيّ؛ فقد أصبح حسن المعاملة معي، ولم يعد يضربنا أنا والسيّد «**محمّد شفاعت منش**»، ولم يعد يوجّه لنا الشتائم. كان السيّد الوحيد من بين حرّاس المخيّم، وكنت أعجب من كونه يعاملني، والسيِّد محمّد بمحبّة ومداراة.

كان السيّد «**حسن**» من أهالي الكوت، شديد السمرة، نحيفًا. في الخامسة والثلاثين من العمر تقريبًا، كان إنسانًا قاسيًا وسيّئ الأخلاق، وقلّما كان يتغاضى عن أعمال الإخوة؛ ومع أنّه من سلالة رسول اللّه، إلّا أنّه كان حاقدًا بسبب مقتل ابن عمّه في الحرب الإيرانيّة العراقيّة، والذي كان رفيقه منذ الطفولة. قلت للسيّد «**محمّد**»:

– سيّد «**محمّد**»! تغيّرت معاملة السيّد «**حسن**» لي، فهو يقول: إنّه لن يتعاطى مع السادة. ما الذي حدث لتتغيّر أخلاقه بهذا الشكل؟!

– لقد تغيّرت معاملته لي أيضًا!

– أوَيُحتمل أن ينزعج إن سألناه؟

– لِمَ سينزعج، فهو يعاملنا أحسن معاملة!

كان هناك حوالي 40 سيّدًا في مجموعة مؤلّفة من ألف أسير، فكان يتعامل معاملةً حسنةً مع كلّ من يعرف أنّه من نسل السادة. كنّا أنا والسيّد «**محمّد**» واقفين إلى جانب مدخل العنبر، عندما ناديته،

وسألته عن سبب معاملته الحسنة، فقال: «**لن أتعرّض للسّادة!**»

- ماذا حصل حتّى أصبحت لا تتعرّض للسادة؟

- يُفترض أن تكونا مسرورين!

- السرور جيّد في محلّه، هل يمكن أن نعرف ما الذي حصل حتّى صرت تعاملنا معاملة حسنة؟

- في إجازتي الأخيرة، وبينما كنت أهم بالمغادرة، نادتني أمّي، وقالت: «**بنيّ، اعلم أنّك تؤدّي خدمتك في مخيّم الأسرى الإيرانيّين، لا أسامحك بالحليب الذي أرضعته لك إن آذيت أحدًا من أبناء الزهراء** عليها السلام»! لهذا السبب لا أتعرّض لكم.

وقال: «**لو أنّ أمّي لم توصني بذلك لبقيت معاملتي كسابق حالها. كان يحترم والدته احترامًا بالغًا**»، وكان يقول: «**أمّي عزيزة جدّاً على قلبي، وقد عاهدتها أن لا أؤذي السّادة!**»

قلت في نفسي، ماذا كان سيحدث لو أنّ أمّهات الحرّاس الآخرين أوصوا السّادة وغيرهم، كما فعلت أمّ السيّد حسن. لو يحدث هذا لتحوّل المخيّم إلى جنّة.

دعوت لأمّ السيّد «**حسن**» من صميم قلبي. عصر يوم الخميس من الأسبوع التالي، جَلبَ بعض الحلوى والتمر للجرحى، وهي صدقات. توفي والده العام الماضي إثر سكتة قلبيّة، وأرادت أمّه هذه المرّة أن يوزّع الحلوى والتمر بين الأسرى والجرحى، وأن يقرأ الأسرى الإيرانيّون الفاتحة عن روح والده. كانت تلك المرّة الأولى والأخيرة في الأسر التي توزّع فيها الصدقات، وأقرأ فيها الفاتحة عن روح أموات أحد الحرّاس. يبدو أنّ أمّه كانت امرأةً مؤمنةً ومتديّنةً.

السبت17 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

بعــد وفاة الإمام، ومع مرور الأيّام، ســاد الغمّ والحزن جوّ المخيّم. أصبــح الكثيرون يجلسون على انفراد، لم يعــد للعنبر بهجته السابقة، وما عادت تُسمع النكات المضحكة، والمزاح الشائع.

بعــد الظهــر، دخلَ العنبرَ عددٌ مــن أسرى «**المخيّــم** 12»، وكان من بينهــم «**عليّ كاركــن**»، و«**عليّ آقايــي**» و«**حسن جعفــري**»، من أصدقاء «**راميــن حضـرت زاد**»، ورفاقــه فــي الكتيبة. سُــرّ «**راميــن**» برؤية أعزّ أصدقائــه «**عليّ آقايــي**». كان «**عليّ**» من أهل زاهــدان، وقد ولد أبيض الشعــر والأهــداب، وأحمــر الوجــه. كانت هيئتــه بارزة مــن بين ألف شخــص. وكان «**عليّ**» آمر سريَّة زيد فــي كتيبة 409 التابعة لفرقة «**ثار الله** 41» أثناء الحرب. جلس إلى جانب «**رامين**»، ووضع رأسه على كتفه، وراح يبكي، سأله «**رامين**» عن أخيه «**عليّ رضا**»، فأجابه، وهو ينتحب: لقد استشهد «**علي**».

وعلى الرغم من أنّ «**رامين**» كان إنسانًا قويًّا ومتماسكًا، لم يتمالك نفســه عــن البكاء، ملأ صوت بكائــه أجواء العنبر، لقــد كان لفترة مع أخيه في كتيبة واحدة، وقد أوصته أمّه بـ«**عليّ رضا**»، الذي كان يصغره سنًّــا. كان «**رامين**» رامي رشّاشــ، وكان أخوه قنّاصًا. في هجوم (24/ أيــار/1988) علــى العراق، جُرحت رجــل «**رامين**» اليمنــى في «**مثلّث الحسينيّــة**»[1]، وقــد استشهد علي رضــا[2] بالقرب من «**علــيّ آقايي**».

---

(1) أحد المعالم المهمّة في مناطق المواجهات العسكريّة، وفي الخطوط الأماميّة للحرب.. .

(2) كان أخــوه يُعــرف في منطقتــه بـ «**رامـك**». في العــام 1998 عثرت مجموعــة التقصّي عــن المفقودين والشهــداء علــى عظام «**رامك حضـرت زاد**»، والبلاك (قطعة معدنيّة تحوي الرقــم العسكريّ الخاصّ بالمقاتــل) الخاصّ به، ودفن في مسقط رأسه في 1998/5/23، وبناءً على دعوة «**رامين**»، ألقيت كلمة في ذكرى مرور أربعين يومًا على دفن رامك في «**مسجد القدس**» في غرب طهران.

حتى ذلك الحين كان «**رامين**» يظنّ أنّ أخاه لا يزال حيًّا. جاء الحرّاس الآخـرون الذين سمعوا بكاء «**رامين**» ليستطلعوا الخبر، ولكي لا يعلموا باستشهـاد أخيـه، أجابهـم علي أكبـر فيض بـأنّ «**رامـيـن**» يبكي على الإمـام، ولكنّ العراقيّين علمـوا بالأمر، وقد فرح بعضهـم، لكنّ دموع الحارس العراقيّ الطيّب «**عليّ جار الله**»، صديق «**رامين**» المقرّب، لا تغيب أبدًا عن بالي.

في الليل، عندما حان وقت النوم، قال لي «**رامين**»: «**كنت أودّ لو أنّي كنـت حينهـا مـع أمّي لأقول لهـا: إنّ على الإنسان في هـذه الدنيا أن يـؤدّي الخمس والزكاة، خمسـك هو شهادة رامك، وزكاتك هي أسري أنا وجرحي**».

الاثنين 19 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

صبـاح اليوم، جُمـع الجرحى في فنـاء المخيّم، وتـمّ الإعلان عن قـرار الإفراج عنهم من جانب واحد، وقـد رُدّدت هذه الأقوال من قبلُ مـرّات ومرّات. صـدّق بعضهم الأمـر، لكنّني لم أصدّقـه، والدليل أن العراقيّيـن لا يفرجـون عن الأسـرى الجرحى قبل الأسـرى الأصحّاء؛ فبإفراج العراقيّين عن الأسرى الجرحى والمعوّقين، يضعون معلومات عـن أكثر من عشرين ألف أسير «**مفقود الأثـر**» بين أيدي الإيرانيّين، ومؤسّسـة الصليـب الأحمـر الدولـيّ. وكان مـن المستبعـد أن تُقـدم السلطـات العراقيّـة على هذا العمـل الأحمق. كنت علـى يقين من أنّ هذه الزيـارات، للضبّاط ذوي الرتب العاليـة، كانت بهدف الإحصاء، ومعرفة الأشخاص المعوّقين والمرضى.

جاء اليوم عدد من الضبّاط القادة إلى المخيّم، تجمّعنا بأمر من رئيس

الحرّاس أمام المستوصف. قال رئيس الحرّاس: «**تقرّر الإفراج عنكم**».

لكن لكثرة ما قد قالوا: «**تقرّر الإفراج عنكم**»، ولم يفرجوا، أصبحوا بنظرنا كالراعي الكاذب لا تُصدّق أقواله.

كنت أتمنّى لو أبقى حتّى نهاية الأسر إلى جانب الأسرى الأصحّاء، شرط أن يفرجوا عن الجريح «**لطف علي**»، الذي كان مصابًا في النخاع الشوكي، ومن أهالي قزوين، كان إيداعه في مخيّم مزدحم أمرًا صعبًا. سابقًا، وعد الضبّاط الذين كانوا يأتون لتفقّد المخيّم مرارًا بالإفراج عنه، ولم يف أحدٌ منهم بوعده، وقد فشلت محاولات الدكتور «**مؤيّد**» لنقل «**لطف علي**» إلى المستوصف، وإبقاؤه هناك. كان الدكتور «**مؤيّد**» من أهالي سامرّاء، متوسّط القامة، أسمر الوجه، رؤوف القلب وودودًا، وكان يشبه «**عليّ جار الله**» في صفاته.

عمل في المركز الصحّي لسنوات، وكان في غياب الدكتور «**جمال**» يتولّى مسؤوليّة المستوصف، لكن صلاحياته كانت محدودة؛ بسبب ارتباطه العاطفيّ بالأسرى الإيرانيّين. لم يكن الدكتور «**جمال**» يثق به، فالدكتور «**مؤيّد**» إنسانيّ ورحب الصدر، بخلاف الدكتور «**جمال**» الذي كان قاسيًّا وجافًّا.

نشأت علاقته الإنسانيّة بالأسرى الإيرانيّين من مكان آخر، فقد كان عمّه أسيرًا في إيران، وكان يقول: «**إنّ معاملة الإيرانيّين للأسرى العراقيّين معاملة إنسانيّة**»، وقد أحضر مرّة أو مرّتين رسالة من عمّه إلى المخيّم، وقرأها لنا. كان يقول لنا [عندما ينفرد بنا]: «**إنّي بسبب العلاقة الإنسانيّة التي كانت تربط الإيرانيّين بعمّي، أودّ أن أخدم الأسرى الإيرانيّين!**»

كانت أسرة عمّه قد ذهبت في العام 1984م إلى طهران للقائه. كان حانقًا على صدّام، لكنّه لم يكن يظهر ذلك. كان منزعجًا؛ لأنّ العراق رفض اقتراح إيران بزيارة عائلات الأسرى العراقيّين لأبنائهم. في شهر آب عام 1986 كانت إيران قد عرضت على العراق أن يتمّ لقاء عائلات الأسرى العراقيّين بأبنائهم الأسرى في بلد ثالث، وقد رفض صدّام هذا الاقتراح بصراحة. كانت إيران مستعدّة لنقل الأسرى العراقيّين إلى أيّ دولة يوافق العراق عليها، ليلتقوا بعائلاتهم، لم يكن العراق مستعدًّا للقيام بهذا الأمر. وقد وافق العراقيّون أنفسهم على اقتراح الإيرانيّين، إلّا أنّ القيادات العراقيّة رفضته. كان يُقال: إن انزعاج صدّام كان بسبب كون هذا الاقتراح مطروحًا من قبل إيران، وهذا الأمر يجعلها محبوبة ومقبولة. كان الدكتور «**مؤيّد**» يقول: «**لقد عملتم كلّ ما عليكم، التقصير كان من جانب الدولة العراقيّة!**»

رأى العقيدان، اللذان يتفقّدان المخيّم، أنّ «**لطف عليّ**»، يحتاج إلى شخصين لنقله من مكان إلى آخر، وقد وعدا بالإفراج عنه. كنت على يقين أنّهما يكذبان أيضًا. طلبت من العقيد الإذن بالكلام. كنّا قد قرّرنا أن نتكلّم مع العقيد بشأن «**لطف عليّ**»، قلت للعقيد المسنّ، والذي يبدو أنّه ودود: «**نحن نعرف أنّا باقون هنا، مطلبنا منكم نحن الجرحى هو أن تسمحوا لاثنين من الجرحى؛ بسبب وضعهما الخاصّ، أن يبقيا في المستوصف (المركز الصحيّ)**.

- ومن هما هذان الشخصان؟!
- «**لطف عليّ**»، و«**يد الله زارعي**».

وبعد استشارة الدكتور «**جمال**»، لم يسمح العقيد لـ«**لطف عليّ**»

و«**يد الله**» أن يبقيا في مستوصف المخيّم. عندما سمعنا خبر الرفض، قال الحاجّ «**سعد الله كل محمّدي**» لـ«**لطف علي**»: «**بنيّ، ليتك كنت استشهدت في الجبهة!**»

فيما كنّا نمرّر مزاح الحاجّ «**سعد الله**»، كان أكثر الإخوة يقولون: لو أنّ «**لطف علي**» و«**يد الله**» استشهدا لكانا أكثر راحةً».

فأجاب «**رامين حضرت زاد**»: «**لو أنّ جميع الأسرى الذين يقبعون في مخيّمات تكريت استشهدوا لكان ذلك أكثر راحةً لهم!**» كان «**لطف عليّ**» صبورًا ومن أهل القلب. اليوم، سمع جواب العقيد، وأفقدته كلماتي الأمل أيضًا، فقال: «**لقد تركنا الشهداء في منتصف الطريق، هم يتنعّمون في الجنّة، ونحن في تكريت نأكل السياط ونكابد الجوع!**»

فأجابه الحاجّ «**حسين شكري**»: «**لطف عليّ**! ألتحقْتَ بمعسكر الخوارج؟!«

قال «**لطف عليّ**»: كان الشهداء أذكى منّا. عندها قال له الحاجّ حسين: ليتك كنت استشهدت!

أجابه «**لطف عليّ**» ممازحًا: «**يا حاجّ! لو كنت استشهدت لكان أبي قتلني!**»

بينما كنّا ننتظر إنهاء تسجيل الأسماء لنعود إلى العنبر، حدّق أحد الرتباء، وكان مساعدًا للعقيد الزائر، بالسيّد «**محمّد شفاعت**» بلؤم، كان قصير القامة، نحيفًا، فتقدّم وأخرج قرآنًا من جيبه، وقال للسيّد «**محمّد**»، الذي كان يجلس بالقرب منّي: «**ألديكم في إيران قرآن؟!**»

أجابه السيّد «**محمّد**»: «**بالطبع يوجد في كلّ بيت قرآن!**

قال المساعد: «**وما يفعل المجوس بالقرآن؟!**»

فأجابه السيد «**محمّد**»: «**إنّ آية الله السيستاني إيرانيّ، يعطيكم، أنتم العرب، في العراق، دروسًا في القرآن**».

قال المساعد، الذي كان «**فاضل**» يترجم كلامه: «**أنت تكذب، الإيرانيّون والقرآن! إذا كنت صادقًا فاقرأ القرآن**».

حمل السيّد «**محمّد**» الذي كان إنسانًا صاحب ذوق وسريع البديهة، نملةً وأشار بها إلى الضابط قائلاً: «**هل ترى هذه الحشرة؟ تسمّى النملة، يوجد في القرآن سورة باسم «النمل»، فيها بسملتان، والبسملة الثانية تقع في الآية الثلاثين من السورة، نزلت على الرسول ﷺ قبل الهجرة، وهي واحدة من أطول السور القرآنيّة**».

كان واضحًا على وجه الضابط أنّه إمّا كان جاهلاً، أو أنّه، واقعًا، لم يكن يصدّق أنّ للإيرانيين أدنى اطّلاع على القرآن. كنتَ تجد في العراق أناسًا كثيرين على هذه الشاكلة، فالدّعايات السامّة لحزب البعث قد صوّرت الإيرانيّين كأناس معادين للقرآن والرسول!

شرع السيّد «**محمّد**» بتلاوة بعض الآيات من سورة النمل، وكان الرتيب مبهوتاً بالسيّد «**محمّد**»:

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

(1) النمل / الآية 18.

الثلاثاء 20 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كان «**عليّ جار الله**» قد أخبر «**رامين حضرت زاد**» بأسماء عدد من الجواسيس وناقلي الأخبار. كنت أعرف بعضهم، منهم من كان فطنًا، ولا يوقع نفسه في الفخّ. لم يكن الجواسيس يتصوّرون أنّ «**عليّ جار الله**» سيقول شيئًا، ونحن أيضًا كنّا نتظاهر بعدم علمنا بشيء. كان «**رامين**» حريصًا جدًّا، كان يهدف إلى تثبيت الارتباط باثنين أوثلاثة من الجواسيس، أراد أن يطرح مشروع صداقة، ويعمل على تخلّي هؤلاء عن العمالة.

قبل الظهر، جاء إليّ «**رامين**» وقال: «**لديّ فكرة!**»

– ما هي؟ خير إن شاء الله!

– تتعلّق بالأشخاص الذين ينقلون الأخبار، وأصبحوا جواسيسَ للعراقيّين، عن علمٍ أو عن غير علم!

كان «**رامين**» يرى أنّه لا ينبغي الانتظار، حتّى يربّي العراقيّون كلّ هؤلاء الجواسيس. كان قد وجد طريقة، فأغلب الجواسيس كانوا من المدخّنين، رأى «**رامين**» أنّنا باستخدام أسلوب سيجارة في مقابل سيجارة يمكننا أن نصرف الكثيرين منهم عن العمالة، الأسلوب الذي اتّبعناه في «**المخيّم الملحق**»، لكنّه لم يكن منظّمًا. عندما سمعت كلامه، شعرت بالأمل، أراد أن يشكّل مجموعة متابعة، وينفّذ خطّته بإتقان.

اتُّخِذ القرار أن نشتري جميعًا السجائر بالمبالغ الشهريّة، ولو كانت زهيدة، التي كانت تُعطى لنا، وقيمتها دينار ونصف للشخص الواحد. وقد شجّع «**رامين**» أصدقاءه الآخرين من غير المدخّنين، أن

يشتروا السجائر أيضًا بشهريّاتهم. قرّرت أنا وكثير من الإخوة، الذين يثقـون برامين، أن نضـع سجائرنا فـي تصرّفه. كان «**رامين**» يعرف كيف يعمل، ويعمل بجدّ، كان يعلم من أيّ باب يرد عليهم. وإذا كنت أنا أحتـاج أن أُعطي الجاسوس خمس سجائـر ليترك العمالة، كان رامين يصرفه عن هذا الأمر بسيجارة أو سيجارتين، كان يراقب الجواسيس عـن طريق أشخاص محدّدين، ولم يكن يخفى عليه من كان يَعِدُ بترك العمالـة مقابـل سيجارة ثم ينقل الأخبار خفيةً. فـكان يعرف من يأكل من المخـلاة ومن المعلف أيضًـا. أحيانًا كان يتكلّـم بلهجة قاسية مع بعض الجواسيس. كانت مجموعـة التدخّل السريع خاصّته، والتي كان على رأسها «**عليّ كاركن**»، تنفّذ أوامره. كان لا يتوسّل الشدَّة إلّا عندما يصـل الموسى إلـى لحيته. في بعض الظـروف الخاصّة، عندما كانت تَنْفَد السجائر منه، كان يقترض السجائر من الإخوة.

أغلب الأسرى المدخّنين الذين كانت تنفد سجائرهم في الأسبوعين الأوَّليـن، كانوا يقترضـون السجائر منـه. بعض الإخـوة كانوا يعطون «**راميـن**» كلّ شهـر، علبـة أو علبتين مـن السجائر، ومـن دون مقابل، للاستفـادة منها في بنك السجائر، لقد استفاد من السجائر، الوسيلة التي استخدمها العراقيّون لتأجير ضعاف النفوس، استفادةً جيّدة.

كسد سـوق العراقيّين من خلال التدبير الذي اتّخذه «**رامين**»، وقد اكتشف العراقيّون أمر بعض القادة في المخيّم، وعندئذ، كان الإخوة يقولـون للوشاة: كم سيجـارة تلقّيتم مقابل كشف أمـر فلان؟ لو كنتم أتيتم إلينـا لحصلتم على ضعف ذلك. استـاء العراقيّون من «**رامين**» ومن الإخـوة الذين يشاركونه الفكـرة، لم يكونوا يريـدون للجواسيس

مواجهة المشاكل في المخيّم، مع أنّ الجاسوسيّة لم تتعطّل يومًا، إلّا أنّ «**رامين**» بَاغَتَ العراقيّين، كان يتكلّم مع المدخّنين من الجواسيس، ويعطيهم من السجائر أكثر ممّا كان العراقيّون يعطونهم، حتّى لا يخونوا أبناء جلدتهم. كان «**رامين**» يقول لهم: أنتم تأخذون السجائر من العراقيّين، وفي المقابل تكشفون أمر رفاقكم وأبناء وطنكم، نحن سنعطيكم السجائر، فلا تقوموا بهذا العمل، لا تظلموا رفاقكم في الأسر، لا تلوّثوا أنفسكم بالمعاصي والذنوب.

كان بعض المدخّنين الذين يحصلون على السجائر بطرق الحلال يقولون بصوت مرتفع: أربع نوبات تدليك، كلّ نوبة ساعتان، مقابل سيجارة، هل من أحد؟!

الأحد 25 حزيران 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

إنها الذكرى السنوية الأولى لوقوعي في الأسر، فقد أُسرت في مثل هذا اليوم قبل سنة. هذا اليوم بالنسبة إليّ هو من الأيّام التي لا تنسى، كيوم الولادة، وسائر الأيّام المهمّة. كلّما أذكر هذا اليوم، أشعر بالعطش.

الخميس 13 تمّوز 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليوم، كان العراقيّون على غير حالهم، لا أدري لماذا؟! قال سامي: «**إنّ عبد الرحمن قاسملو، الأمين العام للحزب الديمقراطي الكردستاني، اغتيل في فيينّا على أيدي مجهولين**». قال حامد: للأسف، فقد أُزيح من طريق إيران، واحدٌ ممّن يعملون في جبهة العراق المتَّحدة ضدَّكم. سأل حامد الأسرى: «**من برأيكم قتل قاسملو؟**»

فأجبتــه: «**اللّه أعلم، فالرصاصات والصواريـخ التائهة كثيرة في هذا العالم!**»

الجمعة 14 تمّوز 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كتبــت الصحف العراقيّة اليوم عن إسقــاط النظام الملكيّ، ومقتل الملــك العراقيّ فيصــل الثانــي، وإقامــة الجمهوريّــة العراقيّة، حيث أطــاح عبد الكريم قاســم وعبد السلام عــارف بملك العــراق، وتوليّا زمــام الأمور. أجمل تعليق سمعته اليوم حــول هذا الخبر، المنشور في الصحف العراقيّة، كان كلام «**عليّ آقايي**»، الذي قال: «**الكلب الأصفر أخو ابن آوى!**»

عصــرًا، شهد «**عليّ جار اللّه**» الجدال الــذي دار بيني وبين «**شفيق عاصم**»، ضابط التوجيه السياسيّ. فقد سألني الضابط المرافق له:

– كيــف يمكــن لهذا الأمــر أن يحــدث، أي عندما يقــول الخمينيّ: «**يجب تحرير مهران وعبادان**[1]**، فإنّهما تتحرّان فعلاً؟!**»

– الأمر يعود إلى مرجعيّة قائدنا، فحكمه ينبغي أن يُنفّذ، إنّ قائدنا في هذه الدنيا هو مرجع التقليد وحده.

قال شفيــق متهكّمًا: حسنًــا، ليت رئيس جمهوريّتنــا كان يرجع إلى السيّــد الخوئي والسيّد السيستانــي. تكلّم «**شفيق عاصـم**» كعادته عن معركة القادسيّة وانتصــار العرب على الفرس، وحاول إهانتي. عندما أمعن في إهانــة الإيرانيّين، وقفتُ من شدّة انزعاجي، وانصرفت دون إذنه، تبعني «**عليّ جار اللّه**»، وقد كان إنساناً فهيماً فقال:

---

(1) كان يقصــد هــذه العبارة من كلام الإمام: حصر آبادان بايد شكسته شود (ينبغي لحصار عبادان أن يُفكّ).

– أحسنت عملاً إذ لم تبالِ به.

– إن كان «**شفيق عاصم**» هذا صادقًا في كلامه، فليتكلّم عن الحرب الإيرانيّة العراقيّة، الأمر لا يتطلّب الانتقال إلى القرون الماضيّة، والتكلّم عن معركة القادسيّة.

قال لي «**علي جار الله**» الذي كانت تربطه علاقة جيّدة بـ«**شفيق عاصم**»: إذا تكلّم مرةً أخرى عن معركة القادسيّة، فقل له: «**لقد كانت معركة القادسيّة معركة الإسلام والكفر، لا معركة العرب والفرس. حينها كان العرب إلى جانب الإسلام، أمّا الفرس فلا. في الحرب الإيرانيّة العراقيّة ابتعد الجيش العراقيّ عن الإسلام، فيما اتّبع الفرس تعاليم الإسلام. ولأنّ الفرس اتّبعوا الإسلام وأقاموا الحكومة الإسلاميّة، انتصروا في مقابل الجيش العراقيّ، فيما تراجع العراقيّون. لقد تبدّل التاريخ اليوم، قل له بعد ذلك: لا تفتأ تذكر سعد بن أبي وقاص، فإنّ سعد ابن أبي وقّاص لم يكن عراقيًا، ولا خالد بن الوليد، ولا أبو عبيدة الثقفيّ، لهما جذور في العراق. لكن لا تقل أنّني قلت لك هذا الكلام**».

السبت 15 تمّوز 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كنت جالسًا إلى جانب المدخل، وفيما كان السيِّد «**عليّ آشنا**» يمرّ بجانبي لاحظت دموعًا في عينيه. كان «**السيّد عليّ**» رجلاً متماسكًا، عاطفيًّا، ومحبًّا. ناديته وقلت:

– «**سيِّد عليّ**»! ما بك؟ وما الذي يزعجك؟

كان يكنّ لي مودّةً خاصّة، وقد انتُخب لمدّة كمسؤول عن العنبر.

جاء إلـيّ، جلس إلى جانبي وقـال: «**أيّها السيّد! رأيت خلف العنبر، هناك، منظرًا لم أستطع أن أملك دموعي بسببه**».

- وهل يمكنك أن تخبرني به؟

- هل تعرف الملازم «**أسد الله بناهي**»[1]؟

- نعم أعرفه!

- رأيته جالسًا خلف العنبر، وفي يده فرشاة أسنان، كان ينظر إليها ويبكـي، تقدّمت نحوه وقلت: «**أيّها الملازم بناهـي! لماذا تبكي؟ أنتم الكبار ينبغي أن تكونوا صبورين وأقوياء أزاء المشاكل والصعاب، وأن تمدّونا نحن الصغار بالمعنويّات، وكأنّه ينبغي لأحد أن يأتي ويطيّب خاطرك!**»

أراني الملازم بناهي فرشاة الأسنان التي كانت في يده، كان قد حفـر اسم ابنته «**عاطفـة**» عليها، قال: «**سيِّد علـيّ! أنا رجل متماسك وقـويّ، خدمت في الجيش، واجهت صعوبات كثيرة، ولم أبالِ، لكنِّي انهرت. في اليوم الذي ودّعت فيه العائلة قاصدًا الجبهة، عندما قالت لي ابنتي «عاطفة»: «بابا! حينما تعود أحضر لي معك فرشاة الأسنان، قلت: حاضر يا بنتي، حتمًا، سأحضرها لك حين أعود! وقد اشتريت لها هذه الفرشاة، لكنّني لم أعد، ووقعت في الأسر، ولا زالت هي تنتظر الفرشاة!**»

عندما ذكر «**أسد الله**» بناهي هذه القصّة تذكّرت الشهيد «**بيران مستوفي**»، حيث قال لي قبل يومين من استشهاده: «**حين تركت البيت قاصدًا الجبهة، لحق بي ابني ياسر، وراح يبكي بشدّة، فحاولت منعه،**

---

(1) أحد أسرى الجيش الإيرانيّ..

لكنه لم يسكت، ومن أجل أن أهدّئه قلت: ولدي حبيبي! أنا ذاهب إلى «دهدشت» لأشتري لك قميصًا، سأعود بسرعة»[1].

انهمرت عينا السيّد «**عليّ**» بالدموع من تصوّر هذا المشهد، وقال: «**أجهش الضابط بناهي بالبكاء**» وقال:

- سيّد عليّ! لقد اشتقت لـ«**عاطفة**» كثيرًا، أظنّ أنّني لن أراها ثانيةً.

الأحد 16 تمّوز 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

احتفل الحرّاس بالذكرى السنويّة لوصول حزب البعث إلى السلطة.[2] كان هذا الاحتفال متزامنًا مع ذكرى أربعين الإمام الخمينيّ قدس سره. وقد أصدر شفيق عاصم، ضابط قسم التوجيه السياسي في المخيّم، أوامره بمنع إقامة مجالس العزاء عن روح الإمام. قال رئيس الحرّاس للسيّد «**عليّ آشنا**» المسؤول عن العنبر: «**ليفرح الأسرى اليوم وليشاهدوا فيلمًا هنديًا**». أقبل جماعة اللامبالين، والمنافقين على مشاهدة الأفلام الهنديّة والمصريّة.

نهاية الأمر، عُرض فيلم وثائقيّ عن صدّام، وكيفيّة وصوله إلى السلطة، انقلاب عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، الإطاحة بالملك فيصل الثاني، استبسال صدّام كقائد للقادسيّة في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم الفاشلة، وأخيرًا فرار صدّام إلى سوريّة و.... .

ظهرًا، ألقى الملازم «**فاضل**» خطابًا، ونحن في صفّ الإحصاء. كان

(1) بعد عشرين عاماً حين أخبرت ياسراً هذه القصّة، قال لي: إنّي أنتظر أبي منذ عشرين عاماً ليشتري لي قميصاً ويعود إلى البيت.

(2) وصل حزب البعث العراقيّ في 17 تمّوز 1968 إلى السلطة. أصبح أحمد حسن البكر رئيسًا للجمهوريّة، وصدّام معاونه. في مثل هذا اليوم من العام 1979 نحّى صدّام أحمد حسن البكر ذا الواحد والستّين عاماً، ليصبح هو رابع رئيس للعراق، وهو في الثانية والأربعين من العمر.

مسرورًا. لم يتورّع «**فاضل**» عن توجيه أيّة إهانة للإمام وقادة الجمهوريّة الإسلاميّة، فقال: بموت قائدكم، لم يعد يتهدّدنا أيّ خطر، وقد أُزيح مصدر الخطر الداهم من طريق العراق... في المستقبل القريب، سيحكم الرئيس القائد صدّام حسين، من خلال تشكيل إمبراطوريّة عربيّة كبيرة على غرار الإمبراطورية البيزنطيّة أو الرومانيّة، الشرق الأوسط بأكمله. وبموت الخمينيّ اليوم، لم يعد العراق قلقًا من تصدير الثورة الإيرانيّة! كاد الإخوة ينفجرون من شدّة الغضب؛ فلو كان الملازم «**فاضل**» أكمل كلامه لما استطاع أحد الوقوف في وجه الإخوة الحزب اللهيّين. عندها صاح الحاجّ «**حسين شكري**»، الذي كان جالسًا إلى جانبي في آخر العنبر، بأعلى صوته: «**لإدخال السرور على روح الإمام الخمينيّ قدس سره، وسلامة آية الله الخامنئيّ، صلوات!**»

أظهرت الصلوات المدوّية التي أطلقها الأسرى انزعاجهم وحَنَقهم من كلمات «**فاضل**». وبينما كان الإخوة يطلقون الصلوات بأعلى أصواتهم، وضع الملازم «**فاضل**» يديه في أذنيه، وخرج من العنبر.

وُضِعت الحلوى على طاولة أمام مدخل العنبر، وظهرت إلى جانب الحلوى صورة كبيرة لصدّام حسين. أشار النقيب «**شفيق عاصم**» إلى صورة صدّام الذي كان يحمل فيها سيفًا، وقال: «**هذا سيف ذو الفقار أعطي لصدّام**».

أجابه السيِّد «**عليّ آشنا**»: «**سيف ذو الفقار يقطع رقاب الباطل، لا رقاب المحبِّين والموالين**».

عند خروج الأسرى من العنبر، قُلبت الطاولة التي كانت الحلوى وصورة صدّام موضوعة عليها، وتحوّلت ذكرى استلام حزب البعث

السلطة علقمًا في فم العراقيّين، الذين لم يراعوا حرمة أربعين الإمام. وتحطَّم زجاج صورة صدّام أغضبهم بشدّة.

انهال عطيّة بالسوط على رؤوس الإخوة، كسر نظّارة أحدهم. كان عطيّة من أهالي «**الدهوك**» في العراق، كان رجلاً عبوسًا، غريب الطباع، أسمر اللون، متوسّط القامة، يرتدي الملابس الفضفاضة، وعادةً ما كان غير مرتّب. وقد طلب الحرّاس من السيّد علي آشنا[1]، مسؤول العنبر، أن ينظِّم الإخوة ويجلسهم في صفّ الإحصاء.

فكلمات الملازم «**فاضل**»، والصلوات التي أطلقها الإخوة لإدخال السرور على روح الإمام، وحفظ قائد الثورة، وسقوط طاولة الحلوى، وتحطّم زجاج صورة صدّام في أربعين الإمام، وذكرى صعود حزب البعث، تراكمت كلّها، ليطيب اليوم الضرب المبرِّح لأسرى العنبر.

ظهرًا، لم يُقدَّم لنا الغداء. دخل الحرّاس علينا بالسّياط والهراوات. لم يرحموا شيخًا، ولا شابًّا، جريحًا، ولا سالمًا. أخذوا الحاجّ «**حسين شكري**» إلى خارج العنبر، وضربوه ضربًا مبرِّحًا. كان «**سامي**» يقول: لقد قال النقيب «**خليل**» للملازم «**فاضل**» إنّ الإيرانيّين يتعصّبون للإمام الخمينيّ تعصّبًا خاصًّا. في هذه الأيّام التي يقيم فيها الإيرانيّون العزاء للخمينيّ، لا ينبغي التكلّم بما من شأنه تحريض الأسرى، وحضّهم على التمرّد والعصيان.

بعد الظهر، أقام الإخوة مجلس عزاء عن روح الإمام، وكنت أنا من قرأ المجلس.

(1) السيّد «**عليّ آشنا**» من أهالي أردبيل، وكان أحد مقاتلي«**لواء حمزة 21**»، وقع في الأسر بتاريخ 2آب 1988م هـ.ش في منطقة دهلران.

الثلاثاء 18 تمّوز 1989 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليـوم، كان من المقـرّر أن يعاقبنـي «**حبّوش**»، الحارس الجديد، بسبب مجلس العزاء الذي قرأته البارحة.

حـاول «**عليّ آشنـا**»، مسؤول العنبر، التوسّط لكـي لا يضربني. قال لـه: «**برأيـك، أيُضربُ مثـل هذا الشخص؟**» قال «**حبوش**» لـ«**فاضل**» المترجم: «**ما يقول هذا؟**»

أجابـه «**فاضـل**»: إنّه يقول، برأيـك، أيضرب مثل هـذا الشخص؟ حـدّق حبّوش بي للحظـات، وقال لـ«**فاضـل**»: «**قل له، لا شـأن لي بك، إنّما حسابك عند شفيق!**»

بعـد الإحصاء الليلي، أصاب عين «**ميثم سيرفر**» ألم شديد. ذهب الحـاجّ «**سعـد الله**»، الذي كان يحبّه كثيرًا، إلـى رئيس الحرس ليطلب لـه مسكّنًـا، ولكنّه رجع خالي الوفاض خائبًا. جلـس الحاجّ «**سعد الله**» إلـى جانب ميثـم، وكان يناديه بميثم التمّار. كان غالباً ما يقول لميثم: «**عندمـا يُفـرج عنّـا، ونذهـب إلى إيـران، تعـالَ لأزوّجك ابنتـي**». كان الحـاجّ «**سعـد الله**» يقول: في «**مشفـى 17 تمّوز**»، حيـث الماء متوافرٌ، كان ميثـم لا يشرب الكثير منه، وكان شربه للماء في حدّ رفع العطش. عندمـا قلت له: يا رجل! لِمَ تأكل وتشـرب إلى حدّ الكفاف؟ كان يقول: حـاجّ، إذا أكثرتُ من الطعام والشراب، سيلزم على الإخوة أن ينقلوني إلى الحمّام مرّتين أو ثلاث مرّات يوميًّا، سيشقّ ذلك عليهم؛ آكل كمّيّة أقلّ، فأزعجهم مرّةً واحدةً، هكذا أخفِّف العناء عن الإخوة.

الثلاثاء 25 تمّوز 1989 - تكريت - المخيّم 16

كان «**عليّ آقايي**»[1] الأسير الوحيد الذي لم يكن يؤدّي التحيّة العسكريّة للضبّاط والحرّاس العراقيّين، فقد كانت لـ«**عليّ**» قوانينه الخاصّة، وهذا ما كان يقوله دائماً ومن القوانين الحاكمة في المخيّم، تأدية التحيّة العسكريّة للضبّاط والحرّاس. فعندما كانوا يمرّون بجانبنا، كان يتوجّب علينا تأدية التحيّة العسكريّة. لم يسرِ هذا القانون عليّ وعلى «**محمّد كاظم**» بسبب فقداننا أحد الرجلين. لم يؤدِّ «**عليّ**» التحيّة العسكريّة للملازم «**فاضل**». وقد أهان الملازم «**فاضل**» «**عليّاً**» مرّةً أو مرّتين قبلها، بالكلام. وكان «**عليّ**» قد أجابه: «**نحن الإيرانيّين، في أوج العقوبات العسكريّة علينا، فجّرنا الصاروخ الملقى من طائرتكم فوق مياه الخليج الفارسيّ، وهو في طريقه لإصابة الهدف!**»

كان الملازم «**فاضل**» غاضبًا من «**عليّ**». كثيرًا ما كان يُضرب بسبب الكلمات التي كان يتفوّه بها؛ وقد لقي عقابه على عدم تأدية التحيّة العسكريّة.

سأل الملازم «**فاضل**» «**عليًّا**»: لماذا لا تؤدّي التحيّة مثل باقي الأسرى، كسر هذا القانون سوف يؤدّي بك إلى عواقب وخيمة!

كان «**عليّ**» إنسانًا صريحًا، شجاعًا، لا يعرف الخوف. كلّما كنت أطلب منه أن لا يعاند العراقيّين، كان يجيب الإجابة نفسها. وعندما

---

(1) كان علي آقايي من أهالي زاهدان. وكان قائد «**سريّة زيد**» في «**الكتيبة 409**» لـ«**فرقة ثار الله 41**». وقد أُصيب برجله في شلمجة، ووقع في الأسر بتاريخ 25 أيار 1988 استُشهد علي آقايي في مدينة مشهد المقدّسة إثر تدهور حالته الصحّيّة بسبب تنشّقه للغازات الكيميائيّة السّامة في فترة الحرب، وذلك في شهر آب 1999. وقد نقل لي رامين حضرت زاد خبر شهادته.

سأله الملازم «**فاضل**» عن سبب عدم تأديته للتحيّة العسكريّة، أجابه: «**سيّـدي! لي قائد يُدعى محسن رضائي، لم يعلّمني أن أؤدّي التحيّة العسكريّة للعراقيّين!**»

قال الملازم «**فاضل**» وهو غاضب: «**أبله، علّمك قلّة الأدب؟**»

قـال «**علـيّ**»: «**لا، علّمنـي أن أقاتـل جيّـدًا وأن لا أوقـع نفسـي في الأسر، وقد فعلتُ للأسف!**»

عندمـا أنهى العراقيّون ضرب «**علـيّ**» وشتمه، توجّه بوجهه المزرقّ إلى الملازم «**فاضل**» وقال:

«**أيّها الملازم! هناك سبب آخر لعدم تأديتي التحيّة العسكريّة لك!**»

كان الملازم «**فاضل**» ينتظر ليرى ما يقوله «**عليّ**». تابع وقال: «**أيّها المـلازم! عـدم تأديتـي التحيّـة العسكريّة لـك لها جذور فـي مسألة التولّـي والتبـرّي، المـوالاة لأوليـاء الله والمعـاداة لأعداهـم، وأنتـم أعداء الله وأعداء أهل بيت رسول الله!**»

عندها أمر الملازم «**فاضل**» بحبسه في قفص خاصّ.

كانوا قـد بنوا، بأمر من النقيب «**خليل**»، قفصـاً حديديًّا بطول 1م وعرض نصف متر. هـو أشبه بأقفاص الطيور الحديديّـة. يقع هذا القفص بين العنبر رقم (1) والعنبر رقم (2) في نهاية القسم الشمالي لعنبرنـا. كانـت حواجز هـذا القفص الضيّـق مصنوعة مـن قضبان حديديّة أسطوانيّـة. وقد اختبرتُ هذا القفص مرّتين في فترة الأسر. كنّا لا نستطيع التمدّد داخل القفص. آخر مرّة حُبستُ فيه كانت بسبب قراءتـي لمجلس عزاء بذكرى أربعين الإمام، التي تزامنت مع الذكرى السنويّة لاستلام حزب البعث الحكم. بعد عدّة أيّام، حين أُخرج «**عليّ**

آقايي» من ذلك القفص، قلت له: «**عليّ، كيف وجدت القفص؟!**»

أجاب: «**كلّما كان القفص أضيقَ كانت الحرّيّة أعذب!**»

عنـد المساء، أتى أحد الإخوة مـن أهـالي شيراز إليّ. وكان قد أُسر فـي جزيرة «**مجنـون**». وكنـت قد رأيته مـن قبل في سجـن «**الرشيد رقـم (1)**». كان يُدعـى «**جعفر محمّدي**»، وهـو من الإخوة القدماء في الجبهـة. وكان يقول: إنّي أحـبّ أبناء «**كهكيلويه وبويـر أحمد**» بسبب الشهيـد «**جواد هرمزبـور**». كان يكنّ له محبّة خاصّة، كان قائد كتيبته فـي عمليّات «**الفتـح المبيـن**». وفيما بعد، أصبـح الشهيد «**هرمزبور**» قائد لواء فاطمة الزهراء عليها السلام ، وكان معه في منطقة «**غرب زبيدات**». كان يتحدّث عن الشهيد قائلاً: «**كان قائدًا ذكيًّا وعظيمًا، وقد قال ذات ليلة لقادة الكتائب: على قائد كلّ كتيبة مع قادة سراياه ومساعديهم، القيـام منتصف الليـل ومسح أحذيـة عناصرهم**». وأضـاف: «**كانت ساعات نومه في اليوم أقلّ من خمس ساعات**».

فـي شهر ك2 من العام 1987، وقبـل أن نذهب إلى عبادان وجزيرة «**مينو**» في «**عمليّات كربلاء 4**»، خطب فينا السيّد «**عنايت الله مرادي**»، وفـي نهاية خطبته، قرأ لنا بعضًا من وصيّة الشهيد «**جواد هرمزبور**»، وعيناه تفيضان بالدموع.[1]

(1) لا زلت إلى اليوم، وقد مرّت سنوات على تلك الأيّام، عندما أمرّ على وصيّة «**الشهيد هرمزبور**» وأسمع قصصـه على لسان رفاقـه، أشعر بالغبطة، وأتمنّى أن أرى «**جعفر محمّدي**» رفيقي في الأسر، لأقول له: «**جعفر**»، يكفي الشهيد «**هرمزبور**» مظلوميّةً، أنّ الكثير من أبناء منطقتي بعد مرور عشرين عاماً علـى نهاية الحـرب، لا زالوا لا يعلمـون أنّ الشهيد «**جواد هرمزبـور**» كان قائد لـواء فاطمة الزهراء عليها السلام . لكـنّ الشهيـد السيّد «**عنايت الله مرادي**» كان يعرفه جيّداً، حيث كان يذرف الدموع عند قراءة أجزاء من وصيّته، لكي تبقى روح المقاومة وطلب الشهادة حيّةً في قلوب عناصر (زرع ونزع الألغام) التخريـب فـي «**لـواء الفتح 48**». لا زال صـوت الشهيد «**مـرادي**» الذي كان يقرأ لنا أجـزاءً من وصيّة

والشهيد «**جعفر محمّدي**»، الذي كان من أهل القلب، كان يقول: في شهر نيسان من العام 1982 في المرحلة الثانية من عمليّات «**الفتح المبين**»، وقف الشهيد «**هرمزبور**» عند رأس أحد الشهداء، وكان طالب علم من أهالي فارس، وكان الشهيد قد كتب رسالةً يخاطب فيها الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف، سلّمها إلى الشهيد «**هرمزبور**»، وطلب منه أن يضعها في صندوق مسجد جمكران. بعد انتهاء العمليّات، نقل الشهيد «**هرمزبور**» وهو في النظام المرصوص قصّة مناجاة هذا الشهيد التي يخاطب فيها إمام الزمان وكان يسأل الإخوة: »من منكم سيذهب إلى قم حتّى ينقل هذه الرسالة إلى مسجد جمكران؟ أجاب أحد الإخوة الطهرانيّين: أنا ذاهب إلى طهران، عندما أذهب إلى قم أضعها في صندوق مسجد جمكران. وتابع «**جعفر محمّدي**» قائلاً: رجوناه كثيرًا ليقرأ لنا ما في رسالة ذلك الشهيد؛ وكأنّ الشهيد لم يرضَ لأحد أن يطّلع على رسالته سوى الشهيد «**هرمزبور**».

الشهيد «هرمزبور» عن قصاصة ورق صغيرة، يتردّد في أذني إلى الآن:

... لزرع اليأس في قلوب المنافقين، عندما تنقلون جنازتي إلى المقبرة، أخرجوا يديّ من التابوت، ليعلم الجميع أنّي لم آخذ معي شيئاً. أبقوا عينيّ مفتوحتين ليعلم الجميع أنّي لم أُقتل على غير بصيرة. ضعوا حذائي المرقّع على قبري ليشهد العابرون من أهل القرى أنّ المستضعفين والحفاة كانوا أنصارًا أوفياء للإمام...

الفصل التاسع:

تكريت - المخيّم الملحق

الخميس 27 تمّوز 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

مضى أسبوع على إصابتي بالجرب، كان مرضًا سيّئًا، ومعديًا، وقد أُصيب الكثير من الإخوة به من جرّاء عدم توفّر الامكانيّات الصّحيّة، وقلّة المياه، ومشكلة الحمّام، ووجود دورات المياه المتنقّلة، التي كانت سببًا لانتشار الميكروبات المختلفة، والأمراض الغريبة. إلى ما قبل أسبوع، كان عدد المصابين بالجرب قليلاً؛ لكنّه تضاعف هذا الأسبوع.

بالأمس أوصى الدكتور «**جمال**» المصابين بالجرب أن لا يلمسوا الأصحّاء، فلا يشاركونهم الطعام ويجتنبون الاحتكاك بهم. طفحت حبوب حمراء متقيحة في كلّ أنحاء جسمي، مزعجة لا يمكن الصبر عليها، للتقليل من الحرقة كانت هذه الحبوب الصغيرة تُفقأ، وتلتهب، نتيجة الحكّ الكثير. لم أكن أُقبّل، أو ألمس أحدًا.

جُمع المصابون أمام مدخل العنبر بناء لطلب الدكتور «**جمال**». أرادوا فصلنا، ونقلنا إلى مكان آخر لا نعرفه! انطلقنا في صفّ واحد، وخرجنا من باحة العنبر. بعد دقائق قليلة، جلسنا في صفّ واحد أمام مدخل «**المخيّم الملحق**». لقد خُصّص هذا المخيّم للمصابين بالجرب. لم يعد «**المخيّم الملحق**» كما كان في السابق؛ حيث تمّ

اخـلاؤه البارحة من الأسرى الذين نقل قسمٌ منهم إلى العنابر، وقسم آخر إلى «**مخيّم بعقوبة**»، وقسم ثالث إلى «**مخيّم النهروان**».

شعرت بالانقباض؛ لأنّي سأنفصل عن رفاقي. وقد كان الأمر صعبًا عندما أردنا الافتراق عن بعضنا.

دخلنـا باحة المخيّم الملحـق، قام «**أمجد**» بتوزيعنـا، فوضِعْتُ في المعتقـل رقـم (9)، بدأنـا بالعلاج بعد ظهـر ذلك اليـوم نفسه، فقد جـاء الدكتور «**جمال**» إلينا، وقال: «**ينبغـي أن تخلعوا ملابسكم كلّها، وتعرّضوا أجسامكم لنور الشمس!**»

تعجّبـت مـن ذلك، لـم يرضخ الإخـوة للضغوط. بـدا أن التعرّي، واستعمـال مرهـم خاصّ، والجلوس تحت نـور الشمـس المحرقة هو العـلاج الوحيـد للجرب في بلاد مـا بين النهريـن. كان المرهم كريه الرائحـة ودهنيًّا، وأشبه بالشّحم، وكان علينـا أن ندهنه على الحبوب المتقيّحـة، ونجلـس تحـت نـور الشمس لخمسـ ساعات يوميًّـا. وبعد استعمـال المرهم كان علينا الاستحمام، في وقـتٍ كنّا نعاني شحًّا في المياه، حيث جفّ ماء البئر الذي كانت الصهاريج تستخرج المياه منه. وقـد واجهت الزراعـة في تكريت مشكلة الشحّ هـذه. والصهاريج التي كانـت تنقل المياه ثلاث مرّات يوميًّا، أصبحت تنقله مرّتين فقط. أكثر الأوقـات كنّا لا نجد ماءً لنغسل أيدينا، فما بالك بالاستحمام. في تلك الفترة، نقلوا إلينا المياه بواسطة الصهريج نفسه الذي كان ينزح مياه الصرف الصحّي للمخيّم!

كنّـا منزعجيـن ومنقبضي الحـال؛ لأنّهـم أجبرونا علـى التعرّي. كنـت أفضّل المـوت على أن أتعـرّى. لم يرضخ الإخـوة للضغوط. كان

الدكتور «**جمال**» وسائر حرّاس المخيّم واقفين فوق رؤوسنا بالسياط والهراوات، فإذا ما قاومنا انهالوا علينا ضربًا. لم تكن المقاومة تجدِ نفعًا. خَلَعَتْ قلّةٌ قليلة ملابسها، لكن عندما قال الدكتور «**مؤيّد**» أنّ علاجنا الوحيد هو التعرّي والجلوس تحت نور الشمس، صدّقناه، فقد كان إنساناً صادقاً.

طلب منّي الإخوة الذهاب إلى غرفة رئيس الحرس، والطلب من الدكتور «**جمال**» أنّه إذا كان ولا بدّ من التعرّي في فناء المخيّم، فليبقوا هم في غرفتهم، ولا يخرجوا منها. ذهبت، وشجّعني الدكتور مؤيّد على ذلك، عندما دخلت غرفة رئيس الحرّاس، وجدت الدكتور «**جمال**»، وسائر الحرّاس يأكلون الفاكهة، توجّهت إلى الدكتور جمال قائلاً:

– دكتور! جئت بالنيابة عن الإخوة، في حاجة!

– أسمعك!

– دكتور! أما من سبيل آخر غير التعرّي؟

– وهل من عيب في ذلك؟

كان واضحًا من طريقة كلامه أنّه لا يولي أيّة أهميّة لكلامي، وكان يتعاطى مع الأسرى بتكبّر وغرور. تابعتُ كلامي:

– دكتور! الأمر معيب، فبالنهاية لنا حرمتنا، وبهذا العمل يُراق ماء وجوهنا!

– ناصر إستخباراتي! أريد ان أسألك سؤالاً، أَتجيبني بصراحة؟

– حاضر سيّدي.

– لو كنت تعلم أنّ مجيئك إلى الجبهة سيؤدي بك إلى الأسر، وستُجبر في مخيّم أسرى الحرب على التعرّي، هل كنت تأتي إلى الجبهة؟

- دكتـور! إنّنا هنا أسرى لديكـم، وأنتم أيضًا لكم أسرى في إيران، والحـرب قد انتهـت، وبرأيي، إنّ طلب الأسيـر العراقيّ في إيران يلقى الأهميّة!

- لا تتهرّب، أريد أن تجيبني على سؤالي.

قلت في نفسي إنّ الدكتور «**جمال**» هذا رجل غدّار، ومتقلّب الطباع، لا يؤاخـذ على أقوالـه. كنت مستعدًّا من أجل أن لا أتعـرّى أن أقول له: لو كنت أعلم انّي سأُجبر في الأسر على التعرّي، لما أتيت إلى الجبهة، ولـو دامت الحرب مئة سنــة. فحتّى لو قلت له: سيّدي الدكتور! أخطأت بمجيئـي إلــى الجبهــة، اعفني مــن التعرّى؛ لـكان قال، أنــت مصاب بالجرب، يجب عليك التعرّي، والجلوس تحت نور الشمس!

حاولت التلكؤ، فلم أجبه على سؤاله، طلب منّي العودة إلى الزنزانة، لذا قلت له كطلب أخير:

- دكتور، من بعد إذنك لي رجاء آخر عندك!

- قل بسرعة!

- دكتور، الآن وقد صدرت أوامرك بأن نتعرّى، نرجو منك أن تطلب إلى الحرّاس أن لا يخرجوا إلى الفناء في الساعات الخمس هذه.

سخـر من كلامي، وقال: ينبغي على حرّاس هذا المخيّم أن يراقبوا الأسرى في كلّ الأحوال حتّى لا يفرّوا!

شعرت بالضيق، لم أفكّر يومًا بالتعرّي، وأنا في الأسر. كنت مستعدًّا لأن أُجلـد بالسياط على أن أُذلّ بهذه الطريقة. ومع أنّي كنت أعلم أنّي كمن يَطّحن الماء(1)، قلت للدكتور جمال:

(1) إشارة إلى المثل الشائع: دقّ الميّ ميّ

- دكتور! اطمئنّ، لا يفكّر أيّ إنسان عارٍ بالفرار، حتّى لو كان باب السجن مفتوحًا، ولا يراقبه أحدٌ.

كان باديًا على وجه الدكتور «**مؤيّد**» أنّه كان مسرورًا من كلامي، أمّا الدكتور «**جمال**»، الذي كان يتناول العنب، فقال:

- أنا ذاهب إلى بغداد، ولكن هذا انتقام اللّه، بأن يتوجّب على أعداء العراق التعرّي، فيُذلّوا ويُخزوا.

دكتور، المهمّ أن لا يكون الإنسان ذليلاً عند اللّه!

عدت إلى المخيّم مغمومًا، ومن دون أن أستأذن. ظنّ الإخوة أنّ الدكتور «**جمال**» والحرّاس وافقوا على أحد الاقتراحين، وبعد أن أخبرتهم ما دار بيني وبين الدكتور «**جمال**»، قلت: الأمر إجباريّ، ولا حلّ إلا بتنفيذ الأوامر...

كان ذلك المشهد أقرب ما يكون لمشهد القيامة. فلم يجسّد أيّ شيء في الدنيا صحراء المحشر أمامي مثلما فعل هذا المشهد.

قال «**حسن بهشتي بور**» للإخوة: «**هذا نوع من الامتحان، المهمّ في هذا الامتحان أن لا نيأس من روح الله، لعلّ الله أراد لنا من خلال هذا التعرّي أن يقدّم لنا صورة عن المحشر؛ لكي نتذكّر يوم القيامة دائمًا؛ اليوم الذي سيُحشر جميع خلق الله فيه عراةً**».

وتوجّه «**حسن بهشتي بور**» إلى الأشخاص الذين كانوا يتأفّفون ويسبّون القادة الإيرانيّين ويشتمونهم: «**إذا كان هذا التعرّي، وهذا التحقير سيكرّس عقائدنا، ويزيد من إيماننا بالله، ولو مقدار ذرّة، فينبغي أن نعدّه فأل خير**».

الاثنين 7 آب 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كنت أتمنّى لو أستطيع الانتقام من العراقيّين. كنت قد أُهنت كثيرًا من خلال الإصابة بالجرب. كان التعرّي أمام الأصدقاء صعبًا، وأمام الأعداء أكثر صعوبةً. وفي تلك الفترة، أصبح القمل والصئبان[1]، إلى جانب داء الجرب، شريك العراقيّين في مصّ دمائنا. فبسبب الأوضاع غير الصحيّة في المخيّم، امتلأت ملابسنا بالقمل والصئبان، ومن كثرة ما مصّوا دماءنا نموا وكبروا، كانت بطونهم ممتلئة دمًا بحيث أصبح من الصعب إزالتها من رؤوسنا ووجوهنا، وقد وجدوا في ثنيات قمصاننا وسراويلنا أماكن جيّدة، مهما قتلنا منهم، كان عددهم يتضاعف في اليوم الثاني. خلال عدة أيّام، كان السيبان يتحوّل إلى قمل. وقد استوطن القمل تحت جلد رؤوس بعض الأخوة فكان القَمّل، والصئبان، والقيح يخرج من تحتها.

كنت عندما أستيقظ في منتصف الليالي، أرى الإخوة مشغولين بقتل القَمّل، وكان بعضهم لا ينفكّ عن الحكّ أثناء النوم ولو للحظة. في الليل، كان الإخوة يلبسون ثيابهم بالمقلوب، ليرتاحوا برهة من شرّ القمّل.

أعترفُ أنّ الحرّاس العراقيّين لم يخضِعُونا، لكنّ القمّل والصئبان فعل ذلك. ففي أوقات الصباح عندما كنّا نريد تناول الفطور، كانت أظافرنا، الأداة الوحيدة لقتل القمّل، تتلوّث بالدماء، ولم يكن الماء متوفّرًا، فكنّا نفضّل شرب الماء الموجود على غسل أيدينا به، ونتناول الفطور بأيادينا الملوّثة.

(1) العامية: السيبان، أي بيض القمل.

كنت أودّ الانتقام من العراقيّين. أخبرت «**جلال رحيميان**»، الأسير الإيرانيّ المسؤول عن المعتقل، فرحّب بالفكرة، لكنّه قال:

- إذا علم العراقيّون بالأمر، يحولون حياتنا جحيمًا!

- جلال! لعل الله يكون غير راضٍ عن عملنا هذا، ولكن لا ضير إن انتقمنا من العراقيّين.

- لا تخبر أحدًا بالأمر.

- أنا منتبه، أخبر فقط الأسير الذي سيقوم بالمهمّة.

وضعنا عددًا من القمْل في وعاء بلاستيكيّ، ثمّ طلبت من الأسير «**مجيد قرباني**»، الذي كان مسؤولاً عن تنظيف غرفة رئيس الحرّاس، إفراغ القمل في طيّات بطّانيّات العراقيّين دون أن يراه الحرّاس، خاف «**مجيد**» من انكشاف أمره، فقال: إذا علموا بالأمر سينتقمون منّي شرّ انتقام!

لم يكن لديه الدافع الكافي ليقوم بهذا الأمر، كنت مضطّرًا أن أشرح له المقدّمات: «.... **مجيد! في موضوع داء الجرب أُجبرنا على التعرّي أمام الأصدقاء والأعداء، إنّهم يعاملوننا كالعبيد، بينما أسراهم في إيران يأكلون الدجاج والأرزّ، ونحن هنا نحلم بهما. هذا القمْل الذي يمصّ دماءنا هو بسبب إهمال العراقيّين!**»

حاولت إيجاد الدافع الكافي لديه، ولأنّني ناقشته بالأمر، كان حكم العقل يقتضي أن يقوم هو بهذا العمل. كان باستطاعتي الطلب إلى شخص آخر يتولّى مهمّة تنظيف غرفة رئيس الحرس في الأيّام اللاحقة، لكنّني لم أرَ مصلحةً في ذلك، فإن لم يقم هو بهذا العمل، وقام به شخص غيره فيما بعد، سوف يطلب العراقيّون «**مجيدًا**»

للمساءلة، ولأنّه لم يرتكب بنفسه هذا الفعل؛ قد يقول للعراقيّين أنّ فلانًا طلب منّي أن أقوم بهذا الأمر، ولم أقبل، أمّا لو كان شريكًا في هذا الجرم، فسوف لن يقرّ على نفسه. وبعد الأخذ والرّد، اقتنع أخيرًا.

الثلاثاء 8 آب 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

جاء «**سامي**»، الحارس العراقيّ الجيّد، إلينا، وكما توقّعت، كان القمل قد سرى إلى العراقيّين. دخل «**سامي**» المعتقل، وقال بابتسامة ذات مغزى:

- وصل القمل إلينا!

كان شاكًّا بي، وباثنين، أو ثلاثة آخرين. أدركت من نظراته أنّه كان يعلم أنّنا قمنا بهذا العمل. كان يودّ أن يعرف خطّة من كانت؟ كان يشكّ بي أكثر من الآخرين. ومع أنّ «**سامي**» كان منّا، ولا نتوقّع منه أيّ أذى، لم أقل له حينها شيئًا؛ لكن أخبرته فيما بعد!

الأربعاء 9 آب 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كان جوّ شهر آب حارًّا. ومن كثرة ما شربنا الماء الحارّ، أُصيب معظم الإخوة بالإسهال. مضى أسبوعان أو ثلاثة حتّى اهتدى الإخوة إلى أسلوب خاصّ لتبريد مياه الشرب. كنّا قد لفّينا قطعةً من الخيش حول أكوابنا المعدنيّة، وكان كلّ كوب يشكّل حصّة لشخصين. في المساء، كنّا نبلّل قطع الخيش الملفوفة حول الأكواب، ونضعها على القضبان الحديديّة للنافذة، لتصبح باردة بفعل تحرّك الهواء. كان الأمر يستغرق أربع أو خمس ساعات حتّى يبرد الماء في الأكواب قليلاً. كان يُصفّ على كلّ نافذة نحو ثلاثين كوبًا بدقّة وظرافة خاصّة، فإذا

ما أراد شخص أن يأخذ الكوب التحتانيّ في الأسفل، كان عليه أن يرفع أكثر من عشرين كوبًا، حتّى يتمّ هذا الانتقال.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة أو الحادية عشرة، وبينما كان «**وليد**»، الحارس الليليّ، يمرّ من خلف نافذة المعتقل، نقر بإصبعه على أحد الأكواب. ولو سقط أحد الأكواب السفليّة أو العلوية، لسقطت الأكواب واحدًا تلو الآخر، وبلّلت الفرش.

من حينها، كلّما كانت نوبة الحراسة الليليّة بعهدة «**وليد**» أو «**حامد**»، كنّا نمتنع عن صفّ الأكواب على قضبان النافذة. كان «**وليد**» يقول: الأكواب تحجب الرؤية عن الحرّاس الليليّين!

الخميس 10 آب 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

وضع حامد، حارسُ المخيّم، الأسير «**علي شاه آوريده**» داخل كيس الخيش، وراح يضربه. وليكون عبرةً للآخرين، فلا يفعلون فعلته، أعلن عن جريمته. كان «**علي شاه**» قد قال في جمع الأسرى أنّ صدّام ابن حرام! بالأمس كان حامد قد أنزل هذا البلاء على رأس أحد الإخوة من أهالي «**أرومية**»، وكان هذا الأسير قد أعدّ الشايّ بالاستفادة من سلك كهربائيّ. فقد نزع الإخوة غلاف طرف السلك، ووصلوه بقطعة معدنيّة، ووضعوا طرف السلك الموصول بالقطعة المعدنيّة في صفيحة، فغلى الماء وأعدّوا الشاي. في فصل الصيف، ومن شدّة الحرّ، كان بعض الأسرى يضعون أكوابهم المعدنيّة الملأى بالماء تحت أشعّة الشمس. كان الماء يسخن إلى درجة كبيرة فيتمكن الأخوة من صنع الشاي فيها.

كان ذنبُ «**علي شاه**» أشدّ من ذنب أسير أرومية. فظُهر اليوم، بعد تناول طعام الغداء، قطعوا عنّا الماء بسبب فعلة «**علي شاه**». كان الجميع عطشى، ولم يتمكّن أحد من الذهاب إلى دورة المياه. بقيت أوعية (أواني) الطعام متّسخةً. وبسبب انقطاع المياه، أزال الإخوة الدهون الملتصقة على الأواني ببقايا «**ثُفل الشايّ**» الموجودة في قعر آنية الشاي. في المساء، تناولنا طعام العشاء في الإناء الذي نظّفناه ببقايا ثفل الشايّ.

بعد الظهر كنت أتململ من شدّة العطش، كان الجوّ أشدّ حرّاً من الأيّام السابقة.

حينها، بسبب داء الجرب، كنّا مضطرّين للجلوس ساعات تحت نور الشمس، كاد العطش يقتلني، وكان بدني يتعرّق بتمامه، وقع بعض الإخوة في ممرّات المعتقل تحت الخيمة من دون حيل أو رمق، غطّيت رأسي بقطعة قماش بيضاء؛ لكي أخفّف من حدّة الأذى. طلبت من «**سامي**» أن يبلّل قطعة القماش هذه بالماء. أراد بعض الحرّاس كسامي وقاسم جلب الماء للجرحى وكبار السنّ، لكن «**وليداً**» و«**رافعاً**» منعاهما. كان الحاجّ «**حسين شكري**» و«**محمّد كاظم بابايي**» إلى جانبي، قلت للحاج «**حسين**»:

- سأقوم بأمر؛ لعلّهم يأتوننا بالماء.

بدأت بالضرب بأسفل عصاي على الأرض حيثما كنت أجلس، كلّ من كان يراني، كان يظنّ أنّي أحفر الأرض. انبرى المطّاط الموجود في أسفل عصاي. لم أكن أدري إلى أيّ حدّ سيفيد عملي هذا. التفت «**سعد**» إلى الأمر، جاء وهو يمضغ اللّبان، نادى «**منصوراً**» الأسير

الخوزستانيّ العربيّ وقال:

- ها! ناصر الاستخباراتيّ، ماذا تفعل؟
- سيّدي! أنا عطشان.
- لماذا تحفر الأرض؟
- أنتم لا تسقوننا الماء، أريد أن أحفر بئرًا لأشرب!

ضحك «**سعد**»، لم تكن مزحة سيّئةً، كان إنسانًا محترمًا ومرنًا، أحسست أنّه لم ينزعج. قال «**محمّد كاظم**» إنّه سُرّ لهذه المزحة. أمر «**سعد حبّوش**»، الحارس الجديد، أن يأتي بالماء، امتعض «**وليد**»، و«**حامد**»، و«**رافع**» من أمر «**سعد**» هذا. عندما شربت والحاجّ «**حسين**» و«**محمّد كاظم**» الماء، بدا الغضب على وجه «**وليد**» أكثر من الباقين.

الاثنين 14 آب 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

البارحة كان ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام. حينها، انتزع العراقيّون الصنابير في دورات المياه بسبب قيامنا باللطم. كدنا نموت عطشًا. كان الإخوة يدخلون دورات المياه، ولا يجدون ما يغسلون به النجاسة، فاضطّروا لفصل أحد جيبَي لباس الأسر الأصفر، واستخدامها في تنظيف أنفسهم.

خطرت في بالي فكرة، كان لقائمتي عصاي السفليّتين محفظة طولها ستّون سنتمترًا. لكلٍّ من هاتين القائمتين غطاءٌ معدنيٌّ. يمكن فتحه بسهولة، وكنت قد حفظت في تلك المحفظة لوائح بأسماء وعدد أسرى المخيّم الملحق. لم يحدث أن فتح العراقيّون يومًا أغطية

عصاي، وفتّشوا ما بداخلها، لم يخطر ذلك على بالهم [1].

وكان لعصاي أربعة أغطية معدنيّة موجودة فوق البراغيّ السّفليّة للقائمتين، بحيث تصل هذه البراغي القائمتين السفليتين بالعصا نفسها. كان كلّ غطاء يحتوي على تجويفين مربّعين، كأنّهما قد صُنعا لصنبور الماء. اليوم، عندما نزع الحرّاس لولب صنابير الماء داخل دورة المياه، انتزعت ولأوّل مرّة، أحد أغطية عصاي وفتحت الصنبور بها، كدت أطير من الفرح، كنت غايةً في السرور كون غطاء عصاي قد خلّص الكثيرين من العطش، تلك العصا التي كانت تنزل، بدلاً عن الأسلاك، على أجساد الأسرى، كان لها دورٌ هذه المرّة في رفع عطش الكثيرين!

الثلاثاء 15 آب 1989 - تكريت - المخيّم الملحق

كان الجوّ حارًّا، وكان «**سلوان**» يأكل العنب، لم أستطع أن أغضّ بصري. ففيما كان هو يأكل العنب، كان لعابي يسيل، تمنّيت لو كنتُ مكانه وكان ذلك العنقود لي. تذكّرت أنّ فاكهة الجنّة ألذّ وأطيب من هذا بكثير!

الأربعاء 16 آب 1989 - تكريت - المخيّم الملحق

كنّا قد مللنا من تكرار بثّ الأغاني الإيرانيّة، فمنذ اليوم الذي نُقلنا فيه إلى «**المخيّم الملحق**»، كان العراقيّون يبثّون كلّ يوم من الساعة

(1) في أيّام أسري الأخيرة في شهر آب 1990، كنت قد حفظت في عصاي أسماء ما يربو عن أربعمائة أسير إيراني. وقد عزمت على تسليم أسمائهم للهلال الأحمر، حيث كان من المقرّر الإفراج عنّي قبل الأسرى الأصحّاء.

9ص وحتّى 12ظ، ومن الساعة 4 إلى 6 بعد الظهر، أغاني السيّدة «**أفسر شهيدي**»، و«**داريوش إقبالي**»، و... عبر مكبّرات الصوت، وكانت مكبّرات الصوت هذه قد وضعت على سطح المخيّم بين الأسلاك الشائكة، وقد حفظنا كلمات هذه الأغاني لكثرة ما سمعناها. لقد تمّ اختيار أغاني السيّدة «**شهيدي**» و«**داريوش**» عن دراسة، حيث كانت مضامينها كلّها تتحدّث عن الغربة، والبعد عن الوطن. لم يلتفت الكثيرون لِمَ اختار العراقيّون هذين الشريطين المسجّلين [كاسيت] من بين كلّ الأغاني المتنوّعة والمفرِحة. وكان واضحًا لي أنّه تمّ اختيارهما عمدًا.

إليكم بعض المقاطع من أشعار السيّدة «**أفسر شهيدي**»:

أنت والسرور والأمل / أنا والوحدة والحسرة، أنت في جنّة ملأى بالورود/ أنا وحيدة في مدينة الغربة. روحي تسافر مع الغمّ / اهترأت في مدينة الغصّة.

بعدك أصبح البكاء رفيقي / خدعني غمّك.

أنا الآن وحيدة ومتعبة / غريبة في هذه المدينة. غريبة في هذه المدينة...

أو أغنية «**داريوش إقبالي**»:

وطني، هنا الكلّ غريب عن الآخر/ ولو تصادقوا في الظاهر/ إلّا أنّهم أعداءُ في الصميم، لا أخلّاء، وطني! هنا لا يكترث أحد لآخر/ إذا متّ من الجوع/ لن تجد أحدًا ليحمل نعشك. وطني! هنا كل الكلام كذب/ الرفقة والصحبة هنا ظاهريّة/ لا زال سوق عديمي المروءة مزدحمًا. وطني! أنا فداء لرائحة ترابك/ فداء لكلّ محاسنك

ومساوئك/ إن رجعت فسأقع على قدميك. وطني! الحريّة هنا خِدعة/ على بوّابته السلاسل والقيود ...

قبل ذلك بفترة، كان كبار السنّ في المخيّم، ومن جملتهم «**حسن بهشتي بور**»، أصغر إسكندريّ، الحاجّ «**حسين شكري**»، و«**جعفر دولتي مقدّم**» قد اعترضوا لدى العراقيّين، مع أن أغلب الأسرى المنزوين والمنطوين على أنفسهم، كانوا يرحِّبون بهذه الأغاني، وكانت تلك الأغاني المجبولة بالغمّ والحسرة ترضي بعض الأسرى.

كان الإخوة قد تكلّموا مع الملازم «**حميد**»، وكان إنسانًا منطقيًّا بهذا الشأن، وقبل ذلك كنت قد تكلّمت مع «**سعد**»، لكن لم يُجدِ ذلك نفعًا. وفي الأسبوع الماضي أجابني: «**أنا رجل أفضّل الهدوء والصمت، ليس الأمر بيدي!**» وقد قال مرارًا: «**أنا أطلب من طاقم هذا المخيّم أن يعمّ الهدوء والصمت! أنا لا أفهم ما يقوله هؤلاء المغنّون الإيرانيّون، إنّ «شفيق عاصم» هو الذي طلب بثّ هذين الشريطين، وها أنا أبثّهما!**»

كان «**سعد**» يقول الحقيقة، وقد حضّني لأتابع الأمر مع مسؤولي المخيّم؛ لأنّ في ذلك مصلحة له، وقد وجّهني الإخوة لكيفيّة طرح هذا الموضوع. قلت للملازم «**حميد**»:

- سيّدي! المخيّم مثل بيتنا، وقد أتعبت هذه الأغاني روح الإخوة، ومنذ ما يقرب من سنة وهذان الشريطان يتلاعبان بأعصابنا. لو تُرجمت معاني كلماتهما لكم لأدركتم ما أقوله.

- أيّ الأشرطة تريدون؟

ذكرت له اسمي الأستاذ «**بنان**» و«**شجريان**»، وذكر المترجم

فاضل أيضًا أسماء بعض المغنّين الإيرانيّين خارج إيران، حينها طلب الملازم «**فاضل**»، الذي كان يعلم تمنّياتنا القلبيّة، ببثّ برامج راديو إيران عبر مكبّرات الصوت، ممازحًا وغامزًا: ماذا عن راديو إيران؟

- هذا لن تسمحوا به أبدًا، ولكن القسم الفارسيّ من راديو بغداد أفضل من هذه الأغاني.

- إذاعة صوت الجماهير العراقيّة؟

- أيّ شيء غير هذه الأغاني.

السبت 2 أيلول 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

أحضروا لنا الفاكهة بعد انقطاع طويل، وكنّا نتوق لتذوّقها، وقد كانت قبل شهرين عبارة عن حبّة خيار لكلّ شخصين. أمّا اليوم فكانت عنبًا. كان عدد الأسرى في «**المخيّم الملحق**» 1063 أسيرًا. اصطفّ المسؤولون عن الطعام أمام مدخل المخيّم لاستلام الفاكهة. دخل أحد الإخوة حاملاً الوعاء بين يديه، لم يكن أيٌّ منّا قد تناول العنب. نعم، كنّا نرى الحرّاس يأكلونه، اجتمع الإخوة حول الوعاء، حاول «**جلال رحيميان**» أن يقسّم العنب على الإخوة بالتساوي، كان «**عارف يزدان بناه**» المعروف بـ«**عارف أبو راسين**»، مسؤول التقسيم. وقد قُسّم العنب حبّةً حبّة، بين أربعة وعشرين معتقلاً. في المرحلة الثانية قُسّم العنب إلى حبّات كبيرة وصغيرة بين الأسرى، وقد استغرق تقسيمه أكثر من ساعة.

كانت حصّة كلّ أسير أربع حبّات كبيرة، وحبّتين صغيرتين، أو متوسّطتين. في معتقلنا الذي يضمّ 85 أسيرًا، كانت العدالة تقتضي

تقسيم خمس وعشرين حبّة متبقّية، وكان تقسيمها بين خمسة وثمانين نفـرًا أمـرًا صعبًا. اقتـرح جلال، المسـؤول عن المخيّـم، على الإخوة اقتراحًـا نال رضاهم، وهو أن تُوزّع الحبّات على كبار السنّ والجرحى، وبمـا أن عدد كبار السنّ والجرحى اثني عشـر نفرًا، وُزّعت اثنتا عشر حبّـة علينا، وحُمل الباقي، أي ثلاثة عشرة حبة إلى الأسرى المصابين «**بالديزنطاريا**»، الذين أُدخلوا إلى المستوصف للعلاج.

فـي المعتقل المحـاذي لمعتقلنا، قسّم الإخـوة خمسًا وثلاثين حبّة عنب على ثمانين نفرًا. وقد أخبرونا، أنّ عشرة أشخاص منهم تنازلوا عـن حصّتهم، ليقسّموا خمسًا وثلاثين حبّـةً على سبعين نفرًا، فكانت حصّة كلّ واحد منهم نصف حبّة.

بعـد فتـرة طويلة جـيء لنا بالبرتقـال. حيـن قُسّـم البرتقال بين المعتقـلات، كانت حصّة كل أسير ثلث برتقالة. بعد ذلك دخل مسؤول النظافة، حاملاً في يـده سطلاً بلاستيكيًّا لجمع قشور البرتقال، وبعد أن دار على 24 معتقلاً رجع خالي الوفاض!

سأله حبّوش: أوَلم تجمع القشور؟

– سيّـدي! لقد جلت على جميع المعتقلات، فلـم أجد أثرًا للقشور، ووجدت المعتقلين قد أكلوا البرتقال بقشره من شدّة الجوع!

السبت16 أيلول 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

نشرت الصحف العراقيّة اليوم خبرًا عن «**مهدي أبريشمجي**» حول البرنامـج التلفزيونيّ «**سيمـاء المقاومة**» الخاصّ بالمنظّمة[1]. فبعد

(1) منظّمة «**منافقو خلق**».

يوم واحـد من وفاة الإمام، عرض التلفزيـون العراقيّ الحلقة الأخيرة من هذا البرنامج، حينها قال مقدّم البرنامج: «**الحلقة التالية ستُبثّ من التلفزيون الإيرانيّ الكائن في شارع ولي عصر في طهران!**»

كانوا يظنّون، فعـلاً، أنّهم يعدّون العدّة، وأنّهم سيذهبون إلى شارع «**ولي عصر**» في طهران ليستلموا مؤسّسة الإذاعة والتلفزيون الإيرانيّة!

كان «**أبريشمجـي**» منزعجًـا؛ لأنّ صدّام لم يسمـح بعرض برنامج «**سيمـاء المقاومة**» مجدّدًا من التلفزيون العراقيّ. كان «**سامي**» يقول: «**لقـد انعدمـت ثقـة صـدّام بمسعود رجـوي**»، قلت: لِمَ؟ قـال: «**يقول صدّام أنّ رجوي قد خذله في تحليليه كليهما؛ التحليل الأوّل لرجوي كان عـن عمليّـات المرصاد، حيث وعد بفتح طهـران، ولم يفعل، وأمّا التحليـل الثانـي فقـد قـال فيـه: «عنـد وفـاة الخمينيّ سيذهـب إلى إيران، ويستلم زمام الأمور فيها، وهذا أيضًا لم يحصل!**»

قـال الدكتـور «**مؤيّـد**»: «**إنّ جماعة مسعـود رجوي قـد استعجلت العمل على إنهاء برنامج سيماء المقاومة**»، وطلبت من صدّام إيقاف البرنامـج، فقبل بذلـك، والآن حيث ذهبت آمالهم فـي أدراج الرياح، عادوا يلتمسون عودة البرنامج، فلم يقبل النظام العراقيّ بذلك.

الأحد 24 أيلول 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كان التلفـاز يجـول علينـا بشـكل دوريّ، وكلّ خمسـة أيّـام يأتي دور معتقلنـا. ذكّرني تلفزيـون **المخيّم الملحـق** بتلفزيـون جيراننا، وبأخي السيّـد «**شجـاع**»[1]. وصادف هذا اليـوم حلول الذكـرى السنويّة لاعتداء

---

(1) عندما كنت في الصفّ الخامس الابتدائيّ، لم يكن لدينا تلفاز، فكنت أذهب في ليالي الصيف مع أخي السيّـد «**شجـاع الدين**» إلى سطح بيت جيراننا، ونشاهد التلفاز من فتحة ميزاب السطح، الواقعة تمامًا

النظـام البعثـيّ على أرضـ إيران. عند المسـاء، وطبقًا للعـادة، عُرض خطـاب «**صـدّام**» في المجلسـ النيابـيّ العراقيّ، وعرضـت مشاهد عن اعتـداء القوّات العسكريّـة العراقيّة علـى إيران، ومن بيـن الصور التي عُرضت، صورة لصدّام كان يصلّي فيها في حرم الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ المطهّـر، كان صـدّام، الذي دخل الحـرم المطهّر، وصلّـى بحذائه إلى جانب الضريح، موضوع سهرتنا الليلة. قال جلال رحيميان: «**بالله عليكم انظروا، إذا كنتَ تريد خداعَ الناسِ، فاخلع، على الأقلّ، حذاءك في حرم الإمـام!**» أمّا «**محمّد رمضانـي**» فقال: «**وا ويلاه على أولئك المسلمين الذيـن ينخدعون بألاعيب صدّام. صـدّام عدوّ للإمام الحسين، يصلّي في حرمه، ويقتل من ناحية أخرى شيعته، صلاة صدّام في حرم الإمام الحسيـن عَلَيْهِ السَّلَامُ كصـلاة «محمّـد رضا بهلوي» في حـرم الإمام عليّ بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ**».

الاثنين 25 أيلول 1989 - تكريت - المخيّم الملحق

قبـل الظهـر استفزّنا «**حامـد**» بالكلمـات التي كان يتفّـوه بها أمام الأسـرى، من قبيـل، صدّام بطـل القادسيّة، والإيرانيّـون عبدة النار، وجبنـاء و...، وقد تجادل مع الحاجّ «**سعد الله كل محمّدي**» الذي كان قـد أُسر فـي شلمجة. تحدّث عن حـرب العراق ضدّ إيـران باعتبارها حرب القادسيّة الثانية، ولكي يتفاخر على الحاجّ قال: «**كنت في شلمجة ضمن عناصر الكتيبة المدرّعة، لاحَقْنَا بالدبّابات كتيبة من البسيج،**

مقابـل التلفزيون. هكذا كنّت وأخي السيّد «**شجاع الدين**» نشاهد الأفلام السينمائيّة. وكنّا نتناوب على المشاهـدة، فأشاهـد أنا عدّة دقائـق، ويشاهد هو عدّة دقائـق أخرى. ذات ليلة كشفـت عطسة السيّد «**شجاع**» أمرنا، حيث رأونا، ولحقوا بنا، فهربنا، وحُرمنا من مشاهدة تلفزيون الجيران إلى الأبد.

فلاذوا بالفرار، ودهستْ دبّاباتنا أكثر من مئتي شخص منهم».

اشتعـل «**الحاجّ سعد الله**» غيظًا، فقال له: «**صدقت، ولكن لعنة الله على الكاذبين!**»

عصرًا، أتى إليّ الحاجّ «**سعد الله**» وقال:

- أنت تجيـد التطريز، أيمكنك أن تطرّز لي، فـي عدة أيّام، عبارة الإمام عليّ عليه السلام، «**فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة**»؟

- إذا كانت العبارة مكتوبة، أنهيها لك بسرعة!

- إذًا، طرّزها لي خلال أيّام، أريد أن أهديها «**لحامد**»!

- حاج، وما تفيده هذه الجملة، ولماذا هذه العبارة بالضبط؟

- أخبرك فيما بعد!

عصـرًا بـدأت بتطريـز هـذه العبـارة علـى قطعـة قماش قياس (50×40سـم). كان «**علي يماني**»، من أهالي مشهد، من قام بتخطيط هـذه العبارة، حيث كان خطّاطًا، وقد كتبها بخطّ النّستعليق، وقمت أنا بتطريزهـا. لم أكن أعلم لِـمَ أراد الحاجّ أن يهدي هذه العبارة لحامد، لقـد كان الحاجّ رجـلاً ذا تجربة، وهناك حكمـة وراء فعله حتماً؛ كنت أؤمن بكلّ ما يقوله.

الخميس 5 ت1 1989 - تكريت - المخيّم الملحق

صباحًـا، عندمـا ارتفع الصـوت مؤذِّنًا بالخروج، سلّمـت القماشة المطـرّزة للحاج «**سعد الله كل محمّـدي**»، وطلبت فيـه أن يكشف لي سـرّ هذه العبـارة والهديّـة. فسرد لـي ملخّصًا عن الخطبـة السابعة والعشريـن للإمام عليّ عليه السلام في نهـج البلاغة، التي تحكي عن حرب

صفّين، والهدنة المؤقّتة بين الإمام عليّ ومعاوية. والحاجّ الذي كان يؤمّ الصلاة بألف أسيرٍ إيرانيٍّ في العنبر رقم (2)، وكان يطلعنا على هذه الأحداث من خلال بعض الدروس، فقد كان شارحًا ومفسّرًا للقرآن ونهج البلاغة.

هذا ملّخص عن شروحات الحاجّ التي كان ألقاها حول الخطبة السابعة والعشرين من نهج البلاغة:

بعد معركة صفّين بين الإمام عليّ عليه السلام ومعاوية، تمّ الاتفاق على هدنة مؤقّتة، وقد تعهّد الطرفان بالالتزام بها. نكث معاوية العهد، وأغار جنوده على الأنبار في العراق، فسلبوا أموال الناس فيها، واعتدوا على النساء والبنات، وسلبوهنّ أقراطهنّ وحليّهنّ. ومضافًا إلى السلب، وإحراق البيوت والمحاصيل، ارتكب جنود معاوية جرائم كثيرة، لكنّهم لم يواجهوا أيّة مقاومة في تلك المنطقة الحدوديّة، أيّ: ولاية الأنبار العراقيّة، ممّا أثار غضب الإمام عليّ عليه السلام لتلكّؤ أهلها عن الجهاد، وتخاذلهم، وعدم الغيرة، فذمّهم في هذه الخطبة، وحقّرهم بعبارات ناريّة، وبأشدّ ما يكون التحقير[1].

(1) وهذه خلاصةً عن الخطبة السابعة والعشرين من نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام حول أهل الأنبار: أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه. وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة.. ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وإعلاناً وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم في عقر دارهم إلا ذُلّوا... هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها، وقُلبها، وقلائدها ورُعُثَها... فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً. فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يُرمى... يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزَون ولا تغزون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيّام الحرّ قلتم هذه حمارّة القيظ، أمهلنا يُسبّخ عنّا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتم: هذه صبارّة القرّ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد... يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، لوددت

بسماع هـذه الكلمات فهمت سرّ تطريز العبـارة، وسرّ إهدائها إلى «**حامـد**». فالحـاجّ الذي كان قد طفح قلبه من «**حامـد**»، أراد عبر هذه الهديّة تعريفه بقدره. وقبل أن يقدّم الهديّة إلى «**حامد**» قال:

«**حامد**» هذا، من أهل الأنبار العراقيّة، إنسان مغرور، يذكر اعتداء العـراق على أرضـ إيران كمدعـاة للفخر، ويسَمّيها معركـة القادسيّة الثانيـة؛ يقـول: إنّ الإيرانيّين أناسـ جبناء؛ وإنَّهم دهسـوا بالدبّابات فـي «**شلمجة**» مئتي بسيجي، ويقلّد حـركات عمّه صلاح القاضي، وقد نسي أنّ عمّه أُعدم على يـد صدّام؛ لأمره القوّات العراقيّة بالانسحاب مـن خرّمشهر[1]. أريد من خلال هـذه الهديّة أن أعرّفه بتاريخ الأنبار، موطنـه ودياره، المعروفة بعدم الغيرة وبالذلّة. أريد أن أعرّفه أن الذلّ والعار جديران به هو، وليس بالإيرانيّين، أريد أن ألقّنه درسًا، بحيث لا يوجّـه إهانةً لإيران والإيرانيّين مـا دام حيًّا! عليه أن يعلم أنّ استبسال الإيرانيّين وإيمانهم هو الذي أودى بصلاح القاضي إلى الإعدام. حين سمعت كلماته هذه قلت:

- إذا قدّمت هذه الهديّة «**لحامد**»، سوف ينتقم منك فيما بعد.

لـو أنّـي لم أرَكم ولم أعرفكـم معرفةً والله جرّت ندماً... قاتلكم الله! لقـد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نُغَب التهمام أنفاساً...

(1) اللـواء صـلاح القاضي، من أهالي الأنبار، تربّى في الجيش العراقـيّ بعد انقلاب 17 تمّوز. عيّنه أحمد حسن البكر قائداً لكتيبة الدبابات الرابعة، التابعة لفرقة المشاة الرابع. في العام 1359 [1980] أصبح قائـداً للّـواء 16 المدرّع. بعد أشهر عـدّة أصبح قائد فرقـة الآليّات الخامسة، ليصبـح في العام 1360 [1981م] قائـداً للفيلق الثالث فـي الجيش العراقيّ. بعد عمليّات بيت المقدسـ هُزمت وحدات الفيلق الثالـث شرّ هزيمة. إلى ذلك الوقت كان اللواء قد حـوّل عشرات آلاف الأشخاص إلى مفرزة الإعدام، وبسبـب إصداره الأمر بالانسحاب في عمليّات بيـت المقدس، كان قلبه هدفاً لرصاصات منفّذي قرار الإعـدام. وفيمـا كانت تلمع أنواط الشجاعـة الخمسة التي وضعها صدّام على صـدره، لم يسمح لهذا الرجل قبل رميه بالرصاص، حتّى بالدفاع عن نفسه.

– فلينتقم! عندما يذهب ويقرأ في الخطبة 27 عن تاريخ موطنه «**الأنبار**»، سيبرد قلبي. عليه أن يعرف من هم الرجال؟ الإيرانيّون أم أهالي الأنبار!

ظهرًا، عندما قدّم الحاجّ الهديّة «**لحامد**»، سأل «**حامد**»: هذا شينو؟ (ما هذا؟)

– هذا خطبة للإمام عليّ عليه السلام، يتكلّم فيها عن موطنك، محافظة الأنبار العراقيّة. فكّرت ماذا أهديك، قلت، حديث الإمام هذا هديّة جيّدة، ضع له إطارًا، وعلّقه في غرفة الاستقبال!

لم يلتفت حامد إلى الموضوع، فلم يفرح بها، ولم يرفضها. أخذ قطعة القماش المطرّزة من دون اكتراث. مقارنةً مع الأشغال اليدويّة والمطرّزات التي كان قد رآها، لم تعجبه هديّة الحاجّ هذه.

أظنّ أنّه لم ينزعج؛ لأنّه لم يكن مطّلعًا على الخطبة 27 في نهج البلاغة، فلم تكن كلمات الحاجّ مفهومة لديه. وعندما قال له: «**ضع لها إطارًا، وعلّقها في غرفة الاستقبال**»، ضحك ضحكة باهتة.

بعد أسبوع، حين عاد «**حامد**» من مأذونيّته، جاء مباشرةً إلى الحاجّ «**سعد الله**»، وراح يسبّه، ويشتمه، كان واضحًا أنّه غاضب جدًّا، انهال بالسوط على الحاجّ. تأكّدت حينها أنّه ذهب في إجازته وقرأ الخطبة 27 من نهج البلاغة.

كان الأسرى مبهوتين، ما هو الأمر الذي أغضب «**حامداً**» إلى هذا الحدّ؟ معظمهم لم يكن يعرف السبب. فتّش «**حامد**» عن الشخص الذي طرّز قطعة القماش. قلت له: أنا الذي قمت بتطريزها، فلم تكن حصّتي من الضرب بأقلّ من حصّة الحاجّ. هرع الإخوة إلينا،

وسألوا عن علّة ذلـك، فقلت: لا شيء، إنّها الخطبة السابعة والعشرون للإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة، هي التي أغضبت «**حامدًا**» كلّ هذا الغضب!

الجمعة 13 ت1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

نُظّف المخيّم بأمر من النقيب «**خليل**»، ومُسحت أرض المعتقلات كافّة. وفي تلك الأوضاع التي كنّا نعاني فيها شحًّا في المياه، شُطف حتّى فناء المخيّم بصهريج ماء. كانت تلك أوّل مرّة يهتمّون فيه بنظافة المخيّم، وكأنّ شخصيّةً مهمّة ستأتي لزيارته.

طلب العراقيّون منّا أن نرتّب أوضاعنا، ونلبس الثياب المتشابهة.

في الصباح، بعد الإحصاء، سمحوا لنا بالاستحمام. كان كلّ شيء متناسق في الظاهر. والحرّاس أنفسهم لبسوا أرقى البزّات العسكريّة. دخل الضبّاط «**فاضل**»، «**قحطان**»، و«**حميد**» إلى المخيّم، وتوجّه النقيب «**خليل**» إلى الأسرى قائلاً:

- بعد ساعة أو ساعتين، سيأتي العميد الركن «**حميد نظر**»، المسؤول عن ملفّ الأسرى الإيرانيّين في العراق كافّةً، لزيارتنا.

أعطى النقيب «**خليل**» تعليماته إلى الأسرى، بوجوب أداء التحيّة للعميد، وعدم التحرّك من أماكنهم ما لم يصدر العميد أوامره بالانصراف. وحين يصدر العميد الأمر بالانصراف يمكنهم التمشّي بحرّيّة، لكن بدون أحاديث جانبية، ومن دون النظر في وجه العميد!

قرابة الظهر، دخل العميد «**حميد نظر**» برفقة مجموعة من الضبّاط من ذوي الرتب العليا الذين يتراوح عددهم من عشرة إلى

اثني عشر ضابطًا، فيما كان الضبّاط والحرّاس يؤدّون التحيّة له، وقد واكبه النقيب «**خليل**» والحرّاس باحترام خاصّ. كان العميد ضخم البنية، طويل القامة، صغير العينين، أسمر الوجه، وكان يبدو أنّه في الخامسة والخمسين من العمر.

أصدر العميد أمره بالانصراف، كنت جالسًا إلى جانب باب المعتقل رقم (7). تفقّد العميد جميع المعتقلات، وحتّى دورات المياه، وفيما كان يمرّ بجانبي، لفته وضعي الصحّي والبدني، وقف أمامي ونادى المترجم، تناولت عصاي محاولاً القيام احترامًا له، فأشار إليّ بيده أن أبقى جالسًا.

جاء «**حميد خليفان**» وأدّى التحيّة. سأله العميد عن اسمي، وقال:

- كيف الحال هنا، ألا تتأذّى بين الأسرى الأصحّاء؟

- إنّي أكيّف نفسي، لقد تعوّدت على هذا الأمر، والأسرى الأصحّاء يساعدونني أيضًا!

حدّق بي، كان يبدو عليه أنّه إنسان ودود، وقيل: إنّه من أقارب صدّام، وحدّق بي أيضًا الضبّاط الآخرون، وكان من بينهم ثلاثة أو أربعة عقداء. كان العميد الركن يفصح عن نفسه شيئًا فشيئًا، وسألني:

- كم عمرك؟

- سبعة عشر عامًا.

- أنت بسيجيّ؟

- نعم!

تأمّل قليلاً، وأشار إلى رجلي المقطوعة قائلاً:

- انظر ما فعلت بنفسك، قُطعت رِجلك، وأنت في مقتبل العمر،

ووقعت في الأسر. هل تظنّ أنّك اخترت الطريق الصحيح؟

كنت أودّ أن أفصح عمّا في داخلي. كنت أعلم أنّه إذا لم يعجبه كلامي، ولم يفعل لي شيئًا، فإنّ الضبّاط والحرّاس سيجعلون أيّامي قاتمة. فالضبّاط ذو الرتب العليا، لم يكونوا يتوسّلون العنف في المحادثات والتحقيقات، فقد كانوا أناسًا هادئين. حين هممت بالكلام، نظر إليّ «**وليد**» الذي كان واقفًا خلف العميد نظرةً عابسة، فهمت من نظرته أنّه يقول: تكلّم كلامًا يسرّ الضابط! قال العميد الذي كان يحدّق بي:

- ما متندّم؟ (أَلَست نادمًا)؟

- سيّدي! لم أفعل شيئًا سيّئًا لأندم عليه!

قال العميد بهدوء تامّ، وبلطافة:

- الخمينيّ غشّكم! (غرَّر بكم).

كان ظاهره ودودًا، لكنّ قلبه كان مليئًا بالحقد على الإمام، سعى إلى تحقيري، أراد أن يعلم ما في أعماق نفسي، وما إن أنهى كلامه حتّى قلت:

- إن تكلّمت، قد لا تفعل أنت لي شيئًا، ولكن ما إن تخرج من هذا المخيّم حتّى ينهالون عليّ ضربًا!

توجّه العميد إلى النقيب «**خليل**»، وقال له:

- لا يتعرّضنّ له أحد!

قال النقيب «**خليل**»، وهو يؤدّي التحيّة العسكريّة:

- حاضر سيّدي!

وبعد أن تحدّث العميد إلى النقيب «**خليل**» ورفاقه الضبّاط قال:

- لن يتعاطى أحد معك، ولن تؤاخذ بكلامك!

في تلك اللحظة، لأني كنت أتكلّم أمام رجل مهمّ؛ حاولتُ أن تكون كلماتي مدروسة وجيّدة. أحببت أن أثبت من خلال كلماتي حقّي وحقّ بلدي، أحببت أن يفهموا أنّ التعبويّين الذين، هم في مثل سنّي، هم أناس مؤمنون، وذوو دوافع. كنت منزعجًا من قوله: «**الخمينيّ غشّكم**». وفيما كان العميد منتظرًا سماع ما أقول، قلت:

سيّدي! لست منزعجًا من كون رِجلي قد قُطعت، ولا من وقوعي في الأسر، الخمينيّ لم يغشّنا، لقد أتينا إلى الجبهة بملء إرادتنا، أنا لا أنتظر منكم أن تثنوا على عملي. لقد تمنّيتم في الحرب أن لا يلتحق أحد بالجبهة. في بداية الحرب تقدّمتم أنتم إلى حدود الأهواز، ولم تقاومكم أيّة قوّة، هكذا كان أفضل بالنسبة إليكم. أنا الآن أسيرٌ «**مفقودُ الأثر**»، ومقطوع الرجل؛ أعلم هذا جيّدًا. في إيران لا يبقون أيّ أسير مقطوع أحد الأطراف في مخيّم أسرى الحرب، وحتّى لو لم تكن دولتكم مستعدّة للإفراج عن أسير إيراني واحد «**مقطوع أحد الأطراف**» [معوّق] مقابل الأسرى العراقيّين «**المعوّقين**»، فإنّ الإيرانيّين قد أفرجوا عن الأسرى العراقيّين «**المعوّقين**» من جانب واحد، لقد قامت إيران بهذا الأمر! أمّا أنتم فقد حجزتموني، أنا الأسير المعوَّق، في مخيّم الأسرى «**المفقودي الأثر**»، ولم تسمحوا لي، وأنا في هذا الوضع، أن أكون بين أسرى الصليب الأحمر. لقد ظُلمنا نحن الأسرى «**المعوَّقون**»، والحال أنّه لا يُعامل في إيران أسراكم المعوّقون بهذا الشكل. لكنّني لست نادمًا!

عندما قلت ما في قلبي، شعرت بالراحة. استمع العميد ورفاقه إلى

كلامي بدقّة، وقال:

- لقد خُدعتم أنتم الشباب، لم يكن يجدر بك أن تنخدع بكلام الخمينيّ!

- سيّدي! أنتم دومًا تحقّروننا. لنفرض أنّ إيران هاجمت العراق واحتلّت البصرة! وهبّ أهل العراق للدفاع عن بلدهم، والتحقوا بالجبهة، ألا تثنون على عمل العراقيّين هذا؟

هزّ العميد، الذي لم يكن يعلم ماذا سأقول، رأسه مشيرًا إلى تأييده لكلامي، وعادةً ما يقول العراقيّون «إي» بدل كلمة نعم.

تابعت كلامي قائلاً: «**لنفرض ثانيةً أن في هجوم إيران هذا على البصرة التحق شابّ عراقيّ يُدعى «ناصر سليمان منصور»** بالجبهة ليقاتل الإيرانيّين الذين احتلّوا أرضه، فوقع أسيرًا بيد الإيرانيّين، وقطعت رجله، وقُتل أخوه في الحرب، وأنّ القادة الإيرانيّين ومسؤولي ملفّ الأسرى العراقيّين في إيران قالوا له: إنّ صدّام خدعك! لكنّ ناصر سليمان العراقيّ يبقى وفيًّا لصدّام، مطمئنًّا إلى صحّة عمله، وإلى أحقّية دفاعه، يبقى وفيًّا لوطنه ورئيس جمهوريّته، ألا تشجّعون ناصر سليمان منصور العراقيّ هذا؟ ألا يكون موضع فخر لكم ولشعب العراق؟ ألا يُسرّ العراقيّون منه؟ وإذا أظهر، مع كلّ أعماله الجيّدة تلك، الندامة في إيران، ألا تنزعجون منه وتستاءون؟!

غرق العميد في التفكير، وراح الضبّاط الآخرون أيضًا، الذين كان «**حكيم**» يترجم لهم كلامي بدقّة بالغة، ينظرون إليّ محدّقين. فهمت من نظراتهم أنّهم أدركوا ما قلته. أعتقد أنّه لم يكن لديهم ما يقولونه في مقابل قول الحقّ. فلم يسألوا شيئًا بعد ذلك.

وبعد تحديق طويل بي، ضحك العميد وقال لي:

- كان ينبغي أن يقطعوا لسانك بدل رجلك!

انتهت زيارة العميد الركن «**حميد نظر**»، المسؤول عن ملفّ الأسرى الإيرانيّين في العراق، وخرج هو ورفاقه من المخيّم.

عصرًا، جاءني «**سامي**»، الحارس العراقيّ الطيب، وقال: فيما كان العميد «**نظر**» يخرج من المخيّم، توجّه إلى النقيب «**خليل**» وسائر الضبّاط المرافقين له قائلاً: ليت الأسرى العراقيّين في إيران يبقون أوفياء لوطنهم كهذا الأسير الإيرانيّ السّريع البديهة!

شعرت بالفخر حين سمعت هذه الكلمات.

السبت14 ت1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كان بعض الحرّاس غاضبين منّي؛ لأنّي لم أثنِ على طباعهم أمام العميد «**حميد نظر**». والأكثر استياءً من بين هؤلاء كان الملازم «**فاضل**»، «**وليد**» و «**رافع**». وعلى الرغم من أنّ العميد أوصاهم بعدم التعرّض لي، لم يتركوني وشأني. أُحضِرتُ قبل الظهر إلى غرفة رئيس الحرّاس، قبل أن أدخل الغرفة، قال لي «**قاسم**»، الذي كان يتولّى أمور الخدمات والإنشاءات في المخيّم: «**تقرّر ضربك بسبب الكلام الذي تكلّمت به البارحة**»، قلت له: «**إنّي أجبت على الأسئلة التي سألني إيّاها العميد، وأنا كنت عند كلامي المحقّ**».

- بالنسبة إليّ، قد سُررت البارحة من كلامك، أمّا هم فقد انزعجوا!

- ليموتوا بغيظهم!

قال قاسم، وكان يقصد مصلحتي، محبةً بي، ولم يكن يحبُّ أن أُضرب:

- لا تقل كثيرًا كلام حقّ في هذا المخيم؛ فهو ليس مكانًا لقول الحقّ!

دخل الملازم «**فاضل**» الليلة الماضيّة المخيّم، وأظهر غضبه من سرعة بديهتي؛ مع أنّ النقيب «**خليل**» قد تركني وشأني، وقد نصحني «**قاسم**» قائلاً: الملازم «**فاضل**» إنسان قاسٍ، وبلا رحمة، لكنه في الوقت عينه يخاف كثيرًا من أبي الفضل العبّاس عليه السلام، ليتك تأخذ بنصيحتي؟ فيكفي أن تذكر أمامه اسم أبي الفضل العبّاس عليه السلام، فيدعك وشأنك ولا يضربك!

وكان قاسم قد شهد مرتين مثل هذا الأمر، حيث نَجَا بعض الأسرى الذين حُكموا بمئة جلدة بذكرهم لاسم أبي الفضل العبّاس عليه السلام. كان «**قاسم**» قد لفت انتباههم أيضًا إلى هذا الأمر. بعد أيّام ذكر لي «**قاسم**» فلسفة خوف الملازم «**فاضل**» من أبي الفضل العبّاس عليه السلام. بالطبع، لم يكن يذكر نقطة ضعف الملازم «**فاضل**» لأيّ شخص. فالبعثيّون الذين كانوا أناسًا بلا رحمة، كانوا يخافون من أبي الفضل العبّاس عليه السلام، خاصّة؛ لأنّه عاقبهم عدّة مرّات.

عندما هممت بدخول غرفة رئيس الحرّاس، قال «**قاسم**»: «**ليس لديك سوى هذه الرِّجل، ولسانك طويل، أنت لا تشفق على نفسك، وقلبي يحترق من أجلك، لسانك هذا جرّ عليك الويلات!**»

كنت أدرك شفقة «**قاسم**» عليّ، فقد كان إنساناً ذا مروءة، وعاطفيًّا. وقد نجّاني عدّة مرّات في أحلك الظروف. ومع أنّي في بعض الأوقات كنت أريد «**قتل الناطور وأكل العنب**» معًا، قلت له:

- أنا سيّد، لا أحبّ أن أستخدم أبا الفضل العبّاس عليه السلام في كلّ

مكان ولكلّ مسألة، أنا أخجل منه!

شعرت بأن «**قاسمًا**» قد انزعج فقال:

- إذا كنت لا تريد أن تستخدم أبا الفضل العبّاس لكلّ مسألة، فتفضّل، وتلذّذ بسياط «**وليد**»!

في ذلك اليوم، بناءً على أوامر الملازم «**فاضل**»؛ وبسبب قولي الحقّ بالأمس، أُبرحت ضربًا على يدَي «**وليد**».

السبت 21 ت1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

بعد الظهر، أدخل العراقيّون شخصين إلى المخيّم، وهم يضربونهما، ويشتمونهما. كان أحدهما نحيفًا، طويل القامة نسبيًّا، غائر العينين، أمّا الآخر فكان متوسّط العمر، أسمر الوجه. وقام الحرّاس، وهم يضربونهما، برميهما في فناء المخيّم.

كان أحدهما طهرانيّ اللهجة، قال للإخوة أنّه بسيجيّ من عناصر «**فرقة كربلاء** 25»، وكان يقول أنّ العراقيّين رحّلوه من «**مخيّم بعقوبة** 18» إلى هنا بسبب نشاطاته الدينيّة. وعرّف الشخص الآخر عن نفسه كمساعدٍ لقائد أحد كتائب فرقة سيد الشهداء 10».

عند الغروب، ناداني «**سامي**»، كان يخلط العربيّة بالفارسيّة ويقول: إين دو نفر مو أسير (هذان الشخصان ليسا بأسيرين)!

لم يكن يريد الاستعانة بالمترجم، فأفهمني بأنّ هذين الشخصين ليسا أسيرين، ثمّ قال:

- واحد جبهة التحرير، واحد منظّمة مسعود رجوي!

كان يقصد أن أحدهما عضوٌ في جبهة التحرير[1]، والآخر عضو في منظّمة مجاهدي خلق. دلّني عليهما محاولاً أن لا يُلفِتَ انتباه أحد لذلك. كان هذان الشخصان عاديّين جدًّا، وكانا يمشيان في فناء المخيّم.

كان «**سامي**» يثق بي، وكان يقول دائمًا: لو لم تكن من وحدة الاستطلاع والعمليّات، لما عاملك «**وليد**» بكلّ هذه القسوة! ولقد سعى جاهدًا لكي لا يعاملني «**وليد**» بعدائيّة، لكن جهوده باءت بالفشل. كنت قد أخبرته عن سبب اضطراري للاعتراف في «**الميمونة**»، أمام محقّقي فيلق العراق الرابع، بأنّي من عناصر وحدة الاستطلاع والمعلومات. كان مسرورًا أنّي أخبره بأموري، وكان يعلم أنّي اضطررت للإعلان عن هويّتي الحقيقيّة؛ لكي أقنع العراقيّين أنّي لست بريد «**عليّ**

(1) كان لجبهة التحرير الخوزستانيّة سابقة طويلة، وقد أُنشئت هذه الجبهة من أجل تقسيم خوزستان، وكان العراق، بهدف تحقيق مطامعه التوسّعيّه؛ يدعم الحركات الإيرانيّة التقسيميّة، فدعم العراق الشامل لهذه الحركات، وخاصّة جبهة التحرير، وحضّ عرب خوزستان على التمرُّد على دولة إيران، وإرسال كميّات كبيرة من السلاح والذخائر إلى خوزستان و... كان بهدف تهيئة الأرضيّة لخطواته التالية، أي: الهجوم على إيران بهدف تقسيم خوزستان وضمّها إلى العراق. وكان «**راديو العرب**» المرتبط بهذه الجبهة، الذي أُوقِف في العراق بموجب معاهدة [فبراير1975م]، قد عاود نشاطه بعد قيام الثورة. وكان هذا الراديو يحضّ عرب خوزستان على القيام ضدّ الدولة المركزيّة في إيران. وقد هيّأت الأوضاع والظروف في بداية الثورة الأرضيّة لمعاودة هذه الجبهة نشاطاتها في المجالات المختلفة. فالتحريض على التظاهر، الاعتصامات، إحداث القلاقل، القيام بعمليّات مسلّحة، ووضع المتفجّرات، كانت من أعمال هذه الجبهة. في العام [1980م] حيث لم تكن الشرطة تضبط الحدود بالنحو الكافي، أُدخلت من العراق إلى خوزستان أنواع الأسلحة والذخائر بواسطة الشاحنات، ووزّعت على أنصار هذه الجبهة. كان عناصر جبهة التحرير يذهبون إلى العراق من أجل التدريب العسكريّ ومن ثمّ يعودون إلى خوزستان. وقد أجازت الدولة العراقيّة حينها لقوّات الجبهة المذكورة استخدام أراضيها كقاعدة للهجوم على إيران. كان العراقيّون يستفيدون من عناصر الجبهة المذكورة كأدلّاء ومعرّفين، ولنقل المنافقين إلى داخل الحدود، وترجمة برقيات اللّاسلكيّ، والتجسّس، وكشف الأسرى، (وخاصّة أفراد التعبئة والحرس منهم، والقادة على وجه الخصوص)، والسعي لتجنيد الأسرى الناطقين باللغة العربيّة في الطابور الخامس، تفريغ المعلومات، تعذيب الأسرى وإعدامهم و... .

هاشمـي». لم أكن أدري لِمَ كنت أثق بـه كلّ هذه الثقة، وأخبره بمعظم أموري. كان بعض رفاقي ينصحونني بأن لا أضع كلّ ثقتي به، فبالنهاية هو عراقيّ، لكنّي كنـت أحبّه. لقد كان «**سامي**» محبّاً للثورة الإسلاميّة الإيرانيّة والإمام الخمينيّ (رحمة الله عليه) بالمعنى الواقعيّ للكلمة.

كان يتمنّى أن تحصـل ثورة في العراق، وتتشكّل قوّات حرس الثورة ليلتحق هو بالحرس الثوريّ العراقيّ.

عندما كان «**حامد**» يشتمنا ويقول: «**لعنة الله عليكم أيّها الإيرانيّون المجوس**»، كان سامي ينزعج، ويقول له: «**الإيرانيّون ليسوا مجوسًا، إنّهم مسلمون؛ والمسلم لا ينعت المسلم بالمجوسيّ!**»

نبّهنـي «**سامـي**»، وأكّد عليّ أن أحذر من هذيـن الشخصين، وأن لا أخبر بأمرهما إلّا من هو موضع ثقتي.

الاثنين 23 ت1 1989 . تكريت . المخيّم الملحق

كان صعبًـا عليّ أن يعيش شخصان بيننا يمثّلان دور الأسرى، وهما ليسا كذلك. كانا يسعيان لإقامة علاقة مع جميع الأسرى، لاستنطاقهم، لاكتشـاف القادة، ومعرفة الشخصيّات الثقافيّـة والمؤثّرة، والتجسّس لصالح العراقيّين و...، وكانا مطمئنين أن لا أحد يعرف بأمرهما. قبل الظهر، ذهبت إلى أحدهما، تظاهرت بأنّي لا أعلم شيئًا. عندما جلست معـه حاول الحصول علـى المعلومات منّي، سأل عـن رتبتي العسكريّة ومحـلّ إقامتي. عندما حدّثته عن أوضاع المخيّم الملحق والحياة فيه، قال: «**لا أمل لنا في التحرّر، طريقنا الوحيد هو الالتجاء إلى منظّمة مجاهدي خلق!**»

أخبـرت «**محمّـد كاظـم بابايـي**»، و«**جعفـر دولتي مقـدّم**»، و«**علي أصغـر انتظـاري**»، والحاجّ «**سعـد الله كل محمّـدي**» و«ع. م»[1]. أشرت لهـؤلاء الإخوة عليهما، وهمـا في باحة المخيّـم. أردت أن يراقبوهما. أحـبّ الإخوة من باب الفضول معرفة كيفيّـة تحقّقي من شخصيّتهما، لكنّي لم آتِ على ذكر «**سامي**» أبدًا.

بعـد الظهـر، أحضرني «**حامـد**»، عندمـا دخلت إلى غرفـة رئيس الحرّاس، كانت دقّات قلبي تتسارع، كنت أعلم أنّ أمر هذين الشخصين لـم يعد سرًّا بعـد، فقد أخبر صديقي الخسيسـ «ع. م»، أحد أصدقائه بالأمـر. كان العراقيّون على يقين أنّ الخبر سرى حتمًا عن طريق أحد الحرّاسـ إلـى مسامع الأسـرى، فلم يكن أحـدٌ سـوى العراقيّين يعلم الهويّة الحقيقيّة لهذين الشخصين؛ لأنّهما لم يكونا يذهبان إلى غرفة رئيس الحرّاس على أعين الملأ. وكانا يؤدّيان الصلاة في وقتها، وكانا اليـوم والبارحة صائميـن! وكانا من أهل الذكـر، ويشتمان المسؤولين العراقيّين ما عدا صدّام، لم يكونا يشاهدان التلفاز، ويقولان أنّه مروّج لعدم العفّة والفساد... . هذا كان حالهما وأفعالهما في هذين اليومين. لـم يكن الحرّاس يتكلّمون معهما أمام الأسـرى الآخرين، ولا يستلمون منهما شيئًا.

قبل دخولي غرفة رئيس الحرّاس، كان «**سامي**» واقفًا أمام المدخل،

(1) لا أودّ أن أذكـر اسمـه فـي هـذا الكتاب. أتى إليّ ع. م عـدّة مرّات وحاول استمالة قلبـي، لم يكن قلبي ليصفـو له بسهولة، وعلى الرغم من أنّه قد آذانـي كثيرًا بخيانته، لكن فيما بعد، حين دخلت المخيّم، توسّـط لدى «**محمّـد كاظم بابايـي**»، و«**محمّد بخـرد**»، و«**حسين مقيمي**»؛ لكـي أسامحه. فسامحته كرمـى للإخوة. كنت قد انخدعت بظاهره، فقد كان يشبه شباب الحرس هيئةً، كان الإخوة يقولون إنّه قائد، لكنّ ذلك لم يكن صحيحًا. كان ذا مظهر خدّاع، على كلّ حال، كنت صديقاً له، من دون أن أعلم خفاياه جيّداً.

كان قلقًا وغير مطمئنّ. قـرأت في نظراته القلقة أمورًا كثيرة. تبادلت و«**سامـي**» الكلام من خلال النظرات، وقد أشار إليّ من خلال نظراته أنّه إن ذكرت أمـره سيلقى مصيرًا سيّئًا. كان «**سامي**» محقًّا في قلقه، فمـا من شك أبـدًا في أنّني لو ذكـرت اسمه، فسيحكم عليـه البعثيّون بالإعـدام بتهمة خيانة النظام العراقيّ والتعامل مع العدوّ، وربّما أيضًا سيُلقى لسنوات في غياهب سجون حزب البعث.

كان «**سامـي**» يـردّد دائمًا: «**أنتـم لا تعرفون صـدّام وحزب البعث. لقـد رمـى صدّام وزير الصحّة في حكومتـه بالرصاص أثناء اجتماع مجلس الـوزراء**[1]**، وقـد أراق صـدّام دمـاء الآلاف من شيعـة العراق المظلوميـن، وأجبـر أحـد الشيعـة العراقيّيـن علـى شـرب البنزين، وعندمـا امتـلأت بطنـه، أطلـق عليـه رصاصـة خطّاطة ليـرى كيف سينفجـر.. كان صدّام الذي تربّع على عرش السلطة في بداية العام** 1980م**، يأمر بتفيذ حكم الإعدام في كل من يشكّ بولائه.**[2]

(1) قال بعض العراقيّين إنّه اقتلع لسانه من أصوله.

(2) لقد أمر صدّام بإعدام الكثير من القادة والضبّاط ذوي الرتب العالية. فقد كان «**محمّد عايش**» وزير الصناعـة العراقـيّ، واللواء الركـن «**وليد محمود سيرت**» قائـد الفيلق الأوّل، والعقيـد الركن «**سليم شاكـر**» الإمامـيّ قائد اللواء المدرّع، والعقيد الركن «**عبد الواحـد وحيدي**» قائد لواء المشاة، والعقيد الركن «**إبراهيم عبد عليّ**» قائد فوج الهندسة في الجيش الأوّل، والعقيد الركن «**حامد الدليميّ**» قائد لواء المشاة 23 و... من بين الأشخاص الذين أُعدموا بأمر من صدّام. وقد أُعدم من القادة العراقيّين الرفيعـي المستوى أيضًا: اللواء الركن «**شوكت أحمد عطـا**»، قائد الجيش السابع في القوّات المسلحة العراقيّة: بسبب فتح الفاو في «**عمليّات والفجر 8**»، واللواء الركن «**ضياء توفيق إبراهيم**»، قائد الفيلق الثانـي العراقيّ؛ بسبب استرجاع مهران [مدينة إيرانيّـة احتلّها البعثيّون مع بداية الحرب]، والمقدّم الركـن «**برهـان خليل الأسعـد**»، قائد لواء المشـاة 37. كما أُعدم أيضاً الفريق صـلاح القاضي، قائد الفيلـق الثالـث العراقيّ، والعقيد الركن «**جواد السعد شيتنه**»، قائـد الفرقة الثالثة المدرّع بسبب فتح خرّمشهـر (عمليّات بيت المقدس). بعدها، فهمـت أنّ عدداً كبيراً من قادة الألوية والفيالق العراقيّة، مـا عدا «**صلاح القاضـي**» و«**جواد السعد**» اللّذين أعدما بأمر من صـدّام، قد أعدموا بحكم المحاكم

قبل أن أدخل غرفة رئيس الحرّاس، حاولت أن أُفهِمَ «**سامي**» من خلال نظراتي أنّني إنسان كتوم. دخلت، وكان في الغرفة الملازم «**فاضل**»، والملازم «**قحطان**»، والملازم «**شفيق عاصم**» ضابط قسم التوجيه السياسيّ في المخيّم، و«**مؤذّن**» ضابط قسم المخابرات. سأل شفيق عاصم، وكان «**فاضل**» يترجم كلماته:

- كيف ادّعيت أن أحد الأسرى الإيرانيّين مأمور وجاسوس لمنظّمة مجاهدي خلق؟!

كان واضحًا من سؤاله أنّه يريد استنطاقي، ومن ناحية أخرى كان يريد أن يكتم هويّتهما الواقعيّة. وكان يستخدم في كلامه عن هذين الشخصين، اللذين كان أحدهما عضوًا في جبهة التحرير، والآخر عضوًا في منظّمة مجاهدي خلق، عبارة الأسيرين. قلت له:

- فقط من قبيل الحَدْس والظنّ، ظننت أنّهما جاسوسان، وكانا يروّجان لمنظّمة مجاهدي خلق، فقد قال لي أحدهما: «**لا أمل لنا بالحرّيّة، علينا الالتحاق بمنظّمة مجاهدي خلق!**»

العسكريّة العراقيّة بسبب فتح خرّمشهر، ومن جملتهم، العميد «**صلاح عمر العليّ**»، قائد الفرقة الثالث، شكرجي، قائد اللواء الأول، العميد عدنان الخزرجيّ، قائد الفرقة الأولى، العميد سامر الساقي، قائد اللواء 23، والعميد ضرغام الصافي، قائد اللواء 24. وقد حُوّل الكثير من القادة العراقيّين إلى المحاكم العسكريّة والسجون، من جملتهم اللواء الركن خلف عليسان، قائد اللواء السادس المدرّع و...

في فترة الأسر، عندما كنت أسمع بأسماء بعض هؤلاء القادة ورتبهم العسكريّة، كنت أتحقّق من شجاعة واستبسال المجاهدين الإيرانيّين. كان «**سامي**» يقول: غضب «**صدّام**» في اجتماع له من اللواء «**جبّار طارش**»، قائد قوّات الجيش الشعبيّ العراقيّ، وقال له: يا جبان! اذهب وتعلّم الشجاعة وعدم الخوف من قوّات التعبئة الخمينيّة، وكيف تقاتل حتّى النفس الأخير. فقال له «**جبّار طارش**»: إنّ قادة الخمينيّ، رفيعي المستوى، هم دوماً إلى جانب قوّاتهم، لكنّك تأتي إلى الجبهة بفرقة كاملة من القوات الخاصّة! تعجّب «**صدّام**» وغضب من كلامه، فأمر معاونه «**ياسين**» أن يرمي «**جبّار طارش**» بالرصاص. بعد دقائق سقط «**جبّار طارش**» أرضاً.

قال «**شفيق عاصم**»: لا يبدو على مظهرك أنّك ذكيّ إلى هذا الحدّ، الكثيرون في هذا المخيّم، هم من أنصار رجوي ومنظّمة خلق العربيّة، وهم أيضًا أسرى!

لـم أدرِ ما أقول: هدّدني المـلازم لأخبره من الذي أخبرني بالأمر، وكرّرت للمرّة الثانية كلامي الأوّل، وقلت: فقط من باب الحَدْس!

استشـاط الملازم غضبًـا، وأمر «**وليـدًا**» بضربي. كان «**وليد**» مثل السيـد «**مرزبان**»، معلّم اللغة الانكليزيّة فـي المرحلة المتوسّطة، ثقيل اليـد، وبعـد أن ضربنـي بالسـوط عدّة ضربـات على ظهـري، رماني بالقـرب من النافذة، فسقط عكازاي من تحت إبطيّ، واصطدم طرف حاجبي الأيمن بإطار النافذة، وسال الدَّم منه، فتلطّخ وجهي وملابسي بالدمـاء. في ذلك الوضع، حين رأوا أنّهـم لن يتمكّنوا من استنطاقي، أحضـروا «ع.م»، عندمـا رأيتـه «**هبـط قلبـي مـن مكانـه**». طلب منه العراقيّـون أن يعترف بما قلت له. لكنّنـي ـ وكان ذكاءً منّي ـ لم أكن قد أخبرته بمصدر معلوماتي. لعلّ اللّه سبحانه كان يحبّ «**سامي**»، بحيث لـم أرتكب عملاً صبيانيًّـا في هذا المجال. حين نظـرت في عينيّ «ع. م»، بدا عليه الخجل، خجل عندما نظر للحظات إلى ملابسي الملطّخة بالدمـاء، وحاجبـي المجروح، وعينيّ، وعندمـا كان يتحدّث كان يوجّه نظره ناحيةً أخرى. لم يكن يظنّ أنّ العراقيّين سيواجهونني به.

كنت غاضبًا كثيرًا منه. وانزعجـت؛ لأنّني صاحبته كلّ هذه المدّة، ولأنّنـي لم أكتشـف أمره. ندمت على إخباري لـه بالأمر، ولكن هيهات أن ينفـع الندم. حينها، قلت في نفسـي: ربّ نجّني من المخمصة هذه المـرّة فقـط، وأعاهدك أن لا أثق بـأيّ شخص، وأن لا أقـول أيّ شيء

كيفمـا كان، وأن أعمـل بشـكل أكثـر نضوجًا! دعوت بهـذا الدعاء من صميم القلب، وبتضرع لله تعالى.

سأل شفيق عاصم:

– هـا! ناصـر سليمان، والآن مـاذا تقـول؟ أيّ واحد من الحرّاسـ أخبرك بالأمر؟

– سيّدي! قلت ما قلته من باب الاستنتاج الشخصيّ!

بعد شهادة واعتراف «ع.م»، كأنّ السماء أطبقت على رأسي. سألت الله العـون. كنت أعلم ما هي العاقبة التي سيجرّهـا الإقرار عليّ. أمر الملازم شفيق بنقلي إلى الزنزانة الانفراديّة. فنقلوني بوجهي المدمى إلى الزنازين الانفراديّة للمخيّم، الواقعة في القسم الجنوبيّ لمبنى قيادة «**المخيّم** 16».

الثلاثاء 24 ت1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كانت تجول في رأسي أفـكار عجيبة غريبة، كنت أفكّر في «**سامي**»، ومع أنّي لم أذكره بشيء، كنت خائفًا عليه، كان قلبي يشتعل عليه، كنت خائفًـا من أن يشكّوا فيه، كنت واثقًا من نفسـي بأنّي لن أقرّ بشيء عن «**سامي**»؛ لكنّي كنت خائفًا من أن يبالغوا في أذيّتي، وأن لا أتحمّل بعض التعذيـب، فأتراجع وأُضطّر إلـى الاعتراف والإقرار عليـه. بعد دقائق عدّة ذهبت هذه الأفكار عنّي، ولكي أتخلّص من هذه الأفكار والتخيّلات العبثيّة؛ شرعت بتلاوة القرآن الكريم؛ فشعرت بالاطمئنان والراحة.

كانـت الزنزانة مظلمـة كظلمة غرفـة التصوير، وكانـت توجد في القسـم العلوي لباب الزنزانـة نافذة صغيرة، يراقبنـي العراقيّون من خلالها، كانت تمامًا كزنازين «**معسكر بغداد المركزي**».

اشتقت كثيـرًا «**لحسن وكيلي**» ورفـاق الجبهة. حين كنـت أفكّر بـ «**طريـق الخنـدق**»، «**حسـن**»، «**أحمـد فـروزان**»، «**هوشنـك روئين**» وبـ «**متراس الاستطلاع**»، كان قلبي ينقبض. كنت أودّ لو أنّ «**حسنًا**» وقع معـي في الأسـر، وكان إلى جانبي في هذه الظـروف الصعبة. فلو كان «**حسـن**» أو «**هوشنـك**» فـي تكريت لكان للأسر طعـم آخر. بعد شهادة أخـي والتحاق «**أحمد فروزان**» بــ «**مقرّ رمضـان**»، تعلّقـت بـ«**حسن**» والإخـوة في الاستطلاع، وبإصرار من «**حسـن**» تركت وحدة التخريب، والتحقـت بوحـدة الإستطلاع. ولولا إصـرار «**حسـن**» لبقيت في وحدة التخريب[1]، ولما وقعتُ في الأسر.

غَفَتْ عيناي بعد صلاة الصبح. انتفضتُ من مكاني عندما فُتِح باب الزنزانــة، وضع حارس السجن الذي لم أكن قد رأيته من قبل، أمامي رغيفًا مـن خبز «**السمّـون**»، ووعاءً معدنيًّا فيه قليل مـن الحساء. بعد ساعتين مـن تناول الفطور، أخذوني إلى غرفـة التحقيق، وكان هناك

(1) عندمـا تحـرّرتُ فـي شهر أيلول مـن العـام 1990م، ، أخبرني «**فريبـرز درست**» الـذي كان من الإخوة الناشطيـن فـي وحـدة المعلومات والعمليّـات، حول ما جرى فـي الرابع من شهر تيـر [25 حزيران]، وعـن معركـة «**موقع الخنـدق**» وعدم استقرار «**حسن وكيلي**» في منطقة ترابـة. في ذلك اليوم، ولكي يخلّصنـي «**حسـن**» من أيدي العراقيّين؛ تقـدّم مع مجموعة من الدراجات الناريـة «**التريل**» بمحاذاة ساحـة تشراغتشي، فرماه العراقيّون الذين كانوا يختبئون بين حقول القصب، المتواجدة على جوانب الطريـق، بوابـل من الرصاص. فباءت محـاولات «**حسن**» لنجدتي بالفشل، ونجـى بنفسه بصعوبة في هذه المعركة. كان «**حسن**» كثير القلق لكونه لم يتمكّن من تحريري، ولعدم معرفته شيئاً عن مصيري. عند غروب اليوم الذي، سقط فيه «**طريق الخندق**»، تجمّعت القوّات في منطقة ترابة الصحراويّة في جنـوب الهويزة. في تلـك الليلة كان الإخوة في اللواء يتضوّرون جوعاً، ولـم يجدوا شيئاً يؤكل. في تلك الظـروف القاسية، كان «**حسـن**» قد أحضر معه حبّة خيار، أكل نصفها، وترك النصف الآخر لي. كان «**حسـن**» لا يـزال يأمـل في عودتي. وقد قال لي بعد أن تحرّرت: رأيـت آخر الليل «**سيف الله حيدر بور**» قائـد اللـواء، وكان يتضوّر جوعاً، احتـرق قلبي من أجله، ولمّا آيست من عودتـك، أعطيته نصف حبّة الخيار التي كنت قد خبّأتها لك.

أيضًا الملازم «**فاضل**»، «**شفيق عاصم**»، وضابط الاستخبارات مع المترجم العربي. كرّر عليّ ضابط الاستخبارات أسئلة الأمس نفسها عدّة مرّات، وقال:

- من المهمّ بالنسبة إلينا أن نعرف مَنْ من الحرّاس أخبرك أنّ هذين الأسيرين جاسوسان لـ «**منظّمة رجوي**» و«**منظمة خَلْق العرب**»!

- إنّهما ليسا بأسيرين، لو كانا أسيرين لكنتم تركتموني وشأني!

وقعت في مصيبة كبرى، انتفض ضابط الاستخبارات من مكانه، تقدّم نحوي، أخذ بياقتي ورفع رأسي بحيث أصبحت عيناي في مقابل عينيه، وقال:

- لا زلت إلى الآن أراعي وضعك الصحّي، لكن أنتم الإيرانيّين لستم أهلاً للاحترام.

وخلافًا لميلي الباطني، حاولت أن أتظاهر بالمظلوميّة، فقلت:

- سيّدي! إنّ علاقتنا بالحرّاس علاقة السّجين بالسّجّان، والحرّاس لا يثقون بنا.

كان الضبّاط العراقيّون يشكّون في الحرّاس الشيعة، فقد جعل يذكر أسماء الحرّاس الشيعة ليعلم أيًّا منهم يفشي أسرارهم. لم يكن الحرّاس الشيعة ولا السنّة يثقون بأيّ كان، كان كلٌّ منهم يثق بأشخاص محدّدين، فكان «**عليّ جار الله**» يثق «**برامين حضرت زاد**»، و«**سامي**» يثق بي، و«**حكيم خليفان**» والدكتور «**مؤيّد**» بـ«**بهزاد روشن**» و«**كامبيز فرحدوست**».

عندما لم يصل التحقيق إلى نتيجة، أعادوني إلى الزنزانة الانفراديّة. لم يقدّموا لي يومها طعام الغداء، ولا العشاء، وقطعوا عنّي الماء أيضًا.

الأربعاء 25 ت1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق ـ الانفرادي

الليلة الماضية، عانيت في النوم من شدّة الجوع. بعد الظهر، فتح السجّان باب الزنزانة، ووضع أمامي بعض الأرز، وبقايا لحم الدجاج. علمتُ من عظام صدر الدجاج، والجلد، والشحم الخالي من اللحم أنّ هذا من بقايا طعامهم. كانت أعقاب سجائر العراقيّين في زاوية صحن الأرزّ. كنت جائعًا وعطشانًا، وأشعر بحرقة شديدة في معدتي الخاوية، وكانت الأفكار العجيبة والغريبة قد ساعدت في ترشّح أسيد معدتي، ممّا اضطّرّني إلى أكل بقايا طعام العراقيّين.

كان يوجد بعض الأسرى في الزنازين المقابلة والمحاذية لزنزانتي، فقد كنت أسمع أصوات أسرى مجهولين، لم أكن قد رأيتهم على الإطلاق. تعرّفت إلى أحدهم، وكان يُدعى «**إيرج صادقي**»، وهو من أهالي كرمان، وقد رأيته من قبل في المخيّم الملحق. لم أكن أعلم أنّه قائد كتيبة، فقد انكشف أمره قبل عدّة أيّام على أيدي الجواسيس والخونة. ولكونه قد أخفى رتبته العسكريّة إلى حينها، فقد نُقل إلى الزنزانة الانفراديّة.

ومن دون أن يعلم «**إيرج صادقي**» من أنا، قال:

- سمعت صوت وقع عصا، أجريح أنت؟!

عندما ذكرت له اسمي، علم أنّي أسير مقطوع الرجل.

سألته:

ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- كشف أمري أحد الأسرى الذين جيء بهم من مخيّم النهروان. وكان الجواسيس أيضًا قد أدّعوا بأنّ أحد عناصر «**فرقة خراسان**

77» هـو قائـد سرية فـي الجيش. لـم أره كذلـك. وكان هـو الآخر في الزنزانــة المحاذية لزنزانة «**إيرج**»، وهو من أســرى العنبر رقم (5). كان قد اختلف مع بعض الأشخاص الخونة الذين كانوا ينقلون الأخبار إلى العراقيّين، وضرب أحدهم في الحمّام، فقالوا للعراقيّين: إنّه قائد سريّة سلاح المدفعيّة، وأنّه قد أصاب عدّة دبّابات عراقيّة.

كان إنسانًــا ذا روح معنويّة مرتفعة، وقد قال للعراقيّين: إنّي عنصرٌ عــاديّ، فعرّضه العراقيّون للصدمــة الكهربائيّة. قال لي غروب اليوم: لقــد صدّق العراقيّون أنّي قائــد سريّة سلاح المدفعيّة، ثم تابع مازحًا: كنــت في الحرب جنديًّا لا أكثر، ولكنّي لـم أمُتْ، تحوّلت في الأسر إلى قائد سريّة، وفي سلاح المدفعيّة أيضًا!

الخميس 26 ت1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق ـ الانفراديّ

الليلة كانت الذكرى السنويّة الثانية لاستشهاد أخي السيّد «**هدايت**». تذكّرتــه في وحدة الزنزانة. كان «**هدايــت**» يكره الأسر، وكثيرًا ما كان يذكر هذا الأمر.

فــي شتــاء العــام [1987م]، حيث كنت أنقـل له (دفتــر يوميّاته)، وكاميرتــه، وقميصه الخاصّ بالحرس، من باشــت إلى شلمجة، قرأت في الطريق، ومن دون إذنه، ما كان كتبه في الدفتر. وكان قد كتب عن اللقــاء الأوّل لــه بوالدي فــي جبهة «**دهلران**»، وما لفــت نظري من بين كتاباته عبارة جميلة، كانت بالنسبة إليّ مدعاةً للاعتزاز:

«يمكـن لإخوتـي مـع والـدي أن يشكّلوا فـي الحرب مـع البعثيّين العفلقيّيـن قوّةً عسكريّة ضاربة بكلّ الاختصاصات المطلوبة، تقاتل

الأعداء، وتستلم خطًّا في الجبهة، فتحميه من الهجمات والهجمات المضادة للأعداء، وتقتحم خطوطهم أيضًا»[1].

عندما تداعت إلى ذهني في ظلمة الزنزانة، عبارة أخي الشهيد هذه، قلت في نفسي: للعراقيّين الحقّ في أن يقطعوا كلتا رجليّ.

الجمعة 27 ت1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق ـ الانفرادي

الليلة الماضية أضفى صوت تلاوة القرآن، ودعاء الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام الخاصّ، المنبعث من الزنزانة المحاذية لزنزانتي، صفاءً وحالةً خاصّةً على جوّ السجن، فقد تلا أحد الإخوة، وكان ذا صوت عذب، دعاء الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:

«السلام على المعذّب في قعر السجون، وظلم المطامير ذو الساق المرضوض بحلق القيود السلام عليك يا موسى بن جعفر...».

جرت دموعي تلقائيًّا. كنت أعتزّ بكوني أحد أحفاد الإمام السابع للشيعة، موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وكأنّ مصير جدّنا وأحفاده مرتبط بالسجون.

تذكّرت أشرطة كاسيت المرحوم الشيخ أحمد الكافي، وبأيّ حرقة كان يقرأ هذا الدعاء. بكيت لسماع دعاء جدّي الخاصّ في سجن هارون الرشيد.

قبل الظهر، أُخرجت من الزنزانة، فقد أُصبت منذ البارحة بالديزنطاريا، وتقيّأت كلّ ما في بطني. كان ضابط التحقيق إنسانًا لجوجًا، وغالبًا ما كان يشكّ في الدكتور «**مؤيّد**». أراد أن يحلّفني، لم أعلم من الذي أخبرهم بموضوع القَسَم. لم أسمع أو أرَ أنّ في

(1) راجع الملحق الأول في نهاية الكتاب.

التحقيقات يُعمل على تحليف الشخص. قال ضابط التحقيق:

- يقولـون إنّكم أنتم الإيرانيّين، ربما لا تعترفون عادةً، فهل تقولون الحقيقة إن جعلناكم تُقسمون؟

كأنّمـا ضُرِبْتُ على رأسي، أظـنّ أنّ الجواسيس والخونة قدّموا هذه المعلومة للمحقّقين. مدّ ضابط التحقيق يده باتّجاه القرآن وقال:

- إذا أقسمـت بالقـرآن أنّ أحـدًا مـن العراقيّين لـم يخبرك بهذا الأمر، سنصدّقك!

- حتّى القسم الصادق ليس بالأمر الجيّد!

- تتكلّم بهذه الكلمات لتهرب من القسم!

مـا إن قلـت هذه الكلمـات حتّـى أمرنـي بالزحف، ذهبـت مجبرًا إليـه، وفيما كنت أزحف داس أحد الحرّاس علـى يدي اليمنى بحذائه العسكـريّ. استـدار بنتـوءات أسفـل حذائـه العسكـريّ علـى يـدي، فصرخت. قال ضابط التحقيق:

- ما رأيك بالتعذيب الجوّيّ؟

لـم أدرِ ماذا يقصد، فأمر بربط يـديّ ورجلي وبتعليقي على علّاقة المروحة الموجودة في سقف الغرفة. بسبب هذا العمل، جُرح معصمي وساقـي، بقيت معلّقاً حوالي ثلاث أو أربع ساعات. أحسست كأنّ رجلي قـد قطعـت الآن، وشعرت بدوّار فـي رأسـي، وكان الحرّاسـ ينهالون بالسيـاط على رجلي من دون رحمة. رمى أحدهـم كوبًا من الشايّ في وجهـي. كان الشاي ساخنًا، فأحرق وجهـي. كان طرف الحبل مربوطًا بقضيب النافذة الحديديّ[1].

(1) اعتمـد العراقيّـون أساليب متنوّعة للتعذيـب. التعذيب الجـوّيّ، المائيّ، والأرضـيّ. فالتعذيب الجوّي

الأحد 29 ت1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق ـ الانفراديّ

تخلّصت من السجن الانفراديّ بفضل الديزنطاريا. كان جسمي قد ضعُف، بحيث لم أعد قادرًا على الحركة، ولا على المشي. بعد الظهر، أعادوني إلى المعتقل. عندما ودّعت الرفاق في الزنازين الانفرادية المقابلة لزنزانتي، قال لي أحدهم، ولم أكن قد رأيته من قبل:

- إذا كنت دائمًا مع اللّه، فلن يشقّ عليك شيء!

قبل أن أدخل المعتقل، قال لي «**فاضل رحيم**»، الذي كان يعمل في المستوصف:

- تكلّمت مع الدكتور «**مؤيّد**» لينقلك إلى المستشفى!

اليوم، كان الدكتور «**مؤيّد**» يدير المستوصف بدلاً عن «**جمال**». وكان الدكتور «**جمال**» معروفًا بـ«**جزّار المخيّم**».

عندما دخلت المعتقل، اجتمع الإخوة حولي. جاء «**سامي**» إليّ وكان السّرور باديًا عليه. كان فرحًا؛ لأني لم أفشِ سرَّه. لم أكن أصدّق أنّهم سيتركونني بهذه البساطة. من حينها توطّدت علاقتي بـ«**سامي**» أكثر فأكثر. فصار يخبرني أمورًا كان يخاف في السابق البوح بها أمامي. بنظره، لقد تجاوزت امتحانًا صعبًا، وكان هذا جميلاً بالنسبة إليّ.

خرجتُ إلى باحة المعتقل، كنت أبحث بين الأسرى عن هذين الجاسوسين. كان مقْدَمُهم مقدم شؤم بالنسبة إليّ. فقد علّماني

كان عبارة عن التعليق في [علّاقة] مروحة سقف الغرفة. والتعذيب الأرضيّ عبارة عن الزحف، [قفزة الغراب] القفز كالضفدع واليدان موثوقتان وراء الظهر، [ضغط السواعد]، والتمرّغ بالتراب. والتعذيب المائيّ عبارة عن الرمي في قنوات الصرف الصحّيّ. كما كانوا يعتمدون وسائل تعذيب أخرى، كان الإخوة يسمّونها الدجاج المشويّ، وكانوا، يمدّون الإخوة بصدورهم العارية على الأَسْفَلت الحارق، ويمشون على ظهورهم. غالباً ما كانت تُعتمد هذه الطرق في مقر حرس بغداد المركزي.

درسًـا. مع أنّ قلّة تجربتي لـم تكن بلا فائـدة. أردت أن أراهما وأقول لهما إنّه لا يخفى القمر دومًا وراء الغيوم، وإنّه لا شيء أسوء من النفاق والخداع.

فتّشت عنهما في فناء المعتقل، فأشار إليّ «**سامي**» بأنّهما نُقلا إلى «**المخيّم** 15».

الفصل العاشر:

تكريت - مستشفى القادسيّة

الاثنين 30 ت1 1989 ـ تكريت ـ مستشفى القادسيّة

عندما ركبت سيّارة الإسعاف، غطّى سجّانان مسلّحان عينيّ، وأوثقا يديّ. بعد ساعة، توقفت سيّارة الإسعاف التابعة لمستشفى القادسيّة، نقلني السجّانون إلى المشفى الخاصّ بالأسرى الإيرانيّين، دخلت قاعةً كبيرةً نسبيّاً، لأرى أكثر من ستّين أسيرًا إيرانيًّا يخضعون للعلاج. كان أغلبهم مصابًا بالديزنطاريا، وكانوا قد نُقلوا من مخيّمات تكريت المختلفة.

لم يكن الدكتور «**جمال**» يوافق على إرسال ذوي الحالات الطارئة والخاصّة، وإدخالهم إلى مستشفى تكريت، إلّا بعد أن تصبح حالتهم ميؤوسًا منها، ويشارفوا على الهلاك.

معظم الأسرى المرضى كانوا يموتون في المخيّم[1]، ولا يُنقلون إلى مستشفى القادسيّة.

كانت مستشفى تكريت، مكانَ استشهاد أسرى مظلومين، كانوا يموتون بعيدًا عن أعين الآخرين. فقد أخبر الدكتور «**مؤيّد**» أنّ

(1) طبقاً للاحصاء الذي حصلت عليه من قسم مستوصف المخيّم، استشهد 84 أسيرًا إيرانيًّا في «**مخيّم تكريت 16**» بسبب الاصابة بالديزنطاريا وأمراض أخرى غير معروفة. وكان في عداد هؤلاء الشهداء ثلاثة من أفضل أصدقائي، هم «**علي شاه آوريده**»، و«**محمّد بخرد**»، و«**حسين مرداني**».

العراقيّين يدفنون الأسرى الذين يموتون في مستشفى تكريت، في الصحارَى المحيطة بتكريت، من دون تكفين، ومن دون وضع شواهد على قبورهم!

كانت قد اسودّت أبدان أكثر الإخوة وازرقّت نتيجة الضرب، والتهبت جروحهم، فبعضهم أُصيب بسبب عدم الاستحمام لفترات طويلة، بالفطريّات الجلديّة، والدماميل الملتهبة. وظهرت لدى بعضهم حبوب متقيّحة، وملتهبة في عضلات الفخذ.

مع حلول فصل الصيف، بدأت أمراض هذا الصيف بالانتشار. فقد انتشرت في مستشفى تكريت أمراض كثيرة من قبيل الإسهال، والاستفراغ، التسمّم، الأمراض البكتيريّة، الأمراض الجرثوميّة والطفيليّة، ضربات الشمس، وحتّى سرطان الجلد و... . ومع وجود ماء الشرب غير الصحّيّ ونقصان المياه، كانت رعاية النظافة الفرديّة والجماعيّة غير ممكنة عمليًّا. وإنّ عدم توفّر مياه الاستحمام، ووجود الأطعمة الملوثّة والفاسدة، وانتقال الميكروبات عبر الذباب، والبعوض، وسائر العوامل المتداخلة، كان أيضًا من الأمور التي لعبت دورًا في ظهور الأمراض المختلفة.

لم أعرف الكثير من المرضى سوى «**علي أصغر انتظاري**»، و«**محمّد بخرد**»، و«**دهقان منشادي**». كانت مستشفى القادسيّة من مستشفيات تكريت القديمة، ويظهر من جدرانها التي فقدت ألوانها وطلاءها، أنّها قديمة جدًّا. كنّا هنا تحت مراقبة أمنيّة مشدّدة، ولا سبيل إلى الفرار، وإن وجد السبيل، فالحَيَل غير موجود. وإذا ما علم التكريتيّون الذين كانوا يعملون هناك، أنّ شخصًا ما هو من البسيج أو

الحرس، كانوا يعطونه دواءً بديلاً. كان استخدام حقنة واحدة لحقن عدّة أسرى أمرًا عاديًّا بالنسبة إلى العراقيّين. كانوا يحقنون الإخوة بحقن البنسلين من دون إجراء فحص التحسّس منه.

أُصيب عدد من الإخوة بالبواسير جرّاء الجلوس المطوّل. كما أُصيب كثيرون بالتهابات في العين بسبب تلوّث الهواء، ودخول الرمال الصحراويّة إلى قاعدة صلاح الدين. وقد طفَحت في وجوه الكثيرين، وكنت أنا منهم، الحبوب الملتهبة، والحبوب ذات الرؤوس السوداء والحمراء، والدماميل.

كان الأسير الراقد إلى جانبي مصابًا بالتهابات الكلية والمثانة، وكان من أسرى المخيّم (13)، وقد نقله العراقيّون. كانت تفوح في القسم الطبّيّ رائحة العفن، كانت هناك خمس فُرش، لم يُستفد منها لرائحتها النتنة.

كان فطورنا مقدارًا قليلاً من حَساء العدس، وغداؤنا رغيفَ سمّون رديء، ومقدارًا قليلاً من الأرزّ مع شوربة البصل. لم ينفع الأسرى المصابين بالديزنطاريا الدواء، كما فعل العجين. فعندما كنّا نأكل العجين، كان الإسهال يخفّ، ويقلّ خروج الدم منّا!

الثلاثاء 31 ت1 1989 ـ تكريت ـ مستشفى القادسيّة

جاءوا بأسير يتكلّم الكرديّة، كان قد اعتُقل في المنطقة الحدوديّة لكردستان، وكان من أسرى مخيّم تكريت (12)، كان أصلع الشعر، نحيف الجسم والوجه. تجاذبنا أطراف الحديث. هو في الأصل من «**الدهوك**» العراقيّة، من منطقة زاخوكرد، لكنّه كان يعيش وعائلته منذ

زمن فــي إحدى القرى الحدوديّة لكردستــان الإيرانيّة. كان العراقيّون فــي عمليّات «**الفتح 5**»، قــد قصفوا تلك المنطقــة الكرديّة المُسالمة، بالأسلحــة الكيميائيّــة، ففقد زوجتــه وابنه بسبب هــذا القصف. وقد تعامــل العراقيّون معه على أنّه أسيرٌ إيرانــيٌّ كرديٌّ. كانت الفقاقيع قد طفحــت في جسمه بسبــب القصف الكيميائيّ بغــاز الخردل. وأخبرنا أنّ أخــاه كان من قوّات المعارضة الكرديّــة، قُتل عام 1981م في سجن الحــزب الديمقراطيّ. وأخبرني أيضًــا أنّ حزب البعث العراقيّ قصف في شهر آذار من العام 1981م سجن دوله تو[1]. كان أخوه من بين القتلى فــي ذلك السجن. قال من شــدّة غضبه: لو لم يكن صدّام مجنونًا، لما قصف أهالي قريــة زاخوكرد، وهي كانت جزءًا من الدهوك العراقيّة، بالأسلحة الكيميائيّة، ولما أنزل هذا البلاء فوق رؤوس أهالي حلبجة.

فــي آخر الليل كان يتفل دمًــا. تفاقم التهاب رئتيه إلــى درجة جَعَلَ العراقيّين يعتقدون بأنّه مصابٌ بالسلّ، وكان الممرّضون قد طلبوا منه أن ينام على مسافة من المرضى الآخرين، فقال له الإخوة: أخ صالح، دعك مما يقوله الممرِّضون سننام قرب بعضنا بعضًا!

الأربعاء 1 ت2 1989 ـ تكريت ـ مستشفى القادسيّة

أخبرنــا «**علي أصغر انتظاري**» قصّة أســره، فعندما وقع أسيرًا في أيــدي العراقيّين، قبض قبضةً من التراب في يــده، وأراها للعراقيّين،

(1) استهــدف القصــف الجويّ سجــن «**دوله تــو**» بأمر من «صــدّام»، وتعــاون «**منظّمة مجاهــدي خلق**» و«**مخابرات كركوك**»، وكانت قوّات الحزب الديمقراطيّ العراقيّ المعارض، قد جمعت عدداً من أسرى الحرس، اللجــان (الشرطة المحليّة)، الجيش، جهاد البناء، والأكــراد المجاهدين المناوئين للنظام العراقيّ في هذا السجن. وقد استُشهد الكثير من السجناء بسبب هذا القصف.

أي «**ماذا تفعلون في أرضنا؟**» ففهم العراقيّون مراده. كان مُزاح «**علي أصغر**»، وكلماته في فترة الأسر من الطراز الأوّل دائمًا. وكان نفسه يقول: «**أريد بكلماتي هذه أن أرفع من معنويّات الأخوة**». في الفترة التي كنّا فيها في مستشفى القادسيّة كان يشعل بكلماته غيظ العراقيّين. وكان في «**المخيّم الملحق**» في الزنزانة المحاذية لزنزانتي.

عندما كان يلتقي بي، كان يقول بدل السلام: سيّد! أين كنت، لأقوم بخدمتك. وكان «**محمّد كاظم بابايي**» ابن مدينته يقول: ذات يوم كان يمرّ بسرعة من أمامي، قلت: «**علي أصغر! إلى أين بهذه السرعة؟**» فردّ قائلاً:

القطرة التي تنفصل عن الينبوع تذهب لأداء مهمّة ما[1]

في المباريات الشعريّة، لم يكن «**علي أصغر**» والسيّد «**محمّد شفاعت منش**» يتراجعان، كانت مباراتهما الشعرية تمتد لساعات، لم أكن أدري متى حفظا كلّ هذه الأشعار. وقد ردّ على أحد حرّاس «**المخيّم الملحق**» الذي قال له: «**أنتم، الأسرى الإيرانيّين، ستبقون في هذه السجون حتّى تتعفّنوا**»، قائلاً:

لا تضحك على من في الأسر فلربّما تقع فجأةً فيه

كان «**علي أصغر**» من أهل صلاة الليل والدعاء. ذات مرّة قرأ القنوت بالفارسيّة، لا أدري لماذا؟ وحين سُئل عن السبب قال: «**أحببت أن أتكلّم مع الله بهذه اللغة، وهل الله عربيّ!**»

كان حامد حارس المخيّم قد أطفأ سيجارته بظهره، فالتهب الموضع وتقيّح.

---

(1) بيت شعر لبرفين اعتصامي، الشاعرة الإيرانيّة المعروفة.

في هذا اليوم، عندما قال «**علي أصغر**»: «**شكرًا لله**»، قال له أحد الممرّضين: «**وهل الأسر يستحقّ الشكر؟!**» أجابه علي أصغر: «**عبوديّة الله تستلزم الشكر**»، فحار الممرّض ما يقول. فقد كان إنسانًا سريع البديهة، حاضر الإجابة. وحين قال له الممرّض مستهزئًا: «**أنتم أسرى الحرب مطرودون من رحمة الله**»، أجابه: «**الشكر لله إذ ابتُلينا بالغربة والمصيبة في هذا السجن، ولم نُبتلَ بالمعصية، وابتُلينا بأسر الأجساد، لا بأسر الأرواح!**»

بعد الظهر نقلوا جثماني أسيرين من القاعة المجاورة. عندما رجع الأسير الذي ذهب لتكفينهما ودفنهما، قال: «**المكان الذي يُدفن فيه الأسرى الإيرانيّون، غريب كمقبرة البقيع**». وكان العراقيّون قد هدّدوه إن أفش أمر مقبرة الأسرى الإيرانيّين هذه. كانوا يدفنون الأسرى الإيرانيّين في إحدى صحارّى تكريت، أُطلق عليها اسم القطعة الخاصّة بالأسرى الإيرانيّين. وقد استُشهد في المخيّمات العراقيّة أكثر من أربعمئة أسير «**مفقود الأثر**»، ودُفنوا في تلك الصحراء.

الخميس 2 ت2 1989 ـ تكريت ـ مستشفى القادسيّة

قبل الظهر، حين كنت خارجًا من القسم لأتوضّأ، ناداني «**علي أصغر**» وقال:

– سيّد! تمهّل!

ذهبت إليه فقال:

«**أقسم عليك بالله، إن غرقت في الأجواء المعنويّة...**» ثم سكت برهة، وتابع: «**أغلق الباب!**»

اعتقدت أنّه كان يريد القول: «**إن عشت أجواءَ روحانيّةً فلا تنسني من دعائك**». وكان بالأمس قد قال لي: «**إن شاء الله تُكسَر يدك**»! قلت: لماذا؟ قال: قل ماذا يكسر إذا؟ قلت: جيد ماذا يكسر إذا؟ أجاب:

- عنق صدّام!

كان من المقرّر أن يُنقل «**علي أصغر**» إلى المخيّم بعد الظهر، فقد اشتقت لمزاحه، ففي المستشفى، غالبًا ما كان يلقي النكات ويمزح للتخفيف عن المرضى، والترويح عنهم. ولم أكن قد رأيته في المخيَّم يمزح هكذا، ويحاول إضحاك الأخوة. كان مزاح «**علي أصغر**» يرسم الضحكة على وجوه الأسرى المرضى الذين يعانون أسوأ الظروف.

عندما خرج من القسم الطبّيّ، أخذ معه بعض الضمّادات والأقراص المضادّة للالتهابات. وعندما أراد الانصراف، قال للدكتور قادر:

«**دكتور! أريد أن أدعو الله لسلامة صدّام**». عندما ترجم «**حسين مرواني**» المترجم الإيرانيّ العربيّ هذه الجملة للدكتور، صدّق ذلك، وابتسم ابتسامة الرضا، وقال لـ«**علي أصغر**»: الآن أصبحت سويًّا!

رفع «**علي أصغر**» يديه بالدعاء وقال:

- اللهمّ احشر صدّام وأعوانه مع يزيد ومعاوية، واحشرنا مع الحسين بن علي عليه السلام.

فقال الإخوة جميعًا آمين! وما إن سمع الدكتور قادر اسم يزيد والإمام الحسين عليه السلام حتّى فهم أنّه يقوم باللعن بدل الدعاء، تقدّم وركل ظهر علي أصغر، فقال «**علي أصغر**» للدكتور:

«**إذا كان يزيد ومعاوية صالحين، فلِمَ تستاؤون من الحشر معهما، وإن كان الإمام الحسين عليه السلام صالحًا، فلِمَ لا تتوسّلون به،**

تريدون أن تأكلوا الحصرم وتقتلوا الناطور معًا؟! تعادون الإمام الحسين عليه السلام، وتودّون لو تُحشروا معه يوم القيامة، وتوالون يزيد، ولا تحبّون أن تُحشروا معه؛ عجبًا لكم من أناس!»

ليتكم كنتم تشاهدون الخيبة على وجه الدكتور «**قادر**»!

السبت 4 ت2 1989 ـ تكريت ـ مستشفى القادسيّة

اليوم، أحضروا أحد الأسرى من «**المخيّم** 13»، يُدعى «**رضا**»، وهو من عناصر «**فرقة كربلاء** 25». وكانوا قد أطعموه مسحوق الغسيل بجرم أنّه بسيجيّ. كان قد أُصيب بالديزنطاريا، وبمشاكل تنفّسيّة. التهبت رئتاه، فكان يكُحُّ كثيرًا، ويئنّ من ألم صدره، ومن إفراز البلغم، وأوجاع الرأس. يقول «**رضا**»: عندما أسرتُ في عمليّات الفاو، رماني البعثيّون من سيّارة الآيفا، وهي منطلقة، على مقربة من قاعدة عسكريّة في نواحي البصرة، ممّا أدّى إلى كسر كتفي، وتضرّر فقرات ظهري. استفقت بعد ساعات في «**قاعدة جبيلة**» العسكريّة في البصرة. ويتابع: «**كان مخيّمنا أفضل من مستشفى تكريت**». كان في مخيّمهم طبيب أسنان، وكان يسحب عصب أسنان الإخوة بواسطة الشفرة والسلك الشائك. وبحسب قوله، كان يحمّي السلك الشائك إلى أن يحمرّ، بعدها يغرزه في لثّات أسنان الإخوة وفجواتها. وكان اثنان من الإخوة في مخيّمهم، يجريان عمليّات جراحيّة. فكانا ينتزعان الشظايا الصغيرة منها والكبيرة التي اخترقت أيدي وأرجل البعض.

وكان أحد حرّاس مخيّمهم قد طلب منه أن يرقص بمناسبة عيد ميلاد صدّام، فلم يقبل. الأسير الآخر، الذي كان برفقته، من الرُتباء،

من عديد «**فرقة خراسان** 77». كانت كلتا أذنيه قد التهبتا، وأُصيب بخلل في السمع، فكان يئنّ من الطنين والحرقة في أذنيه، ومن آلام الشقيقة. أُصيب في البطن، في عمليّات «**النصر** 6»، عندما حرّر المجاهدون «**مرتفعات** 620»، المعروفة بـ«**هضبة سيّد الشهداء**». كانت إحدى أذنيه قد صُمّت بسبب قوّة موجة انفجار صاروخ الكاتيوشيا بالقرب منه، أمّا قميصه العسكريّ فكان مرقّعًا من عدّة أمكنة، إلى حينها لم يكن العراقيّون قد أعطوه الزيّ الأصفر الخاصّ بأسرى الحرب، فأعطاه أحد الجرحى دشداشته.

بعد الظهر، جاء الدكتور «**وسام عبد الرحمن عزّت**» إلى القسم من أجل المعاينة. وخلافًا للدكتور «**جمال**»، كان إنسانًا ذا وجدان، محترمًا ومؤدّبًا. قال الدكتور «**وسام**» لأسير أُثخن بالجراح: «**طبقًا لمعاهدة جنيف، لا يمكن لأحد أن يسخّر أسير الحرب كعبد**»!

كان الدكتور وسام يتكلّم بهذه الكلمات من باب الشفقة. قال أحد الأسرى للدكتور: منذ بدء الحرب، لم يراعِ العراقيّون «**معاهدة جنيف**»، فهم يعتبرون أنّ أسرى البسيج والحرس لا تشملهم اتفاقيّات أسرى الحرب الدوليّة؛ ولهذا السبب، أصدر صدّام الأمر بإعدام أسرى الحرس والبسيج إعدامًا جماعيًّا!

كان عددٌ من أسرى القسم مثخنين بالجراح، ونزيف جراحهم لا يتوقّف بسهولة. قال الدكتور «**وسام**»: «**بسبب سوء التغذية ونقص الهموغلوبين، لا ينقطع نزف أبدانكم، ولا تتعافى جراحكم بسهولة**».

وتابع الدكتور وسام: بسبب نقص البروتين، أُصيب أكثر الأسرى

الإيرانيّين بمرض scorbut [1].

سأل الإخوة : دكتور، ماذا علينا أن نفعل؟

– عليكم أن تتناولوا طعامًا يحتوي على البروتينات، وهذا حتمًا غير متوفّر في السجون العراقيّة!

أُصيب الكثير من الإخوة (بتشقُّق اللسان). وينجم هذا المرض عن نقص في الفيتامينات، والمداومة على أكل الباذنجان.

الأحد 5 ت2 1989 ـ تكريت ـ مستشفى القادسيّة

آخر الليل، دخل القسم الطبّيّ جنديٌّ عراقيٌّ، وكان من المجنّدين الجامعيّين في خدمة العلم، ومن محافظة كركوك العراقيّة، ويُدعى «**عبد المنعم**». قال للدكتور «**وسام**»: إنّ الممرّضين يعطون للأسرى الإيرانيّين الأدوية الفاسدة المنتهية الصلاحيّة، وأضاف قائلًا: إنّ كلّ من يخالف حزب البعث بنحوٍ ما، يعيش في العراق حياةً بائسة. ظننت أنّه يريد إخراج ما بداخلنا، واستنطاق الإخوة، قال الأخ «**حسين مرواني**»: «**هذا الشخص صادق معنا، يبدو متألّمًا لاستشهاد أبناء آية الله الحكيم**». وكان قد ذكر لنا قصّة اثنين من الوجوه البارزة في مدينة تكريت هما، الأستاذ الجامعيّ الدكتور حسين الجبّوريّ، والعقيد عادل الجبّوريّ، أحد قادة الحرس الجمهوريّ، وقال: كان هذان الشخصان من مدينة صدّام. وقد سُمِّمَا بسمّ التاليوم[2] القاتل على أيدي مديريّة الاستخبارات

---

(1) Scorbut: مرض ناتج عن فقر في الفيتامين (C) وفقر الدم يظهر على شكل تشققات ونزف في الجلد. (م.نون)

(2) Taulium

والأمــن العراقيّة «**الأمن العـامّ**»[1]. وقد فرّا إلى بريطانيا عن طريق سوريـا وخضعا للعلاج. قــال «**عبد المنعم**»: أولئـك الذين يطلقون علـى أنفسهم لقـب التكريتيّيــن، يسرحـون ويمرحون فـي العراق. فالتكريتيّـون يظنّون أنفسهم أنّهم من عنصر أرقى لكونهم من بلدة صــدّام. تمامــاً كالاسرائيليّيــن...، وقد أرسل صــدّام في يوم واحد 49 ضابطًا رفيع المستوى إلــى كرسيّ الإعدام، بسبب تقدّمكم أنتم الإيرانيّين في شلمجة، وتراجع القوّات العراقيّة!

الثلاثاء 7 ت2 1989 ـ تكريت ـ مستشفى القادسيّة

قبل الظهر، أُخرجنا من المستشفى بأمر من الدكتور «**قادر**»، ركبت أنــا و«**محمّـد بخـرد**» وأسيران آخران حافلــة «**تويوتـا**» رماديّة اللون، وقبــل أن تخرج الحافلة مــن مستشفى القادسيّة، أوثقـوا أيدينا، وقال السجّانــون، إنّهــم سيعصّبــون أعيننا قبل أن نصل إلــى قاعدة صلاح الدين. وبينما كانت السيّارة تمرّ بشوارع تكريت، كانت الأفكار المختلفة تتجاذبني، فما ظننت يومًا أنّي سأسير موثّق اليدين، وبرجل مبتورة في شوارع تكريت، مسقط رأس صدّام. شعرت بالغربة. قلت في نفسي: إذا ما سُلّمنا في هذه الشوارع إلى أهل بلدة صدّام، فسيقطّعوننا إرْبًا إرْبًا. تذكّــرت عندها كلام «**عليّ جـار الله**»، كان يقول: سيّد! اسعَ جاهدًا أن لا تناقش التكريتيّيــن، وأن تأمن جانبهم، وكان يقول: «**فلا عديّ رَحِمَ**

(1) كان برزان التكريتيّ، الأخ غير الشقيق لصدام يتولّى إدارة هذه المؤسّسة، ولكي يخفي صدّام جرائمه وأسـراره؛ كان يستفيـد من أقاربه لتولّي إدارتها. كانت هذه المؤسّسة تتولّى مهمّة التجسّس والتجسّس المضـادّ فـي الجيش، كما كانـت إحـدى مهمّاتها إحبـاط الانقلابـات المحتملة عن طريـق عمليّات التنصّت، والتعقّب والمراقبة.

«**كامل حنّا**» أمين صندوق والده، ومحافظه، ولا صدّام رحم عديّ، ولا شفيق عاصم رحمكم! لا أحد يرحم أحدًا. هذا المكان كالغابة، القويّ يأكل الضعيف». وكان قد أخبرني بقصّة «**كامل حنّا**» الذي صعقه عديّ في نادي السعيد بالسلك الكهربائيّ، ممّا تسبّب بإعاقته؛ وكان جرمه أنّه رتّب زواج صدّام بإحدى الطبيبات العراقيّات، فاستدعى صدّام عديًّا إلى مكتبه، وأطلق عليه خمس رصاصات، أصابت يديه ورجليه.

لم تتركني التخيّلات والأفكار المشوّشة إلّا بعد توقّف الحافلة في محطّة البنزين الواقعة على مخرج المدينة.

كان سجّانان مسلّحان يراقباننا. وعندما علم الناس العاديّون الذين كانوا ينتظرون دورهم في محطّة البنزين لملء سيّاراتهم بالوقود، أنّنا أسرى إيرانيّون، جاءوا ليتفرّجوا علينا. نادى بعض الشباب الفضوليّين آخرين ليأتوا وليتفرّجوا علينا قائلين: مجوس.. أسرى إيرانيّون.. حرس الخمينيّ.. وجاء المسؤول عن خزّان الوقود، ويداه مملوءتان بالدنانير العراقيّة لرؤيتنا، وكأنّه كان يفضّل ذلك على استلام النقود من السائقين. كلّ الذين كانوا في محطّة الوقود كانوا يتفرّجون علينا مشدوهين، وهم واقفون بجانب سيّاراتهم!

كانت معاملة التكريتيّين لنا، نحن الأشخاص الأربعة، سيّئة، كان بعضهم يسبّنا ويشتمنا، وكان السجّانان يأمران الناس بالابتعاد والتفرّق. كانوا مشدوهين من رؤيتنا، كأنّهم لم يروا إيرانيًّا قطّ. وقد فهمت الكثير من شتائمهم، فبعضهم كان يشتم شتائم وضيعة، واثنان أو ثلاثة منهم أظهروا حقدهم من خلال رشقنا بالبندورة وبالأحذية!

أنهينا تعبئة البنزين. وفيما كانت السيّارة تخرج من المحطّة، رمت إحدى العجائز، وكانت في مؤخرّة سيّارة تويوتا خضراء قديمة الطراز، بنعلها البلاستيكيّ نحونا، فاصطدم بكتفي، وسقط إلى جانبي في السيّارة. يُقال: ربّ ضارّة نافعة، كانت فردة النعل التي رمتها المرأة العجوز هي الفردة اليسرى، فيما كانت رجلي اليمنى هي المبتورة. ومنذ مدّة كانت فردة نعلي البلاستيكيّ قد تقطّعت من أماكن عدّة. اعتبرت عملها هذا لطفًا من اللّه، شكرت اللّه، ففي نهاية هذه المعمعة في محطّة البنزين، أصبحت أملك فردة نعل بلاستيكيّ، وكانت أيضًا الفردة اليسرى. ومن بين كلّ الأشخاص الذين رشقوني بالبندورة والأحذية، سامحت فقط تلك المرأة العجوز التي صارت فردة نعلها من نصيبي!

الفصل الحادي عشر:

تكريت - المخيّم الملحق

السبت11 ت2 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

دخل عميد عراقيّ برفقة النقيب «**خليل**» لتفقّد المخيّم. منذ مدّة، كان «**حسن بهشتي بور**»، يتحيّن الفرصة ليطلب من العراقيّين تأمين رِجْلٍ اصطناعيّة لي. وقد قلت له: إنّ العراقيّين لن يوافقوا، وهذه العصا التي أعطوني إيّاها كثيرة عليّ [بنظرهم]!

أجرى «**بهشتي بور**» عمليّة حسابيّة لتحديد قيمة الرِّجْل الاصطناعيّة. وقال: إن قيمتها تتراوح ما بين ستين وسبعين ديناراً. وهذه تعادل شهريّة خمسين أسيراً إيرانيّاً، يكفي أن يتخلّى خمسون أسيراً عن شهريّتهم لشهر واحد فقط فتُحلّ مشكلتك!

كان «**بهشتي بور**» ورفاقه يعلمون أنّ الحياة برجلٍ مبتورةٍ بين كلّ أولئك الأسرى الأصحّاء غاية في الصعوبة. فكثيراً ما كنتُ أقعُ على الأرض حين ينهال الحرّاس بالسياط والهراوات على الإخوة، وأتلقى الركلات تحت أرجلهم بفعل التدافع. بالنسبة للعراقيّين، لم يكن هناك من أهمّيّة لمعاناة أسير مبتور الرجل ولا لما يحدث له.

سُررت لاقتراح «**بهشتي بور**». كان من الجيّد أن أتمكّن من المشي في المخيّم.

وقـف «**بهشتي بور**» فـي ممرّ المخيّم أمام العقيـد المتفقّد، وطرح مسألـة الرجـل الاصطناعيّـة أمامه. لم يـرق كلامه للعقيـد والنقيب «**خليـل**». أحسسـتُ أنّهـم صُدمـوا من كـون «**بهشتي بور**» قـد قال أنّ مشكلـة الأسيـر الوحيد المبتـور الرجل في المخيّـم الملحق، تُحلّ من خـلال شهريّة عـدد من الأسرى؛ فقال العقيد: وهـل العراق فقير ليتمّ هذا الأمر عن طريق شهريّات أسرى الحرب البالغة 1.5 ديناراً للأسير الواحد!

أجـاب «**بهشتي بور**»: سيّدي، أعلم أنّ العـراق بلدٌ غنيّ وثريّ، وأنّه يمكنكـم من خلال نفطكـم القيام بما تريدون، المهـمّ أن تُحلّ مشكلة الأسيـر الوحيد المقطوع الرجـل في هذا المخيّم. كيـف يتمّ ذلك؟ لا يهمّ!

وعـده العقيـد بأخذي إلـى مؤسّسة الهـلال الأحمـر وتركيب رجل اصطناعيّـة لي. لم أجرؤ يومـاً على سؤال النقيب «**خليـل**» عمّا حصل لوعد ذاك العقيد. ولأشهر، كنت أمنّي النفس بوعد لم يتحقّق أبداً.[1]

الأحد 21 ت2 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

صـادف اليـوم ذكـرى شهـادة سيّـدة نسـاء العالميـن فاطمة الزهـراء عليها السلام. وكانـت مشاهدة التلفـاز من حصّتنا تلـك الليلة. وكالعـادة، كانت تُبثّ فـي ليلة شهادة الزهـراء عليها السلام الأغاني عبر التلفزيـون العراقـيّ. أطفـأ الإخوة التلفـاز احترامـاً لشهادة هذه السيّـدة العظيمة. انزعج حرّاس المخيّم الذين كانوا يراقبوننا من

(1) بعد ستة أشهر من الافراج عنّي، ركّبت أوّل رجل اصطناعية في مجمّع الهلال الأحمر الواقع في ميدان فَنك في طهران.

خلال نافـذة المعتقل ويشاهدون التلفاز أيضـاً. جاؤوا بالتلفاز من أجـل الأسرى ظاهراً، ومـن أجل العراقيّين واقعـاً. لم يكن النقيب «**خليل**» يسمح للحرّاس بأخذ جهاز الأسرى واستخدامه. فالحرّاس الذيـن لم يكن لديهم تلفاز، كانـوا يأتون ليلاً ويشاهدون من خلال النافـذة القنـاة التـي يريـدون. كثيـراً مـا كان يحـدث أنّ الإخوة يريـدون مشاهدة مباريـات الفوتبول، والحرّاسـ يريدون مشاهدة الاستعراضـات الغنائيّة العربيّة والتركيّة. التي كانت تبثّ دوريّاً من خلال القنوات العراقيّة. بالنسبة للحزب اللهيّين، لم يكونوا يهتمّون بمـا يُبثّ عبـر التلفـاز. فمشاهداتهم كانت محصـورة في الأخبار والأفلام الوثائقيّة لا غير.

غضـب «**وليـد**» لأن الإخـوة أطفؤوا جهـاز التلفاز. وحيـث إنّه كان بـذيء اللسـان راح يكيل السبـاب والشتائم لـ «**حميد غيـوري**» لكونه أطفـأ التلفاز. استدعى «**وليد**» «**حميـداً**» إلى جانب النافذة، أدخل يده مـن بين القضبان الحديديّة، وصفعه عدّة صفعـات. شُغّل التلفاز بناءً لأوامـر «**وليـد**». كان التلفزيـون العراقيّ يبثّ أغاني محمّـد أنور. كان «**وليـد**» يحبّ الترف والمرح، وكان دائماً يردّد مع المغنيّة العربيّة «**مي أكرم**» أغنياتها. وليستفزّني، ناداني وقال:

- ها ناصر استخباراتيّ، صفّق!

لم أردّ عليه. نادى «**حسين مرواني**» الأسير الإيرانيّ العربيّ ليترجم كلامه وقال:

- الخمينيّ هو من قال لكم أن لا تنظروا إلى هذه السيّدة الجميلة؟!

لـم أكن أودّ مبادلته الحديث. قمت مـن مكاني، أردت الذهاب إلى

ناحيـة مـن المعتقل بحيـث لا يراني ولا أراه؛ لكـن «**وليـدًا**» التفت إلى الأمر؛ فاستدعاني إلى جانب النافذة وقال: كيف تستاؤون أنتم أنصار الخمينيّ من الرقص والأغاني، فأنا أُسرّ لرؤية هذه المناظر!

- أمثالك يفرحون، أمّا نحـن فننزعج. والإسلام يريدنا أن نتجنّب المعاصي!

ضحـك «**وليد**» وقال: لقـد أجبرت الحكومة الإيرانيّـة النساء على ارتداء «**التشادور**». أنـا نفسي أعشق «**كوكوش**» و«**مهستي**» المطربتان الإيرانيّتان، فكيف تستاؤون أنتم منها؟

كانـت تلك المـرّة الأولى التـي يناقش «**وليـد**» معي فيهـا المسائل الدينيّـة والعقائديّـة. فقـد كان يعتقـد أنّ الحكومـة الإيرانيّة أجبرت النسـاء بالقـوّة على ارتداء التشـادور. كان «**وليـد**» يشجّع الإخوة على مشاهدة حفـلات الرّقص والغناء على التلفزيـون العراقيّ. ولعلّ أحد الأسباب التي من أجلها أحضروا التلفاز، كان إضلال الإخوة وحرفهم. فالعراقيّون لم يكونـوا ينفقون على أحد بهذه السهولة؛ إنّهم لم يجلبوا التلفـاز لحرّاسهـم، وعلـى حـدّ تعبير أحـد الإخـوة: «**كرمـى لعيون أعدائهـم**»! إنّهـم يهدفـون لشيء ما. فكّـرت ما الذي ينبغـي أن أقوله لـ«**وليـد**». ورد إلـى ذهني تشبيه جيّد، مع أنّي لـم أكن أعلم كم سيؤثّر هذا عليه. قلت له:

سيّدي! يمكنني أن أطرح سؤالاً؟

- سل!

- إذا كنـت جائعـاً، وقصـدت مكاناً فرأيـت علبتين مـن السمك، إحداهما مفتوحة والأخرى مقفلة، من أيّهما تأكل؟

كانت تلك المرّة الأولى التي يتكلّم فيها «**وليد**» معي بشكل جيّد، ومن دون أن ينتبه إلى مقصودي أجاب:

– واضح، من العلبة المقفلة.

كنت أنتظر هذا الجواب لألقمه حجراً في فيه. فقلت:

– أنت تأكل من العلبة المقفلة؛ لأنّها غير مسمومة، صحيح؟

هزّ رأسه مؤيّدًا كلامي فتابعت:

– ولا تأكل من العلبة المفتوحة والمسمومة، صحيح؟

قال «**وليد**» الذي لم يكن قد التفت بعد إلى ما أهدف إليه:

– ما علاقة هذا بموضوعنا؟

– له ارتباط كبير، ولي هدف من وراء هذا السؤال.

– ماذا تقصد؟

– الفتاة المحجّبة مثل عُبوَّة السمك المعلّبة المقفلة، تبقى عفيفة وصالحة، تربّي أناساً صالحين ومؤمنين. والفتاة غير المحجّبة هي كالعُبوَّة المفتوحة، لا ترتبط بالإسلام، ويتخرّج على يديها أناس فاسدون وماكرون وخطرون.

وفيما كان «**وليد**» يفكّر في كلماتي، تابعت:

– فكما أنك لا تأكل من العُبُوَّة المفتوحة والمسمومة، عليك أن تبتعد عن المرأة غير المحجّبة وغير العفيفة. عندما تستهلك العبوة المقفلة فهذا يعني أنّ قلبك يقول لك الحجاب والعفّة شيء جميل!

في السنتين اللتين كان «**وليد**» فيهما حارسَ المخيّم، كانت تلك المرّةَ الأولى التي يستمع فيها إلى كلامي ويغرق في التفكير. أعتقد أنّي تمكّنت في تلك الليلة، بهذا المثال البسيط ، أن أوقف «**وليداً**» أمام

وجدانـه وحقيقة نفسه، علـى الرغم من أنّ ذلك لـم يؤثّر في معاملته السيّئة لي[1].

الثلاثاء 14 ت2 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

اليـوم، لم يحـدث شـيء خاصّ، وطبقا للعـادة، صـلاة الصبح؛ الإحصـاء الصباحيّ؛ تنـاول الفطـور؛ الخروج الصباحـيّ؛ الدخول؛ إحصاء الظهـر؛ تناول طعام الغداء؛ صلاة الظهـر والعصر؛ الخروج عصراً؛ الدخول؛ إحصاء العصر؛ الاستراحة؛ الإعلان عن وقت النوم الاجباريّ في الساعة التاسعة ليلاً.

الخميس 16 ت2 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

بعـد الظهر، أحضـروا جهاز فيديو وعرضوا فيلمـاً. وقد أمر رئيس الحرّاس بـأن يجتمع الإخوة، بمقدار ما يسـع المعتقل رقم (7)، أمام التلفاز لحضور الفيلم. كان المعتقل رقم (7) أكبر المعتقلات. فضّلت أنـا و«**حسين مروانـي**»، و«**فرهنـك خاكيـان**»، و«**محمـود يوسفي**» أن نتبادل الحديث عِوَضَ مشاهدة الفيلم الذي لم يكن جديراً بالمشاهدة. لم تكد تمضي عشر دقائق على عرض الفيلم حتّى أتى «**حسين مقيمي**» قائلاً: سيّد! إنّه فيلم سياسيّ لا ضير في مشاهدته.

(1) بعـد ذلـك بمدّة، قال «**مـؤذّن**» رتيـب المخابرات في المخيّـم ـ وقد كان يتناقش مـع «**رامين حضرت زاد**» فـي أغلـب الأوقـات حول مثل هذه الأمـور ـ: كيف ترتدي النسـاء والفتيات الإيرانيّـات التشادور؟ أجابـه راميـن: قرأنا فـي صحفكم أنّ «**بـي نظير بوتـو**» قد زارت إيـران. وبي نظير بوتـو سافرة كما تعلمون، حين تذهب إلى إيران ترتدي الحجاب. إذا كانت لدينا المقدرة على جعل بي نظير بوتو رئيسة الـوزراء الباكستانيّة ترتدي الحجاب، فلدينا القدرة والقوّة المعنويّة على جعل نسائنا وفتياتنا يرتدين الحجاب. فلم يُحِرْ جوابًا.

- أيّة مواضيع يتناول؟

- حول الأسرى العراقيّين!

قصدتُ المعتقل رقم (7) بغية مشاهدة الفيلم. غصَّ المعتقل بالإخوة، حملني الإخوة على أكتافهم ووضعوني بالقرب من التلفاز. شاهدت الفيلم، كان ضابط التوجيه السياسيّ يراقب حالات الإخوة وهم يشاهدون الفيلم. فالفيلم كان حول الحرب والأسرى العراقيّين. قال «**حامد**»: «**هذا فيلم وثائقيّ، شاهدوه جيّداً وانظروا ماذا كان يفعل حرس الخمينيّ بالأسرى العراقيّين**». اعتراني الشكّ للحظات عندما شاهدت الفيلم. وذلك عندما رُبِطَ أسيرٌ عراقيّ بسيّارتين، وسارت كلا السيّارتين باتّجاهين مختلفين، ممّا أدّى إلى انفصال جسد الأسير إلى نصفين!

عند انتهاء العرض سألت «**حسن بهشتي بور**» عنه، وكان لديه معلومات دقيقة حول الفيلم. لقد تمّ الاعداد جيّداً لعرض هذا الفيلم في مخيّم أسرى الحرب، وكان ذلك تحت إشراف ضابط قسم التوجيه السياسيّ للمخيّم «**شفيق عاصم**». وقد عرض هذا الفيلم بغية تشويه سمعة حرس الثورة الايرانيّة والتعبئة، وإظهارهم بمظهر قاسٍ. وقد أظهروا في هذا الفيلم حرس الثورة والتعبئة بصورة أناس قساة وعديمي الرحمة بنحو يظنّ الإنسان السطحيّ، أنّ الإيرانيِّين قتّالون قد خلت الرحمة من قلوبهم. وقد أطلقوا على هذا الفيلم اسم «**حلو ومتوحّش**». قال «**حسن بهشتي بور**» للعراقيّين: «**ملفّ هذا الفيلم موجود في المحكمة في إيطاليا!**» حاول العراقيّون إظهاره كفيلم وثائقيّ؛ لكنّ الأمر انكشف فيما بعد. لم يعترفوا بأنّ الفيلم من إنتاج

إيطاليّ. قال «**بهشتي بور**» للعراقيّين: عندما يتحرّر أسراكم، ستعلمون أيّ تصـرّف كان هو المصداق للفيلم السينمائيّ: «**الحلو والمتوحّش**» (نحن أم أنتم)[1].

اعترض الأسرى، بعد أن تحقّقوا مـن تلفيق هذا الفيلم. وقام أحد الأسـرى الطهرانيّيـن، وكان قـد خـدم سنةً في مقـرّ «**حشمتيّـة**» في طهـران، في معسكر الأسـرى العراقيّين، وذكر حادثةً أراد من خلالها أن يبيّـن للحرّاس وضابط قسـم التوجيـه السياسي للمخيّـم، كيفيّة معاملة الإيرانيِّين للأسرى العراقيّين، فقال:

في أيّام الجمعات، كان عدد من الأسرى العراقيّين، يؤخذون وطبقاً للعـادة، إلـى صلاة جمعة طهـران. ذات جمعة، وحين العـودة، تخلّف أحدهم عـن الحافلة التي كانت ستقلّهم إلى مقـرّ حشمتيّة. فاستأجر الأسيـر العراقيّ من أجل الرجوع إلـى المخيّم سيّارة أجرة، وطلب من السائـق أن يقلّه إلـى المقرّ على أن يتقاضى أجره مـن إدارة المخيّم. وقد أوصل السائقُ الأسيرَ العراقيّ إلى مقرّ حشمتيّة!

لو كانـت معاملتنا نحن الإيرانيِّين سيّئة مـع الأسرى العراقيّين، أو لم يكن غذاؤهـم الأرزّ بالدجاج، لحاول الأسيـر العراقيّ الوصول إلى

(1) أنتـج هذا الفيلم (حلو ومتوحش) في العام 1983م، بالتعاون بيـن مؤسّسة الإذاعة والتلفزيون العراقيّ والشركة السينمائيّة الايطاليّة «**راسينغ بيكتشر**». وقد ظهّرت هذه الشركة السينمائيّة من خلال إعادة إنتـاج مشاهد غير واقعيّـة عن الحرب وتلفيقها مع بعض المشاهد الحقيقيّة، مشهـداً عن قتل أسير عراقـيّ علـى أيدي حرس الثـورة الإسلاميّة الإيرانيّـة، بطريقة مفجعة. واستخدامـت في هذا الفيلم الخـدع السينمائيّة السائدة اليوم في العالم بهدف ضرب حيثيّة الشعب الإيراني وإظهار حرس الثورة الإسلاميّة كشخصيّات عنيفة وبغيضة. وقد عُرض في صالات السينما في أيطاليا، والعراق، والصين، واليابـان، وسائر البلـدان العربيّة ما عدا سوريا ولبنان. وقد غرّمت محكمـة مدنيّة في روما في العام 1986م مؤسّسة «**راسينغ بيكتشر**» بنصف مليار لير، أي ما يعادل أربعمئة ألف دولار أميركي.

الحدود بدل العودة إلى مخيّم حشمتيّة، ولاختبر حظّه في الفرار والذهاب إلى العراق.

لم يصدّق بعض الحرّاس كلامه. فقال لهم «**بهشتي بور**»: أي إنّكم تنكرون أنّ إيران هيّأت في شهر شباط من العام 1981م مقدّمات الزيارة لعوائل سبعة آلاف أسير عراقيّ عن طريق تركيا؛ لو كنتم مكان الإيرانيِّين، هل كنتم تقومون بهذا العمل.؟!

الأحد 3 ك1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

تصادقت منذ عدّة أيّام مع أسير يُدعى «**نورتاغن غراوي**» من أهالي قرية «**نارلي آجي سو**» من توابع «**بندر تركمن**». وكان يساعدني في إنجاز أموري الشخصيّة. كان يشبه «**علي أصغر إنتظاري**» أخلاقاً وسيرةً. وكان بمثابة بهلول المعتقل. فمزاحه وطرائفه كانت تضفي السرور والنشاط على الإخوة. أحياناً كان يقول على سبيل المزاح: «**إلهي لا تأخذنا من هذه الدنيا قبل أن يقتلونا!**» ذات ليلة قال «**نورتاغن**» لأحد الأسرى الذي كان يركل أيدي الإخوة وأرجلهم أثناء مروره: «**يصل الإنسان إلى مرحلة لا يرى فيها سوى الله**». وعندما كان لا يصل في مناقشاته مع الحرّاس إلى شيء، كان يقول لهم:

يمكن للحقيقة أن تُحنى لكن لا يمكن أن تُكسر!

اليوم، عندما مزّق «**حامد**» صورة الإمام التي كانت قد نُشرت في صحيفة القادسيّة العراقيّة، اعترض عليه «**نورتاغن**» وقال:

- لا أحد يفعل ذلك بصورة مرجع تقليد، ومهما يكن، فآية الله الخمينيّ مرجع تقليد!

وضع «**حامد**» قلماً بين أصبعي «**نورتاغن**» وضغط عليها بحيث جعله يتلوّى من الألم. جمع «**نورتاغن**» قطع صورة الإمام الممزّقة وقبّلها أمام أعين الحرّاس قائلاً:

– عندما تطبعون أنتم صورة الإمام في صحفكم، فليس من الجدير بكم تمزيقها!

وسأل «**نورتاغن**» «**حامدًا**»: هل تسيء أنت إلى النبيّ والعياذ بالله؟

– وهل الخمينيّ نبيّ؟

– لا، ليس نبيّاً، لكنّه خليفة النبيّ بحقّ!

السبت13 ك1 1989 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

بعد الظهر، جاؤوا بعدد من الأسرى الجدد إلى المخيّم. كانت شهرة أحدهم «**رجوي**». والظاهر أنّه قد أتى من «**مخيّم بعقوبة**». وكان قد تشاجر مع أحد الأسرى وحمل عليه شفرة، فأبعده العراقيّون إلى مخيّمنا. وقبل أن يحدّدوا له المعتقل الذي سيمكث فيه، انهالوا عليه ضرباً بالسياط. ولكي يفلت من ضرب العراقيّين وشتمهم، قال للحرّاس: أنا من أقرباء «**مسعود رجوي**»، لا يحقّ لكم ضربي!

كنت واثقاً بأنه كان يخدع العراقيّين؛ لكنّ «**سعدًا**» صدّق أنّه من أقرباء رجوي. ولذا، تركه وشأنه لفترة. بعدها بمدّة، جاء بعض الأشخاص من «**مخيّم بعقوبة**» إلى مخيّمنا، فقال أحد الأسرى الإيرانيّين العرب لـ«**حامد**»، وقد كان يعرفه: إنّ «**رجوي**» هذا كان يستغلّ في بعقوبة أيضاً اسم «**مسعود رجوي**». عندما انكشف أمره، انتقم منه الحرّاس!

الأربعاء 10 ك2 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

قبل أسبوعين، ترجمتُ بعض الكلمات العربيّة خطأً للحارس العراقيّ جميل. لم أقصد شيئاً معيّناً. ولأنّه كان قد آذاني، قلت في نفسي سأقتصّ منه. فـ«**جميل**» الذي كان قد أخذ إحدى أشغالي اليدويّة بالقوّة، سعى إلى بناء صداقة معي لكي أصنع له شيئاً جديداً. فقد كان معجباً بمطرّزاتي. قال لـ«**سامي**»: أريد أن أخدع «**ناصر سليمان منصور**» حتّى يطرّز لي أشياء جميلة. فأخبرني «**سامي**» بذلك. وقد طلب منّي منذ عدّة أيّام أن أعلّمه معنى أعضاء البدن والجوارح بالفارسيّة. كان ذكياً وصاحب ذاكرة قويّة. فكان يحفظ بسرعة كلّ ما أقول له. ولكي أنتقمّ منه، لما ظلمني، قلت في نفسي سأوذيه.

عندما أخبرت «**محمد كاظم باباي**» و«**حسين مقيمي**» بالأمر، شجّعاني، أمّا «**جلال رحيميان**» فقال: لا ينبغي أن تعلّمه الكلمات خطأ، فإن عُلِمَ بذلك يسوّد عيشك.

على كلّ حال، علّمته اليدَ رِجْلاً، والرِجْلَ يداً، العينَ شارباً، والشارب عيناً، واللحية أذناً، والأذن لحيةً. كان ذلك أوّل مزاحٍ لي مع حارس أراد عقد صداقة معي لأصنع له أشغالاً يدويّةً جيّدةً. اليوم وقع «**جميل**» في شرّ أعمالي. في الأيّام السابقة، عندما كان «**جميل**» يأتي إليّ، يكرّر الكلمات التي كنت علّمته إيّاها. وكنت أنا أهزّ برأسي علامة على الموافقة، أي: نعم، لقد تعلّمتها جيّداً.

من سوء حظّي، أنّ «**جميلاً**» أخذ في المعتقل رقم (7) بلحية «**دهقان منشادي**» الذي ورد للتوّ من «**مستشفى تكريت**» وقال:

- ليش «**نزدي كوش**»؟ (لماذا لم تحلق أذنك؟!) [وكان يقصد لِمَ لم تحلق لحيتك؟]

علا صوت الإخوة بالضحك. سألهم جميل: ليش تضحكون؟ (لماذا تضحكون)؟

- فقالوا له: سيّدي! لا يقولون للّحية كوش!

- لحية شينو بالفارسي؟ (ما معناها بالفارسيّة)؟

قال «**كريم**»: تعني بالفارسيّة ريش. ففهم أنّني علّمته أعضاء البدن والجوارح خطأً. غضب «**جميل**» وجاء إليّ. لم أفكّر في عاقبة هذه المزحة. لم يكن عندي ما أقوله، أو أدافع به عن نفسي. صفعني «**جميل**» مقابل كلّ كلمة علّمتها إيّاه خطأً صفعةً قويّةً على خدّي! عندما تلقّيت هذه الصفعات فكّرت، ما هذا الفعل الذي فعلته. كنت أستحقّ هذه الضربات. كان عند كلّ صفعة يشير إلى تلك الأعضاء ويردّد معانيها الخاطئة، ويسألني ماذا يُقال لهذه؟ كنت أنا أيضاً أردّد مع كلّ صفعة أتلقّاها، الكلمات الخاطئة نفسها التي علّمتها إيّاه!

عندما انتهيت من تلقّي الضربات، جاءني «**محمد كاظم بابايي**» الذي كان شاهداً على تعذيبي وقال: قضيّتك أصبحت مثل قضيّة جحا، حيث سُئل كم عمرك؟ فقال: أربعون سنةً. بعد ثلاثين سنةً سُئل: كم عمرك يا جحا، فقال أربعون سنةً. قيل: سُئلت هذا السؤال قبل ثلاثين سنةً فقلت: أربعون سنةً. فأجاب: «**الرجل عند كلامه**». وتابع «**محمّد كاظم بابايي**»: علّمته كلمات خاطئة، وها أنت ذا تردّدها ثانيةً بشكل خاطئ!

قلت له: «**محمّد كاظم**»! الرّجل عند كلامه: اللحية بالفارسيّة مو ريش! (ريش = لحية)

الاثنين 15 ك2 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كان البرد شديداً ينخر العظام. ومن شدّة ما كنت جائعاً أحببت أن أشبع ولو لمرّة واحدة من الطعام. ولم يكن أمامي سوى طريقٍ واحدٍ لأشبع ولو لمرّة واحدة، كان عليّ أن أطلبَ من تسعة أسرى أن يتخلّوا لي عن طعامهم، لآكله، وأشبع بطني ولو لمرّة واحدة. لم يطاوعني قلبي لفعل ذلك!

الأربعاء 17 ك2 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

اليوم، غضب «**سعد**» منّي ومن بعض الأسرى الآخرين. منذ عدّة أيّام، والطقس يشتدُّ قساوة، لم أحتمل البرد. مزّق أربعة أشخاص منّا أحد البطّانيّات وخِطنا معاطفَ لأنفسنا. عندما ارتديت معطفي شعرت بالدفء. ولمّا رآنا الإخوة في المعتقلات الأخرى، فعلوا ما فعلناه. نشط سوق حياكة المعاطف من البطّانيّات (الحرامات). انهال «**سعد**» بالسوط على ظهري. وأخذ منّي المعطف؛ لم يُرِد أن يتكرّر هذا الأمر.

الثلاثاء 13 آذار 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

احتفلنا بيوم ميلاد إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الذي أقامه أسرى «**تبريز وآذربيجان**». وقد أُقيم الاحتفال، - كاحتفال «**عشرة الفجر**» -، بالامكانيّات القليلة، وبعيداً عن أعين العراقيّين. وقد شكّل الأسرى الأتراك (أتراك إيران) مجموعة الإنشاد. بعد الظهر، أنشدوا في المعتقل الأشعار الجميلة بشكل جماعيّ. وقد عمل الإخوة جاهدين لإجراء فقرة الانشاد والمسرح، وأعدّوا الحلوى كذلك. وطبقاً للعادة، وقف أحد الإخوة الحامل للمرآة بالقرب من نافذة المعتقل، ليطلعنا

بمجــيء العراقيّين. وقــد قرأ «**حيدر خاني**» المولــد لهم. فكان يتوقّف عن القراءة حين يأتي الحرّاس، ويكمل حين ينصرفون.

كان حارس النافذة يخبر الإخوة بمجيء الحرّاس باستخدام كلمات، مثـل: الوضعيّة الحمراء، الجوّ غائم، ممطر .. . لكثرة ما استعمل هذه الكلمــات، قال «**سامــي**» عندما دخـل المعتقل ملمّحــاً وممازحاً: الجوّ أحمر، الوضعيّة غائمة، فتعلو أصوات الإخوة بالضحك...

الأربعاء 21 آذار 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

اليوم، كان اليوم الأوّل من العام1369هـ.ش[1]. وقد كتبتُ رسالة إلى «**علي أكبر فيض**»، وضعتها داخل كبسولة مضادّة للالتهاب، وأعطيتها للدكتور «**مؤيّد**» ليسلّمها إليه.

لــم نفرش كما في عيد السنــة الماضية مائدة السينات السبع. وقد قسّمنــا أعمال السنة الجديدة. وتمّ الاتّفاق على إنجاز الأعمال اليوميّة علــى هيئــة وزارات أربــع. وزارة الصحّــة والاستشفــاء، وزارة التربية والتعليم، وزارة الأمن والدفاع، ووزارة الثقافة والإرشاد الاسلاميّ!

دمجنا وزارة الأمن والدفاع. وقد كانت تلك فكرة «**جلال رحيميان**». فقد قال جــلال ـ وكان عريف المعتقل ـ: هذا المخيّم هو وطن مصغّر فــي ناحية من نواحي العراق؛ وقد اجتمعت إيران كلّها في مكان واحد، وينبغي تعيين الوزراء للقيام بالأعمال.

اقترحــت أسمــاء أربعــة أشخاص على أســرى المعتقـل للتصدّي لمسؤوليّــة الوزارات الأربع. وكان من المقــرّر أن يعطي أسرى المعتقل

---

(1) يوم 21 آذار من كل عام ميلادي من العام الإيراني، تصادف بداية العام الهجري الشمسي.

الثقـة لهـؤلاء الأشخاص. وقد تمّ اقتراح اسـم «**كامبيز فـرح دوست**» للتصدّي لوزارة الصحّـة والاستشفاء، و«**جلال لحمي**» لوزارة التربية والتعليـم، و«**علي أصغر إنتظاري**» لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، وأنا لوزارة الأمن والدفاع. وقد نال الوزراء ثقة أسرى المعتقل.

كان من مهمّاتي أخذ المعلومات اللازمة من العراقيّين، وإعطائهم المعلومـات المحروقـة، وتولّـي أمر الأسـرى المدخّنيـن الذين باعوا أنفسهـم للعراقيّيـن. وكان وزيـر الصحّـة والاستشفـاء مسـؤولاً عن متابعة العلاج، تأمين الأدوية اللازمة بطرق مختلفة، ومبادلة الأشغال اليدويّـة بالأدوية والتواصل مع الأطبّـاء العراقيّين. وكان «**كامبيز فرح دوسـت**» الـذي كان يعمل فـي المستوصف، خبيراً بهـذا العمل. ومهمّة وزيـر التربيـة والتعليم كانت تنظيـم الصفوف الدراسيّـة للمستويات المختلفـة، وتأميـن أوراق أكياس الأسمنـت وأوراق أعقـاب السجائر ليستخدمهـا الإخـوة، وترجمة الصحـف العراقيّة. أمّـا وزارة الثقافة والإرشـاد الإسلامي، فكانت تتولّى إقامة المراسـم المختلفة الشاملة للاحتفـالات، وولادات الأئمّـة الأطهار عليهم السلام ووفيّاتهـم، بالالتفات إلى الظروف الزمانيّة الخاصّة.

كانـت مهمّـة تأميـن الوضع الأمنـيّ لإقامـة البرامـج الثقافيّة في المعتقل، ومسؤوليّة حاجب النافذة الذي يراقب حركة الحرّاس ويطلع الإخوة مباشرة عند مجيئهم، من مهمّات وزارة الأمن والدفاع أيضاً.

الاثنين 9 نيسان 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كنـت في ممرّ المعتقل حين دخل «**حامد**» و«**رافع**» إلى المعتقل رقم (10) . كان أحد الإخوة يقلّد صوت الشيخ «**هاشمي رفسنجاني**». وكان

يقلّـد صوته بدقّة بالغة بحيث أنّ كلّ من يمر من خلف النافذة يظنّ أنّ الشيخ رفسنجاني هو الذي يتكلّم. أنا أيضاً كنت أسمع كلماته من خلف النافـذة. بمجيء الحرّاس غيّر وجهة كلامه. فطلب «**رافع**» من «**كريم**» أن يترجم كلامه.

طلـب «**حامد**» مـن الأسير الايرانـيّ أن يتابع كلامـه. فقال حامد: إنّـه يقلّد كلام الشيـخ رفسنجاني رئيس جمهوريّة إيـران. تابع الأسير الايرانيّ كلامه، ولم يكن يودّ افتعال مشكلة والتحدّث إلى الحرّاس:

– إنّني أطلب من جميع الأسرى الإيرانيِّين الذين يقبعون في مخيّمات تكريـت الصبر والثبات. أن يصمدوا، ويرضوا برضا اللّه، فإنّ اللّه مع الصابرين. كما أطلب من نظيري العراقيّ أن يقدّم للأسرى الإيرانيِّين الغذاء الكافـي، إنّنا هنا، نقدّم لأسراكم الدجاج بـالأرزّ. اسمحوا ولو لمرّة واحدة، ولتكون ذكرى للتاريخ، للأسرى أن يشبعوا من الطعام، لا تفعلـوا شيئاً، بحيث إذا ما عـاد الأسرى الإيرانيُّون إلى بلدهم، ورأتهم شعوب العالم عبر وسائل الاعلام فتقول: في أيّة بلاد كان هؤلاء يعانون المجاعة، بحيث صاروا يشبهون جياع أثيوبيا وأفريقيا...

أبنائـي! أعزّائـي! إنّ أساس هـذه المصائب والبـلاءات هو السيّد مادص؛ هذا الأبلـه المجنون، هـذا الأحمق المتوحّش، هـذا الإنسان العنيد الذي أسلس قياده للشيطان، فجعله أساساً لجميع المشاكل...

عندما أنهى الأسير الإيراني كلامه، سأل «**حامد**»: من هو مادص؟

فقـال الأسير الإيرانيّ: مادص هو لقـب الرئيس الأميركيّ الذي هو مصدر جميع المشكلات!

صدّق «**حامد**» ما قاله. وخاصّةً عندما قال الإخوة إنّ مادص الرئيس

الأميركيّ هو الشيطان الأكبر؛ لكن حين علم فيما بعد أنّ مادص هو كلمة «**صدّام**» معكوسةً، لقّن الأسيرَ المسكينَ درساً.

الجمعة 20 نيسان 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كانت آخر جمعة من شهر رمضان المبارك. وكان لشهر رمضان أجواءه المعنويّة الخاصّة. وقد ابتدأ شهر رمضان في اليوم التالي لعيد رأس السنة الهجريّة الشمسيّة. في الصباح وبعد الإحصاء، نُقِلنا إلى المعتقل رقم (12) بجرم قراءتنا لدعاء كميل. قبل الظهر دخل الملازم «**فاضل**» المعتقل، وراح يحدّث بعض الإخوة عن ذكرياته في «**سوسنكرد**»[1]. فقال، ولا أعلم إن كان صادقاً أو كاذباً: «**لقد قتلت الكثير من الإيرانيِّين في بداية الحرب في الحويزة والبستان**». وأفضل ذكريات الملازم «**فاضل**» في بداية الحرب، كانت قتل الجواميس في النهر الواقع في أطراف «**سوسنكرد**». وكما كان يقول: إنّ لذّة قتل الجواميس في «**سوسنكرد**» كانت تفوق لذّة قتل الإيرانيِّين! عندما كنّا نطلق النيران في نهر «**غوفل**» الواقع في سوسنكرد على أرجل الجواميس الضخمة، كانت صيحاتهم تصمّ الآذان. وحين كانت عظام أرجل الجواميس تتفتّت، كانوا يتململون على الأرض ويصيحون. قلت حينها للجنود الآخرين: لا تقتلوهم، دعوهم يتململون!

فقلت له: كنتم تقاتلون الإيرانيِّين، فما ذنب الجواميس المساكين؟

---

(1) اسم مدينة ايرانية قريبة من الحدود العراقيّة الجنوبية، تقع شمال غرب الأهواز، كانت مسرحا للعمليّات العسكريّة ومحورًا متقدمًا خاصَّة عندما احتل نظام البعث مناطق واسعة من محافظة خوزستان مع بداية ثمانينات القرن الماضي. (مركز نون).

ذهبت إلى «**حسن بهشتي بور**» جلست إلى جانبه، كان يعطي درساً لمجموعة من الإخوة. قال:

تُقام اليـوم في إيران، مسيرات يوم القدس، أودّ لو نطلب اليوم من مسؤولي المعتقل طلباً، لا أدري بماذا سيجيبون؟

فحســن بهشتي بور الذي كان يأتي بأفـكار جديدة دائماً، قال: أيّها الإخـوة، إنّ عُمُرَنا يمضي كالريح. أريـد أن أقول للنقيب «**خليل**»، أنتم عـرب، والشعب الفلسطينيّ عربيّ أيضـاً. وهويّتكم العربيّة تقضي بأن تكونوا إلى جانبه، كمـا أنّ علاقة ياسر عرفات بصدّام علاقة وثيقة[1] إذا كنتـم تدّعـون أنّ قلوبكـم مـع الشعـب الفلسطينـيّ، فاطلبـوا من مسؤوليكـم الكبار أن يأخذوا الأسـرى الإيرانيِّين إلى فلسطين ليقاتلوا الإسرائيليّين بدل أن يتعفّنوا في السجون العراقيّة!

إلـى ذلك اليوم، لم أكن قد التفتّ إلـى أحاديث «**بهشتي بور**». كان اقتراحــه أمنية الكثيريـن منّا. وكان كثيراً ما يتطـرّق في دروسه لمثل هذه الموضوعات. كما كانت المقاومة في أيّ مكان من العالم في سبيل الدفـاع عن مظلومي العالم من الموضوعـات التي كان يطرحها حسن بهشتي بور في إطار القضايا العالميّة للإمام الخمينيّ.

وصـل كلام «**بهشتـي بـور**» هذا إلـى مسامـع الحرَّاس والضبَّاط العراقيّيـن. وقـد سُرُّوا مـن كلامـه هـذا، لأنَّ الكثير مـن العراقيين

---

(1) كانت تربط ياسر عرفات بصدّام علاقة خاصّة؛ لهذا السبب، منح صدّاماً لقب صلاح الدين العصر، وفارس أمّة العرب. هذه الألقاب والتعابير أُطلقت في اللقاءات بين هذين الرجلين، وقد نشرت مرارًا فـي صحف القادسيّة، والثورة، والجمهوريّة. قال «**ياسر عرفات**» في إحدى لقاءاته بصدّام، بينما كان يتسلّـم منه هدايا قيّمـة: سيّدي رئيس الجمهوريّـة! رأيت في المنام أنّك تركب حصانـاً أبيض اللون، والأمّـة العربيّـة والاسلاميّة تسير خلفـك، وأنت تقودهم لفتح القدس. وكان منـام ياسر عرفات هذا، خبر صحيفة القادسيّة الساخن.

مناصِـرُون للشعب والقضيّة الفلسطينيّة. وقـال «**بهشتي بور**» للملازم «**فاضل**» متهكّماً:

– أظـنّ إن حـدث هـذا، ستفرحـوا عندمـا نقتتـل، فنُقتـل نحـن والإسرائيليّون!

قال «**فاضل**»: طلبكم هذا غير ممكن الحصول.

فقـال محمد كاظم: كيف حصل أن اجتمعت كلّ تلك البلاد العربيّة لقتالنا! وقد حصل هذا!.

فأجاب «**سامي**» الحارس العراقيّ وكان إنساناً مطّلعاً ومثقّفاً:

– فـي السنوات التـي كان الإمام الخمينيّ فيها منفيًّـا إلى العراق، عمـل النظام العراقيّ بجدّ لمنع انتشار فتوى الإمام بتجويز دفع أموال الخمس والزكاة للفدائيّين الفلسطينيّين[1].

الاثنين 23 نيسان 1990. تكريت. المخيّم الملحق

اليـوم، اختلفـت معاملـة العراقيّين لنا عـن الأيّام الفائتـة. وصار العراقيّون يعاملون الإخوة بلياقة. فقد نشرت الصحف العراقيّة رسالة صـدّام التي أرسلها أمس، إلى رئيـس جمهوريّتنا، والتي طلب فيها من الشيـخ رفسنجانـي اللقاء به في مكّـة المكرّمة لعقـد إتّفاقيّة الصلح. وكان ياسـر عرفات من قام بنقل هذه الرسالـة إلى القادة الإيرانيِّين. وقد بالغت الصحف العراقيّة اليوم في تمجيد صدّام كرجل الصلح في الشرق الأوسط. في الأيّام التالية، حين رفض القادة الإيرانيُّون اقتراح لقاء صدّام في مكّة المكرّمة، عادوا إلى عادتهم القديمة وراحوا يكيلون السبّ والشتائم للشيخ رفسنجاني.

(1) الموضوع يعود إلى العام 1968م.

السبت 28 نيسان 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

اليـوم، سُمح لنا بلعب الكـرة الطائرة، وذلـك بمناسبة عيد ميلاد صدّام. وكان مسموحـاً للإخوة من قبل، بلعب كرة الطاولة فقط. قلّما كان الإخـوة يلعبون كرة الطاولة مع الحرّاس. ومـا عدا «**سلوان**» الذي كان يمتلـك مهارةً خاصّةً في لعب كرة الطاولة، كان الحرّاس الآخرون ينهزمـون أمامنـا. ولكـي يتجنّـب الإخوة الضـرب والشتـم الذي كان سيطالهـم بعد انتهاء المباراة في حال فوزنـا، كانوا يظهرون اختلافاً قليلاً في اللعب. كان كلّ فائز في مسابقة التينيس يُضرب. عندما كان العراقيّـون يظهرون انزعاجهم من خلال ضرب الإخوة، لم يعد الإخوة مستعدّين للّعب معهم.

في مبـاراة اليوم، شكّل شبـاب الشمال التركيبـة الأساسيّة لفريق الكـرة الطائـرة. كان شباب «**بنـدر تركمان**» ومـن جملتهم «**نورتاغن غـراوي**» أفضل لاعبي الفريق. لـم يرق سير اللعبة للحرّاس كثيراً؛ لذا أخرجوا «**نورتاغن غراوي**» من المباراة.

انتهـت المبـاراة بفوز فريق الأسـرى الإيرانيِّين. لـم يتقبّل الفريق العراقـيّ الخسـارة سـوى اثنين منهم وكانـا محترميـن، فيما غضب «**وليد**» و«**رافع**» وسعيا إلى تعويض خسارتهم بالانتقام منّا.

قـال «**نورتاغن**» للعراقيّين: ألأنّنا أسـرى علينا أن نخسر المباراة؟ وهل علينا أن نخسر لتُسرّوا أنتم؟!

صنـع أحد الإخوة التبريزيّين للمباراة كأساً من الجصّ. وكان لهذه المباراة المرّة كأساً جميلاً، أخذه الحرّاس.

قبل عدّة أيّام، أُخبِرنا بأنّ مباراة ستُقام بمناسبة عيد ميلاد صدّام

مقابـل الأسـرى الإيرانيِّيـن. وكان الإخـوة قـد اشترطـوا عليهم عدم ضربهـم فـي حال فوز فريق الأسـرى، فوعد الحرّاسـ باحترام نتيجة المباراة.

كان لكأسـ البطولـة وجهان، رُسمـت على الوجـه الأوّل له خريطة إيران، وعلى الوجه الثاني خريطة العراق. وقد كان كأس البطولة اليوم مـن نصيب الفريق الخاسر. وهـذا عاديّ في عالم الأسـر، لكنّه ليس كذلك في عالم الرياضة!

بعد الظهـر انتابني الفضول. قـرأت الأبيات الشعريّـة لعادل عقلة المغنّي العراقيّ، بقليل من التصرّف. وقد قيلت هذه الأبيات في وصف صدّام:

سيّدي يا سيّدي يا سيّدي. (1)
سيّدي بيتك خَرِب، يا سيّدي. (1)
سيّدي يا سيّدي يا سيّدي. (1)
شطّ العرب صار ملكنا يا سيّدي. (1)
واي حزوك واي خلّي. (3)

السبت 26 أيار 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

اليـوم، فيما كنت جالساً مقابل المعتقـل رقم (12)، جاءني «**ماجد**» الحارسـ العراقيّ الجديـد. وكان يحبّ المطـرّزات الجميلة والظريفة، تمامـاً كالملازم «**قحطـان**». في تلـك الأيّام، ومن أجـل الحصول على قلـم، وورقة، وأدويـة لازمة، قايضت أجمـل مطرّزاتي مع«**قاسـم**». فقد كان «**قاسـم**» مع كلّ محاسنه إنسانـاً استغلاليّاً. وكان على علاقة جيّدة

بالأسرى الإيرانيِّين العرب. وقلّما كان يعامل الأسرى معاملة سيّئة سوى في الموارد التي كان يُجبر فيها على ذلك. وقد أرى «**قاسمُ**» «**ماجداً**» بعض مطرّزاتي وأشغالي اليدويّة. فحسده الحرّاس عليها. وهذا ما قاله «**قاسم**» نفسه لي. كنت جالساً مع رفاقي: «**عبّاس بهنام**»، و«**محمد بلجك**»، و«**عليّ باقري**» في ممرّ المعتقل؛ جاء «**ماجد**» وفي يده قطعة قماش بيضاء اللون مساحتها 30×30 سم. لا أعلم من الذي صمّمها. فلم تُجدِ محاولاته لاجبار «**عليّ يماني**» على رسم صورة صدّام على قماشته تلك. لكنّه خطّط عبارة «**اللهم اجعل عواقب أمورنا خيراً**». نادى «**ماجدُ**» حكيمَ خليفان المترجم وقال لي بعنجهيّة ومن موضع الآمر:

- طرّز لي هذه!

حاولت إخفاء غيظي الناشئ عن معاملته السيّئة لي، فلم أستطع. كان قبل ذلك، قد وجّه الشتائم البذيئة لي. وكان يقول كلاماً مستقبحًا. وقد ثُقبت طبلة أذن أحد الأسرى جرّاء صفعاته التي وجّهها إليه. فقد كان إنساناً غريب الطباع. يتجسّس على الأسرى. وكان عندما يرى أسيرين يتحادثان معاً، يناديهما ويسأل كلّاً منهما على حدة: عمّاذا كنتما تتحادثان؟

قلت «**لماجد**» الذي أصرّ عليّ لأطرّز له صورة صدّام:

- خذها لزوجتك تطرّزها لك!

- أنا عازب!

- خذها لأمّك أو أختك!

كان هذا الأمر مفاجئاً «**لماجد**». فهو الذي كان في البداية يتحدّث إليّ بهدوء قال:

- لقد أعجبتني أعمالك، وقد رأيت مطرّزاتك عند «**قاسم**».

- لأملأ أوقات فراغي، أقوم بأعمال التطريز لنفسي.

- أنت تكذب، أَوَلم تطرّز أشياءً لـ«**قاسم**»؟

لم أستطع إخبار «**ماجد**» بأيّ الأمور عاوضتُ «**قاسمًا**». وقد وعدته بأن لا أخبر أحدًا بشيء عمّا تبادلناه. و«**قاسم**» نفسه أيضاً، لم يخبر أحداً بشيء. فذلك سيودِّي إلى الإضرار به. وكان النقيب «**خليل**» قد منع الحرّاس من القيام بهكذا أعمال. قلت لماجد:

- سيّدي! لا استطيع ان أطرّز لك صورة صدّام!

كنت أعلم أن الرفض سيجرّ عليّ الويلات. في مثل هذه المواضع كنت أجلب كلّ المصائب على نفسي. غضب «**ماجد**» من كلامي وقال:

- سوف أعاقبك بسبب إهانتك لصدّام!

- لم أهنه، إنّما قلت إنّي لن أطرّز صورته!

كنت أعلم أنّ «**ماجداً**» سيلحق بي الأذى. ومن شدّة غضبه نال أمّي وأختي بالشتم والسباب، ركل عصاي برجله وكان في غاية الغضب.!

وحين شتمني قلت له:

- السباب الذي كلته لي إنّما يليق بك. لقد قُطِعت رجلي بسبب صدّام، واستشهد أخي بسببه، وها أنا ذا أقبع في هذا السجن بسببه، وتريدني أن أطرّز لك صورته؟!

ركلني «**ماجد**» بحذائه العسكريّ على جنبي.. وانهال بالسوط على رأسي، أخذ بياقتي.. رفعني، وصفعني على وجهي. ومن ثمّ هدأ.

كان «**ماجد**» كظلّي يتبعني أينما ذهبتُ. كان يعاندني في كلّ أمر. لم أستطع بعدُ، القيام بأعمال التطريز كما في السابق.

الخميس 31 أيار 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كان الإخوة في بعض المعتقلات يقيمون المسرحيّات بغية التسلية. وقد أُعجبَ الحرّاس بالمسرحيّةُ التي أُقيمت في المعتقل رقم (12) قبل عدّة أيّام. حيث لعب الإخوة في المسرحيّة دورَ أسيرٍ إيرانيّ، ودورَ ضابطَ تحقيقٍ عراقيّ.

في تلك المسرحيّة، كان الضابط العراقيّ يسأل الأسير الإيراني أسئلةً، بطريقة نال تركيبُ الكلمات وإجابات الأسير الايرانيّ فيها، إعجابَ الحرّاس:

اسمك: عبّاس. الشهرة: عبّاسي. إسم الأب: ملّا عبّاس. إسم الجدّ: أمير عبّاس. من أيّ منطقة؟ بندر عبّاس. في أيّ وحدة كنت؟ لواء أبي الفضل العبّاس. أين أُسرت: سهل عبّاس. تقول الحقيقة أم تكذب؟ أنا أكذب قسماً بأبي الفضل العبّاس!

كنت أودّ أن أقيم مسرحيّة لشباب المعتقل.

الليلة، أقمنا مسرحيّة «**صدّام در صد دام**» (صدّام في مئة فخّ) في المعتقل[1]. وقد لعب «**محمّد باقر وجداني**» دور «**طالع خليل**

(1) كنت في الصفّ الأوّل متوسّط، حين أقام أبناء قريتنا مسرحيّة بمناسبة ذكرى «**عشرة الفجر**»، وكانت حينها مسرحيّة لا مثيل لها. وكان اسمها «**صدّام في مئة فخّ**». وقد لعب فيها أخي الشهيد السيّد «**هدايت الله**» دور صدّام. ولعب ابن عمّي السيّد «**كرم الله**» دور «**طالع خليل الدوريّ**»، وابن خال أبي «**كودرز نوري**» أدّى دور الفريق «**ماهر عبد الرشيد**»، وأدّى ابن عمّي الآخر السيّد «**عمران بلادي**» دور عنصر التعبئة الأسير. ومع أنّه كان من المقرّر أن تُعرض هذه المسرحيّة أمام أهالي القرية في المدرسة الابتدائيّة العاشرة، إلّا أنّه بسبب شدّة إتقان الإخوة لأدوارهم وماكياجهم، انتقلت المسرحيّة إلى مدينة «**باشت**»، وتردّد صدى عمل الإخوة في المنطقة بأسرها. وقد نقلت مديريّة التربية والتعليم في «**باشت**»، طلّاب جميع المراحل التعليميّة إلى صالة المدينة الكبرى لمشاهدة هذه المسرحيّة. وكم كان جميلاً ذلك اليوم، أداء أخي «**هدايت الله**» لدور صدّام. كما كان أداء «**كودرز نوري**» استثنائيّاً. وكان «**كودرز**» في تلك المسرحيّة يضيف «**أل التعريف**» إلى أوّل

الـدوريّ»، و«**حسيـن مقيمـي**» دور «**ماهـر عبـد الرشيـد**»، و«**محمـد بخـرد**» دور تعبـويّ أسير، أمّـا أنا فلعبت دور صـدّام. وقد قمنا بتغيير بعض حوادث المسرحيّة.

كان حسيـن مرواني يحرس النـافذة. فحيـن كان الحرّاس الليليّون يقتربـون مـن نافذة المعتقـل كان يطلعنـا بالأمر. قُطعـت المسرحيّة للحظات، وحين ذهب الحارس، تابعناها. وقد لاقت المسرحيّة إعجاب الإخـوة. افتقدنـا «**راميـن حضرت زاد**» فـي تلك المسرحيّـة. ولو كان «**رامين**» هناك لكنت أعطيته دور صدّام.

كان «**راميـن**» قـد أقام أمـرًا شبيهاً للـذي أقامه أخـي الشهيد في مسرحيّـة «**صدّام في مئة فخّ**» فـي منطقتنا، وذلك في الجبهة لشباب «**الكتيبة 409**» من «**فرقة ثار الله 41**». فقد أدّى هو دور صدّام، وحسبما أخبرنـي، عجّ[1] المسـرح بالإخوة. كما قدّم راميـن المسرحيّة لكتائب الفرقة الباقية.

كلّ كلمـة يقولها. والسيّد «**كـرم الله**» الذي كان أطول قامة من الجميع، كان رائعاً في أداء دور «**طالع خليل الـدوريّ**». يقول صدّام في تلـك المسرحيّة للمسؤولين الذين يعملون تحـت إمرته: «**علينا أن نثبت للعالم أنّنا مسلمون، فقد أثبت الإيرانيُّون للدول الإسلامية بأنّهم مسلمون، وأشاعوا ذلك. لا ينبغـي لنـا في هـذه المسألة أن نتخلّف عن إيران**». اقترح كلّ من القادة اقتراحاً. وطبقاً لاقتراح «**ماهـر عبـد الرشيد**» كان على صدّام حسين أن يـؤدّي الصلاة في مقام الإمام الحسين عليه السلام. وقد صلّى صدّام بحدائه إلى جانب ضريح الإمام الحسين عليه السلام. وقد بقر البعثيّون في حضور صدام بطن السيّـد «**عمران بلادي**» الـذي كان يؤدّي دور الأسير التعبويّ، لكونه رفض شتم الإمام «**الخمينيّ**». وقـد أوكل صـدّام إلى «**طالع خليل الـدوريّ**» مهمّة البحـث عن السبب الذي يمنـع الإيرانيِّين حين وقوعهم في الأسر من توجيه الإهانة إلى الإمام «**الخمينيّ**»، فيما ترتفع أصوات الأسرى العراقيّين، بشعـار الموت لصدّام منذ اللحظات الأولى لوقوعهم في الأسر. في نهاية المسرحيّة، حيث لا تنتهي الحـرب لصالح صـدّام. يسأل صدّام القادة المساعدين له عمّ يجب القيام به؟ فيجيب السيّد «**كرم الله**» الذي يؤدّي دور «**طالع خليل الدوريّ**»، موجّهاً كلامه لصدّام: سيّدي! فلتنتحر أنت، ونفرّ نحن!

(1) عجّ الطريق: امتلأ.

وقـد التقى «**رامين**» يوماً، بأحد عناصر الفرقة في المخيّم الملحق. وكان قـد قدّم عرضاً مسرحيًّا فـي كتيبته. فقال له «**رامين**» وهو يضع الماء في يده ليبلّل به ثيابه: ما أخبار الكتيبة 409؟ فأجاب: لقد استشهد معظم عناصرها في هجوم شهر حزيـران. فسأله «**رامين**»: وماذا حلّ بالإخـوة الذين قدموا من الكتيبـة 409 وقدّموا المسرحيّة في كتيبتكم؟ فقال: قال الإخوة: إنّ الأخ الذي أدّى دور صدّام قد استُشهد، وقد حزنوا عليه كثيراً. ضحك «**رامين**» وقال: ألم تعرفني؟ أجاب: أظنّ أنّي رأيتك في مكان ما، لا أدري أين! فقال «**رامين**»: أنا صدّام ذلك نفسه!

فـي اليوم التالي، أُستُدعينا نحن الأربعة إلى غرفة رئيس الحرّاس. لا أدري أيّ واحـد مـن الجواسيـس قـد أطلع العراقيّيـن على مضمون المسرحيّة. ممّا جعل العراقيّين يبرحوننا ضرباً.

عندمـا طلب الإخوة منّـي أن أقيم لهم مسرحيّـةً أخرى، قلت لهم: عالجـوا أوّلاً مشكلـة الجواسيـس، ومن ثـمّ اطلبوا منّي ومـن الباقين تقديـم مسرحيّة! قال بعض الإخوة المتحفّظين، وكانـوا على حقّ: إن حذفتـم اسم صـدّام في مسرحيّـة «**صدّام في مئة فـخّ**» فلن يتعاطى العراقيّـون معنـا. لكن صَدَقَ الإخـوة الآخرون، فالعراقيّـون لم يعودوا يثقـون بنا. وحتّى لو قدّمنا مسرحيّة ولم نأتِ فيها على ذكر صدّام، مع ذلك سيشكّون بنا.

السبت 2 حزيران 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كتبـت رسالة لـ«**غلام رضا كريمي**»، وضعتها فـي كبسولة المضادّ الحيـوي، وأعطيتها لـ«**سامي**» ليسلّمها لـه. الليلة الماضية لسع عقربٌ

«**يزدان بخش مرادي**»، أحد أبناء قزوين. كان «**وليد**» بعد الإحصاء الصباحيّ، يخبر بمسألة العقرب متفاخراً. فقد كانت الليلة الماضية نوبته للحراسة الليليّة. وقد رأى في ممرّ المعتقل عقرباً أشقر اللون؛ أراد سحقه بحذائه العسكريّ لكنّه سرعان ما تراجع وقذفه بقطعة ورق مقوّى إلى داخل المعتقل رقم (8).

قال «**وليد**»: كنت أودّ أن يلسع العقرب أحدكم!

وحدث ما أراده «**وليد**»، تحقّقت أمنيته ولسع العقرب «**يزدان بخش مرادي**».

بعد أيّام أنشد أحد الأسرى في المخيّم الملحق هذه الأبيات على مسامع «**وليد**». لم يعرف هو من الذي قرأ الأبيات؛ ولم أعرف أنا أيضاً. وقد ترجم بعض الأسرى العرب الأبيات لـ«**وليد**»، ممّا أغضبه بشدّة.

أحطّ من العقرب، أنت يا «**وليد**»
أرذل من أبي يزيد، أنت يا «**وليد**»
نطلب من اللّه، يا «**وليد**»
أن يحشرك مع ابن «**الوليد**»

الاثنين 4 حزيران 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

اليوم، كانت الذكرى السنويّة لارتحال الإمام؛ لم يلتفت الكثير من الإخوة لذلك. قبل الظهر، لطمنا الصدور، بالطبع، بعيداً عن أعين العراقيّين. لطمنا بهدوء، وقد كان برنامجنا مقتضبًا. فما إن اقترب العراقيّون من المعتقل، حتّى فُضّ المجلس.

عصـرًا، أخذ «**ماجد**» إحدى المطـرّزات من يدي. وكنت قد عملت عليهـا مطوّلاً. كنـت أودّ أن أقدّمها كهديّة عند الافراج عنّي، إلى عائلة الشهيد «**باقر جاكيان**».

كنت قد طرّزت أسمــاء عدد من رفاقي الشهداء إلى جانب شمعة. وقـد رسمت لغم «**فالميري**» فوق أسماء شهداء التخريب. وقد رسمته بشـكل يشبـه القبـر. فالشهـداء الذين طـرّزت أسماءهـم على تلك المطـرّزة قد أحيوا فـيّ ذكريات وجودي في وحـدة التخريب، وهؤلاء كانوا:

الشهيـد «**رضـا مكتوبيـان**»[1]، الشهيـد «**رضا علـي باك نسـب**»[2]، الشهيد«**نـور الله دبيقـي**»[3]، الشهيد «**باراني شيخي**»[4]، الشهيد الشيخ «**باقر جاكيان**»[5]، والشهيد السيّد «**شريف بنجة بند**»[6].

قال «**سامي**»: لقد حرق «**ماجد**» مطرّزتك. تألّمت لذلك، فقد أحرق أسماء الشهداء. ذهبت إلى «**ماجد**» وقلت له:

- لِمَ أحرقت مطرّزتي؟

- هؤلاء أشخاص قد قَتَلوا أبناءَ العراق!

الثلاثاء 5 حزيران ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

البارحـة، أقـام أسرى العنابـر مجالسَ اللطم بمناسبـة الذكرى

(1) استشهد في عمليّات كربلاء 4.

(2) استُشهد في كردستان، وذلك في شهر تمّوز من العام 1987.

(3) فقد أثره في كردستان، وذلك في شهر ت1 من العام 1987.

(4) استُشهد في شلمجة في شهر ك2 من العام 1987.

(5) استُشهد في كردستان، في شهر نيسان من العام 1987.

(6) استُشهد في شتاء العام 1987 في كردستان العراق.

السنويّة لرحيل الإمام الخمينيّ، وهذا ما أخبرني به قاسم مسؤول الإنشاءات في المخيّم.

بينما كنت خارجاً من باب المخيّم، رأيت «**ماجداً**» يعدّ السمك المشويّ. كنت أعاني صداعاً شديداً. لم يسمح لي بالذهاب إلى المستوصف لأجلب قرص «**إستامينوفن**». نادى «**ماجد**» «**فاضلا**» الأسير الإيرانيّ العربيّ وقال:

- أتريد السمك المشويّ؟

- أنت لا تسمح لي بالذهاب لجلب قرص «**إستامينوفن**»، فكيف ستطعمني السمك المشويّ!

- أنتم المجوس ينبغي أن تبقوا معلّقين بين الحياة والموت. تماماً كأسماك «**عبد المنعم**» المعدّة للشيّ على شاطئ دجلة.

عندما قال هذه الكلمات كان «**وليد**» والدكتور «**مؤيّد**» موجودَين. ولكي يستفزّني ويحقّرني أخبرني بقصّة أسماك عبد المنعم المعدّة للشيّ على شاطىء دجلة في بغداد.

الظاهر أنّ أكثر معدّي شيّ السمك على شاطىء نهر دجلة، كانوا يمرّرون الصنّارة من جانب رأس الأسماك ويربطونها في حائط شطّ دجلة. وتبقى هذه الأسماك حبيسة حائط دجلة، بين الموت والحياة، لا يمكنها العوم ولا تحريك فمها. ولا تتحرّر هذه الأسماك إلّا حين يأتي مشترٍ يريد أكل السمك الطازج. فالعرب يحبّون تناول الأسماك الطازجة بدلاً من المثلّجة.

عندما سمعت هذه القصّة فهمت مقصود «**ماجد**» من هذا الكلام.

الجمعة 22حزيران 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

أثار خبـر الزلزال الذي ضرب مدن «**منجيل**»، «**رودبار**» و«**طارم**»[1] قلـق الجميع. وكان الأسـرى من أبناء «**كيـلان**» و«**زنجـان**» أكثرنا قلقاً واضطراباً لعدم التمكّن من الاطّلاع على أخبار أهاليهم. فقال «**بهزاد روشن**»: يمكن للعراقيّين أن يزيلوا قلق الإخوة من أبناء الشمال.

– وكيف يمكن للعراقيّين أن يفعلوا ذلك؟

– يمكنهـم بطريقة ما أن يحصّلوا عن طريق الهلال الأحمر أسماء قتلى الزلزال وتسليمها لنا.

كنّـا نواسي أبناء «**كيلان**» و«**زنجـان**». ولست أنسى بكاء الإخوة من أبناء «**منجيـل**»، و«**رودبار**»، و«**طارم**» في غروب تلك الجمعة الحزينة. كانـوا يظنّـون أنّ أهاليهم قد قُتلوا فـي ذلك الزلزال. قبـل الإحصاء اصطـفّ بعض الشباب من منطقـة الشمال أمام غرفة رئيس الحرّاس ليتبرّعـوا بالـدمّ. وقـد رجـوا العراقيّين السمـاح لهم بالتبـرّع بالدم لجرحـى الزلزال. حضـر الملازم «**حميد**» إليهم وقـال: لا تربطنا أيّة علاقة بإيران. إن تبرّعتم بالدّم، لا يمكننا إرساله إلى إيران.

الصـورة الجميلـة التي قدّمهـا الأسرى اليوم، هو حضـور الأسرى الآخرين إلى جانب أسرى الشمال للتبرّع بالدمّ.

الأحد 23 حزيران 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

عند الغروب، أقام أسـرى المخيّم الملحق مجلسَ فاتحةً عن أرواح ضحايـا زلـزال «**منجيـل**»، و«**رودبـار**». في الأيّـام اللّاحقـة، لم تجدِ

(1) الزلزال الذي ضرب مناطق كيلان وزنجان الشمالية.

محاولات شباب «**كيلان**» و«**زنجان**» للحصول على لائحة بأسماء قتلى الزلزال. كما واجهت مسألة التبرّع بالدمّ مشاكل.

وكان النقيب «**خليل**» قد سمح لأسرى الشَّمال أن يقيموا احتفالاً تأبينيّاً لضحايا الزلزال في المعتقل رقم (17)؛ فأمَّ الأخوة هذا المعتقل، قرؤوا الفاتحة وأقاموا العزاء.

ومن العراقيّين، جاء «**سامي**» والدكتور «**مؤيّد**» للتعزية. وعندما ذكر «**بهزاد روشن**» في كلمته «**ميرزا كوجك خان جنكلي**»، توجّه الدكتور «**مؤيّد**» مخاطباً شباب الشَّمال قائلًا: لقد قرأت سيرة «**الميرزا جنكلي**» والسيّد «**جمال الدين أسد آبادي**» في مقالات الكاتب المصري محمد حسنين هيكل، لِمَ تسمّونه أنتم الإيرانيُّون بميرزا كوجك جنكلي (كوجك= الصغير)؟

قال «**بهزاد**» للدكتور «**مؤيّد**»: إسمه «**ميرزا كوجك خان جنكلي**».

فقال الدكتور «**مؤيّد**»: لا تقولوا «**ميرزا كوجك** (= **ميرزا الصغير**) **خان جنكلي**»، بل قولوا ميرزا بزرك (= الكبير) خان جنكلي، الميرزا كبير!

السبت 8 تمّوز 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كانت مباريات كأس العالم في كرة القدم للعام 1990 قد بدأت في إيطاليا. واليوم، كانت المباراة النهائيّة.

خفّف العراقيّون من التضييق علينا بسبب هذه المباريات، وقد عمل الإخوة من أجل تحقيق أهدافهم على إظهار المحبّة للاعبين الذين يشجّعهم الحرّاس.

كان الحرّاس المحبّون للكرة يتابعون المباريات بهوس وتعصّب، وكلّ منهم كان يشجّع فريقًا ولاعبًا خاصًّا، فسعد رئيس الحرّاس كان معجبًا بمارادونا الآرجنتينيّ، و«**وليد**» بأندرياس بريميه، مدافع ألمانيا الغربيّة، و«**حامد**» بسكيلاتشي الايطاليّ، الهدّاف الأفضل في مباريات كأس العالم. سلوان كان معجبًا «**بسكوهرافي**» التشيكوسلوفاكيّ، وكان «**سامي**» معجبًا بميشيل الإسبانيّ، أمّا الدكتور «**مؤيّد**» فلم يكن ميّالاً إلى كرة القدم بتاتًا.

مع بداية مباريات كأس العالم، كان العراقيّون يتحدّثون لساعات حول المباراة الافتتاحيّة التي جرت بين فريق الأرجنتين بطل الكأس للدورة السابقة (1986)، وفريق الكاميرون المغمور. وكانوا مندهشين من فوز فريق الكاميرون على فريق الأرجنتين. قلت لحامد بطريقة غير مباشرة:

- أساسًا، لا داعي للعجب، أن يأسِر في الحرب الإيرانيّة العراقيّة تعبويٌ شابٌّ عددًا من العقداء العراقيّين في شلمجة، وها هي الكاميرون الآن تفوز على الأرجنتين بطلة العالم للدورة السابقة!

في المباراة النهائيّة، كان «**سعد**» و«**سلوان**» يشجّعان الأرجنتين، و«**وليد**» و«**حامد**» يشجّعان الألمان. وقد هدّدنا «**وليد**» حينها، إذا خسر الألمان فسيعوّض خسارته فينا، وكان يقول: «**أدعوا الله أن يربح الألمان، وإلّا فسأنتقم منكم...!**»

أمّا «**سعد**» الذي كان يعاملنا بأدب من حين لآخر، ومطّلعًا على تهديدات «**وليد**»، فقد وعدنا أنّه إذا فاز فريق الأرجنتين بالبطولة، فإنّه سيسمح لنا بالاستحمام حمّامًا جيّدًا بالتمام والكمال، بعد شهرٍ من الحرمان.

كنـــت وبعض الإخوة المعتقلين نرجّــح الاستحمام، ولكنّ الحظّ كان حليف وليد.

فــاز الألمان ببطولــة العالم لكرة القدم للمــرّة الثالثة، فرح «**وليد**» و«**حامد**»، أمّا «**سعد**» و«**سلوان**» فتعكّر مزاجهما لعدّة أيّام.

الاثنين 9 تموز 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

بعــد ظهر اليــوم، كان العراقيُّون يأكلون البطّيخ أمــام غرفة رئيس الحرّاســ، وكنت أنظر إليهم. كنت مشتاقاً جدّاً لآكل ولو قطعة واحدة، ومستعــدّاً لأدفــع شهريّتــي البالغــة (1.5) دينارًا ونصــف الدينار إلى العراقيّيــن لقــاء ذلــك. أظــنّ أنّــه كان بإمكاني شــراء ثــلاث أو أربع بطيّخات بها.

الثلاثاء 10 تموز 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

غادر النقيب «**خليل**» المســؤول عن المخيّم المعتقل من دون وداع؛ كان صاحب نظم وانضباط خاصّ. فقد ترقّى قبل شهر، إلى رتبة رائد، ونُصّب مسؤولاً عن مخيّم تكريت(13).

بعد الظهر، أبلغ «**سعد**» الأسرى قدوم النقيب «**عبّاس**» القائد الجديد لمخيّم (16). كان النقيب عبّاس إنساناً مرناً، من أهالي الحلّة، مفتول العضلات، أســمــر اللون، وسيماً، أنيق الملبســ، كثير التجارب، هادئ الخطى، لا يسرّح شعره البنّي، بل يتركه دائماً منفوشاً.

عندمــا قيل إنّ «**خليــل**» ترك المخيّم، قال الحــاجّ «**حسين شكري**» للحارســ: بالنهايــة، تركنا النقيــب «**خليــل**» بحسناتــه وسيّئاته، ليس هنــاك أســوأ من ليلة لا نهار بعدهــا، كان يمكنكــم أن تتعاملوا بأفضل

من هذا مع الأسرى الإيرانيِّين ولكنّكم لم تفعلوا. لو كنتُ مكان النقيب «**خليل**»، وأردتُ الخروج من هذا المخيّم لتوجّهت إلى القبلة ساجداً ولقلت ثلاث مرّات: ربِّ إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي!

ليلاً، أخبرنا «**سامي**» بموت والد الدكتور «**مؤيّد**». فحزن الإخوة لذلك، فقد كانت للجميع ذكريات طيّبة معه.

الأربعاء 11 تموز 1990 - تكريت - المخيّم الملحق

اليوم، كان عيد الغدير. وقد قرأت للإخوة دعاء الندبة. وفي منتصف الدعاء علا صراخ «**ماجد**»، حارس المخيّم، فتوقّفتُ عن القراءة. أخذ ماجد يتجمجم[1]. كان غاضباً. أخذ دعاء الندبة من يدي، جمعه بيده ورماني به. قام الحاجّ «**سعد الله**» المؤسّس للمجلس من مكانه وقال:

- لقد قرأنا هذا الدعاء نفسه في عيد الفطر ولم تعترضوا. قال «**ماجد**»:

- الدعاء ممنوع!

لم يكونوا يعرفون متى قرأنا الدعاء في عيد الفطر السابق.

قال له الحاجّ: دعنا نكمل الدعاء!

- هيّا تفرّقوا بسرعة، «**ناصر سليمان**» تعالَ إلى غرفة رئيس الحرّاس!

ذهبت إلى غرفة رئيس الحرّاس. أطفأ «**حامد**» السيجارة بحذائه، صفعني به 15 صفعةً على وجهي. حاول سلوان منعه. عندما سألته لماذا تصفعني بحذائك؟ قال محاولاً استثارة غضبي: لأنّك مجوسيّ لا أريد أن ألمسك بيدي!

---

(1) بمعنى يتكلم كلاما غير مفهوم، بالعامية: «**شروي غروي**» أو طالع نازل.

تبعني الحاجّ «**سعد الله**». غضب جدّاً حين رأى «**حامداً**» يصفعني بالنعل البلاستيكيّ على وجهي. فقال «**لحامد**» والحرّاس الآخرين:

- وماذا يتضمّن دعاء الندبة حتّى يثير غضبكم؟ دعاء الندبة يقول: أين هادم أبنية الشرك والنفاق... أين مبيد أهل الفسوق والعصيان. أين طامس آثار الزيغ والأهواء. أين قاطع حبائل الكذب والافتراء. أين مبيد العتاة والمردة. أين مستأصل أهل العناد والتضليل والإلحاد. أين معزّ الأولياء ومذلّ الأعداء...

هنا، علت أصوات الحرّاس بالشتائم، وراحوا يشتمون الحاجّ «**سعد الله**»، وقال حامد:

- أنت [بدعائك] تقصدنا والحكومة العراقيّة في كلّ ما قلته.

اليوم، أقام الإخوة في المعتقل رقم (12) مجلس فاتحة عن روح والد الدكتور «**مؤيّد**». وقد قرأ بعض الأسرى عدّة أجزاء من القرآن وأهدوها للفقيد تقديراً لتعاطي ابنه الإنسانيّ والأخلاقيّ معهم. قال «**سامي**» للعراقيّين: أذا عاملنا الأسرى بالحسنى، فسوف يترحّمون على والدينا إن ماتوا ويقرؤون لهم الفاتحة. وإن عاملناهم بالسوء، سيقولون إن مات آباؤنا: لا رحمهم الله على هذا الخلف.

الثلاثاء 31 تموز 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

اليوم، ترجم لي «**حكيم خلفيان**» صحيفة الثورة. وقد وردت في الصفحة الثانية من الصحيّفة مقالة للكاتب العراقيّ «**نزار الحديثيّ**» حول الانقلاب داخل الحزب بقيادة أحمد حسن البكر وصدّام حسين، والذي أدّى إلى تصفية الحسابات في مجلس شورى القيادة العراقيّة.

قبل واحد وعشرين عاماً، قام أحمد حسن البكر، بصفته رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً للجمهوريّة، وصدّام كنائب له، بتشكيل الحكومة.

الخميس 2 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

كان يـومَ عاشوراء، سمعنا أصوات زغاريد العراقيّين. لم أكن أعلم مـا الخبر. أحببت أن أعرف سبـب فرحتهم العارمة في يوم عاشوراء. استغللنـا فرحـة العراقيّيـن هذه لإقامـة مجالس اللّطم فـي المعتقل. وعلى الرّغم من أنّهم هددوني إن قرأت العزاء، إلّا أنّي لم أكترث لهذا التهديـد. من شدّة ما كان العراقيّون فرحين، تركونا وشأننا. أحسست أنّ شيئاً مهمّاً قد حصل جعل العراقيّين لا يكترثون لمجالس عاشوراء.

ذهبت إلى «**سامي**» لأستعلم الخبر. فقال: اليوم قام الجيش العراقيّ باحتلال الكويت!

كان خبـرًا يدعو إلى العجب، مـن الصعب تصديقه. تعجّب الجميع حيـن انتشر الخبر. كان السؤال بالنسبة لنـا، لِمَ الكويت؟ ولِمَ في يوم عاشوراء؟ فالكويت لـم تقصّر في تقديم المساعدات إلى العراق؛ وما هذه المصيبـة التي حلّت بها؟! ففي ظاهر الأمر، لم يكن أمير الكويت يستحقّ ذلك. وخدماتـه لصدّام في حربه على إيران كانت تقتضي أن لا يقـوم صدّام بالاعتداء على الكويت. قال الإخوة: ماذا سيفعل صدّام فـي هذا البلـد الصغير! وعلى حـدّ تعبير «**رامين حضـرت زاد**»: يمكن احتلال هذا البلد الصغير بكاتيوشا صغيرة.

عنـد الغـروب، ظهر «**صدّام**» علـى شاشة التلفاز، ووجّـه خطابًا إلى الشعـب العراقيّ قـال فيه: «**إنّ الجيش العراقيّ احتـل الكويت بهجوم**

استغرق ساعتين». وقد نُقشت عبارة صدّام هذه والتي وردت في العنوان العريض في صحيفة القادسيّة، في ذهني: «**كانت الكويت في العهد العثمانيّ جزءاً من العراق، وينبغي أن تعود إليه**». وقد أعلن صدّام في حوار تلفزيوني رسميًّا أن الكويت هي المحافظة العراقيّة التاسعة عشرة. قال الإخوة غامزين من قناة الحرّاس: أنتم كلّ مدّة تشنّون هجوماً على بلد ما، وتعلنون إحدى محافظاته كمحافظة تاسعة عشرة لبلدكم. يومًا محافظة خوزستان [في إيران]، واليوم الكويت التعيسة الحظّ!

ففي بداية الحرب ضمّ العراقيّون محافظة خوزستان إلى خارطة بلدهم. وقد رأيت الخريطة التي طُبعت في كتب المرحلة الابتدائيّة في العراق، بعد أن أحضرها لي «**علي جار الله**». أرادوا الايحاء إلى أطفال العراق أنّ خوزستان جزءاً من بلدهم.

ضمّ العراق الكويت باسم محافظة كاظمة وكمحافظة تاسعة عشرة إلى خارطته الجغرافيّة. في الأيّام اللاحقة تصدّر عنوان الكويت معظم عناوين الصحف العراقيّة وموضوعاتها. بيد أنّ صدّام على الرّغم من المساعدات التي كان قد تلقّاها دون مقابل من الكويتيّين، كان حاقدًا على أمراء الكويت. وكان يقول إنّ الديون العراقيّة لدولة الكويت قد فاقت الثلاثين مليار دولاراً، وعليها أن تتنازل عنها؛ ذلك أنّ العراق قد خاض حرباً مع إيران للدفاع عن مصالح العرب. وقد نُشر كلام صدّام الذي وجّهه إلى قادة الدول العربيّة في صحيفة الثورة الناطقة باسم حزب البعث العراقيّ. حيث قال: إنّ الجيش العراقيّ حمى الأمراء والشيوخ الميّالين للترف والجبناء، وحفظهم على كراسيّ العرش. وقال في موضع آخر: لقد سالت دماء الشباب العراقيّ في الحرب مع

الإيرانيِّين، الذيـن كانوا ينوون تصدير الثورة، على الأرض، لكي يأمن المشايـخ العرب، لكنّنا لم نلـقَ شكراً أو تقديرًا علـى ذلك. فالمشايخ ذوو البطون المنتفخة، المتسلِّطون وأصحاب المليارات، كانوا يمضون فصـول الصيـف على سواحـل المتوسّط وفـي البلـدان الأوروبّيّة، ولا يفكّرون في التعويض عن تضحيات الشعب العراقيّ ...

وفـي حوار صحفي قـال صدّام: لـو أنّ حرس الخمينـيّ وصلوا إلى الكويت، وقطر ودبي، لكان الأمراء رأوا عندها ماذا سيحلّ بهم، ولكان حرس الخمينيّ ابتلعوهم!

وقـد أعلن صدّام في الذكرى السنويّـة للثورة العراقيّة في 16 تموز موقفـه تجاه الكويت. كنـت أودّ أن أعرف رأي الصحف العراقيّة. وقد ترجم لي حكيم خليفان بعض المقالات. ولا أعلم صدق أو كذب مقولة أنّ الكويـت قـد سرقت من خزّانـات النفط في الرميلـة في المناطق الحدويّة، كميّات كبيرة من نفط العراق، وصدّرته إلى الخارج. وكانت السعوديّة والكويت قد أقرضت العراق 35 مليار دولاراً، على أن يتحمّل العـراق وحده عـبء الحرب وينجيهـم من أيـدي الإيرانيِّيـن[1]! كان صدّام غاضباً مـن السعوديّة والكويت اللتين على حدّ تعبيره، تربحان الأموال الطائلة، وطلب منهما التنازل عن هذا الدين. لم تقبل الكويت بالتنازل عن الأموال التي قدّمتها للعراق كقرض. وكان العراق مضافاً إلـى التنازل عـن أمـوال القرض له، قـد طالب الكويـت بثلاثة عشر مليـار دولارًا آخر لإعادة إعمار العـراق. وكانت المشاحنات الكلاميّة

(1) هـذه إشـارة قوية إلى حجم الإشاعات التـي بثّتها الدول الغربيَّة وأمريكا علـى وجه الخصوص، والتي مفادها أن إيران تريد السيطرة على العرب وإعادة أمجادها القديمة. (مركز نون).

بيـن القادة العراقيّين والكويت، قد اشتـدّت قبل ذلك بفترة. ونشرت وسائـل الاعلام العراقيّة خبر العراك الذي جـرى بين عزّت إبراهيم الدوريّ وأخ أمير الكويت في أحد اللقاءات، والذي تطوّر إلى رشق عزّة إبراهيـم أخ الأمير بصحن فنجان الشاي. ونُقل عن عزّة إبراهيم أنّه قـال في تلـك الجلسة لأخ الأمير: «**يـا جناب أخ الأميـر! لولانا، ولولا آلاف آلاف القتلـى الذيـن قدّمناهم في الحرب على إيران، أين كنت وأخـاك الآن؟! حتماً فـي جهنّم. ولمَا كان الإيرانيُّون قد أبقوا منكم باقية**».

كانـت المناكفات والجدالات بين القـادة العراقيّين وأمراء الكويت أخبـار الساعة الساخنة. وعلى حـدّ تعبير العراقيّين، يبـدو أنّ القادة العراقيّين قد ضمّوا قبل 29 سنةً الكويت إلى أراضيهم. حينها استنجد حاكـم الكويـت بالإنكليـز، فهبّـوا لمساعدته. لـم أفكّر يومـاً أنّ هذه المناكفات والنزاعات ستودّي يوماً إلى احتلال الكويت، مع أنّه لم يكن يُستبعد أيّ أمر عن صدّام.

الجمعة 3 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

تابعـت اليـوم أخبار الصحـف العراقيّة. وقد عيّن صـدّام شخصاً يُدعى «**حسين علـي إلياس**» كرئيس جديد لحكومة الكويت. كانت تلك المـرّة الأولى التـي أسمع فيها اسمـه. والعراقيّون أنفسهـم لم يكونوا يعلمـون من هو هذا الشخص الذي نصّبـه صدّام حاكماً على الكويت. علمنـا فيما بعد أنّه حسين كامـل المجيد[1] نفسه، صهـر صدّام. قتل

(1) كان حسين كامل المجيد صهر صدّام وزوج ابنته رغد. وهو الذي أمر بقصف مدينة حلبجة بالأسلحة

العراقيّـون أخ أميـر الكويت فهد الأحمـد الصباح شرّ قتلـة، أمّا أمير الكويت فقد فرّ إلى السعوديّة ونجا بنفسه.

تركنا الحرّاس المغـرورون والمنتشون من احتلال الكويت وشأننا. وقـال المـلازم «**فاضـل**»: لأنّنا احتليّنـا الكويت في يـوم عاشوراء ولم تواجهنـا أيّ مشكلـة، هذا يعنـي أنّ الإمام الحسين قـد حضر لنصرة الجيش العراقيّ!

اليوم، اشتدّ النقاش مع العراقيّين. كان الحرّاس والضبّاط يتكلّمون بخيـلاء عن احتـلال الكويت. لم يتحمّـل الإخوة البقـاء ساكتين. كنّا حانقين علـى الكويت. كان «**حسن بهشتي بـور**»، «**وأصغر إسكندري**»، و«**مرتضـى واحـد بور**» و«**بهـزاد روشن**» يناقشـون العراقيّين أكثر من غيرهـم. لم يتراجع الملازم «**فاضل**» والملازم «**قحطان**» أمام كلمات «**بهشتي بور**».

قـال «**بهشتـي بور**» غامزاً من قنـاة الملازم «**فاضـل**»: نحن نعرف سوابقككم المشرقة. ففي العام 1970م، في الحرب الداخليّة في الأردن، دخلتم إلى الأردن بحجّة الدفاع عن الشعب الفلسطينيّ، واحتللتم جزءاً من تراب هذا الوطـن، وكنتم إلى ما قبل الحرب المفروضة تتحاشون الخروج من تلك المنطقة. حينها، احتللتم قسماً من الأردن، وفي بداية

الكيميائيّـة ممّـا أدّى إلى مقتل خمسة آلاف شخص مـن الناس الأبرياء. وكان لصـدّام ثلاثة أصهر، وكان هـؤلاء إخـوة. كان حسين كامل المجيـد زوج ابنته رغد، وصدّام كامل المجيـد زوج ابنته الثانية رنـا، وحكيـم كامل المجيد زوج ابنته الثالثـة حلا. وقد فرّ صهراه الأوّلان، حسيـن وصدّام إلى الأردن خوفًـا مـن صدّام. فقام صدّام بخداعهما من خلال إرسـال رسالة أمان لهما. وقد صدّقت البنتان أنّ أباهمـا سيدع زوجيهما وشأنهما. وما إن عادا إلى العراق، حتّى قام صدّام باعتقالهما، ومن ثمّ قتلهما ورمّل ابنتيه على الرّغم عهد الأمان الذي كان أعطاهما إيّاه. أمّا صهره الثالث حكيم الذي كان ممتثلاً للأوامر ومطيعاً، فقد استسلم للقوّات الأميركيّة في حرب الخليج الثانية عند احتلال العراق.

الحـــرب احتللتم خوزستـــان، والآن الكويت المسكينـــة، إنّنا لا نفهم ما تقومون به من أعمال!

كنت أعلم كم تآمرت الكويت علينا في حرب السنوات الثماني، وكم قدّمت من خدمات لصـــدّام. قلت للملازم «**فاضل**» الذي كان يحبّ أن يعرف رأيي بالنسبة إلى الموضوع:

– كنتم ناكرين للجميل، على الرغم من كلّ المساعدات التي قدّمتها الكويـــت لكم. ولكن كن واثقاً بأنّ دعواتنا نحن الإيرانيِّين على الكويت، هي التي أذلّتها، لا الجيش العراقيّ!

وقال «**أصغر إسكندري**» للملازم «**قحطان**»:

– فـــي الحـــرب، تبدّلـــت الـــدولارات الكويتيّـــة إلـــى ذخائـــر وقنابل كيميائيّـــة، لتقطّع الكثيـــر من الإيرانيِّين إربًا إربًا، «**عِصِـيّ ربنا ما إلها صوت؟!**[1]»

قال الدكتور «**بهزاد روشن**» لـ«**حامد**»:

– لقـــد توقّـــع قائدنـــا مثل هـــذا اليوم. بعدهـــا قال غامـــزًا من قناة الملازم «**فاضل**»: أنتم مدينون للكويت بالكثير. كيف أمكن لطائراتكم أن تطيـــر إلـــى الكويت وتقصفها. مـــا كان ينبغي لطيّاريكـــم أن يخونوا الخبز والملح.

حـــدّق المـــلازم «**فاضـــل**» «**ببهـــزاد**». كان يعلم ما يقصـــد. فقد كان يشير إلـــى قصف الطائـــرات العراقيّة التي انطلقت مـــن «**قاعدة علي السالـــم**» الجويّـــة، منصّات النفـــط الإيرانيّة في جزيرة «**خـــارك**». لقد نســـي العراقيّـــون أنّ مقاتلاتهم انطلقت من القاعـــدة الكويتيّة لتقصّر

(1) مثل إيراني ويعني أن الله يُمهل ولا يُهمل (المترجم).

المسافـة على الطيّارين العراقيّين والتي كانت تبلغ 200 كلم، وقصفت منصّات النفط في خارك. سرعان ما نسوا ودّ الكويت هذا.

كان الضبّـاط والحرّاس يفضّلـون السكوت أمـام تعليقات الأسرى الإيرانيِّين، وأن لا يقولوا شيئاً حول احتلال الكويت.

ليلاً، كان «**عادل عقلة**» المطرب المشهور والمقرّب من صدّام يغنّي في وصف صدّام ويقول ما مضمونه: صدّام يا صدّام، حفظك اللّه لنا. لا أزال اللّه شبابك...

السبت 4 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

بعـد الظهر، تجمّـع الإخوة أمـام مدخل المخيّم، وراحـوا ينظرون إلـى الخارج. حيث يوجد عدّة مبانٍ وعنبر في القسم الجنوبيّ الشرقيّ للمخيّم الملحـق. وكان العراقيّون قد أخلوا أحـد عنابر المخيّم (15) المجاورة للمخيّم الملحق.

قبـل الظهـر، أُحضِر عددٌ مـن الكويتيّيـن. كانوا حوالـى العشرين شخصًـا. ظننت فـي البدء أنّهم أسـرى إيرانيّون. قال «**سامـي**»: إنّهم كويتيّـون. كانـوا يرتـدون الجلابيب العربيّـة البيضاء. فـرّق الحرّاس الإخوة من أمام مدخل المخيّم الملحق. وذلك كي لا نعرف أنّهم أسرى كويتيّون. سألت «**سامي**»:

– ماذا يفعل الكويتيّون في مخيّم الأسرى الإيرانيِّين؟

– هؤلاء تصدّوا لنا أثناء هجومنا على الكويت!

كما أخذ العراقيّون أيضاً بعض الأميركيّين والبريطانيّين المقيمين في الكويت كرهائن.

وأعلـن صدّام أنّ هؤلاء الرهائن سيُنقلـون إلى المنشآت والمراكز الهامّة العسكريّة والمدنيّة، ليحول دون قصف الأميركيّين والبريطانيّين لها.

ليــلاً انقبضت أحوال الحرّاس، فبعضهم ممّن كان يمضي آخر أيّام خدمته، كانوا منزعجين. وكأنّهم ليسوا هم من كانوا بالأمس يزغردون ويقيمون الدبكة. فقد هدّدت الدول الغربيّة والأوروبيّة الداعمة للكويت، «**نظـام صـدّام**». وقد أُلغيت مأذونيّات الجنــود العراقيّين. وتوجّب على من كان عليه الالتحاق بالخدمة العسكريّة بعد سنوات، أن يسجّل اسمه في مديريّة الخدمة العامّة في العراق، ويلتحق بالخدمة العسكريّة. وقد بـثّ التلفزيون العراقيّ بياناً رسميًّا صـادرًا عن قيادة الجيش العراقيّ جاء فيه:

يُمهل الجنود العراقيّون الذين أنهوا فترة خدمتهم ولا زالوا يعيشون فــي العــراق مدّة أسبــوع، والذين أنهــوا خدمتهم العسكريّــة ويعيشون خارج العراق، مدّة أسبوعين، ليسجّلوا أسماءهم لدى الوحدة الأخيرة التي عملوا فيها... وإنّ عصيان هذا الأمر يُعدّ خيانةً للشعب العراقيّ، وعواقبه وخيمة.

كانــت لهجــة البيــان صارمــة وتهديديّة. لم يــرق البيــان للحرّاس العراقيّين.

الأحد 5 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم الملحق

قبــل احتلال الكويــت، كان العراقيّــون يقولون: إيران عــدوّ العرب اللّــدود. وكان صــدّام فــي سنوات الحــرب يثير فــي خطاباته عواطف

العـرب بقوله إنّ إيران عدوّ العـرب وأنّ العراق يقاتلهم نيابةً عن الأمّة العربيّة!

وقـد صدّقت الدول العربيّة واقعاً أنّ صـدّام يحارب تصدير الثورة الإيرانيّة نيابةً عن العرب. ولهذا، جهّز زعماء الدول العربيّة الرجعيّين «**نظامَ صدّام**» البعثي بشكلٍ تامّ من خلال إغداق الأموال والمساعدات. حـرب ارتدّت عليهـم فيما بعـد، وأنزلت البـلاء فوق رؤوسهـم. وأقرّ المـلازم «**شفيق عاصم**» قائلاً: لأنّنـا قاتلناكم، عدّ الأميركيّون هجوم الطائرات العراقيّة الخاطئ على الغوّاصة الأميركيّة بمثابة صفعة الأخ الأصغـر لـلأخ الأكبر. وغالبًا مـا كان الملازم «**فاضـل**» و«**جميل**» قبل احتلال الكويـت يتناقشان مع الإخوة ويقولون: أنتـم الإيرانيُّون أعداء العرب!

حينهـا قلت «**لجميل**»: أنتـم الذين تقولون: إنَّ إيـران عدوّ العرب؛ والآن باحتلالكم الكويت، من هو عدوّ العرب نحن أم أنتم؟!

لم يُحِر «**جميل**» جوابًا. كنت أودّ أن أفرغ ما خزّنته في قلبي لسنوات.

وقال الحاج «**حسين شكري**» للملازم «**فاضل**»: لقد أثبتنا من خلال دعمنا للشعب الفلسطيني أنّنا لسنا أعداء العرب..

الفصل الثاني عشر:

تكريت - المخيّم 16

الاثنين 6 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

قبل الظهـر جمعنا أمتعتنا، وتوجّهنا إلى العنابر [في المخيم 16]. لقـد خرجت اليوم من «**المخيّم الملحق**» إلى الأبد. وفيما كنت أغادر المخيّـم، تمثّلت أمامي ذكرياته الحلـوة والمرّة. وعلى الرغم من أنّني لاقيت أذىً كثيراً في هذا المخيّم إلّا أنّني كنت أشتاق إليه!

عندما دخلت العنبر رقم (2)، سألت «**عليّ أكبر فيض**» عن رفاقي «**غلام رضا كريمي**»، «**عبّاس كلزار بور صادقي**» و«**رضا محمّدي**». كنت في غاية الشوق إليهـم. كان «**رضا محمَّدي**» قد نُقـل مع بعض الأصدقـاء إلى مخيّمات النهروان وبعقوبة، وعـدد آخر نُقل إلى مخيّم تكريـت (19). كما جيء بمجموعة من أسرى المخيّم (5) إلى العنبر رقم (2). وقد فقد العنبر رونقه السابق.

كنـت أشعـر بلـذَّة خاصَّة إلـى جنب «**علـيّ أكبـر فيض**»، و«**حسن خورسند**»، و«**المهندس إبراهيم رستكار مقدّم**». عندما دخلت العنبر، علمـت أنّ رسائلي التي أرسلتها خفيةً إلى «**غلام رضا كريمي**»، و«**رضا محمّدي**»، و«**عليّ أكبر فيض**»، لم تصل إليهم. قلت لعليّ أكبر:

أَوَلم يوصل الدكتور «**مؤيّد**» رسائلي إليك؟!

- لا لم يوصل لي شيئاً!

- ألم يعطك كبسولة مضادّ حيويّ؟

- بلى، أعطاني فأعطيتها للإخوة المرضى، فتناولوها.

ضحكت، كان «**عليّ**» يعلم أنّ الإخوة يضعون الرسائل في كبسولات الدواء. لكنّه كان يظنّ أنّ الكبسولات التي كان يعطيها الدكتور «**مؤيّد**» له ليست رسائل. فالدكتور «**مؤيّد**» كان معاون الطبيب في مستوصف المخيّم. وفتح «**عليّ أكبر**» الكبسولات التي سلّمها إيّاه «**علي جار الله**» وقرأها لمعرفته أنّها رسائل. أمّا كبسولات الدكتور «**مؤيّد**» فقد أعطاها للمرضى!

كان إيداع الرسائل في كبسولات المضادّات الحيويّة من أفضل الطرق وأئمنها. فقد كنّا أوّلاً نفرغ الكبسولة من مسحوق الدواء الموجود داخلها، ومن ثمّ نقصّ الورقة الذهبيّة لعلبة السيجارة بنحو يمكن وضعها في الكبسولة. كنّا نكتب الأمر الذي كنّا نريده، نضعه في الكبسولة ومن ثمّ نغلقها. وكنّا نرسل الكبسولات إلى الإخوة عبر الدكتور «**مؤيّد**»، «**سامي**» أو أيّ حارس تربطنا به علاقة جيّدة.

الثلاثاء 7 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليوم أجاز العراقيّون للأسرى الجرحى بالاستحمام. كنّا قد عانينا شحًّا في المياه في فصل الصيف. خرجتُ برفقة الجرحى من العنبر ووقفنا في الصفّ. أحد الحرّاس الجدد، ولم أكن قد رأيته من قبل، توجّه إلينا نحن الذين نصغر الباقين عمراً، قائلاً:

- أنتم أولاد، لِمَ أتيتم إلى الجبهة؟

تذكّرت كلام «**حسن بهشتي بور**» والمثال الأخير الذي ضربه. فقلت للحارس الجديد:

- لقد ضرب أحد أصدقائي مثالاً، أظنّ أنّه يصلح جواباً لسؤالك. وتابعت: عندما يُجرح مكانٌ ما من جسد الإنسان، تهجم الميكروبات من ذلك المحلّ إلى البدن، فالميكروبات تريد دوماً أن تميت البدن. في هذه الأثناء، تسبح الكريَّات البيضاء في الدمّ، وتكون بمثابة مطلقي قذائف الآر. بي. جي، والقنّاصة في البدن. وتظهر الكريَّات البيضاء تضحية، فمن أجل الدفاع عن سلامة البدن يأكلون الميكروبات ويعدمونهم. وقد أدّينا نحن في هجومكم على بلدنا دور الكريَّات البيضاء. آمل أن أكون قد وُفّقت في بيان المقصود!

سكت الحارس ولم يدرِ ما يقول؛ ودائماً ما كان «**حسن بهشتي بور**» يؤكّد علينا أنّه إذا ما سألكم العراقيّون لِمَ أتيتم إلى الجبهة، أن نطرح موضوع الكريَّات البيضاء. كلام «**بهشتي بور**» هذا، ذكّرني بمحمود آقاسي ومزاح عناصر التخريب في عمليّات «**كربلاء 5**». وقد أستخدم عبارات «**محمود آقاسي**» نفسها في «**الميمونة**» في مقرّ الفيلق الرابع في الجيش العراقيّ. عندما تابع الحارس كلامه، وكان يُدعى «**رافعًا**»، قلت له:

- إنّ عدنان خير الله وزير دفاعكم، يعرفني والتعبويين أمثالي جيّدًا!

وقد كرّرت على مسمعه عبارة «**عدنان خير الله**» الذي قال في جمع من الجنود العراقيّين، بعد فكّ حصار عبادان: «**لو كانت لدينا قوّات كقوّات التعبئة الإيرانيّة لاحتللنا العالم!**» وقد سمعت عبارة عدنان

خير اللّه هذه مرارًا وتكرارًا من «**محمد آقاسي**» نائب مسؤول التخريب في لواء «**الفتح** 48» في كردستان، وذلك قبل أن أصبح عنصر تخريب في الكتائب القتاليّة في عمليّات «**النصر** 4».

عصراً، وقبل أن يعلو صوت صفّارة الإحصاء، رأيت «**كريمًا**» من خلف الأسلاك الشائكة للعنبر رقم (3). وما إن رأيته حتّى تداعت إلى ذاكرتي صنوف ظلمه وخياناته. لقد أذلّ اللّه «**كريمًا**»، وانتهت صلاحيَّته بعد خدماته الجليلة للعراقيّين. فقد شكاه الإخوة الذين ذاقوا الأمرّين منه، السنة الماضية إلى أحد الضبّاط الكبار حين جاء لتفقّد المخيّم. احترم الضابطُ العراقيّ الذي كان نافذًا ومنطقيًّا، طَلَبَ الأسرى وأمر بتجريد «**كريم**» من مسؤوليّته وإبعاده إلى مكان آخر. فنفّذ النقيب «**خليل**» الأوامر العليا رغماً عن إرادته.

عصر اليوم، شاهدت ذلّه وسوء حاله. وعلى الرغم من الإهانات والخيانات التي لقيتها منه، رقّ قلبي لحاله حين رأيته يمشي وحيداً في فناء العنبر خلف الأسلاك الشائكة. وقد أصبح وحيدًا جدًّا ومنزوياً، ناديته قائلاً:

- «**كريم**»! لقد سامحتك، ولكن تعالَ وتب من الأعمال السيّئة التي اقترفتها، واطلب المسامحة من الإخوة الذين ظلمتهم!

خجل «**كريم**» من النظر إليّ، ولم يجبني. قال الإخوة في العنبر (3) إنّ «**كريمًا**» ندم على أعماله السابقة[1].

(1) رأيته بعد سنوات، في شارع نادري في الأهواز. ناديته، فتوقّف. تعجّب من رؤيتي. كان منزعجًا من كونه قد وُضع على اللائحة الحمراء؛ لم يُسرّ لرؤيتي. عندما قلت له: كريم! كم علبة سجائر أشتري لك، انزعج وتركني دون ان يودّعني، ومن حينها لم أرَه.

الثلاثاء 14 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

الفرق بين السجين العاديّ وبين أسير الحرب هو أنّ السجين العاديّ يعلم حجم محكوميّته ومدّتها، أمّا أسير الحرب فلا. وعلى حدّ تعبير «**غلام رضا كريمي**»، إنّنا مثل مرضى السرطان، لا نعلم متى تحين نهاية موتنا.

كان العراقيّون قد أبلغونا أنّه في تمام التاسعة صباحًا سيعلن التلفزيون العراقيّ نبأً مهمًّا. لم أكترث. قلت للإخوة: إنّ خبرهم المهمّ حتماً سيكون احتلال السعوديّة بعد احتلال الكويت! اجتمع الإخوة أمام التلفاز. تسمّرت في مكاني حين سمعتُ الخبر. كنت أرى الحيرة في عيون الإخوة. حقيقةً، ظننت هذه المرّة أنّي كنت أحلم. فهناك حادثتان في حياتي لم أكن أصدّقهما. الأولى وقوعي في الأسر، والثانية هذا الخبر. قال «**عبّاس بهنام**» فيما كان يضحك ويذرف الدموع: سيّد! بالنهاية، تحرّرنا! كنت أظنّ أنّنا سنقضي عدّة سنوات أخرى في ضيافة العراق. كان مذيع التلفزيون يقرأ رسالة[1] صدّام التي وجّهها للرئيس هاشمي رفسنجاني، وعندما قرأ البند الرابع من الرسالة، الذي يقضي بتبادل أسرى الحرب، ساد حال من الاضطراب

(1) البند الرابع من رسالة صدّام حسين في 23 مرداد 1369هـ.ش، المصادف في 23 محرّم من العام 1411هـ.ق، والموافق لـ 14 آب 1990م، يتوجّه إلى الشيخ هاشمي رفسنجاني رئيس جمهوريّة إيران حينها: «... **المبادلة الفوريّة والشاملة لأسرى الحرب، لكل الأسرى الذين يمضون فترة أسرهم في إيران والعراق، وهذا يتمّ عن طريق الحدود الأرضيّة وعن طريق خانقين. قصر شيرين، والطرق الأخرى التي يتمّ التوافق عليها. وسنكون نحن المبادرين إلى هذا العمل العظيم، وسنبدأ بتنفيذ هذه المبادرة انطلاقًا من يوم الجمعة 17 آب 1990م. الأخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني، رئيس جمهوريّة إيران! من خلال هذا العزم، أصبح كلّ شيء واضحًا، وبهذا، يتحقّق كلّ ما طلبتموه، وكلّ ما أكّدتم عليه، ولم يبقَ من عمل أمامنا سوى تبادل الوثائق...**»

صفـوف الإخوة. انفجـروا بالبكاء، وقلّمـا كنت ترى شخصـاً لا يبكي فرحًـا. وكأنّها ولادة جديـدة. كان ذلك من أكثر الأخبـار السارّة التي سمعتهـا في حياتـي. الخبر الـذي طالمـا تمنّيت سماعـه. كان بعض الحرّاسـ مسروراً. والبعضـ الآخر لم يكن كذلـك. أدّى الإخوة صلاة الشكـر. والعراقيّون أنفسهم كانوا مصدومين. فقد خضع نظام البعث العراقيّ لشروطنا المحقّة. وكان صدّام في أيلول من العام 1980 قد كتب ملاحظـة إلى دولة إيران، بأنّ بغـداد لا تعترف بإتّفاقيّة الجزائر للعام 1975م. وكان في 7 أيلول من العام 1980 قد مزّق في البرلمان العراقيّ، أمـام النوّاب، والمراسلين، ووسائل الاعلام، وبـكلّ تكبّر وغرور، نصّ اتّفاقيّة الجزائر للعـام 1975م، حول الحدود وحسن الجوار، وقال: إنّه لا يعتـرف بهذه الاتّفاقيّـة! أراد أن يسقط النظـام الاسلاميّ، ليصبح هو شرطـيّ المنطقة، وقائد العالم العربيّ بعد «**جمال عبد الناصر**». لقد سلبت قيادة الإمام الخمينيّ(ره)، ووحدة الشعب ووعيه، وحضوره فـي الأوان والوقت المناسب، في ساحات الدفاع المختلفة عن الوطن، ودمـاء الشهداء، وجهاد المجاهدين، وإيثـار الجرحى وصبر الأسرى واستقامتهـم، النـوم من عينـي صدّام وأسيـاده، وأجبرتـه على قبول شروط إيران المحقّة.

آخر الليل، أراد عدد من الإخوة الانتقام من الجواسيس والمنافقين. كانـوا يريـدون قتل بعضهم. فقد كان جرم بعضهـم كبيرًا، ولم يتركوا مكانًـا للرحمـة والعفو. لكنّ وساطة بعض كبـار المخيّم جعلت الإخوة يتراجعون.

الخميس 16 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

لم يكن «**عطيّة**»، والذي لم يكن أيضًا إنسانًا سويًّا، مسرورًا لمبادلة أسرى البلديـن. فقد قال للإخوة: لا تفرحوا كثيراً، لا مكان للسرور ما لم تطأ أقدامكم تراب بلدكم؛ فمن الممكن لصدّام أن يتراجع في كلّ لحظة، وتبقون في العراق ضيوفًا على سياطنا!

وعلـى الرغم مـن أنّ عطيّة لم يستطع أن يتعامـل معنا بقساوة كما في السابق، فإنّـه لم يكن يستطيع إخفاء ما بداخله، وإنّ تجارته كانت ستكسد إذا ما تحرّرنا؛ لذا قال:

– أنتم مفقودو الأثر، غير مشمولين برسالة صدّام هذه!

ولكي أثير غضبه قلت:

– إنّني لم آتِ إلى هنا بنفسي لأذهب بنفسي، فـ«**من جاء بي يردّني إلـى وطني**»! أنتم أتيتم بنا إلى هنا، وأنتم تردّوننا. انزعج من كلامي، ولكنّـه تركني وشأني. وقال للسيّـد «**محمد شفاعت**» «**منش**»: أَمسرور أنت لأنّك ذاهب إلى إيران؟ أجاب السيّد «**محمّد**»:

– نحن الثلاثين أو الأربعين ألف أسيرٍ إيرانيٍّ، مستعدّون للبقاء في العراق، حتّى نثبت حقّ ثلاثين أو أربعين مليون إيرانيٍّ في الحرب التي بدأتموها علينا. فـ«**عطيّة**» الذي كان يعلم سرعة بديهة السيّد «**محمّد شفاعت**»، قال بعد أن سبّه وشتمه:

– هؤلاء هم معوّقونهم، فأيّة حيوانات هم أولئك السالمون منهم!

قلت «**لعطيّه**»: سيّدي! بالنهاية ذاب الثلج وبان المرج. نحن ذاهبون إلـى إيران، ولكن بـزادٍ من الذكريات المرّة! يا حبـذا لو تركنا العراق بذكريات جيّدة، وذكرناكم بالحسنى دوماً.

اليـوم، أمر المـلازم «**عبّاس**» القائـد الجديد للمخيّـم، الحرّاس رسميّـاً بتنحية السياط جانبـاً. فلم يَعُدْ مسموحـاً للحرّاس باستعمال السياط والهراوات. لم يرد العراقيّون أن تظهر آثار السياط والهراوات علـى أجساد الأسرى الإيرانيِّين حين يعودون إلـى وطنهم، أو أن تركّز كاميرات المصوّرين على أبدانهم المزرقّة.

بعـد الظهر، جاء «**سلـوان**» إليّ معتـذرًا. كان يـودّ أن يعلم إن كنت سامحته من صميم القلب أم لا؟ قلت له: «**سلوان**»، إذا كنت مهتمًّا إلى هـذا الحدّ بمعرفة، إذا ما سامحك أسير مثلي من صميم القلب أم لا، فلماذا لم تُحسن معاملته؟!

كان «**سلـوان**» يعانـي عذاب الضمير. طلـب المسامحة من الإخوة. وقد سامحته من صميم القلب، أمّا «**وليد**» فلا. مع أنّه ضربني مراراً، فإنّـه ساعدني مرّات عـدّة. خاصّة عندما أرقت «**اليخنـة**» على صورة صـدّام في الصفحة الأولـى من الجريدة. حينها قـال لـ«**ماجد**»: دعه وشأنـه! قـال «**ماجد**»، بتبجّـح وغرور، لـ«**محمـد كاظم بابايـي**» الذي كان واقفًـا إلى جانبي: لقد آذيتك، لم تكن باليد حيلة. نحن هنا نؤدّي عملنا. أجابه «**محمّد كاظم بابايي**»:

– سيّـدي! لا عليـك. فلسعة العقرب ليست من بـاب العداوة بل هي مقتضى طبيعتها.

عندما كنت أذكر تصرّفات «**عطيّة**» كانت تأخذني الضحكة. كثيرًا مـا حدث وناداني عطيّة قائـلاً: ها «**ناصر سليمـان**»، أنا غاضب منك كثيـرًا، أنت حرسـ الخمينيّ! كنـت أقول: والآن مـاذا تريد مني؟ كان يدني حذاءه العسكريّ من فمي ويقول: عضّ حذائي!

كان في الفترات السابقة، عندما كنت أحدّق فيه كثيرًا، يقول: ماذا؟ فأقول: لا شيء، أنت بالنسبة إليّ عسل لا يمكن أكله! كان «**عطيّة**» مشوّش الفكر. وقد عانى الإخوة الأمرّين بسبب حَوَلٍ في عينيه. وقد عانينا منه مراراً. كان ينادي أسيرًا وينظر إلى شخص آخر! لهذا، ولأنّ عطيّة كان لا ينظر إلى الشخص المطلوب حين مناداته، غالباً ما كان يحضر الشخص الآخر الذي ينظر إليه، وكان «**عطيّة**» ينزل البلاء فوق رأس الأسير المسكين. كان يضربه ويقول:

- أنا لم أناديك! أو كان على العكس، يضرب الشخص الذي ناداه قائلاً له: «**قشمار**»![1] لماذا لم تأت حين ناديتك؟

السبت 18 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

اليوم، الذكرى السنويّة لفاجعة «**ده بزرك**»[2]. بالأمس، عادت مجموعة من الأسرى إلى إيران. كان يوم 27 مرداد (18 آب) من كلّ سنة يومًا مرًّا بالنسبة إليّ.

فقبل عشر سنوات وقعت فاجعة «**ده بزرك**». الفاجعة التي هدّت حيلي. وفي مثل هذا اليوم من كلّ عام كانت تلك الفاجعة تعذّبني. وكأنّه قُضي لي في هذا العام، أن لا أفكّر اليوم بهذه الفاجعة كثيرًا. وقد شاهدتُ لطفَ اللّهِ في هذا اليوم. وشاء اللّه أن يسرّني هذا العام من خلال الرسالة التي أرسلها صدّام والإعلان الرسمي عن إطلاق سراح أسرى الحرب، لتصبح الأيّام الأخيرة من شهر مرداد (آب)

(1) أي: الأحمق.

(2) «**ده بزرك**» قرية الأسير ومسقط رأسه.

أفضل أيّام حياتي بعد أن كانت أسوأها. لقد أراد الله قبل يوم من الذكرى السنويّة لهذه الحادثة الأليمة أن يسرّني بإطلاق سراح أوّل مجموعة من الأسرى الإيرانيِّين وعودتهم إلى إيران، حتّى لا أفكّر بهذا اليوم، أو أقلّل من التفكير فيه. وقد أحسست بهذا اللطف الإلهيّ، بكلّ وجودي. ومن شدّة فرحي حاولت أن لا أفكّر بفاجعة «**ده بزرك**»[1]. كنت مسروراً لكوني سأتخلّص من سجن تكريت وشرّ «**وليد**».

الاثنين 20 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

دخل الملازم «**عبّاس**» المسؤول عن المخيّم مع ضابط قسم التوجيه السياسيّ. طلب من الأسرى التجمّع في فناء المخيَّم. وما إن تجمّع الأسرى حتّى بدأ بإلقاء خطابه. كان حديثه مدروسًا. لم أكن أعلم لِمَ يقول هذه الكلمات. وقد طلب المسؤول عن المخيّم من الأسرى أن لا يتكلّموا بشيء ممّا حدث معهم في معسكرات الاعتقال العراقيّة. وقال: لا تجرّعوا عائلاتكم المرارة من خلال الكلام عن ذكريات الأسر. وبدل أن تخبروا أهليكم وأصدقاءكم بما جرى معكم في الأسر، تزوّجوا، فكّروا في بناء حياتكم. افرحوا، ففي النهاية ما مضى قد مضى. عليكم أن تنسوا الماضي وتودّعوه في مطاوي التاريخ. فذكريات الحرب حلوها مرّ. وذكريات الحرب مرّة، وتجعل الحياة مريرة!

ختم الملازم عباس حديثه بهذه الكلمات: ادفنوا ذكرياتكم المريرة عن فترة الاعتقال هنا، وارجعوا إلى أوطانكم!

كان هذا الأمر أصعب عليّ من البقيّة. لا زلت إلى الآن أُسجّل حودات

(1) الأنفجار الذي أودى بحياة والدته وعدد من أفراد عائلته (القصّة كاملة في الملحق رقم681).

ذكريات الأسر ورموزها التي لا تُنسى. وقد عزمت في حال تحرّري على كتابة ذكرياتي، لتبقى. ثم أكمل ضابط قسم التوجيه السياسيّ قائلاً: نحن إخوة، وقد فرض الأميركيّون هذه الحرب علينا فرضاً. وقد دفعنا أثمانًا باهظةً!

الثلاثاء 21 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

أدّى كاريكاتور أحد الأسرى، على الرغم من أوامر الملازم عبّاس للعراقيّين القاضية بعدم استخدام السياط، وذلك بعد الرسالة التي أرسلها صدّام إلى الشيخ هاشمي رفسنجاني، واعترف فيها رسميًّا باتفاقيّة الجزائر للعام 1975م، إلى استعمال العنف والسياط مجدّدًا في العنبر. قال «**علي سعادتي**»: إنّ الكاريكاتور هو من أفعال «**مسعود شفاعت**»، وقد رُسم على ورق كيس أسمنت، ممّا أثار غضب الحرّاس. وكان من حقّهم أن يغضبوا.

في الجهة اليسرى من الكاريكاتور، رُسم صورة لصدّام مستندًا إلى مدفعيّة بعيدة المدى وخلفه الرئيسان الأميركيّ والسوفياتيّ، ورؤساء بعض الدول العربيّة، كالملك فهد وحسني مبارك والملك حسين (**ملك الأردن**)، وهو يمزّق نصّ إتّفاقيّة الجزائر للعام 1975م. وقد كُتب تحت رسم صدّام: العام 1980، لا أقبل باتفاقيّة الجزائر للعام 1975م. سوف أسترجع خوزستان وشطّ العرب من إيران في ظرف ثلاثة أيّام. في الجهة اليمنى، رُسم كاريكاتور للشيخ هاشمي رفسنجاني وهو متّكىء إلى كنبة، ومادًّا يده إلى الإمام، فيما صدّام يقبّل يده، ويحمل نصّ إتّفاقيّة الجزائر باليد الأخرى. وقد كُتب أسفل هذا الكاريكاتور:

1990، بعـد 10 سنوات. سيّد رفسنجانـي! سامحني، لقد ارتكبت خطأً في العـام 1980، ارتكبت حماقـة، كنت مغرورًا وجاهـلًا، حيث مزّقت هـذه الاتفاقيّة. لقـد خدعني ريغن. والاتفاقيّة كانـت جيّدة جدًّا، أقبل بهـا، وهي تعجبني، وها إنّي أوقّعها من جديـد، وأقدّمها لكم مع تقبيل الأيادي!

لا أعلـم مَنْ من الجواسيس والخونة قد أوصل خبر الكاريكاتور إلى العراقيّيـن. جاء العراقيّـون إلى «**مسعود**»، فتّشـوا أمتعته الشخصيّة، فوجدوا الكاريكاتـور بين طيّات بطّانيّته. طلب «**سعد**» من المترجم أن يترجـم عبـارات الكاريكاتور بحذافيرها ومن دون زيـادة ولا نقصان. فترجـم «**فاضـل**» العبـارات السفليّـة للكاريكاتور وهـو يرتجف خوفًا. اشتعـل العراقيّون غيظًـا، وغضب «**سعـد**» غضبًا شديـدًا فانهال على «**مسعود**» ضربًا بالسياط.

كان ضـرب «**مسعود شفاعت**» وشتمهم لـه الذكرى الأخيرة لي عن سياط العراقيّين وضربهم.

السبت 25 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

كان «**حكيـم خلفيـان**» بالقـرب من مدخل العنبـر ويترجم صحيفة القادسيّـة للإخوة. وكان احتلال الكويت هـو الخبر الساخن للصحف العراقيّة. كنت أحبّ ان أعلم ماذا يجري في الكويت منذ الثاني من آب للعـام 1990م، عندما احتلها العراقيّـون. طلبت من «**حكيم**» أن يترجم لـي مقالة الدكتور «**عبـد الرحمن عبـد الكريم العانـي**» رئيس جامعة الأنبـار فـي الرمـادي. فكثيراً ما كتب مقـالات أثنى فيهـا على صدّام

وأفكاره التوسّعيّة. وقد نشرت الصحف العراقيّة اليوم، أخباراً عن إطلاق أسماء جديدة على بعض الأماكن في الكويت، وفي الحقيقة تغيير أسمائها. وعلى ما أذكر، استبدل اسم بندر الشيوخ ببندر الرشيد، ومسجد الدولة باسم مسجد صدّام، وثانويّة عبد الله السالم بثانويّة صدّام. وقد ذكّرني هذا التغيير، بتغيير اسم خرمشهر في فترة الحرب المفروضة إلى المحمّرة، وسوسنكرد إلى الخفّانيّة، والأهواز إلى الناصريّة.

الاثنين 27 آب 1990 ـ تكريت ـ المخيّم 16

قبل الظهر جُمع الجرحى في فناء المخيّم. قال الحرّاس: لقد تقرّر الإفراج عن المعوّقين قبل الآخرين. كنت مسرورًا. ودّعت رفاقي. قبل أن استقلّ الحافلة، حدّقت للمرّة الأخيرة في فناء المخيّم. تمثّلتْ أمامي جميع ذكرياتي. وعلى الرغم من المعاناة الكثيرة التي عانيتها، كان لدي تعلّق خاصّ بالمخيّم (16) والمخيّم الملحق. انقبضت أحوالي. فقد اعتدت على بابه وجدرانه وأرضه الترابيّة. كنت أعلم أنّي إذا ما انفصلتُ عن الأسرى، فلن أرى الكثير منهم ثانيةً. أراد العراقيّون أن يفصلوا الأسرى الجرحى عن الأسرى الأصحّاء، حتّى لا تتمّ مساءلتهم من قبل الرأي العامّ. لم يكونوا يريدون لوسائل الاعلام العالميّة أن تعرض صور الأسرى المقطوعي الأطراف (المعوقين) في مخيّمات تكريت السرّيّة إلى جانب الأسرى الأصحّاء.

كنتُ قد خبّأتُ أسماء أكثر من 400 أسير في ماسورة عصاي. والأسرى الذين عزمتُ على تسليم أسمائهم ومواصفاتهم إلى الهلال

الأحمر في حال تحرّري، تمّ إطلاق سراحهم قبلي.

طلب عددٌ من الحرّاس المسامحة من الإخوة. وقد ودّعنا «**سامي**» و«**علي جار الله**» والدكتور «**مؤيّد**» بالدموع. وقد قدّمتُ إحدى أفضل مطرّزاتي للدكتور «**مؤيّد**» كذكرى. من بين الحرّاس، كان «**وليد**» الحارس الوحيد الذي لم يسعَ إلى انتزاع الغلّ من قلبي بسبب كل الأذى الذي سبّبه لي، ولم يشأ ذلك على الإطلاق. عبرت الحافلة بوّابة قاعدة صلاح الدين. وفيما كنت أخرج من تكريت، حملتني ذاكرتي إلى ما قبل سنتين خلتا، حيث كانوا ينقلوننا إلى المخيم سالكين الطريق نفسه. في جنوب تكريت، انهمرت دموعي لرؤية قبّة مقام الإمامين عليّ الهادي والحسن العسكريّ عليهما السلام.

الفصل الثالث عشر:

الرمادي ـ مستشفى 17 تمّوز

الاثنين 27 آب 1990. الرمادي ـ مستشفى 17 تمّوز

عنـد الغـروب دخلـت الحافلة التي تقـلّ الجرحـى «**مستشفى 17 تمّوز**». وتقـع هـذه المستشفـى فـي «**الحبّانيّـة**»، إحـدى «**ضواحي الرمـادي**» مركـز «**محافظـة الأنبـار**» العراقيّـة. حيـن سمعت اسم الأنبـار تذكّـرت «**حامداً**»، اللـواء «**صـلاح القاضي**»، والحـاجّ «**سعد الله**» والخطبـة (27) من نهج البلاغة للإمـام علي عليه السلام. نُقلنا إلى قاعة كبيرة في ركن من أركان المستشفى. حين دخلت القاعة وجدت عددًا من الأسرى الجرحى والمعوّقين الذين جاءوا بهم من مخيّمات تكريت الأخرى.

كنّا جائعين وظمـأى. لم تكن معاملة حرّاس المستشفى سيّئة. كان يوجـد تلفاز في المركـز الصحيّ. بقـي الإخوة مستيقظيـن إلى وقت متأخّر مـن الليل. آخر الليل، أعدّ «**جعفر دولتي مقـدّم**» نصّ خطابه. وكان يقـول: عندما يُطلق سراحي، سوف ألقي خطابًا في أبناء مدينتي قبل خطبتي صلاة الجمعة في «**زابل**»!

وقال جعفر الذي كان يتحلّى بالروح الثوريّة واللطف. سأخبر أهالي زابل ماذا حدث في شلمجة... سأخبرهم أنّ روح «**قاسم مير حسيني**»

مــن أبناء زاهدان راضيــة، سأقول لهم: «**إنّ إيران مـن دون الخمينيّ هي كسجن بالنسبة لنا. ليت الإمام كان حيًّا حين عودتنا!**»

صمَّمـت حينما يطلق سراحي أن أذهـب إلى أحد مساجد المدينة، وأخبر الناس بما جرى لنا في مخيّمات العراق السرّيّة.

الأربعاء 29 آب 1990 ـ الرمادي ـ مستشفى 17 تمّوز

صبـاح اليـوم دخل ضابط عراقـيّ برتبة ملازم المركـزَ الصحيّ، وبعد أن أخـذ المعطيات الشخصيّة لكل منّا، قـال: اليومَ وغداً سيأتي الصليـب الأحمر إلى هنا، ليس مسموحًا لكـم أن تقولوا أنّنا كنّا نعيش في تكريت مع الأسرى الأصحّاء. قلت:

- وأين نقول أنّنا كنّا نعيش؟
- قولوا أنّكم كنتم تعيشون في هذه المستشفى!

قال «**محمد كاظم بابايي**»: سيّدي! إنّ حبل الكذب قصير!

الخميس 30 آب 1990 ـ الرمادي ـ مستشفى 17 تمّوز

نُقل اليوم عدد من الجنود العراقيّين الذين جُرحوا في حربهم على الكويـت، إلى مستشفـى 17 تمّوز! كان حارس قسمنـا ويدعى «**شعبان**» يقـول: «**لقد جُرح هـؤلاء في منطقـة الجابريّة في الكويـت**». عصرًا شاهـدت الخارطة الجديدة للكويت التـي ضُمّت إلى العراق كمحافظة جديدة، في صحيفة الثورة. في هذه الخارطة كانت الكويت المحافظة التاسعـة عشـرة للعراق، أمّـا الأقســام الشماليّة للكويـت والتي تشمل «**وربة**» و«**بوبيان**»، فقد أُلحقت بمحافظة البصرة.

قلـت لـ«**شعبـان**» حارس القسـم: «**الظاهـر أنّ الشبـاب الكويتـيّ**

ما إن رأوا هذه الخارطة، حتى شكّلوا مجموعات مقاومة وقاموا بمحاربتكم».

كنّا نعدّ اللحظات حتّى نتحرّر. كانت الساعات والأيّام تمضي ببطء. لم يكن هناك أصعب من الأيّام التي أُخبرنا فيها عن قرب موعد تحرّرنا. كان العراقيّون يتردّدون في تحريرنا بين اليوم والغد. كان يُطلق يوميًّا حوالى الألف أسير من البلدين. قبل الظهر، جاء أحد الأسرى العراقيّين الذين أُطلق سراحهم قبل حوالَي 12 يومًا من إيران، إلى المستشفى. كان يجيد الفارسيّة، لكنّه يواجه صعوبة في التلفّظ ببعض الكلمات. وكان يُدعى «**أمجد**». كان «**أمجد**» متوسّط القامة، أسمر البشرة. وقد ظهر على محيّاه أنّه كان يمضي أوقاتاً جيّدةً في إيران. كان يرتدي بزّة رسميّة كحليّة اللون، كان الإيرانيُّون قد أعطوه إيّاها حين تبادل الأسرى. في الليل كنّا نشاهد عمليّات تبادل أسرى البلدين على شاشة التلفزيون العراقيّ. فكان الأسرى العراقيّون يرتدون بدلةً رسميّة وقميصاً شيّكًا، فيما كان الأسرى الإيرانيُّون يرتدون ملابس عسكريّة قصيرة الأكمام، قد أكلها الغبار جرّاء خزنها في المخازن!

يبدو أنّ «**أمجدَ**» كان يعمل في هذه المستشفى قبل الأسر، وقد أتى ليتفقّد محلّ عمله السابق. وما إن دخل المستشفى حتَّى قال له زملاؤه: يوجد عدد من الأسرى الإيرانيِّين المعوّقين هنا!

جاء إلينا. عندما أخبرنا إنّه كان أسيرًا في إيران، استشممت رائحة إيران. قال «**أمجد**»: حين علمتُ أنّ عددًا من الأسرى الإيرانيِّين هنا، قلت في نفسي: «**آتي إليكم وأطلعكم على أخبار إيران**». وقبل

أن يحدّثنا عن إيران، حدّثنا عن «**مستشفى 17 تمّوز**». كأن عددًا من رفاقه القدامى، الذين عمل معهم منذ أيلول من العام 1980م، قد قُتلوا. وبعضهم تقاعد، والبعض الآخر تمّ نقله إلى مستشفيات ومراكز صحّيّة أخرى تابعة للجيش، أمّا الباقون منهم في هذه المستشفى فلم يتجاوز عددهم أصابع اليد. كان كلّ واحد يسأله سؤالاً، فكلّ منّا كان متعطّشًا لسماع أخبار إيران.

وقع «**أمجد**» في الأسر أثناء عمليّات تحرير خرّمشهر. وكان حينها يخدم في المركز الصحيّ للّواء الثالث المدرّع. وقد أخبرنا أنّ عدداً من العاملين في «**مستشفى 17 تموز**» قد أُرسلوا في بداية الحرب إلى الخطوط الإماميّة، فيما أُرسل هو إلى «**اللواء المدرّع 44**». كان يظهر محبّةً للإمام الخمينيّ ولقائد الثورة الإمام الخامنئيّ. أحبّ الحاجّ «**حسين شكري**» والسيّد «**محمد شفاعت**» أن يتحدّث أكثر عن إيران. فقد كان يعرف أسماء معظم المسؤولين الإيرانيِّين. وكان يعرف مراسلاً يُدعى السيّد «**سرهنكي**»[1]، لكنّه لا يعرف الأسم الأوّل له. والظاهر أنّ هذا المراسل قد ذهب ومجموعة من زملائه إلى مخيّمهم.

وقال: إنّ العراقيّين (الأسرى) قد أطلعوا هذا المراسل على كلّ شيء!

نظر حوله. ولمّا لم يرَ العراقيّين، قال: إنّنا ظلمناكم كثيراً أنتم الإيرانيِّين في خرّمشهر. وقد اعترف أسرانا في المخيّم لمراسلكم

(1) لم أكن حينها أعرف هذا المراسل. بعد أن تحرّرت علمت أنّ مقصود الأسير العراقيّ كان «**مرتضى سرهنكي**». وهو الآن مدير مكتب أدب وفنّ المقاومة، وقد ألّف كتبًا حول الدفاع المقدّس، من بينها «**أجزاء ممّا حدث**»، الذكريات الطريفة للأسرى العراقيّين وهي تستحق القراءة وأخذ العبرة منها. وعلى الرغم من ذكرياتي الكثيرة عن العراقيّين، فإنّ هذه الكتب كانت بالنسبة لي جميلة وممتعة.

بالكثيـر مـن جرائم الحـرب التـي ارتكبهـا العراقيّون فـي خرّمشهر والهويزة وسوسنكرد.

قـال «**أمجـد**»: كنت أعمل فـي القسم الصحـيّ. فحوصرت ووقعت بعدهـا في الأسر. حمدًا لله أنّني لم أشارك في جرائم العراقيّين. ولم أقل شيئًا في المخيّم، لكنّ أصدقائي قالوا كلّ شيء من دون خوف.

وتابـع: «**بعـد أن أُطلـق سراحنـا بعـدّة أيّـام. كشـف البعثيّـون الأشخاص الذين تكلّمـوا، وقد حُوّل الذين تكلّموا إلى المراسل إلى قسـم الاستخبارات... في الأيّام التي كنّا فيها في المستشفى، هدّدنا ضابط الأمن والمعلومات أن لا نخبر أحدًا الآن بإطلاق سراحهم**».

سألت: ما سيُفعل بهم؟

قـال: الله أعلـم! وتابع: قال ضابـط المخابرات، إن جـاء أهاليهم إليكم وسألوكم عنهم، تظاهروا أنّكم لا تعلمون شيئًا!

بعدها سمعـت أنّ صدّام قال: إنّ له حساب مـع الأسرى العراقيّين الذيـن أجروا مقابلات مـع المراسلين، وأراقوا مـاء وجه العراق أمام الإيرانيِّين المجوس! قلت: أَوَلم يندموا لكونهم قالوا الحقيقة للمراسل الإيرانيّ؛ أَوَلم يقولوا ليتنا لم نقل شيئاً، لكنّا ذهبنا الآن إلى بيوتنا ولما علقنا في أيدي المخابرات؟!

سكـت برهةً وأطلق تنهيدة من أعماق القلب وقال: لقد اتّضحت لنا في هذه السنوات التي قضيناها في إيران أمور كثيرة. لم يندم أسرانا على قولهم الحقيقة في إيران، فقد يُقتل الإنسان بسبب قوله الحقيقة، أو يُسجـن، أو يُضـرب، هكذا تجري الأمور في العراق، وكثيرًا ما حدث مثل هذا الأمر في تاريخ العراق!

كأنّني كنت أتحدّث إلى أسير إيرانيّ. لقد استحلفنا بالله، أن لا نخبر أحدًا بما قاله لنا، في هذه الأيّام المتبقّية لنا في العراق، وخاصّة طاقم المستشفى، الذي كان بعضهم من زملائه. كان «**أمجد**» يعتبر الإيرانيِّين أناساً صادقين وحافظين للسرّ. وقد وثق بنا.

قال «**أمجد**»: أقول لكم هذه الكلمات؛ لأنّكم إيرانيوّن. لو كنتم عراقيّين لم وثقت بكم!

وكما قال، الظاهر أنّ جهاز الاستخبارات كان يفتش في المستشفى عن الأسرى الذين كانوا قد أطلقوا شعارات ضدّ صدّام في المظاهرات الشاملة للأسرى العراقيّين في شوارع طهران في العام 1983م. وقد تعرّف العراقيّون حينها من خلال الفيلم المصوّر عن التظاهرات، على بعض الأسرى العراقيّيين وأخذوهم إلى مقرّ جهاز الاستخبارات. وقال «**أمجد**»: عندما دخلنا العراق، قال الضبّاط العراقيّون: لقد أهرق البعض منكم ماء وجه العراق والرئيس القائد. وقد فتّش البعثيّون أيضًا عن الأسرى العراقيّين الذين شاركوا في تلك السنوات في صلاة جمعة طهران.

وفيما كان يتكلّم لم يستطع تمالك نفسه عن البكاء. وعندما سألته عن وضع الأسرى العراقيّين في إيران، قال: أستشمّ فيكم رائحة إيران، لقد اشتقت إلى إيران. الآن وأنا في العراق، أعرف قيمة إيران أكثر!

الاثنين 3 أيلول 1990 ـ الرمادي ـ مستشفى 17 تمّوز

قبل الظهر، أحضروا عدداً من جرحى مخيّمات تكريت الأخرى. وقد وقع نظري على «**لطيف دهقان**». فسُرِرْتُ جدّاً. ذهبت إليه،

احتضنتــه، وقبّلته عوضًا عن السنتين اللتين لــم أره فيهما. لم أصدّق أنّي سأراه. لم أنسَ نصائحه الشفوقة في مستشفى الرشيد في بغداد. وقد ترجم لطيف لي كلاماً لصدّام: (نحن مستعدّون للحرب مع إيران، العراق مستعدّ لخوض كلّ أنواع الحروب من أجل الدفاع عن حاكميّته وشرفه).

كانت هــذه الجملة العنــوان الرئيســيّ لصحيفــة القادسيّة. العدد العائد منها إلى سنوات خلت. وقد وضعه العراقيّون على زجاج النافذة منعًــا لدخول نور الشمس. وقــد دوّنت عبارة صدّام تلــك، العائدة إلى شهر نيسان من العام 1980م. تذكّرت عبارة كانت قد كُتبت على جدار قاعــدة في «**الميمونــة**»، تابعة للفيلق العراقيّ الرابــع: (من يقاتل من أجل شرفه يستحقّ المجد والعظمة).

عندما ترجم لطيف هذه العبارة بالفارسيّة، قلتُ:

- لطيــف، إنّنا في طريقنــا إلى التحرّر، قل لهــؤلاء العراقيّين: من اعتدى على شرفكم وحاكميّتكم حتى يقول صدّام هذا الكلام؟!

- سيّد، لا تكن فضوليًّا ومغامرًا مثلما كنت في مستشفى «**الرشيد**»، بــالله عليك، دعك من هذا الأمر. لا تُحدِث أيّــة مشكلة في هذه الأيّام المتبقيّة لنا لننال حرّيتنا. دعنا نتحرّر، ونتخلّص من شرّهم!

من بيــن حرّاس المستشفى، أصبح «**أنور عــلاّوي**» رفيقًا لنا. أحبّ أن يــزور إيــران. وقد دوّن عناويــن اثنين أو ثلاثة منّــا. كان من أهالي الكوت. وكان يقــول: ابن عمّي طيّار، وقد قصف مرارًا مدينتي الأهواز ودزفــول، وأن ابن عمّة فَقَدَ زوجته وابنــه في حادثة سير مروّعة. وكان ذلــك فــي العام 1986م. وقــال إنّ ابن عمّــه سمير كان يقــول بعد تلك

الحادثة: إنّ هذه الحادثة هي انتقام اللّه، وقد أقرّ أنّه أراق دماء الكثير من الخوزستانيّين المدنيّين والأبرياء.

ليلاً، تجمّعنا أمام التلفاز، وشاهدنا بثّ التلفزيون العراقيّ لعمليّة تبادل أسرى البلدين. وكان العراقيّون يستخدمون تلفزيون المركز الصحيّ الخاصّ بنا، تمامًا كما كان يُفعل في المخيّم الملحق. عندما عرض التلفزيون صوراً للأسرى العراقيّين، لم يبدُ السرور على العراقيّين. لم يستطيعوا إخفاء مكنونات قلوبهم عنّا. قال أحدهم:

- لقد جعل الإيرانيُّون من الأسرى العراقيّين البلطجيّة رجالَ دين!

ولقد عبّر صدّام عن الأسرى العراقيّين كقنابل نوويّة. كان الأسرى العراقيّون جميعاً يرتدون القمصان البيضاء ذات الياقة المرتفعة (الخاصَّة برجال الدين)، وبعضهم كان يغلق الزرّ الأخير (الملاصق للرقبة) من قميصه. انزعج الحرّاس العراقيّون من طرز لباسهم هذا. كانوا يعلمون أنّ الإيرانيِّين قد اعتنوا جيّدًا بالأسرى العراقيّين ولم يقصّروا في حقّهم أبدًا.

قلت لأحد الحرّاس: حمدًا للّه أننا كنّا على هذا القدر من الحقّ، بحيث تمكّنّا من تغيير آراء أسراكم، ولكنّكم و«**منظّمة مجاهدي خلق**» لم تستطيعوا أن تغيّروا آراءنا.

وقال محمد كاظم: يكفي أنّا أثبتنا لأسراكم أنّنا مسلمون، ولسنا من آكلي لحوم البشر، وأن ليس لحرس الثورة الايرانيّة قرون، وهذا كثير بالنسبة لنا!

الفصل الرابع عشر:

الرمادي ـ المخيّم 13

السبت 8 أيلول 1990 ـ الرمادي ـ المخيّم 13

بعد ظهر اليوم، نُقلنا إلى مخيّم الرمادي (13). وكان قد أُطلق سراح الأسرى الموجودين فيه قبل أسبوع أو أسبوعين، وأصبح خاليًا. مضى 22 يومًا على عمليّة تبادل الأسرى. وكان يتمّ الافراج يوميًّا عن حوالي ألف أسير حرب من البلدين. ضقنا ذرعًا. كنّا نعدّ اللحظات لاستنشاق نسيم الحريّة. فقبل ثلاثة عشر يومًا، حين نُقلنا من مخيّم تكريت، قيل لنا أنّه سيتمّ الافراج عنّا في اليوم التالي. كانت الأيّام تمرّ ثقيلة وبطيئة، وأشدّ صعوبة من أيّام الأسر.

بعد الظهر، علمنا أنّ مفتّشي الصليب الأحمر العالميّ سيأتون لتسجيل أسمائنا. وما الفائدة من تسجيل أسمائنا لدى الصليب الأحمر وما هي إلّا أيّام ونكون قد تحرَّرنا. كان «**مفقودو الأثر**» في تكريت محرومين من حقوق أسرى الحرب. وقد قضى الكثير منهم شهداء في مخيّمات تكريت، ولم يعلم الصليب الأحمر شيئًا عنهم. حين دخل المفتّشون المخيّم، تمثّل «**محمد كاظم بابايي**» بأبيات شعر لشهريار:

أتيت يا عزيزي، نفسي فداء لك، ولكن لِمَ الآن
يا عديم الوفاء، الآن وقد وقعت، لماذا

أنت جرعة الدواء، وبعد موت سهراب أتيت

يا عديم الوفاء، لو كنت أسرعت بهذا، لِمَ الآن؟

كان يقبع في تكريت أكثر من 20000 أسير «**مفقود الأثر**». وقد سُجّلت أسماء هؤلاء قبل بضعة أيّام على تحرّرهم. وقد وضع الصليب الأحمر الدوليّ اليوم أسماءنا بشكل رسميّ على لائحة أسرى الحرب؛ لم يكن الصليب الأحمر مقصّراً في ذلك، ذلك أنّ نظام البعث العراقيّ، لم يكن ليفتح أبواب المخيّمات أمام مفتّشيه تحت أيّ ظرف.

صباحاً، قبل دخول ممثّلي الصليب الأحمر، حذّرنا عساكر مخيّم الرمادي (13)، من التكلُّم عن الحياة غير المنتظمة في المخيّم، وعن مصير الأشخاص الذين قضوا في المخيّمات. وقالوا لنا: يذهب ممثّلو الصليب الأحمر، ونبقى نحن وأنتم، إن نطقتم بكلمة، سنمنعكم من الذهاب إلى إيران.

تعجّب المفتّشون من رؤية الأسرى المبتوري الأطراف.

سأل مفتشو الصليب الأحمر الضابط العراقيّين عن أحوالنا، فأجابوا إجابات واهية. بقي الضبّاط والحرّاس ملازمين المفتّشين. كانوا حريصين على أن لا ننطق بكلمة مخالفة لرغبة النظام العراقيّ ومصالحه. كنت أتحيّن الفرصةً لأكتب رسالة إلى رئيس منظّمة الصليب الأحمر، أخبره فيها عمّا جرى لنا في هذه الفترة. كنت آمل أن تجدِ نفعًا، وتُسجّل يومًا كوثيقة لدى الصليب الأحمر الدوليّ من أسير إيرانيّ مبتور الرجل.

الأحد 9 أيلول 1990. الرمادي. المخيّم 13

كان مخيّم الرماديّ (13) مكاناً لتوقيف الأسرى الذين أُسروا في جزيرة «**مجنون**». وكانت جدران المخيّم قد فقدت ألوانها وامتلأت بكتابات متشابكة أظهرت أسماء الأسرى وتاريخ وقوعهم في الأسر، ومحلّ إقامة الأفراد في المناطق.

وقد احتُجز الإخوة الذين وقعوا في الأسر معي في «**موقع الخندق**» هناك. كان المخيّم منظّمًا، يدار تحت إشراف الصليب الأحمر الدوليّ. وقد كان الإخوة فيه محظوظين حيث سُجّلت أسماؤهم لدى الصليب الأحمر.

قرأت أسماء عددٍ من رفاقي وأبناء مدينتي على الجدار في أماكن النوم. كم يمرّ الوقت بسرعة. وكأنّ معركة «**موقع الخندق**» قد حدثت بالأمس!

ليلاً، طلبتُ قلمًا من أحد الحرّاس، جاءني بعد ساعة بقلم وبعض الأوراق. أردت أن أكتب رسالة لرئيس منظّمة الصليب الأحمر. قلت لأحد الإخوة وقد كان يجيد اللغة الإنكليزيّة: ماذا أقول إن أردت أن أسأل مبعوثي الصليب الأحمر عن اسم رئيس منظّمة الصليب الأحمر الدوليّ؟ أجاب: قل: who is the head of the red cross? (من هو رئيس منظمة الصليب الأحمر؟)

الاثنين 10 أيلول 1990. الرمادي. المخيّم 13

غروب البارحة، عندما حضر مبعوثو الصليب الأحمر إلى المخيّم،

سألتُ أحدهـم (بالانكليزية): من هو رئيس منظّمة الصليب الأحمر الدوليّ؟

كان سويديًّا فقال: السيّد كورنيليو سومارو[1].

في المساء، وبعيداً عن أعين الحرّاس، شرعت بكتابة الرسالة إلى السيّد «**كورنيليو سومارو**»، بمساعدة «**محمد كاظم بابايي**» ولطيف دهقان. أردنا بعملنا هذا أن نوصل إلى مسمعه صوت مظلوميّة الأسرى المفقودي الأثر. وقد كان نصّ الرسالة على ما تسعفني ذاكرتي على الشكل التالي:

حضرة السيّد «**كورنيليو سومارو**»، رئيس منظمة الصليب الأحمر الدوليّ؛

مع تحيّاتنا

هذه الرسالة هي صوت عدد من الأسرى الإيرانيِّين الجرحى الذين لا زالوا حتى الآن ينتظرونكم في مخيّمات تكريت، لكن حسب تعبير شهريار الشاعر الإيرانيّ المعروف: أتيت يا عزيزي، فدتك نفسي، لكن لِمَ الآن؟

كانت منظمتكم المؤسّسة الوحيدة بعد الله التي تشكّل العون لأسرى الحرب. ومن بين أسرى الحرب في بلدان العالم كلّها، لم تسمعوا أصواتنا يوماً؛ لأنَّنا إيرانيّون، دافعنا عن بلدنا في مواجهة أسيادكم. كثيرًا ما دافعتم عن حقوق الأسرى العراقيّين في إيران، حتّى في المأكل والمشرب. وكان العراقيّون يقولون لنا: إنّنا نقدّم لكم من الطعام فقط ما يبقيكم على قيد الحياة. إنّنا نتنفّس ليس إلّا..

(1) Mr. Korniliyo Sumaro.

لقد صمّ دفاعكم عن الأسرى العراقيّين آذان العالم. ليتكم كنتم حسبتمونا أناسًا. إنّنا نشكو البعثيّين إليكم. وحتّى لو شكوناهم إليكم، فلن تفعلوا شيئًا.

السيّد «**كورنيليو سومارو**»!

ما لم يُرَ خلف قضبان السجون، كان إنسانيّة البشر وأرواحهم. فقد قضى في مخيّم «**تكريت 16**» وحده، وفي بلاد الغربة، أكثر من خمسة وثمانين أسيرًا بريئًا، جرّاء الإصابة بالديزنطاريا وبعض الأمراض غير المعروفة، ولا تزال عائلاتهم لا تعلم شيئًا عنهم. إنّنا لا نعلم من الذي يتحمّل مسؤوليّة دماء أسرى أمثال «**علي شاه آوريده**»، و«**محمد بخرد**»، و«**حسين مرواني**»، و«**علي لشكري**»، و«**محمد صابري**» و«**دهقان منشادي**». إنّ الذي هوّن علينا الحياة في السجون العراقيّة هو الايمان بالله وصبر الإخوة واستقامتهم. الآن، تسجّلون أسماء أسرى الحرب، والعراقيّون مجبرون على تقديمها لكم؛ لِمَ لا تسألون، ماذا يفعل «**العمّ إبراهيم**» الرجل الإيلاميّ السبعينيّ، المدنيّ، والذي يعمل في تربية الماشية، وصبيّ مدنيّ ابن تسع سنوات يُدعى «**أمير**»، وأخوه «**إبراهيم**» في مخيّم أسرى الحرب في تكريت؟ الآن، حيث يمكنكم مساءلة الدولة العراقيّة، لِمَ لا تقومون بذلك؟ الأمر واضح تماماً؛ لأنّ أسيادكم لا يقبلون بذلك.

السيّد «**كورنيليو سومارو**»!

خلال السنوات المعدودة التي قضيناها هنا، لم يتمّ فقط تعذيب الإيرانيّين وقتلهم، بل سمعنا مرارًا وتكرارًا وفي أماكن مختلفة على لسان الإخوة من شيعة العراق، أنّ النظام البعثيّ قد قام منذ الانقلاب

العسكريّ لحزب البعث وقبض صدّام على السلطة، بتعذيب شيعة العراق بأشدّ أنواع التعذيب ممّا كان يتسبّب بمقتلهم، ومن خرج منهم من السجن سالمًا، قد فَقَدَ نتيجة التعذيب النفسيّ والجسديّ القدرةَ على الكلام، والسمع، والبصر، وحتّى إنّه أُصيب باضطراب نفسيّ ومعنويّ. هل تعلم أنّ حزب البعث في العراق يجبر معارضيه في السجون على الاعتراف أمام وسائل الإعلام بأنّهم عملاء للأجانب ليقوم بقتلهم تحت هذه الذريعة، وحتّى لا يثير أيّة ضجّة أزاء ذلك. وقد سمعت من بعضهم أنّ صدّام كان يقوم بتعذيب السجناء بالهراوات والقضبان الكهربائيّة والحديديّة، وكان يسحب أظافرهم، ويقتلع عيونهم، ويريق الأسيد المكثَّف المحرق على أجساد المعتقلين الشيعة، كان يعمل على جعل الرجال عقيمين، ويعذّب النساء والرجال من خلال حقنهم بالهورمونات وسكب الزفت الساخن على أجسادهم. قال لنا أحد الشيعة العراقيّين: عندما جاءت بعثة الأمم المتّحدة لتفقّد سجن أبو غريب، أخرج حزب البعث العراقيّ المعتقلين السياسيّين الشيعة منه، ووضع مكانهم مساجين عاديّين، وعملاء خونة له بلباس المعتقلين السياسيّين، وقدّموهم لبعثة الأمم المتّحدة.

ألا تشعرون بالمسؤوليّة أمام هذا الظلم وهذه الجرائم؟! ماذا تجيبوننا وتجيبون المعتقلين العراقيّين الشيعة، والأهمّ من هذا كلّه، أيّ جواب ستقدِّمون إلى التاريخ ولضمائركم؟!

الثلاثاء 11 أيلول 1990 ـ الرمادي ـ المخيّم 13

اليوم، دخل أعضاء منظَّمة الصليب الأحمر إلى المخيّم لاستكمال

ملفّاتهم. توجّه إليهم أحد الجرحى وسّلم أحدهم رسالة. وما إن غادر المفتّشـون حتّى جاء الحرّاسـ إليه وأشبعـوه ركلاً. أراد السّجّانون أن يعرفـوا مضمون الرسالة. لم يعترف الأسيـر الجريح بشيء، وكان من معتقلـي «**مخيّـم بعقوبـة** 18» ويُدعى «**حسن**»، رغـم كلّ الضرب الذي ناله. عندما ذهب السجّانون، قال لنا الحقيقة. قلت له:

– ما كان ينبغي أن تسلّم الرسالة لهم أمام أعين العراقيّين!

– لـم يكن من سبيل لغير هـذا؛ فالأمر مهـمّ، وكان عليّ أن أكتب لهم رسالة.

كان حسن رجل شهم، فقد أطلق العراقيّون في الأيّام التي كانت تتمّ فيها عمليّات تبادل الأسرى بين البلدين، النار على «**حسين بيراينده**»، مـن أهالي «**سراب**»، ممّـا أدّى إلـى استشهاده. وهـذا الأمر حدث في «**مخيّـم بعقوبـة** 18». كان يقـول: إنّ الشهيد «**بيرايـنـده** » كان مسرورًا لقرار إطلاق سراح الأسرى الإيرانيِّين في السجون العراقيّة. وكما قال: إنّـه كان قد نـذر نذرًا في حال تـمّ إطلاق سراحه أن يسيـر مشيًا على الأقدام من سراب إلى مشهد، لزيارة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

الأربعاء 12 أيلول 1990. الرمادي. المخيّم 13

قـال أحـد الحرّاسـ العراقيّيـن وكان حسن الأخـلاق: كلّ الأسرى العراقيّيـن المفرج عنهم خلال الأيّـام الماضية، كانوا ممّن أُسِروا في خرّمشهـر. ويظهر أنّـه على وعي واطلاع: لقد أسرتـم أنتم الإيرانيُّون منّا في عمليّات فتـح خرّمشهر بمقدار ما أسرتموه خلال فترة الحرب كلّها؛ 17000 أسير ليس بالعدد القليل!

حين كنــت أفكّر في كلامه، كنت أتحقّق أكثــر من عظمة وضخامة عمليّـات بيـت المقدسـ. قـال: أَتعلمـون لِـمَ وقـع كلّ هـؤلاء الأسرى العراقيّيــن فــي أسركم؟ ثـمّ تابـع: كان العراقيّون يعلمـون جيّدًا أنهم إن قاومـوا سيُقتلـون، وإن تراجعوا وانسحبوا ستُطلـق عليهم النار من الخلف، فالسبيل الوحيد لبقائهم أحياءً كان وقوعهم في الأسر!

وعندما رأى أنّ لا أحد من العراقيّين حوله. حاول تقليد كلام القادة العراقيّيــن قائلاً: القادة العراقيّون لا يعرفون في العمليّات إلّا الجلوس في متاريسهم والقول: تقدّموا، قاوموا، لا تتراجعوا، فكانت النتيجة أن وقع 17000 أسيراً في عمليّات خرّمشهر!

وقــال: إنّ هذه الحــرب قد أودت بكثيــر من القــادة العراقيّين إلى كرسيّ الإعدام!

وقـد حدثنا الحرّاسـ العراقيّون عن إعـدام الفريق الركن «**صلاح القاضي**» قائد الفيلق العراقيّ الثالث، بجرم التقصير في عمليّات فتح خرّمشهـر وإصدار الأوامـر بالانسحاب، واللواء الركـن شوكت أحمد عطـاء قائد الفيلـق العراقـيّ السابع بسبـب الانسحاب مـن الفاوّ في عمليّات «**والفجر** 8»، واللــواء الركن ضياء توفيق إبراهيم قائد الفيلق الثانــي بسبب استرجاع الإيرانيِّيــن لمدينة «**مهران**» في العام 1986م و... . عندما أنهى كلامه، سأل:

– كـم قائـدًا كبيـرًا من قادتكـم أعدمهـم الخمينيّ فــي السنوات الثمانية للحرب؟

ضحكـتُ. كان محقًّا في مقارنة قـادة البلدين بهذا الشكل. لم يكن يعلم شيئًا عمّا يجري وراء هذا الساتر الترابيّ. لا يعلم شيئاً عن الروحيّة

الجهاديّة وامتثال الأوامر عند شباب التعبئة والحرس والجيش. لقد تعجّب كثيرًا عندما أخبرناه عن الفرق بين القادة الإيرانيِّين والقادة العراقيّين. وقال بعد أن استمع إلى كلامنا بدقّة بالغة:

– أنتم تكذبون. إن كنتم صادقين، إذاً لِمَ قُتل كل هذا العدد من قادتكم في الحرب!

قلت له موضّحًا: إنّ قادتنا استُشهدوا جميعًا في الخطوط الإماميّة!

– أتريدون القول إنّنا عندما احتلينا «**مهران**» و«**خرّمشهر**»، لم يعدِم الخمينيّ أيّ قائد فيلق؟

– أَوَنحن في العراق؟!

أجابه «**محمد كاظم بابايي**»: الحرب انتهت، وها هم أسرى البلدين يعودون إلى بلادهم، لكنّكم بالنهاية لم تعطونا مفتاح البصرة هذا!

لم يفهم الحارس العراقيّ المقصود من مفتاح البصرة. راح يفكّر، وفيما كان يحدّق في «**محمد كاظم**»، سأل بتعجّب:

– شينو «**كليد بصرة**» (ما هو مفتاح البصرة)؟

– أَولم يقل صدّام أنّه إذا استعاد الإيرانيُّون خرّمشهر، فإنّي سأسلّمهم مفتاح البصرة!

الخميس 13 أيلول 1990 ـ الرمادي ـ المخيّم 13

كنّا نمضي آخر يوم لنا في الأسر في العراق. قالوا لنا الليلة الماضية، أنَّه سيُطلق سراحنا اليوم. في الصباح الباكر، قرأت للإخوة زيارة عاشوراء. وبمجرّد أن قلت: اللهم العن أبا سفيان ومعاوية ويزيد بن معاوية عليهم ... حتّى أتى أحد الحرّاس إلى ما وراء النافذة وقال:

لا وجود هنا لمحرّم، والدعاء ممنوع.

أجبته: كلّ أرض كربلاء كلّ شهر محرّم وكلّ يوم عاشوراء.

كان مبتهجاً جدًّا كونه قطع عليّ الدعاء. انزعجت، لم أكترث له وتابعت. في آخر الدعاء انهال عليّ ركلاً بحذائه. من شدّة ما كنت فرحًا لأنّي سأتحرّر، لم أشعر بأيّ ألم!

قلت له: لم يبقَ إلّا القليل، دعني أكمله!

- إن تابعت قراءة الدعاء فسنحرمك من الذهاب إلى كربلاء!

لم أكترث لكلامه. لو كنت أعلم واقعاً أنّني سأُحرم من زيارة كربلاء، لما قرأت زيارة عاشوراء. قال الإخوة: لا تناقشوا أو تجادلوا الحرّاس في آخر يوم من الأسر. أخبر الحرّاسُ الملازمَ العراقيّ بقراءتنا لزيارة عاشوراء. أتى الملازم ونادى المترجم. حدّق بي بتعجّب ونفور حيث وقفت بوجهه وقال:

- لن نأخذك إلى كربلاء!

وكان قد قال لنا قبل عدّة أيّام، أنّهم سوف يأخذوننا قبل إطلاق سراحنا كسائر الأسرى الإيرانيِّين إلى كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام. وكما كنت أعدّ اللحظات للذهاب إلى إيران، كذلك كنت أتحرّق شوقاً للذهاب إلى كربلاء.

سألت الملازم: أحقًّا لن تأخذوننا إلى زيارة كربلاء؟

- إذهب وادعُ لحفظ الرئيس القائد بمجرّد أن تتحرّر!

قال «**جعفر دولتي مقدّم**»: لقد أخذتم الأسرى الأصحّاء إلى زيارة كربلاء، الآن حين وصل الدور إلينا، تقولون لن نأخذك!

- ادعوا ما تشاؤون ستأخذون حسرة زيارة كربلاء معكم إلى القبر!

حوالــى الساعة العاشرة صباحًا، دخلــت المخيّم حافلتان تحملان لوحتيــن عسكريّتين. طلبــوا منا الاصطفاف ضمن عــدّة صفوف. قرأ الضابــط العراقيّ أسماءنا، واستقلينا الحافلة واحداً تلو الآخر. ظننت أنّهــم سيطلقون سراحنا عن طريق منطقة خســروي الحدوديّة. وبعد أن خرجت الحافلتان من السجــن دخلت مطار بغداد الدوليّ. انتظرنا ساعتيــن في المطــار. كان الجنود العراقيّــون ومفتّشو بعثــة الصليب الأحمــر يقومــون بإجــراء المقدّمــات اللازمة لإجــراء عمليّــة تبادل الجرحــى. وكان المطــار مليئًا بالجنــود والضبّــاط العراقيّين. جلسنا فــي قاعة الانتظــار صفوفاً. كان معظم الإخوة يتعكّــز على عكّاز. كنت أتمنّى أن لا يأخذوا عصاي من يدي، وأن لا يتفقّدوا الضمّادة الملفوفة علــى رجلــي المبتــورة. وكنت قــد خبّأت دفتــري المؤلّف مــن عشرين ورقــة صغيرة بين طيّــات ضِمَادَة رجلي المبتورة. فقــد كان عبارة عن إحصائيّة وفي الواقع بطاقة هويّة لذكريات الأسر.

تــلا العميد العراقــيّ أسماءنــا، وذهبنا واحداً تلــو الآخر من قاعة الانتظــار إلى مدرج الاقلاع لاستقلال الطائرة. كان قلبي يخفق بشدّة. وكنــت أتحيّن الفرصة لأسلّــم الرسالة التي كنتُ كتبتهــا قبل أيّام إلى رئيــس مؤسّسة الصليب الأحمــر «**كورنيليوسومــارو**» إلى أحد أعضاء البعثــة. كان أعضاء بعثــة الصليب الأحمر برفقتنــا. وكان أحدهم قد حفــظ أسماءنــا. اغتنمــت الفرصة وسلّمتــه الرسالة بعيــدًا عن أعين العراقيّين.

قبــل أن نستقلّ الطائرة، ظهر عقيد عراقيّ وكان رجلاً مسنًّا أسمر اللون برفقة عدد من مبعوثي منظّمة «**مجاهدي خلق**».

شرع العقيد بالكلام بلهجة مهذّبة وودودة، وقال:

- مـن أراد منكـم يمكنه البقـاء بصفة لاجئ في الدولـة العراقيّة. يمكنكم أن تحيوا حياة جيّدة وكريمة في العراق، إن أردتم ذلك يمكنكم الالتحاق بمنظّمة مجاهدي خلق!

لم يكتـرث الإخوة لكلام العقيد. ومزّقوا استمـارة اللجوء. لم نكن نفكّر إلّا في إيران. كانت اللحظات تمضي بطيئة. قُدّمت لكّل منّا نسخة مـن القرآن الكريم، كُتب عليها اسم صدّام اللامبارك كهديّة، ومن ثمّ استقليّنا الطائرة.

قـال الحـاجّ «**سعد الله كل محمّـدي**»: ليتكم كنتـم أعطيتمونا هذه النسخ من القرآن في المخيّم.

استقلّ عددٌ من مبعوثـي الصليب الأحمر، ومن جملتهم ذاك الذي سلّمتـه الرسالـة؛ الطائـرة للمجيء معنا إلـى إيران. جلـس أحدهم، ويدعى «**نيكل**» وهو سويـديّ الجنسيّة، على المقعد المجاور لي. وفيما كانـت الطائرة تهـمّ بالإقلاع، رأيت في ناحية بعيـدة من زوايا المطار طائـرة الايرباص الإيرانيّـة وعليها علم الجمهوريّـة الاسلاميّة، والتي كان قد خطفها بعض الخاطفين وحطّ بها في بغداد.

كان قلبـي كالصحـراء القاحلـة، عطشًا لرؤية وطنـي. كان الإخوة يذرفون الدموع شوقًا. وقد عشت حينها أجمل لحظات عمري وأعذبها. لم أكن أصدّق بعد أنّي سأتحرّر.

كانت اللحظات تمرّ ببطء. وكانت دقّات قلبي تتسارع كلّما كنّا نقترب من المطار. أفكار عجيبة وغريبة كانت تجول في رأسي. كنت أفكّر في عائلتـي، بأبـي وأخواتي على وجه الخصوص. كنـت أفكّر ماذا سيكون

عليـه حالي حين أراهـم بعد هذا الغيـاب. أحسست أنّـي غير مستعدّ للقائهـم. أحيانًا كانت تراودني أفـكار عجيبة، فماذا لو ندم العراقيّون وأمـروا الطائرة بالرجوع ونقلونا ثانيةً إلـى المخيّم. أحببت أن أعرف متى تدخل الطائرة الأراضي الإيرانيّة. عندما علمت أنّ الطائرة دخلت الأراضي الإيرانيّة ازددت فرحًا.

حطّـت الطائرة حوالى الساعة الثالثة من بعد الظهر في مطار مهر آبـاد. لـم يرتح بالي إلّا عندمـا لامَسَتْ عجلات الطائـرة مدرج مطار مهر آباد. صدّقت عندها أنّي تحرّرت. أحسست مع الحريّة أنّي قد نلت مكافأتـي علـى كلّ تلك الصعاب. وهذا وعد القـرآن الذي يعد بإعطاء الصابريـن والمؤمنين أجورهم. «**إنّ مع العسـر يسرًا**». نزلنا من على سلّم الطائرة. فاستقبلتنا فرقة موسيقيّة من الجيش بصفوف منتظمة وهي تعزف لحن نشيد الجمهوريّـة الاسلاميّة في إيران. رمى الأسرى الجرحـى عكّازاتهم ناحيةً، قبّلنا أرض الوطـن، وصلّينا ركعتين شكرًا لله. وقد جاء لاستقبالنا حينهـا وديعة الإمام السيّد «**أحمد الخمينيّ**» وعدد مـن المسؤوليـن الحكوميّين وقادة الجيش. ومـا إن وقع ناظري على صورة الإمام قدس سره المعلّقة في مدخل صالة المطار، حتّى انقبض حالي.

وقـد كُتبت تحـت الصورة هذه العبارة: «**إذا عـاد الأسرى يوماً ولم أكـن بينكـم، فبلِّغـوا سلامي إليهـم، وقولوا لهم: إنّ الإمـام كان دائم التفكير فيكم**».

خنقتني العبرة.

الفصل الخامس عشر:

إيران ـ الولادة الجديدة

الجمعة 14 أيلول 1990 ـ طهران ـ قاعدة لشكرك

صباح اليوم، حاولت الخروج من الثكنة والذهاب إلى منزل خالي «**محمّد عليّ**» في محلّة «**أكباتان**»؛ لم يُسمح لي. وقال لي الحرّاس بودّ: عزيزنا! علينا أن ننقلكم إلى مدنكم، لا يمكنك الخروج من الثكنة، فهذا يرتّب علينا مسؤوليّات كبيرة. قضيت الصباح الأوّل وأنا محرّر. لم يكن معي رقم هاتف خالي أيضًا.

مساءً، دخلنا قاعة الطعام في القاعدة. جلس الإخوة صفوفاً لتناول العشاء. كان عشاؤنا «**أرزّ بالدجاج**». حين قُدّم لي العشاء، قلت للموزّع: أتعطيني حصّة أخرى إن لم أشبع؟ فقال: نعم يا بنيّ فالطعام كثير. فمنذ سنوات أصبحت معدتي صغيرة، واعتدت على قلّة الطعام، تناولت نصف الوجبة فشبعت. الظاهر أنّ بطني شبعت ولكنّ عيني مازالت جائعة.

السبت 15 أيلول 1990 ـ طهران ـ قاعدة لشكرك

نُقلنا إلى مطار مهر آباد، الساعة الثامنة ليلاً. في المطار ودّعت الحاجّ «**سعد الله كل محمّدي**» و«**محمد كاظم بابايي**». خنقتني العبرة وأجهشت بالبكاء. فأن تكون في الأسر، مع كلّ عذاباته، إلى جانب

أسرى يحبّونك من أعماق القلب، لهو شيء جميل وعذب. ففي تلك الفترة، كنّا قد تقاسمنا مرارات السجن وحلاواته. وعاملني كلاهما معاملةً أبويّة. كان الحاجّ «**سعد الله**» متشوّقًا إلى كركان والوصول إليها بأقرب وقت من أجل رؤية أولاده.

توجّهت بالطائرة من طهران إلى شيراز. طوال تلك المدّة كنت أفكّر في اللحظة التي سأقابل فيها عائلتي.

الأحد 16 أيلول 1990 ـ ياسوج ـ كجساران ـ باشت

استرحنا في مضافة أحدى مديريّات شيراز. وقد جُهّزت سيّارة نيسان باترول بيضاء اللون لنقلنا إلى «**ياسوج**». بعد صلاة الصبح توجّهت إلى «**ياسوج**» برفقة السيّد «**محمد شفاعت منش**» و«**محمد باقر بور**». دخلنا المدينة حوالى الساعة التاسعة والنصف. نُقلنا إلى مضافة «**به أبشار**». تناولنا طعام الفطور. حتى ذلك الوقت لم يكن أحد من أهلي يعلم أنّي حيّ. في المضافة رآني العقيد «**رهام بخش حبيبي**». وكان من أهالي باشت. تعجّب كثيرًا حين رآني. لم يصدّق أنّي ما زلت حيًّا. قبّلني وأظهر لي محبّةً كبيرةً. خرج للحظات وهاتف أختي «**بي بي ماهتاب**» التي كانت تسكن في ياسوج، وأخبرها باطلاق سراحي. لم تصدّق أختي أنّي لا زلت حيّاً، كيف بها وأنا في ياسوج. كان أبي وإخوتي قد سألوا عنّي كلّ الأسرى العائدين من العراق، وكان هؤلاء يجيبونهم بأنّهم لا يعلمون شيئًا عنّي. يبدو أنّ أغلب شباب «**موقع الخندق**» الذين كانوا قد رأوني في سجن الرشيد، قالوا لعائلتي أنني قد استشهدت. بعد عشر دقائق قال لي العقيد حبيبي: إنّ أختك

«**بي بي ماهتاب**» تنتظرك في الخارج! وكأنّ ساعةً قد وُضعت في قلبي، فكنت أسمع صوت دقّاته. كانت لحظة جميلة بالنسبة لي. لم أكن أتوقّع رؤيتها. لم أكن أصدّق أنّني في إيران وأنّ أختي الكبرى تنتظرني في الفناء. كان كلّ شيء كحلم بالنسبة لي. كانت «**بي بي ماهتاب**» أوّل شخص أراه من عائلتي التي تتألّف من ستّة إخوة وسبع أخوات. كنت متعطّشًا لرؤيتها. فقد كانت الأكثر عاطفة من بين سائر أخواتي. حين خرجتُ من الباب المؤدّي إلى فناء المضافة، هرعتْ إليّ وأخذتني في حضنها. ارتفع صوتها بالبكاء. عانقتني لأكثر من عشرين دقيقة، كانت تقبّلني وتبكي. وبكيت أنا كثيرًا. قال لها العقيد «**حبيبي**»: كأنّ أخاك يقف على رجل واحدة، لا ترهقيه، دعي مقدارًا من البكاء للبيت.

سألتُ «**مهتاب**» عن والدي، أخواتي وإخوتي. كانت تراودني أفكار فيما يتعلّق بوالدي. كنت خائفاً من أن يكون والدي قد رحل عن الدنيا في تلك الفترة التي لم أكن فيها.

حوالى الساعة العاشرة والنصف صباحاً، توجّهت والسيّد «**محمد شفاعت منش**» إلى «**كجساران**». عندما افترقنا عند مفترق باشت، تمثّلت أمام ناظريّ ذكريات أيّام الأسر. مزاحه، صبره، أشعاره، والأهمّ من ذلك كلّه تضحيته. كنت مسرورًا لكوني أستطيع رؤيته كلّما اشتقت إليه.

حوالى الساعة الثانية عشرة ظهرًا وصلت إلى «**كجساران**». كانت جماهير غفيرة من الناس قد جاءت لاستقبالي. أحسست عندها بأنّ آلام الأسر ومعاناته تفارق جسمي. كان تصوّري عن الحريّة أمرًا آخر. كنت أظنّ أنّ موظفي الهلال الأحمر سيعطوننا حين تحرّرنا أجرة

الطريـق للوصول إلى بلداتنا ويقولون لنـا: فليذهب كلّ منكم إلى بيته. لم أكن أتصوّر أنّي سأرد كجساران بهذه الطريقة.

قبل عشرين يوماً من تحرّري قلت «**لجعفر دولتي مقدّم**» ونحن في مستشفى 17 تمّوز: سوف أتحدّث حين إطلاق سراحي إلى أهل مدينتي في أحد المساجد أو في صلاة الجمعة. ومن حفّزني على ذلك بالطبع، كان «**جعفرًا**». وقد أعددت نصّ الخطاب في الرمادي. كنت أعلم ماذا عليّ أن أخاطب الناس به.

كان قـد تجمّع أمام مقـرّ التعبئة، بغية استقبالـي، أكثر من خمسة أو ستّـة آلاف كجسارانـيّ. كان أهـل باشت وعشائر باوي قـد أتوا إلى كجسـاران لاستقبالي. أمام مقرّ التعبئـة، اجتمع النساء والرجال على مـدّ النظر. حملني شبـاب الحرس علـى الأكتاف ونقلونـي إلى سطح المقرّ. وقد صُفّت الكراسيّ على سطح المقرّ لإمام الجمعة والمحافظ ومسؤولـي المدينة. نظرت إلى الأسفل، رأيت احتشاد الجموع من أمام مقـرّ التعبئة إلى مسجد صاحـب الزمان، ومن تقاطع مبنى المحافظة إلـى محلّـة السـادات. تمامًـا كاللقـاءات الانتخابيّـة فـي كجساران. الحقيقـة أنّي لم أكن أتصوّر مثـل هكذا حشد لاستقبالي. قال لي إمام جمعة المدينة «**متّقي كاشاني**»: تحدّث للناس عن الأسر. عن عذاباته، شهـادة الأصدقاء، عن مقاومة الشباب وصمودهم، عن كلّ ما يؤثّر في حياة هؤلاء الناس!

أحسسـت أنّـي لن أستطيع الـكلام أمام كلّ هـذا الجمع. كان قلبي يخفـق بقوّة من شّدة الاضطراب. خفـت أن أخرّب الأمور، على الرغم مـن ثقتي بنفسي. كان قلبي يطفح بأوجـاع وأحاديث كثيرة. أحببت أن

أشارك الآخرين حديثي؛ أن أخبر أهل المدينة بما عانينا. حين نظرت إلــى الناس، كان الكلّ ينتظر كلام أسير محرّر من سجون العراق. وقد زاد من حماسهم لسماع كلامي، صغر سنّي وبتر رجلي.

قال معرّف البرنامج، في أوج أحاسيس الناس الطاهرة والصافية:

في هــذا الجزء من البرنامج، ننصت أسمــاع القلب إلى كلام الأخ المحــرّر السيّد «**ناصر حسيني بور**». فهــو من جيل التراب والمتاريس والبــارود، من جماعة الخندقيّيــن (نسبةً إلى «**موقع الخنـدق**»)، إنّه يحتفــظ بذكريات الشهداء من أبناء هذه المحافظــة في قلبه. الأبناء الشهداء الذيــن جعلوا من صدورهم أهدافاً لنيران البعثيّين، من أجل الدفــاع عن عزّة هذا الشعب وأرضه. الرجال الذين قضوا رجالاً لتبقى إيران صامدة. نستقبل وإيّاكم هذا المحرّر الجريح والعزيز بالصلوات العاليــة على محمّد وآل محمّد! توجهت إلى الميكرفون وأنا أتّكىء على عصاي، وكان ذلك الخطاب الأوّل لي في إيران:

باسم اللّه الحافظ حرمة دماء الشهداء. سلام على الإمام الخمينيّ العزيــز، محطّم الأصنام. الإمام الذي كنّــا نرجو أن نذهب لرؤيته في جمــاران، حيــن عودتنا إلى الوطن. لقد عدنا، ولكــنّ الإمام قد رحل.. لعــلّ الإمام على حدّ تعبير صديقي «**هادي كنجــي**»، لم يكن راضٍ عنّا. لعلّنــا لم نكن في الحرب مــن تعبويّيه الخُلّص... أيّهــا الإمام العزيز، إنّنــي كمسافر تخلّف عن قافلــة الشهداء أقول أمام هــؤلاء الناس: إنّ أبناءكــم في «**جزر مجنون**» قاتلوا حتّــى الرصاصات الأخيرة، وقُطّعوا إربًــا أربًا. لقد أغــار العراقيّون بآليّاتهم على جثــث الشهداء في موقع «**الخنـدق**»، تمامًــا كما أغار اليزيديّون على أجســاد شهداء كربلاء...

اللّه وحـده يعلم كـم ضُرِب الإخـوة في سجـن الرشيد ضربًـا مبرِّحًا حتّى يسبّوا الإمام، ولـم يفعلوا. ولم يزحزحنا ضرب السياط، والجوع والعطش، وشتائم السّجّانين البعثيّين، وهراواتهم، قيد أنملة عن حبّ الإمـام؛ لقد بقينـا أوفياء له. إنّني كمسافر تخلّف عـن قافلة الشهداء فـي موقع «**الخنـدق**» أقول: إنّ ابناءكـم قد استبسلوا فـي القتال حتّى الرصاصـات الأخيرة، وجسّدوا عاشوراء أخـرى. بقيت جثث الشهداء فـي أيدي الأعداء، حتّى لا يبقى أيّ شبر من أرض الوطن بين أيديهم. إنّني لست خطيبًا، وأطلب المعذرة كوني أخطب بين أيدي الفضلاء.

فـي الأيّام الأخيرة التي كانت فيها قوافـل الأسرى تعود إلى إيران، خطـب فينا قائد مخيّمنا النقيب «**عبّاس**» قائلاً: «**إن عدتم إلى إيران فـلا تتحدّثـوا مجـدّدًا عـن الحـرب. ولا تخبـروا أهاليكـم بما جرى معكـم فـي مخيّمات الاعتقـال. فما حدث قد حـدث**». وكان يقول: «**لا تزعجـوا قلوب عوائلكم بالذكريات المريرة. حدّثوهم عن الذكريات الجيّـدة. افرحوا واضحكـوا. ادعوا اللّه لحفظ الرئيس القائد صدّام حسين لكونه حرّركم!**» وتابع قائلاً: «**إنّ تذكّر الذكريات الجيّدة لأيّام الحرب تختزن داخلها مرارة**». حين كان يتفوّه بهذه الكلمات كنت أقول فـي نفسي إنّ هذا لظلم آخر. الظلم الأوّل، هو حرب السنوات الثمانية التـي فرضها العراقيّون علـى شعبنا. والظلم الثاني هـو كلام النقيب «**عبّاس**» هذا نفسه، الـذي كان يريد لعوائل الأسـرى الإيرانيِّين ولكم أيّهـا الشعـب العزيز أن لا تعلمـوا شيئًا عمّا جرى للأسـرى الإيرانيِّين في سجون تكريت. أرادوا لشعب إيران أن لا يعلموا كم قاسى أبناؤهم. لقد أخفـوا أمرنا لسنوات عن الصليب الأحمر الدوليّ. كان الإخوة في

فتـرة الأسر يقولـون على سبيل الجد والمـزاح: إنّ هوّياتنـا قد أُلغيت عن سجـلّات دوائر النفوس في أوطاننـا! والعراقيّـون أنفسهم كانوا يقولـون: لا أحـد يعلـم أنّكم أحيـاء، وكان المـلازم «**فاضـل**» يقول: لا تسـاوي أرواحكم بالنسبـة لنا قيمة طائر. أما «**وليـد**» فكان يقول: إنّنا نقـدّم لكم من الطعام ما يبقيكم على قيد الحيـاة، ويبقي فيكم رمقًا، لتتـمّ مبادلتكم في قادم الأيّام بالأسـرى العراقيّين. عندما قرأنا خبر مباحثـات الدكتور «**ولايتـي**» مع طارق عزيز، في الصحـف العراقيّة، سألت الملازم «**قحطان**» أحد معاونـي مسؤول المخيّم: أيّها الملازم! متـى سيتمّ الإفراج عنّا؟ هل تعلمون بمـاذا أجابني؟ عندما ترى رَجُلاً حامـلًا! أي لن تتحرّروا أبداً. أودّ لو أنّ صوتي يصل اليوم إلى الملازم «**قحطـان**» لأقـول له: أرأيت أيّها الملازم! لقد تحرّرنا من دون أن نرى رجـلًا حاملاً... عندما وافقت إيران على القرار 598 قال الإخوة: ليتنا نستطيـع بطريقة مـا أن نوصل رسالتنـا إلى إيران لنقـول للمسؤولين الإيرانيِّيـن: حذارِ أن تقدّموا من أجلنا أيّة تنـازلات للعراقيّين، إنّنا لا نرضـى بذلـك أبداً... لم يـرد البعثيّون أن نخبر أحدًا بـأنّ الكثير من أمثال «**محمّد بخرد**»، و«**علي شاه آوريده**»، و«**حسين مرواني**»، و«**عليّ لشكـري**»، قد قضوا شهداء فـي مخيّمات تكريت إثر الاصابة بأمراض غيـر معروفـة، وقد دُفنوا فـي صحارى تكريـت. لم يريـدوا للناس أن يعلموا بأنّ صبيًّا في التاسعة من العمر كان بيننا في مخيّمات تكريت. وكان أميـر، ذو السنـوات التسع، قد أُسر وأخاه فـي إحدى قرى إيلام الحدوديّة. وكانا مـن رعاة الماشية. فأخذ العراقيّون خرافهما وجعلوا منها طعام أيّام عدّة لأحد الفيالق العراقيّة في تلك المنطقة.

يا أبناء كجساران الأعزّاء، لقد بقيت رجلي في بغداد، حتّى لا يبقى شبر من تراب هذا الوطن في أيدي الأعداء. وقد ديست رجلي المبتورة حتّى لا يداس شرفنا وكرامتنا. لقد تعفّنت رجلي حتّى لا يتعفّن شرفنا ومروءتنا. تعفّنت رجلي حتّى لا يتعفّن ماء وجه إيران. تعفّنت لكي لا تتعفّن غيرتنا وشجاعتنا. لقد ظنّت أميركا المجرمة وخادمها المطيع صدّام أنّه بالامكان الاطاحة بهذه الثورة. وإنّ الذي جعلنا ننتصر على الأعداء بأيدينا الخالية تلك، هو إيماننا بالله وحبّنا لأهل البيت عليهم السلام. لقد أجبرت دماء شهدائنا المظلومين صدّامَ على القبول باتّفاقيّة الجزائر للعام 1975م. لقد كُسرت هيبة صدّام. صدّقوا أنّ صدّام لم يكن يودّ الاعتراف بسهولة بهذه الاتفاقيّة. وصدّام هذا هو نفسه الذي كان قد مزّق قبل سنوات نصّ الاتفاقيّة في البرلمان العراقيّ أمام أعين المراسلين. أنا على يقين أنّ قيادة الإمام، ودماء الشهداء، وإيثار الجرحى، وصبر الأسرى، ودعاء هذا الشعب، هو الذي أجبر صدّام على الخضوع لشيء لم يكن يريده في وقت من الأوقات. ...

الاثنين 17 أيلول 1990 ـ باشت

أمضيت أجمل أيّام حياتي إلى جانب أخواتي «**ماهتاب**»، «**نرجس**»، «**فيروزة**»، «**بروانه**»[1]، «**لاله، سيما**» و«**هنكامة**». كان أبي ينظر إليّ ويبكي، لم يكن يصدّق أنّني تحرّرت. قال أخي السيّد «**قدرت الله**»:

– أتعلم ماذا قال أبي البارحة؟

– لا.

(1) بروانه: تلفظ: Parvaneh.

- البارحة، عندما كانت «**بيبي ماهتاب**» تخبره بقدومك، لم يصدّق. ومهما أقسمت بالله، كان يقول لها، لا أصّدق أنّ ناصرًا حيّ. أخيرًا، عندما كنّا ننصب الشوادر، ونذبح الخراف ونحضّر لاستقبالك، قال أبي: إن عاد ناصر، سأذهب أنا إلى قبر السيّد «**منصور**»، وأدعوه هو أيضاً للعودة إلى البيت[1].

مساءً، أخبرني ابن عمّي السيّد «**غلام بلادي**» خبر شهادة «**أحمد فروزان**». لم أستطع أن أمنع نفسي من البكاء. وعلى الرغم من أنّ الفناء كان يعجّ بالناس الذين أتوا لرؤيتي، قمت من مكاني ودخلت الغرفة وبكيت حتّى الشبع. كان «**أحمد**» من أعزّ أصدقائي. وقد استُشهد في عمليّات مرصاد. وقد أراني أخي السيّد «**شجاع الدين**» الرسالة التي كان أحمد كتبها له عنّي. يا له من زمن! حينها كان أحمد حيًّا، وكنت أنا مفقود الأثر. اليوم سَبَقَنِي «**أحمد**»، ومهما أسرعت لم أستطع اللحاق به. لقد تحرّرت من سجون العراق بعد سنوات من كوني مفقود الأثر، وكوني شهيدًا في نظر «**أحمد**»، ها أنا حيّ و«**أحمد**» استُشهد؛ قلت في نفسي: رحم الله تلك الأيّام التي كنت فيها بنظر «**أحمد**» شهيداً، ليتي كنت بقيت شهيدًا.

كان أحمد إنسانًا مرحًا. شاعرًا، خطّاطًا وصاحب ذوق أدبيّ جيّد. معظم الأوقات عندما كانت طرائفه تتفتّق على شفتيه، كان يقول للإخوة في وحدة التخريب: تقول أمّي، لا تذهب إلى الجبهة، فإن ذهبت

(1) المرحوم السيّد «**منصور**» هو جدّي. وقد قال أبي هذا الكلام من شدّة ما كانت مسألة بقائي حيًّا غير معقولة بالنسبة له. وكان مراده، إن جاء السيّد «**ناصر**»، سيحيا أبي الذي مات منذ سنوات وسيأتي إلى البيت. وكان والدي يكرّر هذه العبارة في المجالس العائليّة للسادة البحرينّيين، على الرغم من مضيّ سنوات على تلك الحادثة.

إلى الجبهة لا تلتحق بوحدة التخريب، وإن التحقت بوحدة التخريب، لا تدُس على الألغام، وإن دست على الألغام لا تطر في الهواء!

الثلاثاء 18 أيلول 1990 ـ باشت

جـاء لرؤيتي اليوم عددٌ من الإخوة فـي المجموعة نفسها التي كنت قـد شكّلتهـا قبل سنـوات. «**فايـز**»، «**جمشيـد**»، «**عيسـى**»، «**إبراهيم**»، «**داريوش**» و.. حينهـا كان «**فايـز**» مسـؤول عديـد المجموعـة. انتهت الحـرب وانتهى الأسر. عندما تتداعى لي ذكريات هذه الأيّام، ينقبض قلبي.

حينها، كنت قد نظّمت ملفّات لأعضاء المجموعة. وقد اشتريت لكلّ واحد منهـم مغلّفًا، وكنت أسجّل تقرير التمريـن اليوميّ في الاضبارة التـي كنت قـد أعددتها. ومن خـلال المغلّفات الفاتحـة اللون أعددت لهـم بطاقات، وقد كُتب علـى طرفيها بخطّ اليد معلومـات عن الهويّة الشخصيّـة والتعليميّـة للأفـراد. وقد دوّنـت توقيعي بصفتـي مسؤول التدريب العسكريّ للمجموعة أسفل البطاقة.

اشتريت طوابع وكنت أختم البطاقات بالغطاء البلاستيكيّ لزجاجة البنسيلين. وقلت للرفاق: هذه البطاقات تنفع للذهاب إلى الجبهة! لم يكـن للإخوة صورةً شمسيّة. ولم تكن أموالنا تكفي للذهاب إلى مصوّر مـا والتقاط صور لنا. ذات يوم ذهبت إلى السيّد «**صادقي**» وكان يملك آلة تصوير وقلت: إنّ أخي السيّد «**قدرت الله**» يبلّغك سلامه ويقول لك، أعرنـي آلة التصوير خاصّتـك لبضعة أيّام. لم يكـن السيّد «**صادقي**» يسلّم كاميرته كيفما كان لأيّ شخص، وخاصّةً الصِّبْية. بعد ذلك حين

علم صادقي أنّني استغللت اسـم أخي، غضب منّي. إلتقطت بكاميرته صورةً جماعيّـة للإخوة، بحيث يظهر الجميع فيهـا، وقد سحبت عنها نسختين، وقصصت الصورتين بالمقصّ، فوضعت صورةً لكلّ شخص على الملفّ وأخرى على بطاقته. كان هذا عالمي الطفوليّ الذي أمضيته كلّه على أمل الذهاب إلى الجبهة.

اليـوم، عندما جاء الإخوة لرؤيتي، خطرت على بالي تلك الذكريات التي امتدّت لفترة أكبر من فترة الأسر والحرب.

من بين إخوتي، لم أرَ أخي السيّد «**نصرت الله**». لا أعلم لِمَ لم يأتي لرؤيتي. قلـت في نفسي لعلّه استُشهد ولا يريـدون إخباري بذلك. كان السيّد «**نصـرت الله**» مسؤول المعلومات في «**فيلق سقّز الخاصّ**». وقد أخبرني السيّد «**قدرت الله**» بأنّه جُرح.

مضـى ستّة وعشرون شهـرًا على انتهاء الحرب، وكنـت أنا والسيّد «**نصـرت الله**» لا زلنـا نمشي متّكئين على العصـا. لم تكن قد رُكّبت لي رجل اصطناعيّة، وكان هو قد أُصيب برجله وبطنه قبل ثلاثة أشهر في مرتفعات «**وزنه بانة**» في مواجهة مع مجموعة الكوملة[1].

عنـد المسـاء، وُفّق السيّـد «**حشمـت الله**» للاتّصال بـه. وقد طلب السيّـد «**حشمت الله**» من مركـز الاتصالات الاتّصـال بمركز الحرس فـي «**سقّز**»، واتّصل السيّد «**نصرت الله**» من منطقة خسروي الحدوديّة بمركز الاتصالات في باشت. ويقع الخطّ على الخط، وينعقد الاتصال بيـن هذين الأخوين مصادفةً. وكان السيد «**نصرت الله**» قد ذهب قبل

(1) الكوملـة: مختصر «**الحـزب الديمقراطي الكردستاني**» وهو حزب كـردي معارض للنظام مدعوم من المخابرات الاجنبية.

شهرين إلى منطقة خسروي الحدوديّة مفتّشًا عنّي. وقبل أن يخبره السيّد «**حشمت الله**» بخبر تحرّري، قال له السيّد «**نصرت الله**»: لقد تصفّحت لائحةً تضمّ أسماء أربعة وثلاثين ألف أسيرًا إسمًا إسمًا، ولمرّتين، فلم أجد اسم ناصر بين هذه الأسماء. كذبٌ القول أنّه حيّ، لو كان حيًّا لكان الآن في عداد المحرَّرين. قال له السيّد «**حشمت الله**»: ماذا تعطيني إن أخبرتك بخبر جيّد؟! فقال: إذا كان يتعلّق بناصر فاطلب ما تشاء. قال السيّد «**حشمت الله**»: لقد عاد السيّد ناصر، وهو الآن في البيت منذ يومين!

وكما قال السيّد «**حشمت الله**»، أخذ السيّد «**نصرت الله**» بالبكاء على وهو لا يزال على الهاتف.

في الليل، عندما قرأت رسالة[1] السيّد «**نصرت الله**» التي كتبها

---

(1) والدي، إخواني، أخواتي وأفراد عائلتي المظلومين، السلام عليكم
بعد التحيّة والسلام وتقديم الاحترام لكم فردًا فردًا، أرجو من الله المنّان أن يلهمكم الصبر والسلوان. وأن تكونوا في كلّ الأوقات صابرين وثابتين أمام المصائب والبلاءات. أبي العزيز! وصلتني رسالتك الودودة والعاطفيّة بتاريخ 4/آب/1988م وقد سُررت برؤيتها، وينبغي عليّ القول، مع أنّي تلقّيت فيها خبرًا سيّئًا، فإنّي أشكر الله تعالى على لطفه الكبير بنا وانتقائه من عائلتنا الملأى بالرجال، الصالحين والمظلومين. في رسالتك بيّنت أنّ اكثر ما يزعجك هو بعدي عنكم، لا تزعج نفسك أبدًا، فليس هناك من خطر يتهدّدني، ولست أتحلّى باللياقة. ولو كنت اتحلّى باللياقة (للشهادة)، لكنت تركت هذه الدنيا الفانية والرخيصة قبل أن أكتوي بنار مصيبة ناصر، ولكنت بالحدّ الأدنى متُّ، حتّى لا أشهد أكثر ممّا شاهدت من شهادة أفراد أسرتي الأبرياء. أبي العزيز! أتذكر حين قلت لك بصراحة، أنّك ستسمع عاجلًا أم آجلاً بخبر شهادة «**ناصر**»؟ لكن إعلم أنّ كلامي لم يكن عبثًا. فأنا الحقير، عندما سمعت خبر شهادة السيد «**هدايت الله**» قلت من دون شكّ: إنّ «**ناصرًا**» شهيدٌ، ومن حينها عملت على تقييد حركته. أبي العزيز! لقد كان ناصر مظلومًا بيننا، وكان كالشهيد «**بهشتي**» ظُلِم حيًّا وظُلِم ميتًا، يا لسعادته. لا أعلم بأيّ قلب ضمّنت رسالتك لي صراحةً خبر شهادته، وأرسلتها لي! أوَلا تعلم أنّه لا ينبغي إرسال خبر سيّىء إلى المقاتل وهو في حال الحرب؟ لكن لا إشكال في ذلك، فإنّ الله مع الصابرين. كان يمكنك ان تكتب في رسالتك أنّه جُرح، أو قُطعت رجله، كان ذلك أفضل. أبي وإخوتي الأحبّة! لقد أصرّيتم كثيرًا على أن آخذ إجازةً بأقصى سرعة وآتي. أنا أسألكم ما الذي سيؤثّره مجيئي على معنويّاتكم، غير أنّا سنجلس معاً وننتحب. لكنّني أفضّل، إن كنت أتمتّع باللياقة، أن أبكي

بعـد أن وَصَلَه خبر فقداني في الحـرب، انهمرت دموعي. كانت رسالة عاطفيّـة وحماسيّة. كان السيّد «**نصرت الله**» من خلال المائة والثلاثة والعشرين شهرًا التي قضاها في القتال، ريادّي العائلة في الجهاد. لم يصـادف في الحرب أن تواجدت معه في المنطقة نفسها. فقد تلاشت المجموعـة الضاربـة التي هـدف إليهـا الشهيد السيّـد «**هدايت الله**» وأخـي السيّد «**نصرت الله**». انتهت الحـرب. وعاد الأسرى إلى الوطن. بقيـت العناصر الستّة لمجموعة عائلتنا الخاصّة في الحرب التي كانت تتواجـد على خمسة خطـوط مختلفة، شهيد، أسير محـرّر من سجون العراق، معتقل سياسي في سجون الشاه، وثلاثة جرحى كذكرى.

هنـا، وأقاتـل بشجاعة، وعلـى كلّ من يحبّني، ويجد في نفسه القـدرة، أن لا يترك خندق ناصر خاليًا، ولا يتـرك سلاحـه يصدأ. أنا أعلم حتمًا أنّكم تحبّون أن أكون بينكم. يشهد الله أنّي أتألّم لذلك وأحبّ أن أكـون بينكم في هذا الوضع الحسّاس، لكن الوضعَ حسّاس جدًّا وخطير، ولو كان من المفترض بكلّ عائلة يوجد اثنان من أفرادها في الجبهة، واستشهد أحدهما أو فُقد أثره، أن يترك الآخر الجبهة، من سيحرس الخنادق. أود أن أتذوّق معاناة أخي تحت زخّات الرصاص والمدفعيّة، والقذائف؛ لكي يكون الله شاهدًا ويشهد لي يوم القيامة. على كلّ حال، أعزّيكم وأبارك لكم جميعًا من بعيد، وإن أمكنكم أن تعـزّوا أخواتـي المظلومات، اللواتي ينفطر كبدي لهنّ أكثر من أيّ شيء، وسوف أبقى أخجل منهنّ إلى يوم القيامة. أللهمّ اشهد، وانظر إلى عيون أخواتي البريئات، الدامعات والمنتظرة، وأيّة آمال يعقدنها على مستقبل إخوانهنّ، واللواتي يشعرن دومًا بالفخر من وجود هكذا إخوة، لكنّهن اليوم يشهدن منظر جمـال شهادتهـم. نشكر الله المنّان أن حبا عائلتنا بهذه السعـادة... أخيرًا، أهدي سلامي إلى عموم أهلـي وأقربائي، وأقبّل مـن البعيد وجوه أخواتي وإخوتي المحزونة. آمـل أن تسامحوني بلطفكم، لأنّي سأتأخّـر أيّامًـا للقدوم عليكم، وإن لم يحدث شيء، سأكون عندكم بعـد أسبوعين. لن آخذ من وقتكم الثميـن أكثـر من هذا، لكنّني أرسلت إليكـم جميعًا قبل عدّة أيّام دعوةً للحضـور إلى الجبهة، لا أدري إن وصلـت إليكـم أم لا. ولمَ لم تجيبوا؟ والسلام. مع الاحترام، ولدكـم وأخوكم السيّد مجتبى شفيعي 1988/5/4م.

ملحق الهوامش

(1) **هامش ص رقم** 566.

- كان أوّل من استخدم عبارة «**مجموعة 1 + 5**»، السيّد «**يوسف مرادي**»، ابن الشهيد السيّد «**عنايت الله مرادي**». وقال السيّد «**يوسف**»: في الواقع، هذه الحرب العالميّة، التي بدأها العراقيّون علينا، مسألة عائلتكم، المجموعة المقترحة 1+5؛ حضور الوالد مع خمسة من أبنائه في الجبهة، في خمسة خطوط مختلفة لهو مسألة فريدة من نوعها، وكانت هذه هديّة جيّدة للعراقيّين المعتدين.
- والدي، السيّد «**سليمان الحسيني**»، أُرسل خمس مرّات إلى الجبهة كعنصر من عناصر التعبئة، وقد شارك في جبهات الدفاع المقدّس لمدّة 28 شهرًا في فرقة كربلاء 25، لواء الإمام الحسن 15، ولواء أبي الفضل العبّاس.
- أخي، السيّد «**قدرت الله الحسينيّ**»: جريح ومعتقل سياسي في أيّام الثورة. من مواليد العام 1953م. في العام 1973 التحق بدار المعلّمين التابع لعشائر شيراز. في العام 1977 (قبل انتصار الثورة بسنتين)، نفّذ ومجموعة من رفاقه هجوماً ليليّاً على سينما بارامونت في شيراز لعرضها أفلاماً منافية للأخلاق. وفرّ من أيدي رجال الشرطة وعناصر السافاك حينها. لكنّه اعتُقل في النصف الأوّل من العام 1977 على أيدي السافاك، وأُرسل إلى طهران. بقي ثلاثة أشهر في الزنزانة الانفراديّة التابعة للّجنة المشتركة لمواجهة الأعمال التخريبيّة. وبعد سلسلة من التحقيقات، نُقل إلى معتقل عامّ. وهناك كان رفيق سجن «**لمحمّد علي رجائي**» والحاجّ «**مهدي عراقي**». وقد تعلّم السيّد «**قدرت الله**» الدروس من هذين العظيمين، الدروس التي صاغت شخصيّته السياسيّة والثوريّة فيما بعد. بعد مدّة، نُقل إلى المعتقل العامّ رقم (4) التابع لسجن أوين، ومن ثمّ إلى المعتقل العام رقم (1). في المعتقل رقم (1) لسجن إيفين، تعرّف بآية الله الطالقانيّ، آية الله «**منتظري**»، الشيخ «**هاشمي رفسنجاني**»، لاهوتي، ومجاهدي الثورة الآخرين. كان المنافقون يسخرون من السيّد «**قدرت الله**» بسبب طول لحيته. وقد حُكم بسنتي سجن. أمضى منها أربعة عشر شهراً، ليتحرّر في أوج غليان الثورة، بتاريخ 1978/10/25، هو ومجموعة مؤلّفة من ألف أسير. وسوف تُنشر مذكّراته قريباً في كتاب «**آفتاب مهربان**» (الشمس الدافئة). بعد التحرّر، ساهم في تشكيل الحرس الثوري، ومن ثمّ جهاد البناء في كجساران. أصبح السيّد «**قدرت الله**» من الأعضاء الأساسيّين المشكّلين لحزب الجمهوريّة الاسلاميّة في كجساران. في بداية الثورة كان مسؤول جهاد البناء، ومن ثمّ خدم لمدّة اثني عشر عامًا كمدير للتربية والتعليم في مناطق «**باشت**» و«**دنا**» المحرومتين. شارك في حرب الدفاع المقدّس، وعُيّن في مهران قائداً لكتيبة مالك الأشتر. بعد انتهاء الحرب، انتقل إلى شيراز لمتابعة دراسته، وتابع نشاطاته السياسيّة والثقافيّة

كمديـر للجمعيّـة الاسلاميّة لخرّيجي جامعة شيراز. في العـام 1995، عُيّن قائم مقام عن منطقة «**نور آبـاد ممسنـي**». في العام 2005 عمل كمدير للمجمّع العلمي لجامعة العلـوم الطبّيّة في شيراز.في العام 2007 ترشّـح لانتخابـات الدورة الثامنـة لمجلس الشورى الاسلاميّ عـن منطقة «**كجسـاران وباشت**»، فسلك طريقه إلى هذا المجلس في 14 شباط من العام نفسه كنائب عن أهالي كجساران وباشت.

- أخـي السيّد «**نصـرت الله الحسيني**»: قبل انـدلاع الحرب المفروضة، كان رفيق جهـاد الحاجّ أ«**حمد متوسّليـان**»، والشهيـد «**عبّاس كريمـي**»، والحاجّ «**رضـا دستواره**»؛ والحـاجّ «**رضا جراغـي**» في قتال الخارجين عن القانون وأعداء الثورة، في قلاقل كردستان، «**سنندج**»، وفي تطهير «**مريوان**». مع ابتداء الحـرب المفروضـة، جاء إلى منطقة الجنوب وعبـادان برفقة الشهيد «**أحمد كاظمـي**» والحاجّ «**علي فضلـي**». كان فـي العـام 1980م قائد مجموعـة. حينها لم يكن يوجد في الحرسـ ألوية وفرق. في تلك السنـة نفسهـا، بالالتفات إلى المهارة التي كان يمتلكها في قيـادة الجرَّافة، تمكّن بواسطة آليّة جرافة (لودر)، كان قد غنمها الإخوة في الحرب، وتحت نيران العدوّ الشديدة، من العمل على إحداث سواتر ترابيّـة ومتاريـس جماعيّـة محكمة، في منطقة فيّاضيّـة، جسر آبادان، تحت جسـر خرّمشهر، مقابل مصنـع الحليـب، ومصنع المراكب، المحطـة 7، و«**جوئبـدة**». في العام 1981، أصبـح قائد سريّة. في العـام 1982 وكمسـؤول عـن محور الاسطتلاع فـي منطقة «**كوشك**»، «**جفيـر**» و «**مخفر زيـد**»، نُقل من «**فرقـة الفجـر** 19» إلى «**الفرقة المدرّعة** 92». في العام 1983عُيّن كمسؤول عن المحور الأمنيّ لـ«**فرقة الفجـر** 19» في مناطـق عمليّات «**دهلران**»، «**موسيان**»، و «**نهر ميمة**». لـم يستطع الابتعاد عن الحرب والجهـاد، لذا؛ عمل من العام 1987 إلى العـام 1995 كقائد استطلاع فرقة سقّز الخاصّة (التابع للفيلق الحـادي عشر (11) الغربي) ومسؤول استطلاع فرقة القدس 16فـي منطقة كيلان. حاولت مجموعات الكوملـة اغتياله، لكنّهـا لم توفّق. كان يُعرف فـي كردستان باسم مستعار هو السيّـد مجتبى شفيعي. ذات يـوم ذهب السيّد «**نصرت الله**» في مهمّة داخل الأراضي العراقيّة، فقصدت مجموعة من الكوملة بيتـه، وقدّم أفرادها، بصفتهـم أصدقاء له، فخذاً من لحم الغنم لزوجته. فـي اليوم التالي حين عاد السيّد نصرت الله إلى البيت، وأخبرته زوجته بأمر لحم الغنم. قال لزوجته: عسى أن لا تكوني تناولت منـه شيئـاً؟ فأجابت: إنّه في الثلّاجـة، لم نأكل منه! فذهب فـوراً إلى الثلّاجة، حملـه ورماه في فناء البيـت. فماتـت القطّة التي أكلت منه. في العام 1995 التحق بالقـوّات البرّيّة لحرس الثورة الاسلاميّة، وشغـل مسؤوليّات مختلفة من جملتها، مسؤوليّة دائرة دراسة الصلاحيّة، نائب مسؤول وحدة الأبحاث والتقييـم، إدارة عمليّـات التفتيـش، إدارة وحدة البحث والتقييـم، ومسـؤول إدارة الصحَّة، التحقيق فـي الحوادث والكوارث في القـوّات البرّيّة لحرس الثورة الإسلامية. للسيّـد نصرت الله باع طويل في الجهـاد، حيث خدم عشر سنوات وستّة وعشرين يوماً. وقد جُـرح على امتداد سنوات الدفاع المقدّس أربـع مرّات. المرّة الأولى كانت بتاريخ 4/آب/ 1980، أي قبـل ابتداء الحرب المفروضة بسبع وثلاثين يومـاً، فـي منطقة «**مريوان**» فـي كردستان، أثناء مواجهة مـع أعداء الثورة، إثـر إصابة شظيّة قذيفة آر بـي جي رأسه ويده اليمنى. المـرّة الثانية كانت بتاريخ 1981/1/7في منطقـة عمليّات الفيّاضيّة في عبـادان، إثر انفجار قذيفـة مدفعية بالقرب منه. المـرّة الثالثة كانت بتاريـخ 1984/2/22في عمليّات خيبـر في منطقة «**أهوار الهويزة**» وجزر «**مجنون**»، بسبب قوّة الانفجار واختراق شظيّة قذيفة لرأسه. المـرّة الرابعة كانت قبل تحـرّري بثلاثة أشهر، بتاريخ 1990/6/7 في «**مرتفعـات وزنه**» في «**بانه**» على

أيـدي جماعة الكوملـة، إثر إصابته بثلاث رصاصـات استقرّت في اليد والرجـل والبطن. وقد كان له فخـر المشاركـة على امتداد سنوات الدفـاع المقدّس، في عمليّات الفتح المبيـن، عمليّات «**الضربات الخاطفـة**» فكّـة، عمليات بيت المقدسـ (1 و2 و3)، عمليّات رمضان، عمليّـات خيبر، عمليّات والفجر 10، عمليّـات المرصـاد، وأربعيـن عمليّة تطهير و... . يشغـل السيّد «**نصرت الله**» فـي الوقت الحاضر فـي طهـران، مسؤوليّة معاونيّة التفتيش والحقوق، في جامعة الإمـام الحسين عليه السلام لتخريج الضبّاط وإعداد عناصر الحرس.

- أخـي الشهيد السيّد «**هدايت الله الحسينيّ**»، التحق بالجبهـة كمتطوّع منذ العام 1982. في العام 1985 أصبـح عضواً رسميّاً في الحرس، وعُيّن نائباً لوحدة الاستطلاع والعمليّات في «**لواء الفتح** 48». شارك السيّـد هدايت الله في عمليّات خيبر، بدر، والفجـر 8، كربلاء 2، 4 و5، والنصر 4. واستُشهد بالنهاية، بتاريخ 1987/11/26 في عمليّات استعادة «**مرتفعات دوقلو**» في كردستان.

أمّـا أنا فالتحقـت بالجبهة بتاريـخ 1986/10/12. كنت في «**لـواء الفتح** 48». انتقلت بعـد شهادة أخي إلـى وحدة المعلومات والعمليّـات. جُرحت أربع مرّات على امتداد السنـوات التي قضيتها في الجبهة. المـرّة الأولى كانت بتاريـخ 1986/12/26 في عمليّات كربلاء 4 في جزيرة مينو، بحيث أصبحت جريحاً كيميائيًّـا. المرّة الثانية كانت بتاريخ 1987/1/5 أثناء قصف المقاتلات العراقيّة لخط دفاع مرتفعات جاجيلـه، حيث أُصيبت رجلـي بشظايا القنابل العنقوديّـة. المرّة الثالثة كانـت بتاريخ1987/5/23 في خـط دفاع «**شاشوي**» فـي كردستان، إثر إصابة في الرجل في حقل ألغـام. المرّة الرابعة كانت بتاريخ 1988/6/25 في جادّة خندق جزيرة مجنون، حيث بُترت رجلي ووقعت في الأسر.

- أخـي السيّد «**شجـاع الدين الحسينيّ**»، الذي يصغرني بسنة، التحـق بالجبهة إلى جانب بقيّة أخوتي. كان قنّاصـاً فـي كتيبـة الإمام جعفر الصـادق عليه السلام في منطقـة «**أهـوار الهويـزة**»، وكان لمدّة عامل الإشارة الملازم لقائد الكتيبة. السيّد شجاع خرّيج جامعة العلوم القضائيّة في طهران.

(2) **هامش الصفحة رقم 638**

- فـي فتـرة بعد الظهر مـن يوم الأحد الواقع فـي 18 آب 1980م. حيث كانت الشمسـ تسطع على جدران الطيـن في قريـة «**ظهراب**»وأزقّتها الضيّقة. وكانت القرية كزهرة ميّـال الشمس وسط صخرة، تعاين غـروب الشمسـ. كنت حينها صبيّاً في التاسعة من العمر. وكنت قد تقاسمت مع من هم في مثل سنّي، الأوقـات الجميلة لفتـرة الحداثة. كانت الحياة تمضـي كنهر زلال في مسيره الهـادئ. وكنت إضافة إلـى الأعمال اليوميّة، أساعد والدتي في أوقـات الفراغ. وقد عدت توًّا، قبل ظهر ذلك اليوم من الجبل بحمولة من الحطب.

ببركـة الثورة الاسلاميّة، عاد البناء والعمران إلى قريتنا، ليرفع آثار عدّة سنوات من الفقر والحرمان عـن وجه المنطقة المنسيّة. فكان مشـروع إنشاء الطرق قيد التنفيذ، وذلك ليتمّ وصل قريتنا بمناطق «**بيجـاب**» الجبليّـة ويخلّصها من الإنعـزال. ظهر ذلك اليوم، ملأت لي أمّي برميـلاً صغيرًا من الماء، ووضعـت مقـدارًا من الخبز المحلّـى في صرّتي، وأرسلتنـي إلى بستان الرمّان. كانـت أشجار الرمّان والعنب والتين قد أثمرت، وتنتظر يد صاحبها ليقطفها.

قرابة الساعة الخامسة والنصف من بعد الظهر، حمّلت الرمّان على الحمار، وكنت عائدًا إلى القرية. ومـا إن ابتعـدت مئة متر عن البستان، حتّـى دوّى صوت انفجار رهيب. وقد انبعـث دخان أسود غليظ

مـن أعلـى بيت في القرية. إلى حينها لم أكن قد سمعت مثل هذا الصوت. وقد اختلطت أصوات أهالي القريـة بعواميد الدخان الغليظ والتراب. تركـت الحمار وحمولته، وهرعت مضطربًا إلى البيت. كانت أعمـدة الدخان والغبار قد خمـدت. وكانت الأجساد المحروقة، والمقطّعة إربـاً، والشعر المتطاير في الجـوّ، كورود سجّـادة نُقشت على سجّادة أرض القرية. كانت أسطـح البيوت في القرية تشكّل فناءات للبيـوت الأعلى منها. وكان بيتنا يقـع في الجنوب الغربي للقرية. وصلت إلـى البيت لاهثًا. رأيت أختي بروانـة ذات السنوات الستّ جالسةً أمام الباب تحمل أختي الصغرى «**هنكامة**» ذات الأشهر الخمسة. كانـت «**هنكامة**» تبكي، حاولت بروانـه إسكاتها لم تفلح. سألت بروانة عن أمّي فقالت: ذهبت إلى بيت «**الميرزا ضرغام**»!

وأين «**مهين تاج**» و«**همّت الله**»؟

- «**مهين تاج**» مع أمّي، وهمّت الله في الفناء.

وفيمـا كنـت أترك بروانه سألتني: أميرا ما هذا الصوت؟ لم أجبها. لم أدخل الفناء، ومن ذلك الجزء السفلـيّ من البيـت اختصرت الطريـق وأسرعت إلى بيـت «**الميرزا ضرغـام**». كانـت تراودني أفكار عجيبـة، وصلـت إلى بيت «**الميرزا ضرغـام**»، لم أجد أحداً. كان بعض أهالـي القرية قد لقوا حتفهم، وبعضهـم قد جُـرح؛ أمّا الأحياء فذهبـوا إلى مكان الحادثـة. كانت جثث الشيـوخ والشباب، الأطفال والصغـار قـد سقطت أرضًا على مسافات متقاربة في الأزقّة الضيّقـة والمتعرّجة الموصلة إلى البيت. عند عودتي دخلت من الباب الثاني لبيتنا. وكان لبيتنا مدخلان، شرقيّ وغربي. وصلت إلى البيت وأنا ألتقط أنفاسي، وما إن هممت بالدخول حتّى تجمّدت في مكاني من رؤية جثّة أخي السيّد «**همّت الله**»، مطروحـةً أرضـاً شمال المدخل. لم أصدّق أنّ أخي السيّد «**همّت**» قـد مات. كان ذلك شيئًا لا يُصدّق. قلـت فـي نفسي: إنّ السيّد «**همّـت**» نائم أو غائب عـن الوعي. جلست إلى جانبـه، حرّكته، كان جسمه بـاردًا، والـدم يسيل من الجهة الشماليّة لوجهـه النـاعم. كان كطائر صغير سقـط أرضًا. وقد جمدت الضحكـة الطفوليّة والبريئـة على محيّاه. هذا وقد تلاشت عينه اليسرى وجـزء من رأسه. كان السيّد «**همّت**» قد وضع يديه على مكان الجرح، وسقط على الأرض على هيئة السجود. لم يكن أحد فوق رأسه عند موته. وكنت أنا أوّل الحاضرين إليه.

كان السيّـد «**همّـت**» الأكثـر مظلوميّة مـن بين إخوتـي. وقد اعتنى إخوتـي به أكثر من الـلازم بسبب حالتـه الخاصّة. فحين انتقل أخي السيّد «**قدرت الله**» فـي العام 1974، إلى «**تنك بيرزال**» في محافظة كهكيلويـه، لمزاولة مهنة التعليم فيها، أخذني وأختي «**مهين تاج**»، وأخويّ السيّد «**عنايت الله**»و«**السيّد هدايت الله**» معه. وذلك ليتابع الكبار دراستهم، ويكون الصغار تحت رعايته. وعندما كان يذكر «**مهين تـاج**» والسيّد «**همّت**»، كانت وجنتاه تبتلّان بالدموع. قبلها بسنتين مرض السيّد «**همّت**»، ولغياب والدي وإخوتـي، أخذته والدتـي إلى «**كجسـاران**» للمعالجة. وهنـاك أُصيب بشلل نصفـي بسبب حقنه خاطئة حُقـن بهـا. لفترات طويلة، كان السيّد «**همّت**» لا يسير بضع خطـوات إلّا بشقّ الأنفس. ولكثرة ما قامت والدتـي وإخوتـي بالعمل على تمرينه تحسّن قليلاً في ظـرف سنة. ما إن كان يخطو بضع خطوات حتّى يسقط أرضًا. حينها سُرّت عائلتنا الكبيرة من تحسّن حال السيّد «**همّت**»، ومن قدرته على المشي شيئاً فشيئًـا. غالبًا مـا كان أخي الأكبر السيّد «**حشمـت الله**»، يعمل على تمرينه. ومن أجـل أن يحثّ السيّد «**همّـت**» علـى المشي، كان يجلس على مسافة خمسة أمتار منـه، يحمل قطعة من الشكوكولاتة في يده،

ويناديه: «**همّت**»! تعالَ وخذها.

كان السيّد «**همّت**» يركض نحوه. وكل عدّة أمتار كان يسقط أرضًا. كنّا جميعًا نتألّم من رؤيته يسقط أرضًا.

حين كنت أنظر إلى جثّة السيّد «**همّت**» غير مصدّق لما جرى، كنت أتذكّر براءته ومظلوميّته. بكيت بصوت عالٍ، وعالٍ جدًّا، وقلت في نفسي: إلهي! حقًّا قُتل السيّد «**همّت**»! بكيت إلى جانب جثته إلى أن ارتويت. ذهبت إلى «**بروانة**»، كانت لا تزال جالسةً في مكانها. لم أخبرها بأنّ أمّي لم تكن في بيت «**الميرزا ضرغام**»؛ ولم أخبرها شيئًا عن السيّد «**همّت**» أيضًا. كنت أريد أوّلاً، أن آخذ «**هنكامة**» معي إلى ساحة القرية، لأسلّمها إلى أمّي. قلت في نفسي: عندما أجد أمّي أقول لها أنّ «**هنكامة**» بُحّت من البكاء. تعالي وأرضعيها! طلبت من «**بروانة**» أن تبقى في مكانها، وترعى «**هنكامة**» إلى حين عودتي. أردت أن أفتّش عن أمّي وأختي «**مهين تاج**».

عدوت برجلاي الصغيرتين إلى مكان الانفجار. كانت أصوات نحيب نسوة القرية ورجالها تتعالى. نتف النسوة شعورهن، وخدشن وجوههنّ. كان كلٌّ منهم يبحث عن جثّة. بعضهم ممّن وجد جثّة قريبه، جلس بالقرب منها، وراح ينتحب ويبكي. كان الناس حيارى بين الجثث والأجساد المقطّعة إربًا. وكنت أعيش أشدّ لحظات حياتي وحشةً. مررّت نظري على الجثث واحدةً واحدةً. كانوا جميعًا أقرباء لي. تقدّمت قليلاً، وإذا بي أرى أختي «**مهين تاج**» ابنة الثلاثة عشر ربيعًا، ممدّة على الأرض كوردةً ذبلت قبل أوانها. وقد غطّى الغبار والبارود وجهها المنير. كانت جدائلها المتطايرة محترقة مثل قلبي المفجوع. تقوقع طائر إحساسي في زاوية من زوايا كياني، فبقيت مبهوتًا ممّا حدث. جلست إلى جانبها، ورحت أنتحب بصوت عالٍ. كنت متعلّقًا بها إلى درجة كبيرة. كانت جثّتها قد سقطت بالقرب من مدرسة القرية الابتدائيّة؛ المدرسة نفسها التي أنهت فيها الصفّ الخامس، وأنهيت أنا فيها الصفّ الثاني. كانت ترتدي حجابًا أحمر اللون، وقد احترق قسمًا منه. عادةً ما كان نسوة القرية وبناتها يرتدين اللباس التقليديّ الخاصّ بالمنطقة. فكان الفستان الذي ترتديه أختي لبنيّ اللون، ذا أرضيّة مزيّنة بزهرات دوّار الشمس. وكانت تتقلّد القلادة الذهبيّة التي كان خالي قد اشتراها لها. وتضع في يدها أسورةً فضيّة عريضة. فتّشت عن أمّي، ومهما سألت عنها لم يجبني أحد. كان كلّ واحد يفتّش عن جثّة. تركت جثّة: «**مهين تاج**». وفيما كنت أبحث عن أمّي سمعت ابنة عمّي «**شاه بي بي**» تناديني قائلة: ها هي جثّة «**غل بي بي**» هنا. هرعت نحو الجثّة، كانت تلك أمّي. كنت أنظر إليها غير مصدّق ما أرى. ما كنت أظن أنّي سأفقدها. اصفرّ لوني، انفطر قلبي من فداحة الفاجعة. لقد شحب لونها، وحلّ الخريف على وجودها الغضّ والعطوف قبل أوانه. ليت يداي كانتا تطاوعاني لأزيل الغبار عن وجهها. ليت الزمان يعود لأحادثها. ليت الزمان يمنحني ولو لمرّة واحدة، فرصةً لأقبّل يديها وأعرف قدرها. كان دماغ والدتي قد تلاشى. وملابسها تلطّخت بالدماء. غالباً ما كانت أمّي ترتدي الثياب التقليديّة القاتمة اللون. وعادةً ما كانت تختار اللون الرماديّ، البنّيّ والكحليّ، لملابسها وإشارباتها. حينها كانت تضع على رأسها إشارباً أسود اللون، وترتدي فستانًا تقليديًّا بنّيًّا فاتح اللون، ذا أرضيّة مزيّنة بورود القرنفل. لم أعرف لمن أبثّ آلام وحدتي وغربتي. فإلى حينها لم أكن قد ذقت بعدُ ألم الفراق. وشيئًا فشيئًا كانت سهام الألم والوحدة تتهاوى على بدني من كلّ حدب وصوب. كانت أصوات النحيب والنواح تملأ جوّ القرية. وقد وصل أهالي القرى المجاورة لمدّ يد العون إلينا، ونجدة الجرحى.

مــن بين أصوات المسعفين ونحيــب المفجوعين، وفي خضمّ صراخات أهــل القرية المفطّرة للقلوب، سُحبــت جثّــة أخــي السيّد «**عنايت الله**» ابــن التسعة عشر ربيعاً مــن تحت الركام. كانــت رجل السيّد «**عنايت الله**» فقــط خارج التراب. لــو كان أُخرج في الوقت المناسب لكان بقــي على قيد الحياة. لكنّه اختنق تحت الركام. لقد طار طائر الأمل عن سطح وجودي. وخبرت أقسى وجوه الموت. لم أكن أعلم في أيّة نقطة من الزمان والمكان توقّفت.

رجعــت إلى المنزل. كانت «**بروانة**» تبكي. فحين كانت تريــد الذهاب إلى محلّ الانفجار، وبينما كانت تخــرج من باب المنزل الآخر الذي خرجت منــه، رأت جثّة السيّد «**همّت الله**». فرجعت و«**هنكامة**» إلى البيــت. جلســت إلى جانبها. ظننت أنّها لا تعرف بأمر السيّد «**همّت**». انفجرت بالبكاء وقالت بلهجتها الطفوليّة البريئة: هل رأيت همّت؟!

مــا إن تفوّهــت بهذه الكلمات حتّــى أخذتُ بالبكاء. لم أكــن أعلم ما أفعل لهــا. كان قلبي يعتصر لكلتا أختــيّ. وخاصّــة «**لبروانــة**». ماذا أفعــل إن بقيتُ مع «**هنكامة**»؟ لــم أكن أودّ الذهــاب بهما إلى ساحة القريــة. لــم أكن أريــد «**لبروانــة**» أن ترى جثّة أمّي، وأختــي، وأخي. كنت مضطربًا إلــى درجة كبيرة. وللمرّة الثانية انفصلت عنهما. وعدت إلى حيث الجثث. أردت أن أكون إلى جانب أمّي.

غابــت الشمــس حاملةً معها حملاً ثقيلاً من الغــمّ والحزن، فاختفيت بدوري بيــن جموع الناس الذين هبّــوا لمساعدتنا. الأناس الذيــن عمّت أمواج محبّتهم المكان كلّه، وأظهــروا لمفجوعي الحادثة عزاءً وصدقًا وودًّا.

نقــل نســوة القرية جثّــة أختي إلى جانب جثّــة والدتي. كانــت الشظيّة قد اخترقت قلــب أختي و كتفها الأيســر. ونقــل ابن عمّــي السيّد «**إسحاق**»، الــذي فقد أخوين له، همــا السيّد رحيــم والسيّد درّاج في الانفجــار، جثّة أخي السيّد «**همّت**» إلى ساحة القريــة. وفيما كنت جالساً إلى جانب جثث عائلتي، أتت «**بروانة**» حاملةً «**هنكامة**» إلى مكان الانفجار.

لم أدرِ كيف انتهى الليل. كنت كطير تبلّل بماء المطر ووقع في زاوية من زوايا وطني الغريب. وفي تلك الليلة جرّعت نفسي ذكريات طفولتي الجميلة جرعةً جرعةً لأبلسم جراحي العميقة، وأفضّ غبار الليل عن وجنّتي التي هجرهما الربيع.

فــي أواخــر الليل، ظننت أنّ كلّ تلك الأحــداث هي حلم لا أكثر. وكوني طفل، لــم أكن تحقّقت بعد ممّا حدث لي.

فــي المدخــل الشمالي للقرية، كانت هنــاك ساحة كبيرة، وكانــت الجثث تُنقل إليهــا. وقد قذفت قوّة الانفجــار معظم الجثث إلى خراج القرية على مسافة خمسمئة متــرًا. بعد أسابيع، كان النــاس يعثرون علــى أشــلاء من أجساد القتلى في خراج القرية، ويدفنونها في مدافــن القرية. وقد دُفنت أيادٍ وأرجل فــي مقبرة القرية إلى جانــب جثث ليست مرتبطة بها. كما دُفنت أشلاء مــن أجساد بعض القتلى إلى جانــب جثث مهشّمة أخرى. فدُفنت رجل مفصولة عن جسد رجل إلى جانب جثّة رجل آخر، ويد امرأة مقطوعة إلى جانب جثّة امرأة أخرى في مقبرة القرية. لم تعد القرية أبدًا إلى حالتها السابقة، وكانت تؤول إلى الخراب يومًا فيومًا. فمعظم شباب القرية قد قضوا في ذلك الانفجار.

بعــد ستّة وثلاثيــن يومًا، (في 22 أيلــول 1980م)، شنّ العراق هجومًا على إيــران. ودائمًا ما كنت أقول لنفســي: لو كان بقي أولئــك الشبّان الغيورون أحياءً، لكان الكثير منهم فــي عداد الشهداء والقادة في

حرب الدفاع المقدَّس.

كان الناس في ميدان القرية يبكون وينتحبون إلى جانب جثث قتلاهم. النسوة ينتفن شعورهن، ويخدشن وجوههنّ. وعمّت القرية أجواء الغمّ والحزن. وكأنّ القيامة قد قامت. كان الجوّ يفوح برائحة الدماء والبارود. أُحضرت جنازة أمّي وأختي وأخَوَيّ إلى ساحة القرية. وبين جموع الناس في القرية التي كانت تجمع الجثث، ذهبت إلى أسفل القرية بحثًا عن أختيّ «**بروانة**» و«**هنكامة**». كانت الملابس التي غسلتها أمّي قبل ظهر اليوم، موضوعة على قسطل المياه قرب بيتنا، والظاهر أنها لم تجد فرصة لنشرها على الحائط. دخلت البيت، كان الصمت يعمّ المكان، ولم أجدهما.

حضر أهالي القرى المجاورة لتقديم المساعدة للجرحى، وجمع القتلى، وتنظيم الأوضاع.

ليلًا، كنت حائرًا مثل سائر أولاد القرية. وقرب بركة الماء في القرية، أخذ ابن عمّي السيد «**إسحاق بيدي**» وسلّمني إلى خالي. كان خالي الأصغر «**أمّيد علي جهانديدة**»، يخدم حينها في مخفر شرطة بوستان. وقد جاء برفقة جنود المخفر وضبّاطه إلى القرية، مرتديًا الزيّ العسكريّ. قبل انتصار الثورة، كنت أشعر بشعور سيّء تجاه الزيّ العسكريّ لشرطة مخفر بوستان. ففي السنوات الأخيرة للحكم البهلوي، أقدم شرطة مخفر بوستان برفقة العقيد «**رحماني**» رئيس الساواك في منطقة «**كجساران**» على تفتيش بيتنا، واعتقال أبي. وبعد اعتقال أخي السيّد «**قدرت الله**» من قبل الساواك، كنت والصبية، حين يدخل عناصر شرطة مخفر بوستان إلى القرية، نفرّ، ونختبىء خلف الصخور في أعلى القرية إلى أن يذهبوا. ذات يوم حضر العميد «**رحماني**» إلى بيتنا للتفتيش. أراني مسكوكة عبارة عن تومان واحد وقال: إن أخبرتني أين هي كتب أخيك وأسلحة أبيك، أعطيك هذه! كنت أودّ في عالمي الطفوليّ ذاك أن أحصل على تلك المسكوكة، دون أن أبوح بمكان أسلحة أبي وكتب أخي!

كان خالي «**أمّيد علي**» ينتظرني إلى جانب سيّارة المخفر العسكريّة. سلّمني السيّد «**إسحاق**» إلى خالي. ضمّني خالي إلى صدره، قبّلني وسأل عن أخته. سكتّ، سأل: أمير! أين أمّك؟

- قُتلت!

حدّق بي. لم يصدّق أنّه فقد أخته الوحيدة. وحين سأل للمرّة الثانية عن أمّي، انفجر بالبكاء، جلس هناك إلى جانب سيّارة المخفر العسكريّة الرماديّة، وراح يبكي بصوت عال. من شدّة ما كنت بكيت، فقدت القدرة على البكاء مجدّدًا. سألني خالي: أين «**مهين تاج**»؟

- «**مهين تاج**» قُتلت أيضًا.

وهذه المرّة بكى خالي بحرقة وحزن أعمق. كان أخوالي يكنّون محبّةً خاصّةً لأختي الكبرى «**مهين تاج**». سأل عن «**همّت**» و«**بروانة**»، و«**هنكامة**».

- «**همّت**» قُتل، ولكنّ «**بروانه**» و«**هنكامة**» حيّتان.

دللته على الجثث في ميدان القرية. انتحب كثيراً على جنازة أخته الوحيدة وأولادها. أجلسني خالي إلى جانب الجثث، وذهب إلى القرية للتفتيش عن «**بروانة**» و«**هنكامة**». لم يجدهما. كان أهالي قرية «**تكيّة**» قد أخذوهما إلى قريتهم.

عند انبلاج الفجر، سلّمني خالي عند سبيل الماء الواقع في مدخل القرية إلى رجل من أهالي «**باشت**». بعدها تعرّفت إليه. كان يُدعى «**ظهراب**» كرجي بور. وقد جاء توّاً من «**باشت**». كان يملك سيّارة شاحنة (كميون) ماك صفراء اللون. وكان على معرفة بعائلتي. ورفيق جهاد أخي السيّد «**قدرت الله**». كما

كان قبل الثورة زميل الدراسة لأخَويَّ السيد «**حشمت الله**» والسيّد «**قدرت الله**». وقد سلّمني خالي إليه ليأخذني إلى عشيرة «**سياش**». كانت البيوت القديمة لعشيرة أمّي تقع في مدخل «**باشت**». وقد حدثت زحمة سير من «**ظهراب**» إلى «**باشت**» جرّاء الحادثة التي قُتل فيها تسعة وخمسون شخصًا، وجُرح سبعةٌ وثلاثون، فيما بُترت أطراف البعض.

استغرق الوقت ساعتين إلى أن وصلنا إلى «**باشت**». على امتداد الطريق من «**ظهراب**» إلى «**باشت**»، كنت أبكي وأنتحب. كان سائق السيّارة «**ظهراب**» يمسح على رأسي محاولاً التخفيف عنّي. لم أذكر ما كان يقول بالدقّة، ولكن لم يكن أيّ كلام ليهدّئني. عندما كنت أبكي، لم يكن هو أيضًا يستطيع حبس دموعه.

في الطريق من «**ظهراب**» إلى «**باشت**»، خطرت على بالي ذكريات سفرتي الأخيرة قبل شهرين برفقة أختي «**مهين تاج**» إلى «**باشت**». وكان ذلك في شهر نيسان. وكانت أمّي قد أرسلتنا إلى بيت أخوالي في «**باشت**». فالمسافة من «**ده بزرك**» إلى «**باشت**» كانت تستغرق سبع ساعات سيرًا على الأقدام بالنسبة للصغار.

وصلنا قرابة الظهر إلى الطريق الأسمنتيّ بالقرب من جسر بريم. ظهرت الفقاقيع في قدمي، ولم أعد أقدر على المشي. استقلّينا سيّارة مارّة أوصلتنا إلى قرية كَته. كدنا نموت من شدّة العطش. في قرية كته، طرقنا باب أحد البيوت عشوائيًّا. عرّفنا أنفسنا، واستسقينا أهله. كان ذلك منزل السيّد رضا عبد شاهي وهو من طائفة السادة عنائي. أمّا زوجته «**بي بي مهتاب أحمد زادة**» فكانت امرأة مضيافة وودودة. وكانت تربطنا بها مصاهرة ولم نكن نعلم. قدّمت لنا الطعام وأوصلتني وأختي إلى جانب الطريق. وفيما كنّا إلى جانب الطريق ننتظر سيّارة، وإذا بجرّافة (جرّافة بدواليب) صفراء اللون تتوقّف أمامنا. كان السائق أخي السيّد «**نصرت الله**». فقبل عدّة أشهر حين تسلّم أخي السيّد «**قدرت الله**» مسؤوليّة جهاد البناء، طلب من أخي السيّد «**نصرت الله**» أن يخدم أهالي القرى المحرومة عن طريق الجرّافة هذه. فرحنا كثيرًا برؤيته. ترجّل من الجرافة وقبّلنا. استقلّ الجرافة، وأنزل شفرة الجرّافة أرضًا فركبت وأختي «**مهين تاج**» فيها وتوجّهنا إلى «**باشت**». عند مدخل «**باشت**» انفصلنا عن السيّد نصرت الله وتوجّهنا إلى بيت أخوالي. كان ذلك اللقاء الأخير لأخي السيّد «**نصرت الله**» بأختي «**مهين تاج**».

ها أنا الآن ذاهب إلى «**باشت**»، وجثّة أختي «**مهين تاج**» ملقاة على الأرض. وفيما كانت ذكريات الشهرين الماضيين تتداعى لي، لم أستطع إلّا البكاء.

سلّمني «**ظهراب**» إلى عائلة أمّي. وما إن دخلت منزل خالي، حتّى ارتفعت أصوات نسوة عشيرة أمّي «**شياس**» بالبكاء والنحيب عند رؤيتي. في بيت جدّي لأمّي، كانت إحدى النساء تردّد المرثيّات، والنساء الأخريات ينتحبن بأعلى أصواتهنّ. لو كان جدّي حينئذٍ حيّاً، لكان ذاق حسرة ابنته الوحيدة وأولادها. كان جدّي لأمّي «**بهروز جهانديدة**» مزارعاً. كان إنسانًا متكلّفًا ومضيافًا. وقد فارق الدنيا في 13 ك1 1978م. لم يقصّر بحق ابنته طالما كان حيًّا. أمّا جدّتي شاه «**بي بي محمّدي**» فقد أُصيبت بمشاكل نفسيّة وروحيّة حين سمعت بمقتل ابنتها الوحيدة وأبنائها. ومن شدّة المصيبة التي ألمّت بها، كانت لسنوات تجلس ناحيةً وتردّد المرثيّات. اعتاد الجيران على بكائها، أصبحت منزوية ولا تتكلّم إلى أحد، كما لم تعد تستطيع القيام بالأعمال المنزليّة لأبنائها العزّاب ولي ولأختيّ حيث كنّا نعيش معهم،

لم تتوقّف دموع جدّتي إلّا في شهر دي من العام 1366 حيث فارقت الحياة وانتقلت روحها إلى بارئها.
أصبحت وحيدًا جدًّا بعد أمّي. لم يكن لي عمّة ولا خالة. فجدّي لأمّي لم يكن موجودًا، وكذلك جدّي لأبي. كما كنت محروماً من جدّتي لأبي. حتّى أخي الشقيق الوحيد السيّد «**همّت**» قد فقدته.
أحضر خالي «**أمّيد عليّ**» الذي بقي الليلة الماضية في القرية، جثّة والدتي، وأختي وأخي، إلى «**باشت**».
أمّا جثّة أخي الأكبر السيّد «**عنايت الله**» فقد دُفنت في القرية. وقد نقل أخوالي الجثامين الثلاثة إلى البركة الواقعة على مدخل القرية لتغسيلها. وقد حضرت نسوة عشيرة «**شياس**» وقرية تُل مويزي وأقرباؤنا الآخرون الذين يعيشون في «**باشت**»، إلى البركة وهم ينتحبون. حينها، كان أغلب الناس قد أتوا إلى القرية بسبب الفاجعة الكبرى التي حدثت. وقد ذهبت بدوري إلى هناك لإلقاء النظرة الأخيرة على والدتي، أختي وأخي. عندما وصلت إلى البركة، وجدت صعوبة في العبور من بين الناس والوصول إلى الجثامين. وقد ساعدني من تعرّف إليّ من الناس على العبور، وإلقاء نظرة الوداع على جنازات أفراد أسرتي. وعلى الرغم من صغر سنّي، فإنّ اللقاء كان مرًّا وأليمًا.
لقد قضى في ذلك الانفجار تسعة وخمسون نفرًا من أجل نجدة شخصين.وكانت القصّة على الشكل التالي: دخل «**إسكندر إبراهيمي**» الذي كان يعمل في أعمال التلحيم والسيّد حسين سجّادي المنزل لإطفاء البارود. وكان البارود خاصّاً بمديريّة الحمل والنقل، وقد أُحضر إلى القرية من أجل إنشاء الطرقات. ونتيجة لضغط غاز البارود، سُدّ باب الغرفة في وجه «**إسكندر إبراهيمي**» والسيّد حسين.
وقد باءت محاولات هذين لفتحه بالفشل. فهرع نسوة القرية ورجالها إلى المكان لإنقاذهما. حاول كلّ شخص القيام بفعل ما، أحضر أحدهم الماء، حاول الكثير إحداث فجوة في الجدار، سعى نسوة القرية ورجالها جاهدين إلى فتح باب الغرفة، ونجدة إسكندر والسيّد حسين لم يفلحوا، إلى أن انفجر إصبع ديناميت!
كانت تلك المرّة الأولى التي أتعرّف فيها في ذلك السنّ على صوت الانفجار؛ الانفجار الذي سلب منّي أمّي، أختي، وأخويّ. وعلى الرغم من أنّ ذكرياتي لم تكن جيّدة مع الانفجار والمواد المتفجّرة، فقد قصدت بعد حين الجبهة، التحقت من بين الكتائب والوحدات القتاليّة، بوحدة التخريب، وتمرّغت زهاء السنتين فيها بالبارود، والـ «**تي أن تي**»، وفتائل البارود، والألغام، والطوربيدات البنغاليّة، وبراميل (اللهب). وهناك، مع كلّ انفجار مهيب، كانت تتداعى لي فاجعة «**ده بزرك**». بعد ثلاثة أيّام سلّم أهالي قرية تكية أختيّ «**بروانة**» و«**هنكامة**» إلى والدي. جاء والدي إلى «**باشت**» وأودعهما عند أخوالي. كان الاعتناء «**بهنكامة**» أمرًا صعبًا للغاية. وكان أبي قد نقل بروانة إلى ياسوج وأودعها في دار حضانة رعائيّة. كان أبي يخبر بأنّه طرق ذات ليلة، باب ستّ مرضعات في «**ده بزرك**» لإرضاع «**هنكامة**»، فلم تستطع أيّ منهنّ إرضاعها.
في تلك السنوات، كنت أشتاق كثيرًا إلى أمّي. وكان في «**باشت**» امرأة تشبهها إلى حدّ كبير. كانت تُدعى «**بي بي كوهر**». كنت حين أراها أتذكر أمّي. أحيانًا حين كانت تأتي إلى السوق من أجل التسوّق، كنت أتبعها لأراها. لم يعجبها الأمر حيث كنت أحّدق بها. وعلى الرغم من التفاتها لحركاتي وتصرّفاتي غير العاديّة، فإنّها كانت تغضّ النظر عن ذلك كوني طفلاً. ومنذ أن علمت بأمر الشبه بينها وبين أمّي، كان يبدو عليها الألم والانزعاج في كلّ مرّة تراني فيها.
ازداد اشتياقي لأمّي حين كبُرت. كنت أتألّم كوني لا أمتلك صورةً لأمّي، أو لأختي أو لأخي. في العام

1981م حيـن جُرحـت في الجبهة الغربيّـة، أمضيت عدّة أيّام في منزل خالـي الأكبر «**محمّد عليّ**» في طهـران. لقـد تحوّل عدم وجود صـورة لعائلتي إلـى عقدة عندي. ومـن بين جميع الصـور المأخوذة لأقاربي منذ سنوات مضت، لم يكن يوجد ولو جزء من صورة لأمّي، أختي وأخي. كدت أنسى وجوههم شيئـاً فشيئـاً. معظم الأوقات لم أكن أستطيع أن أستحضر صورهـم في ذهني؛ عندما كنت أراهم في المنـام، كنـت أستحضر صورهم. سألت خالي «**محمّد علـيّ**»: خالي العزيز، لقد كنت تمتلك في ذلك الوقـت آلة تصوير، لِمَ لم تلتقط ولـو صورةً واحدةً لأختك الوحيدة ووليديها؟ لديك كلّ هذه الصور من تلـك الفترة، لأبيـك، وأمّك وباقي الأقرباء البعيديـن، ماذا كان حدث لو التقطتّ صـورة لأمّي وأختي وأخي! أجاب خالي الذي كان إنسانًا عاطفيًّا وودودًا، وقد أنهى دراساته العالية في أميركا، وهو يذرف الدمـوع: يـا ابن أختي العزيز، أنّى كان لي أن أعلم أنّي سأفقـد أختي ووليديها! قلت: خالي العزيز: لقد تحـوّل عـدم وجود صورة لهم إلى عقدة عندي! كانت زوجة خالي السيّـدة ناهيد المرأة الودودة تقول: لا زال خالـك إلى الآن، وقد مرّت سنوات علـى ذلك الانفجار، يذهب معظم الليالي إلى الشرفة ويبكي لساعات على أمّك ووليديها!

بعد فاجعة «**ده بزرك**»، كان أخوالي رافضين التحاقي بالجبهة. وكان خالي «**أمّيد علي**» يقول لي دومًا: لقد قُتل من عائلتك أربعة أشخاص. إبقَ واعتنِ بأختيك المظلومتين!

كان انفجـار «**ده بـزرك**» حدثـا بارزا في إيران لفترات طويلة. وقد أُعلن الحـداد لمدّة 3 أيّام في جميع أنحـاء البلاد. وأُقفل بازار طهـران. وأوفد الإمام «**الخمينيّ**» آية الله «**دهدشتـي**» إلى القرية كمبعوث مـن قبله. وأرسل ليونيـد بريجينيف زعيم الاتحـاد السوفياتيّ السابق رسالة تعزيـة إلى الإمام. وقام المسؤولـون الرفيعو المستوى في معظم الـدول بتعزية الحكومة الإيرانيّة. وقد عزّى الشهيد: «**رجائي**» وكان رئيس الحكومة حينها الإمام «**الخمينيّ**» برسالة خاصة.

ملحق 1-2

تلفّظ بعض الأسماء والاعلام ورتب القوات العسكرية

لفظ بعض الكلمات الفارسية

- اللّه خواست.
- خدا خواست: (تلفظ) خاست.

حرف (پ) ويلفظ (P) كما ورد في:

- بارسيان نجاد (پارسيان نژاد) وتلفظ: parsian nejad
- ولي بور (پور): (تلفظ) pour.
- حيدر بور:
- ترابعلي توكل بور: (تلفظ) pour
- نعمت اللّه بايدار: (تلفظ) paidar
- ايت اللّه برور: (تلفظ) parvar
- بيران: (تلفظ) piran
- موقع بشتي (پشتى): (تلفظ) poushteh
- بنجه بند: پنجه بند: (تلفظ) panjé
- خدا خواست بزشك: (پزشك) (تلفظ) pezesheq
- بروانه: پروانه (تلفظ) parvaneh

حرف(گ) ويلفظ (gh) كما ورد في:

- عبد العلي حق كو: (تلفظ) ghoo
- علي محمد كردلو: (تلفظ) gherdaloo
- سوسنكرد: سوسنگرد
- هادي كنجي: گنجی
- صادق آهنكران : آهنگران
- هرمزكان: هرمزگان
- ابراهيم رستكار مقدم: رستگار
- سعد اللّه كُل محمدي: گل محمدي

حرف (چ) ويلفظ (ch) وأحيانا (je) كما في:

- تشراغتشي(چراغچی): (تلفظ) cherakh–cheh
- محطة تشهاشير(چهاشير)
- شلمجة: شلمچه
- خورموج: خورموچ
- مهدي ابريشمجى: ابريشمچی
- حلبجة: حلبچة

حرف (ژ) ويلفظ (J)- (وَ) تلفظ (v) كما في:

- جعفر الوند نجاد(جعفر الوند نژاد): نژاد(nejad) (الوند) (alvand)
- إبراهيم نويدي: novede

- كهكيلويه وبويرآحمد (تلفظ): كَهْ كيلويّه و(٧) بُوير أحمد
- أروند رود: arvand roud
- ساوه: saveh

	القوات العسكرية	عدد عناصرها	رتبة القائد
1	مجموعة الجيوش	عدّة جيوش	فريق أول أو مشير
2	الجيش	4-2 فيالق	عماد- فريق أو فريق أول
3	الفيلق	3-2 فرق	لواء أو فريق
4	الفرقة	3-2 ألوية	عميد أو لواء
5	اللواء	6-3 كتائب	عقيد أو عميد
6	الفوج	2 كتيبة	العقيد الركن
7	الكتيبة	6-2 سرايا	العقيد أو الرائد
8	السرية	4-3 فصائل	النقيب أو الرائد
9	الفصيل/الفصيلة	حظيرتين أو أكثر	نقيب أو ملازم
10	الحظيرة/المجموعة	5-3 عناصر	رقيب أو معاون أو مساعد أول

ترجمة الوحدات العسكرية اعتمادا على التقسيمات في الجيشين اللبناني والعراقي

ملحق

الصور والوثائق

هـذه مجموعة الصفحات الثـلاث والعشرون من دفتر الملاحظات الخاصّ بي الذي جلبته مـن العراق. ترون في هذه الصفحات تواريخَ، وجملاً قصيرةً، وكلمات كلّ منها يمثل عالمًا بالنسبة لي.

وقد كتبت هذا الكتاب «**الرجل التي بقيت**» (**بايي كه جا ماند**) الذي يحوي أكثـر مـن 700 صفحة، على أساس هذه الثلاث والعشريـن صفحة. كما أشرت إلى ذلك في مقدّمة الكتاب.

أسميـت هـذا الدفتر «**الغش فـي السجـن**». وقد كتبتُ فـي أسفل الصفحـة الأولى منه ساخرًا عبـارة صدّام حول الأسـرى الإيرانيّين؛ «**الأسرى الإيرانيّون ضيوف في العراق**»! فكتبت هذه العبارة حتّى إذا ما وقع هـذا الدفتر بأيدي الحرّاس العراقيّيـن، ووقعت أنظارهم على هـذه العبارة، تركوني وشأنـي. كما كتبت اسم صـدّام في هذا الدفتر معكوسًا بحيث صار «**مادص**»!

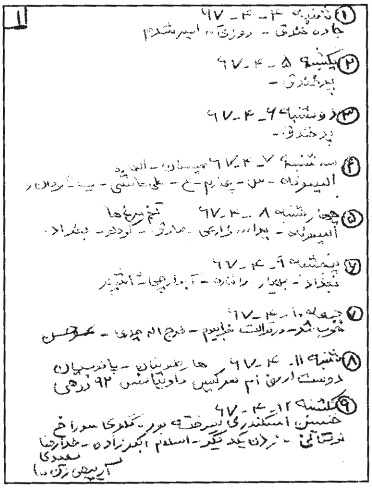

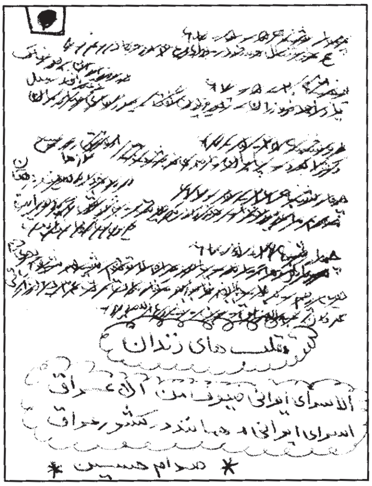

۱) شنبه ۴ - ۴ - ۶۷
جاده خندق - روز ... اسیر شدم

۲) یکشنبه ۵ - ۴ - ۶۷

۳) دوشنبه ۶ - ۴ - ۶۷

۴) سه شنبه ۷ - ۴ - ۶۷

۵) چهارشنبه ۸ - ۴ - ۶۷

۶) پنجشنبه ۹ - ۴ - ۶۷

۷) جمعه ۱۰ - ۴ - ۶۷

۸) شنبه ۱۱ - ۴ - ۶۷

۹) یکشنبه ۱۲ - ۴ - ۶۷

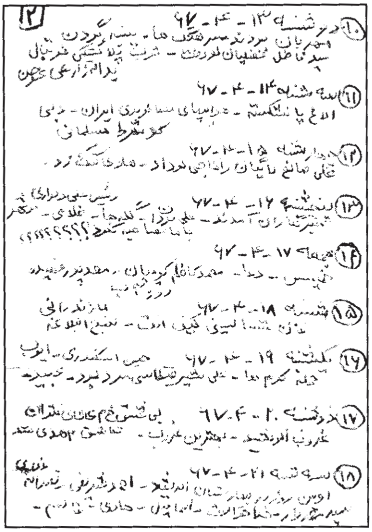

۱۰) دوشنبه ۱۳ - ۴ - ۶۷

۱۱) سه شنبه ۱۴ - ۴ - ۶۷

۱۲) چهارشنبه ۱۵ - ۴ - ۶۷

۱۳) پنجشنبه ۱۶ - ۴ - ۶۷

۱۴) جمعه ۱۷ - ۴ - ۶۷

۱۵) شنبه ۱۸ - ۴ - ۶۷

۱۶) یکشنبه ۱۹ - ۴ - ۶۷

۱۷) دوشنبه ۲۰ - ۴ - ۶۷

۱۸) سه شنبه ۲۱ - ۴ - ۶۷

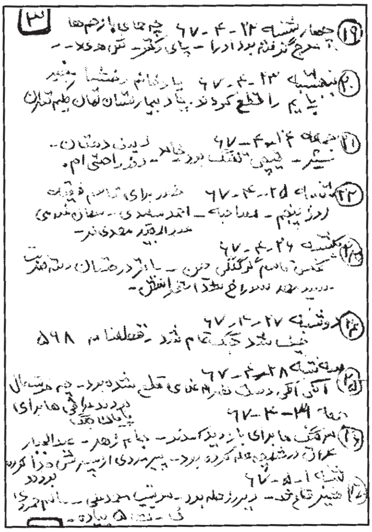

۱۹) چهارشنبه ۲۲ - ۴ - ۶۷

۲۰) پنجشنبه ۲۳ - ۴ - ۶۷

۲۱) جمعه ۲۴ - ۴ - ۶۷

۲۲) شنبه ۲۵ - ۴ - ۶۷

۲۳) یکشنبه ۲۶ - ۴ - ۶۷

۲۴) دوشنبه ۲۷ - ۴ - ۶۷

۲۵) سه شنبه ۲۸ - ۴ - ۶۷

۲۶) ... ۳۱ - ۴ - ۶۷

۲۷) شنبه ۱ - ۵ - ۶۷

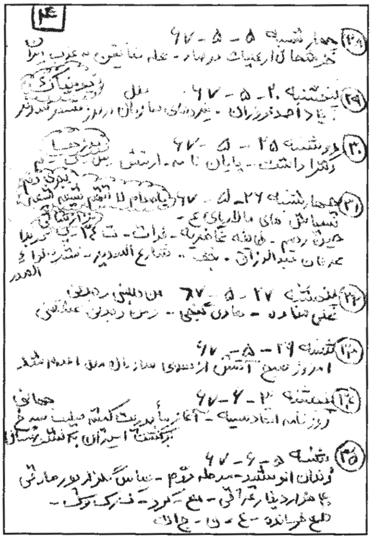

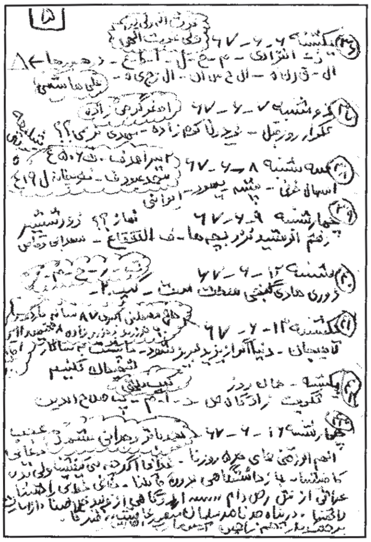

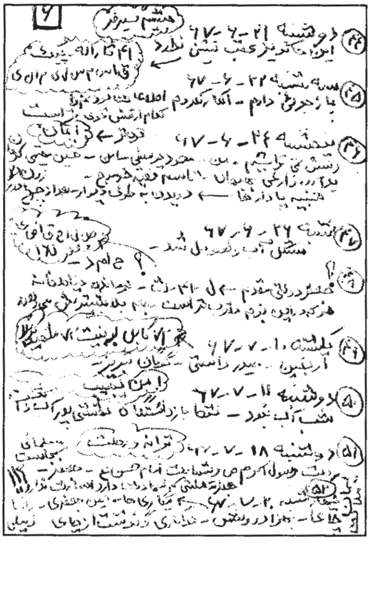

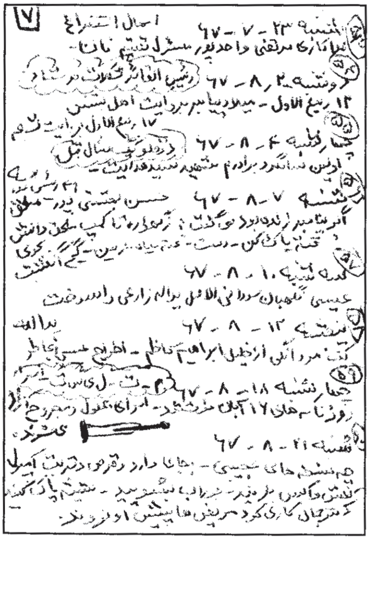

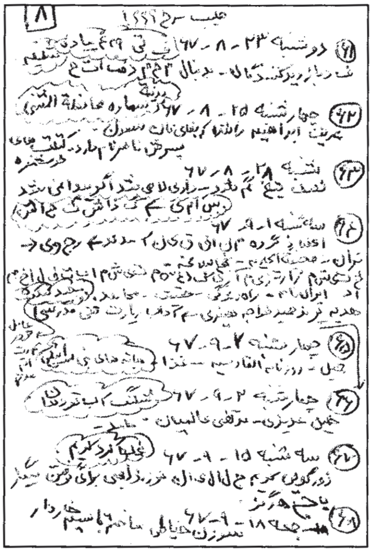

۸

۶۱ دوشنبه ۲۳-۸-۶۷

۶۲ چهارشنبه ۲۵-۸-۶۷

۶۳ شنبه ۲۸-۸-۶۷

۶۴ سه‌شنبه ۱-۹-۶۷

۶۵ چهارشنبه ۲-۹-۶۷

۶۶ چهارشنبه ۲-۹-۶۷

۶۷ سه‌شنبه ۱۵-۹-۶۷

۶۸ جمعه ۱۸-۹-۶۷

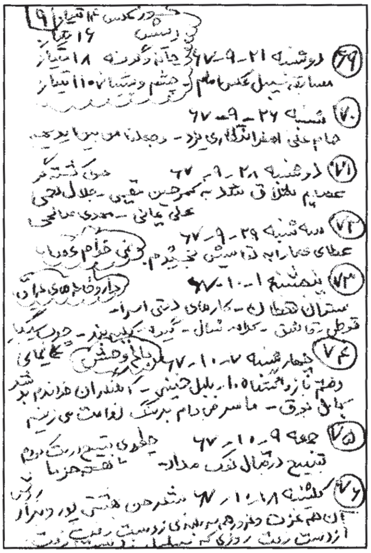

۹

۶۹ دوشنبه ۲۱-۹-۶۷

۷۰ شنبه ۲۶-۹-۶۷

۷۱ دوشنبه ۲۸-۹-۶۷

۷۲ سه‌شنبه ۲۹-۹-۶۷

۷۳ پنجشنبه ۱-۱۰-۶۷

۷۴ چهارشنبه ۷-۱۰-۶۷

۷۵ جمعه ۹-۱۰-۶۷

۷۶ یکشنبه ۱۸-۱۰-۶۷

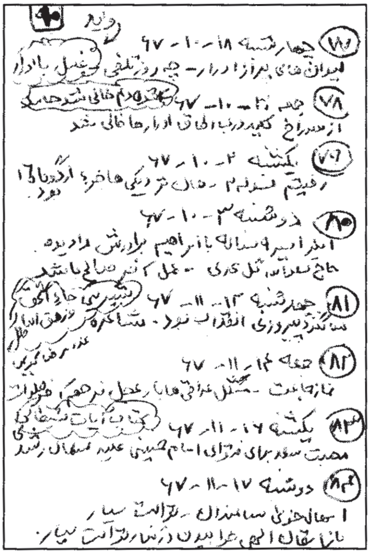

۱۰

۷۷ چهارشنبه ۱۸-۱۰-۶۷

۷۸ جمعه ۲۰-۱۰-۶۷

۷۹ یکشنبه ۲-۱۰-۶۷

۸۰ دوشنبه ۳-۱۰-۶۷

۸۱ چهارشنبه ۱۳-۱۱-۶۷

۸۲ جمعه ۱۴-۱۱-۶۷

۸۳ یکشنبه ۱۶-۱۱-۶۷

۸۴ دوشنبه ۱۷-۱۱-۶۷

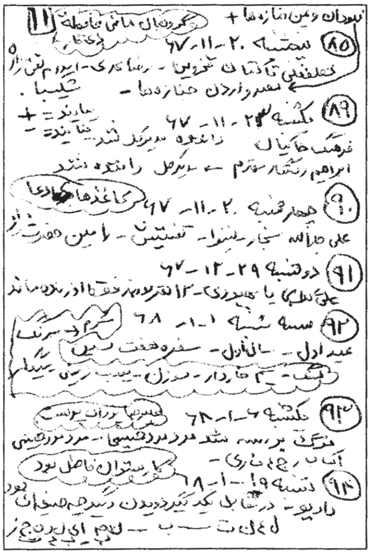

۱۱

۸۵ سه‌شنبه ۲۰-۱۱-۶۷

۸۹ یکشنبه ۲۳-۱۱-۶۷

۹۰ چهارشنبه ۲۰-۱۱-۶۷

۹۱ دوشنبه ۲۹-۱۲-۶۷

۹۲ سه‌شنبه ۱-۱-۶۸

۹۳ یکشنبه ۶-۱-۶۸

۹۴ شنبه ۱۹-۱-۶۸

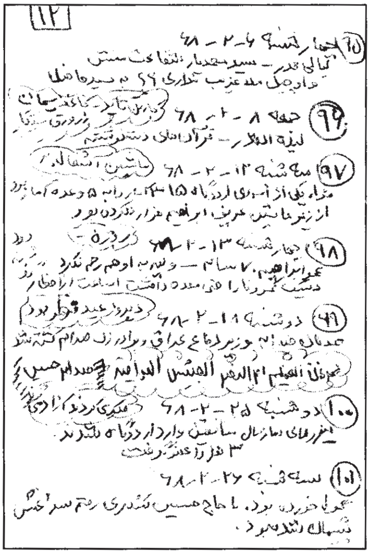

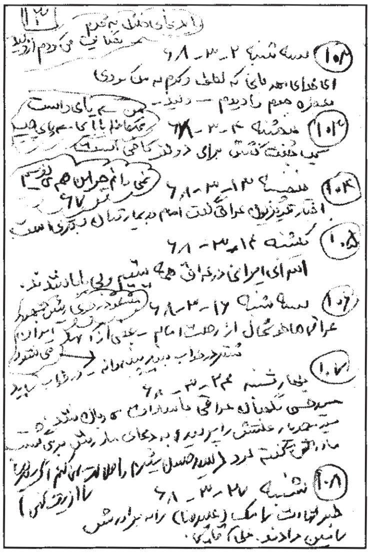

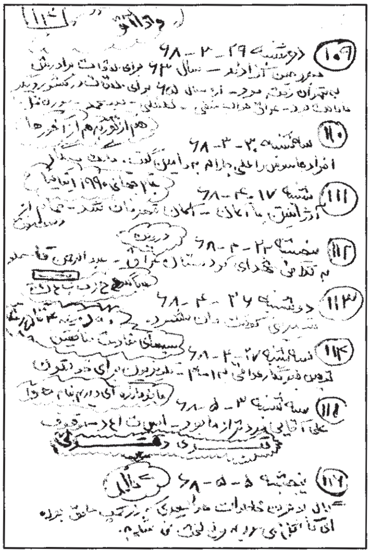

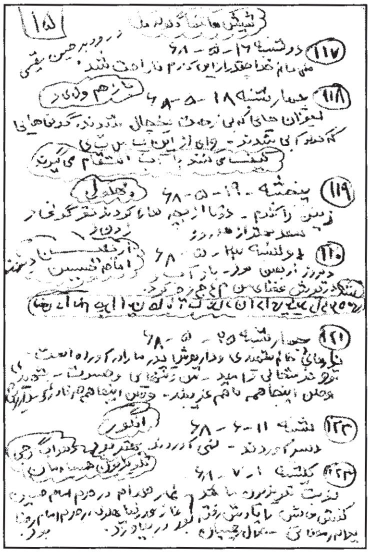

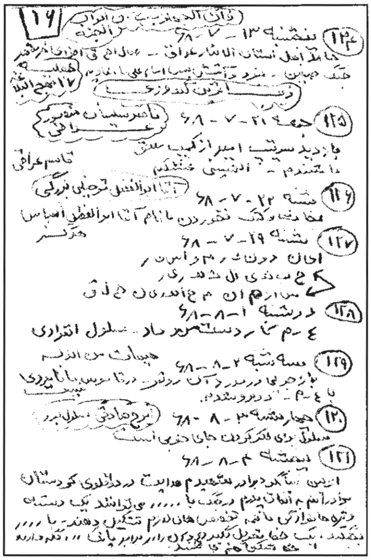

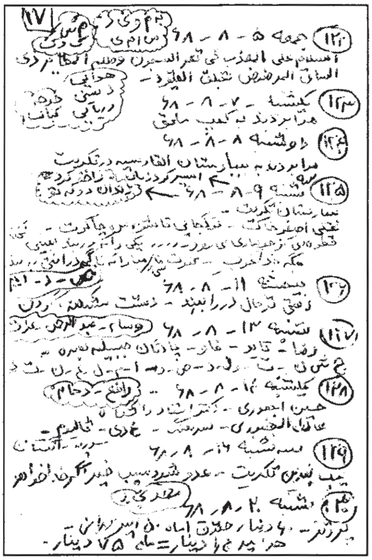

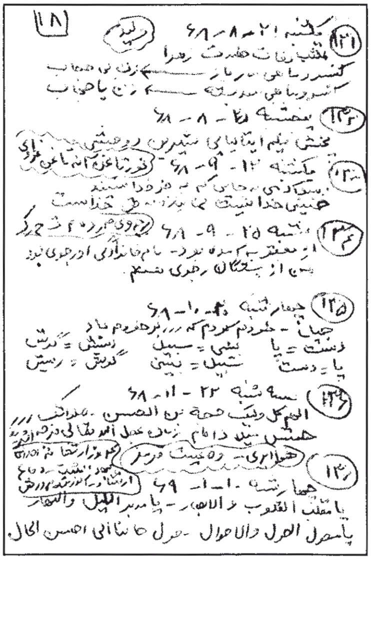

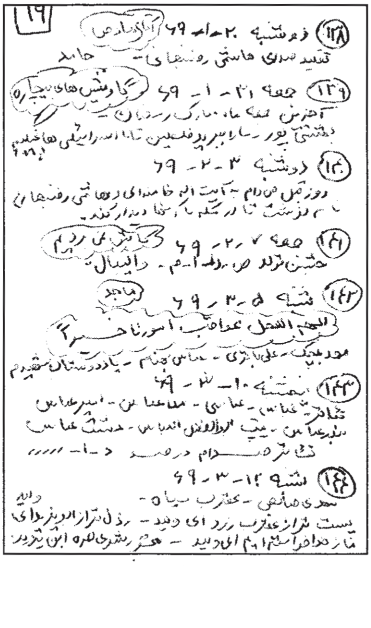

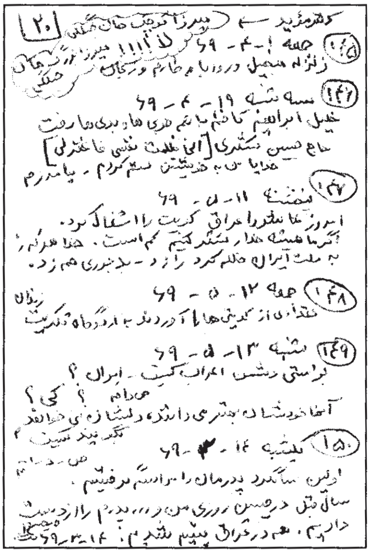

۲۰

کوهرمزید ← (میرزا کوچک خان جنگلی)

۱۴۵ جمعه ۱-۴-۶۹ [illegible]

۱۴۶ سه شنبه ۱۹-۴-۶۹

خیلی ابراهیم کاظم با [illegible] رفت

حاج حسین دستگیری [illegible]

خدایا [illegible]

۱۴۷ پنجشنبه ۱۱-۵-۶۹

امروز ما [illegible] عراق کویت را اشغال کرد. اگر ما همیشه [illegible] به ملت ایران ظلم کرد [illegible]

۱۴۸ جمعه ۱۲-۵-۶۹

[illegible]

۱۴۹ شنبه ۱۳-۵-۶۹

براستی دشمن اعراب کیست ـ ایران؟ [illegible]

۱۵۰ یکشنبه ۱۴-۵-۶۹

[illegible]

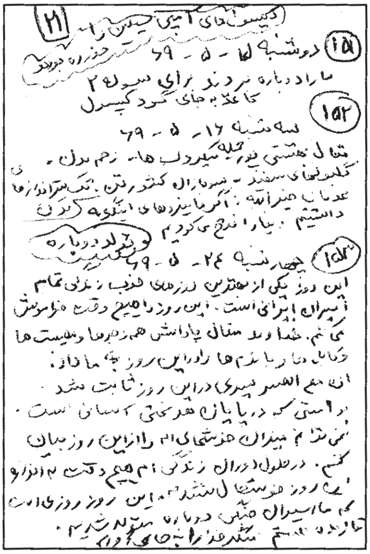

۲۱

۱۵۱ دوشنبه ۱۵-۵-۶۹

[illegible]

۱۵۲ سه شنبه ۱۶-۵-۶۹

[illegible]

۱۵۳ چهارشنبه ۲۴-۵-۶۹

این روز یکی از بهترین روزهای [illegible] زندگی تمام اسیران ایرانی است. این روز را هیچ وقت فراموش نمی کنم. [illegible] ثابت شد [illegible]

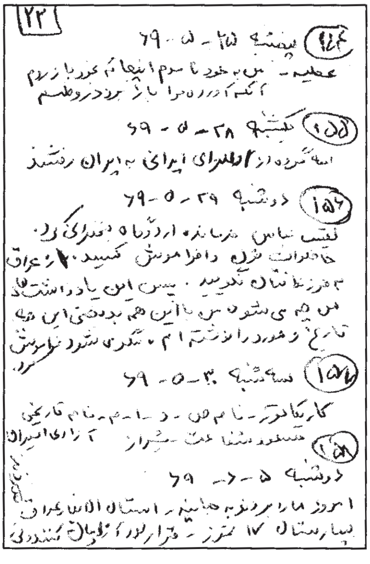

۲۲

۱۵۴ پنجشنبه ۲۵-۵-۶۹

[illegible]

۱۵۵ یکشنبه ۲۸-۵-۶۹

[illegible] اسرای ایرانی به ایران رفتند

۱۵۶ دوشنبه ۲۹-۵-۶۹

[illegible]

۱۵۷ سه شنبه ۳۰-۵-۶۹

[illegible]

۱۵۸ دوشنبه ۵-۶-۶۹

[illegible]

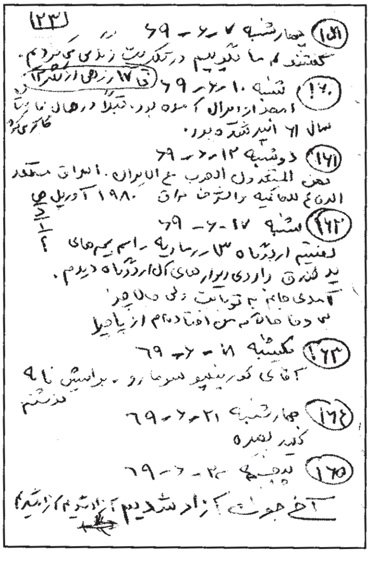

۲۳

۱۵۹ چهارشنبه ۷-۶-۶۹

[illegible]

۱۶۰ شنبه ۱۰-۶-۶۹

[illegible]

۱۶۱ دوشنبه ۱۲-۶-۶۹

[illegible]

۱۶۲ شنبه ۱۷-۶-۶۹

[illegible]

۱۶۳ یکشنبه ۱۸-۶-۶۹

[illegible]

۱۶۴ چهارشنبه ۲۱-۶-۶۹

[illegible]

۱۶۵ پنجشنبه ۲۲-۶-۶۹

آخ جون آزاد شدیم [illegible]

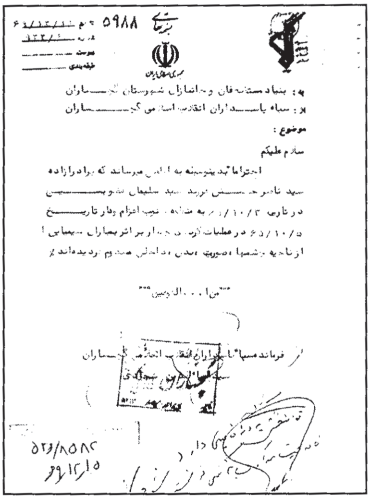

به : بنیاد مستضعفان و جانبازان شهرستان گچساران
از : سپاه پاسداران انقلاب اسلامی گچساران
موضوع :
سلام علیکم
احتراماً بدینوسیله به اطلاع میرساند که برادر آزاده
سید ناصر حسینی فرزند سید سلیمان عضو بسیجی
در تاریخ ۶۵/۱۰/۳ به منطقه جنوب اعزام و در تاریخ
۶۵/۱۰/۵ در عملیات کربلای ۴ در اثر بمباران شیمیایی
از ناحیه چشمها و صورت بدن و داخلی مصدوم گردیده‌اند.
فرمانده سپاه پاسداران انقلاب اسلامی گچساران
۵۲۶/۸۵۸۲
۶۹/۱۲/۱۵

وثيقة الإصابة الأولى

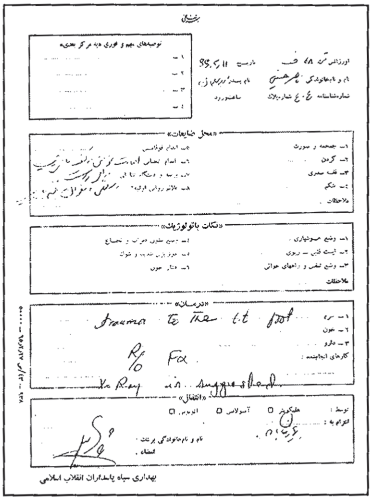

بهداری سپاه پاسداران انقلاب اسلامی

وثيقة الإصابة الثانية

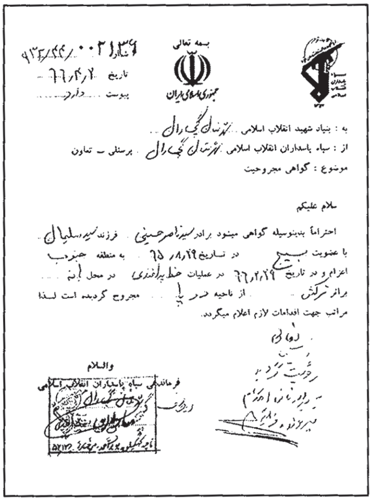

بسمه تعالی
جمهوری اسلامی ایران
شماره ۹۲۳/۴۴/۰۰۲۱۳۶
تاریخ ۶۶/۴/۲
پیوست ندارد
به : بنیاد شهید انقلاب اسلامی شهرستان گچساران
از : سپاه پاسداران انقلاب اسلامی شهرستان گچساران پرسنلی ـ تعاون
موضوع : گواهی مجروحیت
سلام علیکم
احتراماً بدینوسیله گواهی میشود برادر سید ناصر حسینی فرزند سید سلیمان
با عضویت بسیج در تاریخ ۶۵/۸/۲۹ به منطقه جنوب
اعزام و در تاریخ ۶۶/۲/۲۹ در عملیات ... در محل ...
بر اثر ترکش از ناحیه ... مجروح گردیده است لذا
مراتب جهت اقدامات لازم اعلام میگردد.
والسلام
فرماندهی سپاه پاسداران انقلاب اسلامی

وثيقة الإصابة الثالثة

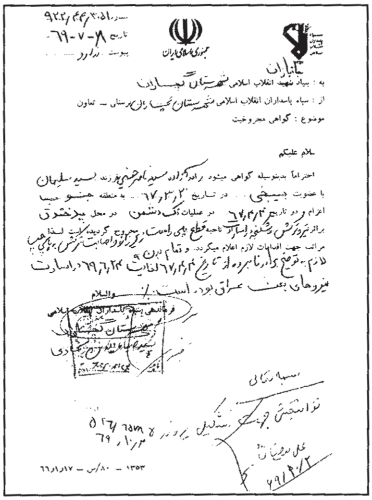

جمهوری اسلامی ایران
شماره ۹۲۲/۴۴/۳۰۵۱
تاریخ ۶۹-۷-۸
پیوست ندارد
به : بنیاد شهید انقلاب اسلامی شهرستان گچساران
از : سپاه پاسداران انقلاب اسلامی شهرستان گچساران پرسنلی ـ تعاون
موضوع : گواهی مجروحیت
سلام علیکم
احتراماً بدینوسیله گواهی میشود برادر آزاده سید ناصر حسینی فرزند سید سلیمان
با عضویت بسیجی در تاریخ ۶۷/۳/۲ به منطقه جنوب
اعزام و در تاریخ ۶۷/۴/۲ در عملیات ... در محل ...
بر اثر ترکش ... از ناحیه ... مجروح گردیده است لذا
مراتب جهت اقدامات لازم اعلام میگردد.
والسلام
فرماندهی سپاه پاسداران انقلاب اسلامی
۱۳۵۳ ـ ۸۰/س ـ ۶۶/۱/۱۷

وثيقة الإصابة الرابعة

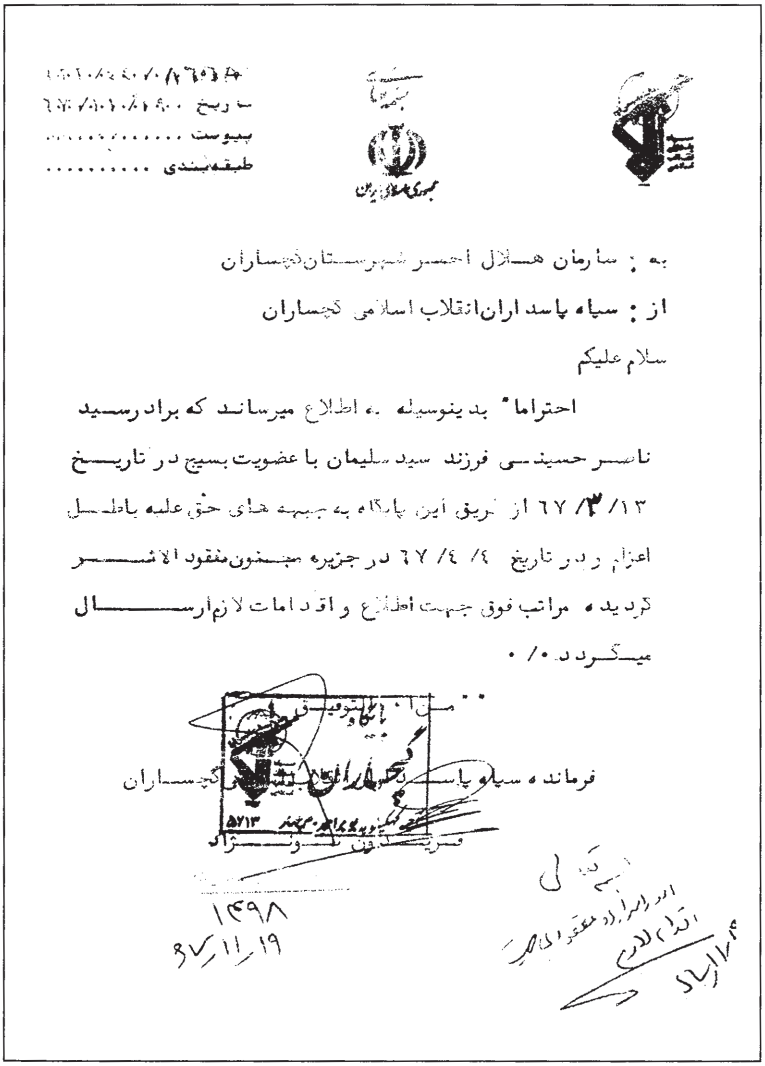

شماره
تاریخ
پیوست
طبقه‌بندی

بسمه تعالی
جمهوری اسلامی ایران

به : سازمان هلال احمر شهرستان کچساران

از : سپاه پاسداران انقلاب اسلامی کچساران

سلام علیکم

احتراماً بدینوسیله به اطلاع میرساند که برادر سید ناصر حسینی فرزند سید سلیمان با عضویت بسیج در تاریخ ۱۳/۳/۶۷ از طریق این پایگاه به جبهه های حق علیه باطل اعزام و در تاریخ ۴/۴/۶۷ در جزیره مجنون مفقود الاثر گردیده مراتب فوق جهت اطلاع و اقدامات لازم ارسال میگردد.

فرمانده سپاه پاسداران کچساران

۱۳۹۸
۶۷/۱۱/۱۹

في هذه الرسالة، أبلغ حرس الثورة في منطقة كجساران الهلال الأحمر عن فقدان أثري في جزيرة مجنون.

كتب الشهيد «أحمد فروزان» هذه الرسالة إلى أخي السيّد «شجاع» قبل أسبوع من استشهاده. عندما قرأت ما كان يعتمل في قلب «أحمد» أحسست بالخجل، حينها كان أحمد حيّاً، وكنت أنا شهيدًا بنظره. اليوم استشهد أحمد وأنا لا زلت حيًّا.

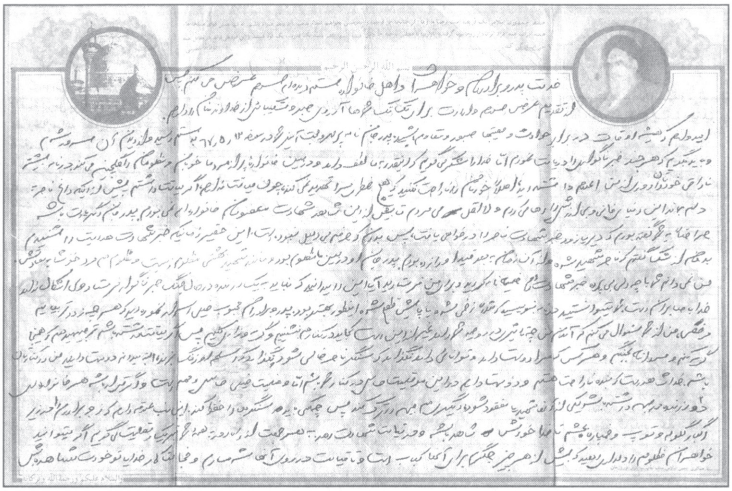

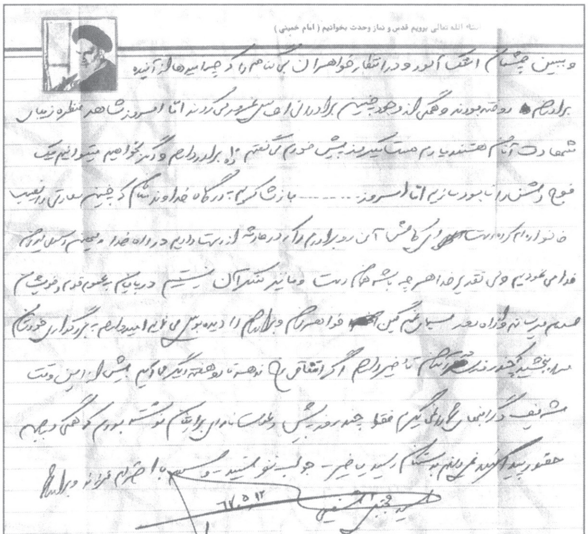

عندما فُقد أثري، أبلغ والدي في رسالة أرسلها إلى أخي السيّد «نصرت الله» الذي كان حينها يستخدم اسما مستعاراً هو السيّد مجتبى شفيعي وكان يومها مسؤول المعلومات في فيلق سقّز الخاصّ؛ وقد بعث أخي برسالة جوابيّة على رسالة أبي إلى عائلتي.

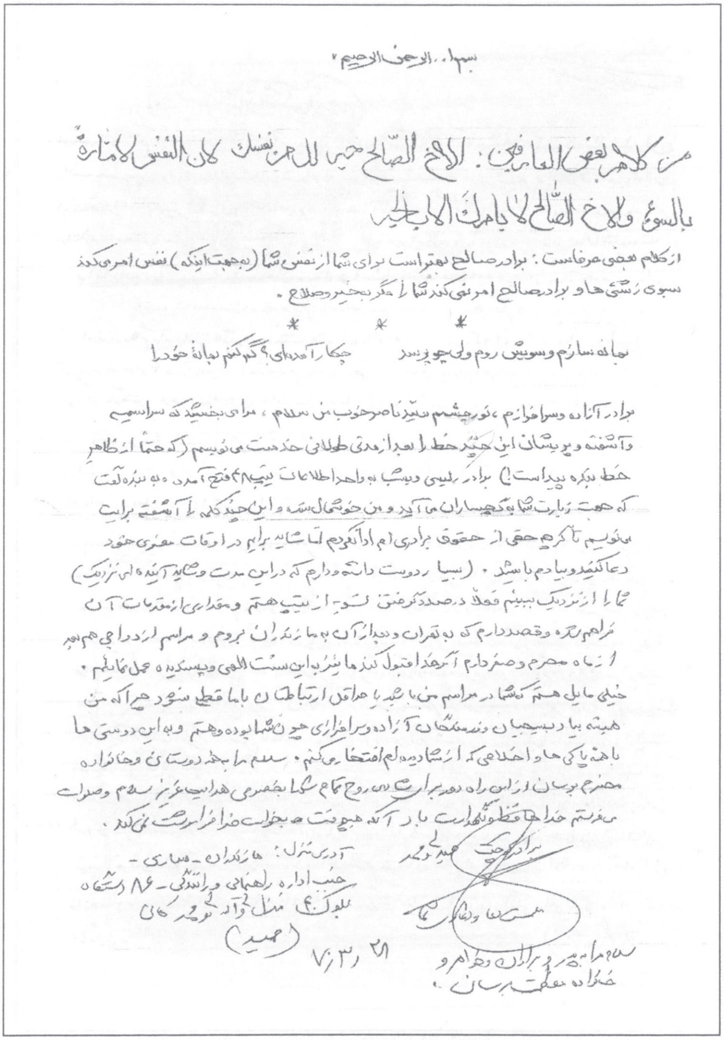

بسم الله الرحمن الرحیم

من كلام بعض العارفين: الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس الأمارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير

از کلام بعضی عرفاست: برادر صالح بهتر است برای شما از نفس شما (به جهت اینکه) نفس امر می‌کند سوی زشتی‌ها و برادر صالح امر نمی‌کند شما را مگر به خیر و صلاح.

* * *

نمانده سازم و سوزش روم ولی چه پرسد   چکاره آمده‌ای؟ گر کنم نمانده خود را

برادر آزاده و سرافرازم، نور چشم سید ناصر خوب من سلام، مرا ببخشید که سراسیمه و آشفته و پریشان این چند خط را بعد از مدتی طولانی خدمت می‌نویسم (که حتماً از ظاهر خط پیداست!) برادر رئیسی دیشب به واحد اطلاعات تیپ ۴۸ فتح آمد و به بنده گفت که جهت زیارت شما به کهساران می‌آید و من خوشحال شده و این چند کلمه را آشفته برایت می‌نویسم تا کرم حقی از حقوق برادری‌ام ادا نکردم اما شاید برایم در اوقات معنوی خود دعا کنید و به یادم باشید. (بسیار دوست داشته و دارم که در این مدت و شاید آینده‌ای نزدیک) شما را از نزدیک ببینم فعلاً در صدد گرفتن [illegible] از تیپ هستم و مقداری از مقدمات آن فراهم شده و قصد دارم که به تهران و بعد از آن به مازندران بروم و مراسم ازدواجی هم بعد از ماه محرم و صفر دارم اگر خدا قبول کند ما نیز به این سنت الهی و پسندیده عمل نماییم. خیلی مایل هستم که شما در مراسم من باشید یا حداقل ارتباطتان با ما قطع نشود چرا که من همیشه به یاد بسیجیان و دلسوختگان آزاده و سرافرازی چون شما بوده و هستم و به این دوستی‌ها با همه پاکی‌ها و اخلاصی که از شما دیده‌ام افتخار می‌کنم. سلام مرا به جمع دوستان و خانواده محترم برسان از این راه دور برایت [illegible] روح تمام شما بخصوص هدایت عزیز سلام و صلوات می‌فرستم خداحافظ و نگهدارت باد آنکه هیچ وقت [illegible] فراموشت نمی‌کند.

برادر کوچک [illegible] حمید محمد

آدرس منزل: مازندران - ساری -
جنب اداره راهنمایی و رانندگی - ۸۶ دستگاه
بلوک ۴۰ منزل والدین محمد [illegible]
(حمید)
۲۱ /۳ /۷

التماس دعا و دعاگوی شما

سلام مرا به [illegible] برادران و خواهر و [illegible] برسان.

عندما أُطلق سراحي كنت مشتاقاً لمسؤولي «عزّت الله ولي بور». وكان قد ترك لواء «الفتح 48». وحين سمع خبر تحرّري، بعث إليّ بهذه الرسالة. سُررت حين قرأت رسالته. كنت أودّ رؤيته لأحدّثه عن ملحمة «موقع خندق» والتحقيقات في سجن الرشيد في بغداد. وقد أتى لرؤيتي بعد عدّة أشهر من هذه الرسالة.

۷۰/۱/۷
هفتم فروردین یکهزار و سیصد و هفتاد

بسم الله الرحمن الرحیم

آن کس را می‌ستایم که ستایش گویندگان تا آخرین حد مبالغه وصف کمالش را کفایت نکند و درود خدا نثار پیامبران
و ائمه معصومین و درود و صلوات بر شهدای راه حق و حقیقت و سرور شهدای گرانقدر انقلاب اسلامی
ایران حضرت امام خمینی رضوان الله تعالی علیه و درود بر همه آزادگان دلاور که پس از سالها مقاومت و صبر و بردباری
در اسارت دشمن بعثی که با بازگشتشان به امت شهید پرور ایران نوید پیروزی در برابر سالها مقاومت
به آنها دادید. فرا رسیدن ماه مبارک رمضان و سال نو را به شما و خانواده محترمتان تبریک و تهنیت عرض می‌نمایم

«خدمت دوست و برادر عزیزم آزاده دلاور سید ناصر حسینی سلام علیکم»

با عرض سلام که امیدوارم سلام گرم دوست حقیر خود را از راههای دور و فرسنگها راه و دشت‌ها و کویرها پذیرا باشی
آری در مورخ ۷۰/۱/۲ خبر آزادیت را شنیدم و بسیار خوشحال شدم امیدوارم که هم‌اکنون که به وطن خود و خانواده گرم
خودت بازگشتی باز هم لحظه‌ای از یاد خداوند منان غافل نشوید و در کانون گرم زندگی خود و ادامه تحصیل خودتان
ادامه دهید و هرگاه از سختیها و آلام دنیا آزرده خاطر شدید بدانید که دنیا را باید رها کرد و پشت به دنیا کنید که امروز
دنیا مقدس است همانگونه که مسجد مقدس است امروز دنیا مثل بازار است که وسائل در آن عرضه میشود ولی
باید بدانیم که در دنیا چیزهائی را توشه برداریم که در کمبود هم نیستند ولی همه کس هم نمی‌تواند آنها را پیدا کند و همه کس
هم دنبال این چیزها نمی‌رود جز مومنان که برای آخرت توشه‌ای میخواهند جمع کنند اما نه اینکه چیزهائی که نوشتم برای شما
باشد بلکه به خاطر تجدید برای خودم بود و درود بر شما و امثال شما می‌نویسم که با این کمی سن و سال در جهاد شرکت کردید
و در بین همه دوستانم و آشنایانم ساده‌تر و بی‌ادعاتر و کم آزارتر و صاحبدل‌تر و یا کدامین‌تر از شما کمتر کسی را دیدم
بسیجی بودید به تمام معنی مودب - فروتن - مهربان - خوشرو - خوشخو - دوست نواز - صمیمی - بخشنده - نیکوکار
خواننده اشعار حماسی که در هر مصراعی خنده‌هایی می‌کردی و گاه هنوز نخوانده خنده سر می‌دادی آزادگی و آزاداندیشی تو عجیب
بود درود بر تو سید که آراسته بودی و از جان گذشته در دل هر رزمنده‌ای در تخریب زود جای می‌گرفتی و درود بر چنین
خانواده‌هایی که چنین سربازانی تقدیم انقلاب و اسلام کردند فرزندی شهید و فرزندی دیگر اسارت در روز قیامت
باید بر خودتان ببالید که چگونه ایثار کردید و باروری سپیده در مقابل ائمه اطهار می‌ایستید که انشاالله... شفاعت این
حقیر را هم فراموش نخواهید کرد انشاالله... باشد که زودتر با جواب نامه‌تان خبر از سلامتی خودتان و خانواده‌تان جویا
شوم و برای این حقیر گونه اسارت را در خندق و طول اسارت را برایم همراه با چند قطعه عکس در صورت امکان
بنویسی و بفرستید دیگر مزاحم اوقات شما نمی‌شوم در پایان سلام این حقیر را اولاً به پدر گرامیتان و
خانواده‌تان برسانید ثانیاً به دوستان و آشنایان در صورت دیدار در پایان از اینکه مزاحم شدم انشاالله مورد عفو
قرار گیرم والسلام

الحقیر: محمود آقاسی

خدمت في وحدة التخريب إلى جانب «محمود آقاسي» حوالي 18 شهراً. وكان آقاسي المسؤول الأخير لوحدة التخريب في لواء «الفتح 48». كانت تربطني به علاقة خاصّة. وكان آقاسي قد علم أنّي حيٌّ بعد ستّة أشهر من تحرّري من السجون العراقيّة، فكتب لي رسالة كما فعل «ولي بور». منذ أكثر من 20 عاماً وأنا أتمنّى رؤيته. وقد ذهبت يوماً إلى مدينة رضا لرؤيته، فلم أجده.

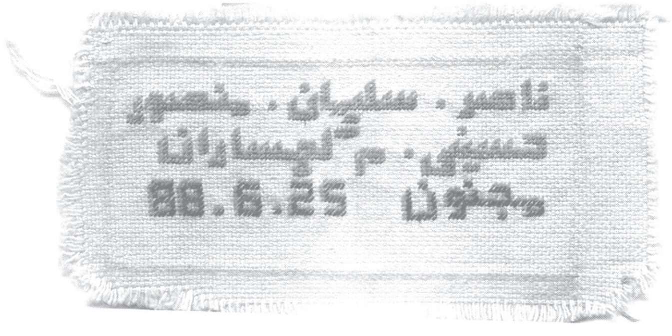

طوال فترة الأسر كانت هذه القماشة المطرّزة هي بطاقة التعريف لزيّ الأسر الأصفر خاصّتي. وهي بتاريخ 25حزيران 1988 الموافق ل - 4 تير من العام 1367 هـ. ش.

لقد تعبت كثيراً على هذه المطرّزة. وقد طرّزت عليها أسماء إخوتي بالترتيب العمري والأحداث الأربعة التي لا تنسى في حياتي. ظهراً، مجنون 6/25/ 1988 اليوم الذي أُسرت فيه. عصراً ده بزرك 1980/8/19 اليوم الذي وقع فيه انفجار ده بزرك. الغروب، الرشيد 1988/7/11 اليوم الذي تخلّصت فيه من سجن الرشيد في بغداد. ليلاً، كردستان 1987/10/26 اليوم الذي استُشهد فيه أخي السيّد هدايت الله في كردستان. وقد تركت في هذه المطرّزة مكاناً ليوم تحرّري. فطرّزته بعد تحرّري بتاريخ 1990/9/13.

المطرّزة الثالثة لي في الأسر. وكان الحرّاس قد وضعوا أيديهم على مطرّزاتي السابقة بالقوّة. وقد أخذت قماشة هذه المطرّزة من كمّ جلبابي العربيّ. حاول الحرّاس مرّات عدّة أخذ هذه المطرّزة منّي، لم أعطها لهم. وقد طرّزت مثلها للحارس العراقيّ الجيّد «سامي».

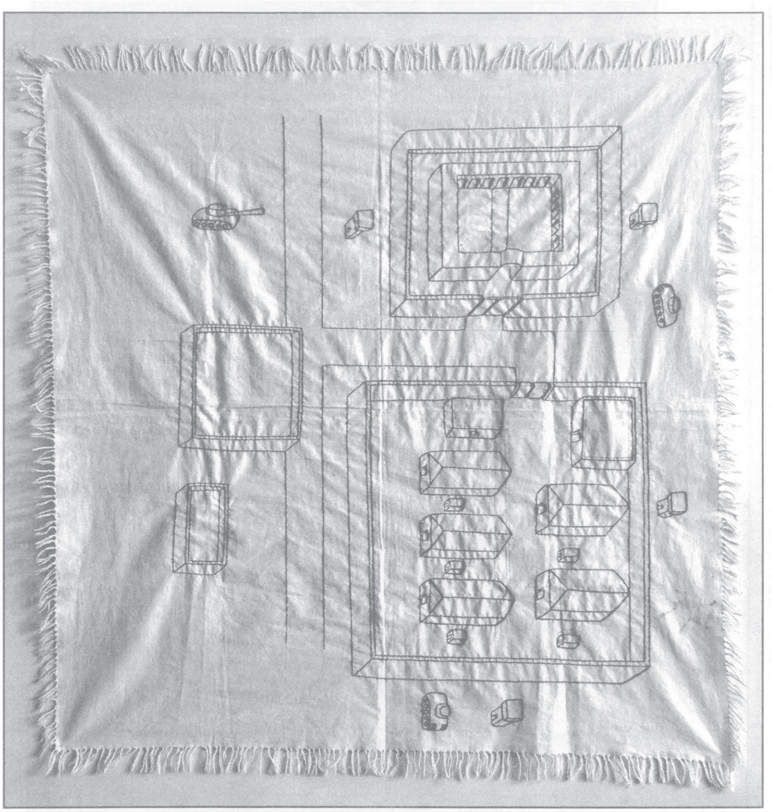

مطرّزة خارطة معتقل «تكريت 16» والمخيّم الملحق. حين كنت أطّرز هذه القماشة قال لي «عليّ جار الله» الحارس العراقيّ الجيّد: حذارِ أن يرى الحرّاس الآخرون هذه المطرّزة، فيظنّون أنّك ترسم للأسرى الأصحّاء خطّة للفرار.

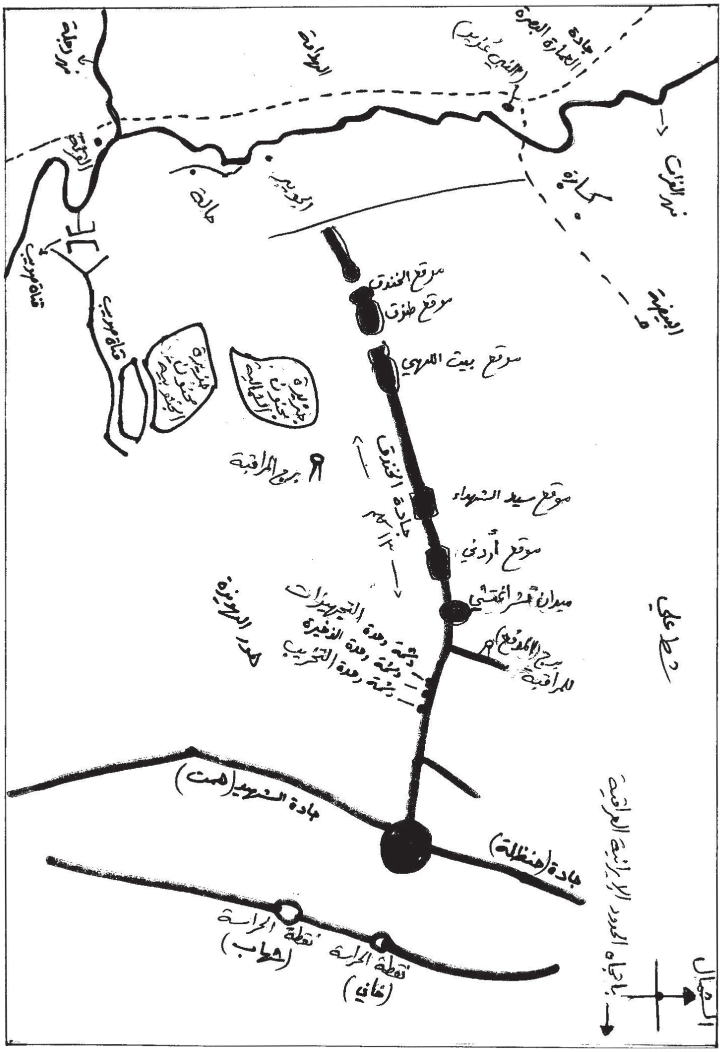

بناءً على المعلومات التي حصّلتها من برج المراقبة، رسمت خارطة طريق الخندق وجزيرة مجنون.

عندما تحرّرت، كان هذا البوستر معلّقاً على الحائط في غرفة الاستقبال في منزلنا. وحين وقعت عيناي على البوستر للمرّة الأولى أحسست بشعور خاصّ. لا أستطيع التعبير عن مشاعري. كانت عائلتي قد أقامت مراسم العزاء لي ولأخي معاً.

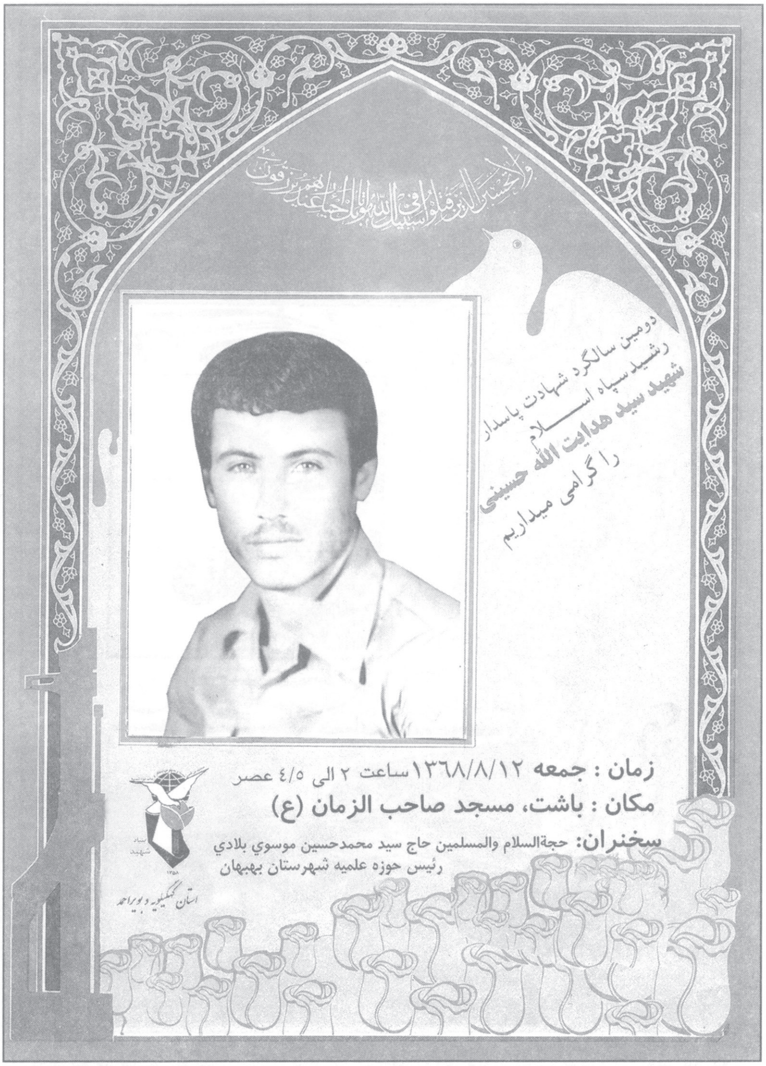

بوستر الذكرى الثانية لاستشهاد أخي السيّد «هدايت الله» في باشت - مسجد صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف.

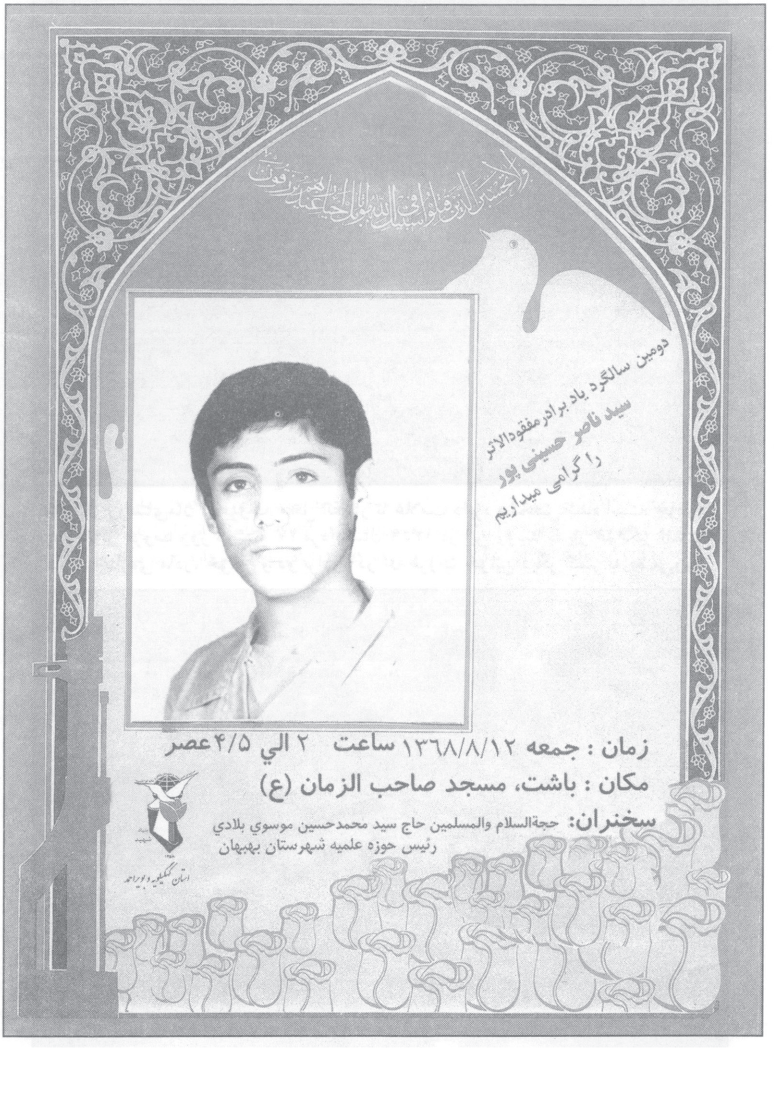

بوستر الذكرى السنويّة الثانية لفقدان أثري. أقيمت هذه المراسم في مسجد صاحب الزمان في منطقتنا. وقد قام بطبع هذا البوستر أصدقاء أخي السيّد «نصرت الله» في مؤسّسة الشهيد في منطقة سقّز.

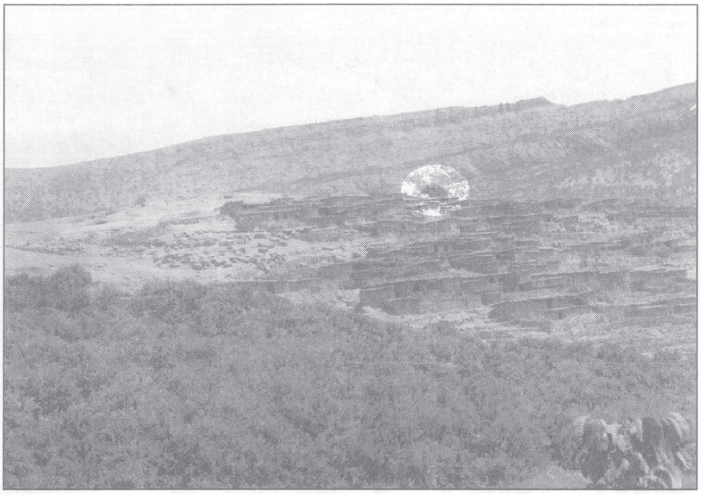

مشهد من قريتنا «ده بزرك». أُشير إلى مكان الإنفجار بالدائرة. ذكريات أهالي القرية عن غروب اليوم الثامن والعشرين من شهر مرداد من العام 1980 محزنة جدّاً. وبسبب رؤيتي لجثّة أمّي، وأختي، وأخويّ في ذلك الغروب الدامي صرت قليلاً ما أذهب إلى القرية.

من اليمين: أنا وابن خالي «عليّ جهانديده»، وقد التُقطت هذه الصورة بعد أسبوعين على حادثة «ده بزرك» وفقدان أمّي، وأختي، وأخويّ. كانت تلك المرّة الأولى التي أقف فيها أمام عدسة الكاميرا. باشت، منزل جدّي لأمّي.

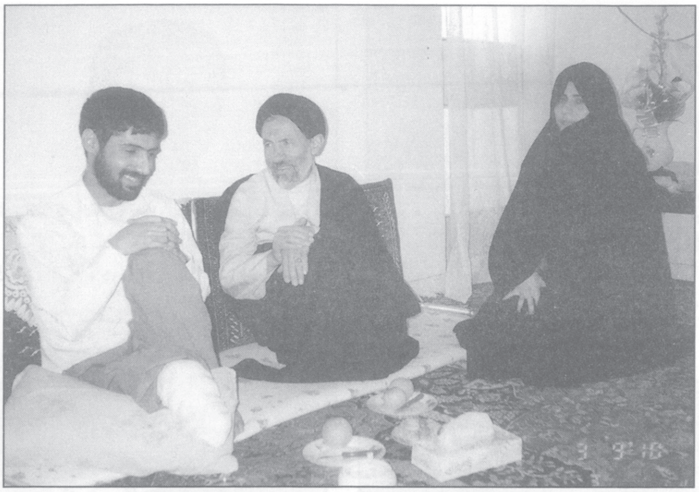

الأهواز - العام 1999 - وقد قُطعت رجلي للمرّة الرابعة (نتيجة العمليات الجراحية التي أجريت بعد تحرري). وبعد عدّة أيّام على خروجي من المستشفى، أتى المرحوم الحاج السيّد «أبو ترابي» لزيارتي. بعد عدّة أشهر، فقد المحرّرون أباهم المعنويّ السيّد «أبو ترابي». تظهر في هذه الصورة أختي بروانة التي لها جميل كبير في عنقي.

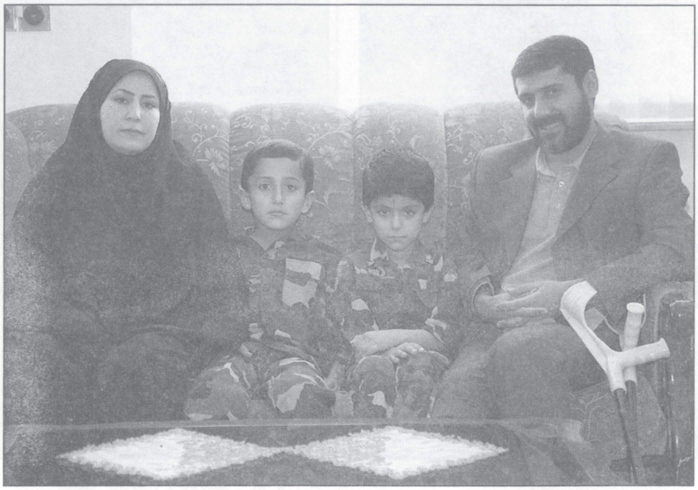

إلى جانب زوجتي وولديّ السيّد «أمير رضا» والسيّد «أمير حسين». وبعد كلّ تلك المعاناة التي عانيتها، منحني الله زوجة صبورة وودودة، وولدين أحبّهما حبّاً جمّاً. عندما ينظر ابني الأصغر إلى صوري في الجبهة، يقول: بابا، اشترِ لي بندقيّة لأقتل بها صدّام، لأنّه قطع رجلك.

يمكن لإخوتي وأبي في الحرب مع البعثيّين العفلقيّين أن يشكّلوا مجموعة عسكريّة ضاربة بكلّ الاختصاصات اللازمة، أن يقاتلوا العدوّ، يستلموا خطّاً في الجبهة، يحفظوه من هجمات العدو وحملاته، كما يمكنهم أن يقتحموا خطوط النار.

(الشهيد السيّد هدايت الله حسيني بور)

والدي السيّد «سليمان حسيني» عنصر في وحدة التعاون في لواء الإمام الحسن عليه السلام 15.

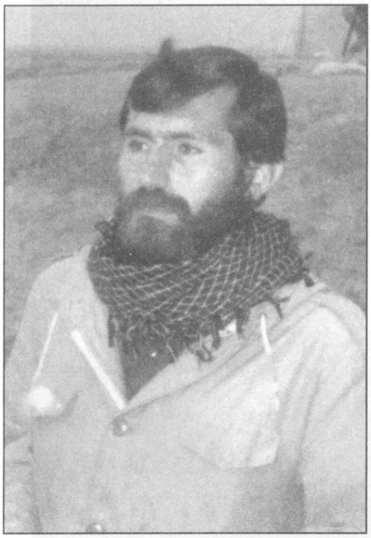

أخي السيّد قدرت الله حسيني قائد كتيبة «مالك الأشتر».

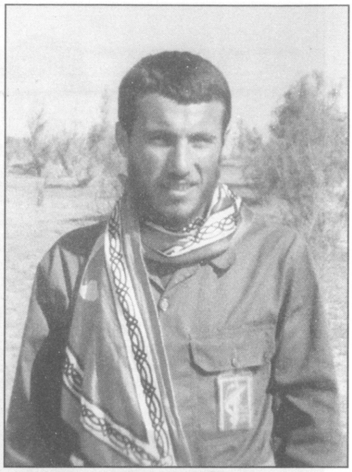

أخي الشهيد السيّد «هدايت الله حسيني» نائب مسؤول المعلومات والعمليّات في لواء «الفتح 48».

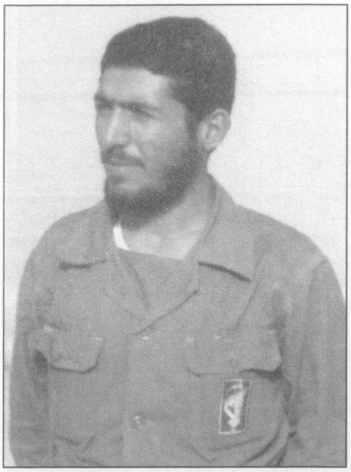

أخي السيّد «نصرت الله حسيني» مسؤول محور المعلومات في فرقة الفجر 19.

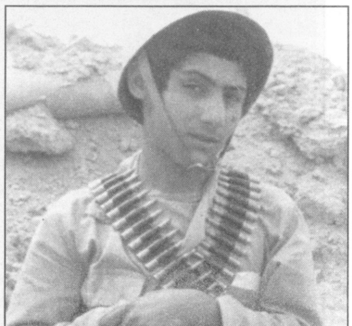

أنا، عامل في وحدة التخريب في لواء الفتح 48.

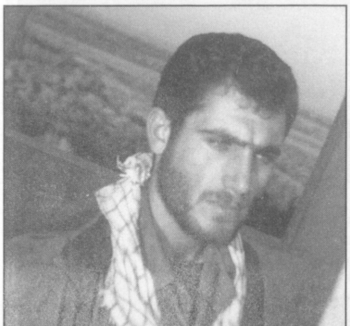

أخي السيّد «شجاع الدين حسيني» رام المدفع الرشاش في كتيبة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

أبي إلى جانب أخي الشهيد السيّد «هدايت الله»، ربيع العام 1984. منطقة العمليّات في «دهلران». بعد شهادة أخي، كلّما رأى أبي هذه الصورة انهمرت دموعه. وقد أخفيت هذه الصورة طالما كان أبي على قيد الحياة.

أخي الآخر السيّد «نصرت الله» إلى جانب أبي الجالس في الوسط، والواقف من اليمين أخي السيّد «نصرت الله». شتاء العام 1983. منطقة العمليّات في «موسيان». فرقة الفجر 19.

من اليمين: أخي السيّد «هدايت الله» إلى جانب أخي الأكبر «قدرت الله» قائد كتيبة «مالك الأشتر». شتاء العام 1983. منطقة العمليّات في مهران.وكانت هذه الصورة الوحيدة للسيّد «هدايت الله» إلى جانب السيّد «قدرت الله». وقد كانت علاقة السيّد «هدايت الله» بالسيّد «قدرت الله» لا توصف.

أنا إلى جانب أخي الشهيد السيّد «هدايت الله». لم أفكّر يوماً أنّ هذه الصورة ستكون يوماً جزءاً من بوستر الذكرى السنويّة لشهادة أخي وفقدان أثري. كردستان، ربيع العام 1987.

أخي السيّد «نصرت الله» الذي أُصيب في السنة الأولى للحرب في كلتا رجليه. طهران، ميدان آزادي، مسيرة الثاني والعشرين من بهمن (ذكرى انتصار الثورة الاسلامية)، العام 1981. وقد شارك الجرحى في تلك المسيرة على كراسيِّهم المتحرّكة وهم يرتدون الأكفان.

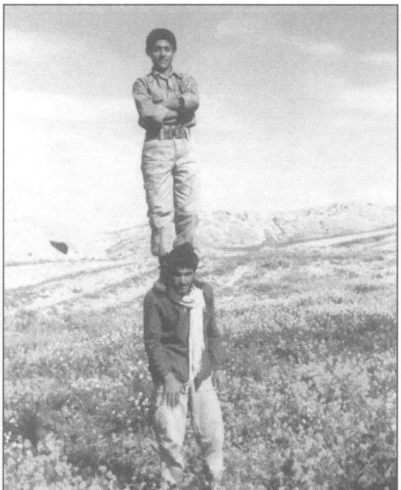

ربيع العام 1987. مقر التكتيك في لواء الفتح 48. عندما أنظر إلى هذه الصورة أشعر بالانزعاج، لأنّي كنت أقف على كتِفي الشهيد «أحمد فروزان». كان «أحمد» أقرب إلى السماء.

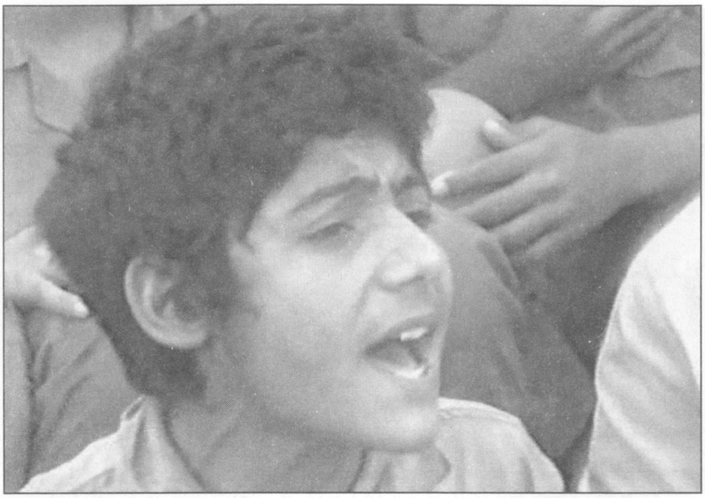

هذه الصورة مأخوذة عن فيلم فيديو. قبل عمليّات «كربلاء 4»، حيث كنت أقرأ للأخوة في وحدة التخريب قصيدة الحاج صادق آهنكران الشعريّة «اي جان نثاران حسين يارتان/ باشد خداوند نكهدارتان (أيها المجاهدون الحسين معكم والله يحميكم).

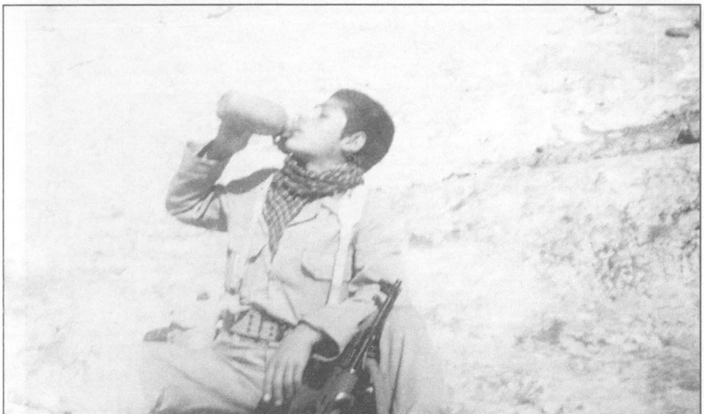

منطقة العمليّات في «كربلاء 5»، شلمجة، خلف قناة السمك.

قبل يوم من انطلاق عمليّات كربلاء 4، عبادان. في اليوم التالي استُشهد عدد من هؤلاء الإخوة ومن جملتهم رضا مكتوبيان و... كما يظهر في هذه الصورة الشهيدان باراني شيخي ومجيد جعفري.

كردستان. ربيع العام 1987. الإخوة في وحدة التخريب، مستترون خلف أغصان البلّوط إلى جانب السيّد «آقا عليّ إسماعيلي» إمام جماعة وحدة التخريب. إيرج رئيسي الذي كان مشغولاً في إصلاح جعبة الذخائر، لم يكن مستعداً لترك عمله للحظات والتقاط صورة معنا.

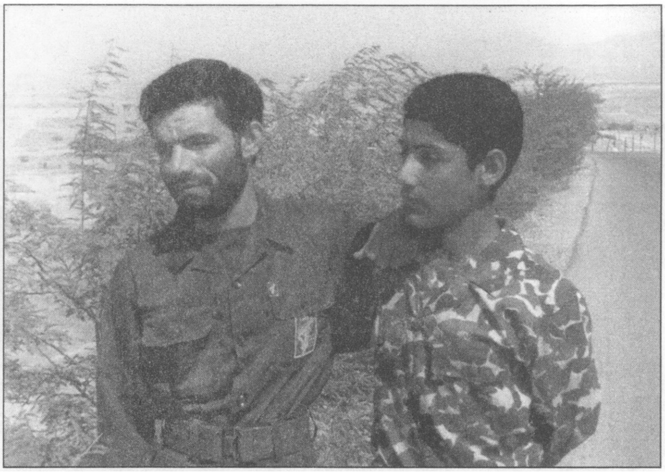

طريق بانه - سقّز. صيف العام 1987. إلى جانب الشهيد «شريف بنجه بند». أواخر تلك السنة استُشهد الشهيد «بنجه بند» في مهمّة خارج الحدود في كردستان العراق.

منطقة يعقوب آباد في كردستان. مقرّ التكتيك في لواء الفتح 48. خريف العام 1987. كنت قد رجعت توًّا من الخطوط الأماميّة. غفوت في مصلّى وحدة التخريب. كانت كاميرتي في جيبي. فيما بعد ظهّرت الصورة، تعجّبت حين رأيتها. بعد عدّة أيّام قال لي الشهيد بنجة بند: عندما كنتَ نائماً في المصلّى، أخذت الكاميرا من جيبك، وضعت فناجين الشاي على بطنك والتقطّت هذه الصورة.

مثلّث الموت في شلمجة، شهر بهمن من العام 1987. من اليمين: 1 - الشهيد مجيد جعفري 2 - الشهيد رضا علي باك نسب 3 - الشهيد أحمد فروزان 4 - أنا 5 - إيرج رئيسي. لم يكن لي ولبعض الإخوة خندق لننام فيه. كنت أحفر خندقاً فأتى الإخوة لمساعدتي.

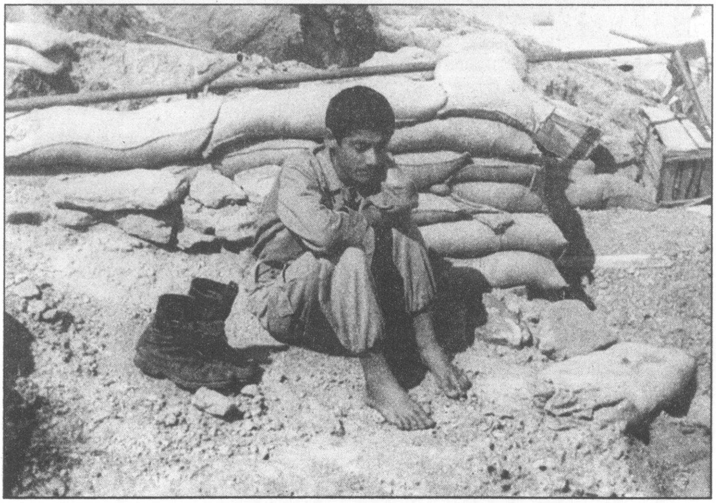

بعد شهادة أخي السيّد هدايت الله صرت أفتقده في الجبهة. كنت في الأشهر الأولى ألجأ إلى الوحدة، أحياناً كنت أفضّل أن أتنحّى جانباً وأبكي حتّى الارتواء.

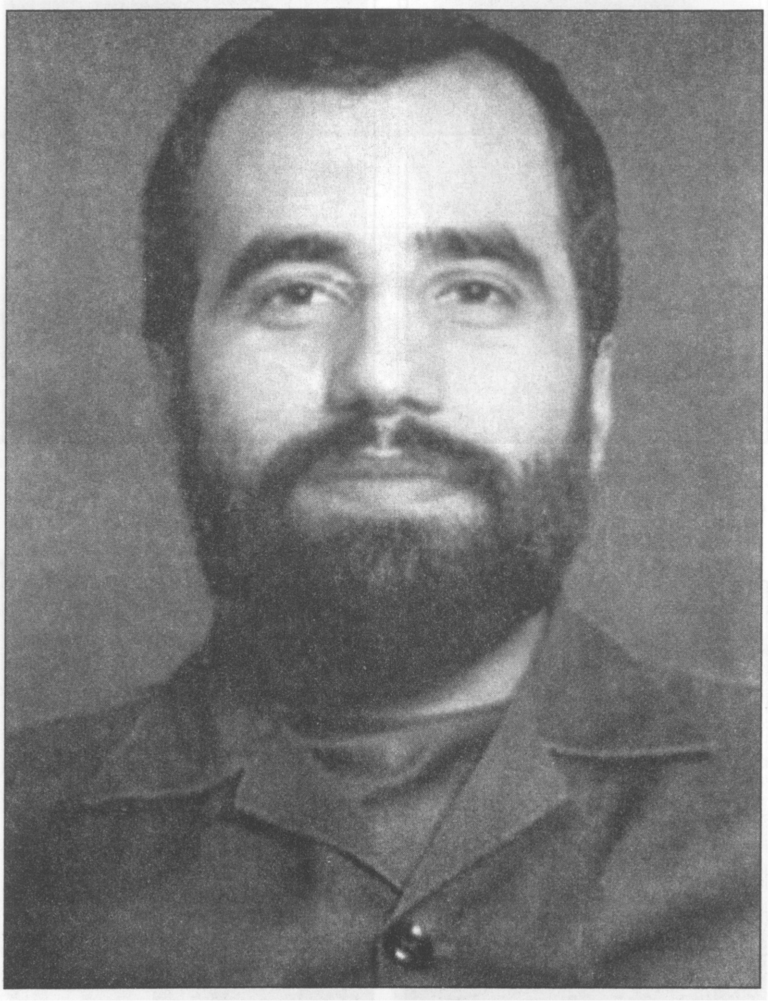

القائد اللواء الشهيد الحاج «عليّ هاشمي»،
قائد فيلق الإمام جعفر الصادق عليه السلام السادس.

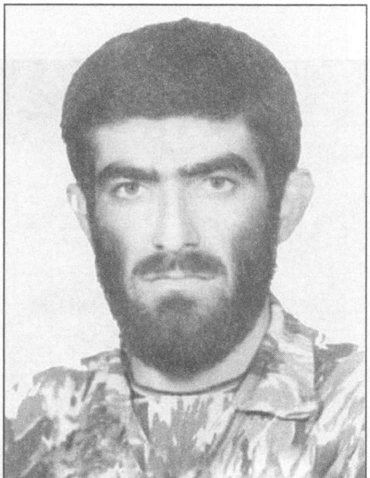

الشهيد «جانمحمد كريمي»، قائد سريّة القاسم بن الحسن عليه السلام في «موقع الخندق».

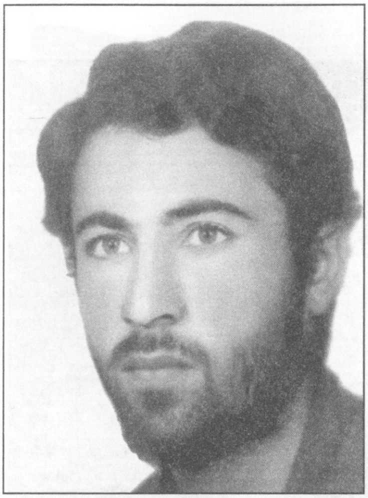

الشهيد «إبراهيم نويدي» بور نائب قائد سريّة القاسم بن الحسن عليه السلام المتموضعة في موقع الخندق.

سكب العراقيّون البنزين على جثّتي الشهيد كريمي والشهيد نويدي بور وأحرقوهما.

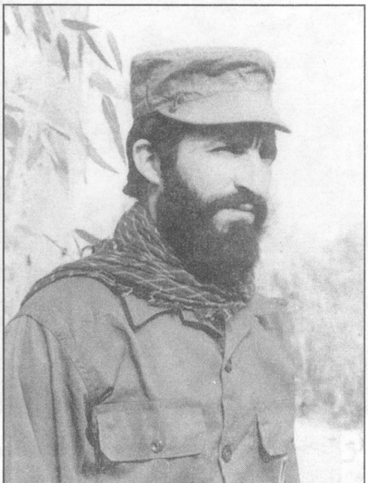

الشهيد هدايت الله ركني.

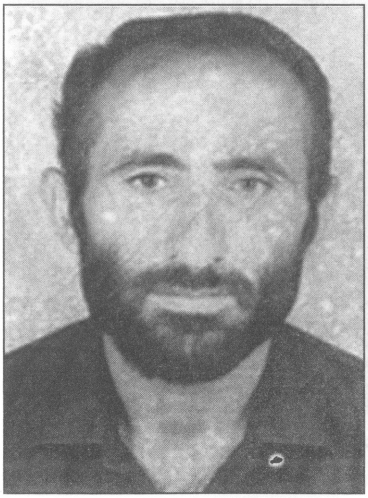

الشهيد محمد حسين حق جو

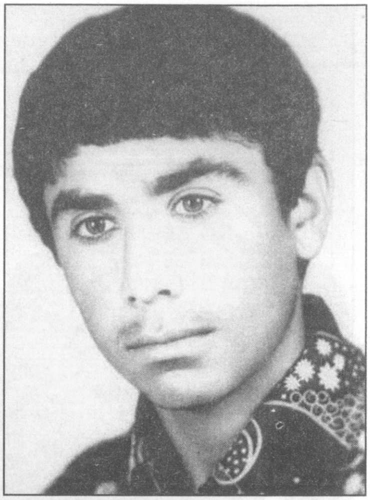

خالد الأثر جمشيد كرم زاده

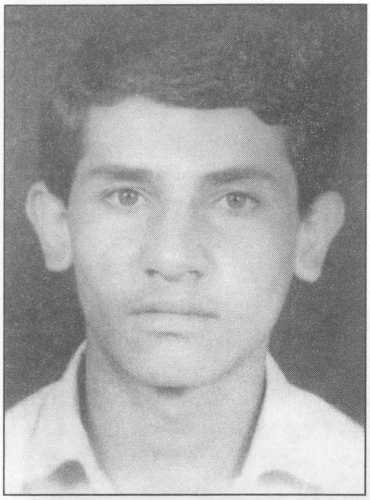

خالد الأثر سالار شفيع نجاد

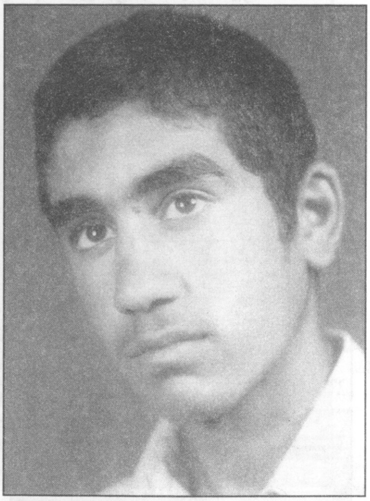

خالد الأثر صفر علي كردلو

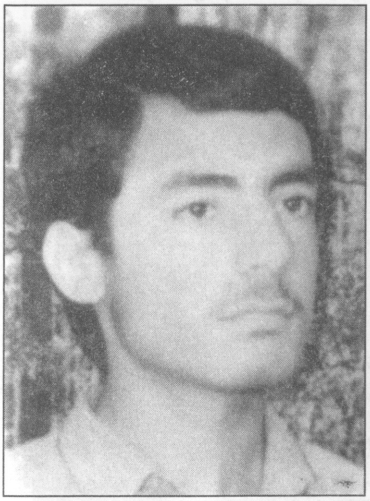

خالد الأثر حسين برويزي

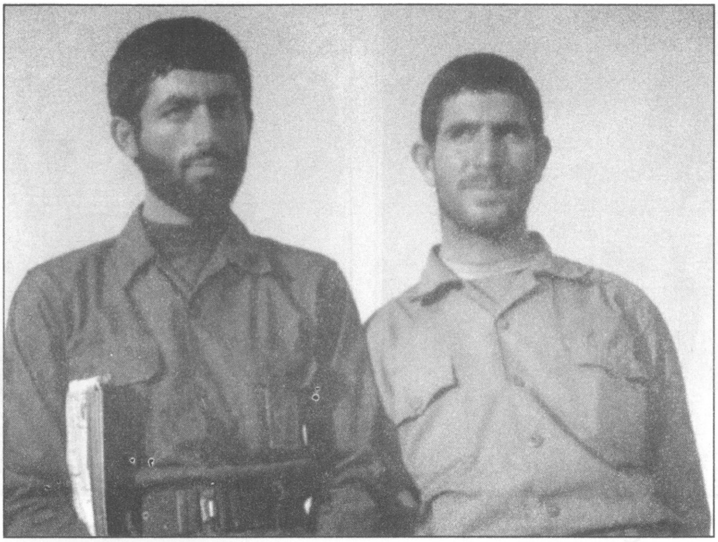

من اليمين: 1 - الجامعي الشهيد الله خواست بركاني من شباب المعلومات. 2 - السيّد شكر الله وهّابي زاده قائد كتيبة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قبل عمليّات خيبر بأيّام.

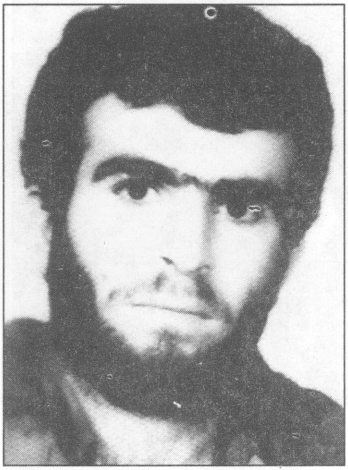

الجامعي الشهيد عبد العلي حق كو من الإخوة في المعلومات.

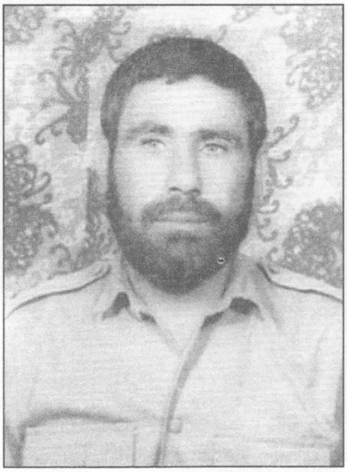

الشهيد بيران مستوفي زاده من الإخوة في المعلومات.

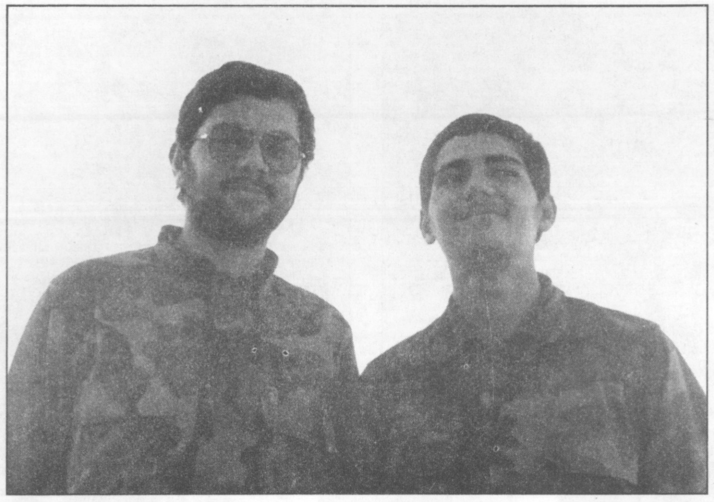

من اليمين: الشهيد «علي رضا حضرت زاد» إلى جانب أخيه «رامين حضرت زاد». أبلغ الإخوة «رامين حضرت زاد» خبر شهادة أخيه «علي رضا» في مخيّم «تكريت 16».

من اليمين: الأسير المحرّر «جعفر دولتي مقدّم» إلى جانب أخيه الشهيد «محمود». وقد استُشهد والد «جعفر» وأخواه بتاريخ 1371/10/27 في طريق عام زاهدان - زابل على أيدي الأشرار.

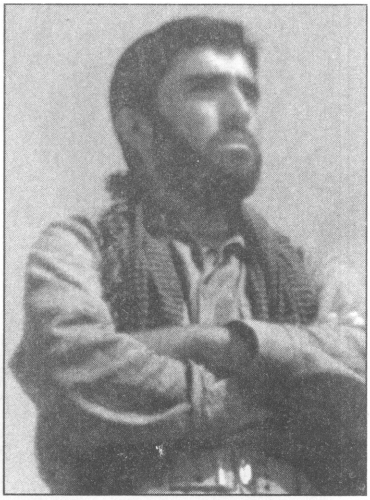

الأسير المحرّر الجريح «أحمد سعيدي سوق»

الأسير المحرّر الجريح السيّد
«محمد شفاعت منش»

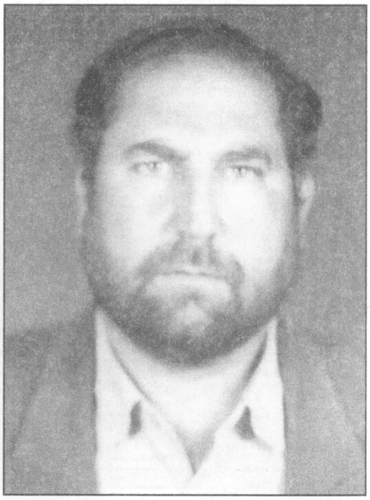

الأسير المحرّر الجريح «خدا خواست بزشك»

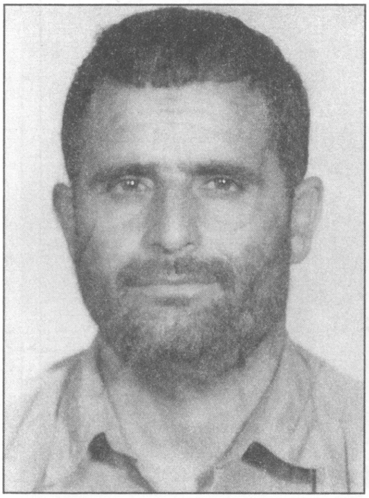

الأسير المحرّر الجريح السيّد
«علي صالح رايكان»

من اليمين: 1 - الشهيد السيّد «هدايت الله حسيني» 2 - خالد الأثر «بهرام درود». صيف العام 1987، «آلاغلوي كردستان».

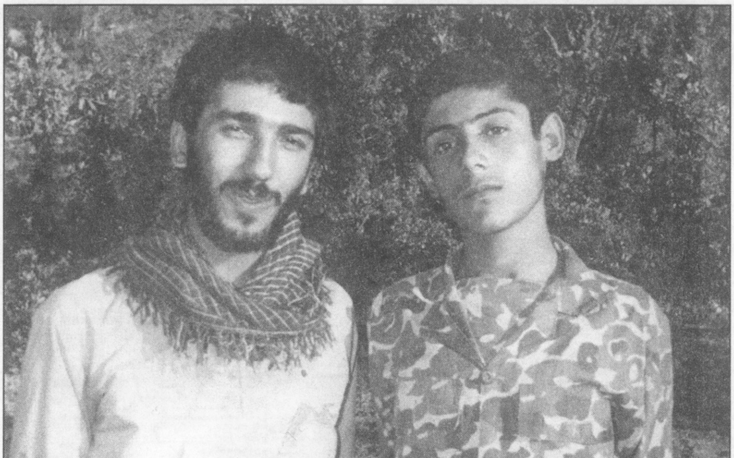

من اليمين: 1 - أنا 2 - عزّت الله ولي بور. قائد المعلومات والعمليّات في «لواء الفتح 48». صيف العام 1987 شاشوي كردستان.

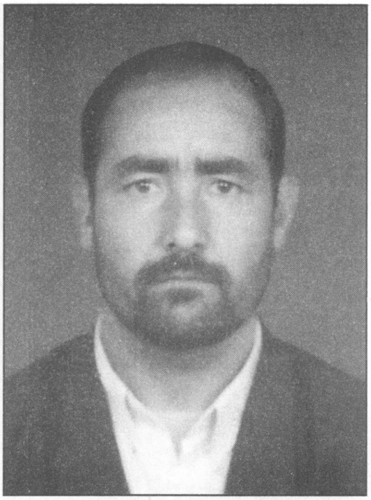

الأسير المحرّر «عنايت الله مصطفى بور»

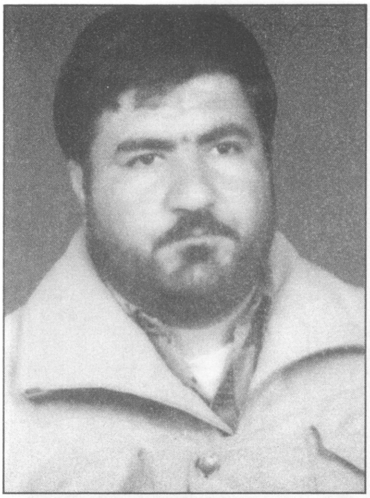

الأسير المحرّر «محمد صادقي فرد»

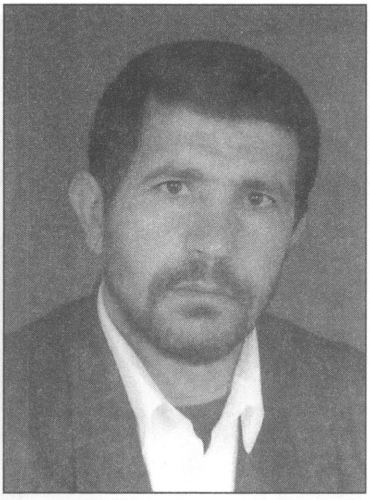

الأسير المحرّر «إسماعيل صولت دار»

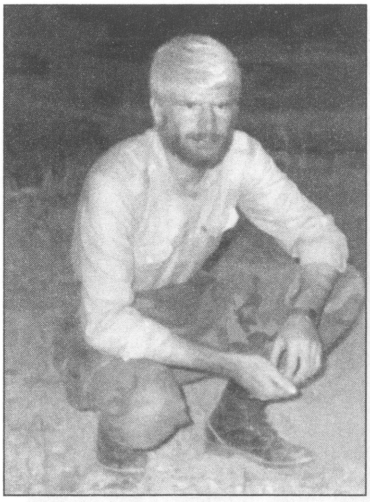

الأسير المحرّر «علي آقايي»

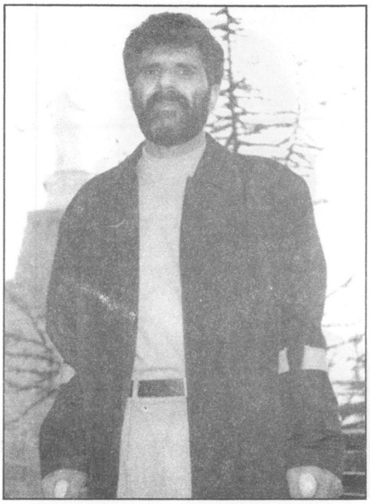

الأسير المحرّر الجريح «محمد كاظم بابايي»

الأسير المحرّر الجريح «نصر الله غلامي»

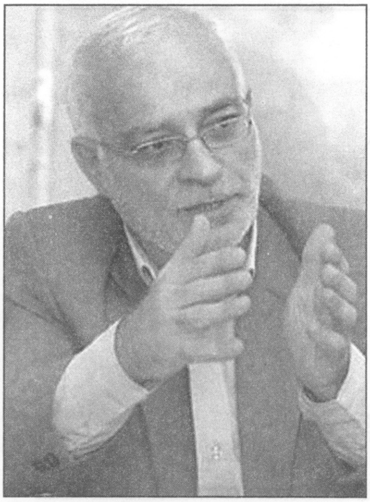

الأسير المحرّر «حسن بهشتي بورط

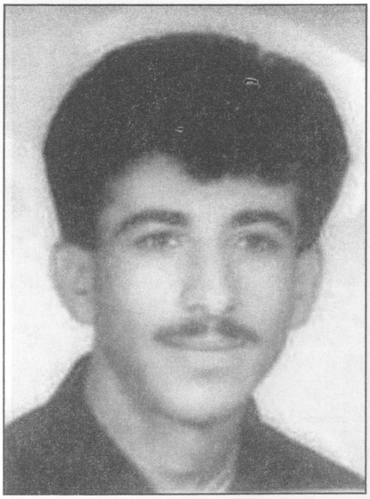

الأسير المحرّر الجريح «يد الله زارعي»

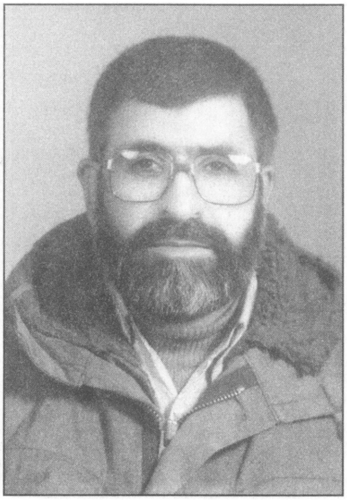

الأسير المحرّر الجريح الحاجّ «سعد الله كل محمدي»

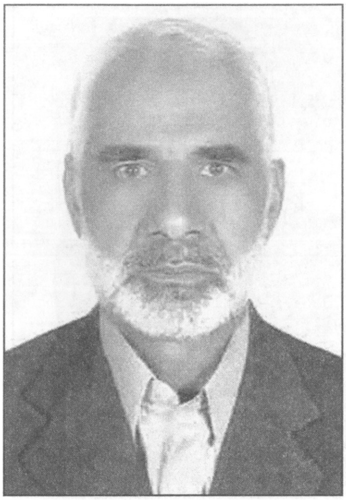

الأسير المحرّر الجريح الحاجّ «حسين شكري»

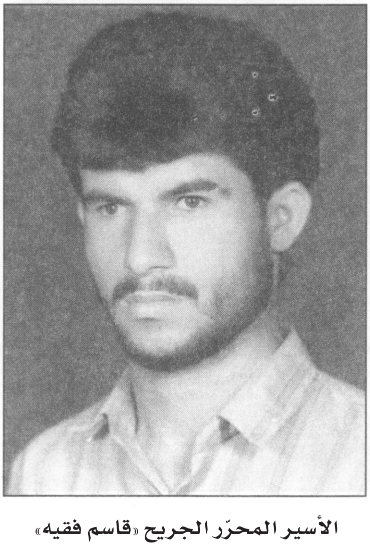

الأسير المحرّر الجريح «قاسم فقيه»

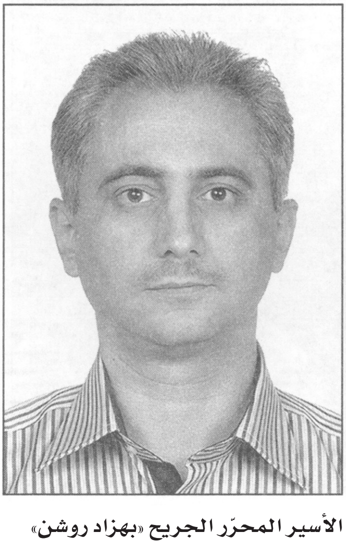

الأسير المحرّر الجريح «بهزاد روشن»

فهرس

تقديم 5

إهداء 7

مقدّمة المؤلِّف 9

الفصل الأول: جزيرة «مجنون»- جادة الخندق 15

الفصل الثَّاني: جزيرة «مجنون» . «موقع الخندق» 97

الفصل الثالث: «الميمونة» . الفيلق العراقي الرابع 149

الفصل الرابع: بغداد . سجن الرشيد 197

الفصل الخامس: مستشفى الرشيد- بغداد 251

الفصل السادس: بغداد- سجن الرشيد 311

الفصل السابع: تكريت – المخيَّم الملحق 339

الفصل الثامن: تكريت – المخيّم (16) 447

الفصل التاسع: تكريت – المخيّم الملحق 525

الفصل العاشر: تكريت – مستشفى القادسيّة 571

الفصل الحادي عشر: تكريت – المخيّم الملحق 585

الفصل الثاني عشر: تكريت – المخيّم 16 629

الفصل الثالث عشر: الرمادي . مستشفى 17 تمّوز 643

الفصل الرابع عشر: الرمادي . المخيّم 13 651

الفصل الخامس عشر: إيران . الولادة الجديدة 665

ملحق هامش 679
ملحق 1-2: تلفظ بعض الأسماء والاعلام ورتب القوات العسكرية 689
ملحق: الصور والوثائق 692